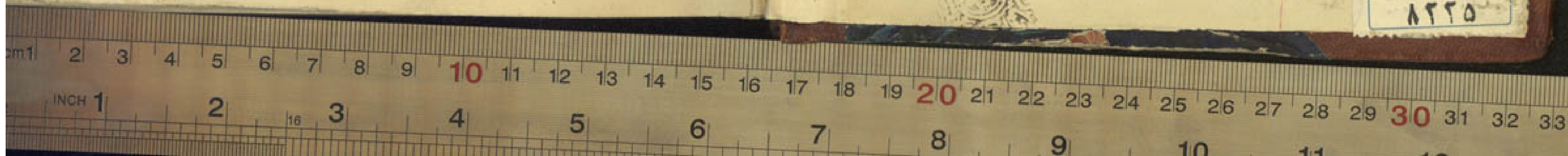
شرح ابن [redacted] میثم
۱ - ۲





تعالی

شرح ابن میثم بحرانی

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك تقدست في ذاتك فحسرت عن ادراكك عقل كل عارف وتعززت في صفاتك فقصرت عن نعتك لسان كل واصف ظهرت في بدائع جودك وشهدت بجزيل وجودك حاجة كل قابل وبطنت بكنه جلالك فالكل في بيداء جلالك متضائل احاط بمحلات علمك فلم يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وتقدست آلاؤك فعدت انواعها حد التعديد ولا تحصى خلقت الدنيا مضمارا استبق فيه خلقك الى سابقات حضرت قدسك وابتعثتهم بالرسل ليسلكوا بهم افضل السبل الى جناب انسك وبثثت فيها ما لا يحصى له نعمى ليعلموا انك مشكور وعن عبادتك مستكبرين وبعض بعيد عما عرفوك وعلى باب كعبة جودك معتكفون سبحانك انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون سبحانك عما يقول الظالمون وتعاليت عما يصفون استحمد بلسان الحال والمقال بالعشي والابكار واحمدك على كل حال اناء الليل واطراف النهار واشهد ان لا اله الا انت شهادة حاذقا كل ما سوى الرحمن درجة الاعتبار مخلصا لجلال وجهك في طوري الاعلان والاسرار واشهد ان محمدا عبدك المختار وصفوة انبيائك الاطهار الذي بعثته بالانوار الساطعة والبراهين والحجج القاطعة وجعلته للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا اليك باذنك وسراجا منيرا اللهم صل عليه صلوة دائمة نامية وافية كافية ما تعاقبت الاوقات ودامت الارض والسموات وعلى آله الطاهرين المنتجبين ينابيع الحكمة واساطين الدين وعلى اصحابه الاكرمين وسلم عليهم اجمعين **اما بعد** فلما كان المقصود الاول من بعثة الانبياء والرسل بالكتب الالهية والنواميس الشرعية انما هو جذب الخلق الى الواحد الحق وصيانة نفوسهم من داء الجهل وتشويقها الى دار الحظائر القدس ومنازل الابرار وحمايتها ان ترد موارد الهلاك اذ كانت من ذلك على خطر وتشويقها الى ما

عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فمنهم عن رقدة الطبيعة ونوم الغافلين بتذكير ما اعد لهم العهد القديم الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ثم ما يلزم ذلك المقصود من تدبير احوال المعاش البدني وسياسة اسباب البقاء للنوع الانساني وكان سيد الوصيين امير المؤمنين ذو الآيات الباهرة والانوار الطاهرة علي بن ابي طالب في جميع ما ورد عنه من الكلام وصدر عنه من الافعال والاحكام قاصدا لجميع ما تضمنه الشرع الكريم من الاغراض والمقاصد باسطا لما اشتمل عليه القرآن الحكيم من القوانين والقواعد حتى لن توجد كلمة في غير هذا السبيل كما يتبين ذلك من تأمل ونوه به بالتفضيل فلا جرم كان كلامه الكلام الذي عليه مسحة من الكلام الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي ولم يزل كلامه عليه السلام مبددا في صدور الرواة منتشرا في ايدي المهذبين والغواة يتداول اعلاقه ان يجتنى مشهوده ويأبى الله الا ان يتم نوره الى ان عضد الله الاسلام بوجود السيد الامام الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي قدس الله سره ونور ضريحه فاختار من كلام جده الرغائب وجمع منه ما كان في حد الشتات وبالغ في تدوين محاسنه بقدر الاستطاعة وسمى مجموعه نهج البلاغة فجاء الاسم وفق المسمى واللفظ طبق المعنى فجزاه الله عن العلماء خير الجزاء وحباه من لطائف لطفه اجزل الحباء ثم اني لما كنت عبد الله اخر عباد الله انا في ريعان شبابي وملكني قوة استدلاله نيل قصده وكنت قد جعلت هذا الكتاب بعد كتاب الله وكلام رسوله مصباحا استضيء به في الظلمات وسلما اعرج به الى طباق السموات كنت في اثناء ذلك وقفت على شيء من اسراره واكتحلت بسواطع انواره انا اسف على من يعرض عنه جهلا واتلهف لا اجد له اهلا الى ان قضت صروف الزمن بمفارقة الاهل والوطن واوجبت تقلبات الايام دخول دار السلام وقد حفت نزهتها فاظل واينع الحكيم القاهر بانتهاء احوال تدبيرها والقدوة في امورها الى من خصه الله تعالى من الكمالات الانسانية ولكنه ملكات الفضائل النفسانية فهو اروع من طبيعة من طينة فضل حين بالعلم والحلم والشجاعة والعفة والعدل منه نكتت ثم هو من رشحه الله لاستكفاء امر عباده وبلاده وحلها مطالعة الامر فادامه فاوامره النافذة تسري فيها سريان الارواح في الاجسام وآراؤه الصائبة تجري فيها مجرى الشمائل الذي جاز اعلى المناقب فعلا باسنى المطالب وسما بهمته الثواقب فاض من عوائد العواطف الالهية آثار العلوم بدولته السعيدة بعد الافول في غيابت الجهالة وطلع صبح الحق بطلعته الحميدة من افق الضلالة ورفع ذيل ظلام الظلم فجر عدله وانهزت روض الرغائب صاحب المشيد لاركان الاسلام معالم المجد ومن آثار الايمان ماحيا الطغيان صاحب ديوان الممالك السالك الى الله اقرب المسالك علاء



الحق والدين عطا ملك بن الصاحب المعظم والمولى المكرم الفائز بلقاء رب العالمين ومجاورة الملائكة المقربين بهاء الدنيا
والدين محمد الجويني ضاعف الله جلاله وخلد اقباله وحرس عزه وكماله وابد فضله وافضاله وفسح في مدة عمره وامد
مدة ضعفه وشد ازره بدوام عز صنوه وشقيقه الذي فاق ملوك الآفاق بعلو الهمة وكمال العز والفخر
ومصابيح العلم والادب ونال من الفضل والحسب الذي ملا الاسماع بجميل اوصافه واناض اوجه الاطماع
بجزيل الطافه واغنى بها طالب وابل بذله ماثيل من بذل في الكرم واصله شعشع هو النجم من اي النواحي
اتيته فلجته المعروف والجود ساحله تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله ولو لم يكن
في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله نعم هو من جمع الله له بين الحكمة والسلطان وزاده بسطة في العلم
وعلو الشان ذو النفس القدسية والحكومة الانسية والاعراق الزكية والاخلاق الرضية والهمم الابية
والمقاصد السنية مولى ملوك العرب والعجم صاحب ديوان ممالك العالم شمس الحق والدين غياث الاسلام
والمسلمين محمد لطف الله اقصى مراتب الكمال وبلغه مجموع الآمال في الحال والمآل فانهما لهذه الامة بدران
مشرقان يستضاء بانوارهما وبحران زاخران يغترف من بحارهما وطودان شامخان يستعاذ بانظارهما و
عمادان يقوم بهما في الوجود اركان الايمان وصارمان يصول بهما الدين الحنيفي على سائر الاديان جزاهما الله عن
الاسلام واهله افضل جزاء المحسنين وخصهما بلطائف فضله باكمل ما اعده لعباده الصالحين وقرن سعا
دتهما بالدوام والاستمرار وعضد اراءهما بمطاوعة الاقضية والاقدار وصان دولتهما عن حوادث الايام
وآفاتها وجعل نتائج افعال احسانهما تابعة لما هو الاحسن منها هذا ولما اتفق لي تشرف بخدمته وانتهيت
الى شريف حضرته احلى من انفس علاء الحمى لمن عن انتهى ناديها واطلعني من سحائب جوده نهار فشبه الصوب
الفائضة من راحتيها ناجرى في بعض محاوراته الكريمة من ملح هذا الكتاب وتعظيمه وتفضيله وتحجيه ما علمت معه
انه اهله الذي كنت اطلب والعالم بقدره ومحله من بين الكتب وتوجهت في تضاعيف ذلك تشوق خاطره المحروس
الى كشف حقائقه والوقوف على اسراره ودقائقه فاحببت ان اجعل شكري لبعض نعمه السابغة ومننه المتواترة المتلاحقة
ان اخدم سامي مجلسه بتصنيف شرح مرتب على القواعد الحقيقية مشحون بالمباحث اليقينية ابين فيه على ما لاح لي من
رموزه واكشف ما ظهر لي من دقائقه وكنوزه وقد سبق الى شرح هذا الكتاب جماعة من اولي الالباب ولم يقصد
المستعد للصواب تمييز القشر من اللباب والشراب من السراب وشرعت في ذلك بعد ان عاهدت الله سبحانه ان لا اقتحم
فيه مذهبا غير الحق ولا ارتكب جرى لمراعاة احد من الخلق فان وافق الرأي الاعلى فذلك هو المقصد
الاقصى والا فالعذر للمقصر مسؤول والعفو من الكريم مامول والرغبة الى اهل الفضل في ستر ما يجدونه من خلل وسد



يعفون عليه من زلل فاني مع ضعف حالي من سلوك هذه الطريق الذي هو مسرح نفوس الاولياء الابرار ومجال
انظار الحكماء الكبار مقتحم الافكار راكب مطايا الاسفار وعلى الله فضل السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل وقبل الخوض
في المطلوب لا بد من تقديم مقدمة يستعان بها على ما عسى ان اذكره من المباحث في هذا الشرح ان شاء الله تعالى اما
**المقدمة** فاعلم ان كلامه عليه السلام يشتمل على مباحث عظيمة تتشعب عن علوم جليلة يحتاج المتصدي للخوض فيه وفهم
ما يشرح منه مع جودة ذهنه وصفاء قريحته الى تقديم ابحاث تعينه على الوصول الى تلك المقاصد ولما ابرز عليه السلام
مقاصده في الفاظ خطابية اما منطوق بها او مكتوبة تعين ان اذكر من مباحث الالفاظ شيئا واتمم الحاجة اليه ثم
اشير الى بيان معنى الخطابة وما يتعلق بها ليكون ذلك معينا للناظر في كلامه على ملاحظة دقائقه ومطالعة اسراره
وحقائقه ثم الحق ذلك بالاشارة الى ما يتعلق به عليه السلام من فضائل لا جرم رتبت هذه المقدمة على ثلث قواعد
**القاعدة الاولى** في مباحث الالفاظ وهي مرتبة على قسمين **القسم الاول** في دلالة الالفاظ والثاني في احكامها
وفيه فصول **الفصل الاول** في دلالة اللفظ على المعنى وفيه ابحاث **البحث الاول** دلالة اللفظ اما على تمام مسماه
او على جزئه او على الامر الخارج من مسماه اللازم له في الذهن من حيث هو لازم له والدلالة الاولى هي دلالة
المطابقة كدلالة لفظ الانسان على الحيوان الناطق والثانية دلالة التضمن كدلالته على الحيوان وحده او على
الناطق وحده والثالثة دلالة الالتزام كدلالته على الضاحك واحترزنا في الدلالتين الاخيرتين بقولنا من
حيث هو جزؤه ومن حيث هو لازمه عن دلالة اللفظ على جزء المسمى او على لازمه بحسب الاشتراك اللفظي بيانه
انه اذا جاز ان يوضع اللفظ الواحد للمعنى ولجزئه كلفظ الممكن مثلا للممكن الخاص والعام وللمعنى ولازمه
كلفظ الشمس على جرم الشمس والضوء اللازم عنه فلو اقتصرنا في تعريف دلالتي التضمن والالتزام على المعنيين
المذكورين دون هذين القيدين لشمل ذلك دلالة المطابقة على تقدير وضع اللفظ لجزء المعنى او
لازمه كما هو موضوع له اذا كانت ايضا دلالة اللفظ على جزء مسماه وعلى لازم مسماه **البحث الثاني**
الدلالة الاولى هي التي بحسب الوضع الصرف واما الباقيتان فزعم الامام فخر الدين وجماعة من الفضلاء انهما
عقليتان وفيه نظر لانهم ان ارادوا انهما حاصلتان عن صرف العقل من دون مشاركة الوضع فهو باطل
لانه لولا ارتسام المعنى في الذهن عن اللفظ لما حصلت هاتان الدلالتان وايضا فانهم صرحوا بانهما من دلالة
الالفاظ فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولهما عن مجرد العقل وان ارادوا بذلك ان الذهن عند تصور المعنى
من اللفظ ينتقل منه الى جزئه او الى لازمه فهو حق لكن هاتان الدلالتان مشتركتان من الوضع والعقل ثم انهما

مستلزمتان للدلالة الوضعية من غير عكس لجواز خلو المعنى عن التركيب وعن اللازم البين ولا يجب فيهما ان تلزم احديهما
الاخرى وهو ظاهر مما مر **البحث الثالث** ظهر مما ذكرنا انه يعتبر في الدلالة التضمنية المعنى كون المعنى المدلول عليه بالمطابقة
مركبا وفي الالتزامية فالمعتبر فيه كونه ملزوما في الذهن لامر بين الثبوت له اذ لولا اللزوم الذهني لم يفد اطلاق اللفظ
في المعنى الخارج عن المسمى لعدم الوضع بازائه وعدم انتقال الذهن عن موضوعه اليه فلم يكن دالا عليه اذ المراد بدلالة
اللفظ على المعنى فهمه عند الاطلاق بالنسبة الى من يعلم الوضع ولا يعتبر اللزوم الخارجي لجواز دلالة اللفظ
على ما يلزم مسماه في الخارج اذا لزم من تصوره تصور مسماه كدلالة لفظ عدم الملكة عليها كلفظ العمى على البصر ثم
اللزوم الذهني ليس موجبا لانتقال الذهن من الملزوم الى لازمه اذ ليس هو تمام ما يتوقف عليه الدلالة الالتزامية
التي لا بد من تصور الملزوم اولا وذلك متوقف على وضع اللفظ بازائه والعلم بالوضع وسماع اللفظ
او حضوره بالبال فهو اذن احد الشروط المعتبرة لتصور اللازم **البحث الرابع** دلالة الحقيقة هي الدلالة
الوضعية الصرفة واما الباقيتان فليستا بحقيقيتين وهو ظاهر ولا مجازيتين ايضا لان من شرط المجاز استعمال
اللفظ في غير ما وضع له استعمالا مقصودا بالذات وهاتان الدلالتان قد يحصلان من استعمال اللفظ في
عين مسماه حصولا عرضيا لان الذهن قد ينتقل عند اطلاق اللفظ لارادة مسماه الى جزئه او الى لازمه انتقالا
عرضيا وكذلك الى جزء جزئه والى لازم لازمه في مراتب كثيرة ومعلوم ان اللفظ المطلق لارادة مسماه مستعمل
فيه بالذات لا فيما انتقل الذهن اليه من الاجزاء واللوازم وان كانت له سببية في ذلك الانتقال فلم
تكن الدلالة بواسطة اللفظ محصورة في الحقيقة والمجاز بل نعم استعمال اللفظ الموضوع واطلاقه بالذات
لارادة المعنى لا يخرج من ان يكون حقيقيا او مجازيا **الفصل الثاني** في تقسيم الالفاظ وفيه ابحاث
**البحث الاول** اللفظ اما ان لا يراد بالجزء منه دلالة اصلا على شيء وهو المفرد او يراد بالجزء منه دلالة
اصلا على شيء وهو المركب لا يقال هذا ينتقض بعبد الله وما يجري مجراه فانه مفرد مع ان كل واحد من اجزائه دال لانا
نقول قد يراد بالجزء من عبد الله واشباهه دلالة ولا نسلم انه بتلك الاعتبار يكون مفردا بل مركب وقد لا يراد
به الدلالة فيكون مفردا فاذا قلنا في رسمه انه الذي لا يراد بالجزء منه دلالة اصلا كان ذلك معيارا لكل
لفظ بالنسبة الى مراد اللافظ به فكل لفظ لا يقصد بجزئه دلالة كان مفردا وهذا هو الرسم القديم للمفرد والمركب
وقد تبين انه لا حاجة فيه الى القيد الذي زاده المتأخرون وهو قولهم من حيث هو جزؤه فان الرسمين تما
وبان **البحث الثاني** اللفظ المفرد اما ان يكون نفس تصور معناه مانعا من وقوع الشركة فيه وهو الجزئي او
غير مانع وهو الكلي اما الجزئي فيقال بمعنيين احدهما ما ذكرناه ويخص باسم الجزئي الحقيقي والثاني انه كل اخص
تحت اعم والفرق بينهما ان الاول غير مضاف ولا كلي والثاني مضاف الى ما فوقه وقد يكون كليا تاما ان يعني

به بعض الحقيقة التي لا يمنع تصورها وقوع الشركة فيها ويسمى كليا طبعيا او النسبة التي تعقل لها بالقياس الى جزئياتها المعقولة
وتسمى تلك النسبة كليا منطقيا او المجموع المعقول من الحقيقة والنسبة العارضة له ويسمى كليا عقليا ثم للكلي اعتبارات ستة
وذلك لانه اما ان يكون ممتنع الوجود او ممكنه والاول كشريك الاله والثاني اما ان لا يوجد او يوجد والاول
كجبل من ياقوت وبحر من زيبق والثاني اما ان يمتنع ان يكون في الوجود منه اكثر من واحد او يمكن والاول كالاله تعالى والثاني
اما ان يكون في الوجود واحد منه فقط وان جاز وجود مثله او اكثر من واحد والاول كالشمس عند من يجوز وجود مثلها والثاني
اما ان يكون الموجود منه اشخاصا كثيرة متناهية او غير متناهية والاول كالكواكب والثاني كاشخاص الانسان **البحث**
**الثالث** الكلي اما ان يدل على ماهية شيء او على ما يكون داخلا فيها او على ما يكون خارجا عنها اما الدال على الماهية فاما
ان يدل على ماهية شيء واحد او على ماهية اشياء كثيرة والاول اما ان يكون كليا او جزئيا اما ان يكون تلك الاشياء مختلفة
الحقائق او متفقة الحقائق فهذه اقسام اربعة الاول هو المقول في جواب ما هو بحسب الخصوصية المطلقة كالجواب بالحد
والثالث هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة المطلقة والثاني والرابع هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة والخصوصية
معا مثال الاول قولنا في جواب من سال ما الانسان انه حيوان ناطق لان خصوصية هذا الجواب بحسب تعين الانسان اذ لا يتناول
وكذا حده غيره والثالث كقولنا في جواب من سال عن جماعة هم انسان وفرس وثور ما هم انها حيوانات اذ كان هذا الجواب
كمال الجزء المشترك بينها وهو اذن مقول بالشركة المطلقة والثاني والرابع كقولنا في جواب من سال عن زيد وعمرو ما هو
انه الانسان او عن جماعة هم زيد وعمرو وخالد ما هم انهم اناس فيكون الجواب في الموضعين واحدا وهو بحسب الخصوصية والشركة
معا اذ كل ما لكل واحد منها من الاجزاء حاصل للاخر ولان خصوصية هذا الجواب بحسب تعين المسؤول عنه واما الدال على جزء
الماهية فاما ان يدل على كمال الجزء المشترك بينها وبين غيرها وهو الجنس القريب او على كمال الجزء المميز لها وهو الفصل القريب
او على ما تركب منها وهو النوع او لا على واحد من هذه فيكون ذلك جزء الجزء وهو اما جنس الجنس او جنس الفصل او فصل الجنس
او فصل الفصل كما هو مذكور في مظانه واما الدال على الخارج عن الماهية فيختص باسم العرضي واعتباره من جهتين احدهما
انه اما ان يكون لازما او لا يكون والثاني هو العارض والاول اما ان يكون لازما للماهية او للوجود والاول اما ان يكون بينا
للماهية كالفردية للثلاثة او غير بين كالتناهي للجسم والثاني كالسواد للغراب واما العارض فاما سريع الزوال كالقيام والقعود
او بطيئه كالشباب للصبا الثاني العرضي اما ان يختص بنوع واحد لا يوجد لغيره سواء عم افراده او لم يعم ويسمى خاصة كالضاحك
للانسان بالقوة وبالفعل او لا يختص بل يعم وغيره ويسمى عرضا عاما كالماشي للانسان **البحث الرابع**
اللفظ والمعنى اما ان يتحدا او يتكثرا او يتكثر اللفظ ويتحد المعنى او بالعكس اما الاول فمعناه اما ان يكون كليا او جزئيا فان
كان الاول فاما ان يكون نسبته الى افراده المعقولة بالسوية وهو المتواطي كالانسان بالنسبة الى اشخاصه او لا بالسوية
بل بعضها اول واولى واشد واضعف وهو المشكك كلفظ الوجود والثاني هو العلم كزيد والثاني في الاسماء المتباينة

مفهوماتها كالانسان والفرس او تواصلت على ان بعضها اسم للذات والاخر اسم للصفة كالسيف والصارم
او على ان بعضها اسم للصفة والاخر لصفة الصفة كالناطق والفصيح والثالث الاسماء المترادفة سواء كانت من لغة واحدة
كالليث والاسد او من لغتين كالماء وآب واما الرابع فاما ان يكون قد وضع اللفظ اولا لاحد المعنيين ثم
نقل منه الى الاخر او وضع لهما معا اما الاول فذلك النقل ان كان لا لمناسبة بين المعنيين فهو مرتجل
وان كان لمناسبة فاما ان يكون دلالة اللفظ على المنقول اليه بعد النقل اقوى من دلالتها على المنقول
عنه او لا يكون فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة الى المنقول اليه منقولا فان كان الناقل هو
الشارع سمي لفظا شرعيا كالصلوة والزكوة واهل العرف ويسمى عرفيا سواء كان العرف العام كالدابة
للفرس بعد وضعها للكل ما يدب وكالغائط للفضلة الخارجة من الانسان عن وضعها للمكان المطمئن و
الخاص كالاصطلاحات الخاصة بطائفة طائفة من اهل العلم مثلا كالرفع والنصب والجر عند النحاة و
كالجمع والقلب والفرق عند الفقهاء وكالموضوع والمحمول والجنس والفصل عند المنطقيين وامثالها واما
ان لم يكن دلالته على الثاني اقوى فاما ان يتساوى بالنسبة اليهما عند الفهم او يكون في الاول اقوى فان كان
الاول كان ذلك لفظا مشتركا وان كان الثاني كان اللفظ بالنسبة الى الاول حقيقة والى الثاني مجازا
اما اذا كان اللفظ موضوعا لهما معا فاما ان يتساوى دلالته عليهما عند الفهم او ترجح في احدهما فان
كان الاول سمي اللفظ بالنسبة اليهما مشتركا وبالنسبة الى كل واحد منهما مجملا لان كون اللفظ موضوعا
لكل واحد منهما هو الاشتراك وكونها بحيث لا يدرى عين المراد منهما هو الاجمال **تذنيب**
ظهر من هذا التقسيم ان الاقسام الثلثة الاول مشتركة في انها بعبارة كانت نصوصا واما الرابع
فذا اعتبارات ثلثة احدها اعتبار كونه افادته مندرجا في بعض مفهوماته وبذلك يسمى ظاهرا والثاني اعتبار
كونها مرجوحة في المفهوم المقابل للراجح وبذلك يسمى ماولا والثالث كونها متساوية بالنسبة الى المفهومين
بحيث لا يدرى المراد منها وبذلك يسمى مجملا فالوجهان الاولان قد اشترك بين الظاهر والنص يحكم
الوجهان قد اشترك بين المجمل والماول ضمن المتشابه الاول محكما والثاني متشابها **المبحث
الخامس** اللفظ المفرد اما ان لا يستقل معناه بالمفهومية او يستقل والاول هو الحرف والثاني
فاما ان يستلزم معناه الوقوع في احد الازمنة الثلثة المعينة وهو الفعل او لا يستلزم وهو الاسم وهو
اما ان يدل على معنى هو نفس الزمان كالزمان او على جزء الزمان كاليوم والغد او على معنى جزؤه الزمان
كالصبوح والغبوق او لا على واحد منها وهو اما ان يكون اسما لجزئي مشخص فان كان مضمرا فهو المضمرات
او مظهرا فهو العلم كحاتم وان كان اسما للكلي فاما ان اسما لنفس الماهية كلفظ السواد وهو المسمى باسم
الجنس في اصطلاح النحاة او لامر ما له صفة كذا وهو الاسم المشتق كلفظ الضارب فان مفهومه انه

امر ما له صفة الضرب **المبحث السادس** اللفظ المركب اما ان يكون قابلا للصدق والكذب لذاته وهو
الخبر او لا لذاته وهو اما ان يكون مفيدا لطلب شيء افادة اولية او ليس كذلك والاول ان كان على طريق الا
ستعلاء فهو الامر وان كان على طريق التساوي فهو الالتماس وان كان على طريق الخشوع والتضرع
فهو السؤال والثاني هو التنبيه ويدخل فيه التمني والترجي والقسم والنداء **المبحث السابع**
اللفظ قد يكون مدلوله لفظا مفردا او مركبا وعلى التقديرين فاما ان يدل مفهومه فاقسام اربعة الاول لفظ مفرد
دال على معنى مفرد كلفظ الكلمة والاسم والفعل والحرف والثاني لفظ مفرد دال على لفظ مركب دال على معنى
مركب كلفظ الخبر والكلام والقول الدال على قولنا زيد كاتب الدال على معانيه والثالث لفظ مفرد
دال على لفظ مفرد غير دال على معنى كحروف ا ب ت وسائر حروف المعجم والرابع لفظ مفرد دال على لفظ مركب غير دال
كلفظ الهذيان والهذر **المبحث الثامن** اللفظ المفرد اذا دل بالالتزام على شيء فذلك المعنى اما ان
يكون شرطا للمدلول عليه بالمطابقة او تابعا له والاول يسمى دلالة الاقتضاء وتلك الشرطية اما عقلية كشرطية
نصب السلم لصعود السطح عند الامر به او شرعية كشرطية الوضوء للصلوة عند الامر بها واما الثاني فيكفي به
المذكور لشيء حال تخصيصه بالذكر من عرفه عند من يقول به فان معنى التخصيص يستلزم لنفي المذكور وكذا اللفظ
المركب اذا استلزم تركيبه معنى فاما ان يكون من متممات المعاني المذكورة بالمطابقة او من توابعها والاول
كدلالة تحريم التأفيف على تحريم الضرب واما الثاني فكاستلزام قوله تعالى فالان باشروهن الى قوله
حتى يتبين لكم الخيط الابيض لعدم فساد صوم من اصبح جنبا لا لتحريم الوطء في اخر جزء من الليل يتبع الغسل
وباقيه التوقيف **الفصل الثالث** في الاشتقاق وفيه ابحاث **المبحث الاول** في حقيقته
الاشتقاق الاشتقاق اخذ احد اللفظين من الاخر لمشاركة بينهما في الاشتمال على المعنى والحروف الاصلية
واركان الاشتقاق اربعة الاول اسم موضوع لمعنى الثاني شيء اخر له نسبة الى ذلك المعنى الثالث مشاركة
بين الاسمين في الحروف الاصلية الرابع تغيير يلحق الاسم الثاني اما في حروف فقط او في حركة فقط او فيهما
معا وكل واحد من هذه الاقسام فاما بالزيادة وحدها او بالنقصان وحده او بهما وظن الامام ان الحاصل
من تفصيله هذه القسمة تسعة اقسام فقط وهو سهو يحققه عند الاعتبار بان المحصل منها خمسة عشر قسما
**ا** زيادة الحرف **ب** زيادة الحركة **ج** زيادتهما معا **د** نقصان الحرف **ه** نقصان الحركة **و** نقصانهما
معا **ز** زيادة الحرف مع نقصانه **ح** زيادة الحرف مع نقصان الحركة **ط** زيادة الحرف مع نقصانهما **ي** زيادة
الحركة مع نقصانها **يا** زيادة الحركة مع نقصان الحرف **يب** زيادة الحركة مع نقصانهما **يج** زيادتهما مع نقصانها معا

نقصان الموقوف بد زيادتهما مع عدم نقصان الحركة مد زيادتهما مع عدم نقصانهما معا فهذه هي الاقسام الممكنة و
مع طلب الاختصار **البحث الثاني** اختلف الناس في انه هل يجوز صدق المشتق منفكا عن صدق المشتق منه
ام لا والحق انه يجوز لنا ان الاشتقاق يكفي فيه ادنى ملابسة بين المشتق والمشتق منه فلا يشترط صدقه
على ما يصدق عليه المشتق فان المهلك والمميت والضار والمذل مما يصدق على ذات الله تعالى مع ان
الامور المشتق منها وهي الهلاك والموت والضرر والذل غير صادقة ولا جائزة عليه لا يقال المشتق
مركب من المشتق منه ومن شيء آخر ومتى صدق المركب صدق كل واحد من اجزائه لانا نقول لا نسلم ان المشتق
منه من حيث هو مشتق منه جزء من المشتق وحاصل فيه بل الحاصل فيه شيء من اجزائه وهي الحروف
الاصلية وبعض الحركات فانا بينا ان المشتق لا بد وان يخالفه بتغيير باحد الوجوه المذكورة والعقل شاهد
منه لا شك انه كان معتبرا في حقيقة المشتق منه فبعد التغيير لم يبق تلك الحقيقة فلم يلزم من صدقها حال
صدق المشتق **البحث الثالث** اختلفوا ايضا في انه هل يشترط في صدق المشتق ثبوت
صدق المعنى المشتق منه لفظه ام لا والحق انه لا يشترط لوجوه احدها انا نعلم بالضرورة اطلاق اهل اللغة لفظ
المشتق على الشيء حال ما لا يكون وجه الاشتقاق باقيا كاطلاقهم لفظ القاتل في الحال على من قتل فيما
قبل الثاني ان الضارب مثلا هو من حصل منه الضرب ولا يشترط فيه وهو اعم من حصوله في الحال
وفي الماضي لامكان تقسيمه اليهما ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي الضرب في الحال نفي مطلق
الضرب فلا يلزم من صدق المشتق بقاء وجه الاشتقاق الثالث المشتقات من المصادر السيالة
كالمتكلم والمخبر لا يمكن بقاء وجه الاشتقاق فيها فان الانسان حال ما يتكلم بالحرف الثاني فات
الحرف الاول فلا يمكن تحقق ماهية الكلمة في الخارج فضلا ان يقال انها تبقى مع انها صادقة
بالاتفاق لا يقال الضارب مثلا بعد انقضاء الضرب يصدق عليه انه ليس بضارب في الحال وقولنا
ليس بضارب في الحال جزء من قولنا ليس بضارب في الحال ومتى صدق المركب صدق كل واحد من اجزائه
فاذن صدق عليه انه ليس بضارب فوجب ان لا يصدق عليه انه ضارب لتناقضهما في العرف لانا نقول
ان كانت القضيتان مؤقتتين منعنا التناقض في العرف والحقيقة لان المكذب لقولنا انه ليس بضارب
في الحال قولنا انه ضارب في الحال ونحن ما ادعينا صدق قولنا انه ضارب في الحال بل انه في الحال يصدق عليه
انه ضارب ولا تناقض لعدم اتحاد الوقت وان كانتا مطلقتين فدعوى التناقض الحقيقي وهو
ظاهر الفساد لان المطلقتين لا تتناقضان او عرفا وهو ايضا ممنوع وبتقدير تسليمه نمنع صدق قولنا
بعد انقضاء الضرب انه ليس بضارب بصدق قولنا في تلك الحال انه ضارب وتناقضهما عرفا والله الموفق
كقولك فلان العارف شجاع جواد فالشجاع جواد لانك تقول الكبرى العارف جواد ويسمى ما كان على هيئة

على هيئة غير الشكلين علامة والقياس الظني قد لا يكون منتجا في نفس الامر
اذ ليس من شرط الخطابة ان يكون على هيئة منتجة كموجبتين في الشكل الثاني كقولك
هذا منتفخ البطن فهو اذن حبلى وتقدير الصدق والحبلى منتفخ البطن ويسمى هذه
رواسم … في الذهن ظنا واما التمثيل فيسمى لاعتبار العبور الذهن من
المشبه الى المشبه به ويسمى المنتج منه برهانا واستعمال التمثيل والقياس يسمى
… التمثيل اما ان يكون باصول متفق على القياس عليها سواء كانت امورا موجودة
او حوادث ماضية او امثالا مضروبة سائرة واما ان لا يكون كذلك بل امورا مخبر عنها
… مثل وحكاية اما ممكنة او غير ممكنة والاول كاستشهاد علي عليه السلام في
… لاصحابه من الدنيا بالقرون الماضية واحوالهم واما الثاني فالممكن كما يقول
… على صديقه لا تعاشر الجهال فان عاشرتهم فضحت وقد لا يكون عاشرهم واما
غير الممكن فكالاستشهاد باقوال الحيوانات الموضوعة في كتاب كليلة ودمنة واما
واما الاستقراء فيقع فيه بجزئيات كثيرة كقولك لمن يشير عليه بتحصيل الزيادة بتحصيل
الفضيلة لان فلانا وفلانا فضلوا فسادوا او سيعرفه في كلام علي عليه السلام كثيرا
واما حكاية الحلف فكشكاية عليه السلام من ذم عثمان بقوله لو امرت به لكنت
قاتلا فانه اراد تقرير عدم الامر بابطال اللازم الامر وهو كونه قاتلا المستلزم
لابطال الامر المستلزم لاثبات المطلوب وهو عدم الامر وكذلك التوبيخ كقوله
عليه السلام في توبيخ العلماء في اختلاف الفتيا افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه
فانه اراد بيان عدم الطاعة لاختلافهم بابطال امر الله اياهم المستلزم لابطال نقيض
المطلوب وهو صحة الاختلاف **والمقدمة** التي من شانها ان تصير جزء حجة
تسمى موضعا وحقها ان لا تكون دقيقة علمية ولا واضحة يستغنى عن ذكرها كالضروريات
والقوانين التي تستنبط منها المواضع تسمى انواعا والبحث في الخطابة عن الضروريات
لا يكون بل انما يبحث فيها في الاكثر عن الاكثريات والراي قضية كلية ينتفع بها في امور
عملية فيختار او يجتنب وسائر الاراء اكثرها الا انها غير مقنعة ما لم يقرن اليها العلة
كقولك لصديقك مثلا لا تحرص في جمع المال فانه لا يقبل ما لم يقل مع ذلك لانك تسعى
بجمعه في لا اخره خصوصا اذا كان الراي شنيعا كقولك لا تحصل الفضائل فانه ما لم
يقرن به العلة كقولك كيلا تحسد لا يقبل ذلك والراي اما ان لا تحتاج الى كلام يقترن
به لظهوره في نفسه او عند اهل العقل او عند المخاطب او تحتاج الى ما يقترن به ليوضحه

الى المطلوب وحينئذ فالقرينة اما سمح الرأى او ما سمح فان كان سمح الرأى
كقولنا لا اصدقا للناصحين فصدق قول زيد ناصح فالضمير المقنع هنا ليس الرأى و
حده بل مع نتيجة وهو جزء من الضمير وان كان عامة الشيء هو المسمى له كقولك الكسب
للفضائل فحسن كان الرأى هو الضمير للقريب فانه المقنع لذاته والله الموفق

**البحث الرابع** في اقسام الخطابة بحسب اقسام اغراضها

واعلم ان جميع المفاوضات الخطابية ثلثة مشاورة ومنافرة ومشاجرة ولكل
واحد من هذه الاقسام غرض خاص اما المشورة فهى مخاطبة يراد بها الاقناع بان
الامر الفلانى ينبغى ان يفعل لنفعه وان الامر الفلانى لا ينبغى ان يفعل لضرره واما
المنافرة فمخاطبة يراد بها الاقناع فى مدح شيء لفضيلته او ذمه لنقيصة واما
المشاجرة فمخاطبة يراد بها الاقناع فى شكاية ظلم او اعتذار بانه لا ظلم او انه لم يقع
الاعتذار فى وقوع الامر نفسه ولكن فى كونه نافعا او ضارا او ظلما او غير ظلم كما عند له
الظالم او من يبصره بان الذى فعله ليس بظلم او اعتذار المذموم بان الذى فعله
ليس بنقيصة او انه فضيلة اما المشورة فليس المشورة انما هى مشورة بسبب اقناعها فى
امر هو نافع بالحقيقة فانه قد لا يكون نافعا بالحقيقة ولا عند المشير لكن ظن انه
نافع رام الاقناع به فيكون المخاطبة مع ذلك مشورة وقد لا يكون المشورة بالنافع بل
بالجميل الذى ربما كان فى العاجل ضارا وله نفع من جهة اخرى وكذلك المدح
والذم لا يلاحظ فيهما دائما النافع والضار حتى يكون المدح بالنافع والذم بالضار
بل ربما كان المدح بالضار كاقتحام الاذى والضرر وركوب الاهوال لاجل الجميل
فانه يشاد به ويمدح فاعله ويعظم كالذين يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و
يقتلون وكثيرا ما يجد العاقل يختار الموت على الحيوة والامور المشورية عظيمة
مبنى عليها الشرايع والسنن والسياسات واقسام الامور المشورية العظيمة العامة
النفع دون الجزئيات النافعة بحسب احوال الاشخاص خمسة العدة والحرب
والسلم وحماية المدينة ومراعاة امر الدخل والخرج ووضع الشرايع ووضع
المصالح فالخطيب المشير فى امر العدة ينبغى ان يكون بصيرا بجنس ارتفاع المدينة
وكميته وكمية النفقات اذا جرت على القسط ليوازى الدخل الخرج وشر بنفى البطالة
عن حرفة يعود بنفع المدينة وبالحجر على المسرف وتوفيقه على القدر العادل وبحفظ
جزئيات الاخبار وبالعوائد التجربية لانها تذاكير وامثال وعلى المشير فى امر الحرب

بعد

بعد ان يكون له بصيرة بانواع الحروب وسماع اخبار المتقدمين من المقاتلة فى مدنهم
وما يليها ورسومهم ومذاهبهم ان يحيط علمه خبرا بمدينته ومحاربتهم وعددهم وعددهم وادر
بالحرب وعاداتهم ونفاذ حيله قومه وصفاء نيتهم او ضد ذلك وموقع نظره عليهم فى
كل وقت ويقيسها الى مقابليهم وان يعتبر الحربيات السالفة فان الامور واشباهها
ويحذو احذو اشكالها فانه يستنبط من هذه الاحوال مقدمات ينتفع بها فى المشورة
واما المشير فى حفظ المدينة فينبغى ان يعلم انواع الحفظ لانواع البلاد المختلفة سهليتها
وجبليتها وبريتها وبحريتها وما يحيط بها ومواقع المسالح قربا وبعدا والمدارج المخوفة
واللتى يرتادها المقاتلون فيسر منها بالارصاد فان ذلك قد يقف عليه من لم يشاهد عدد
المدينة وان يعرف عدد الحفظة والرصدة وسائر ثمد قلتهم ومداخلتهم بالنواحى
وان يعرف الحاصل من القوت وما يحتاج الى جلبه واعداده من خارج المدينة فان القوت
وما يجرى مجراه اذا انجمت مادته لم يكن حفظ المدينة وتدبيرها فينبغى ان يكون
المشير عارفا لمقدار حاجة كل اكل وباحوال اهل الفضايل والثروة منهم فيشير
ما ينبغى ان يستعان به فيه من اهل الفضايل وما ينبغى ان يستعان به فيه باهل الثروة
فيما ينتظم به امر المصلحة واما الخامس فهو المشورة فى امر السنن وهو من اعظم الا
بواب خطبا واحوجها الى فضل قوة الخطابة وعلى اللسان ان يحقق عدد انواع الا
شتراكات المدنية وما يئول اليه من تركيبها وان يعلم ما يناسب كل نوع من الاشتراك
بحسب عاداتها والاسباب الحافظة لذلك الاشتراك والقاسمة له وفساد المدينة بينه
اللتى لم يحكم تدبيرها بنوع من احد امرين اما عنف المدبرين لهم فى الحمل على الواجبات
او من اهمالهم ومسامحتهم فينبغى ان يكون المشير بصيرا باصناف السياسات وما يعرض
لكل احد منها من العوارض وما يئول اليه كل واحد منها فيوضع كل واحد منها
فى موضعه فلا يستعمل القهر والغلبة فى مرفق ومراعاة مصلحة المرؤسين لاكرا
مهم وتعظيمهم ولا بالعكس فلا يحصل هناك قانون ناظم فقد عرفت مما ذكرنا الموا
ضع اللتى منها يستنبط المقدمات المشورية فى الامور العظام ومما يعين على وضع
السنن وتفريعها تامل قصص الماضين واحوالهم واما الامور المشورية النافعة
بحسب احوال شخص شخص فهى وان كانت غير مضبوطة الا ان جميعها يشترك فى
انها يقصد بها صلاح الحال كان بالحقيقة او بالظن ويعنى بصلاح الحال هو الفعل
الممكن عن فضيلة النفس واسترداد العمر مشفوعا بمحبة القلوب وتوفر الكرامة

من الناس وفي رفاهية وطيب عيش ووقاية وسعة ذات اليد في المال والعقد
وتمكن في استدامة هذه الاحوال والاستزادة منها واما اجزاؤه فمنها ما ينسب
الى الحسب ومنها ما ينسب الى الشرافة الجزئية فاما مدينة كذا الاصل وكثرة الاخوان
والاولاد وصلاحهم والبسار والانعام والقوة والصحة والفصاحة وجميل الاحدوثة
والجاه والبخت واما نفسانية كالعلم والذكاء والزهد والشجاعة والعفة وحسن
السيرة والاخلاق المرضية وحصول التجارات والصناعات فعلى الخطيب ان يشير باعداد
هذه الانواع وكذلك ما ينسب الى النافع وهو كل ما يوصل الى شيء من الخيرات كالجد والطلب
وتحصيل الاسباب والوسايل وانتهاز الفرص ومواتاة الحظ واما الامور الشرية
فهي ما يقابل هذه وعلى المشير ان يشير باجتناب عللها وما يعوق عن الخيرات كايثار اللذة
والكسل واللهو والبطالة وفوات الاسباب وضياع الفرص وسوء التوفيق ولذلك
قد يحتاج الخطيب الى اعداد مقدمات في ان هذه الخير افضل وان هذا النافع
انفع كالحكم بان افضل الخيرات اعمها وادومها واكثرها نفعا واولاها بالقصد لنفسه
واعزها واعظمها واشرفها واكثرها استتباعا للخيرات واكثرها استلزاما للحاجة
اليه واكثرها استلزاما لرغبة الجمهور والاكابر فيه ولذلك يحتاج الى مقدمات بعدها
في ان هذا الشر اضر كالحكم بان اشر الشرور اعمها وادومها واولاها بالهرب منه واكثرها
استتباعا للشرور ويجب ان يستكثر من ضرب الامثال وايراد التذكير واقتصاص احوال
الماضين واما المنافرات وهو باب المدح والذم فعلى الخطيب تحصيل الانواع
النافعة في المدح والذم المتعلقة بالفضيلة والرذيلة واجزاء الفضيلة هي البر
البر والشجاعة والعفة والمروة وكبر الهمة والسخاء والحلم والثبات واللب
الحكمة وقد يلزم بعض هذه خيرات يتعدى الى غير الفاضل كالخير المتعدي من البر
والشجاع والسخي الى غيرهم واجزاء الرذيلة اضداد ما ذكرنا كالجور المقابل للبر
والجبن للشجاعة والفجور للعفة والدناءة للسخاء والسفالة لكبر الهمة والنذالة
للمروة والطيش للثبات والبلاهة للب فهذه هي الفضايل والرذايل وما عداها
فاسباب لها وعلامات عليها مثلا كالجاذب للعدو والخشية من الله تعالى والعلم
طلب الذكر الجميل للعدل والجاذب للاحتياج والوثوق بان لا مقاوم له وعدم المبالاة
بالعاقبة واشباهها للجور وكذلك في ساير الاسباب وكالانفعالات اللازمة للعادل
عن لزوم العدل حتى تحمل شدة العذاب مثلا في انتزاع ما في يده من الامانة ولا يسلمها

الى غير

الى غير بها ومن الجهاد ايضا مقاومة الاعداء والانتقام منهم والجزاء على الحسنة والسيئة
ومن مدايح الشجاع الغلبة والكرامة وان يفعل افعالا يذكر وينشر ويسهل تخليدها
لتخليدها فيبقى بعدها الاعقاب ومن الجهاد ايضا علامات تحقق الاشراف بها كارسال
شعر للعلوي وطرحه للعالم فان ذلك من علامات شرفهم ومن الممدوحات ايضا الاستغناء عن الناس في اي باب وقد يذكر المدح على سبيل التزويج والمغالطة فيعبر
عن الرذيلة بعبارة يفهمها في سلك الفضيلة اذا كانت قريبة من الفضيلة او كانا تحت
حكم يعمهما وهذا كما يحتاج الخطيب الى صدده للتناقض فيجعل القدر المشترك بين الفضيلة
والرذيلة مكان الفضيلة فيمدح المتهور بانه حسن المشورة والفاسق بانه لطيف العشرة
والغبي بانه حليم والغضوب بانه نبيل والابله الغافل عن اللذات بانه عفيف والمتهور
بانه شجاع والماجن بانه ظريف والمبذر في الشهوات بانه سخي وفي عكس ذلك اذا قصد
ذم الفاضلين فيذكر الفضيلة في معرض الرذيلة فيذم لطيف العشرة بالعشق و
الحليم بالغباوة والنبيل بالغضوب والعفيف بالابله والشجاع بالمتهور والظريف
بالماجن وكذلك في ساير ها واما الامور المشاجرية فعلى الخطيب اعداد انواع
اسباب الجور والجور هو الاضرار الواقع بالقصد والمشي ولم يرخص الشريعة فيه بوجه ها
واما الاسباب الموصلة اليه فكالكسل من الكسلان فانه عند ما يحمل الدعة الى ان يهوا
يكون سببا لخذلان صديقه وكالجبن الذي يكون سببا لاضاعة الحريم وهلاكهم وكايثار د
الراحة عن التعب وحب البطالة واللهو المودي الى ترك اكتساب الفضايل وكالغضب
المودي الى العسف وعدم الظفر بالمطلوب عند الغلبة والاقتحام وكاستباحة التصرف
في مال الغير وعرضه ونحوه والاستهزاء بالخلق والحرص والوقاحة واسباب العدل
هو ما يقابل هذه الاسباب فهذه امور اذا علمها الخطيب اخذ منها مقدمات في انه
لما كان الحاكم كذا اقدم على الجور وللجور اسباب كثيرة مذكورة في الكتب المبسوطة
ثة البحث الخامس في انواع مشتركة للامور الخطابية الثلاثة
وههنا انواع مشتركة لاصناف الخطابة يجب على الخطيب اعدادها لينتفع بها
فمنها ما يعد لاستدراجات من مبادي الانفعالات والاخلاق مثلا ما يعد للغضب
كالاستهانة والعنت والشتيمة وقطع العادة في الاحسان ومقابلة النعمة
بالشتيمة او بالكفران والقعود عن جزاء الجميل بمثله او بعيد لضده وهو فتور الغضب
كالاعتذار بعدم معرفة من قصده بالاستهانة او بعدم قصد الاستهانة وكالاعتراف

بالذنب والاستغفار والتوبه والتذلل والتلق بالبشاشه وكذلك هيئة المهيب
والاستحياء من المستحيا منه فانه للغضب الجامع لها او بعد للحزن كالانواع التي
يوجب تصور فوت المرغوب فيه او حصول المحذور منه او عدم الانتفاع بالحيوه والتد
بر او لضده وهو التسلية كالتي توجب الاقناع فان هذا الامر ممكن ان يدفع او يرجى
التدارك فيه او باعتبار حال الغير فان للصبي اذا عمت هايب له بالارشاد الى
الحيل بتحصيل الامر الذي لاجله الحزن او يبعد التحي او الاستحياء كالفرار عن الزحف
وخيانة الامانه وارتكاب المظالم ومعاشرة الفساق ومداخلتهم في مواضع الريبه
والحرص على المحقرات ومفارقة الدنيا بالكسب للمساكين ونبش الكفن والتقتير
مع اليسار ومعارضه اللئام بالاستماحة وكاستشعار الشماته من الاعداء او بعد
لابطال الخجل وهو اضداد هذه الاسباب او للاهتمام بالغير والشفقة عليه وله
اسباب الباعثه على الاهتمام كالعذاب المهلك والاوجاع والجهد والكبر والسقم
والخصاصة وسوء البخت وعدم الانصار وعلامات الاهتمام كايثار المهتم له على
النفس والاحسان اليه بغير منة وستر عيوبه ونصرته في مغيبه والوفاء له او لضده
وهو الحسد كوصول خير الى غير يرى الحاسد انه اولى به منه او الى من لا يحبه
او الغيرة كتحيل مشاركه من لا حق له في الحق من غير ان يدخله صاحبه فيه
او لكشكر النعمة وهو ان يقول الخطيب انما اعطى فلان لنفس النعم الا الجزاء بنوقعه
او يقول انه يقع في وقت الحاجة او في وقت تعسر المعونه من الناس او انه انعم بما لم
تسمح نفس غيره به او انه اولى من انعم فبحرك بغيره للانعام او انه لم يرد بالصنيعه ذكرا او
انه يستر الصنيعه سترا او لكفران وتحقير النعمة كان يقول لم يرد بعطايك الا
غرضا وانك لم يتم النعمة وانك قصرت عن الواجب عليك بمثله او انك لم يصطنع
بقصد بل لضرورة او اتفاق او لرغبة في مجازاة فان ذلك كله مما يبطل المنن
او للشجاعة كان يقول المكروه عنك بعيدا ولا وجود له عندك ولا محل عندك للاقرا
والمبارزين ولقول انت كثير الانصار قويهم وانك بري عن الظلم لا احتمال له
او لضدها وهو الجبن كقوله ان في المقاومات حصول المكاره وان خصمك في
غاية القوة فلا طاقه لك به او ان انصارك قليلون او ضعفاء وامثال ذلك
ولذلك يجب على الخطيب ان يحصل انواعا تعين على كل خلق خلق يختص بصنف
صنف من الناس اما باعتبار الاسنان كان يقول للشاب الذي يغلب عليه طلب

اللذة

اللذة ان هذا وقت السرور والزمان المساعد والشباب بعد في ابانه غرعا يدو
وهذا الربيع قد اشرق نواره وتصفقت ازهاره وكمد المار اكل والمشارب و
الملابس والمراكب ويقول للشيخ الذي يغلب على طباعه طلب النفع والحرص على
الدنيا ينبغي ان يقتصر على تحصيل منافعك واللهو غير لايق بك وينبغي ان يقلل البذل
لئلا يستفقر عيالك وينبغي ان لا يخدعك فلان ولا يغلط معه لانك جربت الخداع
واما باعتبار اخلاقهم في البلدان كان يقول للعرب الذي طبعه الفصاحة انك لذو
فضيلة عظيمه ولو لم يكن من فضل الفصاحة الا انها وجه اعجاز القران لكفى و
امثاله وكان يقول للعرب من جهته ما هم غلاظ الطباع كثير الطباع ان بني فلان
اعداؤكم ولا ناصر لهم او هم قليلون او يعمهم كثيرة او ان الفعل الفلاني كثير النعمة ولا
حارس له فيغريهم بذلك وكما يحرك طباع الفرس الى حسن التدبير الذي هو
عادتهم بما يناسبه او الى الملال الذي هو طباعهم بما يناسبه او باعتبار العجم كما يحرك
ما في طباع الملوك من الكبر وعدم الالتفات الى الغير بما يناسبه وما في طباع الساقطين
من الدناءة بما يليق به ومن جملة الامور المشتركة ما يتعلق بالممكن من الامور وغير الممكن
كان يقول الخطيب اذا اراد ان يقنع بان الامر الفلاني ممكن فيقول هذا الامر مما
يستطاع فهو ممكن او نقيضه ممكن فهو ممكن او شبهه ممكن فهو ممكن او الاصعب
منه ممكن فهو ممكن او اراد ان يقنع بانه يتوقع كونه فيقول الامر الفلاني مقدور
عليه ومراد فلابد ان يكون والنادر يكون فالاكثري يكون ويمكنك ان تعلم انواع
ما لا يكون وانواع ما لا يمكن من انواع ما يكون وانواع ما يمكن فصل جمله
من الامثله يهدي الخطيب الى امثالها وليس يجب عليه ان يضبط ما ينبغي من
الامور بحسب تخصص في كل واحد من اموره الجزئية فان ذلك غير ممكن
بل يضبط القوانين الكلية المتعلقة بالاجناس الثلثه للخطابة ويجتهد في
ان يحفظها مهما امكن فانه كلما كان الحكيم بالجزء المتكلم فيه اخص كان انفع
واقنع مثاله اذا اراد ان تمدح زيدا فقلت هو شجاع لانه متحمل الفضائل بل
باسرها هذا وان كان مقنعا والا انك لو خصصت فقلت لانه هزم جيش
العدو وقت كذا او قتل البطل الفلاني في يوم كذا لكان ذلك اقنع واليق با
المدح وقد يقع في الخطابه القضايا المقابلة والمغالطة بها للاقناع فيستعمل
الضدان في ايجاب كل واحد من النقيض كقولك اسكت في المحافل لانك ان صدقت

ابغضك الناس وان كذبت ابغضك الله ثم تقول تكلم في المحافل لانك ان صدقت
احبك الله وان كذبت احبك الناس والمقابلة ههنا ان افادت اقناعا كانت
من صناعة الخطابة ومثالها المغالطة من باب اشتراك الاسم كقولك بالذهب يبصر الا
نسان لانه عين او من باب تركيب المفصل كقولك فلان شاعر جيد فيوهم ذلك
التركيب مدح الشعر بالجودة والتقدير وفلان جيد او من باب وضع ما ليس
بعلة علة كما يقال فلان مبارك القدم لانه مع قدومه يبشر كذا او من باب
المصادرة على المطلوب كما يقال زيد يشرب الخمر فيقال لان اخاه يشرب الخمر
واما ان لم يوقع اقناعا كما يقال فلان لم يذنب باختياره لانه زنا وهو سكران
لم يكن من صناعة الخطابة وبالله التوفيق

## البحث السابع

في المحسنات للخطابة

الامور المحسنة للخطابة اما ان تتعلق بالالفاظ
واما ان تتعلق بالترتيب واما ان تتعلق بهيئة الخطيب اما الاول فاعلم
ان تحسين الالفاظ في الخطابة عظيم النفع فان جزالة اللفظ تورث جزالة المعنى
وركاكة اللفظ يذهب ذوق المعنى ومحسنات اللفظ امور الاول ان يكون
اللفظ فصيحا عذبا غير ركيك صرف العامية ولا وحشي مرتفع عن ان يصلح لمخاطبة
الجمهور ولان الطباع العامية ينفر عن العبارة العلمية والملحون لان اللحن يهجن
الكلام ويرذله وهذه الاعتبارات موجودة في كلام علي عليه السلام كثيرا الثاني
ان يراعى اقسام الارتباطات وهي الحروف التي يقتضي ذكرها ان يكرر كقوله
عليه السلام في صفة الملائكة منهم سجود لا يركعون ومنهم ركوع لا يسجدون وكذلك اما في
الاقسام فلو لم يحصل التكرار ههنا لنقص الكلام وكذلك قوله عليه السلام
المرء المسلم البرئ من الخيانة ينتظر احدى الحسنيين اما داعي الله فما عند الله
خير له واما رزق الله فاذا هو ذو اهل ومال اللهم الا ان لا يكون تكراره معلوما
كقوله عليه السلام في كثير من خطبه اما بعد فان هذا الخبر مسبوق بما قبل
وان لم يذكر لوضوحه الثالث ان لا يباعد بين الروابط بحشو يدخل
بينهما الوصلة بينهما الرابع ان يراعي حقه من التقديم والتاخير فان تاخير
الشرط عن المشروط وتقديم لام على الدعوى قبيح وبعض هذه الاحكام قد
يختص ببعض اللغات الخامس ان يزين بالتشبيه والاستعارة وتكون
تلك الالفاظ المستعارة خاصة غير مشتركة ولا مغلطة فقد يورد اللفظ موهما للشيء

وضده

وضده كقول المنجم اذا دخلت منه كذا يتجدد للاسلام امر عظيم فذلك محتمل
الخير والشر معا لهما وفائدة التشبيه والاستعارة ههنا الاستعانة بالتخييل
الحاصل منه على رونق المعنى فانه يحصل له رونقا لا يحصل بدونه والالفاظ المستعارة
والحيلة وان كانت اصلا في الشعر فقد يستعملها الخطيب بالعرض وتكون في
الخطابة كالابازير السادس ان يراعى لفظ الواحد والتثنية والجمع وما
يخصها من التصاريف وكذلك التذكير والتانيث ذي العلامة وغيره رفعا للغلط
السابع قد يزين اللفظ بالايجاز اذا اعتمد على فهم السامع من تعقب الاقناع فيرد
الحدود والرسوم هناك الى اللفظ المفرد وقد يزين بالبسط فينعكس ذلك وقد
يبدل اللفظ المفرد العلم الشنيع بقول كما يقال عورة المراة وطيها ودمها عوض
اسمايها الصريحة واكثر ما يستعمل امثال هذه في الافراطات في المدائح فيكره التصريح
بالاسماء الصريحة احتشاما وتنزيها للمجالس عن ذكرها وكذلك يستعمل في الاعتذار
كثيرا وحيث يراد التهويل للتخويف في المشورات الثامن ان يزين بالمفاصل
اي يكون ذا مصاريع وتسجيع ووزن ما لا الوزن الحقيقي وذلك كقول علي عليه السلام
اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع
وقد عرفت المتوازن فان ذلك اقرب الى ثبات اللفظ في الخيال ثم تلك المفاصل
ينبغي ان لا تطول لئلا ينسى الاول ولا يقصر جدا فلا يحفل به النفس فيحصل انقطاع
عن استثبات النفس له ثم المفاصل قد يكون اقساما وتسمى المقسم كما مر
في المثال في صفة الملائكة وقد يكون تلك الاقسام متقابلة كقوله عليه السلام اما الامرة
البرة فيعمل بها التقي واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي ولكل واحدة
من الخطابة المسموعة والمكتوبة اسلوب خاص وكذلك اصنافها واما
الثالث وهو الترتيب فاعلم ان للاقاويل الخطابية صدرا ووسطا وخاتمة
فالصدر كالرسم الذي ينقش عليه ويعرف السامع منه الغرض اجمالا واما
الوسط فقد يكون اقتصاصا لامور فيحكم بانه حسن او قبيح كما في المنافرة
وعدل او جور كما في المشاجرة وقد يتقدم على الصدر اقتصاص لامور يستلزم
الشكر والمدح من القايل ومن السامع كذلك كما جرت العادة بتقديم
اقتصاص امور يستلزم الشكر والمدح من القايل ومن السامع لذلك
كما جرت العادة بتقديم اقتصاص صفات الله عز وجل وصفات رسله عليهم السلام

وقد يكون الوسط غير اقتصاص بل دلالة على مصلحة وحث عليها كما في المشورة
اذ ليس فيها ما يحكى ويشتكى ولا حمد ولا ذم وليس فيها منازعة ومواثبة والقصد
فيها حسن لكون المشار عليه قد دعى للعرض واستعد للقبول وهو في المشاجرة قبيح
واما الخاتمة فهي حسنة في المشورة ايضا والذي يليق بها ان يكون اجزاؤها
مفصلة غير مخلوطة بما قبلها خصوصا في المشوريات وهو ان يقول المشير قد قلت
ما عندي من النصيحة والرأي ما رأيت كما يقول الخطيب اقول قولي هذا
واستغفر الله العظيم لي ولكم انه هو الغفور الرحيم ونحو ذلك واما الثالث
وهي الامور المتعلقة بنفس الخطيب فمثل بمحاذ او تخيل اخلاقا واستعدادات الافعال
والانفعالات ويتى ذلك نفاقا والاخذ بالوجوه فهي اما متعلق بصوته كرفعه في
موضع الرفع وخفضه في موضع الخفض او بتركيبة نفسه او بكونه على زي وهيئة
وسمت حسن يصيد به القلوب وهذا القسم انما يكثر الانتفاع باستعماله مع ضعفاء
العقول اذ كانوا للاستدراجات بالامور المحسوسة اطوع ولذلك يكبر في
اعينهم من كان يرى البكاء والمستكثرين من العبادة والخشوع الظاهر وان كان
مرائيا ولما لم يكن غرضنا من التعرض بذكر الخطابة هاهنا الا الاشارة الى اقسامها
الكلية لتبيين معنى الخطابة وما عسى ان نذكره من ان الخطابة التي نحن شارعون في
بيانها من اي اقسام الخطابة هي وليسهل المطلع على ما ذكرناه هاهنا لما لم ننسبه من ذلك
لا جرم اقتصرنا على هذا القدر من الايراد واما البسط ففي الكتب المطولة واعلم
ان الغالب على كلام علي عليه السلام هو المشوريات واما المنافرات والمشاجرات
فهما اقل كما يعرف ذلك عند تصفح اقواله ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق
واما الخاتمة ففي بيان علمه عليه السلام من الخطابة واعلم انه لما كان الغرض من وضع
الشرائع والسنن انما هو نظام الخلق وجذبهم الى الجناب المقدس عن دار الغرور
وتذكيرهم لمعبودهم الحق وتعليمهم كيفية السلوك للصراط المستقيم كما اوعدنا اليه
وعلم مع ذلك ان عليا عليه السلام كان مقررا للشريعة ومبينا لها وموضحا لمقاصد
سنن الرسول عليه السلام ومفرعا لاحكامها اذ كان الممنوح بجوامع العلم والمطلع على
اسرارها الحقيقية لم يكن مقصوده من جميع الاقوال المنقولة عنه الا الغرض الاول
من وضع الشرائع والسنن بيان ذلك انك قد علمت ان الاقوال الخطابية
ينقسم بحسب اغراضها ثلثة اقسام مشاورة ومنافرة ومشاجرة فاما المشورة

فانها

فانها الجزء الاكبر في كلامه عليه السلام وانت تعلم من تصفح كلامه ان كل ما يشير به بالقصد
الاول فانما هو الاقبال على الله تعالى بترك الدنيا والاعراض عنها والاستكمال في
الفضائل وترك الرذائل والمنقصات الجاذبة الى الجنبة السافلة المانعة عن
الوصول الى الله سبحانه فان عرض في كلامه امر تحريض او نهي عن امر جزئي لا يلوح
للغافلين عن هذا السر كمصالح الحرب والعدة والمدنية وغير ذلك فانه عند
الاعتبار يرجع اليه لان كل ذلك يرجع الى نصرة الدين وتقويته ونظام امر العالم و
ترتيب مصالحه واما المنافرة فقد عرفت ان جميع ما ورد في كلامه عليه السلام من الذم انما
هو للدنيا ولاتباع الهوى وارتكاب الرذائل الموبقة ومن ارتكبها فاشباه ذلك مما
يبعد عن الله تعالى وما ورد فيه من المدح فانما هو لله سبحانه وملائكته ورسله
والصالحين من عباده وما هم عليه من الفضائل وترك الهوى والاعراض عن الدنيا و
ما ينبغي ان يكون الخلق عليه من ذلك ولا شك ان الاول حث للخلق بتحقير ما يميل طبا عهم
اليه من الامور الفانية وتصغيره وذمه والتنفير عنه وذمهم على الركون اليه ليقصروا
عنه الى ما وراءه من النعيم الابدي والخير السرمدي وليتذكروا معبودهم الحق سبحا نه
ولا يكونوا من المعرضين الهالكين والثاني ايضا حث لهم بتعظيم كما ينبغي ان يلتفتوا
اليه وتكبيره ومدحه والترغيب فيه وفيما يكون وسيلة اليه من الفضائل والاعراض
عن الدنيا وغير ذلك واما الامور المشاجرية فما كان في كلامه عليه السلام منها فاما بيان
للظلم والجور واسبابهما وما يؤول اليه من سوء العاقبة وقبح الخاتمة عند الله تعالى او
بيان للعدل واسبابه وما يؤول اليه من حسن العاقبة وحميد المنقلب الى الله كما
يشتمل عليه كثير من كتبه الى عماله ومحاربيه ولا شك ان كل ذلك جذب الى الله
تعالى بالتصريح والاشارة واما تظلمه من ظالم خرج عن ربقة الدين واتبع هواه وشكا ية
من افعاله الخارجة عن نظام الشريعة المؤدية الى ضد مقاصد الشارع ولا يخفى ان
مقصوده من ذلك التظلم والشكاية اقناع الخلق بان فلانا ظالم لهذا لما لا يستحقه
ليثبتوا على الحق وينفروا منه ويكسروهم من عساه يتوهم ان خصمه على الحق فهو مما
كان بقاء ذلك الوهم سببا للحوق به وذلك بالحقيقة تثبيت على الحق وجذب عن الباطل
وهو في نفس الامر مقصود الشارع وغايته واما اعتذاره مما نسبه الجاهلون
في حقه ظلما وجورا كاعتذاره عليه السلام مما نسبه جماعة في حقه ظلما من القعود عن
نصرة عثمان حتى نسبوه الى انه قاتله وتنصله من ذلك وكذا كاعتذاره فيما

محله الخوارج ذنباله من تحكيم الحكمين وغير ذلك فان لا اعتذار في هذه المواضع واصنا لها جذب الى الحق وصرف عن الباطل اذ كان لا اعتذار عنه طلبا للافناء من تخيل فيه ظلما بانه ليس كما خيل اليهم وان ما صدر ليس بظلم ولا جور لفتنوا الى ما عنه ومن لا اقتداء به فيما هو عليه من اتباع الحق والنصرة للدين والذب عنه ومعلوم ان ذلك كله صرف الى الله سبحانه والى اسباب ما يوصل اليه فقد علمت من هذا البيان ان غاية علم من جميع اقواله انما هو توجيه للخلق الى جناب الله وتطابقت عليها الشرايع والسنن ومن تامل ما قلناه وترك متابعة هواه وطبق ما اوردناه من القانون الكلي على احواله علم صحة ما ادعيناه وبالله التوفيق

**القاعدة الثالثة**

في بيان ان عليا علم كان مستجمعا للفضايل الانسانية وفيها فصول

**الفصل الاول**

في فضايله اللاحقة له من خارج ولنذكر منها وجوها

نسبه من رسول الله صلى الله عليه واله وهو ابو الحسن علي بن ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وامه فاطمه بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت هاشميا وكان علي اصغر اولادها وعقيل اسن منه بعشر سنين وطالب اسن من عقيل بعشر سنين وهي اول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه من النساء وكان صلى الله عليه يكرمها ويدعوها امه واوصت اليه حين حضرتها الوفاه فقبل وصيتها وصلى عليها ويروى انه نزل لحدها واضطجع معها بعد ان البسها قميصه فقال له اصحابه في تخصيصها بذلك فقال انه لم يكن احد بعد ابو طالب ابر بي منها وانما البستها قميصي لتكسى من حلل الجنه وانما اضطجعت معها ليامن ضغطه القبر **الثاني** سبقه الى الاسلام وفضيلته في ذلك ظاهرة **الثالث** مجاهدته اعداء الله ونصرته للدين وذبه عنه ومقاماته في ذلك مشهوره ماثوره يكاد لا يحصى كثره **الرابع** تخصيص الرسول صلى الله عليه واله عليه له بتزويج فاطمه دون من خطبها من اكابر المهاجرين والانصار **الخامس** كون الحسن والحسين عليهما السلم الذين هما سيدا شباب اهل الجنة ولديه وذلك فضل عظيم **السادس** قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قيل انها نزلت في علي وفي جعل عيسى عم مثلا له فضل عظيم ويؤيد ذلك قول النبي صلى الله عليه واله لولا ان يقول فيك طوايف من امتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت اليوم فيك مقالا لا تمر بعده بملا منهم الا اخذوا التراب من تحت قدميك وهذا الكلام يقتضي انه وصفه بشيء لما وصفه الا بما وصفا في عيسى عم

التي

التي لاجلها قالت النصارى فيه ما قالوا **السابع** قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم الاية اتفق المفسرون على انها نزلت في علي واهل بيته وسبب نزولها مشهور في كتب التفسير وغيرها وكفى بذلك شرفا **الثامن** روي انه لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي صلى الله عليه اللهم اجعلها اذن علي ولا شك ان الرسول علم كان مجاب الدعوة ولذلك قال علي فلما شككت في شيء بعد ذلك وذلك من اعظم الفضايل **التاسع** من طرق الكل قول النبي صلعم في حقه ادر الحق مع علي حيث دار ولا شك في استجابة دعايه ومن كان الحق وجه اقواله وافعاله فلا مزيد على فضله **العاشر** من طريق الكل قوله علم انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي والاستثناء ههنا يشهد باثبات جميع المنازل التي كانت لهرون من موسى الا النبوه وما علم نفيه من اخوته وكونه وزيرا وناصرا وقايما بناموس الشريعة ومفرعا لاحكامه الكلية وخليفه له كما كان هرون كذلك ومن ههنا تمسكت الشيعة بهذا الخبر في استحقاقه الخلافة وكفى بهذا فضيلة **الحادي عشر** من طريق الكل قوله علم من كنت مولاه فعلي مولاه وسواء كان المراد ههنا بالمولى الاولى بالتصرف او الناصر فان الفضل حاصل **الثاني عشر** قوله علم في حقه اقضاكم علي ولا شك ان القضاء محتاج الى انواع العلوم وكفى بشهادة الرسول علم بذلك فضلا **الثالث عشر** قوله علم اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع العلم وكفى بهذه الشهادة فضلا **الرابع عشر** من طرق الشيعة انه خوطب بامير المومنين في حيوة الرسول علم وانكره المحدثون من غيرهم وروى احمد في مسنده وفي كتابه في فضايل الصحابة وكذلك ابو نعيم الحافظ في كتاب حلية الاوليا ان رسول الله صلعم خاطبه بيعسوب المومنين واليعسوب امير النحل وكل ذلك اشارة الى فضله **الخامس عشر** تربيته رسول الله صلعم له من اول عمره الى ان اعده لاعلى مراتب الكمالات النفسانية قال علم في تربية النبي صلعم له واتباعه اياه في خطبته المسماة بالقاصعة وقد علمتم موضعي من رسول الله صلعم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا وليد يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله به صلعم من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملايكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل

انزلته يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويامرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل
سنة بحرا فاراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلعم
وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان
قد ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير
وانك لعلى خير الى اخر الكلام حتى صار بهذه الرتبة استاد العالمين بعده صلى الله عليه
في جميع العلوم وبيان ذلك اجمالا فلقول النبي صلعم انا مدينة العلم وعلي بابها والشك
ان المقصود انه صلى الله عليه علم هو المنبع الذي يفيض منه العلوم الالهية والاسرار الحكمية
التي اشتمل عليها القران الحكيم والسنة الكريمة وهو مصدرها والمحيط بها لان شان
المدينة ما يحتوي عليه كذلك وان عليا هو المفرع لتلك الاسرار والمهتدي لتفاصيل
جملها واحكامها الكلية بحسب حاله من كمال الحدس وقوة الاستعداد بحيث يصير
تلك الاسرار سهلة التناول قريبة الماخذ لساير الخلق لان الباب هو الجهة التي
بها ينتفع الخلق من المدينة ويمكنهم تناول ما ارادوه منها واما تفصيلا فلانا
بحثنا العلوم باسرها فوجدنا اعظمها واهمها هو العلم الالهي وقد ورد في خطب علي علم
من اسرار التوحيد والنبوات والقضاء والقدر واسرار المعاد كما سنبينه ما لم يات
في كلام احد من اكابر العلماء واساطين الحكمة ثم وجدنا جميع فرق الاسلام ينتهي في علومهم
اليه اما المتكلمون فاما معتزلة فانتسابهم اليه ظاهر فان اكثر اصولهم ماخوذة
من ظواهر كلامه في التوحيد والعدل وايضا فانهم ينسبون الى مشايخهم كالحسن البصري
وواصل بن عطا وكانوا منتسبين الى علي علم ومتلقين عنه العلوم واما الاشعرية
ومعلوم ان استادهم ابو الحسن الاشعري وقد كان تلميذا لابي علي الجبائي وهو
من مشايخ المعتزلة الا انه تنبه لما وراء اذهان المعتزلة فخالف استاده
في مواضع نقلها من مذهبه واما الشيعة فانتسابهم اليه ظاهر فانهم يتلقون
العلوم عن ائمتهم والائمة ياخذ بعضهم من بعض الى ان ينتهي اليه وهو امامهم الاول
واما الخوارج فهم وان كانوا في غاية من البعد عنه الا انهم ينسبون الى مشا
يخهم وقد كانوا تلامذة علي واما المفسرون فرئيسهم ابن عباس رضي الله عنه
وقد كان تلميذا لعلي واما الفقهاء فمذاهبهم المشهورة اربعة احدها مذهب
ابي حنيفة ومن المشهور ان ابا حنيفة قرا على الصادق علم واخذ عنه الاحكام
وانتها الصادق الى علي ظاهر الثاني مذهب مالك وقد كان مالك تلميذا

لربيعة

لربيعة الراي وربيعة تلميذ عكرمة وعكرمة تلميذ عبد الله بن عباس وكان تلميذ علي
الثالث مذهب الشافعي وقد كان الشافعي تلميذا لمالك الرابع مذهب
احمد بن حنبل وقد كان احمد تلميذ الشافعي فرجع انتساب فقه الجميع الى علي
علم ومما يوكد كماله في الفقه قول الرسول صلعم اقضاكم علي ولا اقضى الا بان
يكون افقه واعلم بقواعد الفقه واصوله واما الفصحاء فمعلوم ان جميع من
ينسب الى الفصاحة بعده ملاوا اوعية اذهانهم من الفاظه وضمنوها كلامهم
وخطبهم فيكون منها بمنزلة درر العقود كابن نباتة وغيره والامر في ذلك ظاهر
واما النحويون فاول واضع للنحو هو ابو الاسود الدئلي وكان ذلك باشارة له علم
الى ذلك وبداية الامر ان ابا الاسود سمع رجلا يقرا ان الله بريء من المشركين ورسوله
بالكسر فانكر ذلك وقال نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من نقصان الايمان بعد
زيادته وراجع عليا علم في ذلك فقال له نحوت ان اضع للناس ميزانا يقومون به
السنتهم فقال له علم انح نحوه وارشده الى كيفية ذلك الوضع وعلمه اياه واما
علماء الصوفية وارباب العرفان فنسبتهم اليه في تصفية الباطن وكيفية السلوك
الى الله تعالى ظاهرة للاشتهار واما علماء الشجاعة والممارسون للاسلحة والحروب
فهم ايضا ينتسبون اليه في علم ذلك فثبت بذلك انه كان استاد الخلق وهاديهم
الى طريق الحق بعد رسول الله صلعم ومناقبه وفضائله اكثر من ان تحصى والله الموفق

## الفصل الثاني في بيان فضائله النفسانية وهي اما

ان يعتبر بالنسبة الى قوته النظرية او الى قوته العملية فلا جرم ههنا بحثان

### البحث الاول في انه علم كان مستجمعا لكمال قوته النظرية

قد علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال الحكمة النظرية وهي استكمال النفس
الانسانية بتصور المعارف الحقيقية والتصديق بالحقائق النظرية بقدر الطاقة
البشرية ولا شك ان هذه الدرجة كانت ثابتة له علم وبيان ذلك بيان انه
علم كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلعم وانه كان متسنما لدرجة
الوصول وتحقيق ذلك انه قد ثبت في علم كيفية السلوك ان وصول العارف
انما يحقق اذا غاب عن نفسه فلحظ جناب الحق من حيث انه هو فقط وان لحظ
نفسه فمن حيث هو لاحظه لا من حيث هي مزينة بزينة الحق ثم انه قد وجد في
كلامه واشارته ما يستلزم حصول هذه المرتبة له ولنذكر منها مواضع ثلثة

واول قوله عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد عرفت ان ذلك
اشارة الى ان الكمالات النفسانية المتعلقة بالقوة النظرية قد حصلت له
بالفعل وذلك يستلزم تحقق الوصول التام الذى ليس فى قوة الاولياء نيله
الثانى قوله عليه السلام حكاية عن رسول الله صلعم فى حقه انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى
الا انك لست بنبى ولا اشكال ان النبى صلعم كان له الاتصال التام بالحق تعالى فكان
هذا الاتصال والوصول حاصلا لعلى بمقتضى شهادة الرسول وان كان التفاوت
بين المرتبتين قايما لان الاتصال بالجناب المقدس درجات لا يتناهى ولذلك
قال الا انك لست بنبى وسيعلم من تفاصيل كلامه عند الانتهاء اليه تحقق
هذه المرتبة له الثالث قوله عليه السلام الهى ما عبدتك خوفا من عقابك ولا
رغبة فى ثوابك ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وجه الاستدلال انه
حذف كل قيد دنياوى واخروى عن درجة الاعتبار سوى الحق تعالى وذلك انما
يتحقق له الوصول وقد يؤكد ذلك انا سنبين ان شاء الله تعالى ملكه عليه السلام
من الكرامات وصدورها عنه وذلك من خواص الواصلين البحث
الثانى فى بيان كماله فى قوته العملية وكما علمت ان كمال القوة النظرية
انما هو باستكمال الحكمة النظرية وكذلك كمال القوة العملية انما هو باستكمال
الحكمة العملية وهى استكمال النفس بكمال الملكة التامة على الافعال الفاضلة
حتى يكون الانسان ثابتا على الصراط المستقيم متجنبا الطرفى الافراط والتفريط فى
جميع افعاله ثم قد ثبت فى علم الاخلاق ان اصول الفضايل الخلقية ثلثه
احدها الحكمة الخلقية وهى الملكة التى يصدر عنها الافعال المتوسطه بين
الجربزة والغباوة الذين هما طرفى الافراط والتفريط وانت تعلم من تصفح افعاله
واقواله وتدابيره فى امر الحروب ونظام امور العالم ما يضطر معه الى الحكم بانه
كان مستلزما لهذه الفضيلة وغير واقف دونها فى حد الغباوة لا متجاور لها
الى طرف الجربزة لان حيث المقرر يمنعه عن الترقى الى درجه الكمال وبانطبعه
الى الشر وثانيها العفة وهى الملكة الصادرة عن اعتدال حركة القوة
الشهوية بحسب تصريف العقل العملى لها على قانون العدل وبها تصدر الافعال المتو
سطة بين الجمود والفجور الذين هما طرفا الافراط والتفريط ونبين ان هذه
الملكة كانت ثابته له عليه السلام من وجهين الاول انه كان ازهد الخلق فى الدنيا بعد الرسول

صلى الله

صلى الله عليه وآله وفيها على العلة الحقيقية واقدر على حذف الشواغل
الملهية عن لقاء الله وكل من كان كذلك كان مالكا لهواه مصرفا لشهوته
بيد عقله اما المقدمة الاولى فمعلومه بالتواتر واما الثانية
فمضبوط بها ايضا الثانى قول النبى صلى الله عليه اللهم ادر الحق مع على حيث
دار ولا شك فى استجابة دعائه عليه السلام ومن كان الحق لازما لحركاته وتصرفاته
استحال ان يلزمها باطل لان الامر الواحد لا يلزمه لازمان مختلفان فاستحال
ان يكون متبعا للهوى البتة وهو معنى العفة ومما يؤكد حصول هذه الملكة له
ما روى انه عليه السلام ما شبع من طعام قط وانه كان من اخشن الناس ماكلا وملبسا
يقتنع بقرص الشعير ولا ياكل اللحم الا نادرا وكان يقول لا تجعلوا بطونكم مقبرة
للحيوان ويقصد بذلك التنفير عنه وكل ذلك زهادة فى الدنيا ولذاتها وثالثها
الشجاعة وهى الملكة الحاصلة للنفس عند اعتدال القوة الغضبية بحسب تصريف
العقل فيما يضبطه لها وبها تصدر الافعال المتوسطة بين افعال الجبن والتهور
وثبوت هذه الفضيلة له عليه السلام معلوم بالتواتر حتى صارت شجاعته يضرب بها
المثل مبالغة فى حق الرجل الشجاع واذا عرفت ان هذه الملكات الثلث ثابتة
له كما تم ما بين وثبت انها مستلزمه لفضيلة العدالة ثبت ان فضيلة العدالة
ثابته له واما باقى اقسام الحكمة العملية كالحكمة السياسية والمدنية فقد علمت
ان فايدتها ان يعلم الانسان وجه المشاركة التى ينبغى ان يكون بين اشخاص
الناس ليتعاونوا على مصالح الابدان ونظام مصالح المنزل والمدينه وقد كان
عليه السلام فى ذلك سباق غايات وصاحب ايات ويكفيك فى معرفة ذلك منه اما
على سبيل الجملة فلان الشريعة المصطفوية سلام الله على شارعها وارده بمقاصدها
تبين الحكمتين على اتم الوجوه واكملها بحيث يرجع اكابر الحكماء اليها فى تعلمها و
معلوم ان عليا عليه السلام كان متمسكا بها ومقررا لها وباسطا لاحكامها الكلية ومفصلا
لاشاراتها الجلية لم يغير منها حرفا ولم يقف فيها دون غاية وذلك يستلزم ثبو
تها له على اكمل وجه واتمه واما على سبيل التفصيل فعليك فى معرفته
انه كان اكمل الخلق بعد رسول الله صلعم فى هذا العلم بمطالعة كتبه وعهوده الى عماله
وولاته وامرايه وقضايه خصوصا العهد الذى كتبه للاشتر النخعى فان
فيه من لطايف تدبير امر المدينه ونظام احوال الخلق ما لا يهتدى لحسنه ولا يوجد

جد

عليه مزيد في هذا الباب هذا مع ما تواتر من رجوع اكابر الصحابة به المعترف بحسن
تدبيرهم وآرائهم الى استشارته في امورهم وتعرّف كيفية العساكر والحروب
والمصالح الكلية والجزئية منه في مواضع كثيرة نعلمها في هذا الباب وفي
غيره كرجوع عمر الى رأيه في الخروج مع المسلمين الى غزو الروم وغير ذلك مما هو
مشهور مأثور وما اشار عليهم من الآراء الكافلة بحسن التدبير والايالة الوافية
بنظام الحركات المدنية كما ستعلمه ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق

**الفصل الثالث** في صدور الكرامات عنه وفيه بحثان

**البحث الاول** في اخباره عن الامور الغيبية والنظر اما
في امكان ذلك او في سببه او في وقوعه منه فها هنا اذن ثلث مقامات
المقام الاول في امكانه تعجب عليك ايها الاخ المبلغ لنفحات الله اذا ذكر
ان خليفة من خلفاء الله او وليا من اوليائه اخبر عن امر سيكون مبشرا به
او منذرا مما لا يفي بدركه قوتك وانت انت فاصاب ان لا تبادر الى التكذيب بامثال
ذلك وتستنكره فانك عند مراجعة عقلك وتصفحك الاحوال نفسك تجد كل ذلك
ممكنا والى سبيله بيان ذلك ان معرفة الامور الغيبية في النوم ممكنة فوجب
ان يكون في اليقظة كذلك اما الاول فلان الانسان كثيرا ما يرى في نومه شيئا
ويقع بعده اما صريح تلك الرؤيا او تعبيرها وذلك يوضح ما قلناه اما في حق الرائي
فظاهر واما من لم يرزق ذلك في حال النوم فانه يعلمه بالتواتر من اكثر الخلق
واما الثاني فلان ذلك لما صح في حال النوم لم يمكن الجزم بامتناعه حال اليقظة
فان الناس لو لم يجربوا ذلك في حال النوم لكان استبعادهم له في تلك الحال
اشد من استبعادهم لوقوعه في حال اليقظة فان عند عدم التجربة لو قيل للانسان
ان جماعة من الاولياء اجتهدوا في تلويح مفكراتهم الصافية حال ما هم ايقاظ
في تحصيل حكم غيبي فعجزوا ثم ان واحدا من الكفار لما نام وصار كالميت حصل
له ذلك الحكم فلا بد ان يكذب بذلك ويستنكره لعدم حصوله مع كمال
الحركة وسلامة الحواس عن العطلة وكمال العبادة وحصوله مع اعداد
ذلك فقد بان بذلك انه لما كان في حال النوم ممكنا كان في حال اليقظة
كذلك واما المقام الثاني وهو بيان السبب في الاطلاع على الامور الغيبية
اما في حال النوم فهو انه قد ثبت في العلم الالهي ان جميع الامور التي يصدق

عليها

عليها انما كانت او تكون معلومة لله تعالى وثبت ان للنفس الانسانية من شأنها الا
تصال بجناب الله تعالى وانما يعوقها عن ذلك استغراقها في تدبير البدن
فاذا حصل لها ادنى فراغ من ذلك كما في حال النوم وانغلقت عنها ابواب
الحواس الظاهرة رجعت بطباعها الى الاتصال المقدس فينطبع فيها من الصور
الحاصلة هناك ما هو اليق بها من احوالها واحوال ما يقرب منها من الاهل
والولد وما يهتم به ثم ان المتخيلة التي من طباعها المحاكاة تحاكي تلك المعاني
الكلية الحاصلة للنفس وتمثلها بصور جزئية وتحطها الى لوح الخيال الحا فظ
للصور فيبقى تلك الصورة مشاهدة للحس المشترك ثم ان كانت تلك الصورة شد يدة
المناسبة لتلك المعاني بحيث لا افتراق بينهما الا في الكلية والجزئية كانت الرؤيا
غنية عن التعبير وان كانت المناسبة حاصلة بوجه ما كما اذا تصور المعنى
بصورة ضده او لازم من لوازمه احتيج حينئذ الى التعبير وفائدة التعبير التحليل
ورجوع الفكر بالعكس من الصور الخيالية الى المعنى النفساني وان لم يكن هناك
مناسبة اصلا كانت الرؤيا اضغاث احلام واما في حال اليقظة
فالسبب في ذلك هو ان النفس الناطقة متى قويت وكانت وافية بضبط
الجوانب المتجاذبة ولم يكن اشتغالها بتدبير البدن عائقا لها عن ملاحظة
مباديها والاتصال بالحضرة الالهية وكانت المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص
الحس المشترك وضبطه عن الحواس الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا
توجهت الى الجناب المقدس لاستعلام ما كان او ما سيكون انتقشت عليها
الصور الكلية لتلك الامور ثم ان النفس يستعين في ضبط تلك الامور الكلية
بالقوة المتخيلة فتحاكي تلك المعاني بما يناسبها من الامور المحسوسة ثم تحطه
الى خزانة الخيال فيصير مشاهدا للحس فمن ثم يسمع الانسان كلاما منظوما
ويشاهد منظرا بهيا تخاطبه بكلام فيما يهمه من احواله فان كان التفاوت
بين تلك المعاني والصور الا في الكلية والجزئية كان ذلك وحيا صريحا
والهاما ولا احتاج الى التأويل واما المقام الثالث وهو صدور الا
خبار بالامور الغيبية عنه فستعلمها في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ان
شاء الله تعالى لا يقال لا نسلم ان ذلك علم الهمه الله اياه وافاضه عليه
بل الرسول عليه السلام اخبره بوقائع جزئية من ذلك وحينئذ لا يبقى بينه وبين غيره فرق

في هذا المعنى فان الواحد منا لو اخبره الرسول عم بشيء من ذلك لكان له
ان يحكي ما قال الرسول وان وقع المخبر به على وفق قوله وبدا على ذلك
قوله بعد الوصف لا تراك وقد قال بعض اصحابه في ذلك المقام لقد اعطيت
يا امير المومنين علم الغيب فضحك وقال للرجل وكان كلبيا يا اخا كلب
ليس هذا بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة
وما عدده الله سبحانه في قوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث
ويعلم ما في الارحام من ذكر وانثى وقبيح وجميل وشقي وسعيد ومن يكون للنار
حطبا او في الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله
وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلعم فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم
عليه جوانحي وهذا تصريح بانه تعلم من رسول الله صلعم لانا نقول انا لم
ندع انه عم كان يعلم الغيب بل المدعى انه كان لنفسه القدسية استعداد
ان ينتقش بالامور الغيبية عن افاضة جود الله تعالى ونفرق بين علم الغيب
الذي لا يعلمه الا الله وبين ما ادعيناه فان المراد بعلم الغيب هو الذي لا يكون
مستفادا عن سبب يفيده وذلك انما يصدق في حق الله تعالى اذ كل علم
لذي علم عداه فهو مستفاد من جوده اما بواسطة او بغير واسطة فلا يكون
علم غيب وان كان اطلاعا عن امر غيبي لا ساهل للاطلاع عليه كل الناس
بل يختص بنفوس خصت بعناية الالهية كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واذا عرفت ذلك ظهر ان كلامه
علم صادق مطابق لما اردناه فانه نفى ان يكون ما قاله علم غيب لانه مستفاد
من جود الله تعالى وقوله انما هو تعلم من ذي العلم اشارة الى تعليم الرسول له
وهو اعداد نفسه على طول الصحبة بتعليمه وارشاده له الى كيفية السلوك و
اسباب التطويع والرياضة حتى استعد للانتقاش بالامور الغيبية والاخبار
عنها وليس التعليم هو ايجاد العلم وان كان امرا قد يلزمه ايجاد العلم فتبين
اذن ان تعليم رسول الله صلعم له لم يكن بمجرد توقيفه على الصور الجزئية بل اعداد
نفسه بالقوانين الكلية ولو كانت الامور التي تلقاها عن الرسول علم صور جزئية
لم تحتج الا مثل دعائه في فهمه لها فان فهم الصور الجزئية امر ممكن سهل في حق
مثله اذ لا فهم وانما تحتاج الى الدعاء واعداد الاذهان له بانواع الاعداد

هو الامور

هو الامور الكلية العامة للجزئيات وكيفية انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها
واسباب تلك الامور المعدة لادراكها ومما يؤيد ذلك قوله علمني رسول
الله صلعم الف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف باب وقول الرسول
صلى الله عليه اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع العلم والمراد بالانفتاح
ليس الا التفريع وانشعاب القوانين الكلية عما هو اعم منها وبجوامع العلم
ليس الا ضوابطه وقوانينه في قوله واعطي بالبناء للمفعول دليل ظاهر على ان
المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي بل الذي اعطاه ذلك هو الذي اعطى النبي
جوامع الكلم وهو الله سبحانه وتعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وهو
محتمل للتخصيص كما في قوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
وهذا الامر واضح لا يحتاج العاقل في استكشافه الى كلفة وسنحقق في اثناء الشرح
ما نزيد ذلك وضوحا ان شاء الله تعالى

### البحث الثاني

في بيان صدور الافعال الخارقة عنه والنظر ايضا اما في امكان ذلك او في
سببه او في نفس وقوعه منه المقام الاول في امكانه واسبابه واجب
على من اهل الله سبحانه لاستشراق انواره اذا سمع ان وليا من الاولياء انفعل
ليس في وسع غيره من ابناء نوعه الاتيان بمثله كالامساك عن الطعام المدة
المديدة التي ليست في وسع ابناء نوعه وكالتحريك او الحركة الخارجة عن و
سع مثله وكما يشاهد من طوفات يقع باستدعائهم وزلازل واستنزال عقو
بات وخسف بقوم حق عليهم القول واستشفاء المرضى وخضوع عجم الحيوانات
وغيرها ان لا يبادر الى التكذيب فانه عند الاعتبار يجد تلك امورا ممكنة
في الطبيعة اما الامساك عن القوت فتأمل امكانه فينا بل وجوده عند
عروض عوارض عديمه لنا اما بدنية كالامراض الحادة واما نفسانية كا
لخوف والغم وسبب الامساك في حال المرض اما الامراض البدنية فان القوى
الطبيعية يشتغل بهضم المواد الردية عن تحريك المواد المحمودة فتجد المواد المحمودة
حينئذ محفوظة قليلة التحلل عنه عن طلب البدل لما يتحلل فربما انقطع
الغذاء عن صاحبها مدة لو انقطع مثله عنه في غير حالة لكان عشر تلك المدة
هلك وهو مع ذلك محفوظ الحيوة واما النفسانية فانه قد يعرض بعروض
الخوف للخائف سقوط الشهوة وفساد الهضم والعجز عن الافعال الطبيعية التي

كان متمكنا عنها قبل الخوف لوقوف القوى الطبيعية عن افعالها بسبب اشتغال النفس
بما اهمها عن الالتفات الى تدبير البدن واذا عرفت امكان ذلك بسبب العوارض
الغريبة فاعلم ان سبب تحققه في حق العارف هو توجه نفسه بالكلية الى عالم
القدس المستلزم لتشييع القوى البدنية لها وذلك ان النفس المطمئنة اذا اخذت
القوى البدنية تحدث القوى خلفها في مقاماتها التي ينزع اليها واستبداد ذلك الى
الجناب بشدة الجذب فاذا اشتد الاشتغال عن الجهة المولى عنها وقفت الافعال الطبيعية
المتعلقة بالقوة النامية فلم يكن في التحليل الا دون ما يكون في حال المرض لاختصاص
المرض في بعض ما يقتضي الاحتياج الى الغذاء كتحلل رطوبات البدن بسبب
عروض الحرارة الغريبة المنافية لسوء المزاج الحار لان الغذاء انما يكون لسد بدل
ما يتحلل من تلك الرطوبات وشدة الحاجة الى الغذاء انما يكون بحسب كثرة التحليل
وكقصور القوى البدنية بسبب المرض المضاد لها وانما الحاجة الى حفظ تلك الرطوبات
لحفظ تلك القوى اذ كانت مادة الحرارة الغريزية المقتضية لتعادل الاركان
الذي لا تقوم تلك القوى الا معه وبقدر الحاجة الى ما حفظ تلك القوى انما هو بحسب
شدة فتورها واما العرفان فانه مختص بامر يوجب الاستغناء عن الغذاء و
هو سكون البدن عند اعراض القوى البدنية عن افعالها حال متابعتها للنفس
والجذابها خلفها حال توجهها الى الجناب المقدس ويطعمها بلذة معارفه الحق
واليه الاشارة بقوله عليه السلام لست كاحدكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني
واذا عرفت ذلك ظهر ان المرض وان اقتضى الامساك الخارق للعادة الا ان
العرفان بذلك الاقتضاء اولى واما القدرة على الحركة التي تخرج عن
وسع مثله فهي ايضا ممكنة وبيانها انك علمت ان مبدأ القوى البدنية هو الروح
الحيواني فالعوارض الغريبة التي تعرض للانسان تارة يقتضي انقباض الروح
بحركة الى داخل كالخوف والحزن وذلك يقتضي انحطاط القوة وسقوطها وتارة يقتضي
حركته الى خارج كالغضب وانبساطا معتدلا كالفرح المطرب والانتشار
المعتدل وذلك يقتضي ازدياد القوة ونشاطها واذا عرفت ذلك فاعلم انه
لما كان فرح العارف ببهجة الحق اتم واعظم من فرح غيره بما عداها وكانت
الغواشي التي يغشاه وتحركه اعتزازا بالحق وحمية ربانية اعظم مما يعرض لغيره
لا جرم كان اقتداره على حركة غير مقدوره لغيره امكن واما التسبب في

الامور

الامور الباقية فهو انه قد ثبت في غير هذا الموضع ان تعلق النفس بالبدن ليس
تعلق انطباع فيه انما هو على وجه انها مدبرة له مع تجردها ثم ان الهيئات النفسا نية
قد يكون مبادي لحدوث الحوادث وبيانه اما اولا فلانك تشاهد انسانا يمشي
على جذع ممدود على الارض ويتصرف عليه كما شاء ولو عرض ذلك الجذع بعينه على جدار
عال لوجدته عند المشي عليه راجفا متزلزلا لتواعده ومعه بالسقوط فرقا بعد اخرى
لتصوره وانفعال بدنه عن وهمه حتى ربما سقط واما ثانيا فلان الامزجة
تتغير عن العوارض النفسانية كثيرا كالغضب والخوف والحزن والفرح وغير ذلك
وهو ضروري واما ثالثا فلان توهم المرض او الصحة قد يوجب ذلك وهو ايضا
ضروري اذا عرفت ذلك فنقول انه لما كانت الامزجة قابلة لهذه الانفعالات
عن هذه الاحوال النفسانية فلا مانع ان يكون لبعض النفوس خاصية لاجلها يتمكن
من التصرف في عنصر هذا العالم بحيث يكون نسبتها الى الكلية العناصر كنسبة انفسنا
الى ابداننا فيكون لها حينئذ تاثير في اعداد المواد العنصرية لان تفاض عليها صور الا
مور الغريبة التي تخرج عن وسع مثلها فاذا انضمت الى ذلك الرياضات فانكسرت
سورة الشهوة والغضب وبقيت اسيرة في يد القوة العاقلة فلا شك انها
تكون اقوى على تلك الافعال وتلك الخاصية اما بحسب المزاج الاصلي او بحسب
مزاج طار غير مكتسب او بحسب الكسب والاجتهاد في الرياضة وتصفية النفس و
الذي يكون بحسب المزاج الاصلي فذو المعجزات من الانبياء او الكرامات من الاولياء
ابلغ فان انضم اليها الاجتهاد في الرياضة بلغت الغاية في ذلك الكمال وقد يغلب على من
من له هذه الخاصية ان يستعملها في طرف الشر وفي الامور الخبيثة ولا يزكي نفسه
كالساحر فيمنعه خبثه عن الترقي الى درجة الكمال واعلم ان الشرط الاول للنبوة
ان يكون الشخص مامورا من الله باصلاح النوع ثم في لواحق مرتبة الانبياء امور
الاول ان يستغنوا في اكثر علومهم عن معلم بشري بل يحصل لهم بحسب قواهم الحدسية
القدسية الشريفة البالغة وشدة اتصال نفوسهم بالحق سبحانه الثاني ان يكون
هيولى العالم طوعا لما اراد ومن الامور العجيبة الخارقة للعادة كالخسف والتحريكات
والتسكينات الثالث ان يتمكنوا من الاخبار عن المغيبات والامور الجز
ئية الواقعة اما في الماضي او في المستقبل والشرط الاول هو العمدة في تميز درجة
الانبياء عن غيرهم ولا شك ان اختصاصهم به انما هو لشدة اتصالهم فاذن هم

اشد اتصالا بالمبدإ الاول والكمل قوة من غيرهم وكذلك اختلاف مراتبهم عايد ايضا الى تفاوت نفوسهم في قربها من المبدإ واتصالها به وارتقائها في الخصال فقد يشاركهم فيها الاولياء ويجتمع فيهم والى هذا المعنى اشار النبي صلعم بقوله علماء امتي كانبياء بني اسرايل وكان التفاوت بين المعجز والكرامة انما يرجع الى ان الخصال المذكورة ان صدرت عمن له الشرط الاول سميناها معجزا وان صدرت عن غيرهم كانت في حقه كرامة وتحقيق هذه المباحث مبني على مقدمات واصول ليس هذا موضع ذكرها فليطلب ذلك من مظانه وبالله التوفيق **المقام الثاني** في وقوع الفعل الخارق عنه عليه السلم واعلم ان الطريق الى ذلك هو النقل وقد نقل عنه ذلك في صور ثبت بعضها بحسب التواتر قلعه لباب خيبر لما انتهى اليه وكان من صخرة واحدة يعجز الجماعة عن تحريكه وروي في كيفية حاله في ذلك انه لما اقتلعه دحا به اذرعا واجتمع عليه سبعون رجلا وكان جهدهم ان اعادوه الى مكانه وروي انه قال على الحث باب خيبر وجعلته مجنا وقاتلت القوم فلما اخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقا ثم رميت به في خندقهم فقال له رجل لقد حملت يا امير المومنين منه ثقلا فقال ما كان الا مثل جنتي التي في يدي في غير ذلك المقام ومعلوم ان ذلك لم يصدر عن قوة بدنية والا لقدر على ذلك من هو اقوى صورة منه ولذلك قال عليه السلم والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة ربانية وللشعراء في هذه الاية اشعار كثيرة والقصة مشهورة فهذا القدر تكفيبا في بيان فضايله عليه السلم وعليك في باقي الامور المنقولة عنه في ذلك بالكتب المصنفة في بيان معجزات الانبياء وكرامات الاولياء ولقد اجتهد بنو امية في اخفاء فضايله واطفاء نوره بالتحريف ووضع المعايب والمثالب حتى سبوه على جميع المنابر ومنعوا ان يروى حديث يتضمن له فضيلة وان يتسمى باسمه احد فلم يزده ذلك الاخفاء الا ظهورا ولم يثمر ذلك الاطفاء الا نورا ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وكان مولده عليه السلم قبل ظهور دعوة النبي عليه السلم بثلث عشرة سنة وقيل اثني عشرة سنة وقيل عشر سنين وقتل ليلة الجمعة لثلث عشرة ليلة بقين من شهر رمضان من سنة اربعين من هجرة الرسول بجامع الكوفة وهو ابن ثلث وستين سنة فهذا ما اردنا من هذه المقدمة ولنشرع بعدها في تقرير المطالب وقبله نذكر نسب السيد الرضي رضي الله عنه ونبين ما عساه ان يشكل من لفظه في خطبة الكتاب اما نسبه فهو السيد الشريف رضي الدين

ذو الحسين

ذو الحسبين محمد بن الطاهر ذي المناقب ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابرهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي ابن ابو طالب عليهم ووصف بذي الحسبين لاجتماع اصله الفاخر الذي هو منبع الحسب مع فضيلة نفسه وكمالها بالعلم والادب وكان مولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلثمائة وتوفي في المحرم سنة ست واربع مائة بالكرخ من بغداد ودفن مع اخيه المرتضى في جوار الحسين عليه السلم



## خطبة الكتاب

قال رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

**اما** بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمنا لنعمايه ومعاذا من بلاياه ووسيلا الى جنانه وسببا الى زيادة احسانه والصلوة على رسوله نبي الرحمة وامام الايمة وسراج الامة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع العلاء المثمر المورق وعلى اهل بيته مصابيح الظلم وعصم الامم ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم اجمعين صلوة تكون ازاء لفضلهم ومكافاة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم واصلهم ما انار فجر ساطع وخوى نجم طالع فاني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن ابتدات بتاليف كتاب في خصايص الايمة عليهم السلم يشتمل على محاسن اخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته امام الكلام وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام ومماطلات الزمان وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا وفصلته فصولا فجاء في اخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلم من الكلام القصير في المواعظ والحكم والامثال والاداب دون الخطب الطويلة والكتب المتوسطة فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدايعه ومتعجبين من نواصعه وسالوني عند ذلك ان ابتدي بتاليف كتاب يحتوي على مختار امير المومنين عليه السلم في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وادب علما ان ذلك يتضمن من عجايب البلاغة وغرايب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الاطراف في كتاب اذ كان امير المومنين عليه السلم مشرع الفصاحة وموردها ومنشا البلاغة ومولدها ومنه عليه السلم ظهر مكنونها وعنه اخذت قوانينها وعلى امثلته حذا كل قايل

خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ فقد سبق وقصروا وتقدم وتأخروا لأن
كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من الكلام الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي فا
جبتهم الى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الاجر واعتمدت
به ان ابين عن عظيم قدر امير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة الى المحاسن الدثرة
والفضائل الجمة وانه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها من جميع السلف الاولين الذين
انما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فاما كلامه عليه السلام فهو البحر
الذي لا يساجل والجم الذي لا يحافل واردت ان يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام
بقول الفرزدق اولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع
ورأيت كلامه عليه السلام يدور على اقطاب ثلاثة اولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب
والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ فاجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار
محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والادب مفردا لكل صنف من ذلك
بابا ومفصلا فيه اوراقا لتكون لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا ويقع الي آجلا
واذا جاء شيء من كلامه الخارج في اثناء حوار او جواب كتاب او غرض آخر من الاغراض
في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته الى أليق الابواب به واشدها
ملاءمة لغرضه وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة
لاني اورد النكت واللمع ولا اقصد التتالي والنسق ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها
وأمن المشاركة فيها ان كلامه الوارد في الزهد والمواعظ اذا تأمله المتأمل وفكر
فيه المتفكر وخلع من قلبه انه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ امره واحاط بالرقاب
ملكه لم يعترضه الشك في انه من كلام من لا حظ له في غير الزهادة ولا شغل له
بغير العبادة قد قبع في كسر بيت او انقطع الى سفح جبل لا يسمع الا حسه ولا يرى الا
نفسه ولا يكاد يوقن بانه كلام من ينغمس في الحرب مصلتا سيفه فيقط الرقاب
ويجدل الابطال ويعود به ينطف دما ويقطر مهجا وهو مع تلك الحال زاهد
الزهاد وبدل الابدال وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي
جمع بها بين الاضداد وألف بين الاشتات وكثيرا ما اذاكر الاخوان بها واستخرج
عجبهم منها وهو موضع للعبرة بها والفكرة فيها وربما جاء في اثناء هذا الاختيار
اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر في ذلك ان روايات كلامه عليه السلام تختلف
اختلافا شديدا فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ثم وجد

بعد ذلك

بعد ذلك في رواية اخرى موضوعا غير موضعه الاول اما بزيادة مختارة او بلفظ
احسن عبارة فيقتضي الحال ان يعاد استظهارا للاختيار وغيرة على عقائل الكلام
وربما بعد العهد ايضا بما اختير اولا فاعيد بعضه سهوا ونسيانا لا قصدا و
اعتمادا ولا ادعي مع ذلك اني احيط باقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشذ عني
منه شاذ ولا يند ناد بل لا ابعد ان يكون القاصر عني فوق الواقع الي والحاصل صح
في ربقتي دون الخارج من يدي وما علي الا بذل الجهد وبلاغ الوسع وعلى الله
سبحانه نهج السبيل ورشاد الدليل ان شاء الله ورأيت من بعد تسمية هذا
الكتاب بنهج البلاغة اذ كان يفتح للناظر فيه ابوابها ويقرب عليه طلا
بها وفيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ويمضي في اثنائه من
عجيب الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق ما هو بلال كل
غلة وجلاء كل شبهة ومن الله سبحانه استمد التوفيق والعصمة واتنجز التسديد
والمعونة واستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان ومن زلة الكلم
قبل زلة القدم وهو حسبي ونعم الوكيل اقول
اما حرف يبتدأ به الكلام المقسم الى قسمين او اكثر ويصدر عنه الجمل فيختص
معه كل واحدة بحكم ليس للاخرى فقوله اما بعد حمد الله هو الجزء الثاني
من الكلام وتقدير الكلام مع الجزء الاول اما قبل الشروع في المطلوب فالحمد لله
واما بعد حمد الله فاني كنت في عنفوان السن واما حذف الجزء الاول اختصارا
للكلام وايجازا له ثم استمر ذلك الحذف وحسن استعماله في الكتاب والخطا بية
وغيرها حتى صار اظهار المحذوف ههنا مستهجنا بقدر ما يستحسن الحذف و
قوله سمو به مع الجملة التي يدخل عليها في قوة شرطية متصلة فقال اذا قلت
اما زيد فمنطلق فكانك قلت مهما يكن من شيء فزيد منطلق ونبه على ذلك
بلزوم الفاء لجوابها وجعل الكلام فيها مشتملا على جملتين شرط وجزاء و
المذكور ههنا ليس الا الجملة الجزائية واما الشرط فمحذوف للاختصار
وهذا الحرف ينوب عنه كما ناب يا للنداء مناب ادعوا ونعم مناب الجواب
وانما زحلقت الفاء عن موضعها وهو المبتدا الى الخبر لئلا يقع في صدر الكلام
مع ان حقها التوسط اما بين مفردين او جملتين وقوله بعد
طرف يستدعي متعلقا وتقديره واما قولي بعد حمد الله فهو كذا او كذا

والحمد لفظ مشكك يصدق على معنى الشكر الذى هو الاعتراف بالنعمة المتقدمه
والثناء والتعظيم لديها من الشاكر وعلى الثناء المطلق ابتداء والتعظيم لغير
المحسن الى الحامد اذا راى منه فعلا جميلا دون ان يكون فى حقه فهو اذن اعم
من الشكر وهو اخص من المدح لاختصاص اطلاقه فى حق العقلاء دون غيرهم اذ
يقال مدحت الفرس ولا يقال حمدته والمعاذ الملجا والوسيل جمع وسيلة و
هى كل ما تقربك الى الله تعالى او الى غيره والصلوة لفظ مشترك بين معان فى
وهو من الله رحمة والنبى ماخوذ اما من النبوة والنباوة وهى الارتفاع لكو نه
مرتفعا على الخلق رئيسا لهم فيكون اصله غير الهمز واما من النبا وهو الخبر
لانه مخبر عن الله تعالى والاقة الجماعة والمنتجب المستخلص والمصطفى و
سلالة الشى ما استل منه واستخرج والنطفه سلالة الانسان ومنه السليل للولد
والمحتد من الاصل الكريم والمجيد الكريم وكذلك الماجد واعرق الرجل اذا صار عريقا
وهو الذى له عرق فى الكرم واصل والعصم جمع عصمة وهى المنع وفلان
عصمة الخلق اذا منع الاذى عنهم وحام منه والمنار علم الطريق وهو لفظ مفرد
واصل الفه الواو وقد يستعمل جمعا للمناره كما اراده الرضى ههنا ولذا اثبت
صفته وهذا الجمع على غير قياس فان وزن منار مفعله وقياس مفعله
فى الجمع مفاعل ولذلك كان الجمع الاصلى لمنارة ومناور قال الجوهرى
ومن قال منابر وهمز فقد شبه الاصلى بالزايد واراد فى حذفه فى الجمع و
المثاقيل جمع مثقال وهو ما يوزن به الذهب والفضة ويكون هذا هنا
لكثرة استعماله حتى عدا الى الموزون ايضا فيقال مثقال مسك ونحوه ثم عدى الى
سائر المعقوله والمقادير منها فقيل مثقال فضل وهذا الشى ازاء لذاك اى حذاء
له ومقابل وكذلك المكافاة والكفاء يقال كافات فلان بالشى اذا قابلته
وصرته عليه وكفاء الشى بالمد والهمز مثله ونظره مز جرا ونحوه ومنه
لفات الاناء اذا ملاته وحرى للخيم بالتخفيف فقط وبالتشديد اذا مال للغيب
وعنفوان الشباب والسن اوله وهو الغض الطرى وعضاضة الغض طراوته
ولينه وحدانى على كذا اى بعثنى وحملنى عليه وهو ماخوذ من حداء الابل و
هو زجرها والعناء لها الباعث على السير والحامل لها على السرعة فيه والخصايص
جمع خصيصة فعليه بمعنى فاعلة وهى ما يختص بالانسان من كمال وغيره

والمحاجزات

والمحاجزات جمع محاجزة وهى الممانعة من الطرفين كان الايام ممانعة عن
العمل وهو مما نعها منعها له والمماطلات جمع مماطلة مفاعله ايضا من الطرفين
كان الزمان لاعتراره بطوله يعده بانجاز العمل فيخلف وكانه هو لطول
امله يعد الزمان بوقوع العمل فيه فيخلف واعجب فلان بكذا على البناء للمفعول
فهو معجب اذا احبه ومال اليه وصار عنده فى محل ان يتعجب منه ومنه قولهم
اعجب فلان برايه وعقله والبدايع جمع بديعه فعيلة بمعنى مفعوله وهى
الفعل على غير مثال ثم صار يستعمل فى الفعل الحسن وان سبق اليه مبالغة
فى حسنه فكانه لكمال حسنه لم يسبق اليه والتعجب قولك ما احسن كذا ونحو ه
من الالفاظ والنواصع جمع ناصعة والناصع من كل شى خالصه ونصع الامر
وبان ومعجبين ومتعجبين منصوبان على الحال والعجب بالشى سبب للتعجب منه
وفنون الكلام انواعه واساليبه المختلفة وعلما منصوب على المفعول او
على انه مصدر من سد الحال اى عالمين والعامل فيه قوله سالونى والقوانين
جمع قانون وهو كل صورة كليه يتعرف منها احكام جزيياتها المطابقه لها
ولفظه معرب سريانى وقيل انه عربى ماخوذ لكونه ثابتا باقيا من القن و
هو العبد الذى ملك هو وابواه فهو ثابت فى الملك من جهتين او من القبقن و
هو الدليل الهادى والبصير بالماء فى حفر القنى وكذلك القاقن بضم القاف لكون
القانون هاديا فى تعرف جزيياته ويقال على فلان مسحه اى جمال اى اثره وعلامه
وهو خاص بالمدح قال رسول الله صلعم فى جرير بن عبد الله البجلى عليه مسحه
من ملك اى اثر ذلك وقال ذو الرمه على وجه مى مسحه من ملاحه وتحت الثياب
الشين لو كان باديا وعبق به الطيب اى لزق به واسرع عنه والحبته والعبقة
واحدة العبوق واعبقت اى فعدت والدثرة الكثيرة وكذلك الحجه والاثر
ما بقى من رسم الشى وسنن رسول الله صلى الله عليه اثاره ويوثر عنهم ينقل عنهم
من الاثار والشاذ المنفرد الذى لا يصحب امثاله وشرد البعير نفر عن
الابل وخرج عن نظامها والمساجلة المغالبة والمفاخرة فى سقى او جرى
واصله من السجل وهو الدلو العظيمة اذا كان فيها ماء قال الفضل
بن عباس من يساجلنى يساجل ماجدا يملا الدلو الى عقد الكرب
وحفل القوم واحتفلوا اى اجتمعوا والحافلة مفاعله من الطرفين وقوله

وقوله

لا يحافل اى ليس في كلام غيره مجح للفضايل بل يقابل كلامه وقطب الرحا
المسمار الذى عليه يدور ثم استعمل في كل اصل يجرى اليه ويرجع فقيل قطب القوم
لسيدهم لكونه عليه مدار امورهم وقطبا الفلك لنهايتى محوره وهو الخط
الذى يتوهم مارا بمركز الفلك منتهيا في الجهتين الى طرفيه وعليه يدور و
لاقسام الكلام يدخل اجزاءه وتحتها ويدور عليه والخطبة اعم من الوعظ و
الوعظ التخويف ويختص في العرف بالتذكير بايام الله و امر الاخرة وعذاب
النار ونحوه والرسالة اعم من الكتاب لجواز ان يكون بالقول دون كونها
مكتوبة والصنيف في اللغة والنوع واحد وان كان بينهما في عرف لخو فرق
والاجماع تصميم العزم على الامر وخلوصه من التردد والاثناء التى نقضا عيفه
وهو جمع ثنى بكسر التاء وسكون النون تقول انفذت كذا ثنى كتابى اى في طيه
والحوار الخطاب والجواب والمحاورة المجاوبة والتراد في الكلام فقال كلمته
فلم يحر جوابا والانحاء جمع نحو وهو القصد وقواعد البيت الاحجار التى يوسس
عليها بناوه قال تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وقواعد الهودج
اخشاب اربع المعترضات في اسفله ثم عديت الى كل اصل يبنى عليه من كلام
او غيره والملامحة المشابهة من قولهم في فلان ملامح من ابيه اى مشابه
واصله من لمح البصر وهو النظر الخفيف السريع الزوال وذلك ان الملمح
مفعل وهو موضع اللمح والمشابهة محل اللمح فلذلك اشتقت منها الملامحة وروى
ملاحمة وهي الملائمة وروى ملامه والمتسق المنتظم يتلو بعضه بعضا واصله
المنتسق فادغمت النون في التاء والنكت جمع نكتة وهي الاثر في الشى يتميز
به بعض اجزايه عن بعض ويوجب له الانقياد والتفات الذهن اليه كا
النقطة في الجسم والاثر فيه الموجب للاختصاص بالنظر ومنه رطبة منكت
اذا بدا ارطابها ثم عدل الى الكلام والامور المعقولة التى يختص بعضها بالدقة
الموجبة لمزيد العناية والفكر فيها فيسمى ذلك البعض نكتة واللمع جمع
لمعة وهي البقعة من الكلا وكذلك الجماعة من الناس واصله من اللمعان
وهو الاضاءة والبريق لان البقعة من الارض ذات الكلا كانها تضىء لخضرتها و
نضارتها دون ساير البقاع وعدى ذلك الى محاسن الكلام وبليغه لاستنارة
الاذهان به ولتميزه عن ساير الكلام فكانه في نفسه ذو ضياء ونور والاغراض

الشك

الشك خطوره بالبال المانع للجزم باحد طرفى المذكور فيه وقبع القنفذ قبعا و
قبوعا اذا ادخل راسه في جلده وكذلك الرجل اذا ادخل راسه في قميصه و
اصله من قبوع القنفذ وكسر البيت اسفل شقه الذى يلى الارض من حيث يكسر
جانباه من عن يمينك وشمالك حكاه ابن السكيت وسفح الجبل سطحه وجوانبه التى
يسيل عليه الماء من اعلاه وقد يقال بالصاد ايضا وموقن يعلم يقينا وانما صارت
الياء التى هى الاصل واوا للضمة قبلها والتغمس دخل في الامر بعلم يقينا وانما صارت
دخوله بكليته واصله من الدخول في الماء ونحوه من المايعات واصلت سيفه
جردته من غمده وقط الشى قطعه عرضا وقده قطعه طولا والبطل الشجاع
وجدله اى القاه على الجدالة وهى الارض ونطف ينطف بضم الطاء في
المستقبل نطفانا اى سال والمهج جمع مهجة وهى الدم ويقال هى دم القلب خاصة
والمهجة الروح ايضا ودما ومهجا منصوبان على التميز والابدال قوم صالحون
لا تخلو الارض منهم اذا مات واحد بدل الله مكانه باخر قال ابن دريد
الواحد بديل وقيل بدل ايضا والعبرة الاسم من الاعتبار وهو انتقال الذهن
من امر الى امر والظهير المعين والاستظهار بالشى الاستعانة بغيره كحفظه
وبالشى الاستعانة به وعلى الشى الاستعانة بغيره لدفعه والغيرة بفتح الغين مصدر
قولك غار الرجل على اهله يغار غيرة وغارا ورجل غيور وامراة غيور ايضا اذا كانا
لشدة الغيرة والغيرة الم نفسانى يعرض لذى الحق عن تخيل مشاركة غير
المستحق لذلك الحق له فيه والعقايل جمع عقيلة وعقيلة كل شى اكرمه
واحسنه والاقطار جمع قطر وهى الناحية والجانب وند البعير يند ندا
ونَدودا نفر وشرد والربق بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه عرى كثيرة
يشد به البهم الواحدة من العرى ربقة وفى الحديث من فارق الجماعة قيد
شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والجد الحرص والاجتهاد والبلاغ
الاسم من التبليغ والبلوغ اقيم مقام المصدر والنهج الطريق الواضح و
البغية بكسر الباء وضمها ما يراد ويبغى من الشى والبلال بكسر الباء القدر
الذى يبل به الحلق من ماء او لبن والغلة والغليل العطش الشديد وجلاء
السيف وغيره صقاله وازالة ما يعرض له من الكدر وجلاء القلب والنفس
ازالة ما يعرض لهما من كدر الشبهة والجهل وتجوزت الامر جاوزته

وقضا وره والاستعاذة طلب العود وهو الالتجاء كقوله تعالى فاستعذ بالله من
الشيطان الرجيم وزلة اللسان الخطاء في القول وزلة القدم خطاء الطريق والا
نحراف عنه وعدم التثبت على الصراط المستقيم اذا عرفت ذلك فليرجع الى المعنى
قوله اما بعد حمد الله الى قوله وزيادة احسانه اقول
ان حمد الله تعالى سواء كان عبارة عن الثناء والتعظيم المطلق او عن الشكر المستلزم
لتقدم النعمة والاعتراف بها وتعظيم ربها فان المستحق له في الحقيقة ليس الا الله
سبحانه ومع ذلك فهو من اجل العبادات له واكملها اما الاول فلان كل محسن من
الخلق انما يحسن طلبا لجلب منفعة او دفع مضرة وهذا الاحسان في الحقيقة معاملة
وان عد في العرف احسانا اما الحق سبحانه فلما كان منزها عن طلب المنفعة ودفع المضرة
لم يكن احسانه استفادة لاحدهما فكان المحسن الحق ليس الا هو فكان المستحق لكل اقسام
الحمد ليس الا هو واما الثاني فبيانه ان ما في الثناء المطلق لله تعالى وتعظيمه فلا
يستلزمه ملاحظة جلال الله وكبريائه وتصور الجهة التي باعتبارها كان مستحقا للثناء
والتعظيم دون غيره وهو كونه الها وربا وخالقا لكل ما سواه ومنزها عن كل نقص
مبرأ عن كل عيب وهذه الملاحظة والاعتبار هو مطلوب الله سبحانه من جميع العبا
دات وهو جار منها مجرى الروح للجسد وكذلك الشكر لله سبحانه فانه مستلزم
لمعرفته ومحبته والالتفات اليه وملاحظة الجهة التي بها كان مستحقا للشكر وهي
افاضة النعم التي لا يحصى على العبد ولا يقدر غيره على مثلها وهذه الملاحظات هي
الاسرار المطلوبة من العبادات وبها يكون نافعة واذا علمت ان الحمد من اكمل العبادات
واتمها لله ثم علمت ان عبادته سبحانه هي المطلوبة له من خلقه دون غيرها كما قال
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون علمت ان الحمد من اكمل المطالب لله فالاتيان
به يكون مستلزما لرضوان الله وما يستلزمه الرضوان من الخيرات الدائمة والنعم الباقية
واذا عرفت ذلك فاعلم ان السيد رضي الله عنه اشار بهذه الفصول الاربعة الى اربعة
انواع من تلك الخيرات الاول قبول الحمد ورضاه من العبد مع كونه ايسر شيء مؤونة
واخفه على اللسان كلفة ثمنا مقابلا كافيا للنعماء الله تعالى في حقه وذلك في الحقيقة
نعمة اخرى وموهبة كبرى تستدعي حمدا اخر وهلم جرا فسبحان الذي لا يحصى نعماؤه
ولا يستقصى الاؤه وقوله ثمنا استعارة لطيفة ووجه المشابهة ان الثمن لما كان
مستلزما لرضاء البائع عوضا من مبيعه وكان الحمد مستلزما لرضاء الحق سبحانه

في مقابلة

في مقابلة نعمه لا جرم اشبه الثمن فاستعير لفظه وفي الخبر ان الله تعالى اوحى
الى ايوب عليه السلام اني رضيت الشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل الثاني
جعله الحمد معاذا من عذابه وبيانه اما اولا فلقوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد فانه تعالى لما توعد بالعذاب من كفر نعمته مع الاذن بالحمد والشكر وامره بهما
في غير موضع علمنا ان الشكر والحمد من اسباب الخلاص من العذاب الاليم والبلاء العظيم
لاستلزامهما عدم شبيبه وهو الكفران واما ثانيا فلانك علمت ان الاتي بالحمد مستحق
لرضوان الله تعالى من حيث ما هو حامد والمستحق لرضوان الله ناج من عذاب الله
فكان الحمد محلا للعود به من بلائه وسخطه الثالث جعله الحمد وسيلا الى
جنانه وبيانه اما اولا فلكونه من اتم العبادات وكون العبادة وسيلة الى الجنة ظا هر
واما ثانيا فما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون
فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين
يشكرون الله على كل حال فحكم بان الحمادين يدخلون الجنة بسبب حمدهم الرابع
جعله الحمد سببا لزيادة احسانه وبيانه اما اولا فلقوله تعالى ولئن شكرتم
لازيدنكم فعلق زيادة النعمة بمجرد الشكر واما ثانيا فلان الجود الالهي لا بخل فيه
ولا منع وانما النقصان من جهة العبد لعدم الاستحقاق فاذا استعد لقبول النعم با
الحمد افاض الله تعالى عليه نعمة ثم لا يزال يستعد بالحمد والشكر على النعم السابقة
للمزيد من النعم اللاحقة الى ان يخرج كل كمال له بالقوة الى الفعل فيلحق بدرجة
المقربين ومجاورة الملائكة المقربين العاكفين في حضرة الجبروت وقد عرفت
من هذا البيان ان كون هذه الامور لازمة للحمد انما هو بجعل الله تعالى وملاحظة
لعباده تعين عنايته وشمولا لهم بسعة رحمته قوله والصلوة
على رسوله نبي الرحمة الى قوله وجود نجم طالع اقول اردف
حمد الله تعالى بالصلوة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وذلك من الاداب الدينية
التي استمرت عليها العادة في الخطب وذكر له صلى الله عليه وسلم اوصافا سبعة
الاول كونه نبي الرحمة ملاحظة لقوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وتفصيل هذه الرحمة من وجوه احدها انه الهادي الى سبيل الرشاد
والقائد الى رضوان الله سبحانه وبسبب هدايته يكون وصول الخلق الى المقاصد
العالية ودخول جنات النعيم التي هي غاية للرحمة الثاني ان التكاليف

[illegible]

الواردة على بدنه صلى الله عليه اسهل التكاليف واخفها على الخلق بالنسبة الى سائر
التكاليف الواردة على ايدى الانبياء السابقين لاممها قال عليه السلم بعثت
بالحنيفية السهلة السمحة وذلك عناية من الله ورحمة اختص بها امته على يديه
**الثالث** انه ثبت ان الله تعالى يعفو عن عصاة امته ويرحمهم بسبب
شفاعته **الرابع** انه عليه السلم رحم كثيرا من اعدائه كاليهود والنصارى
والمجوس بذل الامان لهم وقبول الجزية منهم وقال صلى الله عليه من اذى ذميا
فقد اذانى ولم يقبل احد من الانبياء الجزية قبله **الخامس** انه سأل الله
تعالى ان يرفع عن امته بعده عذاب الاستيصال ودفع العذاب رحمة للخلق
**السادس** كونه امام الائمة انما صدق كونه اماما لوجهين احدهما
ان الامام هو الرئيس المقتدى به فى اقواله وافعاله والانبياء عليهم السلم احق
الخلق بهذه الصفة اذ هم الاصل فى ذلك الثانى قوله تعالى لابرهيم عليه السلم
انى جاعلك للناس اماما واما كونه امام الائمة فلقوله عليه السلم ادم ومن دونه
تحت لوائى يوم القيامة **الثالث** كونه سراج الامة وبيانه قوله
تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
وهذه استعارة لطيفة له عليه السلم فان السراج لما كان من خاصيته اضاءة
ما حوله واهتداء الخلق به فى الظلمة وكان النبى عليه السلم قد اضاء قلوب العالم بانوار
الوحى والرسالة حتى اهتدى الخلق به من ظلمة الجهالة لا جرم حسنت استعارة
لفظ السراج له وهى استعارة لفظ المحسوس للمعقول على سبيل الكناية عن كونه
هاديا للخلق ومرشدا لهم الى الطريق الحق **الرابع** كونه منتجبا ومختارا من
طينة الكرم وطينة الكرم كناية عن اصله والكرم حقيقة فى السخاء ومجاز فى
مطلق الشرف والمراد ان الله سبحانه اصطفاه من اصل هو محل الكرم والشرف
**الخامس** كونه سلالة المجد الاقدم واضافة سلالة الى المجد اما على تقدير حذف
المضاف الاصلى حتى يكون التقدير سلالة اهل المجد الاقدم واما ان يكون قد
استعار لفظ المجد لاصله عليه السلم فكانه جعل ان الاصل كله مجد فاعطاه لفظه
المجد واضاف اليه بعد الاستعارة ثم وصف المجد بكونه اقدم لزيادته فى
الفضل على المحدث بل على القديم **السادس** كونه مغرس الفخار المعرق و
قد استعار لفظ المغرس الذى هو حقيقة فى الارض لطبيعته وجبلته استعارة

الثانى قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا



على وجه الكناية عن شرفه وكماله ووجه المشابهة ان طبيعته عليه السلم محل لظهور
الفخار عنها كما ان الارض العزة محل لظهور النبات الطيب الحسن عنها ووصفه
بكونه معرقا لزيادته على ما ليس كذلك وهذا من قبيل ترشيح الاستعارة فانه لما
لما جعل للفخار مغرسا جعل له عروقا **السابع** كونه فرع العلاء المعرق
المورق لما استعار لفظ الفرع الذى هو حقيقة فى اغصان الشجرة المتفرقة
عن اصلها له عليه السلم من جهة ما هو فرع فى الوجود عن اباء اهل العلو والشرف
اتى بما هو من كمال الفرع وهو كونه مثمرا مورقا وهو ترشيح للاستعارة ايضا فان
الغصن الخالى عن الثمر والورق او عن احدهما ناقص الكمال والحسن وهى استعارة
على سبيل الكناية عن شرفه بالنظر الى شرف اصله واضافة الفرع هاهنا الى العلاء
كاضافة لفظ السلالة الى المجد فالكلام فيهما واحد واما بيان صدق الاوصاف
الاربعة الاخيرة فمن وجوه الاول ما روى عنه عليه السلم انه قال لم يزل الله
تعالى ينقلنى من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات لم يدنسنى بدنس الجاهلية
وكفى بذلك شرفا وكرما الثانى انه صلى الله عليه من ولد اسمعيل وابرهيم عليهما السلم
وكرمهما مشهور قال وهب كان ابرهيم عليه السلم اول من اضاف الضيف واول من
ثرد الثريد واطعم المساكين الثالث نسبه عليه السلم من قريش وشرف قريش
فى العرب ظاهر فمنهم قصى الذى جمع قبايل قريش وانزلها مكة وبنا دار الندوة
واخذ مفتاح الكعبة من خزاعة ومنهم هشام بن عبد مناف الذى هشم الثريد
لقومه فى عام المحل ومنه سمى هاشما واصل اسمه عمرو قال الشاعر فيه
عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف ومنهم عبد المطلب
بن هاشم كان من حكماء العرب ومفضليها وهو سيد الوادى وشيبة الحمد سجد له الفيل
الاعظم وببركة النور الذى كان فى صلبه دفع الله عن بيته كيد اصحاب الفيل وارسل
عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل وببركة ذلك النور راى الرؤيا فى تعريف موضع
زمزم وهو الذى الهم النذر لمن نذر ان يذبح العاشر من اولاده وكيفية الفداء له
حتى افتخر رسول الله صلعم بذلك وقال له انا ابن الذبيحين وكان يامر اولاده
بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان
لشرفه وفضل عقله قد سلم اليه التحكم فى حكومات العرب وفصل الخصومات
بينهم فكان يوضع وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة ويحكم بينهم على انه كان

قد اعلم وان خالفهم غيرهم في ذلك وجزئيات فضله وشواهد عقله كثيره وله
اشعار كثيره واخبار تدل على انه كان مقرا بالصانع الحكيم موحدا له معترفا بامر
المعاد من راءها طالع كتب التاريخ **قوله** وعلى اهل بيته الى قوله
ومثاقيل الفضل الراجحه **اقول** اختلف الناس في المراد باهل البيت
في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقال الجمهور
ان نساء النبي عليهم مرادون بهذه الايه ومن الناس من خصصها بمن عداهن ببيان
الكلام قبلها وبعدها واتفقت الشيعة على انها خاصه بعلي وفاطمة والحسن والحسين
عليهم السلم وهو قول ابو سعيد الخدري وهو مراد الرضي ها هنا مع من بعدهم
من الائمة الاثني عشر وقد وصفهم باربعة اوصاف احدها كونهم مصابيح وهي استعارة
لهم يكنى بها عن كونهم مهتدى بهم من ظلمات الجهل كما يستضاء بالمصابيح في الظلمة
وثانيها كونهم عصم الامم اي مانعين لهم بسبب هدايتهم لهم الى سلوك الصراط المستقيم
عن التورط في احد طرفي الافراط والتفريط وثالثها كونهم منار الدين الواضحه
وقد عرفت ان المنار هي محال الانوار وهي ايضا استعارة حسنة كما مر ورابعها كونهم
مثاقيل الفضل الراجحه ومعنى الاضافة ها هنا بمعنى اللام اي مثاقيل للفضل اي
اذا اعتبر فضل غيرهم ونسب بعضه الى البعض كانوا مثاقيل راجحه لذلك الفضل
تعتبر رجحان بعضه على بعض بالنسبة اليها او بمعنى من اي مثاقيل من الفضل
مطبوعه مرجح على غيرها ولفظ المثاقيل ها هنا مستعار لهم ايضا ووجه المشابهة
كونهم معيارا للخلق وموازين لهم كما ان المثقال كذلك **قوله** صلى الله عليهم
اجمعين الى قوله نجم طالع **اقول** لما دعى الله سبحانه لهم
بالصلوة بينه على استحقاقهم لها باعتبار ثلثه امور احدها اعتبار فضايلهم النفسانية
كالعلوم والملكات الخلقية الفاضله وثانيها اعتبار اعمالهم الظاهرة كالعبادات
البدنية وثالثها اعتبار طيب اصولهم الزاكيه المطهرة وتفرعهم عنها بان هذه
الامور هي جهات استحقاق الرحمة **قوله** فاني كنت في عنفوان
شبابي الى اخر الكلام **اقول** لما صدر الخطبة بذكر الله تعالى والثناء
عليه والصلوة على رسوله واهل بيته صلى الله عليهم شرع في اقتصاص حاله في
جمع هذا الكتاب وذكر الاسباب الحاملة له على ذلك وفي مدح كلام علي عليه السلم
ثم ذكر في ذلك الاقتصاص امورا تحتاج الى التنبيه **الاول** ان هذا

المجموع

ان هذا المجموع من الكلام جزو من كلامه عليه السلم وذلك في قوله ان ابتدي
بتاليف كتاب تحتوي على مختار كلام امير المومنين وذلك امر ظاهر قال قطب
الدين الراوندي رحمه الله سمعت بعض العلما بالحجاز يقول اني وجدت بمصر
مجموعا من كلام علي عليه السلم في نيف وعشرين مجلدا **الثاني** ان قوله
جواهر العربيه ويواقيت الكلم الدينية والدنيا وبه استعارتان لطيفتان في
لفظين اللفظين من الحجرين المخصوصين للحسنيين اللذين هما فصاحة الالفاظ العر
بية والحكمة الفاضلة التي يشتمل عليها كلامه عليه السلم ووجه المشابهه هو
ما اشتركا فيه من العزة والنفاسه كل بالنسبه الى جنسه فعزة الحجرين بالنسبه
الى مطلق الاحجار وعزة الالفاظ الفصيحة والحكمه البالغة بالنسبة الى ساير الالفاظ
والمعاني المعقوله **الثالث** كونه عليه السلم مشرعا للفصاحة وموردا
لها وهي ايضا استعارة لهذين اللفظين اللذين هما حقيقه في النهر والعين و
نحوهما له عليه السلم ووجه المشابهة ان الشريعة من الماء كما يردها العطشى للشرب
والاستقاء كذلك هو عليه السلم مرجع للخلق في استفادة الفصاحة ولو قال
مصدرها وموردها لكان ابلغ اذ كان المشرع والمورد مترادفين او قريبين
من الترادف وكذلك قوله منشأ البلاغة ومولدها استعارة ايضا تشبيها له
عليه السلم بالام وتشبيها للفصاحه بالولد في الصدور عنه **الرابع** قوله
لان كلامه الذي عليه مسحة من الكلام الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي قدر
كلام الالهي كله حسنا وجمالا حتى جعل في كلامه عليه السلم اثرا منه وقدر الكلام النبوي
طيبا كالمسك لا دفر حتى جعل في كلامه عليه السلم عبقة منه واستلزم ذلك تخييل
حاستي السمع والبصر والشم للعقل ليدرك بالاولى المسحة من الكلام الالهي وبالثانيه
العبقة من كلام النبوي وهي استعارة على طريق الكناية فكنى بالمسحة عما ادركه
العقل من كلامه عليه السلم من الحكمة المشار اليها في القران الكريم والفصاحة وكنى عما
ادركه من الاسلوب والطريقه الموجودة فيه مع الكلام الالهي الفصاحة والحكم في
كلام النبوي فكان العقل يبصر ويسمع بقوته اثر الكلام الالهي فيه ويشم الرائحة
الكلام النبوي منه **قال** ابو الحسن الكيدري رحمه الله انما خص الكلام الالهي
بالمسحة والكلام النبوي بالعبقة لان كلامه عليه السلم شديد الشبه بكلام الرسول صلعم
فهو كالجزء منه لانهما غصنا دوحة وفرعا روحة ولما كان معنى عبوق

الشيء بالشيء لزومه له والتصاقه به صار لشدة اتصاله به كالجزء منه فلذلك
قال عبقة من الكلام النبوي ولما معنى المسحة الاثر من الجمال ولم يكن وجود الاثر
من الشيء في الشيء يوجب لزومه له وشدة المشابهة له وكان كلام الباري
سبحانه بعيد الشبه بكلام الخلق لاجرم خصه بالمسحة دون العبقة وهذا
الفرق مع تلخيصنا له فيه تكلف ويمكن ان يفرق على وجه الطف فيقال
ان العبقة ادل على وجود العابق من المسحة على وجود ماهي منه فان العبقة
تدل على وجود العابق للمحل في الظاهر وفي نفس الامر واما المسحة من الشيء وهي
الاثر منه فانما يدل على وجوده للمحل في الظاهر فقط الا ترى الى قوله على
وجه فتى مسحة من ملاحة وتحت الثياب الشين لو كان باديا وايضا فان
اثر الجاه او الثروة او الملك قد تدل عند بعض الاذهان ولا يدل عند بعض اخر
واذا عرفت ذلك فيقول لما كان كلام علي عليه السلم شديد المناسبة بكلام النبوة
في الاسلوب الظاهر وفي الحكم الباطنة كان كالجزء منه فكانت استعارة لفظة
العبقة لكلام النبوة اولى لدلالتها على شدة تحقق وجود ماهي منه وهو كلام النبوة
في كلام علي حتى كانه جزء منه ولما كان الكلام الالهي بعيد المناسبة لكلام الخلق
وكانت نسبة كلام علي عليه السلم اليه من بعض الجهات وعلى الظاهر فقط اما في
اشتماله على بعض الحكم او على الفصاحة دون الاسلوب وكانت المسحة من الشيء انما
تدل على وجوده من بعض الجهات وعلى الظاهر فقط كانت استعارة لفظ المسحة
للكلام الالهي اولى والله اعلم الخامس قوله فهو البحر الذي لا يساجل
فان المساجلة استعارة لفظ البحر لكلامه عليه السلم واشار الى وجه المشابهة
بقوله لا يساجل فان المساجلة لما كانت هي المغالبة في السقي والجري وكان كلامه
عليه السلم الكثير جريانا في كلام البلغاء من غيره وكانت لعيبه اذهانهم قد اقتلا
من فيضه لاجرم اشبه البحر الذي لا يغلبه بحر اخر في سقي ولا جري الى التقاوم في
فصاحة ولا حكمة وكذلك قوله لا يحافل استعارة للفظة الحافلة التي هي وصف
من اوصاف الانسان لكلامه تشبيها له بالرجل ذي المحفل الجم والجماعة الكثيرة
التي لا يمكن ان يكاثر مثلها السادس قوله سوغ لي النهل مجاز في الاسناد
فان التسويغ حقيقة في الشراب فاسناده الى النهل مجاز ووجه العلاقة ان
النهل لما يريد اذا حصل من الناس وسار كان ذلك لذيذا عنده فاشبه

في لذاذته

في لذاذته وجره بانه بين للناس الماء الزلال في لذاذته وسهولة جريانه
في الحلق فحسن اسناد لفظ التسويغ اليه السابع قوله وخلع من قلبه
انه كلام مثله الى قوله لم يعترضه الشك الضمير في مثله راجع الى علي عليه السلم
ومن قوله ممن لبيان الجنس ومعنى الكلام ان المتكلم في كلامه اذا فرضنا انه
لم يعرف انه من كلامه عليه السلم او كلام شخص اخر مثله في كونه عظيم القدر نافذ
الامر خائضا في غمرات الحروب مشافها بنفسه تدبير امور الخلق ونظام احوالهم
قد ملك الارض بل نفرض انه وجد هذا الكلام غير منسوب الى شخص معروف الحال
فانه والحال هذه لا يعترضه شك في انه كلام مخلص معرض عن غير الله تعالى غير
مشغول بغيره تصدق همته اذ الشك الذي عساه يعترض لبعض الاذهان الضعيفة
في انه ليس بكلامه انما ينشا من معرفته بانه كلام شخص خائض في تدبير الدنيا و
احوالها فيكون تلك المعرفة منشا لعروض الشك في ان هذا الكلام ليس بكلام رجل بهذه الحال
وانما قال قد قبع في كسر بيت او انقطع الى سفح جبل لان ذلك من شعار الزهاد المعرضين
عن الدنيا والضمير في قوله يسمع وحسه عايدان الى من اي لا يسمع هو الا حس نفسه
الثامن قوله ينغمس في الحرب مصلتا استعارة حسنة في النسبة
اي في نسبة الانغماس الى الحرب وان الانغماس حقيقة في الدخول في الماء وهو في
معناه الا ان الحرب لما كانت في غمارها واختلاط المحتار من فيها يشبه الماء المتراكم
التم صحت نسبة الانغماس اليها كما صحت اليه فقال انغمس في الحرب وخاض
فيها ونحوه وقوله فيقطر مهجا ان فسرنا المهجة بالدم كانت نسبة القطر
اليها حقيقة وان فسرناها بالروح كانت مجازا تشبيها للروح بالمايعات
الخارجة من الانسان كالدم ونحوه التاسع قوله وهو مع ذلك زاهد
الزهاد وبدل الابدال الواو للحال وثبوت هذين الوصفين له علم معلوم
من انتساب الصوفية واهل التجرد اليه وقد بينا في مقدمة الكتاب انه
عليه السلم كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلى الله عليه وبينا ايضا ان نفسه
القدسية كانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة قوية عليها فلذلك لم يكن
اشتغاله بتدبير احوال الدنيا ومعالجات الحروب ونظام شمل المصلحة مما يمنعه
من الاشتغال بالعبادة التامة والاقبال بوجه نفسه القدسية على اقتباس
انوار الله والاخلاص له والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وهذه من فضايل

نفوس الانبياء وكمالات نفوس الاولياء اما الزهد فهو الاعراض عن غير الله
وقد يكون ظاهرا وقد يكون باطنا الا ان المنتفع به هو الباطن قال صلى
الله عليه ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وان اموالكم صح
كان لا بد من الزهد الظاهرى اولا اذ الزهد الحقيقى فى مبدء السلوك لا يتحقق
والسبب فيه ان اللذات البدنيه حاضرة والغاية العقلية التى يطلبها الزا
هد الحقيقى غير متصورة له فى مبدء الامر واما الظاهرى فهو ممكن متيسر
لمن قصده لمسارعته وهو الرياء والسمعة ولذلك قال صلى الله
عليه الرياء قنطرة الاخلاص ولما بينا ان عليا عليه السلم كان سيد العارفين
بعد رسول الله صلى الله عليه فلا بد ان يكون زهده حقيقيا وسيعرف فى اثناء
كلامه بلوغه فى درجة الزهد الغاية واما كونه مع ذلك بالشجاعة المشهورة
عنه فهو انك علمت ان النفس العارف يجب ان يكون مستلزمة للملكات الخلقيه
وقد عرفت ان الشجاعة اصل منها ولان المانع من الاقدام على الاهوال والمكاره انما
هو خوف الموت وحب البقاء والعارف بمعزل عن خشيه الموت اذ كانت محبة
الله تعالى شاغلة عن الالتفات الى كل شى بل ربما يكون الموت مشتهى له لكونه
وسيلة الى لقاء محبوبه الاعظم وغايته القصوى وقد بينا ذلك فى تفصيل اخلاق
العارفين من كتاب مصباح العرفان واما الابدال فقد نقل انهم سبعون رجلا
منهم اربعون فى الشام وثلثون فى ساير البلاد وفى الحديث عن على عليه السلم
الابدال بالشام والنجباء بمصر والعصايب بالعراق يجتمعون فيكون بينهم حرب
العاشر قوله واستخرج عجيبهم اى عجيبتهم منها من القوة الى الفعل
ومن روى عجيبهم بضم العين فالمراد انه اذا ذكرهم بهذه الفضيلة لتجهد محبتهم
لها وميلهم اليها قال ابو الحسن الكيدرى واستخرج عجيبهم اى اغرقهم انهم عاجزون
عن امتثالها فلا يبقى لهم حسد عجب بانفسهم منها اى من اجل معرفتها وظاهر
ان هذا اللفظ لا يعطى هذا المعنى الحادى عشر قوله والعذر فى ذلك ان روايات
كلامه عليه السلم تختلف اختلافا شديدا اقول سبب الاختلاف يحتمل
وجهين احدهما انه عليه السلم ربما تكلم بالمعنى الواحد مرتين او اكثر بالفاظ
مختلفة كما هو شان البلغاء واهل الفصاحه فينقله السامعون باللفظ
الاول والثانى فيختلف الرواية الثانى ان الناس فى الصدر الاول كانوا

يتلقفون

يتلقفون الكلام من افواه الخطباء ويحفظونها على الولاء فربما لا يتمكن السامع
من حفظ كل اللفظ ومراعاة ترتيبه فيقع بسبب ذلك اختلاف فى الترتيب
او نقصان فى الرواية وربما راعى بعضهم حفظ المعنى من دون ضبط الالفاظ
فاورد فى اللفظ زيادة ونقصانا الثانى عشر قوله
نهج البلاغة استعارة لطيفة لهذا الكتاب لان النهج حقيقة فى
الطريق الواضحة المحسوسة ووجه المشابهة ان الطريق لما كانت
محل الانتقال بالبدن وقطع الاحياز المحسوسة من واحد الى اخر فكذلك الذهن
ينتقل فى هذا الكتاب من بعض لطايف البلاغه وشعب الفصاحه الى بعض
انتقالا سهلا فلذلك صح نقل لفظ النهج اليه واستعارته له وبالله التوفيق
فهذا بيان ما عساه يشكل فى هذه الخطبة وباقى كلامه ظاهر ولنشرع
الان فى شرح كلام على امير المومنين عليه السلم

## باب المختار

من خطب امير المومنين على عليه السلم واوامره
وكلامه الجارى مجرى الخطب فى المقامات
المحصورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة

### ومن خطبة له عليه السلم

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق ادم عليه السلم

قوله الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القايلون ولا يحصى
نعماءه العادون ولا يودى حقه المجتهدون الذى لا يدركه بعد الهمم ولا
يناله غوص الفطن الذى ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت
معدود ولا اجل ممدود فطر الخلايق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد
بالصخور ميدان ارضه اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به
وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص
له نفى الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف
انه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه
ومن ثناه فقد جزاه ومن جزاه فقد جهله ومن اشار اليه فقد حده
ومن حده فقد عده ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد

اخلا منه كاين لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شئ لا بمقارنة وغير كل
شئ لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والالة بصير اذ لا منظور اليه من خلقه
متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده **اقول**
اعلم ان هذه الخطبة مشتملة على مباحث عظيمة ونكت مهمة على ترتيب
طبيعي فنعقد فيها خمسة فصول **الفصل الاول** في تصديرها
بذكر الله جل جلاله وتمجيده والثناء عليه بما هو اهله وهو قوله
الحمد لله الى قوله ولا يستوحش لفقده **قوله** المدح
والمدح الثناء الحسن والمدحة فعلة من المدح وهي الهيئة والحالة التي
ينبغي ان يكون المدح عليها والاحصاء لغة العد والاحاطة بالمعدود يقال
احصيت الشئ اي انهيت عده وهو من لواحق العدد ولذلك نسبه الى العادين
والنعماء النعمة وهو اسم يقام مقام المصدر واديت حق فلان اذا قابلت
احسانه باحسان مثله والادراك اللحوق والنيل والاصابة والوصول
الوجدان والهمة هي العزم الجازم والارادة يقال فلان بعيد الهمة اذا
كانت ارادته تتعلق بعليات الامور دون محقراتها والغوص الحركة في
عمق الشئ من قولهم غاص في الماء اذا ذهب في عمقه والفطن جمع فطنة وهي
في اللغة الفهم وهو عند العلماء عبارة عن جودة استعداد الذهن لتصور ما
يرد عليه وحد الشئ منتهاه والحد المنع ومنه سمى العلماء تعريف الشئ
باجزائه حدا لانه يمنع ان يدخل في المحدود ما ليس منه او يخرج منه
ما هو منه والنعت الصفة والاجل المدة المضروبة للشئ والفطر الشق
والابتداء قال ابن عباس ما كنت ادري ما معنى قوله تعالى فاطر
السموات والارض حتى جاءني اعرابيان يختصمان على بئر فقال احدهما انا
فطرتها اي ابتدعتها والخلائق جمع خليقة وهي اما بمعنى المخلوق يقال
هم خليقة الله وخلق الله اي مخلوق او بمعنى الطبيعة لان الخليقة هي الطبيعة
ايضا والنشر البسط ووتد بالفتح اي ضرب الوتد في حائط او في غيره والصخور
الحجارة العظام والميدان الحركة بتمايل وهو اسم من ماد يميد ميدا ومنه غصن
مياد بتمايل والدين في اصل اللغة يطلق على معان منها العادة ومنها الاذلال
يقال دانه اي اذله وملكه ومنه بيت الحماسة دناهم كما دانوا ومنه

المجازات

المجازات كقوله تعالى انا لمدينون اي مجزيون والمثل المشهور كما تدين تدان
ومنها الطاعة يقال دان له اي اطاعه كقول عمرو بن كلثوم
عصينا الملك فينا ان ندينا ويطلق في العرف الشرعي على الشرائع الصادرة
بواسطة الرسل عليهم السلم وقرنه اي جعل له قرينا والمقارنة الاجماع
اجتماع ماخوذ من قرن البقر وغيره ومنه القرن للمثل في السن وكذلك
القرن من الناس لاهل الزمان الواحد قال
قوم نسخة
اذا ذهب القرن الذي انت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب
والمزايلة المفارقة وهي مفاعلة من الطرفين والمتوحد بالامر المتفرد
به عمن يشاركه فيه والسكن بفتح الكاف كل ما سكنت اليه والاستيناس
بالشئ ميل الطبع اليه وسكونه وكذلك الايناس ومنه الانيس وهو المونس و
الاستيحاش ضد الاستيناس وهو نفرة الطبع بسبب فقد المونس واعلم
انا نفتقر في بيان نظام كلامه عليه السلم في هذا الفصل الى تقديم مقدمة فنقول
الصفة امر يعتبره العقل لامر اخر ولا يمكن ان يعقل الا باعتبار معه وله
ولا يلزم من تصور العقل شيئا لشئ ان يكون ذلك المتصور موجودا لذلك الشئ في
نفس الامر بيان ذلك ما قيل في رسم المضاف انه الامر الذي يعقل ماهيته بال
القياس الى غيره وليس له وجود سوى معقوليته بالقياس الى ذلك الغير
تنقسم باعتبار العقل الى حقيقية واضافية وسلبية وذلك لان نسبة العقل
للصفة الى غيرها اما ان يعقل معها نسبة من المنسوب اليه او لا يعقل فان كان
الاول فهو المضاف الحقيقي وحقيقته انه المعقول بالقياس الى غير يكون با
زائه يعقل له اليه نسبة ولا يكون له وجود سوى معقوليته بالقياس اليه
لكونه تعالى خالقا ورازقا وربا فان حقيقة هذه الصفات هي كونها معقولة
بالقياس الى مخلوقية ومرزوقية ومربوبية موازية وان كان الثاني
فالمنسوب اليه اما ان يكون موجودا للمضاف او ليس موجودا له والاول هو
الصفات الحقيقية لكونه تعالى حيا فانه لم يعقل بالقياس الى صحة
العلم والقدرة له وليس بازائه امر يعقل منه نسبة اليه والثاني
هو الصفات السلبية لكونه تعالى ليس بجسم ولا بعرض وغيرهما فانها
امور يعقل له بالقياس الى امور غير موجودة له تعالى ثم يقول انه لا يلزم

من اتصاف ذاته سبحانه بهذه الانواع الثلثة من الصفات تركيب ولا كثرة
في ذاته لانها اعتبارات عقلية تحدثها عقولنا عند المقايسة الى الغير ولم
يلزم من ذلك ان يكون موجوده في نفس الامر وان لم يعقل ولما كان دأب
العقلاء ان يصفوا الهتهم سبحانه بما هو اشرف طرفي النقيض لما تقرر في
عقولهم من عظمته ومناسبة اشرف الطرفين للاعظمية كان ما وصف
به تعالى من الصفات الحقيقية والاضافية والسلبية كلها كذلك
اذا عرفت ما قلناه فاعلم انه عليه السلم شرع اولا في الا
عتبارات السلبية وقدمها على الثبوتية لدقيقة وهي انه قد ثبت في علم
السلوك الى الله ان التوحيد المحقق والاخلاص المطلق لا يتقرر الا بنقض
كل ما عداه عنه وتنزيهه عن كل لاحق له وطرحه عن درجة الاعتبار
وهو المسمى في عرف الموحدين واهل العرفان مقام التخلية والنقص والتفريق
وحالا يتحقق للشي الا به كان اعتباره متقدما على اعتباره ولهذا الترتيب
كان اجل كلمة نطق بها في التوحيد قولنا لا اله الا الله اذ كان الجزء الاول
منها مشتملا على سلب كل ما عدا الحق سبحانه مستلزما لغسل درن كل شبهة
لخاطر سواه وهو مقام التنزيه والتخلية حتى اذا انزاح كل باين عن محل
عرفانه استعد لجوده للتحلية بنور وجوده وهو ما اشتمل عليه الجزء الثاني
من هذه الكلمة ولما بينا انه عليه السلم كان لسان العارفين والفاتح لاغلاق
الطريق الى الواحد الحق تعالى والمعلم المرشد لكيفية السلوك وكانت الاوهام
البشرية حاكمة بمثليته تعالى لمدركاتها والعقول قاصرة عن ادراك حقيقته
والواصل الى ساحل عزته والمنزه له عما لا يجوز عليه اذا امكن وجوده نادر
لم يكن للاوهام الواصفة له تعالى بما لا يجوز عليه معارض في اكثر الخلق بل
كانت على حكمها قاهرة لعقولها الى تلك الاحكام الباطلة كالمشبهة والمجسمة
لاجرم بدا عليه السلم بذكر السلب اذ كان تقدمه مستلزما لغسل درن الحكم
الوهمي في حقه تعالى عن لوح الخيال وللذكر حتى اذا اورد عقيب ذلك ذكره
تعالى بما هو اهله ورد على لوح صافيه من كدر الباطل فاستقر بالحق
كما قال فصادف قلبا خاليا فتمكنا به ثم انه عليه السلم بدا بتقديم
حمد الله على الكل هاهنا وفي ساير خطبه جريا على العادة في افتتاح الخطب

وتقديرها

وتقديرها وسر ذلك تاديب الخلق بلزوم الثناء على الله تعالى والاعتراف
بنعمته عند افتتاح كل خطاب لاستلزام ذلك ملاحظة حضرة الجلال و
الالتفات اليها عامة الاحوال وقد بينا ان الحمد يفيد معنى الشكر ونفيه ما هو
اعم من ذلك وهو التعظيم المطلق وهو بجميع اقسامه مراده هاهنا لكون
الكلام في معرض التمجيد المطلق قوله الذي لا يبلغ مد
حته القايلون اقول اراد تنزيهه تعالى عن اطلاع العقول
البشرية على كيفية مدحه سبحانه كما هي وبيان هذا الحكم ان الثناء الحق
على الشي انما يكون كما هو اذا كان ثناء عليه بما هو له كذلك في نفس الامر
وذلك غير ممكن في حق الواجب الوجود سبحانه اذ لا تعقل حقيقته وما لها من
صفات الجلال ونعوت الكمال كما هي وعقول البشر قاصرة عن هذا المقام
فالقول وان صدر من المادحين بصورة المدح المتعارف بينهم وعلى ما هو
دابهم من وصفه تعالى بما هو اشرف طرفي النقيض فليس بكمال مدحه في نفس
الامر لعدم اطلاعهم على ما به يكون المدح الحق في حقه تعالى وان تصور
بصورة المدح الحق والى تاديب الخلق وتنبيههم على بطلان ما يحكم به اوها
مهم في حقه تعالى من الصفات وانه ليس الامر كما حكمت به اشار عليه السلم
في موضع اخر وقد ساله بعضهم عن التوحيد فقال التوحيد ان لا يتوهمه
فجعل التوحيد عبارة عن سلب الحكم الوهمي في حقه تعالى فاستلزم ذلك من
ان اجرى عليه حكما وهميا فليس بموحد له على الحقيقة والى هذا النحو
اشار الباقر محمد بن علي عليهما السلم مخاطبا وهل سمي عالما قادرا الا لانه وهب
العلم للعلماء والقدرة للقادرين فكل ما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه مخلوق
مصنوع مثلكم مردود اليكم والباري تعالى واهب الحيوة ومقدر الموت
ولعل النمل الصغار يتوهم ان لله تعالى زبانتين كما لها فانها يتصور ان
عدمها نقصان لمن لا يكونان له فهكذا شان الخلق فيما يصفون به باريهم
فان اوهامهم حاكمة له بما يعدونه كمالا في حقهم ما لم يقرع عقولهم على رد بعض
تلك الاحكام الوهمية ولولا نوازع الشرع كقوله صلى الله عليه تفكروا
في الخلق ولا تتفكروا في الخالق لصرحوا بكثير من تلك الاحكام في حقه سبحانه
وتعالى عما يصفون ويحتمل ان يكون المراد تنزيهه تعالى عن بلوغ العقول و

ولا وهام تمام الثناء الحسن عليه ولاحصائه اى ان العبد كلما بلغ مرتبة من مراتب
المدح والثناء كان وراءها من استحقاق الثناء والتعظيم لتعالى كما اشار اليه
سيد المرسلين صلى الله عليه بقوله لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك و
تخصيصه عليه السلام القايلين دون المادحين بالذكر نوع لطف فان القايل لما كان
اعم من المادح وكان سلب العام مستلزما لسلب الخاص من غير عكس كان ذكر القا
يلين ابلغ في التنزيه اذ التقدير لا واحد من القايلين بالغ مدحه لله سبحانه

قوله ولا يحصي نعماءه العادون اقول

المراد ان جزئيات نعم الله تعالى وافرادها لا يحيط بها حصر الانسان وعدة لكثرتها
وبيان هذا الحكم بالنقل والعقل اما النقل فقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها وهذه الاية هي منشا هذا الحكم ومصدره واما العقل فلان نعم الله تعالى
على العبد منها ظاهرة ومنها باطنة كما قال تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
ويكفينا في صدق هذا الحكم التنبيه على بعض جزئيات نعم الله تعالى على العبد فنقول
ان من جملة نعمه تعالى على الانسان ان اكرمه بملائكته وجعله مسجودا لهم ومخدوما
وجعلهم في ذلك على مراتب فلنذكر اقربهم اليه واخصهم به وهم الملائكة الذين
يتولون اصلاح بدنه والقيام بمهماته وحوائجه وان كانوا في ذلك ايضا على مراتب
فجعل سبحانه لهم رئيسا هو له كالوزير الناصح المشفق من شانه تمييز الاصلح والانفع له
والامر به وجعل بين يدي ذلك الوزير ملكا اخر هو كالحاجب له والمتصرف بين
يديه من شانه تمييز صداقة الاصدقاء للملك من عداوة الاعداء له وجعل لذلك
الحاجب ملكا خازنا يضبط عنه ما يتعرفه من الامور ليطالعها الوزير عند الحاجة
اليها ثم جعل بين يديه ملكين اخرين احدهما ملك الغضب وهو كصاحب الشرطة
موكل بالخصومات والغلبة والبطش والانتقام والثاني ملك اللذة والمتولي
لشهوات الانسان بالطلب والامر بالاستحضار وبين يديه ملائكة اخرى يسعى
في تحصيل ما يامر به ويطلبه ثم جعل سبحانه وراءها والا سبعة اخرى من الملائكة
دابهم اصلاح غذاء الانسان فالاول موكل بجذب الغذاء الى داخل المعدة اذ الغذاء
لا يدخل بنفسه فان الانسان لو وضع اللقمة في فمه ولم يكن لها جاذب لم يدخل
والثاني موكل بحفظه في المعدة الى تمام نضجه وحصول الغرض منه والثالث
موكل بطبخه وتنضيجه والرابع موكل بتفريق صفوته وخلاصته في البدن سدا

لما يتخلل

لما يتحلل عنه والخامس موكل بالزيادة في اقطار الجسم على التناسب الطبيعي بما
يوصله اليه الرابع فهو كالنافي والمناول والسادس موكل بفصل صورة
الدم من الغذاء والسابع الذي يتولى دفع الفضلة الغير المنتفع بها عن المعدة
ثم وكل تعالى جنسة اخرى في خدمته شانهم ان يوردوا عليه الاخبار من
خارج وجعل لكل واحد منهم طريقا خاصا وفعلا خاصا به وجعل لهم رئيسا يبعثهم
ويرجعون اليه بما علموه وجعل لذلك الرئيس خازنا كاتبا يضبط عنه ما يصل اليه
من تلك الاخبار ثم جعل تعالى بين هذا الخازن وبين الخازن ملكا اخر قويا
على التصرف والحركة سريع الانتقال بحيث ينتقل في اللحظة الواحدة من المشرق
الى المغرب ومن تخوم الارض الى السماء العليا قادرا على التصرفات العجيبة و
جعله مرة للوزير تارة وللحاجب اخرى وهو موكل بتفتيش الخزاين و
مراجعة الخازنين باذن الوزير وواسطة الحاجب اذا اراد استعلام احد
من تلك الامور فهذه هي الملايكة التي خص الله تعالى بها بدنه وجعلها اقرب
الملايكة المتصرفين في خدمته اليه ثم ان وراءها والاطوار الاخرى من الملايكة الارضية
وسماوية كالملايكة الموكلين بانواع الحيوانات التي ينتفع بها الانسان ويجعلونه
مسخرة له وانواع النبات والمعادن والعناصر الاربعة والملايكة السماوية
التي لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وتعالى كما قال وما يعلم جنود ربك الا هو فان
كل واحد منها موكل بفعل خاص وله مقام خاص لا يتعداه ولا يتجاوزه كما قال
تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم وهم باسرهم متحركون لمصالح الا
نسان ومنافعه من اول حيوته الى حين وفاته باذن المدبر الحكيم دع ما سوى
الملايكة وساير الموجودات في هذا العالم المشتملة على منافعه وما افاض عليه
من القوة العقلية التي هي سبب الخيرات الباقية والنعم الدايمة التي لا ينقطع
موادها ولا يتناهى تعدادها في كل ذلك في الحقيقة نعم الهية ومواهب ربانية
للعبد بحيث لو اختل شيء منها لاختلت منفعته من تلك الجهة ومعلوم انه لو قطع
وقته اجمع بالنظر الى اثار رحمة الله تعالى في نوع من هذه النعم التي لا ينتهي
دونها فكره وقصر عنها احصاؤه وحصره وهو مع ذلك كله غافل عن
شكر الله جاهل بمعرفة الله مصر على معصية الله فحق ان يقول سبحانه وتعالى
بعد تنبيهه له على ضروب نعمه والامتنان بها عليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

ما

ان الانسان لظلوم كفار ظلوم لنفسه بمعصية الله معتاد للكفر بآلاء الله قتل
الانسان ما اكفره ان الانسان لكفور مبين فسبحان الذي لا نحصي نعماءه ولا نستقصي
آلاءه وغاية هذا الحكم تنبيه الغافلين عن جعل قد الطبيعة على لزوم شكر الله
سبحانه والاعتراف بنعمة المنعم لدوام احضاره بالبال **قوله**
ولا يؤدي حقه المجتهدون **اقول** هذا الحكم ظاهر الصدق
من وجهين احدهما انه لما كان اداء حق النعمة هو مقابلة الاحسان بجزاء مثله
وثبت في الكلمة السابقة ان نعم الله سبحانه لا تحصى لزم من ذلك انه لا يمكن مقابلتها
بمثل الثاني ان كل ما يتعاطاه من افعالنا الاختيارية مستند الى جوارحنا وقدرتنا
وارادتنا وساير اسباب حركاتنا وهي باسرها مستندة الى جوده ومستفادة من نعمته
وكذلك ما يصدر عنا من الشكر والحمد وساير العبادات نعمة منه لا تقابل نعمته
بنعمته وروي ان هذا الخاطر خطر لداود وكذلك لموسى عليهما السلم فقال يا رب
كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي رواية اخرى
وشكري لك نعمة اخرى يوجب علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد
شكرتني وفي خبر اخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت بذلك شكرا فاما ما يقال
في العرف من ان فلانا مؤد لحق الله تعالى فليس المراد منه جزاء النعمة بل لما كانت
المطلوبات لله تعالى من التكاليف الشرعية والعقلية تسمى حقوقا له لا جرم
سمي المجتهد في الامتثال مؤديا لحق الله وذلك الاداء في الحقيقة من اعظم نعمة تعالى
على عبده اذ كان الامتثال وساير اسباب السلوك الموصل الى الله تعالى كلها مستندة
الى جوده وعنايته واليه الاشارة بقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا
علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وما كان في
الحقيقة نعمة الله لا يكون اداء النعمة الله وجزاء لها وان اطلق ذلك في
العرف ان كان من شان المفهوم المتعارف بين الخلق استلزامه وجوب الجزاء
والاداء ليسارعوا الى الاتيان به رغبة ورهبة فيحصل المقصود من التكليف حتى
لو لم يعتقدوا انه حق لله بل هو مجرد نفع خالص لهم لم يهتموا به غاية الاهتمام
اذ كانت غايته غير متصورة لهم كما هي وقلما يهتم النفوس بامر لا يتصور غايته
ومنفعته خصوصا مع المشقة اللازمة في تحمله الا بباعث قاهر من خارج
**قوله** الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن

اقول

**اقول** استناد الغوص هاهنا الى الفطن على سبيل الا
ستعارة اذ الحقيقة اسناده الى الحيوان بالنسبة الى الماء وهو مستلزم لتشبيه
المعقولات بالماء ووجه الاستعارة هاهنا ان صفات الجلال ونعوت الكمال
لما كانت في عدم تناهيها والوقوف على حقايقها واغوارها تشبه البحر الخضم
الذي لا يصل السابح له الى ساحل ولا ينتهي الغايص فيه الى قرار وكان السابح لذلك
البحر والغايص في تياره هو الفطن الثاقبة لا جرم كانت الفطنة شبيهة بالغايص
في البحر فاسند الغوص اليها وفي معناه الغوص في الفكر والغوص في النوم ويقرب
منه اسناد الادراك الى بعد الهمم اذ كان الادراك حقيقة في لحوق جسم لجسم آخر
واضافة غوص الى الفطن وبعد الى الهمم اضافة بمعنى الصفة بلفظ المصدر الى المو
صوف والتقدير لا يناله الفطن الغايصة ولا يدركه الهمم البعيدة ووجه الحسن
في هذه الاضافة وتقديم الصفة ان المقصود لما كان هو المبالغة في عدم اصابة ذا
ته تعالى بالفطنة من حيث هي ذات غوص وبالهمة من حيث هي بعيدة كانت تلك
الحيثية مقصودة بالقصد الاول وقد بينا ان البلاغة يقتضي تقديم الاهم والمقصود
الاول على ما ليس كذلك وبرهان هذا المطلوب ظاهر فان حقيقته تعالى لما كانت
برية عن جهات التركيبات عرية عن اختلاف الجهات منزهة عن تكثرات التكثيرات
وكانت الاشياء انما تعلم بما هي من جهة حدودها المؤلفة من اجزائها فاذا صدق
ان واجب الوجود ليس بمركب وما ليس بمركب فليس بمدرك الحقيقة صدق
ان واجب الوجود ليس بمدرك الحقيقة فلا يدركه همة وان بعدت ولا يناله
فطنة وان اسندت فكل سابح في بحار جلاله غريق وكل رامح الى الوصول فيلزاده
كبر بابه حريق لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا **قوله**
الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود **اقول** المراد ليس
لمطلق ما يعتبره عقولنا له من الصفات السلبية والاضافية نهاية معقولة
تقف عندها فيكون حدا له وليس المطلق ما يوصف به ايضا وصف موجود يجمعه
فيكون نعتا له ومنحصرا فيه قال ابو الحسن الكيذري رحمه الله ويمكن
ان يؤول قوله حد محدود على ما تؤول به كلام العرب ولا ترى الضب بها ينجحر
اي ليس بها ضب فينجحر حتى يكون المراد انه ليس له صفة فتحد اذ هو تعالى واحد
من كل وجه منزه عن الكثرة بوجه ما فيمتنع ان يكون له صفة يزيد على ذاته

كما في سائر الممكنات وصفاته المعلومة ليست من ذلك في شي انما هي نسب واضافات
لا يوجب وصفه بها وصفاته المعلومة ليست من ذلك في شي كثرة في ذاته
تعالى ومما يؤيد هذا التاويل قوله بعد ذلك من وصف الله سبحانه فقد قرنه
وهذا التاويل حسن وهو راجع الى ما ذكرناه في المعنى واما وصفه بالحد بكونه
محدودا فللمبالغة على طريقة قولهم شعر شاعر وعلى هذا التاويل يكون قوله
ولا نعت موجود سلبا للنعت عن ذاته سبحانه اذ التقدير ليس له صفة تحد ولا نعت
وقيل معنى قوله ليس لصفته حد اى ليس لها غاية بالنسبة الى متعلقاتها كا
العلم بالنسبة الى المعلومات والقدرة الى المقدورات **قوله** ولا وقت
معدود ولا اجل ممدود **اقول** وصف الوقت بكونه معدودا كقوله
تعالى في ايام معدودات وكقوله وما نؤخره الا لاجل معدود وهو المعلوم الداخل
في الاحصار والعد وذلك ان العد لا يتعلق بالوقت الواحد من حيث هو واحد
فانه من تلك الحيثية ليس معدودا بل مبدا للعد وانما يتعلق به من حيث انه
داخل في الاوقات الكثيرة الموجودة في الزمان اما بالفرض او بالفعل التي يلحق جملتها
عند اعتبار التفصيل كونها معدودة اذ يقال هذا الفرد معدود في هذه الجملة اى
داخل في عدها ومراده في هذين الكلمتين نفي نسبة ذاته وما يلحقها الى الكون في الزمان
وان يكون ذات اجل ينتهي اليه فينقطع وجودها بانتهائه وبيان ذلك من وجهين
احدهما ان الزمان من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم فلما كان الباري سبحانه
منزها عن الجسمية استحال ان يكون في زمان الثاني انه تعالى ان اوجد الزمان
وهو في الزمان لزم كون الزمان متقدما على نفسه وهو محال وان اوجده بدون
ان يكون فيه كان غنيا في وجوده عنه وهو المطلوب فاذن صدق هذين السلبين
في حقه سبحانه معلوم وقد حصل في هذه القراين الاربع السجع المتوازي مع نوع من
التجنيس **قوله** الذي فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح
برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه **اقول** لما قدم الصفات
السلبية شرع في الصفات الثبوتية وهذه الاعتبارات الثلثة موجودة في
القران الكريم اما الاول فقوله تعالى الذي فطركم اول مرة واما الثاني ففي
قوله وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته واما الثالث فقوله
تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقوله وجعل الجبال اوتادا

اما المراد

اما المراد بقوله فطر الخلائق بقدرته فباعتباره من حيث استناد المخلوقات
الى قدرته ووجودها ولما كانت حقيقة الفطر الشق في الاجسام كانت نسبته ها
هنا الى الخلق استعارة وللامام فخر الدين في بيان وجه الاستعارة في امثال هذا الموضع
بحث لطيف قال وذلك ان المخلوق قبل دخوله في الوجود كان معدوما محضا
والعقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا شق فاذا اخرج الموجد
المبدع من العدم الى الوجود فكانه بحسب التخيل والتوهم شق ذلك العدم وفطره
واخرج ذلك الموجود منه **قلت** الا ان ذكر الشق والفطر على هذا التقدير
لا يكون للموجود المخرج بل للعدم الذي خرج هذا الموجود عنه اللهم الا على
تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه حتى يكون التقدير الذي
فطر عدم الخلائق وهو استعمال سائغ في العرف والعربية كثيرا وحسنه بين
الناس ظاهر ومثله فالق الحب والنوى على قول بعض المفسرين كما سنبينه وقال
ابن الانباري لما كان اصل الفطر شق الشي عند ابتدائه فقوله فطر الخلائق
اى خلقهم وانشاءهم بالتركيب والتاليف الذي سبيله ان يحصل فيه الشق والتاليف
عند ضم بعض الاشياء الى بعض ثم ان الفطر كما يكون شق اصلاح كقوله تعالى
فاطر السموات والارض كذلك يكون شق افساد كقوله تعالى اذا السماء انفطرت
وهل ترى من فطور واما قوله ونشر الرياح برحمته فبيانه ان نشر الرياح و
بسطها لما كان سببا عظيما من اسباب بقاء انواع الحيوان والنبات واستعدادات
الامزجة للصحة والنمو وغيرها حتى قال كثير من الاطباء انها تستحيل روحا حيوانيا
وكانت عناية الله سبحانه وعموم رحمته شاملة لهذا العالم وهي مستند كل موجود
لا جرم كان نشرها برحمته ومن اظهر اثار الرحمة الالهية ينشر الرياح حملها
للسحاب الممتزج بالماء وارسالها على وفق الحكمة ليصيب الارض الميتة فينبت
بها الزرع ويملا الضرع كما قال سبحانه وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي
رحمته وقال يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته وقال وارسلنا الرياح ح
لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه والمراد تنبيه الغافلين على ضروب نعمة نعم
الله لتذكر هذه النعمة الجليلة ليستديموها بدوام شكره والمواظبة على طاعته
كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وكقوله ولتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين **قال** بعض

الفضلا ان العرب تستعمل الريح في العذاب والرياح في الرحمة وكذلك نزل
القران الكريم قال تعالى ريح صرصر وقال الريح العقيم وقال يرسل الرياح
مبشرات والرياح لواقح وامثاله قوله ووتد بالصخور ميدان
ارضه اقول المراد به نظام الارض بالقدرة سبحانه وها
هنا بحثان البحث الاول ان قول القايل وتدت كذا بكذا
معناه جعلته وتدا له والموتود ههنا في الحقيقة انما هو الارض وقد جعل الموتود
ههنا هو ميدان الارض وهو عرض من الاعراض لا يتصور جعل الجبل وتدا له
الا انا نقول لما كان الميدان علة على ايجاد الجبال وايتاد الارض بها كان الاهتمام
به اشد فلذلك قدمه واضافه اضافة الصفة الى الموصوف وان كان التقدير
ووتد بالصخور ارضه المايدة البحث الثاني ان تعليل وجود
الجبال بميدان الارض ورد ههنا وفي القران الكريم في مواضع كقوله تعالى و
القى في الارض رواسي ان تميد بكم وكقوله والجبال اوتادا ولا يبعد البحث عن وجه
هذا التعليل وفيه ثمانية اوجه الوجه الاول قال المفسرون في معنى هذه الايات
ان السفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتتحرك فاذا وضعت
الاجرام الثقيلة فيها استقرت على وجه الماء وسكنت قالوا فكذلك لما خلق الله
تعالى الارض على وجه الماء اضطربت ومادت فخلق الله عليها هذه الجبال ووتدها بها
فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال قال الامام فخر الدين ويتوجه على هذا الكلام
ان يقال لا شك ان الارض اثقل من الماء والاثقل من الماء يغوص فيه ولا يبقى طافيا عليه
واذا لم يبق كذلك امتنع ان يقال انها تميد وتميل بخلاف السفينة اذ كانت
مركبة من الاخشاب وداخلها مجوف مملو من الهواء فلذلك يبقى طافية على الماء فلا جرم
تميل وتضطرب الى ان ترسى بالاجرام الثقيلة فاذن الفرق ظاهر الوجه الثاني
ما ذكره هو قال انه قد ثبت بالدلايل اليقينية ان الارض كرة وثبت ايضا ان هذه
الجبال على سطح الارض جارية مجرى خشونات وتضريسات حاصلة على وجه الكرة
فاذا ثبت هذا فلو فرضنا ان هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الارض كرة
حقيقية خالية عن الخشونات والتضريسات لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بادنى
سبب لان الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحركا على نفسه وان لم يجب ذلك عقلا
الا انه يصير بادنى سبب يتحرك على هذا الوجه اما اذا حصل على سطح كرة الارض هذه الجبال

انما يتوجه

انما يتوجه بطبعه الى مركز العالم وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله
العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الوتد الذي يمنع كرة الارض من
الاستدارة فكان تخليق هذه الجبال على الارض كالاوتاد المغروزة في الكرة المانعة
لها من الحركة المستديرة الوجه الثالث ان يقول لما كانت فايدة الوتد ان
يحفظ الموتود في بعض المواضع عن الحركة والاضطراب حتى يكون قارا ساكنا وكان
من لوازم ذلك السكون في بعض الاشياء صحة الاستقرار على ذلك الشي والتصرف
عليه وكان من فايدة وجود الجبال والتضريسات الموجودة في وجه الارض ان لا يكون
مغمورة بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار والتصرف عليها لا جرم كان بين الاوتاد والجبال
الخارجة من الماء في الارض اشتراك في كونهما مستلزمين لصحة الاستقرار ما يعين من
عدمه لا جرم حسنت استعارة نسبة الاوتاد الى الصخور والجبال واما اشعاره
بالميدان فلان الحيوان كما يكون صادقا عليه انه غير مستقر على الارض بسبب انغمارها
في الماء لو لم توجد الجبال كذلك تصدق على الارض انها غير مستقرة تحته ومضطربة
بالنسبة اليه فثبت حينئذ انه لولا وجود الجبال في سطح الارض لكانت مضطربة ومايدة
بالنسبة الى الحيوان لعدم تمكنه من الاستقرار عليها الوجه الرابع قال
بعض العلماء انه يحتمل ان يكون الاشارة بالصخور الى الانبياء والاولياء والعلماء
وبالارض الى الدنيا اما وجه التجوز بالصخور عن الانبياء والاولياء والعلماء فلان
الصخور والجبال لما كانت على غاية من الثبات والاستقرار مانعة لما يكون تحتها من
الحركة والاضطراب عاصمة لما يلتجي اليها من الحيوان عن ما يوجب له الحرب فيكون
بذلك ضبطا به وملجا اشبهت الاوتاد من بعض هذه الجهات ثم لما كانت الا
نبياء والعلماء هم السبب في انتظام امور الدنيا وعدم اضطراب احوال اهلها كا
نوا كالاوتاد للارض فلا جرم صحت استعارة لفظ الصخور لهم ولذلك يحسن في
العرف ان يقال فلان جبل منيع ياوي اليه كل ملهوف اذ كان يرجع اليه في
المهمات والحوايج والعلى اوتاد الله في الارض الوجه الخامس ان
المقصود من جعل الجبال كالاوتاد في الارض ان يهتدى بها على طرقها والمقاصد
فيها فلا تميد جهاتها المشتبهة باهلها ولا يميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم ومقا
صدهم والله التوفيق قوله اول الدين معرفته اقول
لما كان الدين في اللغة الطاعة كما سبق وفي العرف الشرعي هو الشريعة الصادرة

بواسطة الرسل عليهم السلم وكان اتباع الشريعة طاعة مخصوصة كان ذلك تخصيصا
من الشارع للعام باحد مسمياته ولكثرة استعماله فيه صار حقيقة دون ساير
المسميات لانه المتبادر الى الفهم حال اطلاق لفظه الدين واعلم ان معرفة
الصانع سبحانه على مراتب فاولاها وادناها ان يعرف العبد ان للعالم صانعا الثا
نية ان تصدق بوجوده الثالثة ان ترتفع بجذب العناية الالهية الى توحيده
وتنزيهه عن الشركاء الرابعة مرتبة الاخلاص له الخامسة نفي الصفات
التي تعتبرها الاذهان له عنه وهي غاية العرفان ومنتهى قوة الانسان وكل
مرتبة من المراتب الاربع الاولى مبدا لما بعدها من المراتب وكل من الاربع الاخيرة
كمال لما قبلها ثم ان المرتبتين الاوليين مركوزتان في الفطر الانسانية بل فيما هو
اعم منها وهي الفطر الحيوانية ولذلك فان الانبياء عليهم السلم لم يدعوا الخلق الى
تحصيل هذا القدر من المعرفة وايضا فلو كان حصول هذا القدر من المعرفة متوقفا
على دعوة الانبياء وصدقهم مع ان صدقهم مبني على معرفة ان ههنا صانعا للخلق
ارسلهم للزم الدور وانما كانت اول مرتبة دعوا اليها من المعرفة هي توحيد الصانع
ونفي الكثرة عنه المشتمل عليها اول كلمة نطق بها الداعي الى الله وهي قولنا لا اله
الا الله قال صلى الله عليه من قال لا اله الا الله دخل الجنة ثم لما استعدت
اذهان الخلق لما نطقت به من التوحيد الظاهر بينهم على ان فيها قوة اعداد
لتوحيد اعلى واخفى من الاول قال من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل
الجنة وذلك اشارة الى حذف كل قيد عن درجة الاعتبار مع الوحدة المطلقة
اذا عرفت ذلك فاعلم انه يحتمل ان يكون مراده بالمعرفة المرتبة الاولى من مراتب
المعرفة وحينئذ يكون معنى قوله اول الدين معرفته ظاهرا فان ذلك القدر
اول متحصل في النفس من الدين الحق ويحتمل ان يكون مراده المعرفة التامة
التي هي عليه العارف ونهاية مراتب السلوك وحينئذ يكون المراد من كونها
اول الدين هو انها اولية في العقل وهو اشارة الى كونها علة غائية اذ العلة
الغائية متقدمة في العقل على ما هي علة له وان تاخرت في الوجود وبيان
ذلك ان المعرفة التامة التي هي غاية سعي العارف غير حاصلة له في مبدا الامر
بل يحتاج في كمال ما حصل له من مراتب المعرفة وتحصيل المعرفة التامة الى
الرياضة بالزهد والعبادة وتلقي الاوامر الالهية بالقبول التي هي سبب تمام

الدين

الدين فيستعد اولا تشبيها للتصديق بوجوده يقينا ثم لتوحيده ثم للاخلاص
له ثم لنفي كل ما عداه عنه فيغرق في تيار بحار العظمة وكل مرتبة ادركها
فهي كمال لما قبلها الى ان يتم المعرفة المطلوبة له بحسب ما في وسعه وبحار العر
فة يتم الدين وينتهي السفر الى الله قوله وكمال معرفته التصديق به
الى قوله نفي الصفات عنه اقول ترتيب هذه المقدمات على هذ
الوجه ينتج قياسا مفصولا وهو القياس المركب الذي يطوى فيه النتايج و
عند ذكرها تبين ان المقصود منها بيان ان كمال معرفته نفي الصفات عنه
وهذا القياس ينحل الى قياسات يشبه قياس المساواة لعدم الشركة بين مقدمتي
كل منها في تمام الاوسط فيحتاج في انتاج كل منها الى قياس اخر والمطلوب من
التركيب الاول وهو كمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده
ان كمال معرفته توحيده وانما يلزم عنه هذا المطلوب بقياس اخر صورته
ان معرفته كمال كمالها توحيده وكلما كان كمال كماله توحيده كان كماله توحيده
فينتج ان كمال معرفته توحيده اما المقدمة الاولى فلان التوحيد كمال التصديق
وهو كمال المعرفة واما الثانية فلان كمال كمال الشي كمال للشي وهكذا
في باقي التراكيب والمطلوب من هذه النتيجة مع المقدمة الثالثة وهي قوله
وكمال توحيده الاخلاص له ان كمال معرفته له نفي الصفات عنه فحصل المطلوب
واعلم ان في اطلاق الكمال ههنا تنبيها على معرفة الله تعالى مقولة بحسب
التشكيك اذ كانت قابلة للزيادة والنقصان وبيان ذلك ان ذات الله تعالى
لما كانت منزهة عن انحاء التركيب لم يكن معرفته ممكنة الا بحسب رسوم ناقصة
مركبة من سلوب واضافات يلزم ذاته المقدسة لزوما عقليا فتلك السلوب
والاضافات لما لم تكن متناهية لم يمكن ان تقف المعرفة بها عند حد واحد بل تكون
متفاوتة بحسب زيادتها ونقصانها وخفايها وجلايها وكذلك كمال التصديق
والتوحيد والاخلاص واذا تقرر ذلك فلنشرع في تقرير المقدمات اما
المقدمة الاولى وهي ان كمال معرفته التصديق به وبيان ذلك
ان المتصور لمعنى اله العالم عارف به من تلك الجهة معرفة ناقصة ما لم
يحكم بوجوده ووجوبه اذ من ضرورة كونه موجدا للعالم كونه موجودا فانه
ما لم يكن موجودا استحال بالضرورة ان يصدر عنه اثر موجود فهذا الحكم

اللاحق هو كمال معرفته واما الثانية وهي قوله وكمال التصديق به توحيده
فبيانها ان من صدق بوجود الواجب ثم جهل مع ذلك كونه واحدا كان تصديقه
به تصديقا ناقصا تمامه توحيده اذ كانت الوحدة المطلقة لازمة لوجود الواجب
فان طبيعة واجب الوجود بتقدير ان يكون مشتركة بين اثنين فلابد لكل واحد
منهما من مميز وراء ما به الاشتراك فيلزم التركيب في ذاتيهما وكل مركب ممكن
فيلزمه الجهل بكونه واجب الوجود وان تصور معناه وحكم بوجوده واما الثالثة
وهي قوله وكمال توحيده الاخلاص له ففيها الاشارة الى ان التوحيد المطلق للعارف
انما يتم بالاخلاص له وهو الزهد الحقيقي الذي هو عبارة عن تنحية كل ما سوى
الحق الاول عن سنن الايثار وبيان ذلك انه ثبت في علم السلوك ان العارف مادام
ملتفتا مع ملاحظة جلال الله وعظمته الى شيء سواه فهو بعد واقف دون مقام
الوصول جاعل مع الله غيرا حتى ان اهل الاخلاص ليعدون ذلك شركا
خفيا كما قال بعضهم من كان في قلبه مثقال خردلة سوى جلالك فاعلم
انه مريض وانهم ليعتبرون في تحقق الاخلاص ان يغيب العارف عن نفسه حال
ملاحظته لجلال الله وان لحظها فمن حيث هي ملاحظة لا من حيث هي متزينة
بزينة الحق فاذن التوحيد المطلق ان لا يعتبر معه غيره مطلقا وذلك هو المراد
بقوله وكمال توحيده الاخلاص له واما المقدمة الرابعة
وهي ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه فقد بين عليه السلم صدقها بقياس
برهاني مطوي النتائج ايضا استغنى عنه ان كل من وصف الله سبحانه فقد
جهله وذلك قوله عليه السلم لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل
موصوف انه غير الصفة الى قوله ومن جزاه فقد جهله وبيان صحة هذه
المقدمات اما قوله لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وبالعكس فهو [illegible]
جلية للاستدلال ببيان المغايرة بين الصفة والموصوف والمراد بالشهادة
ههنا شهادة الحال فان حال الصفة يشهد بحاجتها الى الموصوف وعدم
قيامها بدونه وحال الموصوف يشهد بالاستغناء عن الصفة والقيام بالذات
بدونها فلا يكون الصفة نفس الموصوف واما قوله فمن وصف الله سبحانه
فقد قرنه فهو ظاهر لانه لما قرر كون الصفة مغايرة للموصوف لزم ان
يكون زائدة على الذات غير منفكة عنها فلزم من وصفه بها ان يكون مقارنة



لها وان كانت تلك المقارنة على وجه لا يستدعي زمانا ولا مكانا واما قوله
ومن قرنه فقد ثناه فلان من قرنه بشيء فقد اعتبر في مفهومه امرين احدهما
الذات والاخر الصفة فكان واجب الوجود عبارة عن شيئين او اشياء فكانت
فيه كثرة وح ينتج هذا التركيب ان من وصف الله سبحانه فقد ثناه و
اما قوله ومن ثناه فقد جزاه فظاهر انه اذا كانت الذات عبارة عن
مجموع امور كانت تلك الامور اجزاء لتلك الكثرة من حيث انها تلك الكثرة
وهي مبادئ لها واذا ضم هذه المقدمة الى نتيجة التركيب الاول ينتج ان من
وصف الله سبحانه فقد جزاه واما قوله ومن جزاه فقد جهله فلان
كل ذي جزء فهو مفتقر الى جزئه وجزؤه غيره فكل ذي جزء فهو مفتقر الى غيره
والمفتقر الى الغير ممكن فالمتصور له جزوا متصور لا لحقيقته لامر هو ممكن
الوجود لا للواجب الوجود بذاته فيكون اذن جاهلا به وضم هذه المقدمة
الى نتيجة ما قبلها ينتج ان من وصف الله سبحانه فقد جهله وح يتبين المطلوب
وهو ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه اذ الاخلاص له والجهل به ثما لا
لا يجتمعان واذا كان الاخلاص له منافيا للجهل به الذي هو لازم لاثبات الصفة
له كان اذن منافيا لاثبات الصفة له لان معاندة اللازم يستلزم معاندة
الملزوم واذا بطل ان يكون الاخلاص في اثبات الصفة له ثبت انه في نفي الصفة
عنه وعند هذا يظهر المطلوب الاول وهو ان كمال معرفته نفي الصفات عنه
وذلك هو التوحيد المطلق والاخلاص المحقق الذي هو نهاية العرفان وغاية
سعي العارف من كل حركة حسية وعقلية وما يكون في نفس الامر من غير
يعقل بعض كل ما عداه عنه معه فهو الوحدة المطلقة المبرأة عن كل لاحق
وهذا مقام حرست عنه نواقد الابصار وحارت في تحقيقه صوارم الافكار والتز
الناس فيه الاقوال فانتهت بهم الحال الى اثبات المعاني وارتكاب المحال فلزمهم
في ذلك الضلال ما الزمهم من المحال فان قلت ان هذا اشكل من وجهين احدهما
ان الكتب الالهية والسنن النبوية مشحونة بوصفه تعالى بالاوصاف المشهورة
كالعلم والقدرة والحيوة والسمع والبصر وغيرهما وعلى ما قلتم يلزم ان الاوصف
سبحانه بشيء منها الثاني انه عليه السلم صرح باثبات الصفة له في قوله
ليس لصفته حد محدود ولا كان مقصوده بنفي الصفات ما ذكرتم لزم التناقض

في كلامه فانا ولي اذن ان احقق قوله نفي الصفات عنه نفي المعاني
كما ذهب اليه الاشعري ونفي الاحوال كما يذهب اليه المثبتون من المعتزلة
وبعض الاشعرية لا نفي للصفات المشهورة الجارية عليه تعالى ولاثباته عليه السلم
الصفة لله في موضع اخر مجمل او نخص نفي صفات المخلوقين كما اشار اليه
عليه السلم في اخر الخطبة لا تجري عليه صفات المصنوعين وكما ذكره الشيخ
المفيد من الشيعة في كتاب الارشاد عنه جل ان تحله الصفات لشهادة العقول
ان كل من حلته الصفات مصنوع قلت قد سبق منا بيان ان كل ما
يوصف به تعالى من الصفات الحقيقية والسلبية والاضافية اعتبارات تحدثها
عقولنا عند مقايسة ذاته سبحانه الى غيرها ولا يلزم من ذلك تركيب
في ذاته ولا كثرة فيكون وصفه تعالى بها امرا معلوما من الدين لتعم التوحيد و
التنزيه كل طبقة من الناس ولما كانت عقول الخلق على مراتب من التفاوت
كان الاخلاص الذي ذكره عليه السلم اقصى ما ينتهي اليه القوى البشرية عند
غرقها في انوار كبرياء الله وهو ان تعرفه فقط من غير ملاحظة شي اخر وكان
اثباته عليه السلم للصفة في موضع اخر ووصفه في الكتاب العزيز والسنن
النبوية اشارة الى الاعتبارات التي ذكرناها اذ كان من هو دون درجة
الاخلاص لا يمكن ان يعرف الله سبحانه بدونها وبالله التوفيق قوله
ومن اشار اليه فقد حده ومن حده فقد عده اقول
يشير الى البرهان على احد امرين لانه يحتمل ان يكون مراده امتناع الاشارة
العقلية اليه وتعلقها به فعلى هذا يكون تقرير المقدمة الاولى من هذا البرهان
ان من وجه ذهنه طالبا لكنه ذاته المقدسة وزعم انه وجدها واحاط
بها واشار اليها من جهة ما هي فقد اوجب له حدا تقف ذهنه عنده اذ الحقيقة
انما تعلم من جهة ما هي ويشير العقل اليها لكنهها اذا كانت مركبة وقد علمت ان
كل مركب محدود في المعنى ولان الاشارة العقلية ملوثة بالاشارة الوهمية
والخيالية مشوبة بهما وهما مستلزمان لاثبات الحد كما سيأتي واما
تقرير المقدمة الثانية فظاهر اذ كان حد الشي انما يتألف من كثرة معتبرة
فيه وكل ذي كثرة معدودة في نفسه ونتيجة هذا البرهان ان من اشار اليه
فقد عده واما استحالة ان يكون معدودا فقد علمت فيما سبق ان للكثرة مستلزمة

للبرهان

للبرهان الثاني لانه يحتمل ان يكون مراده ايضا نفي الصفات الاشارة الحسية
الظاهرة والباطنة اليه وبيان تنزيهه عن الوحدة العددية ويكون
تقرير المقدمة الاولى ان من اشار اليه باحد الحواس فقد جعل له حدا
او حدودا او نهايات محيطة بها وذلك ان كل ما يشار اليه بالحس الظاهر
او الباطن فلا بد ان يشار اليه في حيز مخصوص وعلى وضع مخصوص وما كان
كذلك فلا بد ان يكون له حد او حدود فاذن لو كان مشارا اليها باحدها
لكان محدودا واما تقرير المقدمة الثانية فالمراد بالعد هاهنا اما جعله
مبدأ الكثرة يصلح ان يكون عادا لها وذلك ان كل ما ادرك على وضع مخصوص
وفي جهة فالعقل حاكم بامكان وجود امثاله في جهته بالاشارة الحسية
فقد جعله مبدأ الكثرة يصلح ان يعد بها ويكون معدودا بالنسبة اليها واما
كونه في نفسه معدودا وذلك لكونه مركبا من امور لان الواحد بهذا
المعنى ليس مجرد الوحدة فقط والا لما تعلقت الاشارة الحسية به بل لا
بد معها من الوضع كما علمت وعلى الوجهين يكون مجتمعا من امرين او امور فيكون
مركبا وكل مركب ممكن على ما مر واذا استحال ان يكون واحدا بهذا المعنى
كانت الاشارة اليه مطلقا يستلزم الجهل به من حيث هو واحد واجب
الوجود واعلم انه ليس اذا بطل ان يكون واحدا بهذا المعنى بطل ان يكون
واحدا فان للواحد مفهومات اخر بها يقال له واحد وانه يقال الواحد
لما لا يشاركه في حقيقته الخاصة به غيره ويقال واحد لما لا يتركب حقيقته
وما تألف من معان متعددة لا امور اقوام ولا امور احاد ويقال واحد لما لم
لم يفته من كماله شي بل كل كمال ينبغي ان يكون له فهو حاصل له بالفعل
والباري سبحانه واحد بهذه الاعتبارات الثلثة قوله ومن
قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلى منه اقول اصل
فيم وعلام فيما وعلى ما حرفان دخلا على ما الاستفهامية فحذف الفها
لاتصالهما بهما تخفيفا في الاستفهام خاصة وهاتان القضيتان في
تقدير شرطيتين متصلتين يراد منهما تأديب الخلق ان يستفهموا عنه
سبحانه على هذين الوجهين وبيان المراد منهما باستثناء يقتضي تاليهما
وحذف الاستثناء هاهنا الذي هو كبرى القياس على ما هو المعتاد في قياس

الضمير واعلم ان تقدير المتصلة الاولى لو صح السوال بفيم لكان له محل
يتضمنه ويصدق عليه انه فيه صدق العرض في المحل لكنه يمتنع كونه
في محل فيمتنع السوال عنه بفيم ه بيان الملازمة ان مفهوم في
لما كان موجودا في ما كان الاستفهام بفيم استفهاما عن مطلق المحل و
الظروف ولا يصح الاستفهام عن المحل لشى الا اذا صح كونه فيه بيان بطلان
الثانى انه لو صح كونه في محل لكان اما ان يجب كونه فيه فيلزم ان يكون
محتاجا الى ذلك المحل والمحتاج الى الغير ممكن بالذات وان لم يجب حلوله
فيه جاز ان يستغنى عنه والغنى في وجوده عن المحل يستحيل ان يعرض له
واذا استحال ان يكون في محل كان السوال عنه بفيم جهلا واما تقدير
المتصلة الثانية فلانه لو جاز السوال عنه بعلام لجاز خلو
بعض الجهات والاماكن عنه لكنه لا يجوز خلو مكان عنه فامتنع الاستفهام
عنه بعلام بيان الملازمة ان مفهوم على وهو العلو والفوقية لما كان
موجودا في ما كانت ما استفهاما عن شى هو فوقه وعالى عليه وذلك يستلزم
امرين احدهما بواسطة الاخر واللازم له فالذى هو بواسطة واللازم لها
هو خلو ساير الجهات عنه وهو ما ذكره عليه السلم واما الواسطة الملز
ومة فهى اثبات الجهة المعينة وهى جهة فوق اذا كان اختصاصه بجهة
معينة يستلزم نفى كونه في ساير الجهات وانما جعل عليه السلم لازم هذه المتصلة
كونه قد اخلى منه ليستلزم من ابطال اللازم وهو الخلو عنه بطلان اختصا
صه بالجهة المعينة ليلزم منه بطلان المقدم وهو صحة السوال عنه بعلام
فاما بطلان الثانى فلقوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض يعلم
سركم وجهركم وقوله وهو معكم اينما كنتم فان قلت ان مثبت الجهة
لا يجهل هذه الايات بل له ان يقول انه لا تنافى بين اثبات الجهة المعينة
وبين مقتضى هذه الايات لان المقصود من كونه في السما والارض اى بعلمه
وكذلك من معيته للخلق وكونه في جهة فوق انما هو بذاته مخصوصة
لا يكون هذه الايات منافية لغرضه قلت انما جعل عليه السلم هو
له فقد اخلى منه لازما في هذه القضية لان نفى هذا اللازم بهذه الايات
ظاهر وذلك ان مثبت الجهة انما يعتمد في اثباتها على ظواهر الايات

الدالة

الدالة على ذلك كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى فكانت معارضة
مقتضاها بظواهر الايات انفع في الخطابة والجمع في قلوب العامة من الدلايل
العقلية على نفى الجهة ودلالة هذه الايات على عدم خلو مكان من الامكنة منه
تعالى يستلزم دلالتها على عدم اختصاصه بجهة فوق والمعارضة كما يكون بما
يقتضى ابطال مقتضى الدليل كذلك يكون بما يقتضى ابطال اللازم مقتضاه فكانت
مستلزمه لعدم جواز الاستفهام عنه بعلام ولو قال ومن علام فقد اثبت له
جهة لم يكن ابطال هذا اللازم الا بالدليل العقلى بكون الظواهر النقلية مشعرة
باثبات الجهة له تعالى فلذلك عدل عليه السلم الى هذا اللازم كما بيناه لوجود ما يبطله
في القران الكريم وهى الايات المذكورة حتى اذا عدل المثبت للجهة عن ظواهر
هذه الايات الى دلايل باحاطة العلم الزمناه مثله في نحو قوله الرحمن على
العرش استوى فقلنا المراد من الاستواء الاستيلاء بالقدرة او العلم كما هو مذكور
في الكتب الكلامية وانما خص عليه السلم جهة العلو بنفيها لاعتقادها وللتحذ
ير عنه لكون كل معتقد انه جهة تخصصه بها لما يتوهم من كونها اشرف
الجهات ولانها التى نطق القران الكريم فكانت الشبهة في اثباتها اقوى فلذلك
خصها بالذكر قوله كاين لا عن حدث موجود لا عن عدم
اقول الكاين اسم الفاعل من كان وهى يستعمل في اللغة على
ثلثة اوجه احدها ان يكون بصيغتها دالة على الحدث والزمان ويسمى في
عرف النحاة كان التامة كقوله اذا كان الشتاء فادفئونى اى اذا حدث
ووجد الثانى ان يدل على الزمان وحده ويحتاج في الدلالة على الحدث على خبر
يتم به وهى الناقصة واستعمالها هو الاكثر كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة
قانتا لله الثالث ان يكون زايدة خالية عن الدلالة على حدث او زمان كقوله
على كان المسومة العراب اى على المسومة اذا عرفت ذلك فاعلم ان مفهوم
كاين انه شى ماله كون ولما كان ذلك الشى هو ذات الله تعالى وكانت
ذاته مقدسة عن الزمان استحال ان يقصد وصفه بالكون الدال على الزمان
ولما احترز بقوله لا عن حدث استحال ان يدل كونه على الحدث وهو المسبو
بالعدم ايضا واذا بطل ان يكون كونه مستلزما للزمان ومسبوقية للعدم لم
يبق له دلالة الا على الوجود المجرد عن هذين القيدين ومن هذا القبيل

قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما واخثاله وقول الرسول صلى الله عليه كان
الله ولا شي ولعا قوله موجود لا عن عدم فالمراد ايضا ان وجوده ليس
بحادث وبيانه ان الموجود من حيث هو موجود اما ان يكون وجوده مسبوقا
بالعدم وحاصلا عنه وهو المحدث اولا يكون وهو القديم ولعا تمبه هذ
الحكم فلانه لو كان محدثا لكان ممكنا ولو كان ممكنا لما كان واجب الوجود فينتج
انه لو كان محدثا لما كان واجب الوجود لكنه واجب الوجود فينتج انه ليس
بمحدث اما المقدمتان فجليان واما بطلان تالي النتيجة فبمقتضى البراهين
الالهية واعلم ان هذه القضية موكدة لمقتضى القضية الاولى وليس مقتضاها
عين ما افاد به الاولى اذ كان في الكلمة الاولى مقصود اخر وهو تعليم الخلق
كيفية اطلاق لفظة الكون على الله تعالى والشعار بهم ان المراد منها ليس ما يتبادر
اليه الذهن من مفهومها حال اطلاقها وهو الحدوث ويحتمل ان يكون مراده
في الاولى نفي الحدوث الذاتي اوما هو اعم منه ومن الزماني وفي الثانية نفي الحدوث
الزماني والله اعلم **قوله** مع كل شي لا بمقارنة وغير كل شي لا بمزايلة
**اقول** ان كونه تعالى مع غيره وغير غيره اضافتان عارضتان
له بالنسبة الى جميع الموجودات اذ كلها منه ويصدق عليه ان يقال انه معها و
انه متقدم عليها ولكن باعتبارين مختلفين فان المعية نفس اضافة تحدثها
العقول بنسبته الى اثاره ومساوقة وجوده لوجوداتها واحاطة علمه بكليتها
وجزئيتها كما قال وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير والتقدم نسبة
تحدثها له باعتبار كونه علة لها ثم لما كانت المعية اعم من المقارنة لاعتبار الزمان
والمكان في مفهومها المتعارف لم يكن معيته للاشياء على سبيل المقارنة لها لبراءة
ذاته المقدسة عن الزمان والمكان فلذلك احترز بقوله لا بمقارنة ولما انه
غيرها لا بمزايلة فيحتمل وجهين احدهما وهو الاظهر ان المغايرة لما كانت اعم
من المزايلة لدخول الزمان والمكان في مفهومها ايضا كانت مغايرته للاشياء غير
معتبر فيها المزايلة لتقدس ذاته عن الزمان والمكان فلذلك احترز بقوله
لا بمزايلة الثاني ان يقال ان كونه غير كل شي معناه انه متميز بذاته عن كل
شي اذ لا يشارك شيا من الاشياء في معنى جنسي ولا نوعي فلا يحتاج ان ينفصل عنها
بفصل ذاتي او عرضي بل هو مباين لها بذاته لا بمزايلة ويكون معنى المزايلة

المفارقة

المفارقة المذكورة باحد الامور بعد الاشتراك في احد الامور المذكوره واعلم
ان هذين للعدس كاسران للاحكام الوهمية باعتبار الزمان والمكان والا
وصاف المخلوقة المتعارفة بين الخلق المعتبره بينهم في مفهوم المعية والغيرية
منبهان للعقول على ما وراء حكم الوهم عن عظمة الله سبحانه وتقدس في انه عن
صفات الممكنات وكذلك في قوله كاين لا عن حدث موجود لا عن عدم فانه رد
للوهم الحاكم بان كل كاين وان كل موجود فعن عدم **قوله**
فاعل لا بمعنى الحركات والاله **اقول** الحركة عبارة عن حصول
المتحيز في حيز بعد ان كان في حيز اخر ان قلنا بثبوت الجوهر الفرد والا فهي
عبارة عن انتقال المتحيز من حيز الى اخر او غيره من التعريفات والالة
هي ما يوثر الفاعل في منفعله القريب منه بواسطته والمراد وبيان انه فاعل
الا ان ما صدر عنه تعالى من الاثار ليس بحسب حركة ولا بتوسط اله كما يفتقر
غيره في نسبة صدور الفعل عنه اليه اما انه لا يفتقر الى الحركة فلان معنى الحركة
انما يعرض للجسم والباري تعالى منزه عن الجسمية فيستحيل صدق معنى الحركة في حقه
واما ان فعله ليس بتوسط اله فبيانه من وجهين احدهما انه لو كان كذلك لكانت
تلك الالة ان كانت من فعله لا بتوسط الة اخرى فالكلام فيها كالكلام في الاولى
ويلزم التسلسل واما ان لم يكن تلك الالة من فعله ولم يمكنه الفعل بدونها كان
الباري تعالى مفتقرا في تحقق فعله الى الغير ممكن بالذات فالواجب بالذات ممكن
بالذات هذا خلف الثاني انه تعالى لو فعل بالالة لكان بدونها غير مستقل
بايجاد الفعل فكان ناقصا بذاته مستكملا بالالة والنقص على الله تعالى محال فهو
في فعله على لا اله محال فاذن هو الفاعل المطلق بالابداع ومحض الاختراع
المبرا عن نقصان الذات المنزه عن الحاجة الى الحركات والالات **قوله**
بصير اذ لا منظور اليه من خلقه **اقول** البصير فعيل بمعنى الفاعل من
البصر والبصر حقيقة في حاسة العين مجاز في القوة التي بها العلم والمنظور اليه
هو المشاهد بتقليب الحركة نحوه والمراد وصفه تعالى بكونه بصيرا حال ما لا
يتحقق المبصرات واذ ليس كونه بصيرا بمعنى انه ذو اله البصر لتنزهه عن الجوارح وجب
العدول الى المجاز وهو ان يكون بصيرا بمعنى انه عالم وقرينه ذلك قوله اذ لا
منظور اليه من خلقه لان البصير امر اضافي يلحق ذاته بالنسبة الى المبصر وهو

امر يلحق ذاته ازلا وابدا ولا شئ من المبصرات بالحس موجودا ازلا لقيام البراهين
العقلية على حدوث العالم حتى يمكن ان يلحقه النسبة بالقياس اليه فوجب ان لا يكون
من حيث هو هو بصيرا بهذا المعنى ولاحتمال ان الاشارة ماد في قوله اذ لا منظور
اليه الى اعتبار كونه متقدما على اثاره من جهة ما هو متقدم فانه بالنظر الى
تلك الجهة لا منظور اليه من خلقه معه وهو عالم لذاته وبذاته مطلقا واذ ليس
بصيرا بالمعنى المذكور فهو اذن بصير بالصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات
وبها يظهر الاسرار والخفيات فهو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى
وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وهذه الآلة وان عدت كمالا فانما هي كمال
خاص بالحيوان وكماله بها وان كان ظاهرا الا انه ضعيف قاصر اذ لا يمتد الى ما بعد
ولا يتغلغل في باطن وان قرب بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن وقد قيل
ان الحظ الديني للعبد من البصر امران احدهما ان يعلم انه خلق له البصر لينظر الى
الآيات وعجايب ملكوت السموات فلا يكون نظره الا اعتبارا حكى انه قيل
لعيسى عليه السلم هل احد من الخلق مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته فكرة
وكلامه ذكرا فهو مثلي الثاني ان يعلم انه من الله بمرأى ومسمع فلا يستهين
بنظره اليه واطلاعه عليه ومن اخفى من غير الله ما لا يخفيه من الله تعالى فقد
استهان بنظر الله تعالى اليه والمراقبة احدى ثمرات الايمان بهذه الصفة فمن
قارف معصية وهو يعلم ان الله يراه فما اجرأه وما اخسره ومن ظن ان الله تعالى
لا يراه فما اكفره **قوله** متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده
**اقول** المراد وصفه تعالى بالتفرد والوحدانية واشار بقوله
اذ لا سكن الى اعتبار ان تفرده بالوحدانية لذاته فهو من تلك الحيثية متفرد
بالوحدانية لا على وجه الانفراد عن مثل له كما هو المفهوم المتعارف من انفراد
بعض الناس عن بعض ممن عادته مشاركته في مشاوراته ومحادثاته والانفراد
احد المتآلفين من الحيوانات عن الاخر وهو الانيس الذي يستانس بوجوده
معه ويستوحش لفقده وغيبته عنه اذا كان الاستيناس والاستيحاش عن الجسمية
والمزاج وجب ان يكون منزها عن الاستيناس والتوحش فهو المنفرد بالوحدانية
المطلقة لا بالقياس الى شئ يعقل ذلك التفرد بالنسبة اليه واعلم ان
القيود الثلثة الذي اوقع على قوله فاعل وبصير ومتوحد في الفصول الثلثه

مستلزمة

مستلزمة للتنبيه على عظمة الله تعالى كما بيناه في قوله لا بمقارنه ولا بمزا
يلة وذلك لان الاوهام البشرية حاكمة بحاجة الفاعل الى الالة والبصير
الى وجود المبصر والمتوحد الى ان يكون في مقابلته انيس مثله انفرد عنه
ولما كانت ذات الله سبحانه منزهة عن جميع ذلك اراد عليه السلم كسر اوهامهم
ومعارضة احكامها بسنن العقول عليها بذكر هذه القيود الثلثه وبالله
التوفيق **الفصل الثاني** في نسبة ايجاد العالم الى قدرة
الله تعالى جملة وتفصيلا وفي كيفية ذلك وهو اقتصاص في معرض المدح
**قوله** انشاء الخلق انشاء وابتداه ابتداء بلا روية اجالها
ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها احال الا
شياء لاوقاتها ولام بين مختلفاتها وغرز غرايزها والزمها اشباحها عالما
بها قبل ابتدايها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقراينها واحنائها ثم انشاء
سبحانه فتق الاجواء وشق الارجاء وسكايك الهواء فاجاز فيها ماء متلاطما
تياره متراكما زخاره حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة
فامرها برده وسلطها على شده وقرنها الى حده الهواء من تحتها فتيق والماء
من فوقها دفيق ثم انشاء سبحانه ريحا اعتقم مهبها وادام مربها واعصف
مجراها وابعد منشاها فامرها بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار
فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء ترد اوله على اخره وسا
جيه على مايره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتق
وجو منفهق فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعلياهن
سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها ولا دسار ينظمها ثم زينها بز
ينة الكواكب وضياء الثواقب واجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا
في فلك داير وسقف ساير ورقيم ماير ثم فتق ما بين السموات العلى فملاهن
اطوارا من ملايكته منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزا
يلون ومسبحون لا يسامون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة
الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون
بقضايه وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثا
بتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة

من لا قطارا ركانهم والمناسبة لقوايم العرش الكتافهم ناكسة دونه ابصارهم
متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة و
استار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنو
عين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظاير **اقول**
لم اجد لاهل اللغة فرقا بين الانشاء والابتداء وهو الايجاد الذي لم يسبق بمثله
الا انه يمكن ان يفرق هاهنا بينهما صونا لكلامه عليه السلم عن التكرار بان
يقال المفهوم من الانشاء هو الايجاد الذي لم يسبق بغير الموجد الى ايجاد مثله
والمفهوم من الابتداء هو الايجاد الذي لم يوجد الموجد قبله مثله والروية الفكر
والاجالة الادارة وهمامة النفس اهتمامها بالامور ومن روى همامه
نفس فالمراد ترديد العزوم ماخوذ من الهمهمة وهي ترديد الصوت الخفي و
روى ايضا همه نفس والاحالة التحويل والتحريك من مكان الى اخر وروى اجال
بالجيم وروى ايضا اجل اى وقت والملايمة الجمع والغرايز جمع غريزة وهي الطبيعة
التي جبل عليها الانسان كانها غرزت فيه والسنخ الاصل وروى اشباحها جمع شبح
وهو الشخص والقراين جمع قرينة وهي ما يقترن بالشي والاحناء جمع حنو وهي النا
حية والاجواء جمع جو وهو الفضاء الواسع وفتقها شقها والارجاء جمع رجا
مقصور وهو الناحية والسكايك جمع سكاكة كذوابة وذوايب وهي الفضاء
ما بين السماء والارض وكل مكان خالى فهو هواء واجاز اى اجرى ومن روى اجاز
اي ادار وجمع وتلاطم الماء ترادم امواجه وضرب بعضه بعضا والزخار مبا
لغة في الزاخر وهو الممتلى ومتن كل شي ما صلب منه واشتد وعصف الريح
شدة جريانها وريح زعزع تحرك الاشياء بقوة وتزعزعها والريح القاصفة
الشديدة كانها لشدتها تكسر الاشياء وتقصفها وسلطها اى جعلها سلاطة وهي
القهر والفتق المنفتق والدفيق المندفق والاعتقام الشد والعقد واعتقم ايضا
مهبها اي جعله خاليا لا نبت به من قولهم عقمت الرحم اذا لم تقدر بالولد وروى
بغير تاء اى جعلها عقيمة لا يلقح شجرا ولا سحابا والمرت الجمع والعصف الجرى
بقوة وشدة والصفق والتصفيق الضرب المتراد المصوب واثار الموج رفعه
وهيجه واصل البحر الماء المتسع الغمر وربما خص في العرف بالمالح وتموج البحر
اضطرابه وموجه ما ارتفع منه حال هيجانه وحركته والمخض التحريك والسقاء

دعاء

وعاء اللبن والماء ايضا والماير المتحرك والعباب بالضم معظم الماء وعب اي
علا وتدفق والركام الماء المتراكم والمنفهق الواسع والتسوية التعديل و
المكفوف الممنوع من السقوط الجوهري السقف اسم للسماء وسمك البيت سقفه
والسمك الارتفاع والعمد جمع كثرة لعمود البيت والدعامة للبيت عموده وما يمنعه
من السقوط والدسار كل شي ادخلته في شي لشده كمسمار وحبل ونحوهما و
المستطير المنتشر والفلك من اسماء السماء قيل ماخوذ من فلكة المغزل في الاستدارة
والرقيم اسم للفلك ايضا واشتقاقه من الرقم وهو الكتابة والنقش لان الكواكب به
يشبه الرقوم والاطوار الحالات المختلفة والانواع المتباينة قال الكسائي
اصل الملك مالك بتقديم الهمزة من الالوك وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام
فقيل ملاك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما جمعوه ردوها اليه
فقالوا ملايكة وملايك والسام الملال والسدنة جمع سادن وهو الخادم ومرق
السهم من الرمية اذا خرج من الجانب الاخر والقطر الناحية والركن الجانب
وتلفع بثوبه التحف به والفاير الاختيال ولنرجع الى المعنى فنقول انشاء
الخلق انشاء وابتداه ابتداء اشارة الى كيفية ايجاد الخلق على الجملة عن قدرة لله بعد
ان نبه على اصل الايجاد بقوله فطر الخلايق بقدرته واتى بالمصدرين بعد الفعلين
تاكيدا لنسبة الفعلين الى الله تعالى وصدقهما بين القضيتين ظاهر فان البارى تعالى
لما لم يكن مسبوقا بغيره لا جرم صدق الانشاء منه ولما لم يكن العالم موجودا قبل
وجوده لا جرم صدق ابتداوه **قوله** بلا روية اجالها ولا
تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها **اقول**
لما كانت هذه الكيفيات الاربع من شرايط علوم الناس وافعالهم التي لا يمكن
حصولها الا بها اراد تنزيه الله سبحانه عن ان يكون ايجاده العالم موقوفا
على شي منها اما الروية والفكر فلما كانت كانت عبارة عن حركة القوة
المفكرة في تحصيل مبادى المطالب والانتقال منها اليها او عن تلك القوة
ايضا نفسها كان ذلك في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان القوة المفكرة
من خواص نوع الانسان الثاني ان فايدتها تحصيل المطالب المجهولة
والجهل على الله تعالى محال واما التجربة فلما كانت عبارة عن حكم العقل بامر
على امر بواسطة مشاهدات متكررة معدة لليقين بسبب انضمام قياس

خفي اليها وعولية لو كان هذا الامر اتفاقيا لما كان دايما ولا اكثريا كان توقف
فعل الله تعالى على استفادة الاحكام منها محالا لوجهين احدهما انها امور كسبية
من مقتضى الحس والعقل وذلك ان الحس بعد مشاهدته وقوع الاسهال مثلا عقيب
شرب الدواء مرة ومرة تنتزع العقل منها حكما كليا بان ذلك الدواء مسهل و
معلوم ان اجتماع الحس والعقل من خواص نوع الانسان الثاني ان التجربة
انما يفيد علما لم يكن والمحتاج الى التجربة لاستفادة العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها
والمستكمل بالغير محتاج اليه فيكون ممكنا على ما مر وذلك على الله تعالى محال و
اما الحركة فقد عرفت انها من خواص الاجسام والباري سبحانه منزه عن الجسمية
فيمتنع صدق المتحرك عليه وان صدق انه محرك الكل لان المتحرك ما قامت به
الحركة والمحرك اعم من ذلك واما الهامة او الهمة فلما كانت ماخوذة من
الاهتمام وحقيقته الميل النفساني الحاثم الى فعل الشي مع التألم والغم بسبب
فقده كان ذلك في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان الميل النفساني من خواص
الانسان طلبا لجلب المنفعة والباري سبحانه منزه عن الميول النفسانية وجلب
المنفعة الثاني انه مستلزم للتألم بفقد المطلوب والتألم على الله تعالى محال واذ
ليس ايجاده تعالى للعالم على احد الانحاء المذكورة فهو اذن لمحض الاختراع والابداع
البري من الحاجة الى امر من خارج ذاته المقدسة بديع السموات والارض
واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واعلم انه عليه السلام اردف كلا من
هذه الامور بما هو كيفية في وجوده فاردف الروية بالاجالة والتجربة بالاستفادة
والحركة بالاحداث والهامة بالاضطراب لينتفي الكيفية بانتفاء ما هي له عن
ذاته المقدسة وبالله التوفيق **قوله** اجال الاشياء لاوقاتها
ولام بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها **اقول**
لما نبه على نسبة ايجاد العالم الى الله تعالى جملة اشار بعده الى ان ترتيبه وما
هو عليه من بديع الصنع والحكمة كان مفصلا في علمه وعلى وفق حكمته البالغة
قبل ايجاده والمراد بقوله اجال الاشياء لاوقاتها الاشارة الى ربط كل ذي
وقت بوقته بحسب ما كتب في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي بحيث لا يتاخر متقدم
منها ولا يتقدم متاخر ومعنى اجاله جعل كل منها في وقته والعدول به عن
غير وقته واللام في لاوقاتها لام التمليك وفايدتها ان كل وقت يستحق

بحسب

بحسب قدرة الله وعلمه ان يكون فيه ما لا يكون في غيره وعلى النسخة الاخرى
فمعنى تاجيلها جعل اوقاتها اجالا لها لا يتقدم عليها ولا يتاخر عنها كما قال
فاذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ونبه بقوله ولام
بين مختلفاتها على كمال قدرة الله تعالى وبيان ذلك في صورتين احداهما ان
العناصر الاربعة متضادة الكيفيات ثم انها اذا اجتمعت بقدرة الله تعالى
وفي وفق حكمته حتى انكسرت سورة كل واحد منها بالاخر وهو المسمى بالتفاعل
حصلت كيفية متوسطة بين الاضداد متشابهة وهي المزاج فامتزاج اللطيف
بالكثيف على ما بينهما من تضاد الكيفيات وغاية البعد بقدرته التامة من
اعظم الدلايل الدالة على كمالها الثانية ان الملاءمة بين الارواح اللطيفة و
النفوس المجردة التي لا حاجة بها في قوامها في الوجود الى مادة اصلا وبين هذه
الابدان المظلمة الكثيفة واختصاص كل نفس ببدن منها وتدبيره واستعماله
فيما يعود اليها من المصالح على النظام الاقصد والطريق الارشد مما يشهد بجلال قدرته
ولطيف حكمته **وقوله** وغرز غرائزها اشارة الى ركن القوى الجسمانية
والنفسانية فيما هي قوى له وخلق كل ذي طبيعة على خلقة ومقتضى قواه
التي عرفت من لوازمه وخواصه مثلا كقوة التعجب والضحك للانسان وكقوة
الشجاعة للاسد والجبن للارنب والمكر للثعلب وغير ذلك وعبر عن ايجادها
فيها بالغرز وهو الرز استعارة لما يعقل من المشابهة بينها وبين العود الذي يركز
في الارض من جهة المبدا ومن جهة الغاية وذلك ان الله سبحانه لما غرز هذه
الغرائز في محالها واصولها وكانت الغاية من ذلك ما يحصل منها من الاثار الموافقة
لمصلحة العالم اشبه ذلك غرز الانسان العود في الارض لغاية ان يثمر ثمرة
ينتفع بها **وقوله** والزمها اشباحها اشارة الى انها لا يفارق اصولها ولا يمكن
زوالها عنها لان اللازم هذا بيانه ومن روى اسناخها بالسين المعجمة فالمراد
ان ما غرز في الاشخاص من اللوازم والغرائز لا يفارقها سواء كانت تلك
الغرائز من لوازم الشخص كالذكاء والفطنة بالنسبة الى بعض الناس والبلادة
والغفلة لاخرين او من لوازم الماهيات وطبايعها لوجود الماهيات في اشخا
صها هذا ان قلنا ان الضمير في قوله والزمها عايد الى الغرائز اما قلنا
انه عايد الى الاشياء كان المراد ان الله سبحانه لما اجال الاشياء لاوقاتها

ولا يمكن تعلقها بها وغير غرايزها في علمه وقضايه الزمها بعد كونها كلية
تشخاصها الجزئية التي وجدت فيها لا يقال ان لوازم الماهيات مقتضى الماهيات
فكيف يمكن نسبة الزامها لاصولها الى قدرة الله تعالى لانا نقول المستند الى الماهية
الملزوم ليس الا ماهية لازمة واما وجوده له فبقدرة الله تعالى فيكون معنى الزا
مها الاصولها ايجادها في اصولها تبعا لايجاد اصولها على تقدير وجودها **قو**
**وله** عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها واول انتهائها عارفا بقرار
فيها واحنائها **اقول** المنصوبات الثلثة وهي قوله عالما ومحيطا وعارفا منصوبة
على الحال والعامل فيها قوله والزمها اعمالا للاقرب والاحوال الثلثة مفسرة
لمثلها عقيب الافعال الثلثة الاول اذ كانت صالحة لان يكون احوالا عنها والمراد
في القضية الاولى اثبات الافعال الاربعة له حال كونه عالما بالاشياء قبل ايجادها
حاضرة في علمه بالفعل كليها وجزئيها وفي القضية الثانية نسبة تمكن الافعال
اليه حال احاطته علمه بحدودها وحقايقها المميزة لبعضها عن بعض وان كلا
منته بحدوده واقف عنده وهو نهايته وغايته ويحتمل ان يريد بانتهائها انتهاء
كل ممكن الى سببه وانتهاء الكل في سلسلة الحاجة الى الله وفي القضية الثالثة
نسبة الافعال الى قدرته حال علمه بما يقترن بالاشياء من لوازمها وعوارضها و
علمه بكل شيء يقترن بشيء اخر على وجه التركيب او المجاورة كاقتران بعض العناصر
ببعض في احيازها الطبيعية عن الترتيب الطبيعي وعلمه باخفايها وجوانبها التي
بها ينتهي ويقارن غيرها وبيان هذه الاحكام له تعالى ببيان انه عالم بكل المعلومات
من الكليات والجزئيات وذلك مما علم في العلم الالهي فان قلت اطلاق اسم العارف
على الله تعالى لا يجوز لقول النبي صلى الله عليه ان لله تسعة وتسعين اسما من احصا
ها دخل الجنة واجماع علماء النقل على ان هذا الاسم ليس منها قلت لا نسلم ان اسماءه
تعالى لا تزيد على التسعة والتسعين لوجهين احدهما قول النبي صلى الله عليه اسألك
بكل اسم سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته من خلقك او استاثرت به
في علم الغيب عندك فان هذا صريح في انه استاثر ببعض الاسماء **الثاني**
انه صلى الله عليه قال في رمضان انه اسم من اسماء الله تعالى وكذلك كان
الصحابة يقولون فلان اوتي الاسم الاعظم وكان ينسب ذلك الى بعض الانبياء
والاولياء وذلك يدل على انه خارج من التسعة والتسعين واذا كان كذلك

كان

كذا الكلام

كان في قوله عليه السلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة
قضية واحدة معناها الاخبار بان من اسماء الله تعالى تسعة وتسعين من احصا
ها دخل الجنة ويكون تخصيصها بالذكر لاختصاصها بمزيد شرف لا يكون لباقي
الاسماء وهي كونها مثلا جامعة لانواع من المعاني المنبئة عن الكمال بحيث لا يكون
لغيرها الا انه ينفي ان يكون لله تعالى اسم غيرها واذا كان كذلك جاز ان يكون العا
رف من تلك الاسماء الباقية ان الاسم الاعظم غير داخل فيها لاشتهار ذلك
ولاختصاص معرفته بالانبياء والاولياء واذا كان كذلك فكيف يصدق عليها انها
اشرف الاسماء لانا نقول يحتمل ان يكون خارجا منها ويكون شرفها حاصلا بالنسبة
الى باقي الاسماء التي هي غيره ويحتمل ان يكون داخلا فيها الا انا لا نعرف تعينه و
يكون مما يختص به النبي او الولي انما هو تعيينه منها **قولــه** ثم انشاء
سبحانه فتق الاجواء الى قوله فسوى منه سبع سموات **اقول**
لما اشار عليه السلم في الفصل المتقدم الى نسبة خلق العالم الى قدرة الله تعالى
على سبيل الاجمال شرع بعده في تفصيل الخلق وكيفية ايجاده والاشارة الى
مبادئه ولذلك حسن ايراد ثم وهاهنا ابحاث **البحث الاول**
اعلم ان خلاصة ما يفهم من هذا الفصل ان الله سبحانه خلق قبل خلق السماء ريحا
عاصفا زعزعا ثم خلق ماء زخارا متراكما حمله على متنها وقدر لذلك الماء
احيازا وامكنة لاجزائه فيها وجعل تلك الريح محيطة به حافظة له من
جميع جوانبه متسلطة على ضبطه في مقاره وترديد بعضه على بعض و
جعلها مقرونة به بحيث لا يكون بينهما جسم اخر فصار الماء من فوق الريح
مندفقا والخلاء من تحتها متفتق واسع وتلك الريح محفوظة بقدرة الله تعالى
لما جاء في الخبر ثم خلق سبحانه ريحا اخرى لاجل تمويج ذلك الماء وتحريكه
فارسلها وعقد مهبها اي ارسلها بمقدار مخصوص على وفق الحكمة والمصلحة
التي ارادها باجرائها ولم يرسلها مطلقا ومن روى بالفاء فالمراد انه
اخلى مهبها عن العوايق او انه ارسلها بحيث لا يعرف مهبها وادام حركتها و
ملازمتها للتحريك واعصف جريها وابعد مبتداها ثم سلطها على تمويج ذلك
الماء واثارة امواج البحار التي حصلت به فلما تموج معظمه ورمى با
الزبد ركامه رفع الله سبحانه ذلك الزبد في الفضاء وكون منه

السموات العلى **البحث الثاني** ان هذه الاشارة وردت
في القران الكريم فانه لشير فيه الى ان السموات تكونت من الدخان كقوله
تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان والمراد بخار الماء ولذلك وردت
في اقوال كثيرة **الاول** ما روى عن الباقر محمد بن علي عليهما السلام قال
لما اراد الله سبحانه وتعالى ان يخلق السماء امر الرياح ان يضربن البحر حتى
ازبد فخرج من ذلك الزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق الله منه العجود
السماء **الثاني** ما نقل انه في السفر الاول من التورية ان مبدء الخلق جوهر
خلقه الله تعالى ثم نظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ماء فثار
من الماء بخار كالدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر
فخلق منه الارض ثم ارساها بالجبال وفي رواية اخرى فخلق منه ارض مكة ثم
بسط الارض من تحت الكعبة ولذلك سمي مكة ام القرى **الثالث** نقل عن كعب
ما يقرب من ذلك قال ان الله تعالى خلق ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت
ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء كما قال الله تعالى
وكان عرشه على الماء **الرابع** ما نقل عن تاليس الملطي وكان من مشاهير الحكماء
القدماء فانه نقل عنه بعد ان وحد الصانع الاول للعالم ونزهه انه قال لكنه
ابدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها وسماه المبدع الاول
ثم نقل عنه ان ذلك العنصر هو الماء قال ومنه انواع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما وهو علة كل مبدع وعلة كل مركب من العنصر الجسماني فذكر
ان من جمود الماء تكونت الارض ومن انحلاله تكون الهواء ومن صفوته تكونت النار
ومن الدخان والابخرة تكونت السماء وقيل انه اخذ ذلك من التورية **الخامس**
ما وجدوه في كتاب بليوس الحكيم الذي سماه الجامع لعلل الاشياء قريبا
من هذه الاشارة وذكر انه قال ان الخالق تبارك وتعالى كان قبل ان اراد ان
يخلق الخلق فقال ليكن كذا وكذا فكان ما اراد بكلمته فاول الحدث كلمة
الله المطاعة التي كانت بها الحركة ثم قال بعده ان اول ما حدث بعد كلام الله
تعالى الفعل فدل بالفعل على الحركة ودل بالحركة على الحرارة ثم لما نقصت الحرارة
جاء السكون عند فنائها فدل بالسكون على البرد ثم ذكر بعد ذلك ان طبائع العناصر
هي اربعة انما كانت من هاتين القوتين اعني الحر والبرد قال وذكر انه

الحرارة

الحرارة حدث منها اللين ومن البرودة اليبس فكانت اربع قوى مفردات فامتزج
بعضها ببعض فحدث من امتزاجها الطبائع الاربع وكانت هذه الكيفيات
قائمة بانفسها غير مركبة فمن امتزاج الحرارة واليبس حصلت النار ومن الرطوبة
والبرد حدث الماء ومن الحرارة والرطوبة حدث الهواء ومن امتزاج البرد و
اليبس حصلت الارض ثم قال ان الحرارة لما حركت طبيعة الماء والارض تحرك
الماء للطافته عن ثقل الارض وانقلب بسبب ما اصابه من الحر فصار بخارا لطيفا
هوائيا رقيقا روحانيا وهو اول دخان طلع من اسفل الماء واحتزج بالهواء فسما
الى العلو لخفته ولطافته وبلغ الغاية في صعوده على قدر قوته ونصيبه من الحرارة
فكان منه الفلك الاعلى وهو فلك زحل ثم حركت النار الماء ايضا فطلع منه
دخان هو اقل لطفا فاصعد اولا واضعف فلما صار بخارا سما الى العلو بجوهره
ولطافته ولم يبلغ فلك زحل لقلة لطافته عما قبله فكان منه الفلك الثاني
وهو الفلك المشتري وهكذا بين طلوع الدخان مرة ومرة ويكون الافلاك
الخمسة الباقية عنه فهذه الاشارات كلها متطابقة على ان الماء هو الاصل الذي
تكونت عنه السموات والارض وذلك مطابق لكلامه عليه السلام **البحث
الثالث** قوله وادام مربها قال قطب الدين الراوندي
رحمه الله اي ادام جمع الريح للماء وتسويتها له قلت تقرير ذلك ان الماء لما
كان مقر الريح الذي انتهت اليه وعملت في تحريكه كان ذلك هو مربها اي
الموضع الذي لزمته واقامت به فقوله وادام مربها اي ادام حركة الماء
واضطرابه ومخضه وهو محل اربابها ويحتمل ان يكون قد استعمل اسم الموضع
استعمال المصدر والتقدير ادام اربابها اي ملازمتها لتحريك الماء وايضا فيحتمل
ان يكون قد شبهها في كونها سببا للاثار الخيرية وفي كثرتها وقوتها بالديمة
فكان محلها ومقرها الذي يصل اليه ويقيم به قد ادامه الله اي ابقاه د تمة
وقوله وابعد منشاها قال اي ابعد ارتفاعها قلت المنشأ محل النشو
وهو الموضع الذي نشاها منه فلا يفهم منه الارتفاع الا بالمعنى الاعلى تقدير
استعماله للموضع لا لانشاء لاستعمال المصدر اي بلغ بانشائها غاية بعيدة والاقرب
انه يشير الى انها نشأت من مبدأ بعيد لا يمكن الوقوف على اوله وهو قدرة
الحق سبحانه وجوده وقوله وامرها قال رحمه الله اي امر المؤكلين

بها من الملايكة بضرب الماء بعضه بعضا وتحريكه كمخض اللبن للزبد فاطلق الا
مر عليها مجازا لان الحكيم لا يامر الجماد قلت بل حمله على الامر التكويني اولى لان
في التقدير الذي يكون في التجوز في لفظ الامر لعدم القول المخصوص هناك فيحمل على
قهر ملايكتها وفي نسبته الى الريح ايضا اذا اريد ملايكتها اما اذا حملناه على الما
هو كان التجوز في لفظ الامر فقط دون النسبة فكان اولى وقوله وعصفها
بالفضاء اي مخض السقا ومثل عصفها بحذف المضاف الذي هو صفة المصدر واقام
المضاف اليه مقامه فلذلك نصبه نصب المصادر ايضا ولعلم ان اللام في قوله
بتصفيق الماء للمعهود السابق في قوله ما امتلا لها لان الماءين واحد ومثل هذا
التكرار جار في الكلام الفصيح كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون
الرسول فان قلت ان الاجواء والارجاء وسكائك الهواء امور عدمية فكيف يصح نسبتها
الى الانشاء عن القدرة قلت ان هذه الاشياء عبارة عن الخلاء والاحياز والخلاف
في ان الخلاء والحيز والمكان هل هي امور وجودية او عدمية مشهور فان كانت وجودية
كانت نسبتها الى القدرة ظاهرة ويكون معنى فتقها وشقها شق العدم عنها كما مر في قوله
فطر الخلايق بقدرته وان كانت عدمية كان معنى فتقها وشقها ونسبتها الى القدرة تقديرها
وجعلها احيازا للماء ومقارا له لانه لما كان تميزها عن مطلق الهواء والخلاء بايجاد الله
فيها الماء صار تعيينها له بسبب قدرته تعالى فصح نسبتها الى انشائه فكانه سبحانه شقها
وفتقها لحصول الجسم فيها وروي ان زرارة وهشاما اختلفا في الهواء اهو مخلوق ام لا فرفع
بعض موالي الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام اليه ذلك وقال له اني متحير وارى اصحابنا
يختلفون فيه فقال عليه السلام ليس هذا خلاف يؤدي الى الكفر والضلال واعلم انه انما
اعرض عن بيان ذلك لان اولياء الله الموكلين بايضاح سبيله وتثبيت خلقه على
صراط المستقيم لا يتفوهون بالذات الا الى احد امرين احدهما ما يؤدي الى الهدى اداء
ظاهرا او خفيا والثاني ما يصرف عن الضلال ويرد الى سواء السبيل وبيان ان الهواء
مخلوق او غير مخلوق لا يفيد كثير فايدة في امر المعاد فلا يكون الجهل به مما يضر في
ذلك فكان ترك بيانه والاشتغال بما هو اهم منه اولى **البحث
الرابع** ان القران الكريم نطق بان السماء تكونت من الدخان وكلامه عليه السلام
نطق بانها تكونت من الزبد وما ورد في الخبر ان ذلك الزبد هو الذي تكونت منه
الارض فلا بد من بيان وجه الجمع بين هذه الاشارة فنقول وجه الجمع بين كلامه عليه السلام

وبين

وبين لفظ القران الكريم ما ذكره الباقر عليه السلام وهو قوله فخرج من ذلك الموج
والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق منه السماء ولا شك ان القران الكريم
لا يريد بلفظ الدخان حقيقته لان ذلك انما يكون عن النار واتفق المفسرون على
ان هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفس الماء وتبخيره بسبب تموجه فهو اذن
استعارة للبخار الصاعد من الماء واذا كان كذلك فنقول ان كلامه عليه
السلام مطابق للفظ القران الكريم وذلك ان الزبد ايضا بخار يتصاعد على وجه الماء
عن حرارة حركته الا انه ما دامت الكثافة غالبة عليه فيبقى على وجه الماء لم ينفصل
فانه يختص باسم الزبد وما لطف وغلبت عليه الاجزاء الهوائية فانفصل خص باسم البخار
واذا كان الزبد بخارا والبخار هو المراد بالدخان في القران الكريم كان مقصده و
مقصد القران واحدا فكان البخار المنفصل هو الذي تكونت عنه السموات والذي لم
ينفصل هو الذي تكونت عنه الارض وهو الزبد واما وجه المشابهة بين الدخان
والبخار الذي صحت لاجله استعارة لفظه فهو امران احدهما حسي وهو الصورة المشا هدة
من الدخان والبخار حتى لا يكاد يفرق بينهما في الحس البصري والثاني معنوي
وهو كون البخار اجزاء مائية خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما ان الد
خان كذلك ولكن عن حرارة النار فان الدخان ايضا اجزاء مائية انفصلت من جرم
المحترق بسبب لطافتها عن حرارة النار فكان لا خلاف بينهما ليس الا بالسبب فلذلك صح
استعارة اسم احدهما للاخر وبالله التوفيق **البحث الخامس** قال
المتكلمون ان هذه الظواهر من القران وكلام علي عليه السلام لما دلت على ما دلت عليه
من كون الماء اصلا تكونت عنه السموات والارض وغير ذلك وثبت ان الترتيب المذكور
في المخلوقات امر ممكن في نفسه وثبت ان الباري تعالى فاعل مختار قادر على جميع الممكنات
ثم لم يقم عندنا دليل عقلي يمنع من اجراء هذه الظواهر على ما دلت عليه بظاهرها
وجب علينا القول بمقتضى تلك الظواهر ولا حاجة بنا الى التاويل لا يقال
ان جمهور المتكلمين متفقون على اثبات الجوهر الفرد وان الاجسام مركبة عنه فبعضهم
يقول ان الجواهر كانت ثابتة في عدمها والفاعل المختار كساها صفة التاليف و
الوجود وبعضهم وان منع ثبوتها في العدم الا انه يقول ان الله تعالى يوجد اولا تلك
الجواهر ثم تولف بينها فتوجد منه الاجسام فكيف يقال ان السموات والارض تكونت من
الماء لانا نقول هذا ظاهر لانه يجوز ان يخلق الله تعالى اولا الاجسام من تلك الجواهر

ثم تكون باقي الاجسام عن الاجسام الاولى واما الحكما فلما لم يكن الترتيب الذي اقتضته
هذه الظواهر في تكوين الاجسام موافقا لمقتضى ادلتهم لتاخر وجود العناصر عندهم
عن وجود السموات لاجرم عدل بعضهم الى تاويلها توفيقا بينها وبين مقتضى ادلتهم وذكروا
من التاويل وحسن **الوجه الاول** قالوا العالم عالمان عالم يسمى عالم
الامر وهو عالم الملائكة الروحانية والمجردات وعالم يسمى عالم الخلق وهو العالم الجسمان
يات وعلى ذلك حملوا قوله تعالى الا له الخلق والامر ثم قالوا ما من موجود في عالم
الجسمانيات الا وله نسبة الى عالم الروحانيات وهو مثال له بوجه ما ولولا ذلك
لانسد طريق الترقي الى العالم الروحاني وتعذر السفر الى الحضرة الالهية ثم كان من
مذهبهم ان بينوا ان قدرة الله سبحانه يرجع الى كون ذاته عالمة بالكل علما هو مبدا الكل
مبدا انه بالذات غير ماخوذة عن شي ولا متوقفة على وجود شي ثم لما دل دليلهم على
ان رتبة صدور العالم الامر اعلى في الوجود واسبق نسبة الى قدرة المبدع الاول من
عالم الخلق اذ كان صدور عالم الخلق انما هو بواسطة عالم الامر كان اعتبار ايجاد
عالم الامر عن القدرة امرا اولا واعتبار ايجاد عالم الخلق عنها امرا ثانيا متاخرا
عنه فعند ذلك قالوا ان الذي اشار اليه عليه السلم هاهنا موافق لما اصلناه ومناسب
له وذلك انه اشار بالاجواء والارجاء وسكائك الهواء الى سلسلة وجود الملائكة
المسماة بالعقول الفعالة على مراتبها متنازلة وبانشائها الى ايجادها وتفتيقها و
شقها الى وجودها وبالماء المتلاطم المتراكم الى الكمالات التي وجبت عنه سبحانه وباجل به
فيها الى افاضته على كل واحد منها ما استحقه بواسطة ما قبله وبالريح العاصف
الى الامر الاول الذي اشرنا اليه عن القدرة فاما وجه المناسبة بين هذه الامور
وبين ما ذكره فاما في التعبير عن العقول بالارجاء والاجواء والسكائك فمن جهة
انها قابلة للفيض والكمالات عن مبداها الاول كما ان الارجاء والاجواء وسكائك الهواء
قابلة لفيض ما يخرج عنه من سحاب او ينبوع واما في تسمية الفيض بالماء فلانه
لما لم يكن بحيث يتوقف الا على تمام القابل بحيث وجد سال بطبعه اليه كذلك الفيض
الالهي لا يتوقف صدوره عن واهبه الا على تمام القابل لكون الفاعل تام الفاعلية
في ذاته ولان الماء لما كان به قوام كل حي جسماني في عالم الكون كذلك الفيض الا
لهي هو مبدا قوام كل موجود قالوا ومثل هذا التشبيه جاء في القران الكريم قال
جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى انزل من السماء

ما

ماء فسالت اودية بقدرها ان المراد بالماء هو العلم وبالاودية قلوب العباد
وبانزاله افاضته على القلوب وبقوله فسالت بقدرها فان كل قلب منها يصل اليه
مقدار ما يستحقه ويقبله قالوا وذلك ان الله سبحانه انزل من سماء الكبرياء والجلا لف
ما مثل القران وعلومه على قلوب العباد لان القلوب يستقر فيها انوار علوم القران
كما الاودية يستقر فيها المياه النازلة من السماء وكما ان كل واد فانما يحصل فيه
من مياه الامطار ما يليق بسعته وضيقه فكذلك هاهنا كل قلب انما يحصل فيه من
انوار علم القران ما يليق بذلك القلب من طهارته وخبثه وقوة فهمه وقصور فهمه
وتمام التشبيه في الاية مذكور في التفاسير واما في نسبة الامر الاول بالريح العاصفة
فلان وقوعه كما كان دفعة غير منسوب الى زمان متوقف عليه كان انسب ما يشبه
به من الاجسام في السرعة والنفوذ هو الريح العاصف لكونها اسرع الاجسام حركة
وكذلك اكدها بوصف العصف تقريرا للسرعة التامة وما امرنا الا واحدة كلمح
بالبصر ووصف الزعزعة والقصف تحقيقا للقوة الغالبة والشدة للتزيدة
واما امره لها وتسليطها على شدة فلانه لما صورها بصورة الريح ساغ ان يقال الله
امرها وهو عبارة عن نسبة ذلك الى ذاته تعالى النسبة التي تجدها عقولنا الضعيفة
وفائدة الرد واستدها هاهنا هو ضبط امره سبحانه على وفق حكمته الكمالات الفائضة
عنه على كل مورد مورد بحسب نوعه المستلزم لرده عمن ليس له ذلك الكمال المعين
واما قرنها الى حده فاشار الى احاطة امره سبحانه بما لتلك القوابل من الكمالات
الفائضة واشتماله عليها وقوله الهواء من تحتها فتيق اشارة الى قبول القوابل
المذكورة والماء من فوقها دفيق اشارة الى ما يحمله امر الله من الفيض المذكور و
تلقيه على تلك القوابل وكذلك ترتب عقلا لا زمانا ملحقه فيعقل فيه التراخي
واما الريح الثانية فاشار بها عليه السلم الى الامر الثاني ووصفها باعتقام مهبها
اشارة الى عقد ذلك الامر وايقاعه على وفق الحكمة الالهية او الى عدم المانع لجريان
ذلك الامر وبادامة مربها الى افاضة مقادير ذلك الامر فكانه شبه الفيض القادر
بهذا الامر على هيولات الاجسام الفلكية بالدائمة الهاطلة على الاماكن التي تجتمع بها
وبقيم اوا راد الحال القابلة لذلك الامر المستلزمة له دائمة باقية واشار بالعصف
مجراها الى سرعة ذلك الامر كما وصف به الريح الاولى وبعد منشاها الى عدم اوليته
مبدا سعى بامره لهذه الريح الى نسبة ذلك الامر الى ذاته كما مر وتصفيق الماء الزخا ر

وانثاره امواج البحار الى فيضان صور الافلاك وكمالاتها الى امره سبحانه بواسطة
تلك الكمالات الفعلية للملائكة وانها غير مستقلة بايجاد شيء بل هي شرائط بعضها
لبعض ولغيرها وبانها سائر تلك الملائكة وتمخضها له محض السقاء وعصفها به
لعصفها بالقضاء وترديد بعضه على بعض اشارة الى قوة امر الله عليها وتصريفها
على حسب علمه بنظام الكل وتقديره على الكل فلك من الكمالات في ذات كل واحد ا
من تلك المبادى وقوله حتى عبّ عبابه اشارة الى بلوغ كمالات تلك الملائكة
الحاصلة لها بالفعل عن امر الله الى رتبة ان تعطى بواسطتها الفيض لغيرها و
كذلك قوله ورمى بالزبد ركامه اشارة الى اعطاء الصور للافلاك وكمالاتها بواسطتها
ولما كانت صور الافلاك محتاجة في قيامها في الوجود الى الهيولى كانت نسبتها الى الملا
ئكة المجردة نسبة اخس الى اشرف فبالحرى ان اطلق عليها اسم الزبد ولان هذه الصور
حاصلة عن تلك الكمالات العقلية وفايضة عنها كما ان الزبد منفصل عن الماء و
متكون عنه فتشابها واما رفعه في هواء منفتق فاشارة الى الحاق صور الافلاك
لموادها المستعدة او الى تخصيص وجودات الافلاك باحيازها ورفعها اليها وقوله
فسوى منه سبع سموات اشارة الى كمال الافلاك بما هي عليه من الوضع والتعديل
والترتيب واما تخصيصه بالسبع فلان الفلكين الباقيين في الشريعة معروفان
باسمين اخرين وهما العرش والكرسي ثم قالوا والى هذا اشار الحكماء السابقون
ايضا فان مرادنا ليس الملاطفة بالعنصر الاول هو المبدع الاول وكونه هو الماء لان المبدع
الاول واسطة في باقي الموجودات وفيه صورها وعنه تفاض كما انها كما ان بالماء كل
حي عنصري وبواسطته يكون وكذلك سر ما جاء في التورية فان المراد بالجوهر
المخلوق لله اولا هو المبدع الاول وكونه تعالى نظر اليه نظر الهيبة وذوبان اجزائه
اشارة الى صدور الفيض عنه بامر الله سبحانه وقدرته والزبد الذي تكونت منه
الارض والدخان الذي تكونت منه السموات اشارة الى كمالات السموات والارض و
صورها والصادرة عن كمالات عللها صدور البخار والزبد عن الماء وكل هذه تجوزات
واستعارات تلاحظ في تفاوت حسنها قرب المناسبة وبعدها **الوجه
الثاني** قال المحققون ان يكون مراده بالريح الاولى هو العقل الاول فانه للعالم
للفيض الالهي الى ما بعده وهو المحيط بصور الموجودات ويؤيد ذلك قوله الهواء
من تحتها فتيق والماء من فوقها دقيق فان الهواء اشارة الى القوابل بعينه

وبواسطة

وبواسطته والماء اشارة الى الفيض الصادر عن الاول سبحانه فان التدفق
لما كان مستلزما لسرعة حركة الماء وجريانه عبّر به عن الفيض الذي لا يوقف
فيه وبالريح الثانية عن العقل الثاني فانه هو الواسطة في افاضة انوار الله
سبحانه على ما بعده من العقول التسعة التي بواسطتها يصدر السموات السبع ووصف
الريحين بالعصف والقصف اشارة الى ما لحظ هذين المبدأين من القدرة وامره
الذي في الثانية بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار اشارة الى تحريك العقل
الثاني للعقول التي بعده الى افاضة كمالات الافلاك بامر الله تعالى وباقي
التاويل كما في التاويل الاول **قوله** جعل سفلاهن موجا مكفوفا الى
قوله وسقفا سائرا ورقيما مائرا **اقول** ههنا ابحاث
**البحث الاول** هذا الكلام يجري مجرى الشرح والتفسير لقوله فسوى
لان التسوية عبارة عن التعديل والوضع والهيئة التي عليها السموات وما فيهن
والغرض بهذا التفصيل تنبيه الاذهان الغافلة عن حكمة الصانع سبحانه في ملكوت
السموات وبدائع صنعه وضروب نعمه ليتذكروا نعمة ربهم فيواظبوا على عبادته
وحمده على تمام ذلك الاحسان كما قال تعالى لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فان كل هذه نعم على العباد وهي و
ان كان فيها ما بعد عن الاذهان الضعيفة كونه نعمة على العباد كحركات السموات
مثلا فاني احسب ان كثيرا من الغافلين يقولون وما فائدة حركة السماء في حقنا
لكنه اذا نبهت اذهانهم لذلك علمت انه لولا تلك الحركة لم يحصل شيء من المركبات
في هذا العالم اصلا فلم يكن العبد في نفسه فضلا عما يجري عليه من النعم الخارجة
عنه الان ان تلك الحركة قد يستلزم نعمة هي اقرب الى العبد من غيرها كالاستضاءة
بنور الكواكب والاهتداء بها في ظلمات البر والبحر واعدادها الابدان للصحة ونحو ذلك و
قد يستلزم نعما يستلزم نعما اخرى الى ان يتصل بالعبد كاعدادها الارض مثلا لحصول
المركبات التي منها قوام حياة العبد ولنعلم ان الله سبحانه ذكر امر السموات في
كتابه في مواضع كثيرة ولا شك ان اكثاره من ذكرها دليل عظم شانها وعلى ان له
سبحانه فيها اسرارا لا يصل اليها عقول البشر اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله عليه السلم
وعلياهن سقفا محفوظا كقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وحفظناها
من كل شيطان رجيم وقوله وحفظا من كل شيطان مارد وقوله وسمكا مرفو عا

بغير عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها كقوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها
وقوله ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وقوله ثم زينها بزينة
الكواكب وضياء الثواقب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
وقوله فاجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا كقوله تعالى وجعل القمر
فيهن نورا وجعل الشمس سراجا. البحث الثاني
في هذا الفصل استعارات. الاول قوله جعل سفلاهن موجا مكفوفا
استعار لفظ الموج للسماء لما بينهما من المشابهة في العلو والارتفاع وما يتوهم من
التموج وقال بعض الشارحين اراد انها كانت في الاول موجا ثم عقدها و
كفها اي منعها من السقوط الثانية قوله سقفا محفوظا استعارة لفظ السقف
من البيت للسماء في الاصل لما بينهما من المشابهة في الارتفاع والاحاطة ثم كثر ذلك
الاستعمال حتى صار اسما من اسماء السماء ويحتمل ان لا يكون منقولا واراد بقوله
محفوظا اي من الشياطين قال ابن عباس رضي الله عنه كانت الشياطين لا تحجب عن
السموات وكانوا يدخلونها ويتخبرون اخبارها فلما ولد عيسى عليه السلم منعوا من ثلث
سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه منعوا من السموات كلها فما منهم احد استرق السمع الا
رمي بشهاب فذلك معنى قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع
فاتبعه شهاب مبين وسنشير الى سر ذلك ان شاء الله تعالى وقوله
بغير عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها لما كان مقتضى قدرة العبد وغايتها اذا تمكن
من بناء بيت وانشاء سقف انه لا بد من اساطين وعمد يقوم عليها ذلك السقف
ودسار يشد بعضه الى بعض وكانت قدرة الله سبحانه اجل واعلى من الحاجة
الى امثال ذلك اراد ان يشير الى عظمته سبحانه وقوة قهره بسلب صفات
المخلوقين عنه وشرايط اثارهم عن قدرته والمعنى ان هذه الاجرام العظيمة بقيت
واقفة في الجو العالي ويستحيل ان يكون وقوفها هناك لذواتها لان الاجسام
متساوية في الجسمية فلو وجب حصول جسم في حيز لوجب حصول كل جسم في ذلك
الحيز ولان الاحياز والخلاء متساوية فلا اختصاص فيه لموضع دون اخر و
لا يجوز ان يقال انها معلقة بجسم اخر والا لكان الكلام في وقوف ذلك الجسم في
الجو كالكلام في الاول ويلزم التسلسل فلم يبق الا ان يقال ان وقوفها بقدرة
الصانع الحكيم القادر المختار فان قلت قوله تعالى ترونها يفهم منه ان هناك

عمد

عمد ولكنها غير مبصرة لنا وذلك يشبه نفيه عليه السلم للعمد مطلقا قلت الجواب
عنه من وجوه احدها انه يحتمل ان يكون قوله ترونها كلاما مستانفا والتقدير
بغير عمد وانتم ترونها كذلك الثاني يحتمل ان يكون في الكلام تقديم وتاخير
كما نقل عن الحسن البصري انه قال التقدير ترونها بغير عمد الثالث
وهو الالطف ما ذكره الامام فخر الدين رحمه الله فقال ان العماد هو ما يعتمد عليه
والسموات معتمدة وقايمة على قدرة الله تعالى فكانت هي العمد التي لا ترى وذلك
لا ينافي كلامه عليه السلم الرابع وهو الاحق ما ذكرته وهو انه قد ثبت في
اصول الفقه ان تخصيص الشيء بحكمه لا يدل على ان حكم غيره بخلافه فذلك الحكم فتخصيص
العمد المرئية للسموات بالسلب لا يستلزم ثبوت العمد غير المرئية لها الثالثة الثو
اقب استعارة في الاصل للشهب عن الاجسام التي يثقب جسما اخر وينفذ فيه و و
جه المشابهة التي لاجلها سمي الشهاب ثاقبا انه يثقب بنوره الهواء كما يثقب جسما لكنه
لكثرة الاستعمال فيه صار اطلاقه عليه حقيقة او قريبا منها الرابعة قوله سراجا
مستطيرا استعارة للشمس ووجه المشابهة ان السراج القوي المستطير لما كان من شانه
ان يضيء ما حوله وينتشر في جميع نواحي البيت ويهتدى به من الظلمة كذلك الشمس
مضيئة لهذا العالم ويهتدى بها المتصرف فيه الخامسة قوله رقيم استعارة
اصلية للفلك تشبيها له باللوح المرقوم فيه ثم كثر استعمال هذا اللفظ في الفلك
حتى صار اسما خاصا من اسمائه البحث الثالث اعلم ان
هذه الاستعارة يستلزم ملاحظة اخرى وهو تشبيه هذا العالم باسره ببيت
واحد فالسماء كقبة خضراء نصبت على الارض وجعلت سقفا محفوظا محجوبا عن
ان تصل اليه مردة الشياطين كما يحمى سقف البيت بالسهام والحراب عن مردة
اللصوص ثم هو مع غاية علوه وارتفاعه غير محمول بعمد يدعمه ولا منظوم بدسار
يشده بل بقدرة صانعه ومبدعه ثم ان تلك القبة مزينة بالكواكب و
ضيائها الذي هو احسن الزينة واجلها فلو لم يحصل صور الكواكب في الفلك
لبقي سطحها مظلما فلما خلق الله تعالى هذه الكواكب المشرقة في سطحه الاجرام
استنار وزان بذلك النور والضوء كما قال ابن عباس في قوله بزينة الكواكب
اي بضوئها وانت اذا تاملت هذه الكواكب المشرقة المضيئة في سطح الفلك
وجدتها عند النظر اليها كجواهر موضوعة في سطح من زمرد على اوضاع

انتقاضها الحملة او كما قال      وكان اجرام النجوم لوامعا

درر نثرن على بساط ازرق      ثم جعل من جملتها كوكبين هما اعظم الكواكب جرما و
اشدهما اشراقا واتمها ضياء ومع اشتمالها على تمام الحسن والزينة جعل احدهما
ضياء للنهار والاخر ضياء للليل ثم لم يجعل ذلك السقف ساكنا بل جعله متحركا ليكون
اثر صنعه فيه اظهر وصنع حكمته فيه ابدع ثم لم يجعل ذلك السقف طبقا واحدا
بل طباقا واسكن في كل طبق ملائكته جنوده وخواص ملكه الذين ضربت بينهم وبين
من دونهم حجب العزة واستار القدرة فلا يستطيع احد ان ينظر اليهم فضلا ان
يتشبه بالكلم وخالقهم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا هذا هو الحكمة
الظاهرة التي تتنبه لها من له ادنى فطنة فيحصل منها غيره تامل لاصناف
الخلق بحيث اذا لاحظوا مع جزئي من جزئيات اثار هذه القدرة اي امر استعظم
واستحسن من اي ملك فرض من ملوك الدنيا لم يكن بينهما من المناسبة الا خيال ضعيف
فان اي ملك فرض اذا هم بوضع بنيان وبالغ في تحسينه وتزويق سقوفه وترصيعها
بانواع الجواهر وترتيبه بالاوضاع المعجبة لابناء نوعه وبذل فيه جهده واستفرغ
فيه فكره لم يكن غايته الا ان يلحظ مما عمله نسبة خيالية بعيدة عن ظاهر هذا
الصنع العجيب والترتيب اللطيف هذا مع ما اشتمل عليه من الحكم الخفية والاسرار
الالهية التي يعجز القوى البشرية عن ادراكها ويحتاج فيما لاح منها الى
لطف قريحة وتوقد ذهن فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون
فانظر ايها المستبصر بعين بصيرتك المناسبة بين بيتك الذي تبنيه وهذا البيت العظيم
وقس سراجك الى سراجه وزينتك الى زينته ثم لاحظ مع ذلك انه انما خلقه لك
ولابناء نوعك ليكون فيه ومنه قوام حياتكم ووجودكم وليستدلوا بملكوت ما
خلق على كمال قدرته وحكمته ليرجعوا بذلك الى حضرته طاهرين من الرجس متشبهين
بسكان سقف هذا البيت وعرفه لان له حاجة اليه فانه الغني المطلق الذي
لا حاجة به الى شيء والعجب من الانسان انه ربما راى خشا خشا او تزويقا على
حايط فلا يزال يتعجب من حسنه وحذق صاحبه ثم يرى هذا الصنع العجيب والابداع
اللطيف فلا يدهشه عظمته صانعه وقدرته ولا الحيرة جلال مبدعه وحكمته

## البحث الرابع

     الشرع والبرهان قد تطابقا على
ان هاهنا تسع افلاك بعضها فوق بعض فمنها سبع سموات ثم الكرسي والعرش

بعبارة

بعبارة الناموس الالهي ثم الكرسي ما يشتمل على الكواكب وهي اجرام نورانية مستديرة
مصمتة مركوزة في اجرام الافلاك فاول الافلاك مما يلينا ليس من الكواكب الا القمر
وليس في الثاني الا عطارد وليس في الثالث الا الزهرة وليس في الرابع الا
الشمس وليس في الخامس الا المريخ وليس في السادس الا المشتري وفي السابع
الا زحل وهذه هي المسماة بالكواكب السبعة السيارة وما سواها من الكواكب
فيشتمل عليها الفلك الثامن واما التاسع فخال عن الكواكب او ان كان فليس
مدرك لنا ثم قد دل البرهان على ان الافلاك هي المتحركة بما فيها من الكواكب و
ان تلك الحركة دورية وكان كلامه عليه السلام مطابقا لذلك حيث قال في فلك دائر
وسقف سائر ورقيم مائر اذا عرفت ذلك فاعلم ان الله سبحانه
خلق الموجودات كلها على اتم انحاء الوجود واكمله فجميع الموجودات من الافلاك و
مقاديرها واعدادها وحركاتها المختلفة وهيأتها وهيئة الارض وما عليها من حيوان
ونبات ومعدن ونحوه انما وجد على الوجه الذي وجد عليه لحصول النظام الكلي
للعالم ولو كان بخلاف ما عليه لكان شرا وناقصا فخلق الافلاك والكواكب وما هي
عليه من الحركات والاوضاع وجعلها اسبابا لحدوث الحوادث في عالم الكون و
الفساد بواسطة كيفيات تحدثها فيها من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة و
يوجب ذلك امتزاج بعضها ببعض لامتزاجات مختلفة مستعدة لقبول صور
مختلفة من حيوان ونبات ومعدن واظهر الكواكب تاثيرا هو الشمس والقمر فان
لحركة الشمس اليومية يحصل النهار والليل فالنهار وهو زمان طلوعها يكون زمان
التكسب والطلب للمعاش الذي به يحصل قوام الحيوة ويكون سببا الى السعادة
الاخروية ثم انها في مدة حركتها اليومية لا يزال حظا من الاشراق والاستعداد
دية واما الليل وهو زمان غروبها فاني فيه هدو الخلق وقرارهم الذي به
يحصل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء كما قال
تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا
النهار معاشا ثم كانت الشمس من جهة ضوئها كسراج يدفع لاهل كل بيت يقضوا
حاجتهم ثم يرفع عنهم فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه
مصلحة هذا العالم    واما بحسب حركتها الجنوبية والشمالية فقد جعل سبحانه
ذلك سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء يغور الحرارة والنبات فيتولد
ربيع

منها مواد البخار ويكثر السحاب والامطار وتقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان
الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع يتحرك الطبايع ويظهر المواد المتولدة في
الشتاء ويسور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهوا فينضج الثمار
ويحل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيا للبناء والعمارة وفي الخريف
يظهر اليبس والبرد فينتقل فيه الابدان على التدريج الى الشتاء فانه لو وقع الانتقال
دفعة لهلكت وفسدت واما القمر فان بحركته يحصل الشهور والاعوام كما قال
سبحانه ولتعلموا عدد السنين والحساب فيتمكن العبد بالحساب من ترتيب معاشه با
الزراعة والحراثة واعداد مهمات الشتاء والصيف وباختلاف حاله في زيادته
ونقصانه تختلف احوال الرطوبات في هذا العالم فلو انه سبحانه خلق الافلاك دون
الكواكب لكان ان خلقها مظلمة لم يحصل ما ذكرنا من اختلاف الفصول والحر والبرد
فلم يتم في هذا العالم ما كانت اسبابا فيه من الاستعدادات ولم يتميز لنا قصد عن قصد
كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقوله هو الذي جعل لكم النجوم
لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وان خلقها مضيئة يشابه اثرها في الامكنة والازمنة
بل خلق فيها الكواكب ولم يخلقها ساكنة والا لافرط اثرها في موضع بعينه فيفسد
استعداده ويخلو موضع اخر عن التاثير ولما تميزت فصول السنة ولما حصل
البرد المحتاج اليه والحر المحتاج اليه فلم يتم نشو النبات والحيوان وعلى الجملة
فالنظام الكلي لا يحصل الا بهذا الوجه فهو اكمل انحاء الوجود وكل ذلك يدل على كمال
رحمة الله لخلقه وشمول عنايته لهم اذ كان جميع ما ذكرناه من المنافع الحاصلة
في هذا العالم مستندا الى علو تدبيره وكمال حكمته كما قال تعالى وسخر لكم الشمس والقمر
دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها ان الانسان لظلوم كفار لا يقال السؤال على ما ذكرتم من وجهين احدهما ان
الترتيب الذي ذكرتموه في تخصيص كل فلك ببعض الكواكب يشكل بقوله تعالى
انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح
الثاني ان الشهب الثواقب التي جعلت رجوما للشياطين على ما نطق به
القران الكريم اما ان يكون من الكواكب التي زينت بها السماء او لا يكون والاول باطل
لان هذه الشهب تبطل لما انقضاض ويضمحل فكان يلزم من ذلك على مرور الزمان
فناء الكواكب ونقصان اعدادها ومعلوم انه لم يوجد ذلك النقصان البتة

والثاني

والثاني يشكل بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين فانه يدل على كون الشهب التي جعلت للشياطين هي تلك المصابيح و
الكواكب التي زينت بها السماء لانا نجيب عن الاول بانه لا تنافي بين ظاهر الاية و
بين ما ذكرناه وذلك ان السماء الدنيا لما كانت لا تحجب ضوء الكواكب وكانت اوهام
الخلق حاكمة عند النظر الى السماء ومشاهدة الكواكب بكونها مزينة بها الاجرام
صح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب لان التزيين بها انما هو بالنسبة
الى اوهام الخلق للسماء الدنيا وعن الثاني انا نقول ان هذه الشهب غير تلك
الثوابت الباقية فاما قوله وزينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشيا
طين فنقول كل مضيء حصل في الجو العالي او في السماء فهو مصباح لاهل الارض الا
ان تلك المصابيح منها ثابتة على طول الزمان وهي الثوابت ومنها متغيرة وهي
هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين ويصدق عليها انها
زينة للسماء ايضا بالنسبة الى اوهامنا وبالله التوفيق قوله
ثم فتق ما بين السماوات العلى الى قوله ولا يشعرون اليه بالتخابر فيه الحاث
البحث الاول هذا الفصل ايضا من تمام التفسير لقوله
فسوى منه سبع سموات اذ كان ما اشار اليه ههنا من فتق السموات السبع طبقا
طباقا واسكان كل طبقة منها ملا معينا من الملائكة هو من تمام التسوية والتعديل
لعالم السموات فان قلت لم اخر ذكر فتق السماء واسكان الملائكة فيها عن ذكر اجرام
الشمس والقمر فيها وتزيينها بالكواكب ومعلوم ان فتقها متقدم على اختصاص بعضها
ببعض الكواكب قلت لان اشارته عليه السلم الى تسويته للسماوات اشارة
جليه فكانه قرر اولا ان الله خلق السموات كرة واحدة كما عليه بعض المفسرين لقوله
تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا وذكر علياهن وسفلاهن لجريانهما مجرى الثخين
الداخل والخارج لتلك الكرة ثم اشار الى بعض كمالاتها وهي الكواكب والشمس والقمر
جملة ثم بعد ذلك اراد التفصيل فاشار الى تفصيلها وتمييز بعضها على بعض بالفتق
واسكان كل واحدة منهن ملا معينا من الملائكة ثم عقب ذلك بتفصيل الملايكة
ولا شك ان تقديم الاجمال في الذكر وتعقيبه بالتفصيل اولى في الفصاحة والبلاغة
في الخطابة من العكس اذا عرفت ذلك فنقول قوله عليه السلام ثم فتق ما بين السموات
العلى كقوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

وقوله فاعتن الحوارا من ملايكته منهم سجود لا يركعون كقوله تعالى ولله يسجد من في السموات وقوله وله يسجدون ونحوه وقوله صافون لا يزايلون كقوله تعالى وانا لنحن الصافون والصافات صفا وقوله مسبحون لا يسامون كقوله تعالى يسبحون الليل والنهار وقوله ولا فتره لا يدان كقوله تعالى نزل به الروح الامين وقوله والسنه الى رسله كقوله تعالى جاعل الملايكه رسلا وقوله مختلفون بقضايه واموره كقوله تنزل الملايكه والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله تعالى ينزل الملايكه بالروح من امره على من يشاء من عباده وقوله ومنهم الحفظه لعباده كقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقوله والسدنه لابواب جنانه كقوله تعالى وقال لهم خزنتها وقوله والمناسبه لقوايم العرش لكنا فهم كقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيه وقوله باجنحتهم كقوله تعالى اولى اجنحه

البحث الثاني اعلم ان للناس في تفسير قوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اقوالا احدها قال ابن عباس والضحاك وعطاء وقتاده ان السماء والارض كانتا شيئا واحدا ملتزقين ففصل الله بينهما بالهواء الثاني قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتقها بها الثالث قال مجاهد والسدي كانت السموات طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض الرابع قال عكرمه وعطيه وابن عباس برواية اخرى عنه ان معنى كون السماء رتقا انها كانت لا تمطر وكانت الارض رتقا اى لا تنبت نباتا ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات ويويد ذلك قوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شيء حي ونظيره قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وقوله والارض ذات الصدع وقوله تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا الايه الخامس قال بعض الفضلاء ان معنى قوله كانتا رتقا اى كانتا امورا كلية في علم الله تعالى وفي اللوح المحفوظ وقوله ففتقناهما اشارة الى تشخصاتهما في الوجود الخارجي وتميز بعضها عن بعض وهذا القول مناسب للاقوال الثلثة الاول ويصلح تحقيقا لها ويحمل الريح التي ذكرها كعب على امر الله تعالى استعارة لما بينهما من المشابهة في السرعة السادس قال بعضهم ان معنى الرتق في هذه الايه هو انطباق دايرة

معدل

معدل النهار على فلك البروج ثم ان الفتق بعد ذلك عبارة عن ظهور الميل قالوا وتمامية ذلك قول ابن عباس وعكرمه فانهم لما قالوا ان معنى كون السماء رتقا انها لا تمطر ومعنى كون الارض رتقا انها لا تنبت كان الرتق والفتق بالمعنى الذي ذكرناه اشارة الى اسباب ما ذكروه اذ انطباق الدايرتين وهو الرتق يوجب خراب العالم لتعطل وعدم المطر والنباتات وظهور الميل الذي هو الفتق يوجب دخول الفصول وظهور المطر والنبات وساير انواع المكونات اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله عليه السلام ثم فتق ما بين السموات العلى موافق للاقوال الثلثة الاولى مع القول الخامس والتحقيق به اليق واما القول السادس فهو بعيد المناسبة لقوله عليه السلام وبيان ذلك ان قوله ثم فتق ما بين السموات العلى انما هو في معرض بيان كيفية خلق العالم الاعلى وكذلك اردفه وعقبه بالفاء في قوله فملاهن اطوارا من ملايكته والرتق والفتق في هذا القول متاخر عن تلك الاجرام العلوية بما فيها وما يتعلق بها ولا يعقل بعدم ظهور الميل بوجه ما على وجود الملايكة السماوية واسكانها لطباق السموات وبالله التوفيق البحث الثالث الملايكة على انواع كثيرة ومراتب متفاوتة فالمرتبه الاولى الملايكة المقربون كما قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون الثانية الملايكة الحاملون للعرش كقوله تعالى الذين يحملون العرش وقوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية الثالثة الحافون حول العرش كما قال تعالى وترى الملايكة حافين من حول العرش وقوله ومن حوله الرابعه ملايكة السموات والكرسي الخامسة ملايكة العناصر السابعة الملايكه الموكلون بالمركبات من المعدن والنبات والحيوان الثامنه الملايكة الحفظة الكرام الكاتبون كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ويدخل فيهم المعقبات المشار اليهم بقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله التاسعه ملايكه الجنة وخزنتها كما قال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم العاشره ملايكة النار كما قال تعالى عليها ملايكة غلاظ شداد وقال عليها تسعه عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة اذا عرفت ذلك فنقول اتفق الكل على ان الملايكه ليس عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة تجى وتذهب كالناس والبهايم بل القول المحصل فيها قولان الاول وهو قول المتكلمين انها اجسام نورانية الهيه خيرة سعيده قادرة على التصرفات السريعة والافعال الشاقة ذوات عقول وافهام وبعضها عند الله اقرب من البعض

واكمل درجة كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم والقول
الثاني قول غيرهم وهي انها ليست باجسام لكن منها ماهو مجرد عن الجسمية وعن
تدبير الاجسام ومنها من له الامر الاول دون الثاني ومنها من ليس بمجرد بل جسماني
حال في الاجسام وقايم بها ولهم في تنزيل المراتب المذكورة على قولهم تفصيل اما
المقربين فاشارة الى الذوات المقدسة عن الجسمية والجهة وعن حاجتها الى القيام
بها وعن تدبيرها واما حملة العرش فالارواح الموكلة بتدبير العرش وقيل هم
هم الثمانية المذكورة في القران الكريم ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم رؤساء
الملايكة المدبرين للكرسي والسموات السبع وذلك ان هذه الاجرام لها كالابدان
فهي بابدانها اشخاص حاملون للعرش فوقهم واما الحافون حول العرش فقيل هم
صفوف واقربهم الى العرش هي الارواح الحاملة للكرسي الموكلة به والمتصرفة فيه
واما ملايكة السموات فالارواح الموكلة بها والمتصرفة فيها بالتحريك والارادة في
باذن الله عز وجل وكذلك ملايكة العناصر والجبال والبحار والبراري والقفار و
ساير المركبات من المعدن والنبات والحيوان المسخر كل منها لفعله المخصوص على اختلاف
مراتبها واما الملايكة الحافظون الكرام الكاتبون فلهم فيها اقوال احدها قال بعضهم
ان الله سبحانه خلط الطبايع المتضادة ومزج بين العناصر المتنافرة حتى استعد
ذلك الممتزج ذلك بسبب ذلك الامتزاج لقبول النفس المدبرة والقوى الحسية و
الحركية فالمراد بتلك الحفظة التي ارسلها الله تعالى هي تلك النفوس والقوى
التي تحفظ تلك الطبايع المقهورة على امتزاجاتها وهي الضابطة على انفسها اعمالها
والمكتوب في الواحها صورها تفعله ليشهد به على انفسها يوم القيامة كما قال تعالى قالوا
شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين وهي المعقبات
من بين يدي الانسان ومن خلفه الحافظون له من امر الله وقيل الحفظة للعباد غير
الحفظة على العباد والكاتبين اعمالهم وسنشير الى ذلك الثاني قال بعض القدماء
ان هذه النفوس البشرية والارواح الانسانية مختلفة بجواهرها فبعضها خيرة وبعضها
شريرة وكذا القول في البلادة والذكاء والفجور والعفة والحرية والنذالة والنزف
والنذالة وغيرها من الصفات ولكل طايفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي
هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم يعينها على مهماتها في يقظتها ومناماتها تارة
على سبيل الرؤيا وتارة على سبيل الالهامات وهو مبدا لما يحدث فيها من خير وشر

ويعرف

ويعرف تلك المبادي في مصطلحهم بالطباع التام يعني ان تلك الارواح الفلكية في تلك
الطبايع والاخلاق تامة كاملة بالنسبة الى هذه الارواح السفلية وهي الحافظة لها
وعليها كما قال تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة الثالث
قول بعضهم ان النفوس المتعلقة بهذه الاجساد مشابهة ومشاكلة مع النفوس المفارقة عن
الاجساد فيكون لتلك المفارقة ميل الى النفوس التي لم يفارق فيكون لها تعلق ما عن الاجساد
فتكون لتلك المفارقة ايضا نوع لا ما بهذه الابدان بسبب ما بينها وبين نفوسها من المشابهة
والموافقة فيصير معاونة لهذه النفوس على مقتضى طباعها وشاهدة عليها كما قال تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد
واما ملايكة الجنة فاعلم ان الجنان المذكورة في القران ثمان وهي الجنة النعيم وجنة
الفردوس وجنة الخلد وجنة المأوى وجنة عدن ودار السلم وجنة
عرضها السموات ومن وراء الكل عرش الرحمن ذي الجلال والاكرام اذا عرفت ذلك فاعلم
ان هذه الجنان سكان وخزان من الملايكة اما السكان فهم الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم الذين يتلقون عباد الله
الصالحين بالشفقة والبشارة بالجنة وذلك ان الانسان الطبايع اذا كملت طاعته وبلغ
النهاية في الصورة الانسانية واستحق باعماله الصالحة وما اكتسبه من الافعال الزكية
صورة ملكية ورتبة سماوية وتلقته الملايكة الطيبون بالرافة والرحمة والشفقة
ويقبلوه بالروح والريحان ويقبلوه كما يقبل القوابل والدايات اولاد الملوك نفاخر
امور الدنيا وخيانات ردايها من ادناس التدنس والاستغراق وبالفرح والسرور و
مروا به الى الجنة فتعاين من البهجة والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ويبقى معهم عالما دراكا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ويتصل باخوانه المؤمنين
في الدنيا اخباره واحواله ويرا لهم في مناماتهم بالبشارة والسعادة وحسن المنقلب
فاذا كان يوم القيامة الكبرى عرجت به ملايكة الرحمة الى جنان النعيم والسرور المقيم
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى في غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الا
نهار واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قال بعض حكماء الاسلام ان تلك الملايكة
المتلقية له بالروح والريحان روحانيات الزهرة والمشتري وكان هذا القايل يقول
ان النفوس الانسانية السعيدة اذا فارقت ابدانها وحملت القوة المتوهمة معها والهيات
المتخيلة التي حصلت لها من الوعد الكريم في دار الدنيا من الجنات والحدايق والانهار

و الثمار و الحور العين و الكاس المعين و اللؤلؤ و المرجان و الولدان و الغلمان
فانه يفاض عليها بحسب استعدادها و طهارتها و ربحا ثواب الاخرة صور عقلية
في غاية البهاء و الزينة مناسبة لما كانت بتخيله من الامور المذكورة مناسبة ما و لما
كان لهذين الكوكبين ارتباط في اعداد النفوس للتخيلات البهية الحسنة و للفرح
و السرور لما ينسب في المشهور الى روحانيتهما من الافعال الحسنة فنسب تلقي الانسان
بعد المفارقة بالزلفة و الرحمة و الشفقة الى روحانيتهما و الله اعلم و اما
الخزنة للجنان فتشبه ان تكون هم السكان لها ايضا باعتبار اخر و ذلك انه
لما كان الخازن هو المتولي لاحوال ابواب الخزانة بفتحها و تفريق ما فيها على مستحقها
باذن رب الخزانة و حالكها و غلقها و منعها عن غير مستحقها و كانت الملائكة هم
المتولين لافاضة الكمالات و تفريق ضروب الاحسان و النعم على مستحقها و حفظها
و منعها عن غير مستحقها و المستعد بالطاعة لها باذن الله و حكمه لاجرم صدق
انهم خزان الجنان بهذا الاعتبار و هم الذين يدخلون على المؤمن من كل باب سلام
عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعض الفضلا ان العبد اذا راض
نفسه حتى استكمل مراتب القوة النظرية و مراتب القوة العملية فانه يستعد
بكل مرتبة من تلك المراتب لحال خاص يفاض عليه من الله تعالى و تناسبه
به الملائكة يدخلون عليه من كل باب من تلك الابواب بالسلام و التحية و الاكرام
ثم ان الرضا بقضاء الله من خير و شر باب عظيم من تلك الابواب فالملك الذي
يدخل على الانسان منه برضاء الله كما قال تعالى رضي الله عنهم و رضوا عنه
هو رضوان خازن الجنان و الله اعلم و اما ملائكة النار فقال بعض الفضلا
هي تسعة عشر نوعا من الزبانية لا يعصون الله ما امرهم و هم الخمسة الذين ذكرنا
انهم يوردون عليه الاخبار من خارج و يبسيم و الخازنان و الحاجب و الملك المتصرف
بين يديه باذن ربه و ملكا الغضب و الشهوة و السبعة الموكلون بامر
الغذاء و ذلك انه اذا كان يوم الطامة الكبرى و كان الانسان ممن اثر الحياة في
الدنيا حتى كانت الجحيم هي الماوى كانت اولئك التسعة عشر من الزبانية هم الناقلين
له الى الهاوية بسبب ما ستكبر من المشتهيات و اقترف من السيئات و اعرض
عن قوله تعالى و ان ليس للانسان الا ما سعى و ان سعيه سوف يرى ثم يجزاه
الجزاء الاوفى و ان الى ربك المنتهى و اعلم وفقك الله ان هولاء الذين ذكر



هذا القايل انهم ملائكة النار ربما كانوا ايضا مع الانسان اخر من ملائكة الجنة
و ذلك اذا استخدمهم ذلك الانسان في دار الدنيا على وفق اوامر الله و اوقفهم على
على طاعة الله دون ان يطلب منهم فوق ما خلقوا لاجله و امروا به من طاعته و
تعتبرهم الى معصية الله و ارتكاب نواهيه و محارمه و بالله التوفيق

**البحث الرابع** انه عليه السلم ذكر من الملائكة انواعا
و اشار بالركوع و السجود و الصف و التسبيح الى تفاوت مراتبهم في العبادة و الخضوع
و ذكر ان الله سبحانه قد خص كلا منهم بمرتبة معينة من الكمال في العلم و القدرة
لا يصل اليها من دونه و كل من كانت نعم الله عليه اكمل و اتم كانت عبادته اعلى
و طاعته اوفى ثم ان السجود و الركوع و الصف و التسبيح عبادات متعارفة بين
الخلق و متفاوتة في استلزام كمال الخضوع و الخشوع و لا يمكن حملها على ظواهرها
المفهومة منها لانه وضع الجبهة على الارض و انحناء الظهر و الوقوف في خط واحد
و حركة اللسان بالتسبيح امر يعيننه على وجود هذه الالات التي هي خا
صة ببعض الحيوانات فالحري ان يحمل تفاوت المراتب المذكورة لهم على تفاوت
كمالاتهم في الخضوع و الخشوع لكبرياء الله و عظمته اطلاقا للفظ الملزوم على
لازمه على ان السجود في اللغة هو الانقياد و الخضوع كما مر اذا عرفت ذلك فنقول
يحتمل ان يكون قوله عليه السلم منهم سجود اشارة الى مرتبة الملائكة المقربين لان درجتهم
اكمل درجات الملائكة فكانت نسبة عبادتهم و خضوعهم الى خضوع من دونهم كنسبة
خضوع السجود الى خضوع الركوع فان قلت انه قد تقدم ان الملائكة المقربين
مبرون عن تدبير الاجسام و التعلق بها فكيف يستقيم ان يكونوا من سكان السموات و من
الاطوار الذين ملئت بهم قلت ان علاقة الشي بالشي و رضا فته اليه يكفي فيها ادنى
مناسبة بينهما و المناسبة هاهنا حاصلة بين اجرام السماوية و بين هذا الطور من
الملائكة و هي مناسبة العلة للمعلول و الشرط للمشروط فكما جاز ان ينسب الباري
جل جلاله الى الاختصاص بالعرش و الاستواء عليه في لفظ القران الكريم مع تنزهه
تعالى و تقدسه عن هذا الظاهر و لم يجز في الحكمة ان يكشف للخلق من عظمة
الحق سبحانه اكثر من هذا القدر فلذلك جاز ان ينسب الملائكة المقربون الى
الكون في السموات بطريق الاولى و ان تنزهوا عن الاجسام و تدبيرها لان عليا
عليه السلم قاصدا قصد الرسول صلى الله عليه و قصد القران الكريم في ناطق به

وناطق به فليس له ان يفصح بما تنزل عنه الافهام وبالله التوفيق قوله وركوع يشبه ان تكون اشارة الى حملة العرش اذ كانوا الكل ممن دونهم فكانت نسبة عبادتهم الى عبادة من دونهم كنسبة خضوع الركوع الى خضوع الصف قوله وصافون يحتمل ان يكون اشارة الى الملائكة الحافين من حول العرش قيل انهم يقفون صفوفا لاداء العبادة كما اخبر تعالى عنهم وانا لنحن الصافون وتحقيق ذلك ان لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة معينة من الكمال تخصه وتلك الدرجات باقية غير متغيرة وذلك نسبة الصفوف ومما يؤيد القول بانهم الحافون حول العرش ما جاء في الخبر ان حول العرش سبعين الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح قوله ومسبحون يحتمل ان يكون المراد بهم الصافون وغيرهم من الملائكة والواو العاطفة وان اقتضت المغايرة الا ان المغايرة حاصلة اذ هم من حيث انهم صافون غيرهم من حيث هم مسبحون وتعدد هذه الاعتبارات يسوغ تعديد الاقسام ثم حسنها وعطف بعضها على بعض ويؤيد ذلك الجمع بين كونهم صافين وبين كونهم مسبحين في قوله تعالى وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ويحتمل ان يريد نوعا او انواعا اخر من ملائكة السموات فاما سلب الركوع عن الساجدين وسلب الانتصاب عن الراكعين وسلب المزايلة عن الصافين وسلب السأم عن المسبحين فاشارة الى كمال مراتبهم المعينة كل بالنسبة الى من هو دونه وتاكيد لها بعدم النقصانات اللاحقة فان الركوع وان كان عبادة الا انه نقصان بالنسبة الى السجود والانتصاب نقصان في درجة الراكع بالنسبة الى ركوعه وكذلك التزايل انفصال عن مرتبة الصف والنقص فيها وكذلك السأم في التسبيح نقصان فيه واعراض عن الجهة المقصودة به وايضا فالسأم والملال عبارة عن اعراض النفس عن الشيء بسبب كلال بعض القوى الطبيعية عن افعالها وذلك غير متصور في حق الملائكة السماوية فاما سلب غشيان النوم في قوله لا يغشاهم نوم العيون فهو ظاهر الصدق وبيانه ان غشيان النوم لهم مستلزم لصحة النوم عليهم واللازم باطل في حقهم فالملزوم مثله اما الملازمة فظاهر واما بطلان اللازم فلان النوم عبارة عن تعطيل الحواس الظاهرة عن افعالها لعدم انصباب الروح النفساني

اليها

اليها او رجوعها بعد الكلال والضعف والملائكة السماوية منزهون عن هذه الاسباب والالات فوجب ان يكون النوم غير صحيح في حقهم فوجب ان لا يغشاهم واما سلب سهو العقول وغفلة النسيان فاعلم ان الغفلة عبارة عن عدم التفطن للشيء وعدم عقليته بالفعل وهي اعم من السهو والنسيان وكالجنس لها بيان ذلك ان السهو هو الغفلة عن الشيء مع بقاء صورته او معناه في الخيال او الذكر بسبب اشتغال النفس والتفاتها الى بعض مهماتها واما النسيان فهو الغفلة عنه مع انمحاء صورته او معناه عن احدى الحواس بالكلية ولذلك يحتاج الناسي للشيء الى تجشم كسب جديد وكلفة في تحصيله ثانيا وبهذا يظهر الفرق بين الغفلة والسهو والنسيان واذا عرفت ذلك ظهر ان هذه الامور الثلثة من لواحق القوى الانسانية فوجب ان يكون مسلوبة عن الملائكة السماوية لسلب معروضاتها عنهم ولما ذكر سهو العقول ونفاه عنهم اردفه بسلب ما هو اعم منه وهو الغفلة لاستلزام سلبها سلب النسيان وقد كان ذلك كافيا في سلب النسيان الا انه اضاف الغفلة اليه ليتاكد سلبه بسلبها ولما قوله ولا فترة الابدان فلان الفترة هي وقوف الاعضاء البدنية عن العمل وقصورها بسبب تحلل الارواح البدنية وضعفها ورجوعها للاستراحة وكل ذلك من توابع المزاج الحيواني فلا جرم صدق سلبها عنهم قوله ومنهم الامناء على وحيه والسنة الى رسله مختلفون بقضايه وامره يشبه ان يكون هذا القسم داخلا في الاقسام السابقة من الملائكة وانما ذكره ثانيا باعتبار وصف الامانة على الوحي والرسالة والاختلاف بالاوامر الى الانبياء عليهم السلم وغيرهم لان من جملة الملائكة المرسلين جبرئيل عليه السلم وهو من الملائكة المقربين واعلم انه لما ثبت ان الوحي وساير الافاضات من الله تعالى على عباده بواسطة الملائكة كما علمت كيفية ذلك لا جرم صدق ان منهم امناء على وحيه والسنة الى رسله اذ كان الامين هو الحافظ لما كلف بحفظه على ما هو عليه ليؤديه الى مستحقه وافاضة الوحي النازل بواسطة الملائكة محفوظة نازلة كما هي مبراة عن الخلل الصادر عن سهو لعدم معروضات السهو هناك او عن عمد لعدم الداعي اليه ولقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما كونهم السنة الى رسله ففي استعارة حسنة اذ يقال فلان لسان قومه اي المفصح عن احوالهم والمخاطب عنهم فيطلق

عليه اسم اللسان لكونه مفصحا عما في النفس ولما كانت الملائكة وسايط بين الحق
سبحانه وبين رسله ع مادية لخطابه الكرام اليهم لاجرم حسن استعارة هذا
اللفظ لهم لمكان المشابهة والمراد هاهنا بالاختلاف التردد بامر الله وما قضي
به مرة بعد اخرى وبالقضاء الامور المقضية اذ يقال هذا قضاء الله
اي مقضي الله ولا يراد به المصدر فان معنى ذلك هو سطر ما كان وما يكون
في اللوح المحفوظ بالقلم الاعلى وذلك امر قد فرغ منه كما قال صلعم
جف القلم بما هو كاين فان قلت كيف يصح ان يكون هذا القسم داخلا في
السجود لان من كان ابدا ساجدا كيف يتصور ان يكون مع ذلك مترددا
في الرسالة والنزول والصعود ومختلفا بالاوامر والنواهي الى الرسل
عليهم السلام قلت انا بينا انه ليس المراد بسجود الملائكة هو وضع الجبهة
على الارض بالكيفية التي نحن عليها وانما هو عبارة عن كمال عبوديتهم لله
تعالى وخضوعهم تحت قهر قدرته وذلتهم برق الامكان والحاجة تحت
ملك وجوب وجوده ومعلوم انه ليس من السجود بهذا المعنى وبين تر
ددهم باوامر الله تعالى واختلافهم بقضايه على وفق مشيته وامره منا
فاة بل كل ذلك من كمال عبوديتهم وخضوعهم لعزته واعترافهم
بكمال عظمته قوله ومنهم الحفظة لعباده فاعلم ان في هذا القسم
مطلوبين احدهما ما الحفظة والثاني ما المراد منهم ثم الحفظة منهم
حفظة للعباد كما قال تعالى معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله ومنهم حفظة على العباد كما قال تعالى ويرسل عليكم حفظة
والمراد من الاولين حفظ العباد بامر الله تعالى من الافات التي تعرض
لهم ومن الاخرين ضبط الاعمال والاقوال من الطاعات والمعاصي كما
قال كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وكقوله ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد قال ابن عباس ان مع كل انسان
ملكين احدهما على يمينه والاخر على يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها
من على يمينه واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر
لعله يتوب منها فان لم يتب كتبت عليه قال المفسرون فايدة ذلك
ان المكلف اذا علم ان الملايكة موكلون عليه باعماله ويكتبونها في

بها يحضرون صح

صحايف

في صحايف يعرض على رؤوس الاشهاد في موقف القيامة كان ذلك ازجر له
عن القبايح واعلم انه يحتمل ان يكون العدد المذكور في الحفظة تعددا
بحسب الذوات ويحتمل ان يكون بحسب الاعتبار قال بعض من زعم
ان الحفظة للعباد هو القوى التي ارسلها الله تعالى من سما جوده على الابدان
البشرية يحتمل ان يكون الحفظة على العباد هي مبادي تلك القوى ويكون
معنى كتبه للسيئات والحسنات وضبطها على العباد دائما اعتبارات ما يصدر
ويتعدد عن العبد من السيئات والحسنات في علم تلك المبادي او يكون معناها
كتبه صورة الافعال الخيرية والشرية المنسوبة الى العبد بقلم الافاضة في لوح
نفسه بحسب استعدادها لذلك قال ويشبه ان يكون اشارة ابن
عباس رضي الله عنه بان ملك اليسار كانت السيئات توبة العبد الى انه
ما دامت السيئة حاله غير متمكنة من جوهر نفس العبد فان رحمة الله سعته
فاذا تاب من تلك السيئة لم يكتب في لوح نفسه وان لم يتب حتى صارت ملكة راسخة
في نفسه كتبت وعرضت بها يوم يقوم الساعة قال ويحتمل ان يكون الحفظة على
العباد هم باعيانهم من الحفظة لهم فان النفس تحفظ في جوهرها ما يفعله من خير و
شر وتحصيه يوم البعث على نفسها اذا زالت عنها الغواشي البدنية وتجده مصورا
مفصلا لا يعزب عنها منه شيء كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وكما قال تعالى ونخرج
له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا و
كما قال فاذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور قال واما من كو
نهم من ملايكة السماء فان اصلهم من ملايكة السماء ارسلوا الى الارض والله اعلم و
اما السدنة لابواب جنانه فقد عرفت ما قيل فيهم وقوله ومنهم الثابتة
في الارض السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار
اركانهم والمناسبة لقوايم العرش اكتافهم فاعلم ان هذه الاوصاف وردت في
صفة الملايكة الحاملين العرش في كثير من الاخبار فيشبه ان يكونوا هم المقصودون
بها هاهنا روى عن ميسرة انه قال ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش
وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء
السابعة اشد خوفا من اهل السماء السادسة وهكذا الى سماء الدنيا وعن ابن عباس

قال قال رسول الله صلى الله عليه لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما
خلق من الملائكة فان خلقا منهم يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على
كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضال
من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع والوصع طاير صغير وعن ابن عباس ايضا
قال لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال
لهم قولوا لا حول ولا قوة الا بالله قالوا ذلك استقل عرش ربنا فنفذت ا
قدامهم في الارض السابعة على متن الثرى فلم يستقر فكتب في قدم كل ملك
منهم اسما من اسمائه فاستقرت اقدامهم ووجه هذا الخبر ان وجود الملائكة و
بقاءهم وحولهم وقوتهم التي بها هم ما هم انما هو من حوله وقوته وهمته فلولا انه
سبحانه خلقهم وقال لهم احملوا عرشي ولم يكن لهم استعانة ولا مدد بحول الله وقوته
ومعونته لم ينهضوا لحمل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فضلا عن تدبير
العرش الذي هو اعظم الاجرام الموجودة في العالم اذا عرفت ذلك
نقول اما من قال بان الملائكة اجسام كان حمل صفاتهم المذكورة في هذه الا
خبار و في كلامه عليه السلم على ظاهرها امرا ممكنا والله تعالى قادر على جميع الممكنات
واما من نزههم عن الجسمية فقال ان الله سبحانه لما خلق الملائكة السماوية محركين
لاجرام السموات مدبرين لها لما عالم الكون والفساد واسبابا لما حدث فيه كانوا
معطين باذن الله علما بما في السموات والارض فلا جرم كان منهم من ثبتت في تخوم
الارض السفلى اقدام ادراكاتهم التي ثبتت واستقرت باسم الله الاعظم وعلمه الاعظم
الاكرم ونفذت في بواطن الموجودات خبرا ومرقت من السماء العليا اعناق عقولهم
وخرجت من اقطارها اركان قوائم العقلية وقوله المناسبة لقوايم
العرش اكتافهم يريد انهم مشبهون ومناسبون لقوايم العرش في بقايهم وثباتهم
عن التزايل من تحته ابدا الى ما شاء الله فان قلت فهل هناك قوايم غير الحاملين
للعرش الذي اشار اليهم ويكون هذه الطايفة من الملائكة مناسبة لتلك القوايم
ام لا قلت قد جاء في الخبر ان للعرش له قوايم روى عن جعفر بن محمد عن ابيه
عن جده عليهم السلم انه قال بين القايمة من قوايم العرش والقايمة الاخرى خفقان
الطير المسرع ثمانين الف عام قال بعض المحققين ان هناك قوايم ثماني قد
فوض الله تعالى الى كل ملك من الملائكة الثمانية الحاملين للعرش تدبير قايمة

منها

منها وحملها ووكله بها اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قد اشار عليه السلم
بقوله مناسبة لقوايم العرش اكتافهم الى اثبات قوايم للعرش واثبات هنا سببه
لاكتافهم ولاء الملائكة مع تلك القوايم ووجه المناسبة ان الكتف لما كان محل
القوة والشدة استعاره عليه السلم هنا للقدرة والقوة التي يخص كل ملك من تلك
الملائكة وبها يدبر تلك القائمة من العرش ولا شك ان بين كل قائمة من تلك القوايم و
بين كل قدرة من تلك القدر مناسبة فلاجلها خص الله سبحانه ذلك الملك بحمل تلك القائمة
وذلك معنى قوله المناسبة لقوايم العرش اكتافهم ويحتمل ان يكون كما استعار لهم لفظ
الاقدام استعار ايضا لهم لفظ الاكتاف ثم شبه قيامهم بامر الله في حملهم للعرش كقيام
الاساطين التي يبنى عليها الواحد منا عرشه فهم مناسبون ومشابهون لقوايم العرش
التي بني عليها من غير ان يكون هناك تعرض لاثبات قوايم بل هم يشبه القوايم قوله
ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم المضمران في دونه وتحته راجعان الى
العرش وقد جاء في الخبر عن وهب بن منبه قال ان لكل ملك من حملة العرش ومن
حوله اربعة اجنحة اما جناحان فعلى وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق واما
جناحان فيهفو بهما ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد وكنى عليه السلم بتنكيس ابصارهم
عن كمال خشيتهم لله تعالى واعترافهم بقصور ابصار عقولهم عن ادراك ما وراء كمالاتهم
المقدرة لهم وضعفها عن قبول ما لا تحتمله من انوار الله وعظمته المشاهدة في
خلق عرشه وما فوقه من مبدعاته فان شعاع ابصارهم منته واقف دون حجب
عزة الله وعن يزيد الرقاشي ان لله تعالى ملائكة حول العرش يسمون المحلبين تجري
اعينهم مثل الانهار الى يوم القيامة يميدون كانما ينفضهم الرياح من خشية الله تعالى
فيقول لهم الرب جل جلاله ملائكتي ما الذي يخيفكم فيقولون ربنا لو ان اهل الارض اطلعوا
على عزتك وعظمتك ما اطلعنا عليه ما ساغوا طعاما ولا شرابا ولا انبسطوا في فرشهم
ولخرجوا الى الصحراء يخورون كما يخور الثور واعلم انه لما كان الجناح من الطاير و
الانسان عبارة عن محل القوة والقدرة والبطش صح ان يستعار للملائكة على سبيل
الكناية عن كمالهم في قدرهم وقوتهم التي بها يطيرون في بيداء جلال الله وعظمته و
يصدر بواسطتهم كمالات ما دونهم من مخلوقات الله وصح ان يوصف تلك الاجنحة
بالقلة والكثرة في احادهم ويكون ذلك كناية عن تفاوت مراتبهم وزيادة كمال
بعضهم على بعض ولما استعار لفظ الاجنحة استلزم ذلك ان يكون قد شبههم بالطاير

فلما

ذي الجناح ثم لما كان الطاير عند قبض جناحه يشبه المتلفع بثوبه والمتلف به
وكانت اجنحة الملايكة التي هي عبارة عن كمالهم في قدرهم وعلومهم مقبوضة قاصرة
عن التعلق بمثل مقدورات الله ومبدعاته وافقه دون جلاله وعظمته في صنعه
لاجرم اشبه ذلك قبض الاجنحة المشبهة للتلفع بالثوب فاستعار عليه السلم لفظ
التلفع ايضا وكنى به عن كمال خضوعهم وانقيادهم تحت سلطان الله وقوته لما
هو في صور عرشه فان قلت انك تثبت ان المراد بالركوع هم حملة العرش فكيف
يستقيم مع ذلك ان يقال ان هذا القسم هم حملة العرش ايضا فان كان اقدامهم في تخوم
الارضين واعناقهم خارجة من السموات السبع ومن الكرسي والعرش كيف مع ذلك
راكعا قلت الجواب عنه قد سبق في قوله ومنهم امنا الله على وحيه فان الركوع
ايضا المقصود منه الخشوع لعزة الله وعظمته وذلك غير مناف للاوصاف المذكورة
هاهنا وبالله التوفيق قوله مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة و
استار القدرة اشارة الى ان الالات البشرية قاصرة عن ادراكهم والوصول اليهم
وذكر لتنزهم عن الجسمية والجهة وقربهم من عزة مبدعهم الاول جل جلاله وبعد العقول
الانسانية عن الوقوف على الطوارهم المختلفة ومراتبهم المتفاوتة واذا كان الحال في الملك
العظيم من ملوك الدنيا اذا بلغ في التعزز والتعظم الى حيث لا يراه الا احاد خواصه
وكان الحال ايضا في بعض خواصه كذلك كالوزير والحاجب والنديم فانهم لا يصل اليهم
كل الناس بل لا يصل اليه الا من كانت له اليهم وسيلة تامة وعلاقة قوية وكان
منشاء ذلك انما هو عظمة الملك وهيبته وقربهم منه فكان الحايل بينهم ومن غيرهم
انما هو حجب عزة الملك واستار قدرته وقهره فكيف الحال في جبار الجبابرة ومالك
الدنيا والاخرة وحال ملايكته المقربين ومن يليهم من حملة العرش الذي ... هو اجرى كان
سبب عدم وصول قوانا الضعيفة اليهم وادراكها لمراتبهم هو حجب عزة الله وعظمته لهم وكمال
ملكه وتمام قدرته وما اهلهم له من قربه ومطالعة انوار كبريا به وعز سلطانه وجلاله الاهو
قوله ولا يتوهمون ربهم بالتصوير اشارة الى تنزيههم عن ادراكات الوهمية الخيالية
في حق مبدعهم عز سلطانه اذا كان الوهم انما يتعلق بالامور المحسوسة ذات الصور
والاحجام والمحال الجسمانية فالوهم وان ارسل طرفه الى قبله وجوب الوجود وبالغ في تقليب
حدقته فلن يرجع الا بمعنى جزئي يتعلق بمحسوس حتى انه لا يقدر نفسه ولا يدركها الا ذات
مقدار وحجم ولما كان الوهم من خواص المزاج الحيواني لاجرم سلب التوهم عن هذا الطور

من الملايكة

من الملايكة لعدم قوة الوهم هناك فان هذه القوة لما كانت موجودة للانسان
لاجرم لعدم قوة الوهم كان يدرك ربه في جهة ويشير اليه متحيزا ذا مقدار وصورة ولذلك
وردت الكتب الالهية والنواميس الشرعية مشحونة بصفات التجسيم كاثبات العين
واليد والاستواء على العرش ونحو ذلك خطابا للخلق بما يدركه اوهامهم وتوطينا
لهم وايناسا حتى ان الشارع لو اخذ في بدو الامر يبين لهم ان الصانع الحكيم ليس داخل العالم
ولا خارجه ولا في جهة وليس بجسم ولا عرض لاشتد نفارهم عن قبول ذلك وعظم
انكارهم له فان الوهم في طبيعته لا يثبت موجودا بهذه الصفة ولا يتصوره ومن شانه ان
ينكر ما لا يتصوره فكان منكرا لهذا القسم من الموجودات والخطابات الشرعية وان وردت
بصفات التجسيم الا ان الالفاظ الموهمة لذلك لما كانت قابلة للتاويل محتملة له كانت
وافية بالمقاصد اذ العاقل المعتد في ظلمات الجهل يحمله على ظاهره فيحصل بذلك بعيده
عن ... اعتقاده وذو البصيرة المترقي عن تلك الدرجة يحمله على ما يحتمله عقله من
التاويل وكذلك حال من هو اعلى منه والناس في ذلك على مراتب فكان ايرادها حسنا
وحكمة قوله ولا يجرون عليه صفات المصنوعين اقول
اجراء صفات المصنوعين عليه انما يكون بمناسبته ومماثلته مع مصنوعاته وكونها مثله
وذلك يكون بقياس من الوهم ومحاكاة من المتخيلة له بصورة المصنوع فكان الوهم يحكم اولا بكونه
البادي عز سلطانه مثلا لمصنوعاته التي يتعلق ادراكه بها من المتحيزات وما يقوم بها
وتخيله بصورة منها ثم يساعده العقل في مقدمة اخرى وهي ان حكم الشي حكم مثله فيجري
عليه صفات مصنوعاته التي حكم بتشبيهه بها ولما كانت الملايكة السماوية منزهين
عن الوهم والخيال لاجرم وجب تنزههم ان يجروا عليه صفات مصنوعاته سبحانه
وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وكذلك قوله ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون
اليه بالنظاير فان الحاكم بحده في مكان محسوس فيه والمشار اليه بالمثل المتصور له بالقياس
الى نظير يشاكله ويشابهه انما هو الوهم والخيال ولما عرفت انهما من خواص الحيوان العنصري
لاجرم كانت هذه الاحكام مسلوبة عن الملايكة السماوية مطلقا وبالله التوفيق

## الفصل الثالث

في كيفية خلق ادم عليه السلم قوله منها في خلق ادم عليه السلم ثم جمع سبحانه
من حزن الارض الى قوله وتناسل الذرية اقول الحزن من
الارض ما غلظ منها واشتد كالجبل والسهل ما لان وعذبها ما طاب واستعد للنبات

والزارع والتبيح ما مجّ منها والمسنون الطين الرطب في قول ابن عباس وعن ابي الشيخ عن ابي عمرو انه المتغير وقول ابن عباس انسب الى كلام على عليه السلم لان قوله وسنها بالماء حتى لزبت اى انه خلطها بالماء حتى صارت طينا رطبا يلتصق وصلصال قال بعضهم الصلصال هو المنتن من قولهم صلّ اللحم واصلّ اذا انتن وقيل هو الطين اليابس الذى تصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل واذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة ولاطها بالبلة اى خلطها بالرطوبة ومزجها بها والبلة بالكسر النداوة وبالفتح واحدة البل واللازب اللاصق واصل الباء الميم وجبل اى خلق والاحناء جمع حنو وهى الجوانب والوصول جمع كثرة للوصل وهى المفاصل وجمع القلة اوصال والاعضاء جمع عضو بالكسر والضم كاليد والرجل للحيوان واصلدها اى جعلها صلدا وهى الشديد الصلب والذهن في اللغة الفطنة والحفظ وفي الاصطلاح العلمى عبارة عن القوى المدركة من العقل والحس الباطن والفكر جمع فكرة وهى قوة للنفس بها تحصل الادراكات العقلية ويشبه ان يكون اصل الانسان انس وهو الانيس والالف والنون في اصل الحرفها له للتثنية وذلك لان الانس امرينى لا يتحقق الابين شيئين ولما كان كل واحد من الناس يانس بصاحبه قيل انسان ثم كثر استعماله حتى جرت على النون وجوه الاعراب والمسماه الفم والجوارح الاعضاء والاخدام والاستخدام الخدم والادوات جمع اداة واصلها الواو وكذلك ردت في الجمع والاستعداد طلب الاداء والخنوع الخضوع واشتقاق ابليس من الابلاس وهو الياس والبعد لبعده من رحمة الله والحمية الانفة واعترتهم اى غلبتهم والوهن الضعف والنظرة بفتح النون وكسر الظاء الامهال والسخط الغضب واغتره اى استغفله ونفس بالامر عليه نفاسة اذا لم يره مستحقا له والعزيمة الاهتمام بالشى والجذل السرور والعباطة الاذلال اذا عرفت ذلك فنقول للناس في هذه القصة طريقان الطريق الاول ان جمهور المسلمين من المفسرين والمتكلمين حملوا هذه القصة على ظاهرها ثم ذكروا فيها ابحاثا

**البحث الاول** ان هذه القصة قد كررها سبحانه في كتابه الكريم في سبع سور وهى سورة البقرة والاعراف والحجر وسورة بنى اسرائيل والكهف وطه وسورة ص وذلك لما يشتمل عليه من تذكير وتنبيههم من مراقد الطبيعة التى جرتهم اليها ابليس والتحذير من فتنته وفتنة جنوده والجذب الى جناب الله ومطالعة انوار كبريائه كما قال تعالى يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الاية فقوله عليه السلم تربة كقوله تعالى خلقه من تراب وقوله سنها بالماء كقوله من حما مسنون

وقول



وقوله لاطها بالبلة حتى لزبت كقوله تعالى من طين لازب وقوله حتى صلصلت كقوله تعالى من صلصال وقوله ثم نفخ فيه من روحه كقوله فاذا نفخت فيه من روحى وقوله ونفخ فيه من روحه وقوله ذا اذهان يجيلها وفكر يتصرف فيها وجوارح يختدمها كقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وقوله واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم كقوله تعالى فقعوا له ساجدين وقوله اسجدوا وقوله الا ابليس كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس وقوله اعترته الحمية الى قوله وتعزز بخلقة النار واستوهن خلق الصلصال كقوله تعالى حكاية عن ابليس انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وقوله ءاسجد لبشر خلقته من صلصال وقوله فاعطاه الله النظرة الى يوم الوقت المعلوم كقوله تعالى قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقوله ثم اسكن سبحانه ادم دار ارغد فيها عيشه كقوله تعالى فقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا منها رغدا حيث شئتما وقوله وحذره ابليس وعداوته كقوله تعالى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وقوله فاغتره ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار كقوله فوسوس اليه الشيطان الاية وقوله فدلاهما بغرور وقوله فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه كقوله تعالى فنسى ولم نجد له عزما وقوله واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما كقوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقوله ثم بسط الله له في توبته ولقاه كلمة رحمته كقوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات الاية ووعده المراد الى جنته ذلك الوعد في قوله تعالى فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فاهبطه الى دار البلية كقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا

**البحث الثانى** ان الله تعالى اشار في مواضع من كتابه الكريم الى خلق ادم من تراب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقال في موضع اخر انى خالق بشرا من طين وقال في موضع اخر ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون قال بعض العلماء ووجه الجمع بين هذه الايات ان يقول انه تعالى خلقه اولا من تراب ثم من طين ثم من حما مسنون ثم من صلصال قال المتكلمون وانما خلقه تعالى على هذا الوجه اما لمحض المشية او لما فيه من دلالة الملائكة على كمال قدرته وعجيب صنعه لان خلق

قيل هو غفلته عن تيل النفخ وذكر وقوله النفخ نه

الانسان في هذه المراتب اعجب عندهم من خلقه من جنسهم اذا عرفت ذلك فاعلم
ان كلامه عليه السلم هاهنا يجري مجرى الترتيب والتفسير لهذه الايات فانه
اشار اولا الى كونه من تراب بقوله ثم جمع سبحانه من سهل الارض وحزنها و
عذبها وسبخها تربة ونحو ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال ان
الله خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو ادم على قدر الارض فجاء منهم الاحمر
والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب واعلم ان
جمهور المسلمين المفسرين على ان الانسان في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين هو ابونا ادم عليه السلم ونقل عن محمد بن علي الباقر عليهما السلم انه قد انقضى
قبل ادم الذي هو ابونا الف الف ادم او اكثر قال بعض العلماء وهذا لا ينافي حدوث
العالم فانه كيف كان لا بد من الانتهاء الى انسان هو اول الناس فاما ان ذلك الانسان
هو ابونا ادم فلا طريق الى اثباته الا من جهة السمع

## البحث الثالث

اجمع المسلمون على ان سجود الملائكة لادم لم يكن سجود عبادة لان العبادة لغير الله
كفر ثم اختلفوا على ثلثة اقوال احدها ان ذلك السجود كان لله وادم كان كالقبلة
وكما يحسن ان يقال سجدوا الى ادم كذلك يحسن ان يقال سجدوا للقبلة بدليل قول حسان
بن ثابت ما كنت احسب ان الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن ابي حسن
اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالايات والسنن
فقوله صلى لقبلتكم نص على المقصود الثاني ان السجود كان لادم تعظيما له وتحية
كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة يفعل ذلك كما يحيي المسلمون بعضهم بعضا
وعن صهيب ان معاذا رضي الله عنه لما قدم من اليمن سجد للنبي صلعم فقال يا معاذ
ما هذا فقال رايت اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها ورايت النصارى تسجد لقسيسيها
وبطارقها فقلت ما هذا فقال تحية الانبياء فقال صلى الله عليه كذبوا على
انبيائهم الثالث ان السجود في اصل اللغة عبارة عن الانقياد والخضوع
كما قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر اي ان تلك الجبال الصغار
كانت مذللة لحوافر الخيل ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان والقول
الثاني هو مقتضى كلامه عليه السلم اذ فسر السجود به فقال والخنوع اكرمة
وبالله التوفيق

## البحث الرابع

اختلفوا في الملائكة هم الملائكة
الذين اهبطوا مع ابليس الى الارض قالوا وذلك ان الله تعالى لما خلق السموات

[الذين امروا بالسجود لادم ... بعضهم ... وقالوا المامورون ...]

والارض

والارض وخلق الملائكة اهبط منهم ملا الى الارض يسمون بالجن راسهم ابليس واسكنهم
اياها وكانوا اخف الملائكة عبادة فاعجب ابليس بنفسه وتداخله الكبر فاطلع الله
عز وجل على ما انطوى عليه فقال له ولهذه اني خالق بشرا من طين فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقال بعضهم ان المامورين بالسجود لادم
هم كل الملائكة بدليل قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاكد جمعهم باكمل
وجوه التاكيد

## البحث الخامس

اكثر المتكلمين لا سيما المعتزلة
على ان ابليس لم يكن من الملائكة وقال جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس انه كان من
ملائكة الارض الذين اهبطوا قبل ادم حجة الاولين قوله تعالى الا ابليس كان من
الجن والجن لم يكونوا من الملائكة بدليل قوله تعالى للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون وقول الملائكة سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
واحتج من قال انه منهم باستثناء ابليس من الملائكة في غير موضع من القران الكريم
والاستثناء اخراج من الكلام ما لولاه لدخل وذلك يدل على ان ابليس من الملائكة و
اجابوا عن حجة الاولين من وجهين احدهما المعارضة بقوله تعالى وجعلوا بينه
وبين الجنة نسبا وذلك الجعل هو قول قريش الملائكة بنات الله بدليل قوله تعالى
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فهذه الاية تدل على ان الملائكة من الجن
الثاني ان كون ابليس من الجن لا ينافي في كونه من الملائكة لان الملائكة يصدق
عليهم اسم الجن لان الجن ماخوذ من الاجتنان وهو الاستتار ومنه سمي الجنين لاستتاره
في بطن امه ومنه الجنون لاستتار العقل فيه والملائكة مستترون عن الاعين
فوجب جواز اطلاق لفظ الجن عليهم واعلم ان الخلاف لفظي فانه اذا ثبت
ان الملائكة الذين هبطوا الى الارض قبل ادم هم المسمون بالجن وابليس من الجن
ثبت ان ابليس من الملائكة وليس النزاع في انه من ملائكة الارض او من ملائكة السماء
بل في كونه من الملائكة مطلقا فاذن ليس بينهم خلاف في المعنى وبالله التوفيق

## البحث السادس

اختلفوا في سبب عداوة ابليس لادم
فقال بعضهم انه الحسد وذلك ان ابليس لما راى ما اكرم الله به ادم من اسجاد
الملائكة له وتعليمه ما لم يطلع عليه الملائكة حسده وعاداه وقال اخرون ان
السبب هو تباين اصليهما ولمنافرة الاصلين اثر قوي في منافرة الفرعين قالوا
وتباين اصليهما هو منشا القياس الفاسد من ابليس حين امر بالسجود وذلك

قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فكانه في خطابه يقول ان ادم
جسماني كثيف وانا روحاني لطيف والجسمانية ادون حالا من الروحانية والادون كيف
يليق ان يكون مسجودا للاعلى وايضا فان اصل ادم من صلصال من حماء مسنون في
غاية الدناءة واصلي اشرف العناصر واذا كان اصلي خيرا من اصله وجب ان اكون خيرا
منه واشرف والاشرف يقبح ان يؤمر بالسجود للادون قالوا فكان ذلك قياسا
منه فاول من قاس هو ابليس فاجابه الله تعالى جوابا على سبيل التنبيه دون التصريح
بقوله اخرج منها مذءوما مدحورا قال بعض الفضلاء وتقريره ان الذي
قاله تعالى نص لحكم الحكمة الالهية والقدرة الربانية والذي قاله ابليس قياس
ومن عارض النص بالقياس كان مرجوما ملعونا

## البحث السابع

احتجت الاشعرية على انه تعالى قد يريد خلق الكفر في الكافر
من هذه القصة بوجهين احدهما انه تعالى انظر ابليس مع انه يعلم انه انما قصده
لاغواء بني ادم ولو اهلكه لاستراحوا وعدم الشر الحاصل منه ومن ذريته الثاني
انه قال اغويتني فنسب الاغواء الى الله تعالى مع انه تعالى لم ينكر عليه هذا الكلام
وهذا صريح في انه تعالى يفعل الاغواء اجابت المعتزلة عن الاول بان الله تعالى
خلق ادم وذريته قادرين على دفع ابليس عن انفسهم فهم الذين اختاروا الكفر
والفساد اقصى ما في الباب ان يقال ان الاحتراز عن القبيح حال عدم ابليس اسهل
منه حال وجوده الا ان على هذا التقدير يصير وسوسته سببا لزيادة المشقة في
اداء الطاعات فيزداد المكلف بفعلها ثوابا كما قال عليه السلام افضل الاعمال احمزها
اي اشقها وذلك لا يمنع الحكيم من فعله كما ان انزال المشاق والالام وانزال
المتشابهات صار سببا لزيادة الشبهات ومع ذلك لم يمتنع فعلها من الله تعالى
وهذا الوجه قريب من قوله عليه السلام استتماما للبلية وعن الثاني
ان المراد من قوله ما اغويتني اي ما جنبتني من رحمتك وقيل معنى اضافة
غوايته الى الله تعالى ان الله تعالى لما امره بالسجود لادم عصى وغوى فكان
الباري هو الاصل في حصول الاغواء له فلذلك نسبه اليه واحتج ايضا من جوز
الخطا على الانبياء عليهم السلام من هذه القصة بقوله تعالى وعصى ادم ربه
فغوى واجاب من اوجب عصمتهم من حين الولادة بانه لما دل الدليل على
وجوب عصمتهم وجب صرف هذا اللفظ ونحوه على ترك الاولى وهو في حقهم

سيئة

سيئة ومعصية وان كان في حق غيرهم حسنة كما قيل حسنات الابرار سيئات
المقربين ومن اوجب عصمتهم من حين الرسالة فله ان يحمل هذه المعصية على ما
قبل الرسالة والمسئلة مستقصاة في الكلام

## البحث الثامن

قال القفال اصل التلقي في قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وقوله
ولقاه كلمة رحمته وهو التعرض للقادم وضع في موضع الاستقبال للمسيء والجاني
ثم وضع موضع القبول والاخذ قال تعالى وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم
اي تلقنه ويقال تلقينا الحاج اي استقبلناهم وتلقيت هذه الكلمة من فلان اي
اخذتها منه واذا كان هذا اصل الكلمة وكان من تلقى رجلا فتلاقيا لقي كل واحد
منهما صاحبه واضيف الاجتماع اليهما معا فصلح ان يشتركا في الوصف بذلك فكل
ما تلقيته فقد تلقاك فجاز ان يقال تلقى ادم من ربه كلمات اي اخذها ووعاها
واستقبلها بالقبول ولقاه الله اياها اي ارسلها اليه وواجهه بها ثم ذكر المفسرون
في تلك الكلمات اقوالا الاول روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه ان ادم
عليه السلام قال يا رب الم تخلقني بيدك بلا واسطة قال بلى قال الم تسكني جنتك قال
بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ان تبت واصلحت تردني الى الجنة قال نعم
وهو قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات الثاني قال النخعي اتيت ابن عباس
فقلت ما الكلمات التي تلقاها ادم من ربه قال علم الله تعالى ادم وحوا امر الحج والكلمات
التي يقال فيه فحجا فلما فرغا اوحى الله تعالى اليهما اني قد قبلت توبتكما الثالث
قال مجاهد وقتادة في احدى الروايتين عنهما قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين الرابع قال سعيد بن جبير انها قوله لا اله الا انت
سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك
عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك ارحم الراحمين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت
سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم الخامس قول عائشة لما اراد الله تعالى
ان يتوب على ادم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى ركعتين استقبل
البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي
وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا تباشر به قلبي ويقينا صادقا
حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى اليه
يا ادم قد غفرت لك ذنبك ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل ما دعوتني

به الا غفرت ذنوبه وكشفت همومه ونزعت الغموم عن عينيه وحال به الدنيا
وهو لا يتركها **البحث التاسع** في حقيقة التوبة قال الامام
الغزالي رحمه الله التوبة عبارة عن معنى مركب من ثلثه امور مترتبة علم ثم حال
ثم ترك اما العلم فان يعلم العبد ضرر الذنوب وكونها حجابا بينه وبين الله تعالى
ومما يمنعه من دخول الجنة فاذا علم ذلك بيقين غالب على قلبه فان ذلك يوجب له
تالما نفسانيا بسبب فوات الخير العظيم المطلوب لكل عاقل فيتم تالمه بسبب فعله المفوت
لمحبوبه ومطلوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب اوجب له القصد الى امرين احدهما
ترك الذنوب التى كان ملابسا لها اولا والثانى العزم على ترك الذنب المفوت
لمطلوبه في المستقبل الى اخر العمر فهذه حقيقتها وينشا من ذلك تلافي ما فات بالجبر
والقضا ان كان قابلا للجبر والعلم الاول هو الاصل في اظهار هذه الخيرات فان القلب اذا
ايقن بان الذنوب كالسموم المهلكة والحجب الحايلة بينه وبين محبوبه فلا بد ان يتم
نور ذلك اليقين فيشتعل فيه نيران الندم فيتالم به القلب وينبعث من تلك النار
طلب الاستخلاص للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال
والتلافي للماضي ثلثه معان مترتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها وربما اطلق اسم التوبة
على الندم وحده وجعل العلم كالباعث والترك كالثمرة المتاخرة ولهذا الاعتبار قال
صلى الله عليه الندم توبه اذ الندم مستلزم لعلم اوجبه والعزم يتبعه ولها و
جوبها من وجهين احدهما ان التوبة مرضاة للرحمن مسخطة للشيطان مفتحة
لابواب الجنان معدة لاشراق شموس المعارف الالهية على الواح النفوس مستنزلة
للمواهب الربانية من الملك القدوس والثانى الاوامر الواردة بها في القران الكريم
يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا والوعد الصادق على فعلها عسى ربكم ان
يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار والوعيد الحتم على تركها ومن
لم يتب فاولئك هم الظالمون ونحوه مما يدل على وجوبها ولها قبولها من وجهين
احدهما قوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات
وقوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب الثانى قال رسول الله صلى الله عليه
لله افرح بتوبة من العبد المذنب والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وقال
صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا الى السماء ثم ندمتم عليها لتاب الله عليكم
**البحث العاشر** فيما عساه يبقى من المقاصد المشكلة في هذه القصة

الاول

الاول الوديعة والوصية التى استوداعها الله تعالى من الملائكة في قوله عليه السلام
استودعها الله سبحانه من الملايكة وديعتهم لديهم اشارة الى قوله تعالى لهم
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فكان تعالى قد عهد اليهم بهذا
القول واوصاهم بمقتضاه ثم استوداه منهم بما ذكره عليه السلام من قوله تعالى
فقال اسجدوا لادم الثانى قوله فاعترضه ابليس فالاعتراض طلب العثرة من ادم
ولكنها منه بالوسوسة التى القاها اليه كما سنبين معنى الوسوسة ان شاء الله
الثالث قوله دار المقام هو جنة الخلد ومرافقة الابرار اشارة الى مصاحب
الملايكة في مقعد صدق عند مليك مقتدر الرابع قوله فباع اليقين بشكه
للناصحين فيه لاقوال اولها ان معيشة ادم كانت في الجنة على حال يعلمها يقينا
وما كان يعلم كيف معاشه في الدنيا اذا انتقل اليها ولا حاله بعد مفارقه الجنة
ثم ان ابليس شككه في صدق مقاله انى لكما لمن الناصحين فبقى ما كان عنده يقينا
مما هو فيه من الخير الدايم وشك في نصح ابليس فكانه باع اليقين بالشك متابعته
وهو استعارة حسنة على سبيل الكناية عن استعاض ادم الشك عن اليقين الثانى
قالوا لما اخبره الله تعالى عن عداوة ابليس له تيقن ذلك فلما وسوس له ابليس شك
في نصحه فكانه باع يقين عداوته بالشك في ذلك الثالث قول من نزه ادم
عليه السلام ان ذلك مثل قديم للعرب لمن عمل عملا لا يفيده وترك ما ينبغى له ان يفعله
تمثل به امير المومنين عليه السلام ههنا ولم يرد ان ادم عليه السلام شك في امر الله تعالى
الرابع قوله والعزيمة بوهنه قال ابن عباس في قوله تعالى ولم نجد له
عزما اى لم نجد له حفظا لما امره الله به وقال قتاده صبرا وقال الضحاك صريمة
امر وحاصل هذه الاقوال يعود الى انه لم يكن له قوة على حفظ ما امره الله فكانه
باع العزم الذى كان ينبغى له والقوه التى كان ينبغى ان يحفظ بها عن متابعة
ابليس بالضعف والوهن عن تحمل ما امره الله به الخامس قوله دار البلية
هو دار الدنيا اذ كانت دار المحنة والابتلاء بمقاساة ابليس ومجاهدته وسجن الصالحين
كما قال عليه السلام الدنيا سجن المومن وجنة الكافر واعلم ان في ذكر هذه القصة
تحذيرا عظيما عن المعاصى وذلك من وجوه احدها ان من تصور ما جرى على ادم
بسبب اقدامه على هذه الزلة كان على وجل شديد من المعاصى قال الشاعر
يا ناظرا نورا بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد

تصل الذنوب الى الذنوب وترجى درك الجنان ونيل فوز العايد
انسيت ان الله اخرج ادما منها الى الدنيا بذنب واحد

وعن فتح الموصلي انه قال كنا قوما من اهل الجنه فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى يرد الى الدار التي اخرجنا منها وثانيها التحذير عن الاستكبار والحسد والحرص عن قتاده في قوله تعالى ابى واستكبر قال حسد عدو الله ابليس ادم على ما اعطاه الله تعالى من الكرامة فقال انا نارى وهذا طيني ثم القى الحرص والحسد في قلب ابن ادم حتى حمله على ارتكاب المنهى عنه وثالثها انه تعالى بين العداوة والشديدة بين ذريه ادم وابليس وهذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر وبالله التوفيق

**الاصل الثاني** واعلم ان من الناس من سلك التاويل على هذه القصة وقبل بيان تاويلها ذكروا مقدمات **المقدمة الاولى** في الاشارة الى اجزاء التركيب الخارجة للانسان وكيفيته تركيبها قالوا ان العناصر الاربعة اجسام بسيطه وهي اجزاء اولية لبدن الانسان فمنها اثنان خفيفان وهما النار والهواء واثنان ثقيلان وهما الارض والماء قالوا والموضع الطبيعي للارض هو وسط الكل وهي باردة يابسة في طبعها ووجودها في الكاينات مفيدا للاستمساك والثبات وحفظ الشكل والهيئة والموضع الطبيعي للماء هو ان يكون التي يراد تكوينها من التشكيل والتخطيط والتعديل فان الرطب كما انه سهل الترك للهيئة الشكلية فانه سهل القبول لها كما ان اليابس عسر القبول للهيئة الشكلية عسر الترك لها ومهما تخمر اليابس بالرطب استفاد اليابس منه قبول التمديد والتشكيل بسهوله واستفاد الرطب من اليابس حفظا لما حدث فيه من التعديل بقوة فاجتمع اليابس بالرطب عن تبدده واستمسك الرطب باليابس عن سيلانه والموضع الطبيعي للهواء فوق الماء وتحت النار وحقه اضافيه وطبعه حار رطب ووجوده في الكاينات ليتخلخل ويلطف ويستقل والموضع الطبيعي للنار فوق الاجرام العنصرية كلها و مكانها الطبيعي هو مقعر فلك القمر وخفتها مطلقة وطبعها حار يابس ووجودها في الكاينات ليصلح المركبات ويحرك فيها الجوهر الهوائي وليكسر من برد العنصرين الثقيلين ويردهما عن العنصريه الى المزاجية والثقيلان انفع في تكوين الاعضاء وفي سكونها والخفيفان انفع في تكوين الارواح وتحريكها وتحريك الاعضاء ثم قالوا والمزاج كيفية تحدث من تفاعل الكيفيات المتضادة في هذه العناصر اذا تفاعلت بقواها بعضها في بعض فانكسرت سورة كل واحد منها بالاخر حتى حدثت عنها

كيفية

كيفية متشابهة في جميعها هي المزاج والقوى الاولية في تلك الاركان اربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسه وهي التي تكون عنها المزاجات في الاجسام الكاينة الفاسدة ثم واهب الوجود اعطى كل حيوان وكل عضو من المزاج ما هو اليق به واصلح لافعاله واحواله بحسب احتمال الامكان له واعطى الانسان اعدل الامزجة الممكنة في هذا العالم مع مناسبة لقواه التي بها يفعل وينفعل واعطى كل عضو ما يليق به من افعاله فجعل بعض الاعضاء احر وبعضها ابرد وبعضها ارطب وبعضها ايبس ولعدها بالاخلاط وهي اجسام رطبه سياله يستحيل اليها الغذاء اولا وهي منحصرة في اربعة اجناس احدها الدم وهو افضلها والثاني البلغم والثالث الصفراء والرابع السوداء ثم قسم الاعضاء الى عظام وغضاريف واعصاب واوتار وجعل اول الاعضاء المتشابهة الاجزاء العظم وخلق صلبا لانه اساس البدن ودعامة الحركات ثم الغضروف وهو الين من العظم وفايدته ان يحسن به اتصال العظام بالاعضاء اللينة فلا يتاذى اللين بالصلب عند الضغطة والضربة بل يتوسط بينهما ما يناسب كلا منهما وليحسن به تجاور المفاصل المحاكه فلا تراض لصلابتها ثم العصب وهي اجسام ينبت من الدماغ والنخاع بيض لدنة في الانعطاف صلبه في الانفصال وفايدتها ان يتم بها للاعضاء الاحساس والحركة ثم الاوتار وهي اجسام تنبت من اطراف العضل شبيهة بالعصب تلاقي الاعضاء المتحركة فتجذبها تارة وتبسطها اخرى بحسب انبساط العضلة وانقباضها ثم الرباطات وهي ايضا اجسام شبيهه بالعصب والحكمة فيها ظاهرة وهو ارتباط بعض الاعضاء الى بعض واستمساكها وليس شيء منها حساسا لئلا يتادى بكثرة ما يلزمه من الحركه والحك ثم الشريانات وهي اجسام نابته من القلب ممتدة مجوفة طولا عصبانية رباطية الجوهر لها حركات منبسطة ومنقبضه خلقت لتروح القلب ونفض البخار الدخاني عنه ولتوزيع الروح الى اعضاء البدن ثم الاوردة وهي نبت الشريانات و نباتها من الكبد وفايدتها توزيع الدم على اعضاء البدن ثم الاغشية وهي اجسام منتسجة من ليف عصباني غير محسوس رقيقة مستعرضه يغشى سطوح اجسام اخرى ولها فوايد منها ان تحفظ جملتها على شكلها وهيأتها ومنها ان يعلقها على اعضاء اخرى ويربطها بها بواسطة العصب ومنها ان يكون للاعضاء العديمه الحس في جواهرها سطح حساس بالذات لما يلاقيه وبالعرض لما يحدث

بحيث

في الجسم الملهوف فيه كالرئة والطحال والكبد والكليتين فانها لا تحس بجواهرها
وانما تحس بالامور المصادمة لها الا غشية التي عليها بالذات وتحس ايضا بالعرض
وما يحدث فيها مثلا للريح المتمددة للذي يحدث فيها ثم اللحم وهو حشو خلل وضع
الاعضاء في البدن فصار البدن مشتملا على ثلثة ضروب من الاعضاء احدها الات
الغذاء وهي المعدة والكبد وحواليها كالعروق والطرق اليها كالفم والمري
وعنها كالمعاء والثاني في الات الحرارة الغريزية وحفظها وهي القلب والرأس
والرئة والصدر وسائر الات النفس والثالث الات الحس والحركة والافعال
العقلية وهي الدماغ والنخاع والعصب والعضل والاوتار ونحوها مما يحتاج
اليه في المعونة على تمام فعل العقل ثم لما كان من ضرورة البدن ان يقع فيه
افعال مختلفة وجب في الحكمة ان يكون هناك استعداد لقوى متعددة هي مبادي
تلك الافعال احدها النفس الطبيعية وتحتها قوى منها مخدومة ومنها خادمة
اما المخدومة فجنسان احدهما يتصرف في الغذاء وتحته نوعان احدهما القوة
المسماة بالغاذية وغايتها ان يغذو الشخص مدة بقائه باحالة الغذاء الى مشابهة
المغتذي ليخلف بدل ما يتحلل والثاني القوة المسماة بالنامية وغايتها ان تزيد
في اقطار البدن على التناسب الطبيعي الى تمام نشوه والجنس الثاني يتصرف
في الغذاء لبقاء النوع وتحته نوعان احدهما القوة المسماة بالمولدة وهي المتصرفة
في امر التناسل ليفصل من امشاج البدن جوهر المني والثاني القوة المسماة بالمصورة
وهي التي يفيد المني بعد استحالته في الرحم الصور والقوى والاعراض الخاصة للنوع
الذي انفصل عنه المني واما الخادمة الصرفة في القوى الطبيعية فهي خوادم
القوى الغاذية وهي اربع احدها الجاذبة وخلقت ليجذب النافع الى محلها وهي موجودة
في المعدة والمري والكبد والرحم وسائر الاعضاء والثاني الماسكة وخلقت
لتمسك النافع ريثما يتصرف فيه القوى المغيرة والمحيلة والثالث الهاضمة
وهي التي تحيل ما امسكته الماسكة الى قوام مهيأ لفعل القوة المغيرة فيه والى مزاج
صالح للاستحالة الى الغذائية بالفعل والرابع الدافعة وهي التي تدفع الفاضل
من الغذاء الذي لا يصلح للاغتذاء او يفضل على الكفاف او يستغنى عنه بعد الفراغ
من استعماله كالبول ولهذه الاربع ايضا خادم الاربع اعني الكيفيات الاربع وهي
الحرارة والبرودة واليبوسة على تفصيل يعلم في مظانه . الثاني النفس الحيوانية

وتختص

وتختص بها قوتان محركة ومدركة واما المحركة فاما باعثة او فاعلة والباعثة
هي القوة النزوعية المذعنة للمدركات كالوهم والخيال او النفس فيحمل الادراك
الفاعل على البحث الى طلب او هرب بحسب السوانح ولها شعبتان شهوانية و
هي الباعثة على التحريك الى جانب اشياء ضرورية او نافعة نفعا ما طلبا للذة
وغضبية وهي الحاملة على دفع وهرب عن الايلام طلبا للغلبة وتخدمها القوة
المسماة بالقدرة وهي قوة تنبعث في الاعصاب والعضل من شأنها ان تشنج
العضلات بجذب الاوتار والرباطات وارخائها والقوى المدركة فمنها ظاهرة
وباطنة اما الظاهرة فالحواس الخمس احدها اللمس وهو قوة منبثة في جلد
البدن كله يدرك ما يماسه ويؤثر فيه بالمضادة كالكيفيات الاربع
وغيرها وثانيها الذوق وهي قوة مرتبة في العصب المفروش على سطح اللسان
بها يدرك الطعوم من الاجرام المماسة المخالطة للرطوبة العذبة التي في الفم
وثالثها الشم وهي قوة مرتبة في زائدتي مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي
بها يدرك الروائح بتوسط الهواء المنفعل من ذي الرائحة ورابعها السمع وهي
قوة في العصب المفروش في باطن الصماخ وهي يدرك الاصوات والحروف بواسطة
الهواء وخامسها البصر وهي قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين يدرك ما ينطبع
في الرطوبة الجليدية من الصور بتوسط جرم شفاف واما الباطنة من القوى
فهي ايضا خمس وهي اما مدركة فقط اما للصور الجزئية وهي القوة المسماة حسا
مشتركا المرتبة في التجويف الاول من الدماغ عندها تجتمع صور المحسوسات ثم
القوة المسماة خيالا وهي خزانة الحس المشترك مودعة في اخر التجويف المقدم
من الدماغ يجتمع فيها مثل المحسوسات ويبقى فيها بعد الغيبة عن الحواس واما مدركة
للمعاني الجزئية وهي اما الوهم وهي قوة رتبت في التجويف الاوسط من الدماغ
يدرك المعاني الجزئية الغير المحسوسة الموجودة في المحسوسات كادراك الشاة معنى
في الذئب يوجب لها الهرب واما الحافظة وهي قوة مرتبة في التجويف الاخير من
الدماغ يحفظ الاحكام الجزئية المدركة للوهم وهي خزانة له واما مدركة ومتصرفة
وهي القوة المسماة متخيلة باعتبار استعمال الوهم لها ومفكرة باعتبار استعمال العقل
لها ومحلها مقدم البطن الاوسط من الدماغ من شأنها التركيب والتفصيل لبعض
الصور ببعض وعن بعض وكذا المعاني والمعاني بالصور وهي الخالية للمدركات

والهيآت المزاجية والحكمة الالهية اقتضت ان تكون متوسطة بين مستعص الصور
الجرمانية والمعاني الروحانية متصرفة في خزائنهما بالحكم والاستخراج للامثال
المحضة من الجانبين ثم ان لكل واحد من هذه الالات روح يختص به وهو جرم
حار لطيف متكون من لطافة الاخلاط على نسبة محدودة وهو حامل للقوى
المدركة وغيرها **الثالث** النفس الناطقة ونسبتها الى هذا البدن نسبة
الملك الى المدينة والبدن وجميع اجزائه وقواه المذكورة الات لها ورسمها
انها جوهر مجرد يتعلق بالابدان تعلق التدبير وهي المشار اليها بقوله تعالى
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وبقوله عليه السلام الارواح جنود
مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف ولهذه الجوهر قوتان تختص
بها نظرية وعملية وقد سبقت الاشارة اليهما في مقدمة الكتاب وتحقيق
الكلام في هذا الجوهر والبرهان على وجوده وتجرده وكمالاته من العلوم والاخلاق
مستقصى في مظانه وبالله التوفيق **المقدمة الثامنة** قد علمت
ان الملك عندهم اسم مشترك يقع على حقايق مختلفة فاما لفظ الجن وان صدق
في اصل اللغة على كل الملايكة لكونه ماخوذا من الاجتنان وهو الاستتار وكون
الملايكة مستترين عن الاعين فانهم يخصونه في هذا اللفظ بالارواح التي عالم العناصر
فتارة يطلقون على انها ملايكة باعتبار كونهم مرسلين من عند الله واعلين بما امر
الله جارين على نظام العقل وتارة يطلقون عليها انها جن باعتبار الاجتنان وهم
جن مسلمون باعتبار موافقة العقل والتصرف على وفق المصلحة العالم ونظامه
وكفار وشياطين باعتبار مخالفتها لذلك فاما صدق اسم الجن على النفوس الناطقة
الانسانية فقد يعتبر من جهة اخرى وهي كونها عاملة يرى بنود العلم من حيث الاصل
في محتسنة عن ابصار الجاهلين هي اما ان تكون عاملة او جاهلة وعلى التقديرين
فاما ان يكون موافقة لظواهر الشريعة منقادة متمسكة بها او ليس كذلك فهذه
اقسام اربعة **اولها** النفوس العاملة العاملة بمقتضى الشريعة وهذه الطايفة
هم الجن المسلمون والمومنون قالوا وهم الذين اخبر الله تعالى نبيه بالاخبار عنهم
في قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا
يهدي الى الرشد فامنا به الى اخر الايات قالوا ومما يشير ذلك ان السماء اخبر
الجن عنها انهم لمسوها هي سماء الحكمة وهي الشريعة التي يتبرك فيها قالوا ولمسهم لها

عبارة

عبارة عن اعتبارهم امر الشريعة في مبدا ظهورها ومايعتهم لهم معها اطوار
الحكمة وتمكنهم اخذها واعطاؤها بالتعلم والتعليم كما كان يفعل قبل ذلك الام
ا وقولهم فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اشارة الى حفظة الشريعة
وهم علماء الشريعة والملوك الصالحون الذادون لناموس الشريعة وقوانينها
وقولهم وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع اشارة الى انهم كانوا قبل ظهور الشرايع
يتدارسون الحكمة ويتعلمونها ولم يكن عليهم انكار وقولهم فمن يستمع الان يجد له
شهابا رصدا اشارة الى ان النظر في الحكمة بعد وجود الشريعة المشاركة لظواهر
ما جاءت به الانبياء يجد من حرسة الدين وحفظته شهابا يحرقه ويؤذيه و
ثانيها النفوس العالمة المخالفة للشريعة والنواميس الالهية التابعة لقواها
في مقتضى طباعها وهؤلاء هم من شياطين الجن ومردتها وثالثها النفوس الجاهلة
الا انها متمسكة بظاهر الشريعة منقادة لها وهؤلاء هم المسلمون من الانس ورابعها
النفوس الجاهلة التاركة للشريعة والعمل بها التابعة لمقتضى الطبيعة وهؤلاء
هم شياطين الانس قالوا وهذا البيان لا يبعد من قول الله سبحانه الا ابليس كان من
الجن وبين استثنائه من الملايكة المقتضي لدخوله فيهم وكونه منهم فرق بل هو من
الملايكة باعتبار ومن الجن باعتبار ومن الشياطين باعتبار والشيطان قد يكون ملكا
في اصله ثم ينتقل الى الشيطانية باعتبار فسوقه عن امر ربه ولذلك الجني والله اعلم
**المقدمة الثالثة** قالوا كل ما يتولد فلا يستحيل في اصله
ان يكون متولدا ثم ضربوا لذلك امثلة فقالوا ان العقرب يتولد من الباذروج
ولباب الخبز والنحل من العجل المحرق المكسر عظامه والفار من المدر والطين ونحو ذلك
ثم يتوالد عن هذا المتولد اشخاص اخرى ويبقى نوعه متوالدا فلا مانع اذا ان يكون
الانسان في اول خلقته كذلك فيحدث شخص من نوعه ويتكون من التراب ثم يحصل
ما بعده من نوعه عنه بالتوالد اذا عرفت ذلك فاعلم ان لفظ ادم اذا اطلق في
عباراتهم فتارة يراد به امر جزئي وتارة يراد به امر كلي اما الجزئي فيراد
به اول شخص تكون من هذا النوع وعلى ذلك يحملون قوله تعالى انا خلقنا الا
نسان من نطفة وما في معناه على ما تولد عنه وقد يراد به اول شخص استخلف
في الارض واسس الحكمة في ناموس الشريعة واما الكلي فتارة يراد بادم
مطلق نوع الانسان وعلى ذلك قوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي

وقد يراد به صنف الانبياء والدعاة الى الله كما نقل عن سيد المرسلين صلعم كنت نبي
وادم ... وقته وقوله صلى الله عليه انا وانت يا علي ابوا هذه الامة ويمكن
ان يكون قول الباقر محمد بن علي عليهما السلم قد انقضا قبل ادم الذي هو ابونا الف الف
ادم واكثر على هذا المعنى اذا ثبت هذا فنقول ان لكل ادم بالمعاني المذكورة ملايكة
تخصه وهي مامورة بالسجود له وابليس في مقابلته ومعارضته اما ادم بالمعنى الاول
والثاني فملايكته المامورون بالسجود له هي قواه البدنية ونفوس اهل زمانه المامورون
باتباعه المستمعين لقوله وساير القوى في اقطار هذا العالم فانها بامرها ملايكة ما
مورة بالخضوع له والسعي في مهماته وحوايجه بين يديه والمعونة له على مراده
واما ابليس المعارض له فهو القوة الوهمية منها المعارضة لمقتضى عقله العملي
الساعية في الارض فسادا والنفوس المتمردة عن قبول الحق والاستماع لقوله
الخارجة عن طاعته وهم شياطين الانس والجن الذي يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول غرورا وكذلك ملايكة ادم وابليس ادم الذي صنف الانبياء والدعاة الى الله
تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة واما ادم الذي هو نوع الانسان فكل الملايكة الذين
ذكرناهم في هذا العالم هم المامورون بالسجود له وابليس كل شخص من هذا النوع هو
وهمه المعارض لعقله وجنوده ما تحته من القوى الشهوية والغضبية وغيرها اذا
عرفت هذه المقدمات فلنرجع الى المتن فنقول الاولى ان يحمل ادم فيما
ذكره عليه السلم هاهنا من هذه القصة على مطلق النوع الانساني فقوله ثم
جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت و
لاطها بالبلة حتى لزبت اشارة الى اصل امتزاج العناصر وانما خص هذين
العنصرين وهما الارض والماء دون الباقين لانهما الاصل في تكون الاعضاء المشاهدة
التي يدور عليها صورة الانسان المحسوسة وقوله حتى خلصت وحتى لزبت
اشارة الى بلوغها في الاستعداد الغاية التي معها يفاض صورة ما يتكون منها و
قوله فجبل منها صورة ذات احناء ووصول واعضاء وفصول اشارة الى خلق
الصورة الانسانية وافاضتها بكمال اعضائها ومفاصلها وما يتقوم به صورة
وقوله منها الضمير راجع الى التربة ويفهم من ظاهر اللفظ ان الصورة الانسانية
هي المفاضة على كمال استعداد التربة من غير واسطة انتقالات اخر في اطوار
الخلقة وانما يتم ذلك اذا حملنا ادم على اول شخص تكون من هذا النوع فاما اذا

جعلناه

جعلناه على مطلق النوع كان المراد انه جبل فيهن الصورة الانسانية بواسطة يط
من صور تزددت في اطوار الخلقة كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالصورة الانسانية جعلت من النطفة المتولد
ة من فضل الهضم الرابع المتولد من الاغذية وهي اما حيوانية او نباتية و
الحيوانية تنتهي الى النباتية والنباتية انما تتولد من صفو الارض والماء وهي
التربة المستعدة للانبات وليس في ذلك مخالفة للظاهر فان تلك التربة بعد
ان توارد عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت شيئا فيصدق عليها ان
الصورة الانسانية جعلت منها وقوله اجمدها حتى استمسكت واصلدها
حتى صلصلت الضمير في الفعلين راجع الى الصورة وما يتعلق بها من الاعضاء فالاجماد
لغاية الاستمساك راجع الى بعضها كاللحم والاعصاب والعروق واشباهها والاصلاد
لغايته راجع الى البعض الاخر كالعظام والاسنان واسناد ذلك الى المدبر الحكيم سبحا نه
لانه العلة الاولى وان كان هناك لجمعه الاثار اسباب قريبة طبيعية كالحار الغريزي
فانه المستعد لتحريك المواد وسعة البرد لتسكنه عند الكمالات من الخلوق كالرطوبة
فانها هي التي تخلق وتتشكل وسعتها اليبوسة لحفظ الاشكال وافادة التماسك
قوله لوقت معدود واجل معلوم يحتمل ان يراد به ان لكل مرتبة من مراتب تركيب
بدن الانسان وانتقاله في ادوار الخلقة وقتا معدودا يقع فيه واجلا معلوما
يتم به ويحتمل ان يراد بالوقت المعدود والاجل المعلوم الوقت الذي يعلم الله سبحانه
انحلال هذا التركيب فيه كما قال تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود وقوله
ثم نفخ فيها من روحه اقول التعبير بالتانيث راجع الى الصورة
وقد علمت ان هذه الاشارة جارية في القران الكريم قال تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي والمراد بالتسوية افاضة تمام اعداد البدن وتهيئته لقبول
النفس والمراد بالنفخ هاهنا هو افاضة النفس عليه عند كمال ذلك الاستعداد
واستعمال النفخ هاهنا في افاضة النفس عليه استعارة حسنة فان النفخ له
صورة وهو اخراج الهواء من فم النافخ الى المنفوخ فيه ليشتعل فيه النار ولما
كانت حقيقة النفخ ممتنعة في حق الله تعالى وجب العدول الى حمل لفظه على ما
يشبهه ولما كان اشتغال نور النفس في فتيلة البدن عن الجود الالهي المعطى لكل قابل
ما يستحقه نسبه بحسب محاكاة خيالنا الضعيف ما نشاهد من اشتعال النار في

الحق القابل لها عن صورة النفخ لاجرم حسن التعبير والتجوز بلفظ النفخ عن افاضة
الجود الالهي للنفس على البدن لما كان المشابهة المتحققة وان كان الامر اجل مما
عندنا واعلى واما نسبة الروح الى الله تعالى فاعلم ان الروح يحتمل ان يراد به احد
ثلثة معان الاول جبرئيل عليه السلم وهو روح الله الامين ونسبته اليه ظاهر واما
نسبة النفخ الى الله تعالى فلكونه العلة الاولى وجبرئيل واسطة جعله الله تعالى مبدأ
في هذا اللفظ لنفخ النفس في صورة آدم منه للثاني جود الله ونعمته وفيضه الفائض
على آدم وغيره وانما كان ذلك روحا لانه مبدأ كل حياة فهو الروح الكلية التي
بها قوام كل موجود ونسبته اليه ظاهرة ويكون من هاهنا نسبت اليه دون سائر
مصنوعاته اللطيفة لما علمت ان الروح منزهة عن الجهة والمكان وهي قرينة العلم بحقائق
الاشياء والاطلاع عليها وعن مضاهاة ومناسبة بوجه ما مع العلة ليست حالة
صلة بما عدا هذا الجوهر مما هو جسم او جسماني فلذلك شرفها باضافتها الى اسمه
قوله فليت انسانا اشارة الى الصورة المجبولة وهي لطيفة وهي انها
انما كانت انسانا بنفخ الروح فيها ولذلك رتب صيرورتها انسانا بالفاء على نفخ الروح
فيها قوله ذا اذهان يجيلها اشارة الى ما للانسان من القوى البا
طنة المدركة والمتصرفة ومعنى اجالتها تحريكها وبعثها في انتزاع الصور الجزئية
كالحس المشترك او المعاني الجزئية كالوهم قوله وفكر يتصرف
بها اشارة الى القوى المفكرة في احاد النوع الانساني وتصرفها في تفتيش الجزء
ئيين وتركيب بعض صور على بعض وتحليلها قوله وجوارح
تختدمها اشارة الى باقي الاعضاء التي بينا انها كلها خدم للنفس والادوات
التي يقبلها من تكره فيقدا ليحقق بالايدي كقوله تعالى فاصبح يقلب كفيه
على ما انفق فيها ويمكن ان يكون اتم من ذلك كالبصر والقلب كقوله
عليه السلم يا مقلب القلوب والابصار فيصدق عليها اسم التقليب وقوله ومعرفة
يفرق بها بين الحق والباطل اشارة الى استعداد النفس لادراك المعقولات التابعة
المسمى عقلا بالملكة بحسب ما لها من المعارف الاولى اعني البديهيات فان الحق
والباطل امور كلية وليس للقوى البدنية في ادراك الامور الكلية حظ ويحتمل ان
يشير بالمعرفة الى القوة الاستعدادية الاولى للانسان المسماة عقلا هيولانيا
وقوله والاذواق والمشام والالوان والاجناس نبه هاهنا على ثلثة امور احدها

ان للانسان

ان للانسان الة بها يدرك المذوقات واخرى بها يدرك المشمومات واخرى
بها يدرك الالوان وقد بينا ذلك الثاني نبه على ان النفس مدركة للجزئيات بوا
سطة هذه القوى اذ عدها في نسق ما يتصرف فيه النفس ويفرق بينه وبين
غيره الثالث انه لما قوله والاجناس نبه على ان النفس مدركة للامور
الكلية من تصفح الجزئيات فان الاحساس لامور كلية والنفس بعد ادراك الجزئيات
وتصفحها تتنبه لمشاركات بينها ومباينات فينتزع منها تصورات كلية وتصديقات
كلية وكانه عنى بالاجناس هاهنا الامور الكلية مطلقا لا بعضها كما هو اصطلاح
المنطق وقوله معجونا بطينة الالوان المختلفة نصب على الحال من قوله انسا نا
او الصفة له والمراد الاشارة الى ان اختلاف ابدان النوع بعضها مع بعض بالالوان
بسبب قوة استعدادها لذلك كما قال صلى الله عليه فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود
كما سبق وطينة الالوان اصلها وعجنته بها مزجه بها وهيئته واعداده لقبولها على
اختلافها وكذلك الحال في البدن الواحد فانه ليس لجملة اجزائه لون واحد فان
امتزاج بعض الاعضاء يقتضي ان يكون ابيض كالعظام والاسنان وبعضها احمر كالدم
وبعضها اسود كالحدقة والشعر وكذلك اختلاف الاشخاص في الصفات الكائنة
عن الاخلاق الواردة في تمام الخبر من قوله والسهل والحزن والخبيث والطيب
يرجع الى ان الارض لما كانت اكبر العناصر شركة في هذه الابدان كان لاختلاف
تباعها اثر تام في تفاوت الامتزاج لقبول الاخلاق بالسهولة والحزونة والخبث
والطيب وقوله والاشباه المؤتلفة والاضداد المتعادية والاخلاط المتبا ينه
من الحر والبرد والبلة والجمود والمسارة والسرور اما الاشباه المؤتلفة فكالعظام
والاسنان واشباههما فانها اجسام متشابهة ائتلف بعضها مع بعض وبها قامت
الصورة البدنية وامتزجت بطينتها واما الاضداد المتعادية فكالكيفيات
الاربع التي ذكرها عليه السلم وهي الحرارة والبرودة والرطوبة التي هي البلة واليبس
التي هو الجمود وعبر عنه بلازمه وهو الجمود على ان الجمود في اللغة هو اليبس ايضا واما
الاخلاط المتباينة فهي الاخلاط الاربعة كما عرفت من الدم والبلغم والصفراء والسوداء
واما المسارة والسرور فهما من الكيفيات النفسانية وماهية كل منهما ظاهرة
اما اسبابها فاعلم ان للسرور سبب جسماني معد وهو كون حامله الذي هو الروح
النفساني على كمال احواله في الكمية لان زيادة الجوهر في الكم توجب زيادة القوة

في الكيفية وهو ان يكون معتدلا في اللطافة والغلظ وان يكون شديد الصفا
واما السبب الفاعلي له ولا صلاقية تحيل الكمال كالعلم والقدرة والاحساس
بالمحسوسات الملائمة والتمكن من تحصيل المرادات والقهر والاستيلاء على الغير
والخروج عن الهم وتذكر الملذات واما اسباب الغم فمقابلات هذه اما
السبب المعد الجسماني فاما قلة الروح كما للناقهين والمنهوكين بالامراض
والمشايخ واما غلظه كما للسوداوي ومن اما رقته كما للنساء واما الفاعلي
فمقابل اسباب السرور وقد يستعد كل منهما بعد الاسباب المذكورة سكوره فيصير
السرور والغم ملكة ويبقى صاحبه مغبرا حاله محزونا ومقصوده عليه السلام التنبيه
على ان طبيعة الانسان فيها قوة قبول واستعداد لهذه الكيفيات وامثالها وتلك
القوة هي المراد بطينة المسارة والسرور والفرق بينها وبين الاستعداد ان القوة
تكون على الطرفين والاستعداد لا يكون الا لاحدهما **قوله** واستادى
الله الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم الى قوله الا ابليس
**اقول** لما كان الذي يشير اليه كل انسان بقوله
انا هو النفس الناطقة كان ادم عندهم عبارة عن النفس الناطقة ثم قالوا
المراد بالملائكة الذين امروا بالسجود لادم هي القوى البدنية التي امرت بالخضوع
والخنوع لتكرمة النفس العاقلة والانقياد تحت حكمها وهو الامر الذي لاجله
خلقوا اما عهد الله لديهم ووصيته اليهم فهو المشار اليه بقوله تعالى
واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين والخطاب هاهنا خطاب الحكمة الالهية
بالقضاء الازلي قبل الوجود والاستعداد لذلك للعهد وتلك الوصية هو طلب المامور
به اولا من الانقياد والخضوع من تلك القوى بعد الوجود وعلى السنة الرسل عليهم
السلام بالوحي المنزل وهو قوله فاسجدوا لادم وقوله فسجدوا اشارة الى
القوى المطيعة لنفوسها العاقلة في اشخاص عباد الله الصالحين وقوله
الا ابليس وقبيله اشارة الى الوهم وساير القوى التابعة له في معارضة
العقل في اشخاص الكفار والفاسقين عن اوامر الله سبحانه وقد عرفت ان
الوهم هو رئيس القوى البدنية متى اخذت عند معارضتها للعقل ومتابعتها
له جنود ابليس وقبيله واما قوله اعترتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة

والعلا

وتعزز وخلق النار واستوهنوا خلق الصلصال فقالوا ان المراد بكون
ابليس وقبيله خلقوا من نار ان الارواح الحاملة لهذه القوى لما عرفت اجسام
لطيفة بخارية تتكون عن لطافة الاخلاط وهي حارة جدا مائلة الى الافراط والنارية
والهوائية عليها اغلب وبواعثها عنها اسهل وهي اجزاء البدن وكذلك القلب الذي
هو منبعها فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك نسب ابليس الى النار
فقال تعالى حكاية عنه خلقتني من نار **وقال** والجان خلقناه من نار السموم اي قدرنا
قبل وجوده اي يكون للنارية والهوائية على وجوده اغلب **وقال** بعضهم انه
لما كانت النار الطف العناصر وكانت هذه القوى وارواحها الطف الامور الجسمانية
وتكونها عن الطف الاخلاط كانت نسبتها الى النار اولى من ساير العناصر لما كان للنار بقية
في اللطافة فجاز ان يطلق على اصله انه نار انا نقول لما صدق ان ابليس مخلوق
من نار بعنوان الغالب على الروح الحامل له هو عنصر النار كذلك يصدق ان
ادم من طين بعنوان الغالب على بدنه الارضية وايضا فان الوهم لا يدرك الا للمعاني نـ
الجزئية المتعلقة بالمحسوسات فلا يصدق حكمه ومساعدته الا فيما كان محسوسا
ولما ثبت ان النفس جوهر مجرد لم يمكن اعتقاد ابليس ان للانسان شيئا غير هذا البدن
المتكون عن الطين اذ لا ثبت ذلك فنقول لا عنه الحمية والتعزز بالانتساب الى عنصر
النار شبه مجازية اذ العادة جارية بان يانف الانسان عن الاصل الناقص ولن يتعزز
ويتعزز بالاصل الشريف والانتساب اليه فكان لسان حال ابليس والقوى المتابعة له
يقول على جهة الاستنكار والاستكبار ااسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون وانا
مخلوق من النار التي هي اشرف العناصر قالوا ولما علم الله تعالى ذلك من حال ابليس لعنه
وطرده واخرجه من الجنة وذلك قوله اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة
الى يوم الدين قالوا وذلك انك علمت ان الجنة تعود الى معارف الحق سبحانه والابتهاج
بمطالعة انوار كبريائه ودرجات الجنة هي المراتب التي ينتقل العقل فيها في مقاماته
السلوك الى حظائر القدس ومجاورة الملأ الاعلى وعلمت ان حال الوهم قاصر عن الانتقال
في تلك المراتب فطرده ولعنه وتحريم الجنة عليه يعود الى تكونه على الطبيعة
التي هو عليها القاصرة عن ادراك العلوم الكلية التي هي ثمار الجنة وقطوفها والقضاء
عليه بذلك قالوا ومما يدل على ذلك قوله قال رب بما اغويتني لازينن لهم في
الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اي بما خلقتني على هذه الجبلة لاقعدن

لدخول الجنة ولا التمكن منها لاجذبهم الى المشتهيات وتزيين الملذات الجاذ[بة]
لهم عن عبادتك حتى لا يهتدوا الى الجهة التي لاجلها خلقتهم ولا يلتفتوا اليها الا من
عصمته مني وجعلت له سلطانا على قهري وغلبتي وهم عبادك المخلصون اي النفوس
الكاملة المطهرة عن متابعة قواها المتسلطة على قهر شياطينها وكذلك قوله
قال انظرني الى يوم يبعثون فانه لما كان للبعث لا اول هو مفارقة النفوس لابدا
نها وانبعاثها الى عالمها وكانت طبيعة الوهم فاصيه لمحبة البقاء في دار الدنيا
اذ لا حظ له في غيرها حسن من لسان حاله ان يقول رب انظرني الى يوم يبعثون
وقوله فاعطاه الله النظرة لما كان الوهم باقيا في البدن هو وجوده الى يوم
البعث حسن من لسان الحكمة الالهية ان يقول انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
وذلك معنا اعطايه للنظرة وقوله استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية
وانجاز العدة فقد عرفت ان البلية تصب على المفعول له ثم ان افساد الوهم وابتلاء
الخلق به والشر الصادر عنه امور داخلة في القضاء الالهي بالعرض فيصدق عليه
انه مراد وان الانظار والامهال له وكذلك استحقاق السخطة وانجاز العدة واطلاق
لفظة السخطة استعارة فان السخط لما كان عبارة عن حالة للانسان يستلزم و
وجود مغضوب عليه مرضي بافعاله وكان حال ابليس في انظار الله تعالى اياه و
شوقه عن امور به مستلزما لاعراض الله سبحانه عنه وعمن عصاه بمتابعته كان
هناك نوع مشابهة حسن لاجلها اطلاق لفظ السخطة واما العدة فتعود الى
قضاء الحكمة الالهية ببقاء الوهم الى يوم البعث وانجازها تعود الى موقعه القدر
لذلك القضاء وقال بعضهم انه لما كان هاهنا صورة مطرود ومسجد وملعون
حسن اطلاق السخطة واستحقاقها وانه انما انظر لاجلها وهو مرسيح للاستعارة
قوله ثم اسكن الله سبحانه ادم دارا ارغد فيها عيشه وامن
فيها محلته وحذره ابليس وعداوته اقول الدار التي اسكن
فيها ادم هي الجنة والاشارة هاهنا ان الانسان من اول زمان افاضة القوة العا
قلة عليه الى حين استرجاعها ما دام مراعيا لاوامر الحق سبحانه غير منحرف عن
فطرته الاصلية ولا معرض عن عبادته ولا ملتفت الى غيره فانه في الجنة وان كانت
الجنة على مراتب كما قال تعالى لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانها[ر]
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه هما اللذان يهودا[نه]

وينصر

وينصرانه اذ كانت نفسه قبل الحوادث الخارجية عن القبلة الحقيقية غير مدنسه
بشيء من الاعتقادات الفاسدة والهيئة الرديه وان كانت المرتبة الثانية والغر
فة العالية انما تنال بعد المفارقة باستصحاب النفس لاكمل زاد واما ارغاد
العيش يعود الى ابتهاجه بالمعقولات والمعارف الكلية واما امان المحله امان مكانه
في الجنة ان يعرض له خوف او حزن ما دام فيها ولما تحذيره من ابليس وعداوته
فظاهر من الاوامر الشرعية ولسان الوحي ناطق به كما قال تعالى ان هذا عدو لك
ولزوجك ووجه العداوة ظاهر مما قلنا فان النفس لما كانت من عالم المجردات
وكان الوهم بطبعه منكر الجزء القسم من الممكنات كان منكرا لما يامر به النفس من الا
مور الكلية التي لا حظ له في ادراكها وذلك من مقتضيات العداوة ولان نظام
امر النفس ومصلحتها لا يتم الا بقهر الوهم والقوى البدنية عن مقتضيات طباعها
وتمام مطالب القوى لا يحصل الا باتباعها للنفس فكانت بينهما مجاذبة طبيعية و
عداوة اصلية اذ لا معنى للمعاداة الا المجانبة لما يتصور كونه مودنا قوله
فاغتره ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار اقول يقال
ان الله تعالى لما حذره ابليس وعداوته كان قد نهاه عن اكل شجرة يقال انها البر
واعلمه انه ان اكل منها كان ظالما لنفسه مستحقا لسخط الله وذلك قوله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين قالوا وتلك الشجرة هي الشجرة الخبيثة التي
اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وهي عبارة الى المشتهيات الدنيوية الفانية
واللذات البدنية الخارجة عن الحدود التي اوامر الله تعالى وانما هو العبور
فيها الى طرف الافراط عن وسط القانون العدلي واما كونها شجرة البر فقالوا ان البر
لما كان هو قوام الابدان وعليه الاعتماد في انواع المطعومات واللذات البدنيه
حسن ان يعبر به عنها فيقال هي شجرة البر استعارة لاسم الفرع للاصل فاما اغترار
ابليس له فاعلم ان حقيقة الغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه
الطبع عن شبهه وخدعه من ابليس فاغتراره يعود الى استفعال النفس بالو
سوسة التي حكى الله تعالى عنها بقوله فوسوس لهما الشيطان قال يا ادم هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولنبحث عن حقيقة الوسوسة فنقول ان الفعل انما
يصدر عن الانسان بواسطة امور مترتبة ترتيبا طبيعيا اولها تصور كون
الفعل ملايما وهو المسمى بالداعي ثم ان ذلك الشعور يترتب عليه ميل للنفس الى

الفعل المتمنى لذلك الميل ارادة فيترتب على تلك الميل حركة القوة النزوعية المحركة للقوة
المسماة قدرة المحركة للعضل الى الفعل فاذا عرفت ذلك فنقول صدور الفعل عن مجموع القدرة
والارادة امر واجب فليس للشيطان فيه مدخل ووجود الميل عن تصور كونه نافعا وخيرا
امر لازم فلا مدخل للشيطان ايضا فيه فلم يبق له مدخل الا في القاء ما يتوهم كونه نافعا
او لذيذا الى النفس مما يخالف امر الله سبحانه فذلك الالقاء في الحقيقة هو الوسوسة و
هو عين ما حكى الله سبحانه عنه بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
اذا عرفت ذلك فاعلم ان متابعة ابليس يعود الى انقياد النفس بجذب الوهم والقوى البدنية
التي هي الشياطين عن الوجه المقصود والقبلة الحقيقية وهو عبادة الحق سبحانه وفتنتهما له
وتزيين ما حرم الله عليها فاما ما يقال ان ابليس لم يكن له تمكن من دخول الجنة وانما دخل
بالحية ودخل في فمها الى الجنة حتى تمكن من الوسوسة لادم عليه السلام واغوائه فقالوا المراد بالحية
هي القوى المتخيلة وذلك لان الوهم انما يتمكن من التصرف وبعث القوى المحركة كالشهوة والغضب
التي هي جنوده وشياطينه على طلب الملاذ البدنية والشهوات المخرجة للذنوب وجذب النفس
اليها بتصويرها كونها لذيذة ونافعة بواسطة القوة المتخيلة ووجه تشبيهها بالحية ان الحية
لما كانت لطيفة سريعة الحركة تتمكن من الدخول في المنافذ الضيقة وتقدر على التصرف السريع وهي
مع ذلك سبب من اسباب الهلاك لما تحمله من السم وكانت المتخيلة في سرعة حركاتها وقدرتها
على التصرف السريع وزيادة الطف من ساير القوى وهي الواسطة بين النفس والوهم وكانت
لما اشتملت عليه من حمل كيد ابليس والقاء الوسوسة بواسطتها الى النفس سببا قويا للهلاك
السرمد والعذاب المؤبد لاجرم كان اشبه ما تشبه به الحية لما بينهما من المشابهة فحسن اطلاق
لفظ الحية عليها وقوله تعالى عليه يرجع للاستعارة لانه لما كان جذب الوهم
للنفس الى الجنبة السافلة مانعا لها من الكرامة بدار المقامة ومنزلا لها عن درجة مرافقة
الملا الاعلى كان ذلك اعظم ما يغتر به كما قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون و
عرفت ان ذلك الجذب عن صورة معاداة لما سبق وكان من لوازم المعاداة المنافسة
على العدو بكل ما يعد كمالا له لاجرم حسن اطلاق المنافسة ها هنا بسبب استعارة العداوة
والغضب على المغرور له وقوله تعالى فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه اي لما
حصلت الوسوسة والاغترار لادم فانقاد لها كان قد بذل ما يتقيه من ان شجرة الخلد و
الملك الذي لا يبلى هو نور الحق والبقاء في جنته ودوام مطالعة كبريائه بالشك فيه بواسطة
وسوسة ابليس وذلك ان الامور الموعودة من متاع الاخرة وما اعده الله لعباده

الصالحين

الصالحين امور خفية حقايقها على اكثر البصاير البشرية واما الغاية في تشويقهم
اليها ان يمثل لهم بما هو مشاهد لهم من اللذات البدنية الحاضرة فترى كثيرا منهم
لا يخطر بباله ان يكون في الجنة امر زايد على هذه اللذات فهو يجتهد في تحصيلها
اذ لا يتصور وراها اكثر منها ثم ان صدق بها على سبيل الجملة تصديقا للوعد الكريم
فانه لا يتصور كثير تفاوت بين الموعود به والحاضر بحيث يرجح ذلك التفاوت عنده
ترك الحاضر لما وعد به بل يكون ميل طبعه الى الحاضر وتوهم كونه انفع واولى به
اغلب عليه وان نبغ باصل عقله ان الاولى به والانفع له والابقى هو متاع الاخرة
فتارة نظرا على ذلك اليقين غفلة عنه ونسيانا له بسبب الاشتغال باللذات الحا
ضرة والانهماك فيها وذلك معنى قوله تعالى فنسي وتارة لا يحصل الغفلة الكلية
بل يكون الوهم المذكور قويا فيعارض ذلك اليقين بحيث يوجب في مقابلته شبهة و
شكا وذلك معنى قوله عليه السلام فباع اليقين بشكه والا فناقض قوله تعالى
فنسي وقوله والعزيمة بوهنه اي بوهن من العزم والتصميم الذي كان ينبغي له
في طاعة الحق سبحانه بالضعف والتقاعد عن تحمله كما قال تعالى ولم نجد له عزما
واطلاق لفظ البيع ها هنا استعارة حسنة اذ كان مدار البيع على استعاضة شي بشي
سواء كان المستعاض اجود او انقص ومثله قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة
الدنيا بالاخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وقوله فاستبدل بالجذل
وجلا وبالاغترار ندما الى قوله وتناسل الذرية فيه تقديم وتاخير وتقديره
والعزيمة بوهنه واهبطه الله الى دار البلية وتناسل الذرية فاستبدل بالجذل
وجلا وبالاغترار ندما ثم اناب الى الله فبسط له في توبته ولقاه كلمة رحمته ووعده
المراد الى جنته وذلك لان الاهباط من الجنة والاخراج منها وقد ورد القران
الكريم بهذا النظم في سورة البقرة وهو قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما
مما كانا فيه وقلنا اهبطوا ثم قال عقيبه فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وورد
ايضا على النظم الذي ذكره عليه السلام في سورة طه وذلك قوله تعالى فعصى ادم ربه فغوى ثم
اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا فقدم الاجتباء والتوبة على الاهباط وكلاهما
حسن قالوا ومعنى الاهباط له هو تنزله عن دار كرامته واستحقاق افاضة نعيم الجنة وذلك
ان النفس الناطقة اذا اعرضت عن جناب الحق سبحانه والتفتت الى متابعة الشياطين
ولذات الجن وموافقة ابليس تعدت عن رحمة الله وتردد لوجها عن قبول الانوار

الالهية فافادار البلية وتناسل الذرية فاشاره الى الدنيا فان الانسان اذا التفت
بوجهه اليها واقبل بكليته عليها هبط من اعلى عليين الى اسفل سافلين ولم يزل مموا
بيلا داثر بلا راد لا يعدم في كل لحظة ووقت فوت مطلوب او فقد محبوب يطلب ما لا يدرك
ويجد ما لا يطلب ذلك بانقطاعه عن الله تعالى بالتفاته اليها بلا واعظم به سفارا اذ
كان سبب البعد عن رحمته والطرد عن ابواب جنته فان قلت لم ذكر تناسل الذرية
في معرض الاهانة لادم مع انه في الحقيقة من الامور الخيرية المندرجة في سلك العناية
الالهية فان به بقاء النوع ودوام الافاضة قلت انه وان كان كذلك الا انه لا نسبة له
في الحقيقة الى الخير الذي كان ادم فيه في الجنة فان تناسل الذرية خير اضافي عرضي با
لنسبة الى الكمال الذي يحصل لابناء النوع وذريته بالنسبة ان حصل فسببه احقر الى اشرف
فان ازالته واهباطه عن استحقاق تلك المراتب السامية والافاضات العالية الى اخس
المرتبة التي يشارك فيها البهيمة وساير انواع الحشرات نقصان عظيم وخسران مبين و
قوله فاستبدل بالجذل وجلا وبالاعتزاز ندما ظاهر فان المقبل بوجهه على عبادة
الحق سبحانه المستغرق لانوار كبريايه المعرض عما سواه ابدا مسرور مبتهج فاذا اعرض عما يوجب
السرور والفرح والتفت الى خسايس الامور بسبب شيطان قادته اليها وزينها لعينه
فانكشف عنه ستر الله وبدت سوءته للناظرين بعين العافية من عباد الله الصالحين
ثم احدب تصنعه للعناية الالهية وتداركته الرحمة الربانية فاحقته من رقدة
الغافلين ناعم افد الطبيعة فراى السلاسل والاغلال قد احاطت به وشاهد الجحيم مسعرة
عن جنبي الصراط المستقيم وقوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي
فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
اعمى الايات فلا بد ان يصبح وجلا قلقا يقلب كفيه حسرة وندما وجلا مما لحقه من
سخط الله نادما على ما فرط في جنب الله وقوله ثم بسط الله له في توبته
ولقاه كلمة رحمته فالمراد الاشارة الى ان الجود الالهي لا عوز فيه ولا منع من جهته وانما النقصان
من جنبه القابل وعدم استعداده فاذا استعدت النفس لتدارك رحمة الله وصد
تبها العناية الالهية من ورطات الهلاك الابدي فايدتها بالمعونة على ابليس وجنوده
وبصرتها المقابح افعاله وحبايله فاخذت في مقاومته والترصد لدفع مكايده
فذلك هو معنى لنا بتها وتوبتها واما كلمة رحمة الله التي لقاها ادم فيعود الى السوانح
الالهية التي تسنح للعبد فيكون سببا لجذبه عن مهاوي الهلاك وتوجيهه عن الحضيض

السافلة

السافلة الى القبلة الحقيقية وامداده بالملايكة حالا فحالا ورفعه في مدارج الجلال
التي هي درجات الجنة وقوله ووعده المرد الى جنته فاشارة الى وعد القضاء
الالهي الناطق عنه لسان الوحي الكريم فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى يا ايها الذين
امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار وكذلك ساير انواع وعد التائبين فهذا ما يتعلق بهذه القصة من
التاويل وبالله التوفيق

## الفصل الرابع

قوله
واصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم لما بدل
اكثر خلقه عهد الله اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين
عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله وواتر اليهم انبياءه ليستادوهم
ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفاين
العقول ويروهم ايات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ٤
ومعايش تحييهم واجال تفنيهم واوصاب تهرمهم واحداث تتابع عليهم ولم يخل
الله سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل او حجة لازمة او محجة قايمة رسل
لا يقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم من سابق سمي له من بعده او غابر
عرفه من قبله على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور وسلفت الاباء وخلفت
الابناء الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه لانجاز عدته وتمام نبوته ماخوذا
على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة
واهواء منتشرة وطرايق متشتتة بين مشبه لله بخلقه او ملحد في اسمه او مشير
الى غيره فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد
صلى الله عليه لقاءه ورضي له ما عنده فاكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقارنة
البلوى فقبضه اليه كريما صلى الله عليه وعلى اله وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في
اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قايم كتاب ربكم مبينا حلاله و
حرامه وفرايضه وفضايله وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزايمه وخاصه وعامه
وعبره وامثاله ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسرا جمله ومبينا
غوامضه بين ماخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله وبين مثبت في الكتاب
فرضه معلوم في السنة نسخه وواجب في السنة اخذه مرخص في الكتاب تركه
وبين واجب لوقته وزايل في مستقبله ومباين بين محارمه من كبير اوعد عليه

نيرانه او صغر اصدله غفرانه ومن مقبول فادناه موتع في اقصاه

**اقول** الاصطفاء الاخلاص والانداد الامثال واجتلالتهم

اى احارتهم واحتدتهم ووانزاى ارسل وتربعد وتر اى واحدا بعد احد والفطرة الخلقة

والمهاد الفراش والاوصاب الامراض والاحداث المصايب وخصيصا اذ ذلك

عرقى والمحجة ما فجى به الانسان عدم اى نجلبه بعد والمحجة جادة الطريق والغابر

الباقى والماضى ايضا وهو من الاضداد والقرن الامة وتسلت اى درجت ومضت

ماخوذ من نسل ريش الطاير ونسل الوتر اذا وقع والعدة الوعد وانجازها قضاوها

والنمه العلاقه وصيلا دالرجل محل ولادته من الزمان او المكان والملحد العادل

عن الاستقامه على الحق والنسخ فى اللغة الازالة والرخصة التساهل فى الامر والعزيمة

الجد وهذه الالفاظ الثلثه مخصوصة فى العرف بامور اخرى كما نذكره وارصدله

كذا اى اعده له وهاهنا ابحاث

**البحث الاول**

الضمير فى ولده راجع الى ادم عليه السلم ان كانت الاشارة بادم الى النوع الانسانى فنسبه

الولادة اليه فى العرف ظاهر صادقة وان كل الشخاص نوع هم ابناء ذلك النوع فى

اصطلاح اهل التاويل وكذلك ان كان المراد به اول شخص وجد واعلم ان اصطفا

الله سبحانه للانبياء يعود الى افاضه الكمال النبوى عليهم بحسب ما اوجبت لهم العناية

الالهية من القبول والاستعداد واخذه على الوحى ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة اماناتهم وهو

حكم الحكمة الالهية عليهم بالقوة على ما كلفوا به من ضبط الوحى فى الواح قواهم وجذب

ساير النفوس الناقصة الى جناب عزته بحسب ما افاضهم من القوة على ذلك والاستعداد

له وما منحهم من الكمال الذى يقتدرون معه على تجميل الناقصين من ابناء نوعهم ولما

كانت صورة العهد واصل الامانة فى العرف ان يوعز الى الانسان بامر ويوكد عليه القيام

به بالايمان واشهاد الحق سبحانه وكان الحكم الالهى جاريا بارسال النفوس الانسانية

الى هذا العالم وكان مراد العناية الالهية من ذلك البعث ان نظهر ما فى قوة كل

نفس من كمال او تحمل الى الفعل وكان ذلك لا يتم الا بواسطة بعضها للبعض كان

الوجه الذى بعثت عليه مشبها العهد والميثاق الماخوذ والامانة المودعة

كل لما فى قوته وما اعد له فحسن اطلاق هذه الالفاظ واستعارتها هاهنا

**قوله** لما بدل اكثر خلق الله عهد الله اليهم فجهلوا حقه واتخذوا

الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته الى اخره

اشارة

اشارة الى وجه الحكمة الالهيه فى وجود الانبياء عليهم السلم ولوازمه وهى شرطية مقدم

قدم فيها الثانى لتعلق ذكر الانبياء عليهم السلم بذكر ادم والتقدير لما بدل اكثر خلق

الله عهده اليهم اصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحى ميثاقهم فبعثهم فى

الخلق وذلك العهد هو المشار اليه **بقوله** تعالى واذ اخذ ربك من بنى ادم من

ظهورهم ذريتهم الايه **قال** ابن عباس لما خلق الله تعالى ادم مسح على ظهره فاخرج

منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودى يومئذ

جف القلم بما هو كاين الى يوم القيامة واعلم ان اخذ الذرية يعود الى احاطة اللوح ٢

المحفوظ بما يكون من وجود النوع الانسانى باشخاصه وانتقاشه بذلك عن قلم القضاء

الالهى ولما كان الانسان تمام العالمين فى الوجود الخارجى فكذلك هو فى التقدير القضا

ئى المطابق له وبه يكون تمام التقدير وجفاف القلم واما اشهادهم على انفسهم

فيعود الى انطاق امكانهم بلسان الحاجه اليه وانه الاله المطلق الذى لا اله غيره

واما بيان ملازمة الشرطية فلانه لما كان الغالب على الخلق حب الدنيا والاعراض

عن مقتضى الفطرة الاصلية التى فطرهم عليها والالتفات عن القبلة الحقيقيه الدينية

المتنازعه الى كمالاتها الاجرم كان من شان كونهم على هذا التركيب المخصوص ان يبدل

اكثرهم عهد الله سبحانه اليهم من الدوام على عبادته والاستقامة على صراطه المستقيم

وعدم الانقياد لعبادة الشيطان كما قال سبحانه الم اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا تعبدوا

الشيطان الايه وان يجهلوا حقه للغفلة عما حصل لذاتهم عما يستحقه من دوام الشكر

وان يتخذوا الانداد معه لنسيانهم العهد القديم وان يجتالهم الشياطين عن معرفته التى هى

البذر لثمار الجنة وان يقتطعهم عن عبادته التى هى المرقات الى اقتطاف تلك الثمرة فلما

كان من شانهم ذلك وجب فى الحكمة الالهية ان يختص صنفا منهم بكمال الشرف يقتدر معه

ابناء ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتعاديه وعلى تحميل الناقصين من دونهم وهم

صنف الانبياء عليهم السلم والغاية منهم ما اشار اليه عليه السلم **بقوله** ليستادوهم

ميثاق فطرته اى ليسعثوهم على اداء ما خلقوا لاجله وفطروا عليه من الاقرار بالعبودية

لله وتحذيرهم عما التفتوا اليه من اتباع الشهوات الباطلة واعداد الذات الوهمية

الزايله وذلك البعث والتحذير تارة تكون بتذكيرهم نعم الله الجسيمة وتنبيههم على شكر ما

اولاهم من منته العظيمة وتارة تكون بالترغيب فيما اعده سبحانه مما اعده لاوليايه

الابرار وتارة بالترهيب مما اعده لاعدايه الظالمين من عذاب النار وتارة بالتنفير

من جنايس هذه وبيان وجوه الاستهانة بها و الاستحقار والى ذلك اشار بقوله
ويذكروهم منسي نعمته ولا بد للمجادلة والمخاطبة من احتجاج معهم ومنهم فيحتجوا عليهم
بتبليغ رسالات ربهم وانذارهم لقاء يومهم الذي يوعدون ويثيروا لهم وجوه الادلة
على وحدانيته المبدع الاول وتفرده باستحقاق العبادة وهو المراد بدفاين العقول
وكنوزها واستعمال الدفاين هاهنا استعارة لطيفة فانه لما كانت جواهر العقول ونتايج
الافكار موجودة في النفوس بالقوة اشبهت الدفاين فحسن استعارة لفظ الدفينة لها و
لما كانت الانبياء هم الاصل في استخراج تلك الجواهر باعداد النفوس لاظهارها حسنت
اضافة اثارتها اليهم وكذلك ارشدوهم الى تحصيل مقدمات تلك الادلة والبراهين و
موادها وهو ايات القدرة الالهية واثارها من سقف فوقهم مرفوع محفوظ مشتمل
على بدايع الصنع وغرايب الحكم ومهاد تحتهم موضوع فيه ينتشرون وعليه يتصرفون و
معايش بها تكون قوام حياتهم الدنياوية بلاغا لمدة نفاسهم لما خلقوا له واجال مقدرة بها
يكون فناؤهم ورجوعهم الى باريهم واعظم بالاجل به رادعة وتقريرا حاد ماال الله تعالى
ولذلك قال صلى الله عليه اكثروا من ذكر هادم اللذات الى غير ذلك من الامراض
التي يضعف قواهم ويهرمهم والمصايب التي يتتابع عليهم فان كل هذه الاثار مواد احتجاج
الانبياء على الخلق ليتنبهوهم بصدورها عن العزيز الجبار عز سلطانه على انه هو الملك المطلق
الذي له الخلق والامر وليقرروا في اذهانهم صورة ما نسوه من العهد المأخوذ عليهم
في الفطرة الاصلية من انه سبحانه هو الواحد الحق المتفرد باستحقاق العباده والى
ذلك اشار القران الكريم وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون و
قوله ان في السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها الايه
وقوله تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم
الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون الى غير ذلك من الايات الدالة
على احتجاج الخالق سبحانه على خلقه بالسنة رسله وتراجمة وحيه وحثهم بهذه
الالطاف الى القرب من ساحل عزته والوصول الى حضرة قدسه سبحانه وتعالى عما
يشركون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار قوله
ولم يخل الله سبحانه خلقه الى قوله وخلف الاسماء اقول للمقصود
الاشارة الى بيان عناية الله سبحانه بالخلق حيث لم يخل امة منهم من نبي مرسل

طرهم

لجذبهم الى جناب عزته كما قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير او كتاب منزل
يدعوهم فيه الى عبادته ويذكرهم فيه منسي عهده ويتلو عليهم فيه اخبار الماضين و
العبر اللاحقه للاولين ويحتج عليهم فيه بالحجج البالغة والدلايل القاطعة ويوضح
لهم فيه امور نظامهم وبينهم على مبدائهم ومعادهم والانفصال هاهنا الانفصال
من الحق كما هو مصرح به قوله رسل لا يقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة
المكذبين لهم اي هم رسل كذلك والمراد الاشارة الى انهم وان كانوا قليلي العدد بالنسبة
الى كثرة الخلق وكان عدد المكذبين لهم كثيرا كما هو المعلوم من ان كل نبي بعث الى
امة فلا بد فيهم من فرقة ساعده ويعانده ويكذب مقاله فان ذلك لا يولنهم
قصورا عن اداء ما كلفوا القيام به من حمل الخلق على ما يكرهون فما هو مصلحة
لهم في معاشهم ومعادهم بل يقوم احدهم وحده ويدعوا الى طاعة باريه ويتحمل
اعباء المشقة الشاقة في مجاهدة اعداء الدين وينشر دعوته في اطراف
الارض بحسب العناية الازلية والحكمة الالهية ويبقى اثارها محفوظة وسنتها
قايمة الى ان يقتضي الحكمة وجود شخص اخر منهم يقوم ذلك المقام مبشرين و
منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل قوله
من سابق سمى له من بعده تفصيل للاشياء ومن هاهنا للتمييز والتبيين والمراد
ان السابق منهم قد اطلعه تعالى على العلم بوجود اللاحق له بعده فبعضهم كما
المقدمه لتصديق البعض كعيسى عليه السلم حيث قال ومبشرا برسول ياتي
من بعدي اسمه احمد ومن لاحق سماه من قبله كمحمد عليه السلام وعلى ذلك اي على
هذه الوتيرة والاسلوب والنظام الالهي مضت الامم وسلفت الاباء وخلفتهم الابناء
قوله الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه الى قوله
من الجهالة واعلم انه عليه السلم ساق هذه الخطبه من لدن ادم عليه السلم الى ان
انتهى الى محمد صلى الله عليه كما هو الترتيب الطبيعي اذ هو الغاية من طينة النبوة
وخاتم النبيين كما نطق به القران الكريم ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم النبيين ثم شرع بعد ذلك في التنبيه على كيفية اهتداء الخلق
به وانتظام امورهم في معاشهم ومعادهم بوجوده كل ذلك استدراج لاذهان
السامعين وتمهيد لما يريد ان يقرره عليهم من مصالح دينية او دنيوية
فاشار الى انه الغاية من طينة النبوة وتمام لها بقوله الى ان بعث

الله محمد صلى الله عليه لانجاز عدته لخلقه على السنة رسله السابقين بوجوده
واتمام نبوته صلى الله عليه **قوله** ماخوذا على النبيين ميثاقه للنصب
ماهنا على الحال عن بعث وذو الحال محمدا وكذلك الحال في المنصوبين الباقيين
والمراد باخذ ميثاقه عليهم ماذكر وقرر في فطرهم من الاعتراف بحقية نبوته
عليه السلم وتصديقه فيما يجي به اذ كان ذلك عن تمام عبادة الحق سبحانه فبعث
عليه السلم حال ماكان ذلك الميثاق ماخوذا على الانبياء ومن عداهم وحال ماكانت
امارات ظهوره والبشارة بمقدمه مشهورة بينهم مع زكاء اصله وكرم مادة
جبلته وشرف وقت مجيه به ثم اراد عليه السلم بعد ذلك ان يزيد بعثه محمد صلى الله عليه
تعظيما ويبين فضيلة شرعه وكيفية انتفاع الخلق به فقال واهل الارض يومئذ
ملل متفرقة واهواء منتشر وطرايق متشتتة والواو في **قوله** واهل الارض
للحال ايضا وموضع الجملة نصب و**قوله** فاهواء خبر مبتدا محذوف تقديره
اهواءهم اهواء متفرقة وكذلك **قوله** وطرايق اى وطرايقهم طرايق متشتتة
اى بعثه وحال اهل الارض يوم بعثه ماذكر من تفرق الاديان وانتشار الارا
واختلافها وتشتت الطرق والمذاهب واعلم ان الخلق عند مقدم محمد صلى الله عليه
اما من عليه اسم الشرايع او غيرهم اما الاولون فاليهود والنصارى والصابية
والمجوس وقد كانت اديانهم اضمحلت من ايديهم وانما بقوا متشبهين باهل الملك
وقد كان الغالب عليهم دين التشبيه ومذهبهم التجسيم كما حكى القران الكريم عنهم
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم
ولعنوا بما قالوا والمجوس اثبتوا اصلين اسندوا الى احدهما الخير والى الثاني
الشر ثم زعموا انه جرت بينهما محاربة ثم ان الملايكة توسطت واصلحت بينهما على
ان يكون العالم السفلي للشر مدة سبعة الاف سنة الى غير ذلك من هذيانهم و
خبطهم واما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة والطرايق المتشتتة فهم على اصناف
شتى فمنهم العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم معطلة ومنهم محصلة نوع
تحصيل اما المعطلة فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي
والدهر المفني وهم الذين حكى القران الكريم عنهم وقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا
نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقصروا الحيوة والموت على تحلل الطبايع

المحسوسة

المحسوسة وتركبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما لهم بذلك من علم ان
هم الا يظنون وصنف منهم اقروا بالخالق وابتدا الخلق عنه وانكروا البعث
والاعادة وهم المحكي عنهم في القران الكريم وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من
يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي الاية وصنف منهم اعترفوا بالخالق
ونوع من الاعادة لكنهم عبدوا الاصنام وزعموا انها شفعاوهم عند الله كما قال
تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هولاء شفعاونا
عند الله ومن هولاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب اللات بالطايف وقريش وبنو كنانة
وغيرهم اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل الاصنام على صور الملايكة ويتوجه
بها الى الملايكة ومنهم من كان يعبد الملايكة كما قال تعالى بل كانوا يعبدون
الجن واما المحصلة فقد كانوا في الجاهلية على ثلثة انواع من العلوم احدها
علم الانساب والتواريخ والاديان والثاني علم تعبير الرويا والثالث علم الانوار
وذلك مما يتولاه الكهنة والعافة منهم وعن النبي صلعم من قال مطرنا بنو كذا
فقد كفر بما انزل على محمد ومن غير العرب البراهمة من اهل الهند ومدار مقالتهم على
التحسين والتقبيح العقليين والرجوع في كل الاحكام الى العقل وانكار الشرايع وانتسابهم
الى رجل منهم يقال له براهام ومنهم اصحاب البددة والبد عندهم شخص في هذا العالم
لا يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم اهل الفكرة وهم اهل العلم
منهم بالفلك واحكام النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات الذين اثبتوا وسايط روحانية
بينهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب فيامرهم وينهاهم ومنهم عبدة
الكواكب ومنهم عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر وهولاء يرجعون بالاخرة الى عبادة
الاصنام اذ لا يستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويرجعون اليه في
مهماتهم ولهذا كان لاصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما على صورها
وكان الاصل في وضع الاصنام ذلك اذ يبعد ممن له ادنى فطنة ان يعمل خشبا بيده
ثم يتخذه الها الا ان الخلق لما عكفوا عليها وربطوا حوايجهم بها من غير اذن شرعي ولا
حجة وبرهان من الله تعالى كان عكوفهم ذلك وعبادتهم لها اثباتا لالهيتها وورا
ذلك من اصناف الارا الباطلة والمذاهب الفاسدة اكثر من ان يحصر وهي مذكورة
في الكتب المصنفة في هذا الفن واذا عرفت ذلك ظهر معنى **قوله** عليه السلم من
مشبه لله بخلقه كالمشبهة من اصحاب الملل السابقة فانهم وان اثبتوا صانعا

الآن اذهانهم مليفة له بكيفية مصنوعاته في نفس الامر من الجسمية وتوابعها ومن
لحد في اسمه كالذين عدلوا عن الحق في اسماء الله بحرفها عما هي عليه الى اسماء
استنفدها الاوثانهم وزادوا فيها ونقصوا كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز
ومناة من المنان وهذا الثنا ويلزم مذهب ابن عباس ومنهم من فسر الملحدين في اسماء
الله بالكاذبين في اسمائه وعلى هذا كل من سمى الله بما لم يسم به نفسه ولم ينطق به
كتاب ولا ورد فيه اذن شرعي فهو ملحد في اسمائه وقوله ومن يشيرالى غيره كالدهرية
وغيرهم من عبدة الاصنام ولا انفصال هاهنا لمنع الخلو ايضا فلما اقتضت العناية
الالهية بعثته صلى الله عليه ليهديهم الى سبيل الحق وينقذهم من ضلالهم القديم الى سلوك الصراط
المستقيم ويستفدهم ببركة نوره من ظلمات الجهل الى انوار اليقين فقام بالدعوة الى سبيل ربه
بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة التي هي احسن فجلا الله بنوره صدا قلوب الخلق
وازهق باطل الشيطان بما جاء به من الحق والصدق وانطلقت الالسن بذكر الله والثناء
البصاير بمعرفة الله وكمل به دينه في اقصى بلاد العالم واتم به نعمته على كافة عباده
كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا احب
الله سبحانه لقاءه كما احب هو لقاء ربه كما قال صلى الله عليه من احب لقاء الله
احب الله لقاءه وحضر له ما عنده من الكرامة التامة والنعمة العامة في
جواره الامين في مقعد صدق عند مليك مقتدر فاكرمه عن دار الدنيا ورغب
به عن مجاورة البلوى ومقام الاذى فقبضه اليه عند انتهاء اجله كريما عن الادناس
الذنب طاهرا والادية الجسمانية والروحانية صلى الله عليه ما برق بارق
وذر شارق **قوله** وخلفت فيكم ما خلفت الانبياء في اممها
اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قايم **اقول**
لما كان هذا الشخص الذي هو النبي ليس ممن يكون وجود مثله في كل وقت لما
ان المادة التي يقبل كمال مثله انما يقع في قليل من الامزجة وجب اذن ان يبرح
للناس بعده في امورهم سنة باقية باذن الله وامره ووحيه وانزاله الروح
المقدس عليه وواجب ان يكون قد دبر لبقاء ما سنه وشرعه في امور المصالح
الانسانية تدبيرا والغاية من ذلك التدبير هو بقاء الخلق واستمرارهم على معرفة
الصانع المعبود ودوام ذكره وذكر المعاد وحسم وقوع النسيان فيه مع انقراض
القرن الذي يلي النبي ومن بعده فواجب اذن ان ياتيهم بكتاب من عند الله

ويكون

ويكون وافيا بالمطالب الالهية والاذكار الجاذبة الى الله سبحانه والاخطاره
بالبال في كل حال مشتملا على انواع من الوعد على طاعة الله ورسوله بجزيل الثواب
عند المصير اليه والوعيد على معصيته بعظيم العقاب عند القدوم عليه ولا بد
ان يعظم امره ويسن على الخلق تكراره وحفظه او بعضه ودراسته وتعلمه
وتعليمه وفهم معانيه ومقاصده ليدوم به التذكر لله سبحانه وللملا الاعلى من
ملايكته ثم يسن عليهم افعالا واعمالا يتكرر في اوقات مخصوصة متقاربة ويتلوا
بعضها مشفوعة بالفاظ يقال ونيات ينوى في الخيال ليحصل بها دوام تذكر
المعبود الاول وينتفع بها في امر المعاد ولا فلا فايدة فيها وهذه الافعال كالعبادات
الخمس المفروضة على الناس وما يلحقها من الوظايف ولما بدا عليه السلام هاهنا
بذكر الكتاب العزيز لكونه مشتملا على ذكر ساير ما جاء به الرسول صلى الله عليه
اما مطابقة او التزاما وفي بسط قواعده الكلية بحسب السنة النبوية وفاء بجميع
المطالب الالهية فنحن نبدا بذكر شرفه ووظايفه وشرايط تلاوته ونوخر الكلام
في باقي العبادات الى مواضعها **البحث الثاني** في فضيلة
الكتاب اما الفضيلة فمن وجوه الاول قوله تعالى وهذا ذكر مبارك
انزلناه افانتم له منكرون وقوله هذا كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته
وليتذكر اولوا الالباب وقوله وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن
تصديق الذي بين يديه وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يومنون **الثاني** قال رسول
الله صلى الله عليه من قرا القران ثم راى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر
ما عظم الله تعالى **الثالث** قوله صلى الله عليه ما من شفيع افضل منزلة
عند الله تعالى يوم القيامة من القران لا نبي ولا ملك ولا غيره ويلوح لك من سر هذه
الاشارة ان ذلك انما هو في حق من تدبره وسلك المنهج المطلوب منه المشتمل عليه
ووصل به الى جناب الله في جوار الملايكة المقربين والاغاية من الشفاعة الا الوصول
الى نيل الرضوان من المشفوع اليه وعلمت ان تمام رضوان الله بغير
سلوك الطريق المشتمل عليها الكتاب العزيز لا يحصل ولا ينفع فيه شفاعة شافع
كما قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين **الرابع**
قال صلى الله عليه لو كان القران في اهاب لما مسته النار والمراد
اي ظرف وعاه وتدبره وسلك طريقه لم تمسه النار اما نار الاخرة فظاهر

واما نار الدنيا فلان الواصلين من اولياء الله الكاملين في قوتهم النظرية
والعملية يبلغون حدا ينفعل العناصر عن نفوسهم فيتصرفون فيها كتصرفهم في
ابدانهم فلا يكون لها في ابدانهم تاثير وقد عرفت اسباب ذلك في المقدمات
الخامس قال صلى الله عليه افضل عبادة امتي تلاوة القران واهل القران هم اهل
الله وخاصته والمقصود مع شرايطه التي سنذكرها

البحث الثالث في وظايفه

واما مداومة الكتاب بالتلاوة والدرس
فيحتاج الى وظايف والا لم ينتفع به كما قال انس رب تال القران والقران يلعنه
والذي ينبغي ان يوصف في ذلك ما لخصه الامام ابو حامد الغزالي في كتاب الا
حياء فانه لا مزيد عليه وهي امور عشرة اولها ان يتصور الانسان حال سماعه التلاوة
عظمة كلام الله سبحانه وافاضة كماله ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله
الى درجة افهام الخلق في ايصال معاني كلامه الى اذهانهم وكيف تجلت لهم الحقايق
الالهية في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى
مدارج الجلال ونعوت الكمال الا بوسيلة ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة
الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه
وسبحات نوره فالصوت والحرف للحكمة جسد وهي بالنسبة اليه نفس وروح و
لما كان شرف الاجساد وعزتها بشرف ارواحها فكذلك شرف الحروف والصوت لشرف
الحكمة التي فيها الثاني التعظيم للمتكلم وينبغي ان يحضر في ذهن القارئ عظمة
المتكلم ويعلم ان ما يقرأ ليس كلام البشر وان في تلاوة كلام الله غاية الخطر
فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه
محروس عن ظاهر بشرة اللامس الغير المتطهر فكذلك باطن معناه كلمة عزه
وجلاله محجوب عن باطن القلب ان يتضح بنوره الا اذا كان متطهرا عن كل رجس
مستنيرا بنور التعظيم والتوقير عن ظلمة الشرك وكما لا يصلح للمس جلد المصحف
كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لحمل انواره كل قلب ولاجل
هذا الاجلال كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف يغشى عليه ويقول هو
كلام ربي فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم وعلمت ان عظمة المتكلم لا تخطر في القلب
بدون الفكر في صفات جلاله ونعوت كماله وافعاله فاذا خطر ببالك
الكرسي والعرش والسموات والارضون وما بينهما وعلمت ان الخالق لجميعها

والقادر

والقادر عليها والرازق لها هو الله الواحد القهار وان الكل في قبضته والسموات
مطويات بيمينه والكل صائر اليه وانه الذي يقول هولاء في الجنة ولا ابالي
وهولاء في النار ولا ابالي فانك تستحضر ذلك عظمة المتكلم ثم عظمة الكلام الثالث
حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب
بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يتجرد عند قراءته بحذف جميع الشغلات
والهموم عنه وهذه الوظيفة تحصل مما قبلها فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر
به ويستانس اليه ولا يغفل عنه فان في القران ما يستانس به القلب ان كان التالي
له اهلا وكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وفيه بساتين العارفين ورياض الابرار
وميادين اهل الالباب الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فان الانسان
قد لا يتفكر في غير القران ولكنه يقتصر على سماع القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود
من التلاوة التدبر قال سبحانه افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها افلا
يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال ورتل
القران ترتيلا لان الترتيل يمكن للانسان من تدبر الباطن وقال صلى الله عليه
لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يمكن التدبر الا بالترديد
فليردد قال ابو ذر قام رسول الله صلى الله عليه يردد قوله تعالى ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم الخامس التفهم وهو ان
يستوضح من كل اية ما يليق بها اذ القران يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وافعاله
واحوال انبيائه والمكذبين لهم واحوال ملائكته وذكر اوامره وزواجره وذكر
الجنة والنار والوعد والوعيد فليتامل معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف له
اسرارها فتحتها دفاين الاسرار وكنوز الحقايق والى ذلك اشار علي عليه السلام بقوله
ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله عبدا
فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من اراد علم الا
ولين والاخرين فعليه بالقران واعلم ان اعظم علوم القران تحت اسماء الله تعالى
وصفاته ولم يدرك الخلق منها الا بقدر افهامهم واليه الاشارة بقوله انزل
من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا فالماء هو
العلم انزله من سماء جوده ففاضت اودية القلوب كل على حسب استعداده
وامكانه وان كان وراء ما ادركوه اطوار اخرى لم يقفوا عليها وكنوز لم يعثروا

لم يعثروا على اغوارها اما افعاله تعالى وما اشار اليه من خلق السماوات والارض
وغيرها فالذى ينبغي ان يفهم التالى منها هو صفات الله وجلاله لاستلزام
الفعل الفاعل فيستدل بعظمة فعله على عظمته ليلاحظ بالاخره الفاعل دون
الفعل فيقرا في المقام الاول هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه ويقرا
في المقام الثاني كل شيء هالك الا وجهه فمن عرف الحق راه في كل شيء ومن بلغ
الى صف العرفان عن درجة الاعتبار لم ير معه غيره فاذا تلا قوله تعالى
افرايتم ما تمنون افرايتم الماء الذى تشربون افرايتم النار التى تورون فلا ينبغي
ان يقصر نظره على النطفة والماء والنار بل ينظر المني وهو نطفة ثم في كيفية
انقسامها الى اللحم والعظم والعصب والعروق وغيرها ثم في كيفية اشكال اعضائها
المختلفة من المستدير والطويل والعريض والمستقيم والمنحني والرخو والصلب و
الرقيق والغليظ وما اودع في كل من القوة وهيئ له من المنفعة التي لو
اختل شيء منها لاختل امر البدن ومصالح الانسان فيتامل في هذه العجايب لو هنا
لما انتهى فيها الى عجيب قدرة الله تعالى والمبدا الذى صدرت عنه هذه الاثار
فلا يزال مشاهدا الكمال للصانع في كمال صنعه واما احوال الانبياء عليهم السلم
فليفهم من سماع كيفية تكذيبهم وقتل بعضهم صفة استغناء الله تعالى عنهم و
لو هلكوا باجمعهم لم يتضرر بذلك ولم يوثر في ملكه واذا سمع نصرتهم فليفهم ان
ذلك بتاييد الحق كما قال تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم
نصرنا فنجي من نشاء واما احوال المكذبين لهم كعاد وثمود وكيفية اهلاكهم
فلينتبه من سماعه للاستشعار الخوف من سطوة الله ونقمته وليكن حظه منه
الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب فربما ادركته النقمة ونفذت
فيه القضية حيث لا ينفع مال ولا بنون وكذلك اذا سمع احوال الجنة والنار
فليحصل منها على خوف ورجاء وليتصور انه بقدر ما بعد عن احدهما يقرب من
الاخرى وليفهم منها ومن ساير القران ان استقصاء ما هنالك من الاسرار الالهية
غير ممكن لعدم نهايته قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا بمثله مددا وقال علي عليه السلم لو شيت
لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فمن لم يتفهم معاني القران
في تلاوته وسماعه ولو في ادنى المراتب دخل في قوله تعالى اولئك الذين

طبع

طبع الله على قلوبهم وقوله افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
وتلك الاقفال هي الموانع التي سنذكرها السادس التخلي عن موانع
الفهم فان اكثر الناس منعوا من فهم القران لاسباب وحجب اسدلها
الشيطان على قلوبهم فحجبت عن عجايب اسراره قال صلى الله عليه وسلم لولا
ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى الملكوت ومعاني القران
واسراره من جملة الملكوت والحجب المانعة اولها الاشتغال بتحقيق الحروف
واخراجها من مخارجها والتشدق بها عن ملاحظة المعنى وقيل ان المتولي
لحفظ ذلك الشيطان وكل بالقراء ليصرف عن معاني كلام الله فلا يزال
يحملهم على ترديد الحرف ويخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فيكون تامله
مقصورا على مخارج الحروف فمتى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان
من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس وثانيها ان يقلد مذهبا سمعه او تفسيرا
ظاهرا نقل اليه عن ابن عباس او مجاهد او غيرهما فهو على التعصب له من
غير علم فيصير نظره موقوفا على مسموعه حتى لو لاح له بعض الاسرار حمل عليه
شيطان التقليد حملة ولم يسوغ له مخالفة ابائه ومعلميه في ترك ما هو عليه
من الاعتقاد والى مثل هذا اشارت الصوفية بقولهم العلم حجاب وعنوا
اهل العقايد التي استمر عليها اكثر الناس بالتعلم والتقليد او بمجرد كلمات
جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم لا العلم الحقيقي الذى هو
المشاهدة بانوار البصيرة ثم ذلك التقليد قد يكون باطلا كمن يحمل الاستواء
على العرش على ظاهره فان خطر له في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز
على خلقه لم يمكنه تقليده من استقرار ذلك الخاطر في نفسه حتى ينساق الى
كشف ثان وثالث ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره بجدله [illegible]
وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم لان الحق الذى كلف الخلق طلبه
له مراتب ودرجات وظاهر وباطن فجمود الطبع على ظاهره يمنع من الوصول
الى الباطن فان قلت كيف يجوز ان يتجاوز الانسان المسموع وقد قال
صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار وفي
النهي عن ذلك اثار كثيرة قلت الجواب عنه من وجوه الاول انه معارض
بقوله صلى الله عليه ان للقران ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا وبقوله

على علمه السلم الا ان يوتى الله عبدا فهما في القران ولو لم يكن سوى الترجمة
المنقولة فما فايدة ذلك الفهم الثاني انه لو لم يكن غير المنقول لاشترط
ان يكون مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وذلك مما لا يصادف الا في
بعض القران فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهم من انفسهم
فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالراي الثالث ان الصحابة و
المفسرين اختلفوا في تفسير بعض الايات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن
الجمع بينها وسماع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه محال فكيف يكون الكل
مسموعا الرابع انه عليه السلم دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين
وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فلا معنى
لتخصيص ابن عباس بذلك الخامس قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه
منهم فاثبت للعلماء استنباطا ومعلوم انه وراء المسموع فاذن الواجب
ان يحمل النهي بالراي على احد معنيين احدهما ان يكون للانسان في الشي راى
وله اليه ميل بطبعه فيتاول القران على وفق رايه حتى لو لم يكن ذلك الميل
لما خطر ذلك التاويل له وسواء كان الراي مقصدا صحيحا او غير صحيح وذلك
كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيستدل على تصحيح غرضه من القران
بقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى ان قلبه هو المراد بفرعون
كما يستعمله بعض الوعاظ تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع الثاني
ان يتسرع الى تفسير القران بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل
فيما يتعلق بغرايب القران وما فيها من الالفاظ المبهمة وما يتعلق به من
الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير والمجاز فمن لم يحكم ظاهر
التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في
زمرة من فسر بالراي مثاله قوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة
فظلموا بها فالناظر الى ظاهر العربية ربما يظن ان المراد ان الناقة كانت
مبصرة ولم تكن عمياء والمعنى اية مبصرة ثم لا يدرى انهم اذا ظلموا غيرهم ومن
ذلك المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين اي وطور سيناء وكذلك
باقي اجزاء البلاغة فكل مكتف في التفسير بظاهر العربية من غير استظهار با
النقل فهو مفسر برايه فهذا هو المنهي عنه دون التفهم لاسرار المعاني وظاهر

ان النقل

ان النقل لا يكفي فيه وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر صفا
عقولهم وشدة استعدادهم له وللطلب والبحث والتفهم وملاحظة الاسرار
والعبر ويكون لكل واحد منهم حد في الترقي الى درجة منه بعد الاشتراك
في الظاهر ومثاله ما فهم بعض العارفين من قوله صلى الله عليه
في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك
منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له واسجد و
اقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من
بعض فان الرضا والسخط وصفان متضادان ثم زاد قربه فاندرج القرب
الاول فيه فترقى الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به
على بساط القرب فالتجا الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك
قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح للعارفين لا
يفهم من تفسير الظاهر وليس هذا مناقضا له وانما هو استكمال للمعنى من
الاسرار الثالث من الموانع ان يكون مبتلى في الدنيا بهوى مطاع فان
ذلك سبب ظلمة القلب وكالصدا على المراة فيمنع جلية الحق ان يتجلى فيه
وهو اعظم حجاب للقلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اكثر تراكما
على القلب كان البعد عن اسرار الله اكثر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا
والاخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احداهما يبعد من الاخرى الرابع
ان يخصص نفسه بكل خطاب في القران من امر او نهي او وعد او وعيد ويقدر
انه هو المقصود به وكذلك ان سمع قصص الاولين والانبياء عليهم السلم علم
ان السمر غير مقصود وانما المقصود الاعتبار ولا يعتقد ان كل خطاب خاص
في القران فالمراد به الخصوص فان القران سائر والخطابات الشرعية واردة
باياك اعني واسمعي يا جاره وهي كلها نور وهدى ورحمة للعالمين ولذلك امر
الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واذا قدر انه المقصود لم يتخذ دراسة
القران عملا بل قراة كقراة العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتدبره
ويعمل بمقتضاه كما قال حكيم هذا القران رسايل اتينا من قبل ربنا بعهوده
نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن

المتبعات **الثامن** التاثر وهوان يتاثر قلبه باثار مختلفة بحسب اختلاف
الايات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به عند ما توجه نفسه في
كل حالة الى الجهة التي فهمها من خوف او حزن او رجاء او غيره فيستعد بذلك
وينفعل ويحصل له التاثر والخشية ومهما تمت معرفته كانت الخشية
اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على العارفين فلا يرى ذكر
المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله
تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى فانه قرن المغفرة
بهذه الشروط الاربعة وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر
السورة ذكر فيها اربعة شروط وحيث اوجز اقتصر ذكر شرطا واحدا جا
معا للشرائط فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ كان الاحسان
جامعا للكل للشرائط وتاثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الاية المتلوة
فعند الوعيد يتضائل من خشية الله وعند الوعد يستبشر فرحا بالله وعند
ذكر صفات الله واسمائه يتطاطا خضوعا لجلاله وعند ذكر الكفار في حق
الله ما يمتنع عليه كالصاحبة والولد يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من
قبح افعالهم ويكبر الله ويقدسه عما يقول الظالمون وعند ذكر الجنة ينبعث
باطنه شوقا اليها وعند ذكر النار يرعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول
الله صلى الله عليه لابن مسعود اقرا علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رايت عينيه تذ
رفان من الدمع فقال حسبك الان وذلك لاستغراق تلك الحالة لقلبه بالكلية
وبالجزئية فالقران انما يراد لهذه الاحوال واستجلابها الى القلب والعمل بها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا القران ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت عليه
جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرءونه وقال تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا والا فالمؤنة في تحريك اللسان خفيفة
قال بعضهم قرات على شيخ لي ثم رجعت اقراه عليه ثانيا فانتهرني وقال
جعلت القراءة علي عملا اذهب فاقرا على الله تعالى وانظر ماذا يامرك وماذا
ينهاك ومات رسول الله صلى الله عليه عن عشرين الفا من الصحابة لم يكن يحفظ
القران منهم غير ستة واختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة و

السورتين

والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم كل ذلك لاشتغالهم
بفهم معاني القران عن حفظه كله وجاء اليه واحد ليعلمه القران فانتهى الى
قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
فقال يكفيني هذا وانصرف فقال رسول الله صلى الله عليه انصرف الرجل وهو فقيه
فالعزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله تعالى بها على القلب عقيب تفهم الاية فاما
التالي باللسان المعرض عن العمل فجدير بان يكون المراد بقوله تعالى ومن
اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى الاية وانما
حظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الا
تعاظ والتاثر بالانزجار والايتمار **التاسع** الترقي وهو ان يوجه قلبه
وعقله الى القبلة الحقيقية فيستمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه ودرجات
القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرا على الله تعالى واقفا بين يديه
وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع
والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كانه سبحانه يخاطبه بالطافه ويناجيه
بانعامه واحسانه وهو في مقام الحياء والتعظيم لبين الله والاصغاء اليه و
الفهم عنه الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر
الى قلبه ولا الى قراءته ولا الى التعلق بالانعام من حيث هو منعم بل يقصر الهم على
المتكلم ويوقف فكره عليه ويستغرق في مشاهدته وهذه درجة المقربين وعنها
اخبر الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال لقد تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه
ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا
عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها
من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة
وبهذه الترقية يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله وبمشاهدة المتكلم
دون ما عداه يكون ممتثلا لقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر فان روية
غير الله معه شرك خفي لا مخلص منه الا بروية وحده **العاشر**
التبري والمراد ان يتبرا من حوله وقوته فلا يلتفت الى نفسه بعين الرضا
والتزكية فاذا تلا ايات الوعد ومدح الصالحين حذف نفسه عن درجة
الاعتبار وشهد فيها الموقنين والصديقين ويتشوق الى ان يلحقه الله تعالى

بهم واذا تلا ايات المقت والذم للمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب
خوفا واشفاقا قيل ليوسف بن اسباط اذا قرات القران بما ذا تدعوا قال بما ذا ادعوا
استغفر الله عن تقصيري سبعين مرة ومن راى نفسه بصورة التقصير في القراءة
كان ذلك سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه
الى درجة اعلى في القرب ومن شهد القرب في البعد رد لعله الى درجة [illegible] في
البعد مما هو فيه ومهما شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد
الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله وصار في قراءته انكشف له الملكوت والمكاشفات
تابعة لحال المكاشف بحيث يتلو ايات الرجا يغلب عليه الاستبشار وينكشف له
صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى
يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله تعالى وارد باللطف والسهولة والشدة والعسف
والرجاء والخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانعام والبطش فبحسب
مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها
يستعد لنوع من المكاشفة مناسب لتلك الحالة اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا و
المسموع مختلف اذ فيه كلام رضى وكلام غضب وكلام انعام وكلام انتقام وكلام جبروت
وتكبر وكلام حنو وتعطف فهذه هي وظايف التلاوة ولنرجع الى المتن فنقول
قوله عليه السلم وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير
طريق واضح ولا علم قايم اشارة الى وضع ما يجب وضعه في الحكمة الالهية على السنة الرسل عليهم السلم
من العبادات والقوانين الكلية التي بها يبقى ذكر الله سبحانه محفوظا واستعمل لفظ
العلم القايم هاهنا استعارة حسنة للاثار الباقية عن الانبياء التي يهتدى بها من الاوصياء
والاولياء الذين يرجع اليهم الخلق قوله كتاب ربكم عطف بيان لما في قوله
ما خلفت الانبياء ولا ينبغي ان يفهم من ما خلف الكتاب حتى يكون ما اتى به محمد عليه السلم
من الكتاب هو عين ما اتت به الانبياء السابقون عليهم السلم بشخصه فان ذلك محال
بل المراد انه نوع ما خلفت الانبياء في اممها من الحق وما جاء به محمد عليه السلم شخص
من اشخاص ذلك النوع وبيان ذلك ان القوانين الكلية التي اشتركت في الاتيان بها
جميع الانبياء عليهم السلم من التوحيد والتنزيه لله تعالى واحوال البعث والقيامة وساير
القواعد الكلية التي بها يكون النظام الكلي للعالم كتحريم الكذب والظلم والقتل والزنا
وغير ذلك مما لا يخالف فيه نبي نبيا بمنزلة ماهية واحدة كلية وجدت في اشخاص

وكما

وكما يعرض لبعض اشخاص الماهية عوارض لا تكون للشخص الاخر وبها تكون
الاختلاف بين الاشخاص بحسب المواد التي نشات عنه الصور الشخصية كذلك
الكتب المنزلة على السنة الانبياء عليهم السلم بمنزلة اشخاص اشتملت على ماهية وا
حدة وتختلف بحسب الزيادات والعوارض على تلك الماهية بحسب اختلاف الامم
والاوقات المشتملة على المصالح المختلفة باختلافها قوله مبينا منصوب
على الحال والعامل خلف وذو الحال للفاعل وهو ضمير النبي عليه السلم قوله
حلاله وحرامه وفضايله وفرايضه اشارة الى الاحكام الخمسة الشرعية التي يدور
عليها علم الفقه وهي الوجوب والندب والحظر والكراهة والاباحة وعبر بالحلال
عن المباح والمكروه وبالحرام عن المحظور وبالفضايل عن المندوب وبالفرايض عن
الواجب وبالنسخ عن رفع الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم اخر مثله فالناسخ
هو الحكم الرافع والمنسوخ هو الحكم المرفوع وبالرخص عن الاذن في الفعل مع قيام ٢
السبب المحرم له لضرورة او غيرها وبالعزايم عما كان من الاحكام الشرعية جاريا
على وفق سببه الشرعي وبالعام هاهنا عن اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب
وضع واحد كقولنا الرجال والمسلمون والخاص عما لم يتناول الجميع بالنسبة الى ما يتناو
له والخاص المطلق هو ما يمنع تصور مفهومه من وقوع الشركة فيه لما عرفته
والعبر جمع عبرة وهي الاعتبار واشتقاقها من العبور وهو انتقال الجسم من موضع
الى اخر ولما كان الذهن ينتقل من الشيء الى غيره حسن اطلاق العبور عليه واكثر
ما يختص اطلاق العبرة بانتقال ذهن الانسان من المصايب الواقعة بالغير او الامور
المكروهة له الى نفسه فيقدرها كانها نازلة به فيحصل له بسبب ذلك انزعاج
عن الدنيا وانتقال ذهن الى ما وراه من امر المعاد والرجوع الى باريه فيسمى ذلك عبرة
وكذلك من المصايب اللاحقة له في نفسه المذكرة له لحساب العزة والملعبة له
بتكدارها عن دار البلوى والمحن فينتقل ذهنه بسببها الى ان الدنيا دار البوار وان الاخرة
هي دار القرار والى ذلك اشارة القران الكريم فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال
الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وان كان قد يستعمل العبر في كل ما يفيد اعتبارا اخر طرف الاحسان ايضا كقوله
تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها الاية ولقوله تعالى فئة
تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راى العين والله يؤيد بنصره

من بينا ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فجعل سبحانه نصر المؤمنين على قلتهم وخذلان
المشركين على كثرتهم ومشاهدة المسلمين لكونهم مثليهم محلا للعبرة اذ يحصل بذلك
انتقال الذهن من نعمه الى انه الاله المطلق للعبادة المتفرد بالقدرة على ما يشاء
اهل الرحمة والجود وافاضة تمام الوجود ولغا الامثال وظاهر كقوله تعالى
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الآية وكقوله مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا ونحوه واراد بالمرسل الالفاظ المطلقة والمهملة وهي الالفاظ التي لا تمنع نفس
مفهوماتها وقوع الشركة فيها لكنها لم يبين فيها كمية الحكم ومقداره ولم يقيد بقيد
يفيد العموم والخصوص وهي محتملة لهما كاسماء الجموع في النكرات كقوله
تعالى وعلى الاعراف رجال وكالمفرد المعرف بالالف واللام او المنكر كقوله
والعصر ان الانسان لفي خسر وكقوله اذ جاءكم فاسق وقوله فتحرير
رقبة فان كل هذه الالفاظ يراد بها الطبيعة دون الكل او البعض الا بدليل منفصل
والفرق بينها وبين العلم ان لكل شيء ماهية هو بها ما هو وهي مغايرة لكل ما عداها
فان مفهوم الانسان مثلا ليس الا انه انسان فاما انه واحد او كثير او ليس احدهما
فمفهوم اخر مغاير لماهيته اذا عرفت ذلك فاللفظ الدال على الحقيقة من حيث
هي من غير دلالة على شيء اخر معها هو اللفظ المطلق والمهمل والدال معها على قيد العموم
بحيث يفهم منه تعدد الماهية وتكثرها في جميع مواردها هو اللفظ العام او في بعض
مواردها وهو الخاص وان كان العموم والخصوص بالذات للمعاني واراد با
المحدود المقيد كقوله تعالى في الكفارة في موضع اخر فتحرير رقبة مؤمنة و
اما المحكم والمتشابه والمجمل والمبين فقد سبق بيانها في المقدمة والتفسير هو التبيين
والغوامض دقايق المسائل وانما اضاف هذه المعاني كلها الى الكتاب لاشتماله
عليها وكونه مبدأ لها ولما كانت محتاجة الى البيان كان الرسول صلى الله عليه [و]هو
المبين لها بسنته الكريمة **قوله** من ماخوذ ميثاق علمه
وموسع على العباد في جهله الى اخره الضماير تعود الى الاحكام المذكورة المشتمل
عليها الكتاب العزيز وذكر منها انواعا احدها ما يجب تعلمه ولا يسع للخلق
في جهله كوحدانية الصانع وامر المعاد والعبادات الخمس وشرايطها
وثانيها ما لا يتعين على كافة الخلق العلم به بل يعذر بعضهم في الجهل به ويتوسع لهم
في تركه كالآيات المتشابهات وكاوايل السور كقوله تعالى الم

كهيعص

كهيعص وحم عسق ونحوها وثالثها ما هو مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة
نسخه وذلك كقوله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن
اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله
لهن سبيلا وقوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا
عنهما فكانت الثيب اذا زنت في بدو الاسلام تمسك في البيت الى الممات والبكر تؤذى
بالكلام ونحوه لمقتضى هاتين الايتين ثم نسخ ذلك في حق الثيب بالرجم وفي حق البكر
بالجلد والتغريب بحكم السنة ورابعها ما هو بعكس ذلك اي مثبت في السنة اخذه
مادون في الكتاب في تركه وذلك كالتوجه الى بيت المقدس في ابتداء الاسلام فا
نه كان ثابتا في السنة ثم نسخ بقوله تعالى فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وكثبوت صلوة الكسوف في
المنسوخ
القران حال القتال الرافع لجواز تاخيرها في السنة الى انجلاء القتال وخامسها
ما يجب لوقته ويزول في مستقبله كاداء الكفارات وقضاء الفوايت والنذور المقيدة
بوقت معين وامثالها فان وجوبها تابع لوقتها المعين ولا يتكرر بتكرار امثاله
**قوله** ومباين بين محارمه عطف على المجرورات السابقة والتاء مفتو
حة وفي معنى الكلام وتقديره لطف فان المحارم لما كانت هي محال الحكم المسمى بالحرمة
صار المعنى ومن حكم مباين من محاله هو الحرمة وقوله من كبير اوعد عليه نيرانه
او صغير ارصد له غفرانه بيان لتلك المحال واشارة الى تفاوتها بالشدة والضعف
في كونها مبعدة عن رحمة الله على سبيل الجملة فالاول كالقتل في قوله تعالى ومن
يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا الآية وكذلك ساير الكباير من الظلم والزنا وغيرها
والثاني قال الفقهاء كالتطفيف بالحبة وسرقة ما قدر عن بصل ونحو ذلك وارصاد
الغفران بازاء هذه وامثالها في الكتاب العزيز كقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة
للناس وساير ايات الوعد بالمغفرة فانها ان كانت عامة في كل الذنوب فالصغا
ير داخلة بطريق الاولى والا كانت محمولة على الصغاير وسر اولويتها بالغفران
انها لا يكاد يكتسب النفس ملكة الافراط والعود الا عن بعد بعيد وتكرار طويل بخلاف
الكباير فان الاقدام عليها في غالب الاحوال لا يقع الا عن نفس مستعدة للشر بعيدة
عن رحمة الله وبالله العصمة والتوفيق

## الفصل الخامس

منها **قوله** وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للانام

يردونه ورود الانعام ويأتون اليه ولوه الحمام جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته
وادعانهم لعزته واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته وصدقوا كلمته ووقفوا
موقف انبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه يحرزون الارباح في متجر عبادته
ويتبادرون عنده موعد مغفرته جعله سبحانه للانام علما وللعائذين حرما فرض
حجه واوجب حقه وكتب عليكم وفادته فقال سبحانه ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين **اقول**
يأتون اليه اي يشتدون جدهم وسوقهم اليه واصل الهمزة هاهنا الواو من وله
يوله اذا تحير من شدة الوجد والسماع جمع سامع كسامر وسمار والمبادرة المسارعة
والوفادة القدوم للاسترفاد والانتفاع واعلم انا لما بينا وجوب العبادات واشرنا
الى وجه الحكمة فيها فبالحري ان نشير الى وجه الحكمة في خصوص الحج من جملتها
ونؤخر تفصيل باقيها الى مواضعه ان شاء الله فاما الحج فانك لما عرفت
ان الغرض الاول من العبادات هو جذب الخلق الى جناب الحق بالتذكير له
ودوام اخطاره بالبال ليحصل لكم الاستئناس على طول التذكار وينتهي في ذلك من
احدث الغاية بيده الى مقام المخلصين فمن جملة اسرار الله سبحانه المنزلة
على لسان رسوله تعيين موضع من البلاد انه اصلح المواضع لعبادة الله وانه
خاص له ولابد ان ينشئ مثل هذه الاوضاع على اشارات ورموز الى مقاصد
حقيقية تتنبه لها من اخذ التوفيق بزمام عقله اليها ولابد من تعيين افعال
يفعل في ذلك المكان وانها انما يفعل في ذات الله سبحانه وانفع المواضع المعينة
في هذا الباب ما كان ماوى الشارع ومسكنه فان ذلك مستلزم لذكره وذكره
مستلزم لذكر الله سبحانه وذكر ملائكته واليوم الاخر ولما لم يمكن في العادي
الواحد ان يكون مشاهدا لكل احد من الامة فالواجب اذن ان يفرض اليه
مهاجرة وسفر وان كان فيه نوع مشقة وكلفة من تعب الاسفار وانفاق
المال ومفارقة الاهل والولد والوطن والبلد ونحن نذكر فضيلته من جهة النص
ثم نشير الى ما ينبغي ان يلاحظ فيه من الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة عند
كل حركة وركن من اركان الحج مما يحرك من تلك الاركان مجرى الارواح للا
بدان فاذن هاهنا ابحاث **البحث الاول** اما الفضيلة
فمن وجوه الاول قوله تعالى واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى



كل ضامر يأتين من كل فج عميق قال قتادة لما امر الله عز وجل خليله ابرا
هيم عليه السلام ان يؤذن في الناس نادى يا ايها الناس ان لله بيتا فحجوه و
قال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في المواسم والاجر في الاخرة و لما
سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة الثاني قال عليه السلام من حج
ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقد عرفت كيفية تقع
العبادات في الخلاص من الذنوب الثالث قال صلى الله عليه ما رأى الشيطان
في يوم هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما
يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال من الذنوب ما لا
يكفرها الا الوقوف بعرفة اسنده الصادق عليه السلام الى الرسول صلى الله عليه وكان
سر ذلك ما يحصل من رحمة الله ويفاض على اسرار العباد التي قد صفت بشدة
الاستعداد الحاصل من ذلك الموقف العظيم الذي يجتمع فيه العالم اعظم اجتماع ٤
فان الاجتماع سبب عظيم للانفعال والخشية لله وقبول انواره كما سنبينه
ان شاء الله تعالى الرابع قال صلى الله عليه حجة مبرورة خير من الدنيا وما
فيها وحجة مبرورة ليس لها اجر الا الجنة الخامس قال صلى الله عليه الحجاج
والعمار وفد الله وزواره ان سألوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوه
استجاب لهم وان شفعوا اليه شفعهم السادس روي عنه صلى الله عليه من طرق
اهل بيته عليهم السلام اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة وظن ان الله لم يغفر له
وفي فضل جريان الحج اخبار كثيرة يطلب من مظانها **البحث**
**الثاني** في الاداب الدقيقة وهي عشرة **الاول** ان يكون النفقة
حلالا وتخلو القلب عن تجارة يشغله سوى الله تعالى وفي الخبر من طرق اهل
البيت اذا كان اخر الزمان خرج الناس الى الحج على اربعة اصناف سلاطينهم
للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر
اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان يتصل بالحج فكل ذلك مانع
لفضيلة الحج ومقصود الشارع منه **الثاني** ان لا يساعد القاعدين
عن سبيل الله والمسجد الحرام بتسليم المكوس اليهم فان في ذلك اعانة على
الظلم وتسهيل لاسبابه وجراه على سائر السالكين الى الله وليجتهد في الخلاص فان
لم يقدر فالرجوع اولى من اعانة الظالمين على البدعة وجعلها سنة

**الثالث** التوسع في الزاد وطيب النفس في البذل والانفاق
بالعدل دون البخل والتبذير فان بذل الزاد في طريق مكة انفاق في
سبيل الله قال صلى الله عليه الحج المبرور ليس له اجر الا الجنة فقيل يا رسول الله
ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام **الرابع** ترك الرفث والفسوق
والجدال كما قال تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج والرفث كل لغو
وفحش من الكلام ويدخل في ذلك محادثة النساء بشأن الجماع المحرم فانها
تهيج داعيته وهي مقدمة له ممنوع ومن لطف الشارع اقامة مظنة الشي
مقام الشي حسما لمادته والفسوق الخروج عن طاعة الله والجدال هو المماراة
والخصومة الموجبة للضغاين والاحقاد وافتراق كلمة الخلق وكل ذلك
ضد مقصود الشارع من الحج وشغل عن ذكر الله **الخامس** ان يحج ماشيا
مع القدرة ونشاط النفس فان ذلك افضل وادخل للنفس في الاذعان
لعبودية الله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من مؤنة الانفاق ولانه
ابعد من الملال واقل للاذى واقرب الى السلامة واداء الحج وهذا في التحقيق
غير مخالف لما قلناه والحق التفصيل فيقال من سهل عليه المشي فهو افضل
وان اضعف او ادى الى سوء خلق وقصور عن العمل فالركوب افضل لان المقصود
توفر القوى على ذكر الله تعالى وعدم المعلات عنه **السادس**
ان يركب الزاملة دون المحمل لاستعماله على زي المترفين والمتكبرين ولانه احف
على البعير اللهم الا لعذر حج رسول الله صلى الله عليه على راحلته وكان تحته رحل
رث وقطيفة خلقة قيمة اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس على
هيئته وشمائله وقال خذوا عني مناسككم **السابع** ان يخرج رث
الهيئة اقرب الى الشعث عن مستكثر من الزينة واسباب التفاخر فيخرج
بذلك عن حزب المساكين وشعار الصالحين روي عنه صلى الله عليه انه قال
انما الحاج الشعث التفث يقول الله تعالى لملايكته انظروا الى زوار بيتي
قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ليقضوا تفثهم والتفث
الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وتقليم الاظفار **الثامن** ان يرفق
بالدابة ولا يحملها ما لا يطيق كان اهل الورع لا ينامون على الدابة الا غفوة
من قعود قال صلى الله عليه لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل

عن دابته

عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وسر ذلك مراعاة الد
قة والترحم والتخلي عن القسوة والظلم ولانه يخرج بالعنف عن قانون العدل
ومراعاة عناية الله وشمولها فانه كما لحقت الانسان لحقت ساير الحيوان
**التاسع** ان يتقرب باراقة دم ويجتهد ان يكون سمينا ثمينا
روي ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلاثماية دينار فسال رسول الله
صلى الله عليه ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل
اهدها وذلك لان المقصود ليس تكثير اللحم وانما المقصود تزكية النفس و
تطهيرها عن رذيلة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال صلى الله عليه ما من عمل ادمي يوم النحر
احب الى الله عز وجل من اهراقه دما وانها لتاتي يوم القيامة بقرونها واظلافها
وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع بالارض فطيبوا بها نفسا **العاشر**
ان يكون طيب النفس بالنفقة من هدي وغيره وبما اصابه من خسران ونقيصة
مال ان اصابه فان ذلك يكون ملحقا الى الله سبحانه عن كل درهم نفقه متعوضا
عنه ما عند الله وذلك علامة لقبول حجه **البحث العاشر**
في الوظايف القلبية عند كل عمل من اعمال الحج اعلم ان اول الحج فهم موقع الحج
في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلايق المانعة عنه ثم تهيية
اسباب الوصول اليه من الزاد والراحلة ثم السير ثم الاحرام ثم الميقات بالتلبية
ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال المشهورة وفي كل حالة من هذه الحالات تذكرة
للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق واشارة للفطن الحاذق الى اسرار تقف
عليها بصفاء قلبه وطهارة باطنه ان ساعده التوفيق اما الفهم فاعلم انه لا وصول
الى الله سبحانه الا بتنحيه ما عداه عن القصد من المشتهيات البدنية واللذات
الدنيوية والتجريد في جميع الحالات والاقتصار على الضرورات ولهذا انفرد الرهبان
في الاعصار السالفة عن الخلق في قلل الجبال توحشا من الخلق وطلبا للانس بالخالق و
اعرضوا عن جميع ما سواه ولذلك مدحهم بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات والاقبال على
الدنيا والالتفات عن الله بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه لاحياء طريق الا
خرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسال اهل الملك عن الرهبانية والسياحة

فقال ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال
هم الصائمون فجعل سبحانه الحج رهبانية لهذه الامة فشرف البيت العتيق باضافته
الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حوله حرما لبيته تفخيما لامره وتعظيما
لشانه وجعل عرفات كالميدان على باب حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده
وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق شعثا
غبرا متواضعين لرب البيت مستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع
الاعتراف بتنزيهه عن ان تحويه مكان ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم ولذلك
وظف عليهم فيها اعمالا لا تانس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار با
لاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ومثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق
والعبودية بخلاف ساير العبادات كالزكوة التي هي ارفاق في وجه معلوم وللعقل
اليه ميل والصوم الذي هو كسر الشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن
الشواغل والركوع والسجود في الصلوة الذي هو تواضع لله سبحانه بافعال على هيئات
التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله تعالى واما امثال هذه الاعمال فانه لا اهتداء للعقل
الى اسرارها فلا يكون للاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو
واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل
انسه المعين على الفعل فان كل ما ادرك العقل وجه الحكمة في فعله مال الطبع اليه ميلا
ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد
ولذلك قال صلى الله عليه في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك
في الصلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بكون اعمالهم على خلاف
اهوية طباعهم وان يكون زمامها بيد الشارع فيترددون في اعمالهم على سنن الا
نقياد ومقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في
تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع الى مقتضى الاسترقاق ولهذا كان مصدر
تعجب النفوس من الافعال العجيبة هو الذهول عن اسرار التعبدات واما الشوق
فباعثه الفهم ان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد
لله تعالى ومن قصد حضرة الله تعالى بالمثال المحسوس جدير ان يرزق منه
بحسب شوقه الى الحضرة العلوية والكعبة الحقيقية التي هي في الدار و
قد نوى هذا البيت على قصدها فيشاهد وجه ربه الاعلى جل وعلا الكريم وانما

العزم

العزم فليستحضر في ذهنه انه بعزمه مفارق للاهل والولد هاجر للشهوات واللذات
مهاجر الى ربه متوجه الى زيارة بيته وليعظم قدر البيت وليخلص عزمه لله و
يبعده عن شوايب الريا والسمعة فان ذلك شرك خفي وليتحقق انه لا يقبل من عمله وقصده
الا الخالص وان من اقبح القبايح ان يقصد بيت الملك وحرمه مع اطلاع ذلك الملك
على خافية الاعين وما تخفي الصدور ويكون قصده غيره فان ذلك استبدال للذي
هو ادنى بالذي هو خير واما قطع العلايق فبحذف جميع الخواطر عن قلبه غير
قصد عبادة الله والتوبة الخالصة له عن الظلم وانواع المعاصي وكل مظلمة علاقة
وكل علاقة خصم حاضر متعلق به ينادي عليه ويقول اتقصد بيت ملك الملوك وهو
مطلع على تضييع امره لك في منزلك هذا ومستهين به ولا يلتفت الى نواهيه وزواجره
ولا تستحيي ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيغلق دونك ابواب رحمته ويلقيك في مهاوي
نقمته فان كنت راغبا في قبول زيارتك فانفذ اوامره من جميع معاصيك واقطع علاقة
قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتتوجه اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه
ظاهرك وليتذكر عند قطعه العلايق لسفر الحج قطع العلايق لسفر الاخرة فان كل هذه
امثلة قريبة يترقى منها الى اسرارها واما الزاد فيطلبه من موضع حلال فاذا احس
من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير قبل بلوغ
المقصد فليتذكر ان سفر الاخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه
لا يصلح زادا ولا يبقى معه الا ربما هو في هذا المنزل وليحذر ان يفسد اعماله التي هي زاده
الى الاخرة بشوايب الريا وكدورات التقصير فيدخل في قوله تعالى قل هل
ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
وكذلك فليلاحظ عند ركوب دابته تسخير الحيوان له وحمله عنه الاذى وليتذكر
منته تعالى بشمول عنايته ورافته حيث يقول وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم فيشكره سبحانه على جزيل هذه النعمة وعظيم
هذه المنة وليستحضر بقلبه من مركبه الى جنازة الاخرة الذي لا شك فيه ولعله اقرب
من ركوبه الحاضر فيحتاط في امره وليعلم ان هذه امثلة محسوسة يترقى منها الى
مراتب النجاة من المشقة الكبرى وهي عذاب الله سبحانه واما ثوب الاحرام و
شراوه ولبسه فليتذكر معه الكفن ودرجه فيه ولعله اقرب اليه وليتذكر منها
التسربل بانوار الله التي لا مخلص من عذابه الا بها فيجتهد في تحصيلها بقدر امكانه

واما الخروج من البلد فليحضر عنده انه يفارق الاهل والولد متوجها الى الله
سبحانه في سفر غير اسفار الدنيا وليحضر ليفيا غايته من ذلك السفر وانه متوجه
الى ملك الملوك وجبار الجبابرة في جملة الزائرين الذين نودوا فاجابوا وشوّقوا
فاشتاقوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله طلبا لرضا الله
وطمعا في النظر الى وجهه الكريم وليحضر ايضا في قلبه رجاء الوصول الى الملك و
القبول له بمحض فضله وليعتقد انه ان مات دون الوصول الى البيت لقي الله
وافدا عليه لقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه
الموت فقد وقع اجره على الله ثم ليتذكر في اثناء طريقه من مشاهدة عقبات الطريق
عقبات طريق الاخرة ومن السباع والحيات حشرات القبور ومن وحشة البوادي
وحشة القبر والانفراد عن الانس فان كل هذه الامور جاذبة الى الله سبحانه ومذكرة له
امر معاده واما الاحرام والتلبية من الميقات فليستحضر انه اجابة نداء الله تعالى
وليكن في قبول اجابته بين خوف ورجاء مفوضا امره الى الله متوكلا على فضله قال
سفين بن عيينة حج زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلم فلما احرم واستوت به راحلته
اصفر لونه ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول
لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى
حجه فانظر رحمك الله الى هذه النفس الطاهرة حيث بلغ بها الاستعداد لافاضة انوار
الله لم يزل الغواشي الالهية والنفحات الربانية تغشاها فتغيب عن كل شي سوى جلال
الله وعظمته ولتذكر عند اجابته نداء الله سبحانه اجابته نداءه بالنفخ في الصور وحشر
الخلق من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لندائه منقسمين الى مقربين
وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد
الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا واما دخول مكة
فليستحضر عنده انه قد انتهى الى حرم الله الامن وليرج عنده ان يامن بدخوله من
عقاب الله وليخش ان لا يكون من اهل القرب وليكن رجاؤه اغلب فان الكرم عميم وشرف
البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام اللائذ المستجير غير مضيع خصوصا عند اكرم الاكرمين
وليستحضر ان هذا الحرم مثال الحرم الحقيقي ليترقى من الشوق الى دخول هذا الحرم والامن
بدخوله من العقاب الى الشوق الى دخول ذلك الحرم والمقام الامين واذا وقع بصره
على البيت فليستحضر عظمته في قلبه وليترق بفكره الى مشاهدة حضرة رب البيت

في جوار

في جوار الملائكة المقربين وليتشوق ان يرزقه النظر الى وجهه الكريم كما رزقه
الوصول الى بيته العظيم وليكثر من الذكر والشكر على تبليغ الله اياه هذه المرتبة
وبالجملة فلا يغفل عن تذكر احوال الاخرة في كل ما يراه فان كل احوال الحج ومنازله
دليل يترقى منه الى مشاهدة احوال الاخرة واما الطواف بالبيت فليستحضر في
قلبه التعظيم والخوف والخشية والمحبة وليعلم انه بذلك متشبه بالملائكة المقربين
الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل
طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يبتدئ بالذكر الا منه ولا يختم الا به كما تبدأ
بالبيت وتختم به واعلم ان الطواف المطلوب هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان
البيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي هي عالم الغيب كما ان الانسان
الظاهر مثال ظاهر في عالم الشهادة للانسان الباطن الذي لا يشاهد بالبصر وهو
في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مرقاة ومدرج الى عالم الغيب والملكوت لمن
فتح له باب الرحمة واخذت العناية الالهية بيده لسلوك الصراط المستقيم والى هذه
الموازنة وقعت الاشارة الالهية بان البيت المعمور في السماء بازاء الكعبة وان طواف
الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف
امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم ثم كثيرا ما
يزداد ذلك التشبه الى ان يصير في قوة المشبه به والذي يبلغ تلك المرتبة فهو يقال
ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رواه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله واما
الاستلام فليستحضر عنده انه مبايع لله على طاعته مصمم عزيمته على الوفاء ببيعته
ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما و
لذلك قال رسول الله صلى الله عليه الحجر الاسود يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصا فح
الرجل اخاه ولما قبله عمر قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول
الله صلى الله عليه يقبلك لما قبلتك فقال له علي عليه السلم مه يا عمر بل يضر وينفع فان
الله سبحانه لما اخذ الميثاق على بني ادم حيث يقول واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهو رهم
ذريتهم واشهدهم على انفسهم الاية القمه هذا الحجر ليكون شاهدا عليهم باداء اماناتهم وذلك
معنى قول الانسان عند استلامه امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي عند ربك
بالموافات واما التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فليستحضر فيه طلب
القرب حبا لله وشوقا الى لقائه تبركا بالمماسة ورجاء للتحصن من النار في

في كل جزء من البيت ولتكن النية في التعلق بالستر الالحاح في طلب الرحمة وتوجيه
الذهن الى الواحد الحق وسؤال الامان من عذابه كالمذنب المتعلق باذيال من عصاه
المتضرع اليه في عفوه عنه المعترف له بانه لا ملجا له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه
وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الطاعة في المستقبل واما السعي بين الصفا و
المروة في فناء البيت فمثال تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى
اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء لملاحظته بعين الرحمة كالذي دخل على الملك و
خرج وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول او رد فيكون تردده رجاء
ان يرحمه في الثانية ان لم يكن رحمه في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة
تردده بين كفتي الميزان في عرصة القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة
السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ملاحظا للرجحان والنقصان مترددا بين
العذاب والغفران واما الوقوف بعرفة فليتذكر بما يرى من ازدحام الخلق وارتفاع الناس
الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء
لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة
نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا
تذكر ذلك فيلزم قلبه الضراعة والابتهال الى الله ان تحشر في زمرة الفائزين المرحومين
وليكن رجاؤه اغلب فان الموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة
الخلائق بواسطة النفوس الكاملة من اوتاد الارض ولا يخلو الموقف عن طائفة من
الابدال والاوتاد وطوائف من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم
وتجردت للضراعة نفوسهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم يرمقون
بابصارهم جهة الرحمة طالبين لها فلا تظنن انه يخيب سعيهم من رحمة تغمرهم
ويلوح لك ان اجتماع الامم بعرفات والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد
المجتمعين من اقطار البلاد هو السر الاعظم من الحج ومقاصده فلا طريق الى استنزال
رحمة الله واستدرارها اعظم من اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد
على صعيد واحد واما رمي الجمار فليقصد به الانقياد لامر الله واظهار الرق و
العبودية ثم ليقصد به التشبه بابرهيم عليه السلم حيث عرض له ابليس في ذلك
الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره تعالى ان يرميه بالحجارة
طردا له وقطعا لامله فان خطر له ان الشيطان عرض لابرهيم ولم يعرض له

فليعلم

فليعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وهو الذي القاه على قلبه ليخيل اليه انه لا فائدة
في الرمي وانه يشبه اللعب وليطرده عن نفسه بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم انف الشيطان
فانه وان كان في الظاهر رميا للعقبة بالحصا فهو في الحقيقة رمي لوجه ابليس وقصم
لظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بالامتثال لامر الله تعظيما لمجرد الامر واما ذبح الهدي فليعلم
انه يقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فليكمل الهدي واجزاءه وليرج ان يعتق الله بكل
جزء منه جزءا من النار هكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكثر واوفر كان الفداء
به من النار اتم واعم وهو تشبه التقرب الى الملك بالذبح له واتمام الضيافة والعرض و
الغاية منه تذكر المعبود الاول سبحانه عند النية في الذبح واعتقاد انه متقرب به وبا
جزائه الى الله فهذه هي الاشارة الى اسرار الحج واعماله الباطنة اذا عرفت ذلك فلنرجع
الى المتن فقوله عليه السلم وفرض عليكم حج بيته الحرام اشارة الى وجوب الحج على الخلق
وهو معلوم بالضرورة من الدين ووصفه بالحرام لانه حرم على الخلق ان يفعلوا فيه ما لا ينبغي
من مناهي الشرع وقوله الذي جعله قبلة للانام مستنده قوله تعالى فلنولينك
قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وقوله
يردونه ورود الانعام مبالغة في تشبيه ورود الخلق البيت بورود الانعام ووجه
المشابهة ما بيناه من عدم اطلاع الخلق على اسرار الحج وعلى ما اشتمل عليه المناسك من الحكمة
الالهية وانه لما كان العقل الذي به تميز الانسان عن الانعام وساير الحيوان معزولا عن ادراك
هذه الاسرار كان لا يكون بين الانسان ومن مركوبه فرق في الورود الى البيت و
ساير المناسك وقوله ويالهون اليه ولوه الحمام اشارة الى شوق الخلق في كل عام الى
ورود البيت لما ساق الحمام الذي يسكنه وقد راعى عليه السلم في هذه القراين الاربع التسجيع و
قوله جعله علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته اشارة الى ما ذكرنا من ان
العقل لما لم يكن ليهتدي الى اسرار هذه الاعمال لم يكن الباعث عليها الا الامر المجرد وقصد
امتثاله من حيث هو واجب الاتباع فقط وفيه كمال الرق وخلوص الانقياد لله فمن
فعل ما امر به من اعمال الحج كذلك فهو المخلص الذي ظهرت عليه علامة المخلصين والمذعن
المتواضع لجلال رب العالمين ولما كان الحق سبحانه عالم الغيب والشهادة لم يكن ان
يقال ان تلك العلامة مما يستفيد بها علما باحوال عبيده من طاعتهم ومعصيتهم فاذن
يتعين ان يكون معناها راجعا الى ما به يتميز النفوس الكاملة التي انقادت لاوامر
الله واخلصت له العبادة عما عداها فان هذه العبادة من اشرف ما استعبد

به النفس الانسانيه وافادتها كما لا تمرت به عن الثمار نوعها فهي اخذ علامة بها يتميز
من اتسم بها عن غيره وقوله ه واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته اشارة
الى الحاج في قوله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين
من كل فج عميق وفي الاثار ان ابرهيم عليه السلم لما فرغ من بناء البيت جاءه جبرئيل عليه
السلم فامره ان يؤذن للناس بالحج فقال ابرهيم يارب وما يبلغ صوتي قال الله اذن
وعلي البلاغ فعلا ابرهيم المقام واشرف به حتى صار كاطول الجبال واقبل بوجهه يمينا
وشمالا وشرقا وغربا ونادى يا ايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم
فاجابه من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء لبيك اللهم لبيك وفي الاثر اشارات
لطيفة فانه يحتمل ان يراد بقول ابرهيم وما يبلغ صوتي الاشارة الى حكم الوهم الانساني
باستبعاد عموم هذه الدعوة والتفات الخلق لها وقصور الطبع عن ذلك وبقول الحق
سبحانه وعلي البلاغ الاشارة الى تاييد الله سبحانه له بما اوحى اليه من العلم ببسط دعو
ته وابلاغها الى من علم بلوغها اليه وبعلو ابرهيم المقام حتى صار كاطول الجبال واقباله
بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ودعوته اشارة الى اجتهاده في التبليغ للدعوة
وجذب الخلق الى هذه العبادة بحسب امكانه واستعانته في ذلك باوليا الله تعالى
بحيث له واما الجابة من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء له فاشارة الى ما كتبه
الله سبحانه بقلم قضايه في اللوح المحفوظ من طاعة الخلق واجابتهم لهذه الدعوة على
لسان ابرهيم عليه السلم ومن بعده من الانبياء وهم المراد بالسماع الذين اختارهم الله
سبحانه من خلقه حتى اجابوا دعوته الى بيته بحجهم اليه بعدما علموا لذلك قرنا بعد
قرن وامة بعد اخرى وقوله ه وصدقوا كلمته اشارة الى مطابقة افعالهم لما
جاءت به الانبياء من كلام الله سبحانه وعدم مخالفتهم وتكذيبهم لهم وقوله ه
ووقفوا مواقف انبيائه اشارة الى متابعتهم لهم ايضا في مواقف الحج وفي ذكر الا
نبياء هاهنا استدراج حسن للطباع اللطيفة المتشوقة الى لقاء الله والتشبه
بانبيائه عليهم السلم وملايكته وقوله ه وتشبهوا بملايكته المطيفين بعرشه اشاره
الى ما ذكرنا من ان البيت المعمور بازاء الكعبة في السماء وان طواف الخلق بهذا البيت
يشبه طواف الملايكه واطافتهم بالبيت المعمور والعرش فهم متشبهون بالملايكة
في الطواف والغاية ان تيسر في من احدث الحكاية ويدعو من هذا الطواف الى ان يصير
من الطايفين بالعرش والبيت المعمور وقوله ه يحرزون الارباح في متجر عبادته

ويبادرون

ويبادرون عنده موعد مغفرته شبه عليه السلم العبادة بالبضاعة التي يتجر بها فا
لتاجر هو النفس وراس المال هو العقل ووجوه تصرفاته حركاته وسكناته البدنيه و
والعقلية المطلوبة منه بالاوامر الشرعيه والعقليه والارباح هي ابواب الله وما اعده
للمحسنين في جنات النعيم واقبح بملوك يعد نفرته في خدمة سيده متجرا يطلب به التكسب
والربح واحسن به اذا نظر الى انه اهل للعبادة فحذف جميع الاعراض والخواطر في
خدمته عن درجة الاعتبار وجعلها خالصة له لانه هو فاما كلامه عليه السلم بذكر التجر
هاهنا فاستدراج حسن لطباع الخلق لما يفهمونه ويميلون اليه من جلب الارباح في
الحركات ليسابقوا فعبدوه وقوله ه وجعله للاسلام علما اي علما للطريق الى الله
وسلوك صراطه المستقيم وهو الاسلام الحقيقي يهتدى به عليها كما يهتدى بالعلم المرفوع
للعسكر والمارة على مقاصدهم وقوله ه فرض عليكم حجه واوجب عليكم وفادته الى
اخره تاكيد لما سبق وذكر الخطاب الموجب للحج وهو قوله ه ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا وبالله العصمة والتوفيق

## ومن خطبة له عليه السلم

احمده استتماما لنعمته واستسلاما لعزته واستعصاما من معصيته الى قوله ه
في خير دار وشر جيران نومهم سهود وكحلهم دموع بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم
اقول الاستسلام الانقياد ووال فلان بال والا وؤولا على مفعول اذا
لجا فنجا ومنه الموئل الملجا والفاقة الفقر والافعل لها ومصاص كل شيء خالصه والذ
خيرة الخبيئة والاها ويلا لامور المخوفه التي يعظم اعتبار النفس بها وعزيمة الايمان عقد
القلب عليه والمدحرة محل الدحر وهو الطرد والابعاد والماثور المقدم على غيره والماثور
ايضا المنقول والمثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء وهي العقوبه والفتن جمع فتنه
وهي كل امر صرف عن قصد الله واشغل عنه من بلاء ومحنة وهوى متبع والحذم القطع
والزعزعة الاهتزاز والاضطراب والسواري الاساطين والنجر الطبع والاصل والمعالم
الاثار التي بها يعلم الشيء ويستدل عليه والشرك جمع شركة بفتح الشين والراء وهي معظم
الطريق ووسطها والخامل الساقط والمناهل المشارب وانهارت انهدمت والسنا
بك الطراف مقدم الحوافر الواحد سنبكه والشهود مصدر كالجحود مرادف للسهاد والارق
واعلم ان المراد بالحمد هاهنا الشكر واستتماما وما بعدها من المنصوبات منصوبات
على المفعول له وقد جعل عليه السلم لحمده هاهنا على سنن الاولى منها الاستتمام لنعمة

الله وذلك لان العبد يستعد لمزيد الشكر لمزيد النعمة وهو في ذلك ناظر الى
قوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم لما يشتمل عليه الايه من البعث على رجاء المزيد
والثانيه الاستسلام لعزته فان العبد ايضا يستعد بكمال الشكر لمعرفة المشكور
وهو الله سبحانه وهي مستلزمة للانقياد لعزته والخضوع لعظمته وهو في ذلك
ناظر الى قوله ولئن كفرتم ان عذابى لشديد لما يشتمل عليه الايه من التخويف
المانع من مقابلة نعم الله تعالى بالكفر ثم لما كان الاستعداد لتمام النعم والتاهل
لكمال الخضوع والانقياد لعزة الله سبحانه انما يتم بعد ان يكون العناية الالهية
اخذه لتصنيع العبد وجاذبة له عن ورطات المعاصي ومبعده له عن اسباب
التورط فيها بكفاية المؤن والاسباب الداعية الى ارتكاب احد طرفي الافراط
والتفريط جعل عليه السلم للحمد غاية اخرى هي الوسيله الى الغايتين المذكورتين
وهي الاستعصام بالله سبحانه من معصيته وعقب ذلك الشكر بطلب المعونه منه
على تمام الاستعداد لما سال وشكر لاجله وجعل لتلك الاستعانة علة حاملة و
هي الفاقه لحوعايه هي كفاية دواعي التفريط والافراط بالحركات الالهية
ولا شك ان الغايتين المذكورتين لا يتم بدون عصمته والمعونه بكفايته وذلك
قوله واستعصمه من معصيته واستعينه فاقة الى كفايته قوله
انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه تعليل لطلب المعونه
على تحصيل الكفايه فانه لما كان حصول الكفاية مانعا من دواعي طرفي
التفريط والافراط كان العبد مستقيم الحركات على سواء الصراط وذلك
هدى الله يهدى به من يشاء فكانه قال واستعينه على ان يرزقني
الكفاية المستلزمة للهدايه التي هي الغنى الحقيقي والملك الابدي فانه
لا يضل من هداه ولا يتخوف عذابه من عاداه واعرض عن شكره والاستعا
نه به وقد اطلق عليه السلم هاهنا لفظ المعاداه لله كما اطلقها القران
الكريم على ما هو من لوازمها وهو الاعراض عن عبادته والبغض لها
ولمن يلبس بها من عباده محارا قوله فانه ارجح ما وزن و
افضل ما خزن الضمير يعود الى الله سبحانه ولما كانت ذاته مقدسة
عن الوزن والخزن اللذين هما من صفات الاجسام فنبا لحرى ان يكون
المقصود رجحان عرفانه في ميزان العقل اذ لا يوازيه عرفان ما عداه



بل لا يخطر ببال العارف عند الاخلاص سواه حتى يصدق هناك موازنه يقال
فيها ارجح ويكون المراد بالخزن خزن ذلك العرفان في اسرار النفوس القدسيه
وقيل الضمير يرجع الى ما دل عليه قوله احمده من الحمد على طريقه قو
لهم من كذب كان شرا له قوله واشهد ان لا اله الا الله هذه الكلمة
اشرف كلمة وحد بها الخالق عز اسمه وقد اشرنا في الخطبة الاولى الى ما تضمنته
تركيبها من حسن الوضع المؤدى للمقصود التام منها وبالجملة فهي منطبقه
على جميع مراتب التوحيد وقد زعم النحويون فيها شيئا مقدرا يكون خبر اللا
فقالوا وتقديره لا اله لنا الا الله او لا الموجود الا الله واعلم ان كل تقدير
يقدرها هنا فهو مخرج لهذه الكلمة عما يفيده اطلاقها ويفيدها تخصيصا لم يكن
وهو ما يجده الانسان من نفسه عند الاعتبار فالاولى ان يكون خبر لا هو قولنا الا
الله وح لا حاجة الى تقدير امر زايد وقد وردت لهذه الكلمة فضايل الاولى
قوله صلى الله عليه افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله الثا
نية عن ابن عمر قال قال صلى الله عليه ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في
الموت ولا عند النشر وكانى انظر الى اهل لا اله الا الله عند الصيحة ينفضون
شعورهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الثالثة يروى
ان المامون لما انصرف من مرو يريد العراق واجتاز بنيسابور وكان على
مقدمته على بن موسى الرضا عليهم السلم فقام اليه قوم من المشايخ وقالوا نسالك
بحق قرابتك من رسول الله ان تحدثنا بحديث ينفعنا فروى عن ابيه عن ابا به
عن رسول الله صلى الله عليه عن جبرئيل عن ربه انه قال لا اله الا الله حصني
فمن دخل في حصني امن من عذابي الرابعة قال صلى الله عليه امرت ان اقا تل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله قال بعض العلماء ان الله تعالى جعل العذاب
عذابين احدهما السيف جعل في يد المسلمين والثاني عذاب الاخره فالسيف في
غلاف لا يرى فقال تعالى لرسوله عليه السلم من اخرج لسانه من الغلاف المرئي
وهو الفم فقال لا اله الا الله ادخلنا السيف في الغمد المرئي ومن اخرج
لسان قلبه من الغلاف الذى لا يرى وهو غلاف الشرك فقال لا اله الا الله
ادخلنا سيف عذاب الاخره في غمد الرحمة واحدة بواحده جزاء ولا ظلم اليوم

قوله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها مصدر
ووصف بوصفين جريا على غير من هاله والممتحن المختبر اراد به مختبر
نفسه في اخلاص هذه الشهادة واحدا لها عرية عن شبهات الباطل و
معرضه عن كل خاطر سوى الحق سبحانه متمثلة فيها حليه التوحيد و
خالصه متراة عن شوايب الشرك الخفي كما عرفت من التوحيد المطلق والاخلاص
المحقق قوله نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل ما
يلقانا فانها عزيمة الايمان الى قوله ومدحرة الشيطان اشار الى انه
يجب التمسك بها مدة البقاء في دار الدنيا لعظايم الامور والاستعداد بها لاهوال
الاخرة وشدايدها ثم عقبها بذكر علة التمسك بها وادخارها وذكر اربعه اوصاف
موجب ذلك اولها انها عقيدة الايمان وعزيمة المطلوبه لله سبحانه
من خلقه وكل ما عداها مما وردت به الشريعة من قواعد الدين وفروعه
فهي حقوق لها ولوازم ومتممات ومعينات على الوقوف على سرها والوصول
الى اخلاصها وثانيها انها فاتحة الاحسان فانها اول كلمه افتتحت بها الشريعه
واستحق العبد بالسلوك في طريق اخلاصها لافاضه احسان الله ونعمه شيا فشيا
وكما انها اول مطلوب لله من خلقه في فطرهم الاصليه وعلى السنة رسله عليهم السلم
فهي ايضا غايتهم التي ينالون باخلاصها واستصحاب مصاحبها السعادة الابا
قيه وثالثها انها مرضات الرحمن وذلك ظاهر اذ هي محل رضوان الله و
السبب المستنزل لتمام رحمته ومزيد نعمته على محل سورها ورفع السخط عنه
كما قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث ورابعها
انها مدحرة الشيطان وذلك ايضا ظاهر فان غاية دعوة الشيطان هو
الشرك الظاهر والخفي وهذه الكلمة انما وضعت في مقابلة دعوته فظا
هرها دافع لظاهر ما يدعو اليه وباطنها قامع لباطن ما يدعو اليه و
كما ان للشرك مراتب لا يتناهى فكذلك للاخلاص في هذه الكلمه فبقدر كل
مرتبة من السلوك في اخلاصها يسقط في مقابلته مرتبه من الشرك ويبطل
سعي الشيطان في تلك المرتبة الى ان يتم الاخلاص بقدر الامكان وقد انهدمت
قواعد الشيطان بكليتها وصار ابعد مطرود عن يقول ما يقول ربنا لا تزغ
قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب قوله

والشهد

والشهد ان محمدا عبده ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه من قال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فجرى بها لسانه واطمان بها قلبه
حرمت النار عليه وانما قرنت هذه الكلمة بكلمة التوحيد لانك عرفت ان غرض
الشريعة انما هو اخلاص تلك الكلمة ولن يحصل اخلاصها الا بسلوك مراتبها و
لن يحصل ذلك الا بمعرفة كيفيته السلوك وعلمت ان مدار ارسال الرسل ووضع
الشرايع لتعريف كيفية السلوك في درجات الاخلاص فكانت الشهادة والاقرار
بصدق المبلغ لهذه الرسالة والمبين لطريق الاخلاص اجل كلمة بعد كلمة الاخلا ص
لانها بمنزله الباب لها فلاجل ذلك قرنت بها قوله ارسله
بالدين المشهور والعلم الماثور الى قوله والامر الصادع اشارة الى تعظيم الرسول
صلى الله عليه بما جاء به واشار بالدين المشهور الى دينه المشتمل على التعريف لكيفية
سلوك الصراط المستقيم وبالعلم الماثور الى اعتبار ذلك الدين هاديا فابدا الخلق
يهتدون به الى حضرت القدس التي هي مقصد جميع الشرايع اذ ذلك هو شان
العلم وكونه ماثورا اشارة اما الى كونه متقدما على ساير الاديان كما تقدم العلم
ويتمسك به قوم بعد قوم او الى نقله من قرن الى قرن وبالكتاب المسطور الى
القران المسطورة حقايقه في الواح النفوس وبالنور الساطع والضياء اللامع الى
السر الذي جاء به الرسول عليه السلم تحت هذه الطريقه وامر بقصده منها وهو
نور مستشرقه مرايا النفوس الصافية من صدا الشبهات وكدورات الشرك
وخصوصيته الامر ووصفه بكونه صادعا الى اعتبار قهره باوامر الله وردعه
لمن لم يسلك الطريق المامور بسلوكها عن رغبة واختيار حتى شق بالامر الالهي
وجه باطله وصدع ما كان ملتيما من غبار فساده كما قال تعالى فاصدع بما
تومر واعرض عن المشركين قوله ازاحة للشبهات الى
قوله وتخويفا بالمثلات اشارة الى الوجوه القريبه لمقاصد البعثة
وذكر عليه السلم منها ثلثة مقاصد اولها ازاحة للشبهات وهو اهمها فان
خرف شواغل الدنيا وشبهات الباطل عن قلوب الخلق اهم مقاصد الشارع
الثاني بسبب تلك الازاحة وهو الاحتجاج به على الخلق بالحجج الواضحة لهم والخطابات
الواصلة الى اقصى اذهانهم كما قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن الثالث و
التحذير بالايات النازلة بالعصاة والتخويف بالعقوبات الواقعة باهل

الجنايات كما قال تعالى اولم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
ان في ذلك لايات لاولي النهى وهذا الانذار مويد بالحجج والخطابات الشرعية في
حق من لم يرزق صفاء ذهن يؤثر فيه مجرد الخطاب فيحتاج الى التحذير والا
نذار **قوله** والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين الى قوله
بين ذود **اقول** يحتمل ان يكون الواو في قوله والناس
للابتداء ويكون ذلك شروعا منه عليه السلم في ذم احوال اهل زمانه وما هم فيه من
البلاء والمحنة والمخاوف والحروب بسبب تشتت اهوائهم واختلاف آرائهم و
عرضه عليه السلم بنسبة السامعين على ما هم عليه غافلين عنه فما هم فيه من الفتن المشتملة
على المذام التي عددها لينتبهوا من رقدة الغفلة ويشمروا في سلوك سبيل الحق
عن ساق الجد والاجتهاد وذكر من المذام التي حصل الناس عليها بسبب ما هم
من الفتن امورا يرجع حاصلها وان تعددت الى ترك مراسم الشريعة وعدم سلوك
الحق وارتكاب طريق الباطل فانقطاع حبل الدين اشارة الى انحراف الخلق
عن سواء السبيل وعدم تمسكهم باوامر الله سبحانه حال وقوع تلك الفتن واستعار
لفظ الحبل هاهنا وفي التنزيل الالهي تمسكوا بحبل الله جميعا استعارة لقانون
الشريعة المطلوب منها لزومه والتمسك به وكذلك استعمال لفظ السواري اما
لقواعد الدين واركانها المامور بتشييدها كالجهاد الذي هو اقوى مطالبه
عليه السلم في ذلك الوقت من الناس ويكون المراد بزعزعتها عدم استقامتها واستقرار
الناس عليها مجازا واما لاهل الدين الذي به يقوم ورجاله العاملون به
الذين لم ياخذهم في الله لومة لائم ويريد بزعزعتها موت اولئك او خوفهم من الاعداء المارقين
وكل ذلك استعارة لطيفة ووجوه المشابهة فيها ظاهرة واشار باختلاف
النجر الى اختلاف الاصل الذي كان يجمع الخلق والفطرة التي فطر الناس عليها
ووردت الشريعة بلزومها فانها كانت متفقة بوجود الرسول صلى الله عليه فاختلف
بعده بسلوك كل فرقة مذهبا غير الاخرى على ان النجر هو الحسب ايضا والحسب هو
الدين فيحتمل ان يريد فاختلاف الدين واشار بتشتت الامر الى تفرق كلمة المسلمين
وبقوله وضاق المخرج وعمي المصدر الى ان الخلق بعد تورطهم في فتن الشبهات
الموجبة لتفرق كلمتهم ضاق مخرجهم منها وعمي عليهم طريق صدورهم منها والعمى
هاهنا هو المشار اليه بقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب

التي

التي في الصدور وهو استعارة حسنة اذ العمى حقيقة عبارة عن عدم ملكة البصر
ووجه المشابهة ان الاعمى كما لا يهتدي لمقاصده المحسوسة بالبصر لعدمه كذلك اعمى البصيرة
لا يهتدي لمقاصده المعقولة لاختلال بصيرته وعدم عقله لوجوه رشده واشار بخمول
الهدى الى عدم ظهوره بينهم حال عماهم عن مصدرهم من ضلالهم اذ كان صوت سواطع نهم
غير موجود والفاء لعطف الجملة الاسمية على الفعلية واشار بشمول العمى الى اشتراكهم في
عدم رويتهم لسبيل الحق الذي به يخرجون من شبهات الباطل وظلمته ثم اشار بعصيانهم
الرحمن ونصرتهم للشيطان الى ان ما هم فيه جور عن الحق ونصرة للباطل الذي هو
مامور الشيطان فما الحري ان يكون نصرة للشيطان وعصيانا للرحمن ومن نصر الشيطان
بالذب عن الباطل فقد خذل الايمان بتركه سد قواعده والذب عنه وبترك الايمان
وخذلانه لا يبقى له دعامة تقوم بها دعائمه والاشارة بالدعائم والمعالم الى دعاة الحق
وحملة الايمان وانهيارها الى عدمهم او عدم قبول قولهم وتنكر المعالم الى عدم معرفتهم
في الخلق لقلتهم ويحتمل ان يراد بالدعائم القواعد التي للدين كالجهاد وغيره وانهيارها عدم
القيام بها وتنكر المعالم الى انمحائه من القلوب التي هي معالم الدين ومحاله ودروس سبله
وعفا شركه الى انه لم يبق له اثر يعرف به وكل ذلك مبالغة في ضعف الدين و
مسالك الشيطان ومناهله ما خرج به عن مناهج الله سبحانه فيتبعونه فيها واعلام
الشيطان والويته لعلها القادة اليه والدعاة الى باطله المقتدى بهم او صور الباطل التي
تصورت في اذهان الخلق وصارت علامات لهم فانقادوا لها واتبعوها حتى كالاعلام
والالوية في الحروب وغيرها **قوله** في من داستهم باخفافها ووطئتهم با
ظلافها وقامت على سنابكها يحتمل ان يكون في فتن متعلقا **بقوله** بهم سارت اعلامه
وقام لواؤه ويحتمل ان يتعلق بمقدر يكون خبرا ثانيا لقوله والناس وهذه الفتن هي
التي اشار اليها اولا وانما اوردها ثانيا بزيادة اوصاف فبالغ عليه السلم في تشبيهها
بانواع الحيوان فاستعار لها الاخفاف والاظلاف والحوافر وجعل لها دوسا ووطيا
وقياما على الحوافر ويحتمل ان يكون هناك اضمار اي داستهم باخفاف ابلها ووطئتهم
باظلاف بقرها وقامت على سنابك خيلها بحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
ويكون التجوز في نسبة الوطي والدوس والقيام اليها فقط وهو المجاز في الاسناد
**قوله** فهم فيها تائهون الفا للتعقيب واشار بتيههم الى ضلالهم
عن القصد في ظلمات الفتن وبحيرتهم الى ترددهم في ان الحق في اي جهة وعدم درايتهم

اهو مع على ام مع معوية و بجهلهم الى عدم علمهم بالحق واعتقاد بعضهم الباطل
عن شبهه بحكم الحكمين واعتقاد اخرين له عن شبهه دم عثمن وامثال ذلك مما هو
جهل مركب وبكونهم مفتونين الى فتنة غرهم لهم واضلالهم عن الحق وهو الشيطان واتباعه
قوله في خير دار وشر جيران هذا الظرف يجوز ان يكون قبله
في كونه خبرا بالبار ويجوز ان يتعلق بقوله ناهون واما بعده من الافعال وقد
اختلف الشارحون لكلامه عليه السلم في مراده بخير دار فقال بعضهم اراد الشام لانها
ارض المقدسة واهلها القاسطون وقال معنى قوله نومهم سهود وكحلهم دموع
اى انهم لا ينامون اهتماما بامورهم واعداد انفسهم للقتال ويكون قتلاهم وقوله
بارض عالمها ملجم يريد نفسه والناصرون للحق وجاهلها مكرم يريد معاوية وقال
اخرون اراد بخير دار العراق وشر جيران يعني اصحابه المستنفرين للجهاد وانما كانوا
شر جيران اى شر متجاورين لتخاذلهم عن الحق ونصرة الدين لان خير المتجاورين
المتعاضدون في الله وقوله نومهم سهود اى خوفا من الحرب وحسرة في التد
بير وكحلهم دموع اى يكون قتلاهم ايضا وقيل نفاقا لا لانهم ثم نفاقه مكلفة عينه
وقال اخرون اراد بها دار الدنيا لانها دار العمل واكثر الخلق بها اشرار جهال وليس
المقصود بكونها خيرا تفضيلها على غيرها ليوهم انها افضل من الاخرة بل اثبات فضيلتها
فقط فان افعل للتفضيل كما يرد لاثبات لا فضيلة لذلك يرد لاثبات الفضيلة و
الدنيا دار فاضلة لمن قام فيها باوامر الله وداعي ما خلق لاجله وهي مزرعة الاخرة كما
ورد به الحديث وكون اهلها شر جيران فانما شر متجاورين كما سبق او شر جيران لمن التجا
اليهم وجاورهم للانتصار بهم على اعداء الدين وذلك بعدم نصرتهم له والقيام معه
وقوله نومهم سهود وكحلهم دموع ظاهره عموم لفظ الناس في اصحابه واصحاب
معويه ومن عداه اوالحرب ودخل فيها وقد بالغ عليه السلم في وصفهم بقلة النوم
لخوف الحرب وهجوم بعضهم على بعض وشدة اهتمامهم بامر القتال وحسرتهم في
تنبه الباطل حتى الحق قلة نومهم بالسهد لاستلزامه عدم النوم فاستعار له
لفظه وصيره هو هو وقوله وكحلهم دموع بالغ في تشبيه دموعهم بالكحل و
صيره هو هو ووجه المشابهة ان الدموع لكثرته منهم وملازمته اجفانهم اشبه
في ذلك الامر المعتاد لعيونهم وهو الكحل فلذلك استعار لفظ الكحل له وقوله
بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم الجار والمجرور محله حكم الظرف الذي قبله فيما يتعلق

بم

به ثم ان حملنا خير دار على الدنيا كان قوله بارض تخصيصا لمكان الناس
من الدنيا فكانه قال والناس في خير دار هي الدنيا ومع منها بارض من حالها
ان عالمها ملجم بلجام الذل من اهلها عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم العلم
بينهم وعلمه الجهل عليهم وجاهلها مكرم لمناسبته لهم في الجهل وموافقته لهم على الباطل
ويكون المراد بتلك الارض اما الشام او العراق وان حملنا خير دار على الشام او
العراق كان قوله بارض عن حالها كذى تحول بحول البيان لها ويكون الذم
اللاحق من هذا الكلام راجعا الى اهل تلك الارض لتحقق الجام العالم واكرام الجاهل
بهم وان نسب ذلك اليها لكونهم بها اذ لو ورد الذم الى الارض لنا في ذلك وصفه
لها بانها خير دار ويحتمل ان يكون الواو في قوله والناس للحال والعامل ارسله و
للفتن المشار اليها هي فتن العرب في الجاهلية وحال البعثة وخير دار يعني مكة وشر
جيران يعني قريشا والعالم الملجم هو من كان عالما بصدق الرسول وخشي بعشيرته
ملجم بلجام التقية والخوف والجاهل المكرم هو من كذبه وهذا الاحتمال حسن واعلم ان الك
تيبا در الى الذهن ان هذا القدر الذي اورده السيد من هذه الخطبة فصول ملفقة لعست
على نظامها التي خرجت عليه فان كان كذلك فما يليه لها او انتظمت مقاصد يوضح
ما اورده الناس واختلفوا فيه منها والله اعلم منها وبعض النسخ
صلى الله عليه وآله هم موضع سره ولجا امره وعيبة علمه وموئل
حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه بهم اقام انحناء ظهره واذهب ارتعاد فرائصه
اقول اللجا الملجا والموئل المرجع من آل يئول الى كذا اذا
رجع وانتهى اليه والانحناء الاعوجاج والفرائص جمع فريصة وهي اللحمة التي من الجنب
والكتف لا تزال ترعد من الدابة وقد وردت هذه القراين لاربع بالسجع المتوازي
والقراين المفردة هاهنا كلها راجعة الى الله تعالى الى الظهر في ظهره وفرائصه
فانهما للرسول صلى الله عليه كما سبق ذكر الله ورسوله في صدر الخطبة وقيل الكل
للرسول صلى الله عليه واشار بكونهم موضع سره الى كمال استعداد نفوسهم عليهم السلم
لاسرار الله وحكمته اذ الموضع الحقيقي للشيء هو ما قبله واستعد له وبكونهم لجا امره
الى انهم الناصرون له والقائمون باوامر الله والذابون عن الدين فاليهم يلتجي
وبهم يقوم سلطانه وكونهم عيبة علمه مرادف لكونهم موضع سره اذ يقال في العرف
فلان عيبة العلم اذا كان موضع اسراره ولفظ العيبة استعارة لنفوسهم الشريفة

ووجه المشابهة ظاهر اذ العيبة لما كان من شانها حفظ ما اودع فيها وصيانته عن ترشيشه باذهان غير اهله لا جرم حسنت استعارة لفظ العيبة لاذهانهم وبكونهم موئل حكمه الى كونهم مرجعا لحكمته اذا ضلت عن اذهان غيرهم فانهم يطلب وعنهم يكتسب وبكونهم كهوف كتبه الى انهم اهل حفظها ودراستها وتفسيرها وعندهم علمها وتاويلها والكتب اشارة الى القرآن وما قبله من كتب الله كما نقل عنه عليه السلم في موضع لو كسرت لي الوساده ثم جلست عليها لحكمت بين اهل التوراه بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من اية نزلت في بر او بحر او سهل او جبل او سما او ارض او ليل او نهار الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي وقت نزلت واستعارة لفظ الكهف قريبه من استعارة لفظ العيبه وبكونهم جبال دينه الى ان دين الله سبحانه بهم يعتصم عن وصمات الشياطين وتبديلهم وتحريفهم كما يعتصم الخائف بالجبل ممن يوذيه وهي استعارة لطيفة وقوله بهم اقام انحنا ظهره اشارة الى ان الله سبحانه جعلهم له اعضادا يشدون ازره ويقومون ظهره ويويدون لعزه والانحناء الظهر كنايه عن ضعفه في بدو الاسلام فبالحري ان يكون اقامتهم لانحناء ظهره كنايه عن تقويتهم اذ تكرر الضعف بالنصره للدين والذب عنه وقوله واذهب ارتعاد فرايصه اي ان الله ازال عنه بمعونتهم خوفه الذي كان يتوقعه من المشركين على حوزة الدين وهو كناية عن النبي بعض لوازمه اذ كان ارتعاد الفرايص من لوازم شدة الخوف وكل هذه الامور ظاهرة لاهله لا سيما من بني هاشم كالعباس وحمزه وجعفر وعلي وابو طالب في الذب عن الرسول صلى الله عليه والحماية للبيه وفي الدين والله اعلم **منها** زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور الى قوله الان اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله

**اقول** الغرور الغفلة والثبور الهلاك والقياس نسبة الشي الى الشي والحاقه به في الحكم وفاء في رجع والغلو تجاوز الحد الذي ينبغي الى ما لا ينبغي والتالي التابع والولايه اسم من قولك وليت الامر اليه وليا والولاية القرب من الشي والدنو منه والخصايص جمع خصيصة وهي فعيلة بمعنى فاعله اي خاصة له مختصة واعلم ان قوله زرعوا الفجور وسقوه الغرور استعارة لطيفه فان الفجور لما كان هو الخروج عن ملكه العفة والزهد وتجاوزها الى طرف الافراط

منهم وكان معنى الزرع القاء الحب في الارض استعار عليه السلم لفظ الزرع لبذر الفجور في اراضي قلوبهم ولان انتشاره عنهم ونموه فيهم يشبه نمو الزرع وانتشاره في الارض ولما كان غرورهم وغفلتهم عن الطريق المستقيم هو سبب عدولهم عنها وتجاوزهم الى طرف الافراط ومهاوي الهلاك وهو مادة تمادتهم في غيهم وزيادة فجورهم وعدولهم عن سوا السبيل اشبه الما الذي هو سبب حيوة الزرع ونموه ومادة زيادته ولاجلها حسنت استعارة لفظ السقي الذي خاصه الما له وللشبه لهم ثم لما كانت غاية ذلك الفجور هلاكهم في الدنيا بالسيف وفي الاخرة بعذابها الاليم اشبهت تلك الغاية الثمره فاستعير لكونها غاية لهم لفظ الحصاد ونسب اليهم وقد اشتملت هذه الالفاظ مع حسن الاستعارة على الترصيع وليس الودي رحمه الله الاشاره بهذا الكلام الى الخوارج وقيل في المنافقين كما ورد مصرحا به في بعض النسخ **ولقول** يحتمل ان يكون متناولا لكل من نابذه عليه السلم وخرج عن طاعته زاعما انه بذلك متعصب للدين وناصر له وذلك لان الفجور كما عرفت عبور وتجاوز للعفة الى طرف الافراط وكل من نابذه عليه السلم وهو مدعي انه طالب للحق فقد خرج في طلبه للحق عن حاق العدل ويجره الى طرف الفجور والغلو ويدخل في ذلك القاسطون وهم اصحاب معويه والمارقون وهم الخوارج ومن في معناهم اذ زعم الكل انهم بقتاله طالبون للحق ناصرون له **قوله** لا يقاس بال محمد عليهم السلم من هذه الامه الى اخره مدح لهم مستلزم لاسقاط غيرهم عن بلوغ درجتهم واستحقاق مثل منزلتهم والكلام وان كان عاما في تفضيل ال محمد على كل من عداهم من امته الا انه خرج على سبب وهو قتاله عليه السلم مع معوية فاذن هو مشير الى تفضيل نفسه على معوية وعدم ترجيحه للخلافه فقوله لا يقاس بال محمد من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا اشارة الى عدم مناسبه الصدق فان المنعم عليه بشرف هذه النعمه التي لا يمكن احدا ان يقابلها بجزاء الاماهل واستعدادهم للتمام الوا على باهل عزهم لها ولا يبلغ درجتهم حتى يقوم مقامهم مع وجودهم في افاضة هذه النعمة واعداد سائر الامة لها وتعليمهم وارشادهم الى كيفية الوصول بها الى الله سبحانه فقوله هم اساس الدين اشارة الى ان بهم استقامته وثباته ورفعه عنهم كما يقوم البناء على اساسه وكذلك قوله وعماد اليقين وقوله اليهم يفي الغالي اشاره الى ان المتجاوز للفضايل الانسانية التي مدارها على الحكمة والعفة

والشجاعة والعدالة التي طرف الافراط منها يرجع اليهم ويهتدي بهم في تحصيل
هذه الفضائل لكونهم عليها اذا اخذ التوفيق بيده واشار بقوله وبهم
يلحق التالي الى ان المقصر عن بلوغ هذه الفضائل المرتكب لطرف التفريط
في تحصيلها يلحق بهم عند طلبه لها ومعونة الله له بالهداية الى ذلك وقوله
ولهم خصائص حق الولاية اشارة الى ان ولاية امور المسلمين وخلافة رسول الله
صلى الله عليه لها خصائص هي موجودة فيهم وشروط بها يستاهل الشخص لها و
يستحقها وتلك الخصائص هي ما بينا عليه من الفضائل الاربع النفسانية ولا
شك في صدقه عليه السلم في ذلك فان هذه الفضائل وان وجد بعضها او كلها
في غيرهم فعنهم اخذوا واليهم فيها انتسب وعلى يقاس بين البحر والوشل
قوله وفيهم الوصية والوراثة اشارة الى اختصاصه عليه
السلم بوصية رسول الله صلى الله عليه واختصاص اهله بوراثته وقيل اراد
بالوراثة ما يراه هو انه اولى به من امر الخلافة وقوله الان اذ رجع
الحق الى اهله ونقل الى منتقله في بعض النسخ قد رجع وذلك اشارة منه
عليه السلم الى ان الامامة كانت في غير اهلها وانه هو اهلها والان وقت رجوعها
اليه بعد انتقالها عنه ولفظ الحق وان كان يحتمل حقا اخر غير الامامة
الا انها المتبادرة الى الذهن من اللفظ هاهنا والله التوفيق

## ومن خطبة له عليه السلم
## المعروفة بالشقشقية وتعرف بالمقمصة

اما والله لقد تقمصها ابن ابي قحافة وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب
من الرحا الى قوله ولالفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز قال
وقام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته فناوله
كتابا فاقبل ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس رحمه الله عليه
يا امير المومنين لو اطردت مقالتك من حيث افضيت فقال هيهات يا ابن
عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال ابن عباس فوالله ما اسفت على
كلام قط كاسفي على ذلك الكلام الا يكون امير المومنين بلغ منه حيث اراد
اقول اعلم ان الخطبة وما في معناها مما يشتمل على شكايته
عليه السلم وتظلمه في امر الامامة هو محل الخلاف بين الشيعة وجماعة

من مخالفيهم

من مخالفيهم فان جماعة من الشيعة ادعوا ان هذه الخطبة وما في حكمها مما
اشتمل عليه هذا الكتاب منقول على سبيل التواتر وجماعة من السنة بالغوا في
انكار ذلك حتى قالوا انه لم يصدر عن علي عليه السلم شكاية في هذا الامر ولا تظلم اصلا
ومنهم من انكر هذه الخطبة خاصة ونسبها الى السيد الرضي رضي الله عنه والمتصدي
للحكم في هذا الموضع هو محل التهمة للشارحين وانا محمد احمد الله على ان لا احكم في
هذا الكتاب الا بما اجزم به او يغلب على ظني انه من كلامه او هو مقصوده فاقول
ان كل واحد من الفريقين المذكورين خارج عن العدل اما المدعون لتواتر هذه الالفاظ
من الشيعة فهم في طرف الافراط واما المنكرون لوقوعها اصلا فهم في طرف التفريط
اما ضعف كلام الاولين فلان المعتبرين من الشيعة لم يدعوا ذلك ولو كان كل واحد من
هذه الالفاظ منقولا بالتواتر لما اختص به بعض الشيعة دون بعض واما المنكرون
لوقوع هذا الكلام عنه عليه السلم فيحتمل انكارهم وجهين احدهما ان يقصدوا بذلك نحو
توجيه العوام وتسكين خواطرهم عن اثارة الفتن والتعصبات الفاسدة ليستقيم
امر الدين ويكون الخلق على نهج واحد فتطمئن خواطرهم انه لم يكن بين الصحابة الذين
هم اسلاف المسلمين وسادتهم خلاف ولا نزاع ليقتدى بحالهم من بعد ذلك وهذا المقصد
حسن ونظر لطيف لو قصد والثاني ان ينكروا ذلك عن اعتقاد انه لم يكن هناك
خلاف بين الصحابة ولا منافسة في امر الخلافة والانكار على هذا الوجه ظاهر البطلان
لا يعتقده الا جاهل بسماع الاخبار لم يعاشر احدا من العلماء فان امر السقيفة و
ما جرى بين الصحابة من الاختلاف وتخلف علي عن البيعة امر ظاهر لا يدفع و
مكشوف لا يستر حتى قال اكثر الشيعة انه لم يبايع اصلا ومنهم من قال انه بايع بعد
ستة اشهر كرها وقال محققو القوم انه بايع بعد ان تخلف في بيته مدة ودل فيه
طويلا وكل ذلك مما يقضي الضرورة معه بوقوع الخلاف والمنافسة بينهم والحق
ان المنافسة كانت ثابتة بين علي عليه السلم وبين من تولى امر الخلافة في زمانه
والشكاية والتظلم الصادر عنه في ذلك امر متحقق بالتواتر المعنوي فانا نعلم با
الضرورة ان الالفاظ المنقولة عنه المتضمنة للتظلم والشكاية في امر الخلافة
قد بلغت في الكثرة والشهرة بحيث لا يكون باسرها كذبا بل لا بد ان يصدق واحد
منها وايها صدقت حصلت هذه الشكاية اما خصوصيات الشكايات بالفاظها
المعينة فغير متواترة وان كان بعضها اشهر من بعض فهذا ما عندي في هذا الباب

بعد التحرى والاجتهاد وعلى هذا التقرير لا يبقى لانكار كون هذه الخطبة صادرة
عنه عليه السلم ونسبتها الى الرضى معنى فان مستند ذلك الانكار هو ما يشتمل عليه من
التصريح بالتظلم والشكاية ومستند انكار ذلك منه عليه السلم هو اعتقاد انه لم
يكن له منافسة في هذا الامر ولست تعلم ان ذلك اعتقاد فاسد على ان هذه الخطبة
خاصة قد اشتهرت بين العلماء قبل وجود الرضى روى عن مصدق بن شبيب النحوى
قال لما قرات هذه الخطبة على الشيخ ابى محمد بن الخشاب ووصلت الى قول ابن عباس
ما اسفت على شى قط كاسفى على هذا الكلام قال لو كنت حاضرا لقلت لابن عباس وهل
ترك ابن عمك في نفسه شيئا لم يقله في هذه الخطبة فانه ما ترك لا للاولين ولا للاخرين
قال مصدق وكانت فيه دعابة فقلت له يا سيدى فلعلها منحولة اليه فقال لا
والله انى اعرف انها من كلامه كما اعرف انك مصدق قال فقلت له ان الناس ينسبونها
الى الشريف الرضى فقال لا والله ومن اين للرضى هذا الكلام وهذا الاسلوب فقد راينا
كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا ينتظم في سلكه على انى قد رايت هذه
الخطبة بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل ان يخلق ابو الرضى فضلا عنه واقول
قد وجدتها في نسختين تاريخهما قبل مولد الرضى بمدة احدهما انها مضمنة كتاب الانصاف
لابى جعفر ابن قبة تلميذ الشيخ ابى القسم الكعبى احد شيوخ المعتزلة وكانت وفاته قبل مولد
الرضى الثانية انى وجدتها بنسخة عليها خط الوزير ابى الحسن على بن محمد ابن الفرات
وكان وزير المقتدر بالله وذلك قبل مولد الرضى بنيف وستين سنة والذى يغلب
على ظنى ان تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة اذا عرفت ذلك
فلنرجع الى المتن فنقول قوله تقمصها اى لبسها كالقميص وقطب الرحا
مسمارها الذى عليه تدور وسدلت الثوب ارخيته والكشح بفتح الكاف الخاصرة
وطفقت اصرت وجعلت وارتاى في الامر اذا فكر طلبا للاولى الاصلح وصال حمل نفسه
على الامر بقوة ويدجذا بالدال المهملة والجيم مقطوعة او مكسورة والطخية الظلمة لقولهم
ليلة طخياء اى مظلمة وتركيب هذه الكلمة يدل على ظلمة الامور وانغلاقها ومنه كلمة
طخياء اى عجمية لا تفهم والهرم شدة كبر السن والكدح السعى والعمل وهاتا لغة
في هاتى وهى لغة في هذا وهذه واحجى اولى بالحجى والحجى وهو العقل والقذى هو ما
يتاذى به العين من غبار ونحوه والشجى ما ينشب في الحلق من غصة عن ادغم والتراث
كالميراث وهو ام ما اورث وادلى فلان بكذا اى تقرب به والقاه وشتان ما هما

اى بعد

اى بعد وشتان ما عمرو وزيد بعد ما بينهما وكور للناقة رحلها والاقالة فك عقد
البيع ونحوه والاستقالة طلب ذلك وشد الامر صعب وعظم وشطرا اى اخذ
كل شطرا وهو البعض والحوزة الطبيعة والحوزة الناحية والكلم بفتح الكاف
الجرح وعثر يعثر عثورا وعثارا اذا اصابت رجله في المشى حجرا ونحوه والصعبة
للناقة لم تذلل بالمحمل ولا بالركوب وشنق الناقة بالزمام واشنق لها اذا
جذبه الى نفسه وهو راكب ليمسكها عن الحركة العنيفة والخرم والشق واسلس لها
اى ارخى وتقحم في الامر اذا القى نفسه فيه بقوة ومنى للناس اى ابتلوا والخبط
الحركة على غير استقامة والشماس بكسر الشين كثرة النفار والاضطراب والتلون
اختلاف الاحوال والاعتراض ضرب من التلون واصله المشى في عرض الطريق
خابطا والشورى مصدر كالنجوى مرادف للمشاورة واسف الطائر اذا دنى من الارض في
طيرانه والصغو الميل بكسر الصاد والضغن بكسر الضاد وسكون الغين وفتحهما ايضا
الحقد والاصهار عند ابن الاعرابى الحرم قرابة نسب او تزوج وبعض العرب لا
يطلقه الا على اهل بيت الزوجين وعن الخليل انه لا يطلق الا على من كان من اهل
المراة وهن على وزن اخ كلمة كنا به عن شئ واصله هنو يقول هذا هنك اى
شيئك والحضن الجانب ما بين الابط والخاصرة والنثيل قريب من الثنى والنثيل الروث
والمعتلف والمعلف موضع الاعتلاف والخضم الاكل بجميع الفم وقيل الخضم باقصى الاضراس
يقول خضم بكسر الضاد يخضم والنبتة بكسر النون للنبات وانكث انتقض واجهز
على الجريح قتله واسرع وكبا الفرس سقط لوجهه والبطنة شدة الامتلاء من
الطعام والروح الخلد والدهن والعرف اعرف عنق وانثال الشئ اذا وقع يتلو بعضه
بعضا وعطف الرجل جانباه من لدن راسه الى وركيه والربيض والربيضة الغنم
برعاتها المجتمعة في مرابضها ومروق السهم خروجه من الرمية وراقه الامر
اعجبه والزبرج بكسر الزاء والراء الزينة والقمة للانسان وقد يتعاطاها
غيره من الحيوان والمقاررة اقرار كل واحد صاحبه على الامر وتراضيهما به
والكظة البطنة والغارب اعلى كتف الناقة والعفطة من الشاة كالعطاس
من الانسان وقيل هي الحبقة والشقشقة لها البعير ويقال للخطيب ذو شقشقة
اذا كان صاحب دربة ومضاء عنه في الكلام واعلم ان المشار اليه بقوله فلان
هو ابو بكر كما هو مصرح في بعض النسخ ولما بالغ عليه السلم في تلبيس ابى بكر بالخلافة

استعار لها لفظ القميص وكنى عن تلبسه بها بالتقمص والضمير المنصوب راجع
الى الخلافة ولم يذكرها لظهورها كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب ويحتمل
ان يكون ذكرها فيما قبل والواو في **قوله** وانه ليعلم ان محلي منها واو الحال
ولما كان قطب الرحا هو الذي به نظام حركاتها وبه تحصل الغرض منها وكان هو
عليه السلم الناظم لامور المسلمين على وفق الحكمة الالهية والعالم بكيفية السياسة الشرعية
لاجرم شبه محله من الخلافة بمحل القطب من الرحا وقد جمع هذا التشبيه انواع
التشبيه الموجودة في كلام العرب وهي ثلثة احدها تشبيه محله بمحل القطب من
الرحا وهو تشبيه المعقول بالمعقول فان محل القطب هو كونه به نظام احوال الرحا
وذلك امر معقول وثانيها تشبيه نفسه بالقطب وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس وثالثها
تشبيه الخلافة بالرحا وهو تشبيه المعقول بالمحسوس ولما كانت حاجة الرحى الى القطب ضرورية
ولا يحصل نفعها الا به فهم من تشبيه محله بمحله انه مقصود بعينه لا يقوم مقامه في
امر الخلافة ولا ينال لها مع وجوده كما لا يقوم غير القطب مقامه في موضعه ثم اكد
ذلك **بقوله** ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فاستعار لنفسه وصفين احد
هما كونه ينحدر عنه السيل وهو من اوصاف الجبل والاماكن المرتفعة وكنى به عن علوه و
شرفه مع فيضان العلوم والتدبيرات للسياسة عنه واستعار لتلك الكمالات لفظ
السيل والثاني انه لا يرقى اليه الطير وهو كناية عن غاية اخرى من العلو اذ ليس كل
مكان عال بحيث ينحدر عنه السيل يكون بحيث لا يرقى اليه الطير فكان ذلك علوا اريد
كما قال ابو تمام    مكارم لجت في علو كانما    تحاول ثارا عند بعض الكواكب
**قوله** فسدلت دونها ثوبا كناية عن احتجابه عن طلبها والمبا
لغة فيها بحجاب الاعراض عنها واستعار لذلك الحجاب لفظ الثوب استعارة
لفظ المحسوس للمعقول وكذلك قوله وطويت عنها كشحا نزل لها منزلة الماكول
الذي منع نفسه من اكله فلم يشتمل عليه كشحه وقيل اراد بطي الكشح التفاته عنها كما يفعل
المعرض عن الجانبه قال    طوى كشحه عني واعرض جانبا    **قوله**
وطفقت ارتئي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يريد اني
جعلت اجيل الفكر في تدبير امر الخلافة واردده بين طرفي نقيض اما ان اصول
على من حازها دوني او ان اترك وفي كل واحد من هذين القسمين خطر اما القيام
فبيد جذاء وهو كناية عن [illegible] لما فيه من التغرير بالنفس وتشويش نظام المسلمين

من غير قابلة

من غير قابلة واستعار وصف الجذاء لعدم الناصر ووجه المشابهة ان قطع
اليد لما كان مستلزما لعدم القدرة على التصرف بها والصولة وكان عدم
الناصر لها والمؤيد مستلزما لذلك لاجرم حسنت الاستعارة واما الترك
ففيه الصبر على مشاهدة الناس الامور واختلاطها وعدم تميز الحق وتجريده
عن الباطل وذلك في غاية الشدة والبلاء ايضا واستعار لذلك الالتباس لفظ
الطخية وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه المشابهة ان الظلمة لا يهتدى
فيها للمطلوب كذلك اختلاط الامور هنا لا يهتدى معها لتميز الحق وكيفية الوصول
الى الله ووصف الطخية بالعمى ايضا على وجه الاستعارة فان الاعمى لما لم يكن يهتدي
لمطالبه كذلك هذه الظلمة لا يهتدى فيها للحق ولزومه ثم كنى عن شدة ذلك الاختلاط
ومقاساة الخلق بسبب عدم انتظام احوالهم وطول مدة ذلك باوصاف احدها
انه يهرم فيها الكبير والثاني انه يشيب فيها الصغير والثالث ان المؤمن المجتهد
في لزوم الحق والذب عنه تعالى من ذلك الاختلاط شدايد ويكدح فيها حتى يلقى
ربه وقيل يداب ويجتهد في الوصول الى حقه فلا يصل حتى يموت ثم اشار
بعد ذلك الى ترجيح رايه في احد قسمي الفكر الثاني وهو الصبر وترك القيام في هذا
الامر بقوله فرايت ان الصبر على هاتا احجى والبق بنظام الاسلام ووجه الترجيح
ظاهر فانه لما كان مقصوده عليه السلم من جهة المنافسة انما هو اقامة الدين
واجراء قواعده على القانون المستقيم ونظام امور الخلق كما هو المقصود من مقالات
الشارعين صلوات الله عليهم اجمعين وكان في صولته ومحاربته لمنافسة في الا
مامة بغير ناصر يتم القيام به ومع ذلك ففيه انشعاب امور المسلمين وتفرق كلمتهم
وثوران الفتن بينهم خصوصا والاسلام لم يرسخ محبته في قلوب كثير للخلق ولم يطعموا
حلاوته وفيهم المنافقون والاعداء والمشركون في غاية القوة من كل الاقطار
اجمع لم يمكنه مع ملاحظة الاحوال اثارة الحروب والمنازعة لادا ذلك الى ضد
ما هو مقصود له بجملته ومحاربته واما الصبر وترك المقاومة وان كان فيه بحسب
رايه ما ذكره من اختلال الدين وانه لو كان هو القائم بهذا الامر لكان انتظامه
به اتم وقواعده به اكمل الا انه اقل بالنسبة الى الاختلال الذي كان يحصل لو نازع
في هذا الامر وقام في طلبه وبعض الشر اهون من بعض **قوله** فصبرت
وفي العين قذى وفي الحلق شجى الواوان للحال والجملتان كنايتان عن شدتها

ما اخبره من التاذي والعجز بسبب سلبه ما يرى انه اولى به من غيره وما يعتقده
من الخبط في الدين بيد غيره **قوله** ارى تراثي نهبا قيل اراد بتراثه
ما خلفه رسول الله صلى الله عليه لابنته مثل فدك فانه يصدق عليها انها تراثه
لان مال الزوجة في حكم مال الرجل والسبب اشارة الى منع الخلفاء الثلثة لها بالخبر الذي رواه
ابو بكر عنه نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة وقيل اراد منصب الخلافة
ويصدق عليه لفظ الارث كما صدق في قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلم يرثني ويرث
من ال يعقوب فانه اراد يرث علمي ومنصبي في النبوة فكان اسم الميراث صادقا على ذلك
**قوله** حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده اراد بالاول
ابا بكر وبفلان عمر والاشارة بالادلاء الى نص ابي بكر على ان يكون عمر هو الخليفة بعده ومضيه
لسبيله انتقاله الى الدار الاخرة وسلوك السبيل الذي لا بد منه لكل انسان واما البيت
فهو للاعشى ميمون واسمه ميمون بن جندل من بني قيس من قصيدة اولها
علقم ما انت الى عامر الناقض الاوتار والواتر وحيان وجابر ابنا السمين بن عمرو من
بني حنيفة وكان حيان صاحب الحصن باليمامة وكان سيدا مطاعا يصله كسرى في كل سنة
وكان في نعمة ورفاهية مصونا عن وعثاء السفر لانه ما كان يسافر ابدا وكان الاعشى
ينادمه والمراد ما ابعد ما بين يومي يوم على كور المطية اداب والنصب في الهواجر ومن
يوم منادمة حيان اخي جابر وادعا فارغا في نعمة وخفض وروي ان حيان عاتب الاعشى
في تعريفه بنسبته الى اخيه فاعتذر اليه الاعشى بان القافية قادته الى ذلك فلم يقبل عذره
واليوم الاول في موضع رفع بانه للفعل والثاني بالعطف عليه واما عرض التمثل بالبيت
فافاد السيد المرتضى رضي الله عنه انه عليه السلم اراد بذلك ان القوم لما فازوا بمقاصدهم
ورجعوا الى مطالبهم وظفروا بها وهو في اثناء ذلك كله محقق في حقه مكد في نفسه كما اشار اليه
بقوله وفي العين قذى وفي الحلق شجى كان بين حالهم وحاله بعد بعيد وافتراق شديد
فاستشهد عليه السلم بهذا البيت واستعار لفظ اليومين وكنى بهما عن حاله وحالهم ووجه
المشابهة ان حالهم استلزم حصول المطالب والرفاهية كيوم حيان وحاله عليه السلم
استلزم المتاعب كيومه على كور الناقة مسافرا قلت ويحتمل ان يكون قد استعار
يوم حيان ليومه مع رسول الله صلى الله عليه وما كان يحصل له في مدة صحبته من الفوائد
الجمة والكمالات من العلوم والاخلاق ويوم كونه على كور الناقة لزمانه بعد الرسول
صلى الله عليه وما لحقه فيه من مقاساة المحن ومتاعب الصبر على الاذى ووجه المشابهة

ما يشتمل

ما يشتمل عليه يوم حيان وعهد الرسول من المسار وما يشتمل عليه يوم كونه على كور الناقة
واوقاته بعد الرسول من المضار **قوله** فيا عجبا بينا هو يستقيلها
في حياته اذ عقدها لاخر بعد وفاته الاشارة الى ابي بكر وطلبه الاقالة هو قوله
اقيلوني فلست بخيركم ووجه التعجب هاهنا ان طلب ابي بكر للاقالة من هذا الامر انما
هو لثقله وكثرة شرائطه وشدة مراعاته احراز احوال الخلق مع اختلاف طباعهم
واهوائهم على قانون واحد وخوفه ان يعثر به مطايا الهول فترد به في موارد الهلاك
وعلى هذا التقدير فكلما كانت مدة ولاية الانسان لمثل هذا الامر اقصر كان خوفه اقل وكانت
متاعبه ايسر واسهل وسبيل طالب الاقالة من هذا الامر وامثاله ومقتضى طلبه
لذلك ان يحرص على قلة متاعب هذا الامر ويجتهد في الخلاص منه مهما امكنه ذلك فاذا
رايناه متمسكا بهذا الامر ويجتهد في الخلاص منه مدة حياته وعند وفاته يعقده
لاخر بعده فيتحمل مضار هذا الامر في حال الحيوة وبعد الوفاة فلا بد وان يغلب على
الظن ان طلبه للاقالة لم يكن عن قصد صحيح فيصير ذلك الظن مقابلا لما اعتقد فيه
من العدالة وذلك محل التعجب وهذا الخلاف مما اشتهر بالفسوق والنفاق فانه لا يتعجب
من فعله لو خالف قوله **قوله** لشد ما تشطرا ضرعيها اللام
للتاكيد وما مع الفعل بعدها في تقدير المصدر وهو فاعل شد والجملة من تمام التعجب
وقد استعار عليه السلم لفظ الضرع هاهنا للخلافة وهي استعارة مستلزمة
لتشبيهها بالناقة ووجه المشابهة المشاركة في الانتفاع الحاصل منهما والمقصود وصف
اقتسامهما لهذا الامر المشبه لاقتسام الحالبين اخلاف الناقة بالشدة على من يعتقد انه
احق بها منهما او على المسلمين الذين يشهدون الاولى لها و **قوله** فصيرها
في حوزة خشناء اراد بالحوزة طباع عمر فانها كانت توصف بالجفاوة والغلظ في الكلام
والتسرع الى الغضب وذكر معنى خشونتها **قوله** يغلظ كلمها ويخشن
مسها استعار لتلك الطبيعة وصفين احدهما غلظ الكلم وهو كناية عن غلظ المواجهة
بالكلام والجرح به فان الضرب باللسان اعظم من وخز السنان والثاني خشونة
المس وهي كناية عن خشونة طباعه المانعة من ميل الطباع اليه المستلزمة للاذى كما
يستلزم مس الاجسام الخشنة **قوله** ويكثر العثار والاعتذار منها اشارة
الى ما كان يتسرع اليه عمر من الاحكام ثم يعاود النظر فيها فيجدها غير صائبة فيحتاج
الى الاعتذار والتغيير فمنها يعود الى الطبيعة المعبر عنها بالحوزة فمن ذلك ما روي

انه امر برجم امراة زنت وهي حامل فعلم علي عليه السلم بذلك فجاء اليه وقال له
ان كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها دعها حتى تضع ما في بطنها
ثم ترضع ولدها فتركها فقال عمر لولا علي لهلك عمر وتركها وكذلك ما روي انه
امر ان يؤتى بامراة لحال اقتضت ذلك وكانت حاملا فانزعجت من هيبته فاجهضت
جنينا فجمع جمعا من الصحابة وسالهم ماذا يجب عليه فقالوا انت مجتهد ولا نرى
انه يجب عليك شي فراجع عليا في ذلك واعلمه بما قال بعض الصحابة فانكر ذلك
وقال ان كان عن اجتهاد منهم فقد اخطاوا وان لم يكن عن اجتهاد فقد غشوك
ارى عليك الغرة فعندها قال لا عشت لمعضلة لا تكون لها يا ابا الحسن ومنشا ذلك
وامثاله غلبة القوة العصبية وغلظ الطبيعة قوله فصاحبها كراكب الصعبة
ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم قيل الضمير في الصعبة صاحبها يعود الى الحوزة
المكنى بها عن طبيعة عمر واخلاقه والمراد على هذا الوجه ان المصاحب لتلك الاخلاق في
حاجته الى المداراة وفي صعوبة حاله كراكب الصعبة ووجه المشابهة ان راكب الصعبة
كما يحتاج الى الكلفة الشاقة في مداراة احوالها فهو معها بين خطرين ان والى الجذبات في
جمحها بالزمام خرم انفها وان اسلس لها في القياد تقحمت به المهالك كذلك مصاحب
اخلاق الرجل والمبتلى بها ان اكبر عليه انكارها يتسرع اليه اذى ذلك الى مساقته و
فساد الحال بينهما وان سكت عنه وتركه وما يصنع ادى ذلك الى الاخلال بالواجب وذلك
من موارد الهلكة وقيل الضمير في صاحبها للخلافة وصاحبها هو كل من تولى امرها اذا
كان عادلا مراعيا الحق لله ووجه شبهه براكب الصعبة ان المتولي لامر الخلافة يحتاج
الى الكلفة الشاقة في مداراة احوال الخلق ونظام امورهم على القانون الحق وان يسلك
بهم طريق العدل المحروسة بطرفي التفريط والتقصير المشبه لاسلاس قياد الصعبة و
بطرف الافراط في طلب الحق والاستقصاء فيه الذي يشبه شنقها فان المتولي لامر
الخلافة ان فرط في المحافظة على شرايطها واهمل امرها القاه التفريط في موارد الهلكة
كما فعل الصحابة الى عثمن حتى فعل به ما فعل فكان في ذلك كراكب صعبة اسلس قيادها
وان افرط في حمل الخلق على اشد مراتب الحق وبالغ في الاستقصار عليهم في طلبه اوجب
ذلك نفرتهم منه ونفار طباعهم وتفرقهم عنه وفساد الامر عليه لميل اكثرهم الى حب
الباطل وغفلتهم عن فضيلة الحق وان صعب فيكون في ذلك كمن اشنق للصعبة
التي هو راكبها حتى خرم انفها وهو من التنبيهات اللطيفة وقيل اراد بصاحبها نفسه

ويشبه براكب الصعبة لانه ايضا بين خطرين اما ان يسبق ساكتا عن طلب هذا الامر
والقيام فيه فيتقحم فيه بذلك في موارد الذل والصغار كما يتقحم راكب الصعبة
المسلس لها قيادها واما ان يقوم فيه ويسدد في طلبه فيتشعب امر المسلمين بذلك
وينشق عصاهم فيكون في ذلك كمن اشنق لها فخرم انفها والاول البقوسيا في
الكلام ونظامه والثاني اظهر والثالث محتمل قوله فمني الناس
لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض اشارة الى ما ابتلوا به من اضطراب الرجل
وحركاته التي كان سفههم عليه فكنى بالخبط عنها وبالشماس عن جفاوة طبعه وخشو
نتها وبالتلون والاعراض عن انتقاله من حالة الى اخرى في اخلاقه وهي استعارات
وجه المشابهة فيها ان خبط البعير وشماس الفرس واعتراضهما الطريق حركات
غير منظومة فاشبهها بما لم يكن منظوما من حركات الرجل التي ابتلى الناس بها ولا شك
انه كان صعبا عظيم السطوة والهيبة وكان اكابر الصحابة يتحامونه وقيل لابن عباس
لم لم تظهر قولك في مسألة العول بعد موت عمر هلا قلت ذلك وعمر حي قال هيبته
وكان رجلا مهيبا وقيل ان ذلك اشارة الى ما ابتلي به الناس من اضطراب الامر
وتفرق الكلمة وجرى امورهم على غير نظام بسبب تفرق كلمتهم ثم اردف ذلك بذكر
ذكر صبره على ما صبر عليه مع الثاني كما صبر مع الاول وذكر امرين احدهما طول
مدة تخلف الامر عنه والثاني شدة المحنة بسبب فوات حقه وما يعتقده من لوازم
ذلك الفوت وهو عدم انتظام احوال الدين واجرايه على قوانينه الصحيحة وكل
واحد من هذين الامرين حصة في استلزام الاذى الذي يحسن في مقابلته الصبر
قوله حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم
اقول حتى هنا لانتهاء الغاية والغاية تؤذن بان الشرطية لمقدمها المضي
جعله لها في جماعة لمضيه لسبيله واشار بالجماعة الى اهل الشورى وخلاصة حديث
الشورى ان عمر لما طعن دخل عليه وجوه الصحابة وقالوا له ينبغي ان تعهد عهدك
ايها الرجل وتستخلف رجلا ترضاه فقال لا احب ان اتحملها حيا وميتا فقالوا افلا
تشير علينا فقال اما ان اشير فان احببتم قلت فقالوا نعم فقال الصالحون لهذا
الامر سبعة نفر سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول انهم من اهل الجنة احدهم
سعد بن زيد وانا مخرجه منهم لانه من اهل بيتي وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن
بن عوف وطلحه والزبير وعثمن وعلي فاما سعد فلا يمنعني له الا عنفه

ومناقشته والخامس عبد الرحمن فلانه قارون هذه الامة والسادس طلحة فلكبره
ونخوته والسابع الزبير فلشحه ولقد رايته بالبقيع يقاتل على صاع من شعير
ولا يصلح لهذا الامر الا رجل واسع الصدر والثامن عثمن فلمحبته لقومه وعصبيته
لهم والتاسع على فلحرصه على هذا الامر ودعابة فيه ثم قال يصلى صهيب بالناس
ثلثة ايام ويخلو الستة نفر في بيت ثلثة ايام ليتفقوا على رجل منهم فان استقام اربعة
خمسة وابى رجل فاقتلوه وان استقر لهم ثلثة وابى ثلثة فكونوا مع الثلثة الذين
فيهم عبد الرحمن بن عوف ويروى فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن
بن عوف ويروى فتحاكموا الى عبد الله بن عمر فاى الفريقين قضى له فاقتلوا الفريق
الاخر فلما خرجوا عنه واجتمعوا لهذا الامر قال عبد الرحمن ان لى ولابن عمى من
هذا الامر الثلث ه فنحن نخرجه انفسنا منه على ان نختار رجلا هو خيركم للامة
فقال القوم رضينا غير على فانه اتهمه في ذلك وقال ارى وانظر فلما
ايس من رضى على رجع الى سعد فقال هلم نعين رجلا فنبايعه فالناس يبايعون
من بايعته فقال سعد ان بايعك عثمن فانا لكم ثالث وان اردت ان تولى عثمن
فعلى احب الى فلما ايس من طاوعة سعد كف عنهم وجاءهم ابو طلحة في خمسين رجلا من
الانصار فحثهم على التعين فاقبل عبد الرحمن على على عليه السلم واخذ بيده وقال ابايعك على
ان تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين ابا بكر وعمر فقال على ابايعك على ان اعمل
بكتاب الله وسنة رسوله واجتهد رايى فترك يده ثم اقبل على عثمن فاخذ بيده وقال
له مثل ما قال لعلى فقال نعم فكرر القول على كل منهما ثلثا فاجاب كل بما اجابه
اولا فعندها قال عبد الرحمن هى لك يا عثمن وبايعه ثم بايعه الناس وفي بعض النسخ
زعم انى سادسهم ثم اردف حكاية الحال بالاستغاثة بالله للشورى والاستفهام عن
وقت عروض الشك لاذهان الخلق في ان الاول هل يساويه في الفضل او لا يساويه ا
ستفهاما على سبيل الانكار والتعجب من عروضه لاذهانهم الى غاية ان قاسوه بالخمسة
المذكورين وجعلوهم نظاير له وامثالا له في المنزلة واستحقاق هذا الامر
قوله لكنى اسففت اذا اسفوا وطرت اذا طاروا استعارة لاحوال
الطاير من الاسفاف والطيران لاحواله من مقارنته لمرادهم وتصرفه على قدر ا
ختيارهم اولا واخرا قوله فصغا رجل منهم لضغنه اشارة
الى سعد بن ابى وقاص فانه كان منحرفا عنه عليه السلم وهو احد المتخلفين عن

فاصغى خ

سعد

عن بيعته بعد قتل عثمن و قوله ومال الاخر لصهره اشارة الى
عبد الرحمن بن عوف فانه مال الى عثمن لمصاهرة كانت بينهما وهى ان عبد الرحمن
كانت زوجا لام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وهى اخت عثمن لامه اروى
بنت كريز قوله مع هن وهن يريد ان ميله اليه لم يكن لمجرد
المصاهرة بل لاشياء اخرى يحتمل ان يكون نفاسه عليه وعلية له بوصول
هذا الامر اليه او غير ذلك الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله
ومعتلفه اراد به عثمن وكنى بقيامه عن حركته في ولاية امر الخلافة واثبت
له حالا يستلزم تشبيهه بالبعير واستعار وصفه له وهو نفج الحضنين وكنى
بذلك عن استعداده للتوسع في مال المسلمين وحركته في ذلك كما نسب اليه
تشبيها له بالبعير في انتفاخ جنبيه بكثرة الاكل لانه كالمتوسع في الاكل والشرب وربما
قيل ذلك للمتكبر المتبختر كبرا وكذلك قوله بين نثيله ومعتلفه وهو متعلق
بقام اى قام بين معتلفه وروثه وهو من اوصاف البهايم ووجه الاستعارة ان
البعير او الفرس كما لا اهتمام له اكثر من ان يكون بين اكل وروث كذلك نسبه
الى انه لم يكن اكبر همه الا التصرف والتوفر في المطعم والمشرب وساير مصالح نفسه
واقاربه دون ملاحظة لعموم المسلمين ومراعاة مصالحهم كما نقم عليه قوله
وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله تعالى خضم الابل نبتة الربيع يخضمون
في موضع الحال وعنى بمال الله بيت المال واراد ببنى ابيه بنى امية بن عبد شمس
ويحتمل ان يريد اقرباءه مطلقا وخص بنى امية تغليبا للمذكورة وكنى بالخضم عن
كثرة توسعهم في مال المسلمين من يد عثمان وقد نقلت عنه من ذلك امور احدها انه دفع الى
اربعة نفر من قريش زوجهم بناته اربعماية الف دينار وثانيها انه لما فتح افريقية اعطى
مروان بن الحكم ماية الف دينار ويروى خمس افريقية وثالثها روى من عدة طرق ان
ابا موسى الاشعرى بعث اليه بمال عظيم من البصرة فجعل يفرقه في ولده واهله وكان
ذلك بحضرة زياد بن عبيد مولى الحرث بن كلدة الثقفى فبكى زياد لما راى فقال له
لا تبك فان عمر كان يمنع قرابته ابتغاء وجه الله وانا اعطى اهلى وقرابتى ابتغاء وجه
الله ورابعها روى انه ولى الحكم بن ابى العاص صدقات قضاعة فبلغت ثلثماية
الف فوهبها له حين اتاه بها وخامسها روى ابو مخنف ان عبد الله بن خالد بن
اسيد قدم على عثمان من مكة ومعه ناس فامر لعبد الله بثلثماية الف ولكل

واحد منهم ثمانية الف وصلّ بذلك على عبد الله بن الارقم وكان حينئذ خازن
بيت المال فاستكثر ذلك ورد الصك فقال عثمان ما حملك على رده وانما انت
خازن قال كنت ارانى خازن بيت مال المسلمين وانما خازنك غلامك والله
لا الى لك بيت المال ابدا وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر فدفعها عثمان الى مولاه
نابل وروى الواقدي ان عثمان امر زيد بن ثابت ان يحمل من بيت المال الى عبد
الله بن الارقم عقيب ما فعل ثلثمائة الف درهم فلما دخل عليه بها قال له
يا ابا محمد ان امير المؤمنين ارسل اليك يقول انا شغلناك عن التجارة ولك ذو
رحم اهل حاجة ففرق هذا المال فيهم واستعن به على عيالك فقال عبد الله
مالي اليه حاجة وما عملت لان يثيبني عثمان فان كان هذا من بيت المال فما
بلغ قدر عملي ان اعطى ثلثمائة الف وان كان من ماله فلا حاجة لي به وبالجملة فموا
هبه لاهله وذويه مشهوده وقد شبه عليه السلام خضمهم لمال الله بخضم الابل
نبات الربيع ووجه التشبيه ان الابل لما كانت يستلذ نبت الربيع بشهوة صادقة
وملاءمته احناكها وذلك المجيء عقيب يبس الارض وطول مدة الشتاء ومع
ذلك لطيبه ونضارته كان ما اكله اقارب عثمان من بيت المال مشبها له كذلك من
جهة كثرته وطيبه لهم عقيب صبرهم وفقرهم وكذا ذلك في معرض الذم و
التوبيخ المستلزم لارتكاب المناهي لله المستلزم لعدم التاهل لامر الخلافة
**قوله** ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته
اشارة الى غاية ما انتهى من قيامه في الحال المذكورة واستعار لفظ الفتل وهو
برم الحبل لما كان يبرمه من الراى والتدبير ويستبد به دون الصحابة وكنى به
عنه وكذلك لفظ الانتكاث لانتقاض تلك التدابير ورجوعها عليه بالفساد
والهلاك **وقوله** واجهز عليه عمله يشتمل على المجاز في الافراد والتركيب اما
في الافراد فلان استعمال الاجهاز انما يكون حقيقة في قتل يتقدمه جرح المقتول
او الجاني بضرب ونحوه ولما كان قتل عثمان مسبوقا بطعن اسنة الالسنة والجرح
بحداد سيوفها الاجرم اشبه قتله الاجهاز فاطلق عليه لفظه واما في التركيب فلان
اسناد الاجهاز الى العمل ليس حقيقة لصدور القتل عن القاتلين لكن لما كان عمله
هو السبب الحامل لهم على قتله صح اسناد الاجهاز اليه اسناد الفعل للسبب الفاعلي
الى السبب الحامل وهو من وجوه المجاز وكذلك **قوله** وكبت به بطنته

مجاز


في الاسناد
مجاز فيهما في التركيب وذلك لان الكبو انما هو حقيقة في الاسناد الى الحيوان
ولما كان ارتكابه للامور التي نقمت عليه وتوسعه في بيت المال المكنى عن
ذلك بالبطنة واستمراره على ذلك مدة خلافته سليما شبه ركوب الفرس و
استمراره عليه سليما من العثار والكبو كانت البطنة مشبهة المركوب من هذه الجهة
فلذلك صح اسناد الكبو اليها مجازا **قوله** فما راعني الا والناس
الي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب الى متعلق بمحذوف تقديره
مقبلون الي وفاعل راعني اما الجملة الاسمية وهو مقتضى قول الكوفيين
اذ جوزوا كون الجملة فاعلا او ما دلت عليه هذه الجملة فكانت مفسرة له
من المصدر اي فما راعني الا اقبال الناس الي وهو قريب من مذهب البصريين اذ
منعوا كون الجملة فاعلا ونظيره قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات
ليسجننه حتى حين وينثالون اما خبر ثان للمبتدا او حال عن راعني والعامل
في الي والاشارة الى وصف ازدحام الناس عليه للبيعة بعد قتل عثمان وقد شبههم
في اقبالهم اليه وازدحامهم عليه بعرف الضبع ووجه ذلك ان الضبع ذات عرف
كبير قائم الشعر والعرب يسمى الضبع عرفا لعظم عرفها فكان حال الناس في
اقبالهم عليه متتابعين يتلو بعضهم بعضا قياما كعرف الضبع
**قوله** حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي اشارة الى غاية ازد
حامهم عليه وهي وطئ ولديه الحسن والحسين عليهما السلام وشق عطفيه بالجذب
عند خطابه والجلوس على جانبي قميصه والمراد بالشق اما الاذى الحاصل للقدر
والمنكبين او شق الثوب بالجلوس على جانبيه ومن عادة العرب ان يكون امرا
ؤهم كسائرهم في قلة التوقر والتعظيم في المخاطبات وفعلهم ذلك اما فرحا به
عليه السلام او كلا فيه طباع رعاعهم وحكى السيد المرتضى رضي الله عنه ان ابا عمر
ومحمد بن عبد الواحد غلام ثعلب روى في قوله عليه السلام وطئ الحسنان انهما
الابهامان وانشد للشنفرى مهضومة الكشحين خرما الحسن وروى ان
امير المؤمنين انما كان يومئذ جالسا محتبيا وهي جلسة رسول الله صلى الله
عليه وآله المسماة بالقرفصاء وهي جمع الركبتين وجمع الذيل فلما اجتمعوا ليبا
يعوه زاحموه حتى وطئوا ابهاميه وشقوا ذيله بالوطء ولم يعن الحسن
والحسين وهما رجلان كسائر الحاضرين واعلم ان ارادته للحسن والحسين

الظهر قوله مجتمعين حولي كربيضة الغنم مجتمعين منصوب على الحال كالذي
قبله والعامل واطا وبقوله وطئ وشق وقد شبه اجتماعهم حوله بربيضة الغنم
ووجه التشبيه ظاهر ويحتمل ان يلاحظ في وجه التشبيه مع الهيئة زيادة و
هي انه شبههم بالغنم لغفلتهم عن وضع الاشيا في مواضعها وقلة فطانتهم وعدم استعمال
الادب معه او مطلقا والعرب تصف الغنم بالغباوة وقلة الفطانة قوله
فلما نهضت بالامر نكثت طايفة ومرقت اخرى وفسق اخرون اراد بالناكثين
طلحة والزبير لانهما بايعاه ونقضا بيعته بخروجهما عليه وكذلك نقض بيعته من
بايعه وبالمارقين الخوارج والقاسطين بعده وانما خص الخوارج بالمروق لان
المروق هو مجاوزة السهم للرمية وخروجه منها ولما كانت الخوارج اولا منخرطين
في سلك الحق الامام بالغوا بزعمهم في طلبه الى ان تعدوه وتجاوزه لا جرم حسن لهم ان
يستعار لفظ المروق لمكان المشابهة وقد احسن الرسول صلى الله عليه عنهم بهذا
اللفظ اذ قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية واما تخصيص اهل
الشام بالقاسطين فلان مفهوم الفسق او القسط هو الخروج عن سنن الحق و
قد كانوا كذلك لمخالفته عليه السلم والخروج عن طاعته فكان اطلاق احد اللفظين
لذلك قوله كانهم لم يسمعوا الله تعالى يقول تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين تنبيه لاذهان
الطوايف الثلث المذكوره وفرعا من يخيل الحق في سلوك مسالكهم على ان ما فعلوه
من المخالفة عليه والقتال له انما هو طلب للعلو والمفاخرة في الدنيا المستلزم
للسعي في الارض بالفساد واعراض عن الدار الاخره وحسم لمادة اعذارهم ان يقولوا
يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فيقولوا عند لقاء ربهم لو سمعنا هذه
الاية ووعيناها لما ارتكبنا هذه الافعال وقد عرفت ان الحق في هذه المتصلة هو
استثنا نقيض تاليها لينتج لهم نقيض مقدمها وتقريره عليه السلم لهذا العذر لهم
على سبيل التهكم بهم وانه لا عذر لهم في الحقيقة عما فعلوه ثم اراد عليه السلم تكذيبهم
في ذلك العذر على تقدير اعتذارهم به فاشار الى منع لزوم هذه المتصلة بقوله
بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنه حليت الدنيا في اعينهم ونبه على ان وضع المقدم
المذكور في المتصلة لا يستلزم تاليها مطلقا بل استلزامه له موقوف على زوال مانع
هو حاصل لهم الان وذلك المانع هو غرور الدنيا لهم بزينتها واعجابهم بها وعلى تقدير

حصول

حصول المانع المذكور جاز ان يجتمع هذا المقدم مع نقيض التالي المذكور وهو ارتكاب
ما ارتكبوه من الافعال قوله اما والذي فلق الحبة وبرا النسمه
لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلما الى اخره
اقول لما ذكر من حال القوم وحاله معهم ما ذكر من التشكي به والتظلم في امر
الخلافه وذم الشورى وما انتهى اليه من الحال التي اوجبت نزوله عن مرتبته الى ان
قرن بالجماعه المذكورين اردف ذلك ببيان الاعذار الحامله له على قبول هذا الامر
والقيام به بعد تخلفه عنه الى هذه الغاية وقدم على ذلك شاهد هذا القسم العظيم
بما بين الاضافتين وهما فالق الحبة وبارى النسمة واعلم ان الوصف الاول قد ورد
في القران الكريم وهو قوله فالق الحب والنوى وانما خص الحبة والنسمة بالتعظيم
بالنسبة الى الله تعالى لما يشتملان عليه مع لطف الخلقة وصغر الحجم من اسرار الحكمة و
بدايع الصنع الدالة على وجود الصانع الحكيم اما فالق الحبة ففيه قولان احدهما قال
ابن عباس والضحاك فالق الحب اي خالقه فعلى هذا يكون معنى قوله عليه السلم فلق
الحبة كقوله فاطر السموات بقدرته الثاني وهو الذي عليه جمهور المفسرين ان
فلق الحبه هو الشق الذي في وسطها وتقرير هذا القول ان الحبة من الحنطة مثلا لما كانت
من غايتها ان تكون شجرة مثمرة ينتفع بها الحيوان جعل الله سبحانه في وسطها ذلك الشق
حتى اذا وقعت في الارض الرطبه ثم مرت بها مدة من الزمان جعل الله سبحانه الطرف الا
على من ذلك الشق مبدا لخروج الشجرة الصاعده الى الهوا والطرف الاسفل مبدا للعروق الها
بطة الى الارض التي منها مادة تلك الشجرة وفي ذلك بدايع من الحكمة شاهده بوجود المد بر
الحكيم احدها ان طبيعة تلك الحبة ان كانت تقتضي الهوي في عمق الارض فكيف تولدت
منها الشجرة الصاعدة في الهوا وعلى العكس فلما تولد منها الامران متضادان علمنا ان
ذلك ليس بمجرد الطبيعة بل بمقتضى الحكمه الالهيه وثانيها انا نشاهد اطراف تلك
العروق في غاية الدقه واللطافة بحيث لو دلكها الانسان بادنى قوة لصارت
كالماء ثم انها مع غاية تلك اللطافة تقوى على خرق الارض الصلبة وتنفذ في مسام
الاحجار فحصول هذه القوة الشديدة لهذه الاجرام اللطيفه الضعيفة لا بد ان
يكون بتقدير العزيز الحكيم وثالثها انك قد تجد الطبايع الاربع حاصلة في الفاكهه
الواحده كالاترج فان قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس و
بزره حار يابس فتولد هذه الطبايع المتضادة عن الحبة الواحدة لا بد ان

يلوث تدبير الفاعل الحكيم ورابعها انك اذا نظرت الى ورقة من اوراق الشجرة
المبدعة عن الحبة وجدت في وسطها خطا مستقيما كالنخاع بالنسبة الى بدن الانسان
ثم لا يزال ينفصل عنه شعب وعن الشعب شعب اخرى الى ان تستدق وتخرج
تلك الخطوط عن ادراك البصر والحكمة الالهية انما اقتضت ذلك لتقوى القوة الجا
ذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري
الضيقة واذا وقفت على عناية الله سبحانه في تكوين تلك الورقة الواحدة علمت
ان عنايته في جملة الشجرة اكمل وان عنايته في جملة النبات اكمل ثم اذا علمت انه
انما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوان علمت ان عنايته في خلق الحيوان اكمل واذا علمت ان
المقصود من الحيوان انما هو الانسان علمت ان الانسان هو اعز مخلوقات هذا العالم عند
الله واكرمه عليه وانه قد اكرمه بانواع الاكرام كما قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم الاية
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واما الخامسة فعليك في مطالعة عجايب صنع الله ببدن
الانسان بكتب التشريح وقد اشرنا الى طرف من ذلك في الخطبة الاولى اذا عرفت ذلك
فاعلم انه عليه السلم ذكر من تلك الاعذار ثلثة احدها حضور الحاضرين لمبايعته
والثاني انه عليه السلم قيام الحجة عليه بوجود الناصر له في طلب الحق لو ترك القيام
الثالث ما اخذ الله على العلماء من العهد على انكار المنكرات وقمع الظالمين ودفع
الظلامات عند التمكن والعذران الاولان هما شرطان في الثالث اذ لا يتعين الوجوب
انكار المنكر بدونهما وكنى بكظة الظالم عن قوة ظلمه وبسغب المظلوم عن قوة
ظلامته قوله لالقيت حبلها على غاربها استعارة وصف فراد
حال الناقة المخلاة او اللاقة كنى بها عن تركه لها واهماله لامرها بما يناسب حاله
اولا ولما استعار لها لفظ الغارب جعل لها حبلا يلقى عليه وهو من ترشيح الاستعارة
واصله ان الناقة يلقى زمامها على غاربها وتترك لترعى قوله
ولسقيت اخرها بكاس اولها استعار لفظ السقي لتركه المذكور ايضا ورشح تلك الا
ستعارة بذكر الكاس ووجه تلك الاستعارة ان السقي بالكاس لما كان مستلزما
لوجود السكر غالبا وكان لعدم ضبطه اولا مستلزما لوقوع الناس فيما ذكر من الخطبة
العمياء المستلزمة لحيرة كثير من الخلق وضلالهم الذي يشبه السكر واشد منه لاجرم
حسن ان يعبر عن ذلك الترك بالسقي بالكاس قوله ولالفيتم دنياكم
هذه اهون عندي من عفطة عنز عطف على ما قبله ويفهم منه انه عليه السلم طالب

للدنيا

للدنيا ولها عنده قيمة الا ان طلبه لها والحرص على الامرة فيها ليس الا لما
ذكرناه من نظام الخلق واجراء امورهم على القانون العدل الماخوذ على العلماء كما
اشار اليه ونظم هذا الكلام في صورة متصلة هكذا لو لم يحضر الحاضر ولم يقم النا
صر ولم يوخذ على العلماء ما اخذ عليهم من انكار المنكر اذا امكنوا لتركت اخراها كما تركت
اولا ولوجدتم دنياكم هذه اهون عندي فالاقيه له وهو عفطة العنز فاما الحكا ية
المتعلقة بهذه الخطبة فاراد باهل السواد سواد العراق قال ابو الحسن الكيدري رحمه
الله عليه وجدت في الكتب القديمة ان الكتاب الذي دفعه الرجل الى امير المؤمنين
عليه السلم كان فيه عدة مسائل احدها اما الحيوان الذي خرج من بطن الحيوان
الاخر وليس بينهما نسب فاجاب عليه السلم بانه يونس بن متى عليه السلم خرج من
بطن الحوت الثانية ما الشي الذي قليله مباح وكثيره حرام فقال عليه السلم
هو نهر طالوت في قوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده الثالثة ما العبادة
التي ان فعلها واحد استحق العقوبة وان لم يفعلها استحق ايضا العقوبة فاجاب
بانها صلاة السكارى الرابعة ما الطاير الذي لا فرخ له ولا فرع ولا اصل فقال
هو طاير عيسى عليه السلم في قوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ
فيه فيكون طيرا باذن الله الخامسة رجل عليه من الدين الف درهم وله في
كيسه الف درهم فضمنه ضامن بالف درهم فحال عليهما الحول فالزكوة على اي المالين
تجب فقال ان ضمن الضامن باجازة من عليه الدين فلا يكون عليه وان ضمنه
من غير اذنه فالزكوة مفروضة في ماله السادسة حج جماعة ونزلوا في
دار من دور مكة واغلق واحد منهم باب الدار وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم
الى الدار فالجزاء على ايهم يجب فقال عليه السلم على الذي اغلق الباب ولم يخرجهن
ولم يضع لهن ماء السابعة شهد شهود اربعة على محصن بالزنا
فامرهم الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلثة الباقين ووافقه قوم اجانب
في الرجم فرجع من رجمه عن شهادته والمرجوم لم يمت ثم مات فرجع الاخرون
عن شهاداتهم عليه بعد موته فعلى من يجب ديته فقال يجب على من رجمه من الشهود
ومن وافقه الثامنة شهد شاهدان من اليهود على يهودي انه اسلم
فهل تقبل شهادتهما ام لا فقال لا تقبل شهادتهما لانهما يجوزان تغيير كلام الله
وشهادة الزور التاسعة شهد شاهدان من النصارى على نصراني او مجو سى

او يهودي انه اسلم فقال يقبل شهادتهما لقوله سبحانه وتعالى ولتجدن
اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى الاية ومن لا استنكر عن
عبادة الله لا يشهد الزور **العاشرة** قطع انسان يد رجل فحضر شهود
عند الامام وشهدوا انه قطع يده وانه زنا وهو محصن فاراد الامام ان يرجمه
فمات قبل الرجم فقال على من قطع يده دية يده فحسب ولو شهدوا انه سرق
نصابا لم تجب دية يده على قاطعها والله اعلم

## ومن خطبة له عليه السلام

بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار الى قوله
اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظمأ **اقول**
روي ان هذه الخطبة خطب امير المؤمنين عليه السلام بعد قتل طلحة والزبير
تسنمتم اي ركبتم سنامها وسنام كل شيء اعلاه والسرار الليلة او الليلتان
يكون في اخر الشهر يستتر فيها القمر ويخفى والوقر الثقل في السمع وفقهت الامر
فهمته والواعية الصارخة والنباة الصوت الخفي والسمة العلامة وسنن
الحق وجهه وطريقه وماهت البير خرج ماؤها وعرب اي غاب واوجس احس
واحس والظما العطش واعلم ان هذه الخطبة من افصح كلامه عليه السلام
وهي اشتمالها على كثرة المقاصد الواعظة المحركة للنفس في غاية وجازة اللفظ
ثم من عجيب فصاحتها وبلاغتها ان كل كلمة منها يصلح لان يفيد على سبيل الاستقلال
وهي على ما نذكره من حسن النظم وتركيب بعضها مع بعض **قوله**
بنا اهتديتم في الظلماء الضمير المجرور راجع الى الرسول صلى الله عليه وله والخطاب
مع حاضري الوقت من قريش والمخالفين له مع طلحة والزبير وان صدق في حق
غيرهم والمراد انا سبب هدايتكم بانوار الدين وما انزل الله من الكتاب والحكمة
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حيث كنتم في ظلمات الجهل وتلك الهداية
هي الدعوة الى الله وتعليم السلوك الى حضرة قدسه وقوله وتسنمتم العليا
اي بتلك الهداية وشرف الاسلام علا قدركم وشرف ذكركم ولما استعار لفظ التسنم
للعليا رشح تلك الاستعارة بذكر التسنم وهو ركوب السنام **قوله**
وبنا انفجرتم عن السرار استعارة لفظ السرار لما كانوا فيه من ليل الجهل في
الجاهلية وخمول الذكر ولفظ الانفجار عنه لخروجهم من ذلك الى نور الاسلام

الكيفية ح

والاستهام

واستهارهم في الناس وذلك لشبههم بالفجر الطالع من ظلمة السرار في الضياء
والاستهار **قوله** وقر سمع لم يفقه الواعية الالتفات الى الدعاء
بالوقر على سمع لا يفقه صاحبه بواسطته علما ولا يستفيد من السماع به مقاصد
الكتب الالهية وكلام الانبياء عليهم السلام والدعاة الى الله وحق لذلك السمع ان
يكون اصم اذ كانت الفائدة منه المقصودة للحكمة الالهية اكتساب النفس من
جهته ما يكون سببا لكمالها وقوتها على الوصول الى جناب الله وساحل عزته فاذا
كانت للنفس معرضة عما يحصل من جهته من الفائدة وربما كانت مع ذلك
متلقية عنه ما يؤديه من الشرور الجاذبة لها الى الجنبة السافلة فحقيق به ان
يكون موقورا ومن روى وقر على ما لم يسم فاعله فالمراد الدعاء لله وهو كلام
على سبيل التمثيل اورده في معرض التوبيخ لهم والسكت بالاعراض عن اوامر الله
وطاعته وكنى بالواعية عن نفسه اذ صاح فيهم بالموعظة الحسنة والحث على
الالفة وان لا يشقوا عصا الاسلام فلم يقبلوا ووجه نظام هذه الكلمة مع ما قبلها
انه لما اشار اولا الى وجه شرفه عليهم وانه ممن اكتسب عنه الشرف والفضيلة
وكان ذلك في مقابلة نقادهم واستنكافهم عن طاعته اردف ذلك بهذه
الكلمة المستلزمة للدعاء عليهم كيف لم يفقهوا بيانه للوجوه الموجبة لاتباعه
وتقاولوه بعد ان سمعوه وهذا كما تقول احد العلماء لبعض تلاميذه المعاند له
المدعي لمثل فضائله انك لي اهتديت من الجهل وعلا قدرك في الناس وانا سبب
لشرفك اتتكبر علي وقر سمعك اي لم تفقه قولي وتقبل **قوله**
كيف يراعي النباة من اصمته الصيحة استعار لفظ النباة لدعايه لهم وندايه
الى سبيل الحق والصيحة لخطاب الله ورسوله وهي استعاره على سبيل الكناية
عن ضعف دعايه بالنسبة الى قوة دعاء الله ورسوله لهم وتقرير ذلك ان
الصوت الخفي لما كان لا يسمع عند الصوت القوي اذ من شان الحواس ان لا يدرك
الاضعف مع وجود الاقوى المماثل في الكيفية لاشتغالها به وكان كلامه
عليه السلام اضعف في جذب الخلق وفي قبولهم له من كلام الله وكلام رسوله
جرى كلام الله وكلام رسوله مجرى الصوت القوي في حقهم وكلامه
مجرى الصوت الخفي بالنسبة اليه واسناد الاصمام الى الصيحة من ترشيح الاستعارة
وكنى به عن بلوغ تكرار كلام الله على اسماعهم الى حد انها مجته وملت سماعه

بحيث لا يسمع بعده ما هو في معناه خصوصا ما هو اضعف كما لا يسمع الصوت الخفي
من دهمته الصيحة وقد وردت هذه الكلمة مورد الاعتذار لنفسه في عدم
فايدة وعظه لهم والاعتذار لهم في ذلك ايضا على سبيل التهكم والذم ووجه
نظامها مع ما قبلها انه لما كان تقدم الكلمة الاول وقرت اسماعكم كيف لا يعقلون
قولي الملتفت عنه وقال كيف يسمع قولي من لم يسمع كلام الله ورسوله على كثرة
تكراره على اسماعهم وقوة اعتقادهم وجوب قبوله وكيف يواخذ من سماعه
وقد اصمتهم نداء الله **قوله** ربط جنان لم يفارقه الخفقان
دعا للقلوب الخافقة الوجلة التي لا تزال تخفق من خشية الله والاشفاق من
عذابه بالثبات والسكينة والاطمينان والتقدير ربط جنانا لكن لكم وهو
جذب لهم الى درجة الخايفين وتنبيه على ملاحظة نواهي الله فيفيئوا الى طاعته
ووجه اتصاله بما قبله انه ذكر الشريف وصاحب الفضيلة في معرض التو
بيخ لمن يراد منه ان يسلك مسلكه ويكون بصفاته من اعظم الجواذب له الى
التشبه به ومن احسن الاستدراجات له فكانه قال كيف يلتفت الى قول
من لا يلتفت الى كلام الله دون الخايفين من الله المراعين لاوامره الوجلين من
وعيده حاضركم لو قتلتم بهم فرجعتم الى الحق وقمتم به قيام رجل واحد
**قوله** ما زلت انتظر بكم الغدر واتوسمكم بحلية المغترين اشارة
الى انه عليه السلام كان يعلم عاقبة امرهم اما باطلاع الرسول صلى الله عليه على انهم
بعد بيعتهم له يغدرون به او لانه كان يلوح من حركاتهم واحوالهم بحسب فراسته
الصايبة منهم كما اشار اليه بقوله واتوسمكم بحلية المغترين وذلك لانه فهم
انهم من اهل الغرة وقبول الباطل عن ادنى شبهة بما لاح له من صفاتهم الدا
لة على ذلك فكان علمه بذلك منهم مستلزما لعلمه بغدرهم بعهده وبعضهم لبيعته
فكان ينتظر ذلك منهم **قوله** سترني عنكم جلباب الدين
وارد مورد الوعيد للقوم في قتالهم له ومخالفتهم لامره والمعنى ان الدين حال
بيني وبينكم وسترني عن اعين بصايركم ان يعرفوني بما اقوى عليه من العنف
بكم والغلظة عليكم وساير وجوه تقريعكم وردعكم عن الباطل ورادعا وقضية
عليه الدين من الرفق والشفقة وسحب ذيل العفو عن الجرايم فكان الدين
غطاء حال بينهم وبين معرفته فاستعار له لفظ الجلباب وروى سترتكم

عن

عني اي عصم الاسلام مني دماءكم واتباع مدبركم وان اجهز على جريحكم وغير ذلك
مما يفعل من الاحكام في حق الكفار **قوله** وبصرنيكم صدق النية
اراد بصدق نيته اخلاصه لله تعالى وصفاء مرآة نفسه وانه بحسب ذلك ا فيفيض
على بصره بصيرته نور معرفة احوالكم وما يؤول اليه عاقبة امركم كما قال النبي
صلى الله عليه المؤمن ينظر بنور الله **قوله** اقمت لكم على سنن
الحق في جواد المضلة تنبيه لهم على وجوب اقتفاء اثره والرجوع الى
لزوم اشعة انواره في سلوك سبيل الله واعلام لهم انه وقف لهم على سواء سبيل
الحق وفي الطرق التي هي مزال الاقدام ليردهم عنها وليبين ذلك في المثل المشهور
عن رسول الله صلى الله عليه روي انه قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما و
على جنبتي الصراط سور فيه ابواب مفتحة وعلى تلك الابواب ستور مرخاة وعلى
راس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تعوجوا قال فالصراط هو الاسلام
والستور حدود الله والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي هو القرآن
فنقول لما كان علي عليه السلام هو الواقف على اسرار الكتاب والملقي جوامع علمه
وحكمته والمطلع على اصول الدين وفروعه كان هو الناطق بالكتاب والداعي به
الواقف على راس سبيل الله والمنبه عليها ولما كان سبيل الله وصراطه المستقيم في
غاية الوضوح والبيان له وكان متنبها لما فيها من الحدود والمقدمات مستجليا
لمزال الاقدام فيها وما يخشى عليها من السلوك والشبهات كان بحسب قوته المدبرة
لهذا العالم بعد رسول الله صلى الله عليه هو الواقف على تلك الابواب المفتحة والتي
هي موارد الهلاك وابواب جهنم وجواد المضلة والساتر لها بحدود الله وبيانه
نواهيه والتذكير بعظمه ووعيده والقايد لاذهان السالكين للصراط عنها وذلك
حيث يلتفت اذهانكم في ظلمات الجهل فلا تبصر دليلا ضاك سواه وتطلبون ماء الحياة
بالبحث والتفحص من اودية القلوب فلا تجدون بها ماء الا عنده واستعار لفظ
الاحتفار للبحث عن مظان العلم ولفظ الماء للعلم كما سبق بيان وجه المشابهة
**قوله** اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان كنى بالعجماء ذات
البيان عن الحال التي يشاهدونها من العبر الواضحة والمثلات التي حلت
بقوم فسقوا عن امر ربهم وعن ما هو واضح من كمال فضله عليه السلام بالنسبة
اليهم وما ينبغي لهم ان يعتبروه من حال الدين ومقتضى اوامر الله التي تحثهم

على اتباعها فان كثيرا من الحيوان لعدم النطق لها مقال فشبهها لذلك بالعجماء
من الحيوان ووصفها بكونها ذات لسان لان لسانها الحالي مخبر بفضل قائله عليه السلم
ناطق بوجوب اتباعه وشاهد لهم ودليل على ما ينبغي ان يفعلوه في كل باب وذلك
هو البيان فكانه عليه السلم انطق المجاز الذي هو لسان مقاله عنها ما كانت تقتضيه
ومشاهده من نظر اليها بعين بصيرته وهو كقولهم سل الارض من شق انهارك واخرج
ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وكقولهم قال الحائط للوتد لم تشقني قال
سل من يدقني فقال بعضهم العجماء صفة لمحذوف تقديره الكلمات العجماء واراد
بها ما ذكره في هذه الخطبة من الرموز وشبهها بالحيوان اذ لا نطق لها في الحقيقة و
مع ذلك يستفيد الناظر فيها اعظم الفوائد فهي ذات بيان عند اعتبارها **قوله**
عزب راي امرئ تخلف عني اشارة الى ذم من تخلف عنه وحكم عليه بالسفه وعدم
اصابة الراي حال تخلفه عنه وذلك لان المتخلف لما فكر في اي الامور افضل له
ايكون مع متابعيه او المتخلفين عنه ثم راى ان التخلف عنه اولى له كان ذلك اسوء
الاراء وابعدها فهو في الحقيقة كمن اقدم على ذلك بغير راي يحضره اولان الراي الحق
كان عازبا عنه وهو ذم في معرض التوبيخ للقوم على طريقته قولهم البكل اعمى و
اسوء ما حاوره **قوله** ما شككت في الحق مذ اريته بيان لبعض اسباب وجوب
اتباعه وعدم التخلف عنه واعلم ان التمدح بعدم الشك عما اراه الله من الحق و
افاضه على نفسه القدسية من الكمال مستلزم للاخبار بكمال قوته على استثبات
الحق الذي رآه وشدة جلائه له بحيث لا يعرض له شبهة فيه ولا ما فيه يستدل
بذلك على وجوب عصمته وطهارته عن الارجاس التي منشاها ضعف اليقين
**قوله** ولم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال
ودول الضلال اشفق افعل التفضيل منصوب على الصفة لخيفة لان الاشفاق
خوف والتقدير ولم يوجس موسى خيفة اشفاقا على نفسه اشد من غلبة الجهال
والمقصود التنبيه على ان الخوف الذي تخافه عليه السلم منهم ليس على مجرد نفسه
بل اشد خوفه من غلبة اهل الجهل على الدين وفتنة الخلق بهم وقيام دول
الضلال فتعمى طرق الهدى وتنسد مسالك الحق كما خاف موسى عليه السلم
من غلبة جهال السحرة حيث القوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون ودول الضلال كدولة فرعون واتباعه الضالين

عن سبيل

عن سبيل الله **قوله** اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل الموافقة
مفاعلة من الطرفين والخطاب لمقابليه في القتال والمراد انا واقف على
سبيل الحق وانتم واقفون على سبيل الباطل داعون اليه وهو تنفير لهم عما هم عليه
الى ما هو عليه **قوله** من وثق بماء لم يظمأ ضرب لهم وتنبيه على و
جوب الثقة بما عنده اي انكم ان سكنتم الى قولي ووثقتم به كنتم اقرب الى اليقين
والهدى وابعد عن الضلال والردى كما ان الواثق بالماء في اداوته امن من
العطش وخوف الهلاك وبعيد عنهما بخلاف من لم يثق بذلك وكنى بالماء عن
ما اشتمل عليه من العلم بكيفية الهداية الى الله فانه الماء الذي لا ظما معه
وهي كناية بالمستعار **ومن كلام له عليه السلم**
ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة الى
قوله بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية
في الطوي البعيدة **اقول** سبب هذا الكلام ما روي انه لما تم في
سقيفة ساعدة لابي بكر امر البيعة اراد ابو سفيان بن حرب ان يوقع الحرب بين
المسلمين ليقتل بعضهم بعضا فيكون ذلك دمارا للدين فمضى الى العباس فقال
له يا ابا الفضل ان هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الامر من بني هاشم وجعلوه في
بني تيم والله ليحكم فينا غدا هذا الفظ الغليظ من بني عدي فقم بنا حتى ندخل على
علي ونبايعه بالخلافة وانت عم رسول الله وانا رجل مقبول القول في قريش فان
دافعونا عن ذلك قاتلناهم وقتلناهم فاتيا امير المؤمنين عليه السلم فقال له
ابو سفيان يا ابا الحسن لا تغافل عن هذا الامر متى كنا تبعا لتيم الاراذل وكان
عليه السلم يعلم من حاله انه لا يقول ذلك غضبا للدين بل للفساد الذي نواه
في نفسه فاجابه عليه السلم بهذا الكلام عرجوا اي ميلوا وانحرفوا والفلاح
الفوز والنجاة والاجون تغير الماء وفساده وغص باللقمة يغص بفتح الغين
اذا وقفت في حلقه فلم يسغها واناع الثمرة ادراكها واندمجت على الشيء انطويت
عليه وسترته في باطني وباح بالشيء اظهره والطوى البئر والرشا حبلها
**قوله** شقوا امواج الفتن بسفن النجاة شبه عليه السلم الفتنة
بالبحر المتلاطم فلذلك استعار له لفظ الامواج وكنى بها عن حركة الفتنة وقيامها
ووجه المشابهة ظاهر لاشتراك البحر والفتنة عند هيجهما في كونهما سببا للهلاك

الخايفين فيهما لاستعار سفن النجاه لكل مايكون وسيلة الى الخلاص من الفتنه
من جهادنه او حيله مخلصه اوصبر ووجه المشابهه كون كل منهما وسيلة
الى السلامة اذ احاد الطرق المذكورة طريق الى السلامة من ثوران الفتنه والهلاك
فيها كما ان السفينه سبب الخلاص من امواج البحر **قوله** وعرجوا
عن طريق المنافرة امر لهم بالعدول عن طريق المنافره الى السكون والسلامه و
مايوجب سكون الفتنه وكذلك **قوله** وضعوا تيجان المفاخره امر بطريق
اخر من طرق النجاة وهو ترك المفاخرة فان المفاخرة مما يهيج الاضغان ويثير
الاحقاد وتوجب قيام الفتنة ولما كان اكبر ماينتهي اليه ارباب الدنيا من المفاخر
هو لبس التيجان وكانت الاصول الشريفة والابوات الكريمة والعصاب الحسنه
هي اسباب الافتخار الدنيوية ومنشاه كانت المشابهة بينهما وبين التيجان حاصلة
فاستعار عليه السلام لفظها لها واعرهم بوضعها **قوله** افلح من نهض بجناح
او استسلم فاراح لما نهى عليه السلام عن الفتنة وبين ان المنافرة والمفاخره ليسا
طريقين محمودين اردف ذلك بالاشارة الى انه كيف ينبغي ان يكون حال المتصدي
لهذا الامر وكيف يكون طريق فوزه لمطالبه او النجاه فحكم بالفوز لمن نهض بجناح
واستعار لفظ الجناح للاعوان والانصار ووجه المشابهه ظاهر فان الجناح
لما كان محل القدرة على الطيران والتصرف وكانت الاعوان والانصار بهم القوة
على النهوض الى الحرب والطيران في ميدانها لاجرم حصلت المشابهة فاستعير لهم
لفظ الجناح وحكم بالنجاة للمستسلم عند عدم الجناح وكلاهما يشملهما اسم الفلاح
وفي هذا الكلام تنبيه على قلة ناصره في هذا الامر وتقدير الكلام انه ليس الطريق ما ذكرتم
بل الصواب فيما يفعل ذو الراي في هذا الامر انه اما ان يكون ذا جناح فينهض به
فيفوز بمطلوبه او لايكون فيستسلم وينقاد فينجو او يريح نفسه من تعب المطالب
**قوله** ماء اجن ولقمه يغص بها اكلها تنبيه على ان المطالب
الدنيوية وان عظمت فهي مشوبة بالكدر والتغير والنغص واشار الى امر الخلافه
في ذلك الوقت وتشبيهها بالماء واللقمة ظاهر اذ عليهما مدار الحيوة الدنيا وامر
الخلافة اعظم اسباب الدنيا فتشابها فاستعار لفظهما لما يطلب منها وكنى
بهما عنه ولما كان اجون الماء والغصص باللقمة مما ينغصهما ويوجب نفار النفس
عن قبولهما وكانت المنافسه في امر الخلافة والتجاذب والمنافرة بين المسلمين

فيهما

فيها وكونها في معرض الزوال مما يوجب التنفير عنها وتبغيضها وعدم الالتذاذ
بها شبه عليه السلام بالاجون والغصص باللقمة على تلك الامور وكنى بهما عنها
ليسكن بذلك فوره من استنهضه في هذا الامر في هاتين فكانه قال انها
لقمة منغصة وجرعة لايسيغها شاربها **قوله** ومجتني الثمر
لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه تنبيه على ان ذلك الوقت ليس
وقت الطلب لهذا الامر اما لعدم الناصر او لغير ذلك وكنى بمجتني الثمرة
عن طالبها فاستلزم ذلك تشبيهها بالثمرة ايضا لاشتراكهما في كونهما محلا لللا
لتذاذ او بحلوه ثم شبه مجتني الثمرة لغير وقتها بالزارع بغير ارضه ووجه الشبه
عدم الانتفاع في الموضعين اذ كان الزارع بغير ارضه في محل ان يمنع من ذلك
التصرف فيبطل سعيه ولاينتفع بزرعه فكذلك مجتني الثمرة لغير وقتها لاينتفع بها
فكذلك طلبه الخلافه في ذلك الوقت **قوله** فان اقل يقولوا حرص
على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت شكاية من السنة الاوهام الفاسدة
في حقه وردت في معرض الكلام والاشارة الى انه سواء طلب هذا الامر او سكت عنه
فلا بد من ان يقال في حقه وينسب الى امر فمع القيام والطلب ينسب الى الحرص
على الامره والاهتمام بامر الدنيا ومع السكوت ينسب الى الذلة والعجز وخوف الموت و
اوهام الخلق والسنتهم لاتزال مولعة بامثال ذلك بعضهم في حق بعض في
المنافسات **قوله** هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابوطالب
انس بالموت من الطفل بثدي امه ورد مورد التكذيب للاوهام الحاكمه بجز
عه وجزعه اي بعد مايقولون واللتيا والتي كنايتان عن الشدايد والمصايب
العظيمه والحقيره واصل المثل ان رجلا تزوج امراه قصيره صغيره الخلق فقاسى
منها شدايد فطلقها وتزوج طويله فقاسى منها اضعاف ماقاسى من القصيره فطلقها
وقال بعد اللتيا والتي لااتزوج ابدا فصار ذلك مثلا للداهيه الكبيرة والصغيرة
وتقدير مراده ابعد ملاقاه كبار الشدايد وصغارها انسب الى الجزع من الموت
بعد مايقولون ثم اكد تكذيبهم في دعوى جزعه من الموت بالقسم البار انه
انس بالموت من الطفل بثدي امه وذلك امر بين من حاله عليه السلام اذ كان
سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه ورييس الاوليا وقد عرفت
ان محبة الموت والانس به امر متمكن من نفوس اولياء الله لكونه وسيلة

لم الى لقاء ربه اعظم محبوب والوصول الى الكمل مطلوب وانما كان انس به من
الطفل بثدي امه لان محبة الطفل للثدي وانسه به وميله اليه ميل طبيعي
حيواني في معرض الزوال وميله عليه السلام الى لقاء ربه والوسيلة اليه ميل
عقلي باق فاين احدهما من الاخر قوله بل اندمجت على مكنون
علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة اشار
الى سبب جلي لتوقفه عن الطلب والقيام غير ما نسبوه اليه من الجزع والخوف
من الموت وهو العلم الذي انطوى عليه فان علمه بعواقب الامور وادبارها و
تطلعه الى نتائج الحركات بعين بصيرته التي كمرآة صافية حوذي بها صور
الاشياء في المرآة العالية فارتسمت فيها كما هي يوجب توقفه عما يعلم ان فيه فساد ويسرعه
الى ما يعلم فيه مصلحة بخلاف الجاهل الذي يقدم على عظائم الامور بتقطيع الراي لاعمى بصيرة
قادته الى ذلك ثم نبه على عظم قدر العلم الذي اندمج عليه بقوله لو بحت به
لاضطربتم اضطراب الارشية والجملة الشرطية في موضع الجر صفة لعلم واشار
باضطرابهم على ذلك التقدير الى تشتت ارائهم عند ان يكشف لهم ما يكون من امر
الخلافة والى من ينتهي والى من يؤول اليه حال الناس اذ كان ذلك فاوقفه عليه
الرسول صلى الله عليه واله عده لفهمه فان كثيرا منهم في ذلك الوقت كان نافروا
عن عمر واخرون عن عثمان فضلا عن معاوية ومنهم من كان يؤهل نفسه الخلافة
في ذلك الوقت ويطلبها لنفسه وبعد عقدها لابي بكر كان يرجو ان تؤول اليه بعده
واذا كان الامر كذلك وظاهر انه عليه السلام لو باح لهم بما علمه من عاقبة هذا الامر لم
يكن لهم ذلك النظام الحاصل في ذلك الوقت لياس بعضهم من وصول ذلك الامر
اليه وخوف بعضهم من غلظة عمر ونفورهم منه ونفار اخرين من بني امية وملكهم
منهم وشبه اضطراب ارائهم على ذلك التقدير باضطراب الارشية في الطوي البعيدة
مبالغة وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس وذلك ان الطوي كلما كانت اعمق كان
اضطراب الحبل فيها اشد لطوله فكذلك حالكم ح اي يكون لكم اضطرابا
قويا واختلافا شديدا وقيل اراد ان الذي يمنعني من المنافسة في هذا الامر والقتال
عليه هو شغلي بما انطويت عليه من العلم باحوال الاخرة وشاهدته من نعيمها وبؤ
سها مما لو كشفته لكم لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة خوفا من
الله ووجلا من عقابه وشوقا الى ثوابه ولذهلتم عما انتم فيه من المنافسة في امر

الدنيا

الدنيا وهذا الوجه محتمل الارادة من هذا الكلام ولعل في تمام هذا الكلام لو وجد
ما يوضح المقصود منه ولم اقف عليه

## ومن كلام له عليه السلام

والله لا اكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل اليها طالبها ويختلها را
صدها ولكني اضرب بالمقبل الى الحق المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المريب ابدا
حتى ياتي علي يومي فوالله ما زلت مدفوعا عن حقي مستاثرا علي منذ قبض الله نبيه
صلى الله عليه حتى يوم الناس هذا اقول روى ابو عبيدة قال
اقبل امير المؤمنين عليه السلام يريد الطواف وقد عزم على اتباع طلحة والزبير لقتالهما
فاشار اليه ابنه الحسن عليه السلام ان لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال فقال في جوابه
هذا الكلام وروي في سبب نقضهما انهما دخلا عليه بعد ان بايعاه بايام وقالا
قد علمت جفوة عثمان لنا وميله الى بني امية مدة خلافته وطلبا منه ان يو
ليهما المصرين الكوفة والبصرة فقال لهما حتى انظر ثم استشار عبد الله بن عباس فنهاه
من ذلك فعاوداه فمنعهما فنقضا وفعلا ما فعلا والاصل في اللدم ان يكون الدال ضرب
الحجر او غيره على الارض ليس بالقوي ويحكى ان الضبع يستغفل في جحرها مثل ذلك فتسكن
حتى تصاد ويحكى في كيفية صيدها انهم يضعون في جحرها حجرا او يضربون بايديهم بابه
فتحسب الحجر شيئا تصيده فتخرج فتصاد ويقال انها من احمق الحيوان ويبلغ من حمقها
ان يدخل عليها فيقال ليست هذه ام عامر او يقال خامري ام عامر فتسكن حتى يوثق
رجلها بحبل يجر لصيدها والمثل للخديعة واستاثرت بالشي انفردت به واشار
اولا الى رفضها اشير عليه به من تاخير القتال ومفهوم التشبيه انه لو تاخر لكان
ذلك سببا لتمكن الخصم مما قصده فيكون هو في ذلك شبيها بالضبع التي تنام وتسكن
على طول حيلة راصدها فاقسم عليه السلام انه لا يكون كذلك اي لا يسكن على كثرة الظلم
والبغي وطول دفاعه عن حقه ثم اردف ذلك بما هو الصواب عنده وهو المقاومة
والقتال بمن اطاعه لمن عصاه فقال لكني اضرب بالمقبل الى الحق وجه المدبر عنه
وبالسامع المطيع وجه العاصي المريب ابدا ومحل المقابلة هاهنا فالعاصي في
مقابلة المطيع والمريب في مقابلة السامع لان المرتاب في الحق مقابل للقابل له
ثم فسر الابد بغاية عمره لانه الابد الممكن له وذلك قوله حتى ياتي علي يومي واشار بيومه
الى وقت ضرورة الموت كناية ثم اردف ذلك بالتظلم والشكاية في دفاعه عن

هذا الامر والاستيلاء عليه به المحوج له الى هذه المقاومات والشكايات
واشار الى مبدأ ذلك الدفاع ومنتهاه واكد ذلك بالقسم بالبارى والاشارة بالحق الذى
فوّض عنه الى امر الخلافة وهى شكاية مؤكدة للشكايات السابقة وبالله التوفيق

## ومن خطبة له عليه السلام

اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا واتخذهم له اشراكا فباض وفرخ فى صدورهم
ودب ودرج فى حجورهم فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم فركب بهم الزلل وزين
لهم الخطل فعل من شركه الشيطان فى سلطانه ونطق بالباطل على لسانه
اقول ملاك الامر ما يقوم به ومنه القلب ملاك الجسد
والاشراك يجوز ان يكون جمع شريك كشريف واشراف ويجوز ان يكون جمع شرك و
هو حبائل الصائد كجبل واجبال والدبيب المشى الضعيف والدرج اقوى منه
والخطل الفاسد من القول وشركه بفتح الشين وكسر الراء شاركه وهذا الفصل من
باب المنافرة وهو ذم المنابذين له والمخالفين عليه فاشار اولا الى انقيادهم
لشياطينهم الى حد جعلوها مدبرة لامورهم فيها قوام احوالهم وعزلوا عقولهم عن تلك
المرتبة فهم اولياؤهم فى الحيوة الدنيا كما قال تعالى انا جعلنا الشياطين اولياء
للذين لا يؤمنون ثم اردف ذلك بالاشارة الى بعض لوازم تمليك الشيطان امورهم
بقوله واتخذهم له اشراكا وذلك انه اذا ملكوا امورهم وكان قيامها بتدبيره صيّر
منهم كيف شاء واستعار لفظ الاشراك هاهنا على تقدير كونها جمع شرك استعارة حسنة
فانه لما كانت فائدة الشرك اصطياد ما يراد صيده وكان هو الاعظم بحسب
مكايد الشيطان للآدميين ونفرتهم فيهم على حسب حكمه اسبابا للدعوة للخلق الى مخا
لفة الحق ومضادة امام الوقت وخليفة الله فى ارضه اشبهوا الاشراك لاصطيا
دهم الخلق بالسنتهم واموالهم وجذبهم الى الباطل بالاسباب الباطلة التى القاها
اليهم الشيطان ونطق بها على السنتهم فاستعار لهم لفظ الاشراك واما على التقدير
الثانى فظاهر ثم اردف ذلك ببيان ملازمته لهم فشبهه بالطائر الذى
تمكنه فى قلوبهم وصدورهم فاستعار لهم لفظ البيض والافراخ ووجه
المشابهة ان الطائر لما كان يلازم عشه فيبيض ويفرخ فيه اشبه الشيطان
فى اقامته فى صدورهم وملازمته لهم وكذلك قوله ودب ودرج فى حجورهم
استعارة كنى بها ايضا عن تربيتهم للباطل وملازمته لهم وعدم مفارقته



لهم ونشوه معهم كما يتربى الولد فى حجر والديه وراعى فى هذه القرائن الاربع السجع
ففى الاوليين السجع المطرف وفى الاخريين المتوازى قوله
فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم اشارة الى وجوه تصرفه فى اجزاء ابدانهم بعد ا
لقائهم مقاليد امورهم اليه وعزل عقولهم عن التصرف فيما يبدون مشاركته
ومتابعته قوله فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل ا
شارة الى ثمرة متابعته ووصول اصابة مقاصده منهم من الخروج عن اوامر الله فى
الافعال وهو المراد بارتكابه بهم الزلل وفى الاقوال وهو المشار اليه بتزيينه
لهم الخطل قوله فعل من قد شركه الشيطان فى سلطانه ونطق با
لباطل على لسانه اشارة الى ان الافعال والاقوال الصادرة عنهم على خلاف اوامر الله
انما تصدر عن مشاركة الشيطان ومتابعته والضمير فى سلطانه يعود الى من اى
من قد شاركه الشيطان فى سلطانه الذى جعله الله له على الاعمال والاقوال وانتصاب
فعل على المصدر لقيامه عن فعل محذوف تقديره فعلوا ذلك فعلا او عن قوله
اتخذوا لانه فى معنى فعلوا فهو مصدر له من غير لفظه وراعى فيما بين القرينتين
ايضا السجع المطرف والله اعلم بالصواب وبالله التوفيق

## ومن كلام له عليه السلام

### يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك

يزعم انه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة
فليأت عليها بامر يعرف والا فليدخل فيما خرج منه اقول
الوليجة الدخيلة فى الامر وهذا الفصل صورة مناظرة له مع الزبير وهو مشتمل
على تقدير حجة سابقة له عليه وصورة نقض لتلك الحجة من الزبير وصورة جواب
له عليه السلام عن ذلك النقض فكانه عليه السلام لما نكث الزبير بيعته وخرج لقتاله
احتج عليه بلزوم البيعة له اولا فكان جواب الزبير ما حكاه عنه بقوله انه
بايع بيده ولم يبايع بقلبه اشارة الى التورية والتعريض فى العهود والايمان و
نحوها وهما من الزبير ان ذكر امر فعله الشريعة فاجابه عليه السلام بقياس حذف
كبراه كما علمت من قياس الضمير وهو ما اشار اليه بقوله فقد اقر بالبيعة و
ادعى الوليجة الى قوله فاما هو معلوم بلزومه له شرعا وادعى انه اضمر فى باطنه ما
يفسده من الوليجة فهذه صغرى القياس وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك

مقبول

احتاج في بيان دعواه الى بينة تعرف صحتها فسيح انه محتاج الى بينة
كذلك واشار الى هذه النتيجة بقوله فليأت عليها بامر يعرف اى على دعوة
الولجة وهيهات له ذلك اذ التورية امر باطن لا يمكن الاحتجاج به ولا اقامة
البرهان عليه ثم اشار بقوله والا فليدخل فيما خرج منه لعزله
بالدخول في طاعته وحكم بيعته التي خرج منها على تقدير عدم قدرته على برهان
دعواه وبالله التوفيق

## ومن كلام له عليه السلام

وقد ارعدوا وابرقوا ومع هذين الامرين الفشل ولسنا نرعد حتى نوقع
ولا نسيل حتى نمطر الفشل الجبن والضعف والاشارة الى طلحة والزبير واتباعهما
والكلام في معرض الذم واستعار لفظ الارعاد والابراق لوعيدهم وتهديدهم له بالحرب
يقال ارعد الرجل وابرق اذا تهدد وتوعد قال الكميت

ارعد وابرق يا يزيد فما وعيدك لي بضائر

ووجه الاستعارة كون الوعيد من الامور المزعجة كما ان الرعد والبرق كذلك
قوله ومع هذين الفشل اشارة الى وجه الرذيلة وذلك ان
التهديد والتوعد قبل ايقاع الحرب والضوضاء والجلبة امارة الجبن والعجز
والصمت والسكوت امارة الشجاعة كما اشار اليه عليه السلام في تعليم كيفية الحرب
مخاطبا لاصحابه واميتوا الاصوات فانه اطرد للفشل وروى ان ابا طاهر الجنابي مع
قلة العسكر المقتدر وهو في الف وخمسمائة فارس والمقتدر في عشرين الفا فقال
لبعض اصحابه ما هذا الزجل قال فشل قال اجل وكانت الغلبة له فاستعد عليه السلام
بتلك الامارة على الفشل قوله فلسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى
نمطر اشارة الى نفي تلك الرذيلة عن نفسه واصحابه واثبات الفضيلة لهم و
كما ان فضيلة السحاب ان يقترن وقوع المطر منه برعده وبرقه ولسالته بامطاره
كذلك اقواله مقرونة بافعاله لا اخلف بينها واساله عذابه مقرونة بامطاره
ومفهوم ذلك ان خصمه يهدده بالحرب من غير قوة نفس ولا ايقاع فاشبه ذلك
الرعد من غير ايقاع للمطر والسيل من غير مطر فكانه قال كما لا يجوز سيل بلا
مطر فكذلك ما تدعونه وتهددون به من ايقاع الحرب بلا شجاعة ولا قوة
عليها وفي ذلك تسمية التعدي وبالله العصمة والتوفيق

## ومن خطبة له عليه السلام

الاوان

الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وان معي لبصيرتي ما لبست
على نفسي ولا لبس علي وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه
ولا يعودون اليه اقول هذا الفصل ملتقط ملفق من خطبة
له عليه السلام لما بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وهو غير منتظم وقد اورد السيد
منها فصلا اخر وسنذكرها بتمامها اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى والاستجلاب
في معنى الجمع والبصيرة العقل وافرطت الحوض افرطه بضم الراء ملاته والماتح بالتاء
المستقي وربما يلتبس بالمايح وهو الذي ينزل البير فيملا الدلو والفرق بينهما ان بنقطتي
فوق للفوقاني والصدور الرجوع عن الماء وغيره ويقابله الورود وهو العود اليه
ومدار هذا الفصل على ثلثة امور اولها الذم لاصحاب الجمل والتنفير عنهم والثاني
التنبيه على فضيلة نفسه والثالث الوعيد لهم واشار الى الاول بقوله الا وان الشيطان
قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله واراد ان الباعث لهم والجامع على مخالفة الحق
انما هو الشيطان بوسوسته لهم وتزيينه الباطل في قلوبهم وقد عرفت كيفية وسو
سته واضلاله فكل من خالف الحق ونابذه فهو من حزب الشيطان وجنده خيلا و
رجلا واما الثاني فاشار اولا الى كمال عقله وتمام استعداده لاستجلاء الحق و
استيضاحه بقوله وان معي لبصيرتي ثم اكد ذلك بالاشارة الى عدم انخداع
نفسه القدسية للشيطان فما يلبس به على الحق من الشبه الباطلة على البصائر
الضعيفة فنفيها بذلك عن ادراكه وتمييزه عن الباطل سواء كانت مخادعة الشيطان
وتلبيسه بغير واسطة وهو المشار اليه بقوله ما لبست على نفسي اى لا التبس على نفسي
المطمئنة ما يلبسه النفس الامارة او بواسطة وهو المشار اليه بقوله
ولا لبس علي اى ان احدا ممن تبع ابليس وتلقف عنه الشبه لصار عونه ان
ان يلبس الحق صورة الباطل لا يمكنه ان يلبس علي واما الثالث فاشار اليه
بقوله وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه الى اخره واستعار افراط الحوض لجمعه
الجند وتهيئته اسباب الحرب وكنى بقوله انا ماتحه عن انه هو المتولي لذلك و
لما كانت الحرب قد شبه بالبحر وبالماء الجم فيستعار لها اوصافه فيقال فلان
خواض غمرات وفلان منغمس في الحرب جاز ان يستعار ههنا لفظ الحوض ثم
رشح تلك الاستعارة بالمتح والفرط والاصدار والايراد في تخصيص نفسه بالمتح
تاكيد تهديد لعلمهم بباسه وشجاعته وقد حذف المضاف اليه ما في الحقيقة

وتقديره لنا ما تم حمايه اذ الموض لا يوصف بالمنح ثم اردف ذلك بوصف استعداده
لهم بالشدة والصعوبة عليهم فكنى بقوله لا يصدرون عنه عن ان الوارد منهم اليه
لا ينجو منه فهو بمنزلة من يغرق فيه فلا يصدر عنه وبقوله لا يعودون اليه
اى ان من نجا منهم لا يطمع في الحرب مرة اخرى فلا يريدون الورود عليهم مرة
ثانية والد ذلك الوعيد بالقسم للبادى واصل ايم ايمن جمع يمين حذفت النون تخفيفا
كما حذفت في لم يكن وقيل هو اسم برأسه وضع للقسم وتحقيقه في مسائل النحو

ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية
لما اعطاه الراية يوم الجمل

تزول الجبال ولا تزل عض على ناجذك اعر الله جمجمتك تد في الارض قدمك
ارم ببصرك اقصى القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من الله سبحانه وتعالى
اقول الناجذ السن بين الناب والضرس وقال الجوهرى
هو اقصى الاضراس وقيل الاضراس كلها نواجد واعلم انه عليه السلام اشار في هذا الفصل
الى اداب انواع الحرب وكيفية القتال فنهاه اولا عن الزوال واكد عليه ذلك بقوله
تزول الجبال ولا تزل والكلام في صورة شرطية متصلة محذوفة تقديرها لو زالت
الجبال لا تزل وهو نهى عن الزوال مطلقا لان النهى عنه على تقدير زوال الجبال مستلزم
للنهى عنه على تقدير اخر بطريق الاولى اذ القصد به المبالغة في النهى ثم اردف ذلك
بخمسة اوامر احدها ان يعض على ناجذه وذلك لاستلزامه امرين احدهما ربط
الجاش عن القلق والخوف والانسان يشاهد ذلك في حال البرد والخوف الموجبين
للرعدة فانه اذا غض على اضراسه تسكن رعدته ويتماسك بدنه الثاني
ان الضرب مع ذلك في الراس لا يؤثر كثير ضرر كما قال عليه السلام في موضع اخر
وعضوا على النواجذ فانه انبا للسيوف عن الهام وكان ذلك لما فيه من جمع
القوة والتصلب الثاني ان يعير الله جمجمته وهى استعارة لطيفة وتشبيه
لجمجمته بالالة التى يستعار للانتفاع بها ثم ترد فاستعاره من الله وهو به
لمحمد رضى الله عنه على هذا الوجه فيه الاسعار بالعارية قال بعض الشارحين
وفى ذلك تنبيه لمحمد رضى الله عنه على انه لا يقتل في ذلك الحرب لان العارية
لا بد من ردها بكمال السلامة وفيه تثبيت لجاشه وربط لقلبه الثالث
ان يلزم قدمه الارض ويجعله كالوتد وذلك لاستلزامه امرين احدهما ربط



الجاش واستصحاب العزم على الثبات الثاني ان ذلك مظنة الشجاعة و
امارة الصبر على المكاره فيكون من موجبات انفعال العدو وانقهاره الرابع
ان يرمى ببصره اقصى القوم وذلك ليعلم على ماذا يتقدم وليبطر مخائل المخاتل و
مقاتل المقاتل الخامس ان يغض بصره بعد مدة وذلك لكونه علامة السكينة
والثبات وعدم الطيش ولان مد النظر الى بريق السيوف مظنة الرهبة وربما يضعف
على البصر ايضا والنظر المحمود في الحرب ان يلحظ شزرا فعل الحنق المترصد للفرصة
كما قال عليه السلام في غير هذا الموضع والحظوا الشزر ثم لما ثبته بهذه الاوامر الخمسة
امره ان يعلم ان النصر من عند الله كما قال تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز
الحكيم ليتاكد ثباته بثقته بالله عند ملاحظة قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم ونحوه ومن كلام له عليه السلام

لما ظفر باصحاب الجمل وقد قال له بعض اصحابه
وددت ان اخى فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك
الله به على اعدائك فقال عليه السلام

اهوى اخيك معنا فقال نعم فقال فقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا اقوام في اصلاب
الرجال وارحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الايمان اقول
قوله اهوى اخيك معناه اى محبته وميله وقوله فقد شهدنا اى علم
بالحضور بالقوة او بحضور نفسه وهمته على تقدير محبته الحضور وكم انسان يحصل الحضور
همته وان لم يحضر ببدنه كثير نفع اخا باستجلاب الرجال او باشر الهمة في تفريق العدو
الله كما يفعله هم اولياء الله بحيث لا يحصل مثل ذلك النفع من ابدان كثيرة حاضرة
وان قويت وعظمت قوله ولقد شهدنا في عسكرنا هذا اقوام في اصلاب
الرجال وارحام النساء تاكيد الحضور اخيه القائل بالاشارة الى ان من سيوجد من انصار
الحق الذابين عنه وعباد الله الصالحين شاهدون معه عليه السلام ايضا والشهادة
شهادة بالقوة على انهم موجودون في اكمام المواد بالقوة ومن كان في قوة ان يحضر من
انصار الله فهو بمنزلة الحاضر الموجود بالفعل في نصرته له اذا وجد
سيرعف بهم الزمان استعار لفظ الرعاف وهو الدم الخارج من انف الانسان
لوجودهم وفيه تشبيه للزمان بالانسان والتناسب وجودهم الى الزمان لانه
من الاسباب المعدة لقوابل وجودهم ونحوه قول الشاعر

وصار معقد الزمان بمثل عمر ولا تلد النساء له ضريبا
قوله ونقوى بهم الايمان ظاهر وبالله التوفيق

## ومن كلام له عليه السلام في ذم البصرة واهلها

كنتم جند المرأة واتباع البهيمة الى قوله كجؤجؤ سفينة او نعامة جاثمة
وفي رواية اخرى كجؤجؤ طير في لجة بحر اقول هذا الفصل
مع فصول بعده من خطبة خطبها عليه السلام بالبصرة بعد ما فتحها روي انه
لما فرغ من امر الحرب لاهل الجمل امر مناديا ينادي في اهل البصرة ان الصلوة
جامعة لثلثة ايام من غد ان شاء الله ولا عذر لمن تخلف الا من حجة او علة فلا
تجعلوا على انفسكم سبيلا فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج فصلى بالناس
الغداة في المسجد الجامع فلما قضى صلوته قام فاسند ظهره الى حائط القبلة عن
يمين المصلى فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبي صلى الله عليه
واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم قال يا اهل البصرة يا اهل
المؤتفكة الى قوله كانه جؤجؤ طير في لجة بحر فقام اليه الاحنف بن قيس
فقال يا امير المؤمنين متى ذلك قال اذا صارت لججكم قصورا واعلم ان
بعد هذا الفصل من الخطبة فصول لا تعلق لها بهذا الموضع وربما تعلقت ببعضها او
ردها السيد بعد هذا الفصل وسنذكرها معها ان شاء الله اصل البصرة الحجارة البيض
الرخوة وصارت علما للبلدة لوجدان تلك الحجارة بها قيل انها بالمربد كثير وائتفكت
البلدة باهلها انقلبت بهم والمؤتفكة من الاسماء القديمة للبصرة كما سنذكره في تمام
هذه الخطبة والرغاء صوت الابل خاصة والعقر الجرح والدق من كل شيء
حقيره وصغيره والشقاق الخلاف والنفاق الخروج من الايمان بالقلب واصله
ان اليربوع يرقق موضعا من الارض من داخل جحره فاذا اتي من قبل بابه وهو القا
صعاء ضرب ذلك الموضع برأسه فانفق اي خرج ويسمى ذلك النافقاء فاشتق لفظ
النفاق منه والزعاق المالح وطبقها الماء اي عمها واتى على جميعها وجؤجؤ السفينة
صدرها وكذلك الطاير واعلم انه عليه السلام ذكر في معرض ذمهم امورا تنبه
فيها على وجوه ارتكابهم للرذائل اولها كونهم اهل المؤتفكة اي ائتفكت باهلها ثلثا
ومعلوم ان ائتفاك البلد باهلها وخسفها بهم انما يكون لفسادهم واستحقاقهم
في ذلك عذاب الله وقوله على الله تمام الرابعة عليهم بايقاع الخسف بهم

الثاني

الثاني كونهم جند المرأة واراد عايشه فانهم جعلوها عقد نظامهم ولما كانت
اقوال النساء واراؤهن امورا مذمومة بين العرب وساير العقلاء لضعف
ارائهن ونقصان عقولهن كما قال الرسول صلى الله عليه انهن ناقصات
عقول ناقصات دين ناقصات حظ اما نقصان عقولهن فلان شهادة
اثنتين منهن بشهادة رجل واحد لتذكر احديهما الاخرى واما نقصان دينهن
فلان احديهن تقعد في بيتها شطر دهرها اي في ايام حيضها لا تصوم ولا تصلي
واما نقصان حظهن فلان ميراثهن على النصف من ميراث الرجال وكان مع
ذلك مسيرهن وتابعهن لضعف راي منهن كما هو شان التابع بالنسبة الى
متبوعه لا جرم حسن توبيخهم بكونهم جندها واعوانا الثالث
كونهم اتباع البهيمة واراد بالبهيمة الجمل الذي كان تحت عايشة فان حالهم شاهدة
باتباعه محيين لرعايته وحارسين لعقره وهو اشنع من الاول وادخل
في الذم ولذ برغايه عن دعوتها لهم الى القتال اذ قد حث عليهم راكبه الرابع
دقة اخلاقهم واشار بها الى كونهم على رذائل الاخلاق دون حاق الوسط
ولما كانت اصول الفضائل الخلقية كما علمت ثلثة الحكمة والعفة والشجاعة
وكانوا على طرف الجهل بوجوه الاراء المصلحية وهو طرف التفريط من الحكمة العلمية
وعلى طرف الجبن وهو طرف التفريط من الشجاعة وعلى طرف الجور وهو طرف الا
فراط من ملكة العفة والعدالة لا جرم صدق انهم على رذائل الاخلاق ودقا
يقها الرابع للشقاق في العهود والنكث لها ومصداق ذلك نكثهم لعهده و
خلافهم لبيعته وذلك من الغدر الذي هو رذيلة بازاء ملكة الوفاء الخامس
النفاق في الدين ولما كانوا خارجين على الامام العادل محاربين له لا جرم
كانوا خارجين عن الدين وربما كان ذلك خطابا خاصا لبعضهم اذ المنافق
العرفي هو الخارج عن الاسلام بقلبه المظهر له بلسانه فيكون ذلك خطابا
لمن كان منهم بهذه الصفة السادس ما يتعلق بذم بلدهم وهو كون مائهم
مالحا وسبب ملوحته قربه من البحر وامتزاجه به ودخول ذلك في معرض
ذمهم انما يكون لسوء اختيارهم ذلك المكان والاقامة مع كون مائهم بتلك
الحال المستلزمة لامراض كثيرة في استعماله كسوء المزاج والبلادة وفساد
الطحال والحكة وغير ذلك مما ذكره الاطباء ولان ذلك من اسباب التنفير

تعففنا

عن المقام معهم وتكثير سوادهم **السابع** كونها انتن بلاد الله تربة وذلك لكثرة ركوب الماء لها وتخففها به **الثامن** كونها ابعد البلاد عن السماء وسيجي بيانه **التاسع** كونها بها تسعة اعشار الشر ويحتمل ان يريد به المبالغة في ذمها دون الحصر وذلك انه لما عدد بها شرور الاكثار يجتمع في عنده حكم بان فيها تسعة اعشار الشر مبالغة كنى به عن معظم الشر ويحتمل ان يريد بالشر مجموع الرذايل الخلقية المقابلة لاصول الفضايل النفسانية التي هي العلم والشجاعة والعفة والسخاء والعدل اذ كل منها برذيلتين كما علمت فتلك عشر رذايل واشبه ما يخرج عنهم منها ما لا يناسب عرضه مما هنا ذمهم به كالتبذير ونحوه وهذا الاحتمال وان كان لطيفا الا ان فيه بعدا **العاشر** كون المقيم بين اظهرهم مرتهنا بذنبه وذلك ان المقيم بينهم لابد ان ينخرط في سلكهم ويستعد لقبول مثل طباعهم وينفعل عن رذايل اخلاقهم و ح يكون موثقا باثم ذنوبه **الحادي عشر** كون الشاخص عنهم متداركا لرحمة من ربه وذلك لانما ثم الله له بالخروج ليسلم من الذنوب التي يكتسبها المقيم بينهم وتلك رحمة من الله واي رحمة ولما ذكر ذلك في معرض التنفير عنهم والمفهوم من الرواية الثانية وهو **قوله** المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله غير ما ذكرناه واذ فهم من **قوله** المحتبس فيها بذنبه ان احتباسه بينهم يجري مجرى العقوبة له بذنب سبق منه والخارج منها قد عفا الله عنه بخروجه وقد راعى في هاتين القرينتين السجع المتوازي وكذلك في القراين الاربع قبلهما ثم اشار بعد ذلك الى ان بلدتهم يخربها الماء وشبه بقعته بذلك ومثلها هو انه بنور بصيرته القدسية لمسجدهم مغمورا بالماء وقد طبق ارضهم كمشاهدته الحسية في الجلاء والظهور وقد حكى توقيف الرسول صلى الله عليه له على احوالهم في فصل اخر من هذه الخطبة وذلك انه عقيب ذمه لاهل البصرة وجوابه للاحنف في الفصل الذي ذكرناه قال مادحا لهم يا اهل البصرة ان الله لم يجعل لاحد من امصار المسلمين خطة شرف ولا كرم الا وقد جعل فيكم افضل ذلك وزادكم من فضله بمنه ما ليس لهم الى اخره واما تشبيه ما يخرج من الماء من شرفات المسجد بصدر السفينة وفي الرواية الاخرى بالنعامة الجاثمة وفي الرواية الثالثة بالطاير في لجة البحر فتشبيهات ظاهرة فاما وقوع ذلك للغرق المخبر عنه فالمنقول انها غرقت

مرة

مرة في ايام القادر بالله ومرة في ايام القايم بامر الله باجمعها وغرق من في ضمنها وخربت دورها ولم يبق منها الا علو مسجدها الجامع حسب ما اخبر به عليه السلام وكان غرقها من قبل بحر فارس من ناحية الجبل المعروف بجبل السنام فكان مصداق كلامه عليه السلام وفي ذلك نظر لانه اشار الى ان ذلك الماء ينفجر من ارضهم بقوله واني لاعرف موضع منفجره من قريتكم هذه وظاهر ذلك يقتضي انه لا يكون من ناحية اخرى والله اعلم

## منها في مثل ذلك

ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء خفت عقولكم وسفهت حلومكم فانتم غرض لنابل واكلة لآكل وفريسة لصايل **اقول** السفه رذيلة يقابل الحلم ويعود الى الطيش وعدم الثبات والاكلة اسم للماكول وقد علمت ان قوله ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء مما حكاه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه في الفصل المتقدم اما قرب ارضهم من الماء فاشارة الى انها موضع هابط مستفل من الارض وقريب من البحر فهو يصعد ان يعلوها بملاقات دجلة وذلك مشاهد في دخول الماء حدايقهم وسقيه بساتينهم في كل يوم مرة او مرتين واما كونها بعيدة من السماء فيجب اشتفالها عن غيرها من الارض وقيل ان من ابعد موضع في الارض عن السماء الابلة وان ذلك مما دلت عليه الارصاد وبرهن عليه اصحاب علم الهيئة وقال بعضهم ان كون ذلك في معرض الذم يصرفه عن ظاهره وانما الاشارة به الى انهم لما كانوا بالاوصاف المذمومة التي عددها منهم كانوا بعدا عن نزول الرحمة عليهم من سماء الجود الالهي مستعدين لنزول العذاب ويصدق في العرف ان يقال فلان بعيد من السماء اذا كان كما ذكرناه **قوله** خفت عقولكم اشارة الى قلة استعدادهم لادراك وجوه المصالح وضعف عقولهم عن تدبير احوالهم وسرعتهم الى ما لا ينبغي لغفلتهم عما ينبغي وهو وصف لهم بزيادة الغباوة **قوله** وسفهت حلومكم اشارة الى وصفهم برذيلة السفه والخفة المقابلة للحلم **قوله** فانتم غرض لنابل واكلة لآكل وفريسة لصايل هذه الاوصاف الثلاثة لازمة عن خفة عقولهم وسفه حلومهم ولذلك عقبها بها لان طمع القاصد

لهم بانواع الاذى انما يحسنها من عليه بقلة عقلهم لوجوه المصالح وسفههم فيقصدهم
بحسن تدبيره والاول من هذه الاوصاف كناية عن كونهم مقصدا لمن يريد اذاهم
والثاني كناية عن كونهم في معرض ان يطمع في اموالهم ونعمهم ويأكلها ويقصد
اكلها والثالث عن كونهم بصدد ان يفترسهم من يقصد قتلهم واهلاكهم وا
ستعار لفظ الغرض والاكلة والفريسة لهم ووجوه المشابهة فيها ظاهرة و
قد راعى في هذه القراين السجع ففي الاولين السجع المطرف وفي الاخيرين بعد
هما والثلث السجع المتوازي والله اعلم وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام
فيما رده من قطايع عثمان

والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فان
في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق
اقول هذا الفصل مع فصول بعده من خطبة خطبها بالمدينة
لما قتل عثمان وبويع له وقد ورد بعضها بزيادة ونقصان واول هذا الفصل
من الخطبة الا ان كل قطيعة اقطعها عثمن او مال اعطاه من بيت مال المسلمين
فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته وقد تزوج به النساء وفرق في
البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه وسنورد الخطبة بتمامها
في احد الفصول التي نحن فيها ان شاء الله تعالى واعلم انه اشار اولا الى العزم
الجازم المؤكد بالقسم على رد القطائع التي كان عثمان اقطعها اقاربه ثم نبه المقطعين
بقوله فان في العدل سعة على ان عدل الله يسعهم في رد ما اقتطعوه ولكن
يسعهم عن اقتضاء امر العدل رد ذلك وغيره من المظالم فعليهم ان يدخلوا
في مقتضى اوامر الله وعدله فان فيه سعة لهم اذ به نظام العالم باسره وهو
محل لرضاء المظلوم بايصال حقه اليه ولرضاء الظالم لعلمه بانه عند الانتزاع
منه اخذ ما ليس له وتأكد ذلك العلم بالوعيد الصادق فهو وان قام شيطانه
حال انتزاع الظلامة منه وضاق عليه العدل فهو في محل الرضا فان لم يرض
بضيق العدل عنه فالجور عليه اضيق في الدنيا والاخرة لانه ربما انتزعت
منه قهرا وكان جوره سببا للتضييق عليه في ذلك ولان الاوامر والنواهي
الالهية محيطة به سادة عليه وجوه التصرف في الباطل ولانه اذا نزل عليه

عدل

عدل اعتقد انه قد اخذ منه ما ينبغي اخذه منه واذا نزل عليه جور
اعتقد انه اخذ منه ما لا ينبغي اخذه ولا شك ان اخذ ما لا ينبغي اخذه
اصعب على النفس واضيق من اخذ ما ينبغي وهو امر وجداني فالمعنى في
الالفاظ التي اوردناها في الخطبة قريب مما ذكرناها هنا غير ان الضمير
في قوله فانه ان لم يسعه يعود الى المال واعلم انه قد كان عثمان اقطع
جماعة من بني امية وغيرهم من اصحابه كثيرا من ارض بيت المال وكذلك فعل
عمر ذلك مع قوم لهم وقايع مشهورة في الجهاد في سبيل الله ترغيبا في الجهاد لكن
لما الخلفاء بعدهما الاماميين لم يرد علي عليه السلام الا ما اقطعه عثمان وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام
لما بويع بالمدينة

ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم الى قوله ولقلما ادبر شيء فاقبل قال
السيد الرضي رضي الله عنه ان في هذا الكلام الادنى من مواقع الاحسان ما لا تبلغه
مواقع الاستحسان وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به وفيه مع الحال التي
وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ولا يطلع فجها انسان ولا يعرف ما اقول
الا من ضرب في هذه الصناعة بحق وجرى فيها على عرق وما يعقلها الا العا
لمون اقول في هذا الفصل فصول من الخطبة التي اشرنا
اليها في الكلام الذي قبله وكذلك في الفصل الذي بعده ونحن نوردها بتمامها
لتصح ذلك وهي الحمد لله احق محمود بالحمد واولاه بالمجد الها واحدا
صمدا الى آخرها ولنرجع الى التفسير فنقول الذمة الحرمة والذمة ايضا
العهد والرهينة المرهونة والزعيم الكفيل وفي الحديث الزعيم غارم والمثلات
العقوبات والحجز المنع والتقحم في الامر ويقحمه الرمي بنفسه فيه والهبة القطعة
والبلبلة الاختلاط والغربلة نخل الدقيق وغيره والغربلة القتل ايضا
وساط القدر اذا قلبت ما فيها من طعام بالمحراك وادارته والوشمة بالشين المعجمة
العلامة والاثر والشمس جمع شموس وهي الدابة تمنع ظهرها والذلل جمع ذلول التي
النقيض بالشباب والذلول الساكنة والكلوح تكشر في عبوس واصر
ذلك الحبل يكسر الميم كثير وفلان يدعي على نفسه اذا كان يتفقد احوالها ولعلم
انه اشار اولا في هذا الفصل الى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى ونبه

على انه وسيلة اليه ومستلزم له في صورة شرطية متصلة وهي قوله
من صرحت له للعبر عما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات
وبيان الملازمة ان من اخذت العناية بزمام عقله فاعدت نور بصيرته لمشاهدة
ما صرحت به افات الدنيا وكشف عرها من تبدل حالاتها وتغير انها على من اوقف
عليها همه ولم تخذها دار اقامة فشاهد ان كل ذلك امور باطلة واظلال زايلة
فلا بد ان يفيض الله على قلبه صورة خشيته وتقواه فيستلزم تلك الخشية و
قفه وامتناعه عن ان يلج نفسه في تلك الامور الزايلة والشبهات الباطلة
لاشراق نور الحق الواضح على لوح نفسه بالاعتبار فالتقوى اللازم عنه
هو الحاجز عن ذلك التقحم واشار بالشبهات الى ما يتوهم كونه حقا ثابتا باقيا
من الامور الفانية الزايلة واللذات الدنيوية الباطلة فالوهم يتصورها و
يشبهها بالحق فلذلك سميت شبهات والعقل الخارج من اسر الهوى فوق على
نقد الحق ويتنزه عن الشبهة واكد عليه السلام هذه الملازمة برهن ذمته على صحتها وكونها
لتجب تصديقها وذلك قوله ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم واستعمال الرهن
هاهنا استعارة كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت بما كسبت رهينة
واعلم انه ربما التبس عليك حقيقة التقوى فنقول التقوى بحسب العرف الشرعي
يعود الى خشية الحق سبحانه المستلزمة للاعراض عن كل ما يوجب الالتفات
عنه من متاع الدنيا وزينتها من دون وجهه من جهة القصد ولما كان التول
والاعراض المذكور هو الزهد الحقيقي كما علمت فكان التقوى وسيلة اليه وعلمت
انه من اقوى الجواذب الى الله الرادعة عن الالتفات الى ما سواه وقد ورد التقوى
بمعنى الخشية من الله تعالى في اول النساء يا ايها الذين امنوا اتقوا ربكم ومثله
في اول الحج وفي الشعراء اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون وكذلك قول هود
وصالح ولوط وشعيب لقومهم وفي العنكبوت قال ابرهيم لقومه اعبدوا الله واتقوه
وقوله واتقوا الله حق تقاته وقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى
وكذلك في ساير ايات الله القران وان كان قد حمله بعض المفسرين تارة على الايمان
كما في قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى وتارة على التوبة كما في قوله ولو ان
اهل القرى امنوا واتقوا وتارة على ترك المعصية كما في قوله واتوا
البيوت من ابوابها واتقوا الله اذا عرفت ذلك فاعلم انه لما نبههم على

لزوم

لزوم التقوى وانه مخلص من تقحم الشبهات نبههم بعده على انهم في الشبهات
مغمورون بقوله الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه و
اشار ببليتهم الى ما هم عليه من اختلاف الاهواء وتشتت الاراء وعدم الا
لفة والاجتماع في نصرة الله عن شبهات يلقيها الشيطان على الاذهان
الغافلة لوسوسته المقهورة في يده وذلك من اعظم الفتن التي بها يبتلي الله
عباده ويبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وهي امور تشبه ما كان الناس
عليه حال بعثة الرسول صلى الله عليه وفي ذلك تنبيه لهم على انهم لبسوا من تقوى
الله في شيء اذا عرفت ان مجانبة الشبهة من لوازم التقوى فكان وقوعهم فيها مستلزما
لسلب التقوى عنهم ثم لما بين وقوعهم في البلية كما كانت اقسم بالقسم البار لينزلن
بهم ثمرة ما هم فيه من عدم التناصر واتباع الاهواء الباطلة وذكر امورا ثلثة
احدها البلبلة وكنى بها عما يوقع بهم بنو امية وغيرهم من امراء الجور من
الهموم المزعجة وخلط بعضهم ببعض ورفع اراذلهم وحط اكابرهم عن ما يستحق
كل من المراتب الثاني الغربلة وكانها كناية عن التقاط احادهم وقصدهم بالا
ذى والقتل كما فعل بكثير من الصحابة والتابعين وفي ذلك تشبيه لفعلهم ذلك
بغربلة الدقيق ونحوه لتمييز شيء منه عن شيء ولذلك استعير له لفظها وفي
ما بين القرينتين السجع المتوازي الثالث ان يساطوا كما يساط القدر الى
ان يعود اسفلهم اعلاهم وبالعكس واستعار لفظ السوط هاهنا مع علامة المذكو رة
لتصريف ايدي الجور لهم ممن ياتي بعده بساير اسباب الاهانة وتغير القواعد التي
هم عليها في ذلك الوقت وهو قريب من الاول قوله وليسبقن سابقون
كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا اشارة الى بعض ساير تقلب
الزمان بهم قال بعض الشارحين انه اشار بالمقصرين الذين يسبقون
الى قوم قصروا عن نصرته في مبدا امره حين وفاة الرسول صلى الله عليه ثم
نصروه في ولايته وقاتلوا معه في ساير حروبه وبالسابقين الذين يقصرون
الى من كانت له في الاسلام سابقة ثم خذله وانحرف عنه وقاتله ويشبه ان
يكون مراده اعم من ذلك فالمقصرون الذين يسبقون كل من اخذت العناية
الالهية بيده وقادته بزمام التوفيق الى الجد في طاعة الله واتباع ساير



كناية

اوامره والوقوف عند نواهيه وزواجره بعد تقصيره في ذلك وعكس
هواها ومن كان في صيد الامر متهورا في سلوك سبيل الله حتى زجره هواه الى
غيرها كان عليه وسلك به الشيطان في مسالكه فاشتد السبقة في الدين تقحما
والخروج عنه **قوله** والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد
انه لم يكتم ابدا سمعه من رسول الله صلى الله عليه في هذا المعنى او كلمة مما يجب
عليه ان يبوح به وانه لم يكذب قط وهذا القسم شهادة لما قبله من الاخبار بما سيكون
انه كما قال وتوطيه لما بعده انه كما هو وذلك **قوله** ولقد نبئت بهذا المقام
اي مقام بيعة الخلق له وهذا اليوم اي يوم اجتماعهم عليه وكل ذلك تنفير لهم عن الباطل
الى الحق وبعث لهم على اتباعه ثم لما امرهم بالتقوى وليناديهم ما سيكون عاقبة
امرهم في لزومهم لبليتهم وتورطهم في الشبهات اردف ذلك بالتنفير عن الخطايا
والترغيب في التقوى بالتنبيه على ما يعود اليه كل منهما **قوله** الا وان
الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار استعار لفظ
الخيل للخطايا ثم وصفها بالوصف المنفر وهو الشموس والعجلة المانعة لدى العقل
من ركوبها وهي كونها مع شموسها مخلوعة اللجم ووجه الاستعارة ظاهر فان الفرس
الشموس التي خلع لجامها لما كانت من شانها ان تتقحم براكبها المهالك وتخرج
على غير نظام فكذلك راكب الخطيئة لما جرى به ركوبها على غير نظام الشريعة وخلع
بذلك لجام الاوامر الشرعية وحدود الدين لا جرم كانت غاية من ركوبه لها
ان تتقحم به اعظم موارد الهلاك وهي نار جهنم وذلك من لطيف الاستعارة
**قوله** الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها
فاوردتهم الجنة استعار ايضا لفظ المطايا بالوصف الحسن الموجب للميل اليها
وهو كونها ذللا وبالعقة التي ينبغي للراكب وهو اخذ الزمام واشار بها الى
الحدود الشرعية التي يلزمها صاحب التقوى ولا يتجاوزها ولما كانت المطية
الذلول من شانها ان تتحرك براكبها على وفق النظام الذي ينبغي ولا تتجاوز
الطريق المستقيم بل يبصر فيها بزمامها ويسير به على تؤدة فيصل بها الى مقاصده
كذلك التقوى فهو له طريق السالك الى الله بالتقوى والاخذ عن جموح
القوى به في موارد الهلكة تشبه ذلة المطية وحدود الله التي بها ملك التقوى

ويستوثق

ويستوثق عليه يشبه ازمة المطايا التي بها تملك وكون التقوى موصلا لصاحبه
بسلامة الى السعادة الابدية التي هي اسنى المطالب يشبه غاية سير المطية
الذلول براكبها والاستعارة في الموضعين استعارة لفظ المحسوس للمعقول
ثم لما نبه ان هاهنا طريقين مركوبين مسلوكين طريق الخطايا وطريق
التقوى ذكر بعده انهما حق وباطل فكانه قال وهما حق وهو التقوى وباطل
وهو الخطايا ثم قال ولكل اهل اي ولكل من طريق الباطل والحق قوم اعدهم
القدر لسلوكها بحسب ما جرى في اللوح المحفوظ بقلم القضاء الالهي
كما قال الرسول صلى الله عليه كل ميسر لما خلق له **قوله**
فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل الرداف
لذلك بما يشبه الاعتذار لنفسه ولاهل الحق في قلته وذم وتوبيخ لاهل البا
طل على كثرته اي ان كثرة للباطل وقلة الحق في ذلك الوقت ليس بدعا
حتى اجهد نفسي في الانكار على اهله ثم لا يسمعون ولا ينتهون وفي قوله
لربما ولعل تنبيه على ان الحق وان قل فربما يعود كثيرا ثم اردف حرف التقليل
وهو ربما بحرف التمني فكان في هذه الاحرف الوجيزة اخبار بقلة الحق و
وعد بقوته مع نوع شك في ذلك وتمني لكثرته **قوله** ولقل
ما ادبر شيء فاقبل استبعاد لرجوع الحق الى الكثرة والقوة بعد قلته
وضعفه على وجه كلي فان زوال الاستعداد للامر مستلزم لزوال صورته
وصورة الحق انما اقتضت على القلوب حين استعدت لقبوله فاذا اخذ
ذلك الاستعداد في النقصان بموت اهله او بموت قلوبهم وتسود الواح
نفوسهم بشبهة الباطل فلا بد ان ينقص نور الحق ويكثر ظلمة الباطل بحسب
قوة الاستعداد لها وظاهر ان عود الحق واضاءة نوره بعد ادباره
واقبال ظلمة الباطل امر بعيد وقل ما يعود مثل ذلك الاستعداد
لقبول مثل تلك الصورة للحق ولعله يعود بقوة فيصبح الواح النفوس
وارضها مشرقة بانوار الحق ويكر على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وما
ذلك على الله بعزيز وفي ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق والحث على القيام
به كيلا يضمحل بتخاذلهم عنه فلا يمكنهم تداركه وبالله التوفيق
**منه** شغل من الجنة والنار امامه

ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا الى قوله ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم
لائم الا نفسه اقول قد عرفت كون هذا الفصل من الخطبة
التي ذكرناها والجادة معظم الطريق والصفحة الجانب والسنخ الا
صل وذات البين حقيقته والخيبة عدم وصول المطلوب واعلم ان تقدير
القضية الاولى ان من كانت النار والجنة امامه فقد جعل له بهما
شغل يكفيه عن كل ما عداه فيجب عليه ان لا يشتغل الا به واشار بذلك الشغل
الى ما يكون وسيلة الى الفوز بالجنة والنجاة من النار مما نطقت به الكتب المنزلة
وحثت على لزومه الرسل واشار بكون الجنة والنار امامه الى احد امرين احدهما
ان يكون المراد كون الجنة والنار ملاحظة له متذكرا لها حاضرة وقته فهي امامه
ونصب حياله ومن كان كذلك فهو في شغل بهما عن غيرهما الثاني ان يكون
كونهما امامه اى انه لما كان الانسان في مبدأ عمره الى منتهاه مسافرا الى الله
تعالى فهو في انقطاع سفره لابد ان ينتهي اما الى الجنة او الى النار فكانتا امامه
في ذلك السفر وعاش بانهما للانسان وينتهي اليهما ومن كان ابدا في السفر الى
غاية معينة فكيف يليق به ان يشتغل بغير مهمات تلك الغاية والوسيلة اليها
وانما قال شغل بالبناء للمفعول لان المقصود هاهنا ليس الا ذكر الشغل او
لانه لما كان الشاغل هو الله تعالى بايجاد الجنة والنار والترغيب في احدهما
والترهيب من الاخرى كان ترك ذكره للتعظيم والاجلال ولظهوره ثم انه
لما نبه على وجوب الاشتغال بالجنة والنار عن غيرهما قسم الناس بالنسبة
الى ذلك الاشتغال الى ثلثة اقسام وذلك قوله ساع سريع نجا وطالب
بطيء رجا ومقصر في النار ووجه الحصر في هذه القسمة ان الناس بعد الا
نبياء عليهم السلم اما طالبون لله او تاركون والطالبون اما بغاية جدهم
واجتهادهم وبذل وسعهم وطاقتهم في الوصول الى رضوانه او بالبطء والتا
فهذه ثلثة اقسام لا مزيد عليها وان كان في الطالبين على مراتب ودرجات
متفاوتة والقسم الاول هم الفائزون بقصب السبق والناجون من عذاب
النار كما قال تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم
فاكهين بما اتاهم ربهم ووقاهم عذاب الجحيم وهذا القسم يشمل الانبياء عليهم السلم
لولا افراده لهم في قسم رابع اذ قسم الخلق في الخطبة الى خمسة اقسام والثالث

المقصر

المقصر الذي وقف به الشيطان حيث اراد احدا بجريرته عن سلوك سبيل الله
فقاذفا به في موارد الهلاك ومنازل الشقاء وظاهر انه في النار واما
الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما القسم الثاني فهو ذو
وصفين يتجاذبانه من جهتي السفالة والعلو فطلب الجنة بحركته وسلوكه
الى الله وان ضعف جاذب له الى جهة العلو ويد الشيطان جاذبة له
الى جهة السفالة الا ان رجاءه لعفو الله ونظره اليه بعين رحمته اذا
انضاف الى حركته البطيئة كانت اللاحقة عليه لتغليب وجه العلو منه لقرب
وينبغي ان يشير الى حقيقة الرجاء ليتضح ما قلناه فنقول الرجاء
هو ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حالة لها تصدر عن علم
ويقتضي عملا بيان ذلك ان ما يتصوره النفس من محبوب او مكروه فاما ان
يكون موجودا في الماضي او في الحال او يوجد في الاستقبال والاول يسمى ذكرا
وتذكرا والثاني يسمى وجدا لوجدان النفس له في الحال والثالث وهو ان
يغلب على ظنك وجود شيء في الاستقبال لنفسك به تعلق فيسمى ذلك انتظارا و
توقعا فان كان مكروها حدث منه في القلب تالم يسمى خوفا وان كان محبو با
حصل من انتظاره وتعلق القلب به لذة للنفس وارتياح باخطار وجوده
بالبال يسمى ذلك الارتياح رجاء ولكن ذلك المتوقع لابد ان يكون لسبب
فان كان توقعه لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء صادق عليه وان كان
انتظاره مع العلم بانتفاء اسبابه فاسم الغرور والحمق عليه اصدق وان
كانت اسبابه غير معلومة الوجود ولا الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره
اذا عرفت ذلك فاعلم ان ارباب العرفان قد علموا ان الدنيا مزرعة الاخرة
فالنفس هي الارض وبذرها حب المعارف الالهية وساير انواع الطاعات
جارية مجرى اصلاح هذه الارض من تقليبها واعدادها للزراعة وسياقة
الماء اليها والنفس المستغرقة بحب الدنيا والميل اليها كالارض السبخة التي لا يقبل
الزرع والانبات لمخالطة الاجزاء الملحية ويوم القيامة يوم الحصاد فلا
حصاد الا من زرع ولا زرع الا من بذر وكما لا ينفع الزرع في ارض سبخة كذ لك
لا ينفع ايمان مع خبث النفس وسوء الاخلاق فينبغي ان يقاس رجاء العبد

لرضوان الله برجا رصاحب الزرع وكما ان من طلب ارضا طيبة وبذرها في وقت
الزراعة ببذر اعز متعفن ولا متاكل ثم امده بالماء العذب وساير ما يحتاج
اليه في اوقاته ثم طهره عن نبات لحبه مما يمنع نباته من شوك ونحوه ثم انتظر
من فضل الله دفع الصواعق والافات المفسدة الى تمام زرعه وبلوغ
غايته كان ذلك رجاء في موضعه واستحق اسم الرجاء اذ كان في مظنته ان يفوز
بمقاصده من ذلك الزرع ومن بذر في ارض كذلك الا انه بذر في اخريات
الناس ولم يبادر اليه في اول وقته او قصر في بعض اسبابه ثم اخذ ينتظر
ثمرة ذلك الزرع ويرجو الله في سلامته له فهو من جملة الراجين ايضا
ومن لم يحصل على بذر او بذر في ارض سبخة او ذات ساعل عن الانبات ثم اخذ
ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء انما يصدق على انتظار
ما حصلت جميع اسبابه او اكثرها الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا
ما لا يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات
كذلك حال العبد ان بذر المعارف الالهية في ارض نفسه في وقته وهو مقتبل
العمر ومبدا التكليف ودام على سقيه بالطاعات واجتهد في طهارة
نفسه عن شوك الاخلاق الردية التي تمنع نما العلم وزيادة الايمان و
انتظر من فضل الله تعالى ان يثبته على ذلك الى زمان وصوله وحصاد
عمله فذلك الانتظار هو الرجاء المحمود وهو درجة السابقين وان القى بذر الايمان
في نفسه لكنه قصر في اسبابه اما بتطوره في البذر او في السقي الى غير ذلك مما
يوجب ضعفه ثم اخذ ينتظر وقت الحصاد ويتوقع من فضل الله تعالى
ان يبارك له فيه ويعتمد على انه هو الرزاق ذو القوة المتين فيصدق عليه
ايضا انه راج اذ اكثر اسباب المطلوب التي من جهته حاصله وهذه درجة
القسم الثاني وهو الطالب الراجي للنيل وان لم يزرع من قواعد الايمان في
نفسه شيا اصلا او زرع ولم يسقه بماء الطاعة او ترك نفسه مشغولة
بشوك الاخلاق الردية وانهمك في طالب افات الدنيا ثم انتظر المغفرة
والفضل من الله فذلك الانتظار غرور وليس برجاء في الحقيقة وذلك
هو القسم الثالث وهو المقصر في اسباب الزراعة وتحصيل زاد الاخرة
الهالك اسفا يوم الحسرة والندامة يقول ياليتني قدمت لحيوتي

فيومئذ

فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد وفي المعنى ما قيل
اذا انت لم تزرع وعاينت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله
وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى و
يقولون سيغفر لنا وانما خصص عليه السلم القسم الثالث بالرجاء اذ كان لما علمت
عمدته لضعف عمله وقلة الاسباب من جهته والى هذه الاقسام الثلثة اشار القران
الكريم بقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك
هو الفضل الكبير وان اختلف مبدا الرحمن **قوله** اليمين والشمال
مضلة والطريق الوسطى هي الجادة لما قسم الناس الى سابقين ولاحقين ومقصرين اشار
لهم الى الطريق التي لطف الله عليهم سلوكها ونصب لهم عليها اعلام الهدى ليصلوا
بها الى جناب عزته سالمين عن خطفات الشياطين وميزها عن طريق الضلال ولما علمت
ان طريق السالكين الى الله اما العلم او العمل فالعلم طريق القوة النظرية والعمل
طريق القوة العملية وكل منهما محفوف برذيلتين احدهما طرف التفريط والافراط
كما علمته والوسط منها هو العدل والطريق الوسطى وهي الجادة الواضحة لمن اهتدى
وهي التي عليها ما في الكتاب الالهي من المقاصد الالهية الحكمية وعليها اثار النبوة ومنفذ
السنة اي طريقها ومبدها الذي عنه تخرج واليها مصير عاقبة الخلق في الدنيا والاخرة
فان منها العدل بان السنة وانتشرت في الخلق واليه مرجع امورهم اما في الدنيا فلان
نظام امورهم في حركاتهم وسكناتهم مبني عليه في القوانين الشرعية والى تلك القوانين
والقواعد يرد عواقب امورهم وعليها يجاوزون واما في الاخرة فبالنسبة اليه يميز خسران
الخاسرين وفوز الفائزين فكم لمن سلكه وتمسك به اوقات سفره الى الله بجنات النعيم
ولمن انحرف عنه وتجاوزه بالعذاب الاليم في نار الجحيم وكل واحد من طرف التفريط
والافراط بالنسبة اليه هو المراد باليمين والشمال من ذلك الوسط وهما طريقا المضلة
لمن عدل اليهما ومورد الهلاك لمن سلكهما **قوله** هلك من ادعى وخاب
من افترى يحتمل ان يكون الفقرتان دعاء ويحتمل ان يكون اخبارا اي هلك من ادعى
ما ليس له اهلا وعن الهلاك الاخروي وخاب من كذب بان لم يحصل مطلوبه اذا
جعل الكذب وسيلة اليه واعلم ان الدعوى اما ان يكون مطابقة لما في نفس الامر
او ليس كذلك والثانية محرمة مطلقا واما الاول فاما ان يدعوا اليها حاجة

اولیس و القسم الاول هو المباح فقط دون الثانی و انما حرم هذان القسمان
اما الاول وهو الدعوى بغير المطابقة فلانها يعد دعوى من ملكه الكذب تارة وعن الجهل
المركب تارة كالجاهل بالامر المدعى لحصوله عن شبهة رسخت في ذهنه وكلاهما من
اكبر الرذايل واعظم المهلكات في الاخرة واما الثاني وهو المطابقة لا عن حاجة فلانها
يكاد لا ينفك من الانسان الا عن رذيلة العجب وستعلم انه من المهلكات قال رسول الله
صلى الله عليه ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه واما خيبة
المفترى فلان الفرية اختلاق ما ليس بحق واظهار الكذب لا ثمرة له اما في الاخرة
فظاهر واما في الدنيا فقد يكون ولا يكون وان كانت فهو معرض الزوال ومستلزمة لسخط الله
فهي بمنزلة ما لم يكن وصاحبها لشدة خيبته من عادها وطالب الامر بالفرية على كل تقدير خايب
خاسر قال بعض الشارحين اراد هلك من ادعى الامامة من غير استحقاق وخاب من افترى
في دعواه لها لان كلامه في هذه الخطبة كثيرا ما يعرض فيه بالمرء جاهلا ان لا يعرف قدره
تنبيه على ان المتورد لاظهار الحق في مقابلة كل باطل ورد من الجهال وحلمهم على رد
الحق وصعبه في كل وقت يكون في معرض الهلاك بايديهم والسنتهم الا ان يعدم منعم
من توليه المكروه ويسعى في دفعه ثم اراد للتنبيه على الجهل فذكر ادا ذم مرتبته ونبه بها
على ان افق الجهل كاف في الرذيلة فكيف بكثره وذلك قوله كفى بالمرء جاهلا ان لا يعرف
قدره واراد مرتبته في الناس وعدم تعرفه لدرجة نفسه ومنزلتها بالنسبة الى احادهم
وكون هذا القدر مهلكا فانه منشا كثير من الرذايل المهلكة كالكبر والعجب وقول الباطل
وادعاء الكمال للناقصين وتعدي طوره في اكثر الاحوال كما قال عليه السلم في موضع اخر
رحم الله امرا عرف قدره ولم يتعد طوره وفي هذه الكلمة تنفير للسامعين عن الجهل
بقدر ما يتصورونه من وجوب التجرد للحق ونصرته وربما يفهم منها تعليم لكيفية اجتلاب
طباع الجهال وتانيسهم ومواتاتهم لا يجوز ان يقابلوا بالحق دفعة ويتجرد في مقابلتهم
به على كل وجه فان ذلك مما يوجب تنافرهم وعدم نظام احوالهم بل ينبغي ان يؤنسوا
به على التدريج قليلا قليلا وربما لم يكن تانيسهم بالحق في بعض الامور الا بالعوض
الحق بالانتقال الى افهامهم او القوة اعتقادهم للباطل في مقابلته بنحو من انحاء
ذلك بالحق في صورة الباطل ومظاهرة وذلك كما ورد في القران الكريم والسنن
النبوية من صفات التجسيم وما لا يجوز ان يحمل على ظاهره في حق الصانع الحكيم
فان حمله على ظاهره كما يتصوره جهال الناس امر باطل لكنه لما كان سبب ايناسهم

وجمع قلوبهم على الاعتقاد بالصانع الحكيم وبه نظام امورهم ورد الشرع به قوله لا
يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظما عليه زرع قوم هنا تنبيه على لزوم التقوى باعتبارين
احدهما ان كل اصل بني على التقوى محال ان يهلك او يلحق باسه خسران كما قال
افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار
الثاني ان من زرع زرعا اخرويا كالمعارف الالهية في ارض نفسه مثلا او دنيويا كالاعمال
التي بها يقوم مصالح الانسان في الدنيا وسقاها بماء التقوى وجعله مادتها فانه لا يلحق
ذلك الزرع ظما بل عليه ينشا ما هو ساق واذكى ثمرة واستعمال الزرع والاصل كناية
عما ذكرناه قوله فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة من
وراءكم قد عرفت ان هذا الفصل مقدم في الخطبة على قوله من ابدى صفحته للحق هلك
وهو مسبوق بالتهديد ووارد في معرضه وهو قوله الا وان الله قد جعل ادب
هذه الامة السوط والسيف ليس عند امام فيهما هوادة اي مصالحة وسكون فاستتروا
بيوتكم وهو حسم لمادة الفتنة بينهم بلزوم البيوت عن الاجتماع للمنافرات والمفاخرات
والمشاجرات ولذلك اردفه بقوله واصلحوا ذات بينكم فان قطع مادة الفتنة سبب
لاصلاح ذات البين قوله والتوبة من وراءكم تنبيه للعصاة على الرجوع
الى التوبة عن الجري في ميدان المعصية واقتفاء اثر الشيطان وكونها وراء لان الجواذب
الالهية اذا اخذت تقلب العبد وتجذبه عن المعصية حتى اعرض عنها والتفت بوجه
نفسه الى ما كان معرضا عنه من الندم على المعصية والتوجه الى القبلة الحقيقية فانه
يصدق عليه اذن ان التوبة وراءه اي وراء عقبه وهو اولى من قول من قال من المفسرين
ان وراءكم بمعنى امامكم قوله ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه
تاديب لهم بالتنبيه على قصر الحمد والثناء على الله دون غيره وانه مبدا كل نعمة يستحق بها
الحمد كما سبقت عليه الاشارة وعلى قصر اللائمة على النفس عند انحرافها عن جهة القبلة
الحقيقية الى متابعة ابليس وقبولها لدعوته من غير سلطان والى اصل هاتين الكلمتين
اشار القران الكريم ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فكل
حسنة اصابت العبد فمن ربه فهو مبدا الحمد وشكره وكل سيئة اصابته من نفسه
فهي مبدا اللائمة لنفسه فاما قول السيد رحمه الله في ان هذا الكلام من
مواقع الاحسان ما لا يبلغه مواقع الاستحسان الى اخره فالاحسان مصدر قولك احسن
الرجل احسانا اذا فعل فعلا حسنا ومواقع الاحسان محاسن الكلام التي اجاد فيها واحسن

ومواقع الاستحسان لغا سلبر محاسن كلام العرب اى ان شيئا من محاسن كلام العرب
وما يقع عليه الاستحسان منها لا يوازى هذا الكلام ولا يبلغه او يشير بمواقع الاستحسان
الى الفكر من الناس فانها محال الاستحسان ايضا اذ الاستحسان من صفات المستحسن
اى ان الفكر لا يصل الى محاسن هذا الكلام و **قوله** وان حظ العجب
منه اكثر من حظ العجب به يريد ان تعجب الفصحاء من حسنه وبدايعه اكثر من محبه
باستخراجه محاسنه وذلك لان فيه من المحاسن وراء ما يمكنهم التعبير عنه امورا اكثر مما
يجدونها من انفسهم وان لم يمكنهم التعبير عنها فيكون تعجبهم من محاسنه اكثر من اعجابهم
من انفسهم بما يقدرون على استخراجه منها او يريد ان اكثر من تعجبهم به اى اكثر من
محبتهم له وميلهم اليه وباقى كلامه ظاهر وبالله التوفيق

## ومن كلام له عليه السلام

في صفة من تصدى من الامة للحكم وليس لذلك باهل

ان ابغض الخلايق الى الله رجلان رجل وكله الله الى نفسه فهو جاير عن قصد السبيل
مشعوف بكلام بدعة ودعا ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان
قبله مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته الى قوله ولا عندهم انكر من المعروف
ولا اعرف من المنكر **اقول** وكله الى نفسه جعله متوكلا عليها والجاير
العادل عن الطريق وفلان مشعوف بكذا بالعين المهملة اذا بلغ حبه الى شغاف
قلبه وهو غلافه وبالعين المعجمة اذا بلغ الى شعفة قلبه وهي عند معلق النياط والقمش
جمع الشيء المتفرق والجمع قماش والموضع بفتح الضاد المطرح وبكسرها المسرع
والغار الغافل واغباش الليل ظلمته وقال ابو زيد الغبش البقية من الليل
وروى اغطاش الفتنة والغطش ايضا الظلمة والهدنة الصلح والمبهمات المشكلات
واحدها مبهم اذا لم يعرف والرث الضعيف البال وعشوت الطريق تعشو النار اذا
تبينته على ضعف والهشيم اليابس من نبت الارض المتكسر والعج رفع الصوت و
البائر الفاسد واعلم انه اخذ اولا في التنفير عن الرجلين المشار اليهما بذكر انهما من
ابغض الخلق الى الله تعالى ولما كانت ارادة الله للشيء ومحبته له عايدة الى علمه بكونه
على وفق النظام الكلي التام للعالم كانت كراهيته وبغضه له عايدة الى علمه بكونه
على ضد مصلحة العالم وخارجا عن نظامه فبغضه اذن لهذين الرجلين علمه بكون
افعالهما واقوالهما خارجة عن المصلحة **قوله** رجل وكله الله الى نفسه

فهو جاير

فهو جاير عن قصد السبيل الى قوله بخطيئته بيان المصدر الرجلين وتميزه
وذكر له اوصافا الاول انه وكله الله الى نفسه اى جعله متوكلا عليها
دونه واعلم ان التوكل ماخوذ من الوكالة يقال وكل فلان امره الى فلان
اذا فوضه اليه واعتمد عليه فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل و
حده فاذا عرفت ذلك فنقول من اعتقد جزما او ظنا بان نفسه او
احدا غير الله تعالى ممن ينسب اليه التدبير والقدرة هو المتمكن من الفعل و
انه تام القدرة على تحصيل مراده والوفاء به فان ذلك من اقوى الاسباب المعدة
لان ينتقش لله على قلبه صورة الاعتماد على المعتقد فيه والتوكل عليه فيما
يريد وذلك معنى قوله وكله الله تعالى لنفسه وكذلك معنى الوكول الى الدنيا وذلك
بحسب اعتقاد الانسان ان المال والمقامات الدنيوية والاغراض الدنيوية مطالبه وتحصيلها
معنيه له عما وراءها وبحسب قوة ذلك التوكل وضعفه يكون تفاوت بغض الله
تعالى للعبد ومحبته له وبعده وقربه منه فلن يخلص اذن العبد من بغض الله الا
بالتوكل عليه حق توكله قال تعالى ان الله يحب المتوكلين وهو اعظم مقام يوسم صاحبه
بمحبة الله فمن كان حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان
المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال رسول الله صلى الله عليه من انقطع
الى الله تعالى كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله
تعالى اليها وصورة التوكل عليه ان يحصل في نفسه بكشف او اعتقاد جازم ان استناد
جميع الاسباب والمسببات اليه سبحانه وانه الفاعل المطلق تام وراء قدرته و لايعون خ
علمه وعنايته رحمة وعناية ولم يبق في نفسه التفات الى غيره بوجه حتى قوتك
وحولك وقوتك فانك والحال هذه تجد من نفسك تسليم امورها بالكلية اليه
والبراءة من التوكل على احد الا عليه فان لم تجد من نفسك هذه الحال فسبب ذلك
ضعف الاسباب المذكورة او بعضها وغلبة الوهم على النفس في معارضته لذلك اليقين
وبحسب ضعف تلك الاسباب وشدتها وزيادتها ونقصها يكون تفاوت درجات
التوكل على الله تعالى الثاني كونه جايرا عن قصد السبيل اى عن قصد سبيل الله
العدل وصراطه المستقيم وقد علمت ان الجور هو طرف الافراط من فضيلة العدل
الثالث كونه مشعوفا بكلام بدعة اى معجبا بما يخترعه ويبتدعه من الكلام الذي
لا اصل له في الدين ويدعو به الناس الى الضلالة والجور عن القصد وهذا وصف

لازم عما قبله فان من جار عن قصد السبيل بجهله فهو يعتقد انه على سواء السبيل فكان ما يتخيله من ذلك الكمال الذي هو نقصان في الحقيقة مستلزما لمحبته قول الباطل وابتداع المحال فهو من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الرابع كونه فتنة لمن افتتن به وهو ايضا لازم عن الوصف الثالث فان محبة قول الباطل والدعوة الى الضلالة سبب لكونه فتنة لمن اتبعه الخامس كونه ضالا عن هدى من كان قبله وهذا الوصف كالثاني فان الضال عن الهدى جائر عن قصد السبيل الا ان هاهنا زيادة اذ الجائر عن القصد قد يجوز ويضل حيث لا هدى يتبعه والموصوف هاهنا جائر وضال مع هدى قبله مأمور باتباعه وهو كتاب الله وسنة رسوله واعلام هداه الى اهلون لدينه الناطقون عن مشكاة النبوة وذلك ابلغ في الاثم واكد في وجوب عقوبته السادس كونه مضلا لمن اهتدى به في حياته وبعد وفاته وهذا الوصف مسبب عما قبله اذ ضلال الانسان في نفسه سبب لاضلاله غيره ويفهم منه ما يفهم من الرابع مع زيادة فان كونه فتنة لغيره هو كونه مضلا لمن اهتدى به واما الزيادة فكون ذلك الاضلال في حيوته وهو ظاهر وبعد موته لبقاء العقائد الباطلة المكتسبة عنه فهي سبب ضلال للضالين بعده السابع كونه حمالا لخطايا غيره وهو لازم عن السادس فان حمله لاوزار من يضله انما هو بسبب اضلاله له الثامن كونه رهينا بخطيئته اي موثوق بها عن الصعود الى حضرة جلال الله والى هذين الوصفين اشار القرآن الكريم بقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون وقول الرسول صلى الله عليه ايما داع دعا الى الهدى فاتبع كان له مثل اجر من تبعه لا ينقص من اجورهم شيء وايما داع دعى الى الضلالة فاتبع كان عليه مثل وزر من تبعه ولا ينقص منه شيء واعلم انه ليس المراد من ذلك انه تعالى يوصل العقاب الذي يستحقه الاتباع الى القادة والرؤساء لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولما دخل احد من الناس النار ابدا بل كانت مقصورة على ابليس وحده بل المراد ان الرئيس المضل اذ وضع سيئة يكون فتنة للناس وضلالا لهم لم تصدر تلك السيئة الا عن نفس قد استولى عليها الجهل المركب المضاد لليقين وصار ملكة من ملكاتها فسود لوح جانبه عن قبول الانوار الالهية وصار ذلك حجابا بينها وبين الرحمة بحيث

يكون

يكون ذلك الحجاب في القوة والشدة اضعاف حجب التابعين له والمقتدين به الناشئة عن فتنته فان تلك الحجب الطارئة على قلوب التابعين مستندة الى ذلك الحجاب وهو اصلها فلا جرم يكون وزره وسيئته في قوة اوزار اتباعه وسيئاتهم التي حصلت بسبب اضلاله لا كل سيئاتهم من كل جهة ولذلك قال تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم اي بعض اوزارهم وهي الحاصلة بسبب المضلين وقال الواحدي ان من في هذه الآية ليست للتبعيض بل لبيان الجنس والا لخف على الاتباع بعض اوزارهم وذلك يناقض قوله صلى الله عليه من غير ان ينقص من اوزارهم شيء قلت هذا وان كان حسنا الا ان الالزام الذي ذكره غير لازم على كونها للتبعيض لان للقائل ان يقول كما ان لكم ان تقولوا ان المراد وليحملوا بعض امثال اوزار التابعين لا بعض اعيان اوزارهم واذا فهمت ذلك في جانب السيئات فافهم مثله في جانب الحسنات وهو ان الواضع لحسنة وهدى يهتدى به انما يصدر عن نفس ذات صفاء واشراق كمل نورها فاشرق على غيرها من النفوس التابعة لها فاستضاءت به وتلك الحسنة الماخوذة من جملة انوارها الفائضة عنها على نفوس مقتبسيها فكان في النفس المتبوعة من الاستكمال بنور الله الذي هو راس كل هدى ما هو في قوة جميع الانوار المقتبسة عن تلك الحسنة ومثلها فكان لها من الاجر والثواب مثل ما للتابعين لها من غير نقصان في اجور التابعين وهذا هو الحاصل لهم والى مثل هذا المعنى الاشارة الواردة في الخبر ان حسنات الظالم تنقل الى ديوان المظلوم وسيئات المظلوم تنقل الى ديوان الظالم فانك علمت ان السيئة والحسنة اعراض لا يمكن نقلها من محل الى محل فليس ذلك نقلا حقيقيا بل على وجه الاستعارة كما يقال انتقلت الخلافة من فلان الى غيره وانما المقصود من نقل سيئات المظلوم الى الظالم حصول امثالها في قلب الظالم ونقل حسنات الظالم الى المظلوم حصول امثالها في قلبه وذلك لان للطاعة تاثيرا في النفس بالتنوير وللمعاصي تاثيرا بالقسوة والظلمة وبانوار الطاعة يستحكم مناسبة النفس من استعدادها لقبول المعارف الالهية ومشاهدة حضرة الربوبية وبالقسوة والظلمة تستعد للبعد والحجاب عن مشاهدة الجمال الالهي فالطاعة مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة التي تحدث فيها وبين الحسنات والسيئات تضاد وتعاقب على النفس كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال ولا تبطلوا اعمالكم وقال صلى الله عليه

اتبع السيئة بالحسنة تمحها واللام ممحصات للذنوب ولذلك قال صلى الله
عليه ان الرجل ليثاب حتى بالشوكة التي يصيب رجله وقال الحدود كفارات لا
هلها فالظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه ما يقسي القلب ويسود لوح النفس
فيمحو اثر النور الذي فيه من طاعته فكانه لحبط طاعته والمظلوم تالم
وينكسر شهوته وينكسر قلبه ويرجع الى الله فيفارقه الظلمة والقسوة
التي حصلت له من اتباع الشهوات فكان النور انتقل من قلب الظالم الى قلب
المظلوم وانتقل السواد والظلمة الى قلب الظالم وذلك انتقال على سبيل الا
ستعارة لما علمت وكما يقال انتقل ضوء الشمس من مكان الى مكان وقد
تلخص من هذا التقرير ان الحسنات المنقولة الى المظلوم من ديوان الظالم
هي استعداداته لقبول الرحمة والتنور الحاصل له بسبب ظلم الظالم والسيئات
المنقولة من ديوان المظلوم الى الظالم هي استعداداته بالحجب والقسوة عن
قبول انوار الله والثواب والعقاب الحاصلان لهما هو ما استعدا له من
تلك الانوار والظلمات واعلم ان ذلك النقل وحمل الظالم اوزار المظلوم
وان كان امرا حاصلا في الدنيا الا انه لما لم ينكشف للبصائر الا يوم القيامة
لاجرم خصص بيوم القيامة وانما قال حمالا وزن فعال للمبالغة و
التكثير اي انه كثيرا ما يحمل خطايا غيره واعلم ان الرجل الثاني غير معروف
وصفا ا كونه قمش جهلا وهي استعارة لفظ الجمع المحسوس للجمع المعقول
ب كونه موضعا في جهال الامة مطرحا ليس من اشراف الناس و
يفهم من ذلك الكلام انه خرج في حق شخص معين وان عمه وعمم
ج كونه عادما في اغباش الفتنة اي ساع في اوائل ظلماتها ودون غاد
اي غافل في ظلمات الخصومات لا يهتدي لوجه تحصيلها د كونه عمي
البصيرة بما في عقد الصلح والمسالمة بين الناس من نظام لعمومهم ومصالح
العالم فهو جاهل بوجوه المصالح مثير للفتن بينهم ه كونه قد سماه
اشباه الناس عالما وليس بعالم والواو للحال واشباه الناس الجهال واهل الضلال
وهم الذين يشبهون الناس الكاملين في الصورة الحسية دون الصور
التمامية التي هي كمال العلوم والاخلاق و كونه بكر فاستكثر من
جمع ما قل منه خير مما كثر روي من جمع منونا وغير منون اما مع التنوين

فالجملة

فالجملة بعده صفة له واستعمل المصدر وهي جمع في موضع اسم المفعول اي
من مجموع ويحتمل ان يكون المقصود هو المصدر نفسه واما مع الاضافة فقيل
ان ما ههنا بمنزلة في تمام الكلام الى تقدير مثلها معها حتى يكون ما اراد
هي المضاف اليها والثانية هي المبتدا والتقدير من جمع ما الذي قل منه خير
مما كثر لكنه لما كان اظهار ما الثانية يشبه التكرار ويوجب هجنة في
الكلام وكانت ما الواحدة تعطي المعنى عن المقدرة كان حذفها اولى وقيل
ان المقدر المحذوف اي على طريقة قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي من
جمع ما ان قل منه خير مما كثر وعني بالبكر الى الاستكثار من ذلك السبق في اول
العمر الى جمع الشبهات والاراء التي قليلها خير من كثيرها وباطلها اكثر من حقها
ز كونه اذا ارتوى من ماء اجن واكثر من غير طائل جلس بين الناس قاضيا
ولما كان الاجن صفة للماء والكمالات النفسانية التي هي العلوم كثيرا ما يعبر
عنها بالماء الصافي والزلال وكانت الجهل والاراء التي حصل عليها بجهله مع العلم
جامع الاعتقاد فهي في العلم داخلات تحت جنس الاعتقاد كان الماء الاجن
اشبه ما يستعار لتلك الاراء التي ليست مضيئة ولا مثبتة فهي تشبه الماء الاجن
الذي لا غنا فيه للشارب ورشح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وجعل غايته
المثال والبهام من ذلك الاستكثار جلوسه بين الناس قاضيا ح كونه ضامنا
لتخليص ما التبس على غيره اي واثق من نفسه بفصل ما يعرض بين الناس من
القضايا المشكلة وضامنا حال ثان او صفة للاول ط كونه اذا نزلت
به احدى القضايا المبهمة الملتبسة وجه فصلها هيأ لها حشوا ضعيفا من رأيه
ثم جزم به والحشو الكلام الكثير الذي لا طائل تحته ولبس حلا لتلك المبهمة
ى كونه من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت ونسج العنكبوت مثل للامور
الواهية ووجه هذا التمثيل ان الشبهات التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف
اذا قصد حل قضية مبهمة يكثر فيلتبس على ذهنه وجه الحق منها فلا يهتدي
له لضعف ذهنه فتلك الشبهات في الوهاء تشبه نسج العنكبوت وذهنه
فيها يشبه الذباب الواقع فيه فكما لا يتمكن الذباب من خلاص نفسه من شباك
العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل اذا وقع في الشبهات لا يخلص وجه
الحق منها لعلة عقله وضعفه عن ادراك وجوه الخلاص يا انه لا يدري

اصاب فيما حكم به ام اخطا فان اصاب خاف ان يكون قد اخطا وان اخطا رجا
ان يكون قد اصاب وخوف الخطا ورجاء الاصابه من لوازم الحكم مع عدم الدراية
ش كونه جاهلا خباط جهالات والجهلات جمع جهلة فعله من الجهل قد تقدم
سان ان وزن فعال بنى للفاعل من الامور المعتاده التى يكثر فعلها وذكر الهاء هاهنا
زياده وهى كثرة الخبط فيه وكنى بذلك عن كثرة الاغلاط التى يقع فيها فى القضايا والاحكام
فيمشى فيها على طريق غير القوانين الشرعيه وذلك معنى خبطه ح كونه عاشيا
ركاب عشوات وهى اشارة الى انه لا يستضيء بنور الحق فى ظلمات الشبهات الا على ضعف
لنقصان ضوء بصيرته فهو يمشى فيها على ما يخيله دون ما يتحققه وكثيرا ما يكون حاله
كذلك ومما كان من شان العاشى الى الضوء فى الطرق المظلمة تارة يلوح فيمشى عليه وتارة
يخفى عنه فيضل عن القصد ويمشى على الوهم والخيال كذلك حال السالك فى طريق الدين من غير
ان يستكمل نور بصيرته بقواعد الدين ويعلم كيفيه سلوك طرقه فانه تارة يكون نور الحق
فى المسألة ظاهرا فيدركه وتارة يغلب عليه ظلمه الشبهات فيعمى عليه الموارد والمصادر
فيبقى فى الظلمة خابطا وعن القصد جائرا مه كونه لم يعض على العلم بضرس قاطع كنا
ية عن عدم ايقانه للقوانين الشرعيه واحاطته بها يقال فلان لم يعض على الامر
الفلانى بضرس اذا لم يحكمه واصله ان الانسان يمضغ الشى ثم لا يجيد مضغه فمثل به
من لم يحكم ما يدخل فيه من الامور ـه كونه يذرى الروايات اذراء الريح الهشيم ووجه
التشبيه ان الريح لما كانت يذرى الهشيم وهو ما يكسر من نبت الارض ويبس فتخرجه
عن حد الانتفاع به كذلك المتصفح للروايات لما لم يهتد الى وجه العمل بها ولم يقف على
الفايدة منها فهو يقف على رواية بعد اخرى ويمشى عليها غير فاهم لو انه غير ملى
باصدار ما يرد عليه اشارة الى انه ليس له قوة على اصدار الاجوبة عن ما يرد عليه من
المسائل فهو فقير منها مه لا يحسب العلم فى شى مما انكره يقال فلان لا يحسب فلانا فى
شى بالفتح من الحساب اى لا يعده شيئا ويعتبره فى العلم والكمال والفضيلة والمراد انه ينكر
العلم كسائر ما انكره فهو لا يعده شيئا ولا يفرده بالحساب والاعتبار ويعنى العلم الحقيقى
الذى ينبغى ان يطلب ويجتهد فى تحصيله لا ما يعتقده الموصوف علما فانه يطلبه
فان كثيرا من الجهال ممن يتعاطى العلم بفن من الفنون قد ينكر غيره من سائر الفنون و
يشنع على معلميه ومتعلميه كاكثر الناقلين للاحكام الفقهيه والمتصدين للفتوى
فى القضاء من الخلق فى زماننا وما قبله فانهم يبالغون فى انكار العلوم العقلية والفنون

بتحريم



بتحريم الخوض فيها وتكفير من تعلمها وهم غافلون عن ان احدهم لا يستحق ان
يسمى فقيها الا ان يكون له مادة من العلم العقلى المتكفل ببيان صدق الرسول عليه السلم
واثبات النبوة الذى لا يقوم شى من الاحكام الفقهيه التى يدعون انها كل العلم الا
بعد ثبوتها وروى يحسب بكسر السين من الحسبان وهو الظن اى لا يظن العلم ذا فضيلة
يجب اعتقادها واعتباره بها فيما انكره ح كونه لا يرى ان من وراء ما بلغ منه
مذهبا لغيره فى المسألة قوله اظهر من قوله يعضده دليل فلا يعده ومقو على
ما بلغ فهمه اليه ط كونه ان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه وكثيرا ما
راعى قضاة السوء عادة الكتمان ما يشكل عليهم امره من المسائل والتغافل عن جوابها
اذا اوردت عليهم لئلا يظهر جهلهم من اهل الفضل مراعاة لحفظ المناصب ك كونه
يصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث شبه الصراخ الى الدماء والعجيج
الى المواريث اما على سبيل المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى اهل الدماء و
اولياء المواريث فيكون حقيقه او على سبيل استعارة لفظا الصراخ والعج لنطق
الدماء والمواريث بلسان حالها المفصح عن مقالها ووجه الاستعارة ان الصراخ
والعجيج لما كانا انما يصدران عن ظلم وشكاية وكانت الدماء المراقه بغير
حق والمواريث المستباحة بالاحكام الباطلة ناطقة بلسان حالها مفصحه بالشكاية
والتظلم لا جرم حسنت استعارة اللفظين هاهنا ثم بعد ان خص الرجلين المذ
كورين بما ذكر منهما من الاوصاف المنفرة على سبيل التفصيل اردف ذلك بالتنفر
عنهما على سبيل الجملة بما يعمهما وغيرهما من الجهال من التشكى والبراءة وذلك قوله
الى الله من معشر الى الله اشكو كما هو فى بعض النسخ اوالى الله ابرا وذكر او
صافا مبداوها النقار على الجهل والعيش عنه وكنى بالعيش عن الحياة وقابله بذكر
الموت وقوله يموتون ضلالا وصف لازم عن الوصف الاول فان من عاش جاهلا
مات ضالا وقوله ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلى حق تلاوته الى
اخره اى اذا فسر الكتاب وحمل على الوجه الذى انزل اعتقدوه فاسدا والمرجوه
بجهلهم عن درجة الاعتبار على ذلك الوجه واذا حرف عن مواضعه ومقاصده ونزل
على حسب اغراضهم ومقاصدهم شروه على ذلك الوجه باغلى ثمن وكان من انفق
السلع بينهم واستعار له لفظ السلعة ووجه المشابهة ظاهرا ومنشا كل ذلك
هو الجهل وكذلك ليس عندهم انكر من المعروف وذلك لانه لما خالف اغراضهم

ومقاصدهم لموافقة اغراضهم ومحبتهم له لذلك والله اعلم انه عليه السلام قسم الناس
في موضع اخر الى ثلثة اقسام عالم ومتعلم وهمج رعاع اتباع كل ناعق والرجلان
المشار اليهما بالاوصاف المذكورة هاهنا ليسا من القسم الاول لكونهما على طرف الجهل
المضاد للعلم ولا من القسم الثالث لكونهما متبوعين داعيين الى اتباعهما ولكون الهمج
بالتعين كما صرح به فتعين ان يكونا من القسم الثاني وهم المتعلمون اذا عرفت ذلك
فنقول المراد بالمتعلم هو من ترفع عن درجة الهمج من الناس بطلب العلم واكتسب ذهنه
ذهنه شيا من الاعتقادات عن مخالطة من اشتهر بسمة العلم ومطالعة الكتب و
نحو ذلك ولم ينته الى درجة العلماء الذين يقدرون على التصرف والقيام بالحجة
فاعتقاداته في اما ان يكون مطابقة كلها او بعضها او غير مطابقة اصلا او على
التقديرات فاما ان لا ينصب نفسه لشي من المناصب الدينية كالفتوى والقضاء
ونحوهما او يتصدى لذلك فهذه اقسام ستة احدها من اعتقد اعتقادا مطابقا
ولم يعرض نفسه لشي من المناصب الدينية الثاني من كان اعتقاده كذلك لكنه
نصب نفسه للافادة الثالث من اعتقد جهلا ولم ينصب نفسه لها الرابع
من اعتقد جهلا وعرض نفسه لها الخامس من اعتقد جهلا وغير جهل ولم ينصب
نفسه للافادة السادس من كان اعتقاده كذلك ونصب نفسه لها والقسم
الاول وحده هو الخارج عن هذين الرجلين باوصافهما والثاني والرابع والسادس
منهم يكون الرجلان المذكوران فالاول منهما في ترتيبه عليه السلام هو من نصب نفسه
لساير مناصب الافادة دون منصب القضاء والثاني هو من نصب نفسه له
وانما بالغ في ذمهما ونسبتهما الى الجهل والضلال وان كان بعض اعتقاداتهما حقا
لكون القدر الذي حصلا عليه مغمورا في ظلمة الجهل فضلالهما واضلالهما اغلب والتشنيع
الناشي عنهما اكبر واما القسم الثالث والخامس فهما خلان بغير مرارا الى الله
منهم وذمهم اخرا بالعمى في الجهل والموت على الضلال وما بعده والله اعلم بالصواب

## ومن كلام له عليه السلام
## في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برايه الى قوله وان القران
ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تنكشف الظلمات
الا به اقول الانيق الحسن المعجب وفي هذا الكلام تصريح بانه عليه السلام

كان يرى

علا الفور

كان يرى ان الحق في جهة وانه ليس كل مجتهد مصيبا وهذه المسالة
من المسائل المنتشر الخلاف فيها بين العلماء في اصول الفقه فمنهم من يرى ان كل مجتهد مصيب
اذا راعى شرائط الاجتهاد وان الحق بالنسبة الى كل واحد من المجتهدين ما ادى
اليه اجتهاده وغلب في ظنه فجاز ان يكون في جهتين او جهات وعليه الامام الغزالي
رحمة الله عليه وجماعة من الاصوليين ومنهم من ينكر ذلك ويرى ان الحق في
جهة والمصيب له واحد وعليه اتفاق الشيعة وجماعة من غيرهم وربما فصل بعضهم
والمسالة مستقصاة في اصول الفقه واعلم ان قوله ترد على احدهم القضية الى
قوله فيصوب اراءهم جميعا بيان لصورة حالهم التي ينكرها وقوله والههم و
احد وكتابهم واحد ونبيهم واحد شروع في دليل بطلان ما يرونه وهذه هي المقدمة
الصغرى من قياس الضمير وتقدير كبراه وكل قوم كانوا كذلك فلا يجوز لهم ان
يختلفوا في حكم شرعي وقوله فامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه الى اخره
حجة في تقرير المقدمة الكبرى اذ الصغرى مسلمة وتقريرها ان ذلك الاختلاف
اما ان يكون بامر من الله الطاعة فيه او بنهي منه عصي فيه او سكوت عنه عن
الامر وعلى التقدير الثالث فجواز اختلافهم في دينه والحاجة الى ذلك اما
ان يكون مع نقصانه او مع تمامه وتقصير الرسول في ادايه وعلى الوجه الاول فذلك الاختلاف
انما يجوز على احد وجهين احدهما ان يكون اتماما لذلك النقصان او على وجه اتمم
من ذلك وهو كونهم شركاؤه في الدين فعليه ان يرضى بما يقولون وعليهم ان يقولوا اذ شاء
الشريك ذلك فهذه وجوه خمسه وحصر الاقسام الثلثة الاخيرة ثابت بحسب الاستقراء
وجوه الحاجة الى الاختلاف والاقسام كلها باطلة واشار الى بطلانها ببقية الكلام
اما بطلان الاول فلان مستند القضية هو كتاب الله تعالى ومعلوم انه يصدق بعضه
بعضا وانه لا اختلاف فيه فلا اختلاف عنه من الاقوال والاحكام الا ما يكون كذلك
ولا شي من اقوالهم المختلفة كذلك فينتج انه لا شي مما استند الى كتاب الله تعالى بقول
لهم فلا يكون اقوالهم من الدين واما بطلان القسم الثاني فلان عدم جواز المعصية
لله بالاختلاف مستلزم لعدم جواز الاختلاف وهو غني عن الدليل واما بطلان الثالث
وهو نقصان دين الله فلقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شي وقوله
وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي واما الرابع والخامس فظاهر البطلان فلم
يمكنهم دعواهما فلذلك لم يصرح ببطلانهما حجة ثم اردف ذلك تنبيههم على ان الكتاب

وان جميع المطالب اذا تدبروا معناه ولاحظوا اسراره وتطلعوا على غوامضه فحرم
عليهم ان يشرعوا الى قول عالم يستند اليه وذلك في قوله ظاهره انيق
معجب بانواع البيان واصنافه وباطنه عميق لا ينتهي الى جواهر اسراره الا او
لوا الالباب ومن ايدي الله حكمه وفصل خطابه ولا تفنى الامور المعجبة منه و
لا تنقضي النكت الغريبة له على توارد صوارم الاذهان وخواطف البصائر
ولا تكشف ظلمات الشبه الناشية من ظلمة الجهل الا بمصابيح انواره ولوامع
اسراره وقد راعى في صفة القرآن الاربع السجع المتوازن وبالله التوفيق

## ومن كلام له عليه السلام

خاطب به الاشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة
يخطب فمضى في كلامه عليه السلام شي اعترضه
الاشعث فقال يا امير المومنين هذه
عليك لا لك فخفض اليه بصره ثم قال
وما يدريك ما علي مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حايك بن حايك منافق
ابن كافر والله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى فما فداك من وا
حدة منهما مالك ولا حسبك وان امرا دل على قومه السيف وساق اليهم
الحتف لحري ان يمقته الاقرب ولا يامنه الابعد قال السيد
اراد بقوله دل على قومه السيف ما جرى له مع خالد بن الوليد باليمامة فانه
غر قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه عرف
النار وهو اسم للغادر عندهم اقول الكلام الذي اعترضه
الاشعث انه عليه السلام كان في خطبته يذكر امر الحكمين فقام اليه رجل
من اصحابه وقال له نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين
ارشد فصفق عليه السلام باحدى يديه على الاخرى وقال هذا جزاء من ترك
العقدة اي جزاؤكم حيث وافقتكم على ما الزمتموني به من التحكيم وتركت الحزم
فوجد الاشعث بذلك شبهة في تركه عليه السلام وجه المصلحة واتباع الارا
الباطلة واراد الزامه فقال هذه عليك لا لك وجهل او تجاهل ان
وجه المصلحة قد يترك محافظة على امر اعظم منه ومصلحة اهم فانه عليه السلام
لم يترك العقدة الا حذرا من اصحابه ان يقتلوه كما سنذكره في قصتهم وقد

كان مراده

كان مراده عليه السلام هذا جزاؤكم حيث تركتم الحزم فظن الاشعث انه اراد
هذا جزاي فقال الكلمة والحتف بالتاء الهلاك وروي بالياء وهو المبلى و
المقت البغض قوله وما يدريك ما علي مما لي اشارة الى
انه جاهل وليس للجاهل ان يعترض عليه وهو لسان العلماء بعد رسول
الله صلى الله عليه واما استحقاقه اللعن فليس لمجرد اعتراضه ولا لكونه
ابن كافر بل لكونه مع ذلك من المنافقين بشهادته عليه السلام والمنافق مستحق
اللعن والابعاد عن رحمة الله بشهادة قوله تعالى اولئك جزاؤهم ان عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين الخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
قوله حايك بن حايك استعاره اشاره بها الى نقصان عقله وقلة
استعداده لوضع الاشياء في مواضعها وتاكيد لعدم اهليته للاعتراض عليه اذ
الحياكة مظنة نقصان العقل وذلك لان ذهن الحايك عامة وقته متوجه
الى جهة صنعته مصروف الفكر الى اوضاع الخيوط المتفرقة وترتيبها ونظامها
محتاج الى حركة رجليه ويديه وبالجملة فالمشاهد له يعلم من حاله انه مشغول الفكر
عما وراء ما هو فيه فهو ابله فيما عداه وقيل لان معاملته ومخالطته لضعفاء العقول
من النساء والصبيان ومن كانت معاملته لهولاء فلا شك في ضعف رايه وقلة
عقله في الامور روي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال عقل اربعين
معلما عقل حايك وعقل حايك عقل امراة والمراة لا عقل لها وعن موسى بن جعفر
عليه السلام انه قال لا تستشيروا المعلمين والحوكة فان الله تعالى قد سلبهم عقولهم و
ذلك محمول على المبالغة في نقصان عقولهم وقيل انما عيره بهذه الصنعة لانها صنعة
دنية تستلزم صغر الهمة وخستها وتشتمل على رذايل الاخلاق فانها مظنة الكذب
والخيانة روي ان رسول الله صلى الله عليه دفع الى حايك من بني النجار غزلا
لينسج له صوفا فكان يطلبه ويماطله عليه السلام متقاضيا ويقف على بابه فيقول رده
علينا ثوبا نتجمل به في الناس ولم يزل يمطله حتى توفي صلى الله عليه وقد علمت
ان الكذب راس النفاق ومن كانت لوازم هذه الصنعة اخلاقه فليس له
ان يعترض في مثل ذلك المقام وقد اختلف في ان الاشعث هل كان حايكا او ليس
فروى قوم انه كان هو وابوه ينسجان برود اليمن وقال اخرون ان الاشعث
لم يكن حايكا فانه كان من ابناء ملوك كندة واكابرها وانما عيره بذلك لانه

كان اذا مشى تحرك منكبيه ونحّى بين رجليه وهذه المشية تعرف بالحياكة يقال حاك
يحيك حيكا وحيكانا وحياكة فهو حائك اذا مشى تلك المشية وامرأة حائكة
اذا تبخترت في مشيتها والاقرب ان ذلك له على سبيل الاستعارة كناية عن
نقصان عقله كما سبق اولا واما **قوله** والله لقد اسرك الكفر
مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك فتأكيد
لنقصان عقله واشارة الى انه لو كان له عقل لما حصل فيما حصل فيه من
الاسر مرتين ما فداه والانجاه من الوقوع في واحدة منهما ماله ولا حسبه ولم
يرد الفداء بعد الاسر فان الاشعث فدى في الجاهلية وذلك ان مرادا لما قتلت
اباه خرج ثائرا طالبا بدمه فاسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير ووفد على
النبي صلى الله عليه في سبعين رجلا من كندة فاسلم على يديه وذلك الاسر هو مراده
عليه السلم باسر الكفر له واما اسره في الاسلام فانه لما قبض رسول الله صلى الله
عليه ارتد بحضرموت ومنع اهلها تسليم الصدقة وابى ان يبايع لابي بكر فبعث
اليه زياد بن لبيد بعد رجوعه عنهم وقد كان عاملا قبل ذلك على حضرموت
ثم اردفه بعكرمة بن ابي جهل في جمع عظيم من المسلمين فقاتلهم الاشعث بقبايل
كندة قتالا شديدا في وقايع كثيرة وكانت الدايرة عليه فالتجا بقومه الى
حصنهم فحصرهم زياد حصرا شديدا وبلغ بهم جهد العطش فبعث الاشعث
الى زياد يطلب منه الامان لاهله ولبعض قومه وكان من غفلته انه لم يطلب
لنفسه بالتعيين فلما نزل اسره وبعث به مقيدا الى ابي بكر بالمدينة
فسال ابا بكر ان يستبقيه لحربه ويزوجه اخته ام فروة ففعل ذلك ابو بكر
ومما يدل على مراعاته للقواعد الدين انه بعد خروجه من مجلس عقده بام
فروة اصلت سيفه في ازقة المدينة وعقر كل بعير راه وذبح كل شاة استقبلها
للناس والتجا الى دار من دور الانصار فصاح به الناس من كل جانب و
قالوا قد ارتد الاشعث مرة ثانية فاشرف عليهم من السطح وقال يا اهل المدينة
اني غريب ببلدكم وقد اولمت بما نحرت وذبحت فلياكل كل انسان منكم ما وجد
وليغد الي من كان له علي حق حتى ارضيه ففعل ذلك فلم يبق دار من دور المدينة الا
واوقد فيها بسبب تلك الجملة فضرب اهل المدينة به المثل وقالوا اولم من الاشعث
وفيه قال الشاعر لقد اولم الكندي يوم ملاكه وليمة حمال لثقل العظايم

قوله وان

**قوله** وان امرا دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف
لحري ان يمقته الاقرب ولا يامنه الابعد اشارة الى غدره بقومه وذلك
انه لما طلب الامان من زياد بن لبيد طلبه لنفر يسير من وجوه قومه فظن
الباقون انه اخذ الامان لجميعهم فسكتوا ونزلوا من الحصن على ذلك الظن
فلما خرج الاشعث ومن طلب الامان له من قومه دخل زياد الى الحصن فقتل المقاتلة
صبرا فذكروه الامان فقال نعم ان الاشعث لم يطلب الامان الا لعشرة
من قومه فقتل من قتل منهم ثم وافاه كتاب ابي بكر بالكف عنهم وحملهم اليه
فحملهم وذلك معنى قوله عليه السلم دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف
اذ قادهم الى الحرب واسلمهم للقتل ولا نكر ان يكون كذلك محقق ان يمقته
قومه ولا يامنه غيرهم فاما ما حكاه السيد رحمه الله من انه اراد به حديثا كان
للاشعث مع خالد بن الوليد باليمامة وانه غر قومه ومكر بهم حتى
اوقع بهم خالد فلم اقف على شيء من ذلك في وقايع خالد باليمامة وحسن
الظن بالسيد يقتضي تصحيح نقله ولعل ذلك في وقعة لم اقف على اصلها واعلم
انه عليه السلم ذمه في هذا الفصل بجمع الرذايل النفسانية فنبه على الجهل و
الغباوة الذي هو طرف التفريط من الحكمة بالحياكة التي هي مظنة لقلة
العقل واشار الى الفجور الذي هو طرف الافراط من فضيلة العفة بكونه منافقا
وكونه ابن كافر تاكيدا لنسبة النفاق اليه واشار الى الجبن وقلة التثبت
الذي هو طرف التفريط والافراط في فضيلة الشجاعة بكونه قد اسر مرتين و
كما ان فيه اشارة الى تلك فعيبه بفعله اشارة الى نقصان عقله كما قلناه واشار
الى الظلم والغدر الذي هو رذيلة الافراط من فضيلة العدالة بقوله
وان امرا دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف وما يجامعه لهذه
الرذايل كان مستحقا للعن واما استعارته له عرف النار فلان العرف
عبارة عن كل عال مرتفع والاعراف في القرآن الكريم سور بين الجنة والنار
ولما كان من شان كل مرتفع عال ان يستر ما وراءه وكان الغادر يستر مكره
وحيلته اعواما كثيرة وكان هو قد غر قومه بالباطل وغدر بهم صدق
عليه لوجه الاستعارة لفظ عرف النار لستره عنهم ما وراءه من نار الحرب
اولا والاخرة اذ حملهم على الباطل والله اعلم وبالله التوفيق

## ومن خطبة له عليه السلام

فانكم لو عاينتم ما قد عاين من قد مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم واطعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر

**اقول** الوهل بالتحريك الفزع يقال وهل يوهل وهلا فزع واعلم ان الانسان ما دام ملتحفا بجلباب البدن فانه محجوب بظلمة الهيئات البدنية والعارضات الوهمية والخيالية عن مشاهدة انوار عالم الغيب والملكوت وذلك الحجاب امر قابل للزيادة والنقصان والقوة والضعف والناس فيه على مراتب فاعظمهم حجبا واكثفهم حجابا الكفار كما اشار اليه في القران الكريم مثلا في حجبهم او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض الاية فمثل الكافر كرجل وقع في بحر لجي صفته كذلك فاشار بالبحر اللجي الى الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة والموج الاول موج الشهوات الداعية الى الصفات البهيمية وما احرى ان يكون هذا الموج مظلما اذ حبك الشيء يعمي ويصم والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والحقد والحسد والمباهاة فما احرى ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وما احرى ان يكون هذا الموج الاعلى لان الغضب في الاكثر مستولي على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عنها والسحاب هو الاعتقادات الباطلة والخيالات الفاسدة التي صارت حجابا للبصيرة الكافر عن ادراك نور الحق اذ خاصية الحجاب ان يحجب نور الشمس عن الابصار الظاهرة واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحرى ان تكون ظلمات بعضها فوق بعض واما اخفهم حجبا وارقهم حجابا فهم الذين بذلوا جهدهم في لزوم اوامر الله ونواهيه وبالغوا في تصفية بواطنهم وصقال الواح نفوسهم عن القار الحجب الغفلة والاستار الهيئة البدنية فاشرقت عليهم شموس المعارف الالهية وسالت الى اودية قلوبهم مياه الجود الرباني المعطي لكل قابل ما يقبله فهؤلاء وان كانوا قد بلغوا الغاية من الجهد في رفع الحجب وغسل درن الباطل عن نفوسهم الا انهم ما داموا في هذه الابدان فهم في الغطية من هيئاتها وحجب



من استتارها وان ضعفت تلك الحجب ورقت تلك الاغشية وما بين هاتين المرتبتين درجات من الحجب متفاوتة ومراتب متصاعدة متنازلة وبحسب تفاوتها يكون تفاوت النفوس في الاستضاءة بانوار العلوم وقبول الا نتقاش بالمعارف الالهية والوقوف على اسرار الدين وبحسب تفاوت هذه الحجب يكون تفاوت ورود النار كما قال تعالى وان منكم الا واردها ولن تخلص الانسان من شوائب هذه الحجب وظلمتها الا بالاخلاص عن هذا البدن وطرحه و يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا فيكون مشاهدة تعيين النفوس ما اعد لها من خير وما هي لها من شر بحسب استعدادها بما كسبت من قبل فاما قبل المفارقة فان حجاب البدن مانع لها عن مشاهدة تلك الامور كما هي وان حصلت على اعتقاد جازم برهاني او نوع من المكاشفة الممكنة كما في حق كثير من اولياء الله الا ان ذلك الوقوف والاطلاع لا يكون كالمشاهدة لانها مشاهدة حقيقية خالصة اذ لا ينفك عن شائبة الوهم والخيال ولذلك قال صلى الله عليه حاكيا عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اي ودع ما اطلعتهم عليه وهو اشارة الى طور المشاهدة الخالصة عن الشوائب التي هي عين اليقين بعد الموت وقد يسمى ما ادركه اهل المكاشفات بمكاشفاتهم في حيوتهم الدنيا عين اليقين فاما ادراك من دون هؤلاء لتلك الامور فما كان منها موكدا بالشعور بعدم امكان النقيض فهو علم اليقين وقد يحقق علم اليقين في عرف الصوفية بما يميل النفس الى التصديق به ويغلب عليها ويستولي حتى يصير هو المحكم المتصرف فيها بالتحريض والمنع فيقال فلان ضعيف اليقين بالموت اذ لم يهتم بالاستعداد له فكانه غير موقن مع انه لا يتطرق اليه فيه شك وقوي اليقين به اذا غلب ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله عليه السلام فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم شرطية متصلة نبه فيها على ان وراءهم من اهوال الاخرة وعذابها ما شاهده من سبق منهم الى الاخرة ما لا يشاهدونه لان بعض اليقين وان علموه يقينا وبين فيها اللزوم جزعهم وفزعهم وطاعتهم لداعي الله على تقدير مشاهدتهم

بعين اليقين لتلك الامور وهذه الملازمة مما شهد البرهان بصحتها واشار
التنزيل الالهي الى حقيقتها وذلك قوله تعالى قالوا ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وذلك يقتضي شهادتهم لاهوال الا
خرة وفزعهم وجزعهم من تلك المشاهدة فيجيبهم لسان العزة اولم نعمركم ما
يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير قوله
وقريب ما يطرح الحجاب ما مصدرية في موضع رفع بالابتداء وقريب خبره
وهو اشارة الى نحو تزييف لذلك العذر في صورة التهديد لهم ان جعلوا ذلك
الحجاب عمدة في التقصير عن العمل فانه عما قليل يرفع حجب الابدان عن احوال
القيامة واهوال يوم الطامة وتكشط سماء غطيتها عن ابصار النفوس فيشاهد
الجحيم قد سعرت والجنة قد ازلفت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا
الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وكما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد قوله ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم
ان اهتديتم اشارة الى ما يشبه جوابا ثانيا عن صورة العذر السابق لجاهلهم وهو
وجود الحجاب المانع من مشاهدة ما يوجب الجزع والفزع وذلك ان الحجاب
وان كان قائما الان وساترا لتلك الامور عنكم فقد بصرتم بها واوضحت لكم بالعبر
والامثال على السنة الرسل عليهم السلام واسمعتم اياها في الكتب الالهية والسنن
النبوية وهديتم عليها بالدلائل الواضحة والحجج القاطعة بحيث صارت كا
المشاهدة لكم والمعلومة عيانا لا شك فيها فلا عذر اذن بالحجاب وتخصيص
السمع والبصر بالذكر لانهما الالتان اللتان عليهما مدار الاعتبار بامور الا
خرة واشار بالهداية الى حظ العقل من غير نظر الى آلة ونبه بايراد ان
الشرطية في المواضع الثلثة على انه يجد الشك في ابصارهم لما ابصروا به وفي
سمعهم لما سمعوا واهتدائهم بما هدوا به وكل ذلك تنفير لهم عن القرار على الغفلة
وتنبيه على الفرار الى الله في طرق الاعتبار قوله بحق اقول لقد
جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر لما قدم انهم بصروا واسمعوا اردف
ذلك ببيان ما بصروا به واسمعوا الى ما ابصروا به لمجاهرة العبر بالمصاب الوا
قعة بهم وبمن خلا قبلهم من القرون والى ما اسمعوا به بالزجر بما فيه مزدجر
وهو النواهي المؤكدة المردفة بالوعيدات الهائلة والعقوبات الحاضرة

التي

التي في لقائها الازدجار لذوي الالباب كما قال تعالى ولقد جاءهم من الانباء
ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر قوله وما يبلغ عن الله
بعد رسل السماء الا البشر اشارة الى انه ليس في الامكان وراء ما اخذتم
به الى الله تعالى على السنة رسله طريق اخرى تدعون بها اذ ما امكن دعوتكم
به من الوعيد والوعد والامثال والتذكير بالعبر اللاحقة لقوم حقت
عليهم كلمة العذاب ونحو ذلك لا يمكن ايضاحه لكم مشافهة الا على السنة الرسل
البشرية عليهم السلام فلا يمكن ان يبلغ اليكم رسالات ربكم بعد رسل السماء التي
هي الملائكة الا هم فينبغي ان يكون ذلك كافيا لكم في الالتفات الى الله

## ومن خطبة له عليه السلام

فان الغاية امامكم وان وراءكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما
ينتظر باولكم اخركم قال السيد رحمه الله

واقول ان هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه
وكلام رسوله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به
راجحا وبرز عليه سابقا فاما قوله عليه السلام
تخففوا تلحقوا فما سمع كلام اقل منه مسموعا و
لا اكثر محصولا وما ابعد غورها من كلمة وانقع
نطفتها من حكمة وقد نبهنا في كتاب الخصائص
على عظم قدرها وشرف جوهرها

اقول لا شك ان هذه الكلمات اليسيرة قد جمعت مع
وجازة الالفاظ جزالة المعنى المشتمل على الموعظة الحسنة والحكمة البالغة
وهي اربع كلمات الاولى ان الغاية امامكم واعلم انه لما كانت الغاية من
وجود الخلق ان يكونوا عبادا لله كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وكان المقصود من العبادة انما هو الوصول الى جناب عزته و
الطيران في حظاير القدس باجنحة الكمال مع الملائكة المقربين كان
ذلك هو غاية الانسان المطلوبة منه والمقصودة له والمأمور بالتوجه
اليها بوجهه الحقيقي فان سعى لها سعيها ادركها وفاز بحلول جنات
النعيم وان قصر في طلبها وانحرف عن سواء الصراط الموصل اليها فقد علمت

ان ابواب جهنم عن جنبي الصراط مفتحة كان فيها من الهاوين وكانت
غايته فدخلها مع الداخلين فاذن ظهر ان غاية كل انسان لعامة
اليها يسيرون بما نصر الثانية قوله وان وراءكم الساعة تحدوكم
والمراد بالساعة القيامة الصغرى وهي ضرورة الموت فاما كونها وراءهم
فلان الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت ويفر منه وكانت العادة
في الهارب من الشيء ان يكون وراءه مهروبا عنه وكانت الموت متاخرا عن
وجود الانسان ولاحقا باخره لحوقا عقليا اشبه المهروب عنه المتاخر اللاحق
هربا وتاخرا ولحوقا حسيا لشبه المهروب حسيا فلا جرم استعير له لفظ
الجهة المحسوسة وهي الوراء واما كونها تحدوهم فلان الحادي لما كان من شانه
سوق الابل بالحداء وكان ذكر الموت وسماع نوادبه مقلقا مزعجا للنفوس
الى الاستعداد لامور الاخرة والاهبة للقاء الله سبحانه فهو يحملها على قطع عقبات
طريق الاخرة كما يحمل الحادي الابل على قطع الطريق البعيدة الوعرة لا جرم اشبه
الحادي فاسند الحداء اليه الثالثة قوله تخففوا تلحقوا
ولما نبههم بكون الغاية امامهم وان الساعة تحدوهم في سفر واجب وكان
السابق الى الغاية من ذلك السفر هو الفائز برضوان الله وقد علمت ان
التخفف وقطع العلائق في الاسفار سبب للسبق والفوز بلحوق السابقين لا جرم
امرهم بالتخفيف لغاية الخوف في كلمتين فالاولى منهما قوله تخففوا
وكنى بها الامر عن الزهد الحقيقي الذي هو اقوى اسباب السلوك الى الله سبحانه
وهو عبارة عن حذف كل شاغل عن التوجه الى القبلة الحقيقية والاعراض عن
متاع الدنيا وطيباتها ومحبة كل ما سوى الحق الاول عن مستحق الايثار فان
ذلك تخفيف لاثقال الاوزار المانعة عن الصعود في درجات الابرار الموجبة
لحلول دار البوار وهي كناية باللفظ المستعار وهذا امر في معنى الشرط والثانية
قوله تلحقوا وهو جزاء الشرط اي ان تخففوا تلحقوا والمراد
تلحقوا بدرجات السابقين الذين هم اولياء الله والواصلون الى ساحل عزته
وملازمة هذه الشرطية قد علمت بيانها فان الجود الالهي لا بخل فيه ولا قصور
من جهته والزهد الحقيقي اقوى اسباب السلوك الى الله كما سبق فاذا استعدت
النفس بالاعراض عما سوى الحق سبحانه وتوجهت الى استشراق انوار كبريائه

فلابد

فلا بد ان يفاض عليها ما يقبله من الصورة الناقصة فلتحق بدرجة السابقين وتنزل
بساحل العزة في مقام امين الناجين قوله فانما ينتظر باولكم
اخركم اي انما ينتظر بالبعث الاكبر والقيامة للذين ماتوا اولا وصول الباقين
وموتهم وتحقيق ذلك الانتظار انه لما كان نظر العناية الالهية الى الخلق نظرا
واحدا والمطلوب واحد وهو الوصول الى جناب عزة الله الذي هو غايتهم اشبه
طلب العناية الالهية وصول الخلق الى غايتهم انتظار الانسان لقوم يريد حضور
جميعهم وترقبه باوائلهم وصول اواخرهم فاطلق عليه لفظ الانتظار على سبيل الا
ستعارة ولما صور ههنا صورة انتظار وصولهم جعل ذلك حثهم على التخفف وقطع
العلائق ولا شك ان العقول لاولي الالباب من ذلك الانتظار حاثة لهم ايضا على التو
جه بوجوه انفسهم الى الله والاعراض عما سواه فهذا ما حضرنا من اسرار هذه الكلمات
ولكن كلام السيد رضي الله عنه مدحا لها وتنبيها على عظم قدرها وقد استعمل النطفة
النطفة وهي الماء الصافي للحكمة والله التوفيق والعصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

الا وان الشيطان قد ذمر حزبه واستجلب جلبه ليعود الجور الى اوطانه ويرجع
الباطل الى نصابه الى قوله وانه لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني
اقول لكن هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا انه عليه السلام
خطبها حين بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وفيه زيادة ونقصان وقد
اورد السيد رضي الله بعضه فيما قبل وان كان قد رتبه في خطبته على سبب التكرار
والاختلاف بالزيادة والنقصان ونحن نورد الخطبة بتمامها لتتضح المقصود
وهي بعد حمد الله والثناء عليه والصلوة على رسوله صلى الله عليه ايها الناس
ان الله افرض الجهاد فعظمه وجعله نصرته وناصره الى قوله والله
ان طلحة والزبير وعايشة ليعلمون اني على الحق وهم مبطلون ذمر محققا
ومشددا اي حث والجلب الجماعة من الناس وغيرهم يجمع ويؤلف والجلب
تحرك والنصف بكسر النون وسكون الصاد النصفة وهي الاسم من الانصاف و
الشعبه ما يلحق الانسان من ذلك والحمة بفتح الحاء وتشديد الميم بعينه الالية
التي اذيت واحدة حمتها والحمة السواد وهما مستعارتان لاراذل الناس و
عوامهم والجلبة الاصوات وهو بها بالقتم سوادها والكفب واستكفت اعمى

استدارت وزاح وانزاح عن والنصاب الاصل ومنصب من الذنب تبرأ منه
والعقب الشرب من غير مقصر والحسرة بضم الحاء قدر ما يحس مرة والجلاد المضاربة
بالسيف والهبول الشكل والهبل الثكل واعلم انه عليه السلم نبه اولا على فضل
الجهاد لان غرضه استنفارهم لقتال اهل البصرة فاشار اولا الى وجوبه من الله تعالى
والكتاب العزيز مشحون بذلك كقوله تعالى جاهدوا في سبيل الله باموالكم و
انفسكم مغفرة ثم اردفه بذكر تفضيل الله تعالى له وذلك لقوله تعالى لا يستوي
القاعدون من المومنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة و اجرا عظيما درجات منه ومغفرة
ورحمة وكان الله غفورا رحيما ثم ذكر ان الله جعله نصرة له وناصراه وذلك
كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم والمراد نصرة دين الله وعباده الصالحين اذ هو
الغني المطلق الذي لا حاجة به الى معين وظهير ثم بالقسم للصادق انه ما صلحت دنيا
ولا دين الا به اما صلاح الدنيا به فلانه لولا الجهاد في سبيل الله ومقاومة اهل
الغلبة لخربت الارض والبلاد كما قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين واما صلاح الدين فظاهر لانه
انما يكون لمجاهدة اعداء دين الله الساعين في هدم قواعده فاما قوله
قد ذمر الشيطان حزبه واستجلب جلبه ومن اطاعه فقد يبقى ما به و قوله
ليعود الى دينه ومثنه وضربه فظاهر ان غاية سعي الشيطان من وسوسة مكنة
من الخداع وعود المذاهب الباطلة كما كانت قبل الرسول صلى الله عليه ودينه طريقته
وكدر ذلك تنفير للسامعين عما عليه من خالفه وحدث لهم الى الحرب قوله
وقد رابت امورا قد تمخضت اشارة الى تغير ما سمعوه الله وقليل من امورهم
ما يحس به من مخالفة القوم واصابتهم لقتاله قوله والله ما انكروا علي منكرا ولا
جعلوا بيني وبينهم نصفا والقسم الى قوله سفكوه اشارة الى انكار ما ادعوه منكرا
ونسبوه اليه من قتل عثمن والسكوت عن النكير عن قاتليه فانكر اولا انكارهم
عليه تخلفه عن عثمان الذي زعموا انه منكرا ولما لم يكن منكرا كما استعلم ذلك
كان ما انكروا عليه هو المنكر واشار بقوله ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا الى انهم
لو وضعوا العدل بينهم وبينه لظهر ان دعواهم باطلة و قوله انهم
ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه اشارة الى طلبهم لدم عثمن مع كونهم

شركا

شركا فيه روى ابو جعفر الطبري في تاريخه ان عليا عليه السلم كان في ماله
بخيبر لما اراد الناس حصر عثمان فقدم المدينة والناس مجتمعون على طلحة في
داره فبعث عثمان اليه يشكو امر طلحة فقال عليه السلم انا اكفيكه فانطلق الى
دار طلحة وهي مملوة بالناس فقال يا طلحة ما هذا الامر الذي صنعت بعثمان فقال
طلحة يا ابا الحسن بعد ان مس الحزام الطبيين فانصرف علي الى بيت المال فامر بفتحه
فلم يجدوا المفتاح فكسر الباب وفرق ما فيه على الناس فانصرفوا من عند طلحة
حتى بقي وحده فسر عثمان بذلك وجاء طلحة الى عثمان فقال له يا امير المومنين
اني اردت امرا فحال الله بيني وبينه وقد جئتك تائبا فقال والله ما جئت تائبا
ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة وروى ابو جعفر ايضا انه كان لعثمن
على طلحة بن عبيد الله خمسون الفا فقال له طلحة يوما قد تهيا مالك فاقبضه
فقال هو لك معونة على مروتك فلما حصر عثمن قال علي عليه السلم لطلحة انشدك
الله الا كففت عن عثمان فقال لا والله حتى تعطي بنو امية الحق من انفسها فكان
علي يقول بعد ذلك لحا الله ابن الصعبة اعطاه عثمان ما اعطى وفعل ما فعل
وروي ان الزبير لما برز لعلي يوم الجمل قال له ما جاءك يا ابا عبد الله على ما
صنعت قال الطلب بدم عثمان فقال له انت وطلحة وليتماه وانما توبتك
من ذلك ان تقدم نفسك وتسلمها الى ورثته وبالجملة فدخولهم في قتل عثمان
ظاهر وهذه مقدمة من الحجة عليهم و قوله فان كنت شريكهم فيه
فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم تمام الحجة
وتقديرها انهم دخلوا في دم عثمان وكل من دخل فيه فاما بالشركة او بالاستقلال
وعلى التقديرين فليس لهم ان يطلبوا بدمه واشار الى القسم الاول بقوله
فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه اي على تقدير كونهم شركائي في ذلك
فعليهم ان يبدءوا بتسليم انفسهم الى اوليائه واشار الى الثاني بقوله وان كانوا ولوه
دوني فما الطلبة الا قبلهم و قوله ان اول عدلهم لعلى انفسهم زيادة تقرير
للحجة اي ان العدل الذي يزعمون انهم يقيمونه في الدم المطلوب ينبغي ان يقيموه
اولا على انفسهم قوله ولا اعتذر مما فعلت ولا ابرأ مما صنعت اي من
الاعتزال الذي فعلته في وقت قتل عثمان لم يكن على وجه تقصير في الدين يوجب
الاعتذار والتبرؤ منه فاعتذر وا تبرأ كما ستبين وجه ذلك ان شاء الله

وقوله وانّ معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي ما تقدم بيانه وقوله
انها للفئة الباغية فيها الحم والحمة استعارها بين اللفظين لاسقاط الناس
واراذلهم الذين جمعوا لقتاله ووجه الاستعارة مشابهتهم حم الحماة وما اسود
منها في قلة المنفعة والخير وقوله وطالت جلبتها اي ارتفعت اصواتها و
هي كناية عما ظهر من القوم من تهديدهم وتوعدهم بالقتال وقوله
به يرتضعون امّا قد فطمت استعار لفظ الام لنفسه عليه السلام او للخلافة فيبيت
المال لبنها والمسلمون اولادها المرتضعون وكني بارتضاعهم لها وقد فطمت
عن التماسهم منه عليه السلام من الصلات والتفضيلات مثل ما كان عثمان يعطيهم
ويفضل بعضهم على بعض ومنعه لهم من ذلك وقوله ويحيون بدعة قد اميتت
اشارة الى ذلك التفضيل فانه كان خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة
الشيخين والبدعة مقابلة للسنة واماتتها تركه عليه السلام لذلك في ولايته
وقوله ليعودنّ الباطل الى نصابه توعد لهم بعودهم كما كانوا عليه من الباطل
في الجاهلية واستنفار للسامعين الى القتال وقوله يا خيبة الداعي من دعى
خرجه مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاة الى قتاله ومن دعا والى ما اجيب
استفهام على سبيل الاستحقار للمدعوين لقتاله والناصرين اذ كانوا عوام
الناس ورعاعهم والمدعو اليه وهو الباطل الذي دعوا الى نصرته وقوله
لو قيل ما انكر من ذلك وما امامه وفيمن سنته اذا لزاح الباطل عن نصابه وانقطع
لسانه متصلة معناها لو سال سايل مجادلا لها ولا الدعاة الى الباطل عما انكره
من احدى وعن امامهم الذي به يقتدون وفيمن سنتهم فانزاح باطلهم الذي تواليه
وانقطع لسانه واستعمال لفظ اللسان هاهنا حقيقة على تقدير حذف المضاف اي
انقطع لسان صاحبه عن الجواب به وتكون الاستعارة في لفظ الانقطاع للسكوت
او مجازا في العبارة عن الباطل والتكلم به اي انقطع الجواب الباطل وقوله
وما اظن الطريق له فيه واضح حيث نهج الجملة عطف على قوله وانقطع
لسانه وما واضح مبتدا وفيه خبره والجملة في موضع النصب مفعول ثان لاظن
اي وما اظن لسوال السايل عن ذلك ان الطريق الذي يركبه المجيب له فيه
مجال بين ومسالك واضح حيث سلك بل كيف توجه في الجواب انقطع وقوله
والله ما لت من قلوه الى قوله فنصروه اشارة الى عثمان وذم لهم من جهة

طلبهم

طلبهم بدم من اعتذر اليهم قبل موته فلم يعذروه ودعاهم الى نصرته في حصاره
فلم ينصروه مع تمكنهم من ذلك وقوله وايم الله لافرطن لهم حوضا انا
ماتحه لا يصدرون عنه بري قد تقدم تفسيره وقوله ولا يعبون حسوة
ابدا كناية عن عدم تمكينه لهم من هذا الامر او شي منه كما يقول لا يحظيك في شي والله
لا يذوق منه لحمة ولا يشرب منه جرعة وانها الطيبة لفي بحجة الله عليهم و
علمه فيهم نفي منصوب بدلا من الضمير المتصل بان او باضمار فعل تقديره اليه
وحجة الله اشارة الى اوامره القاصدة بقتال الفئة الباغية كقوله تعالى
فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي الى امر الله وكذلك كل امر لله
او نهي عصاه فيه فهو حجة له وكل حجة كالحق فهي حجة لله اي اني راض بقيام
حجة الله عليهم وعلمه بما يصنعون وانما رضي العاقل اتم وطيبه نفس لعظمهم
كونه لازما للحق وكونه خصمه على الباطل خارجا عن طاعة الله وهو القايم على
كل نفس بما كسبت و قوله واني داعيهم فمعذر الى قوله وناصر المؤمن
واضح بيّن وقوله ليس على كفيل اي لا احتاج فيما ابذله لهم من النصح ولا
مال على تقدير انابتهم الى ضامن وشافيا وناصرا منصوبان على التمييز وقوله
ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها الواو للحال اي انهم ان لم يرجعوا اعطيتهم حد
السيف والملايكة الكرام الكاتبون الذين يعلمون ما يفعل يكتب كل منهم اعمال
من وكل به في صحيفته ويشهد بها في محفل القيامة وقوله ومن العجب
بعثتهم الي ان ابرز للطعان وان اصبر للجلاد فتعجب من تهددهم له بذلك
مع علمهم بحاله في الشجاعة والحرب والصبر على المكاره وهو محل الاستهزاء و
التعجب منهم وقوله هبلتهم الهبول اي ثكلتهم الثواكل وهي من الكلمات
التي يدعو بها العرب وقوله لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب
بالضرب اي من حيث كنت انا كذلك وقوله واني على يقين من ربي وفي غير
شبهة من امري تاكيد لقوته على الحرب واقدامه على الجلاد وجذب لقلوب
السامعين الى الثقة بانهم على بينة من الله وبصيرة في متابعته على القتال
والحرب فان الموقن بانه على الحق ناصر لله ذاب عن دينه عار عن غبار الشبهة
الباطلة في وجه يقينه يكون اشد صبرا واقوى جلدا واثبت في المكاره ممن
لا يكون كذلك فيقدم على القتال بشبهة غطت على عين بصيرته او هوى لغرض

الدنيا وباطلها قادة الى ذلك وبالله التوفيق والعصمة وبه الحول
والقوة تم الجزء الاول من هذا الكتاب
ويتلوه في الثاني ان شاء الله ومن خطبة له
عليه السلام اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى
الارض كقطر المطر فرغ من كتابته يوم
الخميس الاول من شهر ربيع الاخر سنة ست
وستين وستمائة بمدينة السلام بغداد وصلى
الله على سيدنا محمد واله الطيبين الطاهرين
وسلم تسليما كثيرا كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم استعيذك يا ذا الجلال والاكرام

## ومن خطبة له عليه السلام

اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر الى كل نفس بما قسم
الى آخره الغفيرة الكثرة والزيادة وروى عفوة بكسر العين وعفوة كل شى
صفوته وغرى يغرى بالامر اذا اولع به واغريته به اذا حسنت له الدخول
فيه والفالج الفايز والياسر اللاعب بالميسر وسنذكر كيفيته والقداح
سهام الميسر التى يلعب بها والتعذير اظهار العذر ممن لا عذر له فى الحقيقة
وعشيرة الرجل قبيلته والمعاشرون له والحيطة بالكسر الحفظ والرعاية
واللم الجمع والشعث تفرق الامر وانتشاره واعلم ان مدار هذا الفصل على
تاديب الفقراء بترك الحسد ونحوه اولا وعلى تاديب الاغنياء بالشفقة على الفقراء
ومواساتهم بالفضل من المال وترهيد جمعه ثانيا فقوله اما بعد فان
الامر ينزل الى قوله او نقصان صدر الخطبة اورده ليبنى عليه غرضه
وحاصل الاشارة الى ان كل ما يحدث من زيادة او نقصان ويتحدد فيما يكون
به صلاح حال الخلق فى معاشهم ومعادهم من صحة او مال او جاه او اهل فانه
صادر عن القسمة الربانية المكتوبة بقلم القضاء الالهى فى اللوح المحفوظ
الذى هو خزانة كل شى والمراد بالامر حكم القدرة الالهية على الممكنات
بالوجود وهو المعبر عنه بقوله تعالى كن فى قوله انما امرنا لشى اذا اردناه
الاية ونزوله نسبة حصوله الى كل نفس بما قسم لها وهى النسبة المسماة
بالقدر فى قوله تعالى وان من شى الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر
معلوم والمراد بالسماء سماء الجود الالهى وبالارض عالم الكون والفساد
على سبيل استعارة هذين اللفظين للمعنيين المعقولين من المحسوسين و
وجه الاستعارة فى الموضعين مشاركة المعنيين المذكورين للسماء والارض
فى معنى العلو والاستفال كل بالنسبة الى الاخر وانما لم نكن الحقيقة مرادة
لان الامر النازل ليس له جهة هو مبدا نزوله والا لكان الامر فى جهة تعالى
الله عن ذلك ويحتمل ان يراد حقيقة السماء والارض على معنى ان الحركات
الفلكية لما كانت شرايط معدة يستعد بواسطتها ما يحدث فى الارض كانت
السماء مبادى على بعض الوجوه لنزول الامر فاما تشبيهه بقطر المطر

فوجه

فوجه التشبيه ان حصول الرزق والاجل ونحوهما لكل نفس وقسمها منها
مختلف بالزيادة والنقصان كما ان قطر المطر بالقياس الى كل واحدة من
البقاع كذلك وهو تشبيه المعقول بالمحسوس قوله فاذا راى
٤ احدكم لاخيه الملم غفيرة فى اهل او مال او نفس فلا تكونن له فتنة شروع
فى تاديب من حصل فى حقه النقصان فى احد الامور المذكورة بالنهى لهم
عن الافتتان بحال من حصلت له الزيادة او المنافسة فى احدها من المال
والاهل او النفس قال بعض الشارحين انه اراد بالنهى عن الفتنة ها هنا
النهى عن الحسد والتحقيق ان يقال ان الفتنة هى الضلال عن الحق بمحبة
امر ما من الامور الباطلة والاشتغال به عن ما هو الواجب من سلوك سبيل الله
ولما كان حال الفقراء عن احد الامور المذكورة بالنسبة الى من عرضت له الزيادة
فى احدها منهم من يوهل نفسه لتلك الزيادة فيرى انه احق بها ممن
عرضت له فيعرض له ان يحسده او يرى انه يستحق مثلها فيعرض له ان
يغبطه ومنهم من يقصر نفسه عن ذلك لكنه يميل بطبعه الى خدمة
من له تلك الزيادة ويحدب بكليته الى مولاتهم لكثير من الفقراء الذين يميلون
بطباعهم الى خدمة الاغنياء ويخصلون للشغل لهم ليس لهم سوى ما
حصلوا عليه من مال او جاه او نحو ذلك ولعل تلك الغاية يشوبها توهم
الانتفاع بهم فيما حصلوا عليه وكانت هذه الامور ونحوها اعنى الحسد و
الغبطة والميل اليهم لاجل ما حصلوا عليه من الزيادة فى احد الامور
المذكورة رذايل اخلاق مشغلة عن التوجه الى الله ومضلة عن سواء
السبيل كان المنهى عنه فى الحقيقة هو الضلال باخذ الرذايل المذكورة
وهو المراد بلفظ الفتنة ها هنا وقوله فان المرء المسلم الى قوله
ومعه دينه وحسبه اقول اعراب هذا الفصل ان ما متضمنة
معنى الشرط وكان كالياسر هو الجزاء وجملة الشرط والجزاء خبر ان
ونظهر صفة لدناءة وقوله فتخشع ان جعلنا الخشوع على المعنى اللغوى
وهو غض الطرف مثلا والتطامن كان عطفا على تظهر وان جعلناه
على المعنى العرفى وهو الخضوع لله والخشية منه فالفاء للابتداء او
الفالج صفة للياسر واذا للمفاجاة اذا عرفت ذلك فاعلم انه عليه السلام

لما نهى عن الفتنة بالصدر الامور المذكورة والشغل بها اراد ان ينبه على فضيلة
الانتهاء عنها فنبه على كونها دنايا بقوله ما لم يغش دناءة ثم اعقب
ذلك بالتعليل بما ذكره ومعناه ان المسلم مهما لم يرتكب امرا خسيسا
يظهر عنه فيكسب لنفسه خلقا رديا ويلزمه بارتكابه الخجل من ذكره
بين الخلق اذا ذكر والحياء من التعيير به وتغرى به لئام الناس و
عوامهم في فعل مثله وقيل في هتك ستره به فانه شبيه بالياسر الفالج
هذا ان حملنا المشروع على معناه اللغوي وان حملناه على المعنى العرفي
الشرعي فان المراد انه ما لم يغش دناءة فيخشع بها اي بل يخشع لله
ويخضع له عند ذكرها ويضرع اليه هربا من الوقوع في مثلها و
خوفا من وعيده على المعاصي يكون كالياسر الفالج ويكون قوله
ويغرى به لئام الناس عطفا على يظهر موخرا فاما تشبيه من هذه صفته
بالياسر الفالج فلنشرح اولا كيفية اللعب المسمى ميسرا ليتضح
به امر التشبيه فنقول المنقول ان الخشبات المسميات قداحا وهي
التي كانت لايسار الجزور سبعة اولها الفذ بالذال المعجمة وفيه فرض
واحد وثانيها التوام وفيه فرضان وثالثها الضريب بالضاد المعجمة
وفيه ثلثة فروض ورابعها الحلس بكسر الحاء ونقل الجوهري فارس في
المجمل الحلس بفتح الحاء وكسر اللام وفيه اربعة فروض وخامسها النافس
وفيه خمسة فروض وسادسها المسبل وفيه ستة فروض وسابعها
المعلى وله سبعة فروض وليس بعده قدح فيه شيء من الفروض الا انهم
يدخلون مع هذه السبعة اربعة تسمى اوغادا لا فروض فيها وانما تثقل بها
القداح واسماؤها المصدر ثم المضعف ثم المنيح ثم السفيح فاذا اجتمع
ايسار الحي اخذ كل منهم قدحا وكتب عليه اسمه او علمه بعلامة ثم
اتوا بجزور فنحرها صاحبها ويقسمها عشرة اجزاء على الوركين و
الفخذين والعجز والكاهل والزور والملحاء والكتفين ثم يعمد الى
الطفاطف وخرز الرقبة فيقسمها على تلك الاجزاء بالسوية فاذا استوت
وبقي منها عظم او بضعة لحم انتظر به الجازر من اراده ممن يفوز قدحه
فان اخذه عير به والا فهو للجازر ثم يؤتى برجل معروف انه لم

يأكل

لم يأكل لحما قط بثمن الا ان يصيبه عند غيره وتسمى الحرضة فيجعل على يديه
ثوب ويعصب رؤوس اصابعه بعصابة كيلا يحس الفروض ثم تدفع
اليه القداح ويقوم خلفه رجل يقال له الرقيب فيدفع اليه قدحا
قدحا منها من غير ان ينظر اليها فمن خرج قدحه اخذ جزءا من اجزاء الجزور
بعدد الفروض التي في قدحه ومن لم يخرج قدحه حتى استوفيت اجزاء
الجزور غرم بعدد فروض قدحه لاجزاء تلك الجزور من جزور اخرى
لصاحب الجزور الذي نحرها فان اتفق ان خرج المعلى اولا فاخذ
صاحبه سبعة اجزاء من الجزور ثم خرج المسبل فلم يجد صاحبه الا ثلثة
اجزاء اخذها وغرم له من لم يخرج قدحه ثلاثة اجزاء من جزور اخرى
واما القداح الاربعة الاوغاد فليس في خروج احدها غنم ولا في عدم
خروجه غرم والمنقول عن الايسار انهم كانوا يحرمون ذلك اللحم على
انفسهم ويعدونه للضيافة اذا عرفت ذلك فاعلم ان وجه الشبه
هو ما ذكره عليه السلام وذلك ان الفائز بالياسر الذي ينتظر قبل فوزه
اول فوزه من قداحه وجب له فوزة المغنم ونفى عنه المغرم فكذلك
المسلم البريء من الخيانة الضابط لنفسه عن ارتكاب مناهي الله
لما كان لابد في انتظاره لرحمة الله وصبره عن معصيته ان يفوز
باحدى الحسنيين وهي اما ان يدعوه الله اليه بالقبض عن الشقاوة في
هذه الدار فما عند الله مما اعده لاوليائه الابرار خير له فيفوز اذن
بالنعيم المقيم ولما كان فوزه مستلزما لعدم خسرانه ظهر حسن تشبيهه
بالياسر الفالج في فوزه المستلزم لعدم غرمه ويحتمل ان يريد بداعي
الله لا الموت بل الجواذب الالهية والخواطر الربانية التي تسنح له فتجذبه
الى طرف الزهد الحقيقي والالتفات عن خسائس هذه الدار الى ما وعد
به المتقون واما ان يفتح الله عليه ابواب رزقه فيصبح وقد جمع
الله له بين المال والبنين مع الحسب والدين فيفوز الفوز العظيم
ويأمن العقاب الاليم فالتشبيه ايضا هاهنا واقع موقعه وكما ان
الوجهين افضل عند العاقل من الفتنة بالغير والالتفات عن الله تعالى
وتدنيس لوح النفس برذائل الاخلاق من الحسد ونحوه وكما ان

هذه الفصل مستلزم للنهي عن الحسد ونحوه من الفتن المضلة كذلك هو
مستلزم للامر بالصبر على بلاء الله وانتظار رحمته و **قوله** ان
المال والبنين حرث الدنيا الى **قوله** لاقوام **اقول** لما
بين فيما سبق من التنبيه وغيره ان تارك الرذائل المذكورة فذكر انفسها
ونحوها المنتظر للحسنى من الله فابتدأ اردف ذلك بالتنبيه على تحقير
المقتنيات التي بينها من التنافس فيها الرذائل المذكورة فذكر اعظمها
واهمها عند الناس وهو المال والبنون فانهما اعظم الاسباب الموجبة
لصلاح الحال في الحيوة الدنيا واشرف القنيات الحاضرة كما قال تعالى
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ونبه على تحقيرهما بالنسبة الى العمل
الصالح بكونهما من حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة والمقدمة
الاولى من هذا الاحتجاج صغرى ضمير تقدير كبراه وحرث الدنيا حقير
عند حرث الاخرة فينتج ان المال والبنين حقيران بالنسبة الى حرث الاخرة
وقد ثبت في المقدمة الثانية ان حرث الاخرة هو العمل الصالح فاذن
المال والبنون حقيران بالنسبة الى العمل الصالح اما المقدمة
الاولى فظاهره اذ الحصول للمال والبنين في غير الدنيا واما بيان الثانية
فمن وجهين احدهما قوله تعالى وما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل
والظاهر انه لا يريد قلته الكمية بل المراد حقارته بالنسبة الى متاع الاخرة
ولذتها الثاني ان حرث الدنيا من الامور الفانية وحرث الاخرة
من الامور الباقية الموجبة للسعادة الابدية والفانيات الطالحات
ظاهرة الحقارة بالنسبة الى الباقيات الصالحات كما قال تعالى والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ثم نبه السامعين بقوله
وقد يجمعهما الله لاقوام على وجوب الالتفات الى الله تعالى والتوكل
عليه وذلك ان الجمع بين حرث الدنيا والاخرة لما كان في طباع كل عاقل
طلب تحصيله وكان حصوله انما هو من الله دون غيره لمن يشاء من
عباده ذكره عليه السلام ذلك لتفرغ الطالبون للسعادة الى جهة تحصيلها
وهو التقرب الى الله تعالى بوجوه الوسايل والاعراض عما لا يجدي
طائلا من الحسد ونحوه ثم اكد ذلك الحرث بالتحذير فما حذر الله

من نفسه

من نفسه والامر بالخشية الصادقة البالغة من التعذير المستلزمة
لترك محارمه ولزوم حدوده الجاذبة الى الزهد الحقيقي ثم اردف ذلك
بالامر بالعمل لله البريء من الرياء والسمعة وهو اشارة الى العبادة
الخالصة لله تعالى المستلزمة لتطويع النفس الامارة بالسوء للنفس
المطمئنة وقد ثبت في علم السلوك الى الله تعالى ان الزهد والعبادة
كيف يوصلان الى السعادة التامة الابدية و **قوله** فانه
من يعمل لغير الله يكله الله الى من عمل له تعليل لوجوب ترك الرياء
والسمعة في العمل فان العامل للرياء والسمعة قاصد ان يراه الناس
ويسمعوا حاله ليجود اليه منهم ما يتوقعه من مال او جاه ونحوه من الاغراض
الباطلة والاغراض الزائلة وقد علمت ان التفات النفس الى شيء من ذلك
يشاغل لها عن تلقي رحمة الله والاستعداد لها محجوبة به عن قبول فضله
ولما كان هو مسبب الاسباب ومنتهى سلسلة الممكنات لاجرم اذن المطالب
من غيره فجرى عنه التهديد بالوكول الى من سواه ممن له العاملون للاستغناء منه
الخيبة والحرمان وخسر العاملون الا له وخاب المتوكلون الا عليه و
قد سبق هنا بيان معنى كون العامل لغير الله موكولا الى نفسه والى من عمله
في الفصل الذي ذم فيه عليه السلام من يتصدى للحكم بين الامة وليس من اهله
و **قوله** نسال الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة
الانبياء لما كانت همته عليه السلام مقصورة على طلب السعادة الاخروية
طلب هذه المراتب الثلثة وفي ذلك جذب للسامعين الى الاقتداء به في
طلبها والعمل لها وبدا عليه السلام بطلب اسهل المراتب الثلث للانسان وختم
باعظمها فان من حكم له بالشهادة غايته ان يكون سعيدا والسعيد غايته
ان يكون في زمرة الانبياء ورفقائهم وهذا هو الترتيب اللائق من المودب
الحاذق فان المرتبة العالية لا تنال دفعة دون نيل ما هو دون منها
**قوله** ايها الناس الى قوله يورثه غيره **اقول** لما
اشار الى تاديب الفقراء عن التعريض للاغنياء بما يوجب لهم ملكات السوء
من الحسد ونحوه اردف ذلك بتاديب الاغنياء واستدراجهم في حق الفقراء
ذوي الارحام واهل القبيلة ونحوهم من الاصحاب بالامر بالمواساة في المال

والمعونه لهم لينتظم شمل المصلحة من الطرفين فاشتد حبهم بامرين احدها
بيان انهم لا يستغنون عنهم وان كانوا اصحاب ثروة فان الرجل لا يستغني
بماله عن اعوان له يذبون عنه بايديهم صولة صايل ويدفعون عنه بالسنتهم
حسبة قايل بل من المعلوم ان اشد الناس حاجة الى الاعوان والاصحاب و
المعارضين هم اكثر الناس ثروة وانظر الى الملوك والمتشبهين بهم من ارباب
الاموال واحق الناس بعدم الاستغناء عنهم عشيرة الرجل واصحابه فانهم
اعظم الناس شفقة عليه واشدهم دفاعا عنه وحفظا لجانبه والتهم لشعثه
اى اشدهم جمعا لمتفرق حاله واعطفهم عليه ان نزلت به نازلة من فقر ونحوه
وذلك ان قربهم منه باعث لدواعي الشفقه عليه الثاني التنبيه بذكر
غاتى لنفاق المال جمعه وتفضيل احدها على الاخر وذلك قوله ولسان
الصدق للمرء الى اخره فلبيان الصدق هو الذكر الجميل بين الناس وهو من غايات
البذل والانفاق وغاية جمع المال هي تورثه للغير واما افضلية البذل
على الجمع فظاهرة من تفاوت ما بين الغايتين وانما رغب عليه السلم في البذل بما
يستلزمه من غاية الذكر الجميل بين الناس وان لم يكن مقصوده من الحث
على البذل الا مصلحة الفقراء وسد خلتهم وتاديب الاغنياء وتعويدهم بالبذل
والنزول عن محبة المال لان توقع الذكر الجميل من الناس ادعى الى البذل
واكثر فعلا في النفوس من الغايات التي يقصدها عليه السلم وذلك من الاستدراجات الحسنة حتى اذا انفتح باب البذل وتمرنت النفوس عليه وصرف
الى اولى المقاصد التي يصرف فيها المال هي المقاصد التي يقصدها الشارع
ويحث عليها من سد خلة الفقراء التي ينتظم بها شمل المصلحة ويتخذ الناس بعضهم
ببعض خصوصا العشيرة فانه من الواجب في السيرة العادلة التي بها صلاح
حال الانسان في الدارين انه لما كان لا غنا له عن عشيرته واصحابه
وكان اكرامهم ومواساتهم بالمال هو الذي توكد الانتفاع بهم ويستحقونه
في مقابلة حفظهم لجانبه وحياطتهم له فالحرى ان يحب مواساتهم واكرامهم ٣٣
بما ينظم احوالهم من فضل المال وكفى بذكر غاية جمع المال وهي تورث الغير
المستلزمة لذكرها ذم اللذات باعثا على بذل المال والنزول عن محبته
وجمعه لمن لمح بعين بصيرته عاقبة امره وبالله التوفيق والعصمه

منها الا

منها الا لا يعدلن احدكم عن القرابه الى قوله ومن يلن حاشيته يستدم من قومه
المودة قوله العدول الانحراف والخصاصة الفقر والحاجه
وحاشية الرجل جانبه وحاشيته ايضا خدامه واتباعه الذين هم حشويته و
اقول ... يروى في موضع النصب على الحال وان يسدها في موضع الجر
بدلا من القرابه واعلم ان المقصود من هذا الفصل هو ما ذكرناه قبله ولذلك وصلناه به
لصلح تتمه له وحاصله الى قوله الذي يكرم النهي عن العدول عن مداخلة الاقرباء
واولى الارحام ذوي الحاجه بالفضل من المال وصرفه في غير وجهه من المصارف
غير المرضية لله سبحانه وكنى بالسد الذي هو حقيقة في منع جسم لجسم عن النفع
المعقول وهو منع الاختلال الواقع في حال الانسان كناية بالمستعار وقوله
لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه على ظاهره اشكال فانه يحتمل ان يقال
كل جزء من المال فان بقاءه زيادة فيه وعدمه نقصان منه وجوابه من وجهين
احدهما ان يقال انه عليه السلم لم يرد هاهنا مطلق الزيادة والنقصان في
المال بالنسبة الى المال فان الضرورة المضروبين لا يزيد ولا ينقصه عائد الى
الشخص المعبر عنه باحدكم المامور بالانفاق وانما اراد الزياده والنقصان فيه
الذي المعتبر باسرها في صلاح حال الانسان وعدم صلاحه فان الفضل الزائد في
حال الانسان على القدر الذي يدفع ضرورته بحسب الشريعه ليس زيادة معتبرة في
صلاح حاله ولا نقصانه معتبرا في فساد حاله فلا يزيده اذن امسكه ولا ينقصه
في طلبه ان هذا الامر لا يغيرك ان تركته ولا ينفعك ان اخذته اي بالنسبه الى صلاح ٩
حالك الثاني انه يحتمل ان يريد الزياده والنقصان في الثواب والاجر في الاخرة
والثنا والذكر الجميل في العاجل اي لا يزيده صلاح حال عند الله وعند الناس بل يكون
سببا لفساد حاله اما عند الله فلان امساك الفضل من المال عمن له اليه ضرورة
من عباد الله سبب للشقا العظيم والعذاب الاليم في الاخرة لقوله تعالى والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم الايه
واما عند الناس فعليك بمطالعة مقالاتهم في ذم البخل والبخلاء وكذلك لا ينقصه
اى لا ينقص من صلاح حاله اما عند الله فلما وعد به اهل الانفاق في سبيله من الاجر
الجميل والثواب الجزيل كقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا
يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى الايه ونحوها واما عند الناس فلما انفقوا

عليه من مدح اهل الكرم والسخاء وتلاوته الفصيح من النظم والنثر فيهم
فاما **قوله** ومن يقبض يده عن عشيرته الى اخره فمعناه ما ذكره السيد
رضي الله وهو ان الممسك خيره عن عشيرته انما يمسك عنهم نفع يد واحدة
فاذا احتاج الى نصرتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عنه فمنع ترافد الايدي
الايدي الكثيرة الا ان هذا البيان محتاج الى تقرير وهو ان الانسان
لما كان انتفاعه بالايدي الكثيرة اتم واولى بصلاح حاله واكثر من النفع لحا
حال انه يقبض يده عن النفع بما وجب عليه ان يستجلب لمد يده بالنفع
مد الايدي الكثيرة الى نفعه والامكان بسبب طلبه لنفع ما من امساك
يده الواحدة عنهم المستلزم لامساك ايديهم الكثيرة عنه مضيعا على نفسه منافع
عظيمة فيكون بحسب قصده لنفع ما مضيعا لما هو اعظم منه فيكون مناقضا
لغرضه وذلك جهل وسفه و**قوله** ومن يلن حاشيته يستدم من
قومه المودة من تمام تاديب الاغنياء بما يعود عليهم نفعه وينتظم به شمل الفضل
في العالم من التواضع ولين الجانب للخلق فاستدرجهم الى التواضع بذكر ثمرته اللا
زمة التي هي مطلوبة لكل عاقل وهي استدامة مودة الناس المستلزمة لنفعهم
ولعدم مضرتهم المستلزمين لصلاح حال المتواضع فيما يقصد ومثل ذلك ادب
الله تعالى نبيه صلى الله عليه حيث قال واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
وقد عرفت ان سر ذلك استجلاب الالفة لهم والمحبة بينهم عند سكونهم اليه
ليجتمعوا على قبول اقواله وظاهر ان شيئا من ذلك لا يحصل عند جفاوة الادب والكبر
كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعرض عنهم واستغفر
لهم وشاورهم في الامر وان حمل لفظ الحاشية على الاتباع والاخدام كان ذلك
تاديبا لهم بالتواضع من جهة اخرى وذلك ان حاشية الرجل وخاصته هم حرمة
عرضه وميزان عقله وعليهم يدور تدبير صلاح حاله فبحسب شدتهم وغلظتهم
ولينهم وتواضعهم للناس يكون قرب الناس وبعدهم منه وبغضهم ومحبتهم
له وانسهم ونفارهم عنه وقال بعض الحكماء ان سبيل الخدم والقوام من الانسان
سبيل الجوارح من الجسد فحاجب الرجل وجهه وكاتبه قلبه ورسوله لسانه
وخادمه يده ورجله وعينه لان من كفاه تعاطي كل واحد من الافعال المحتاج
اليها فقد قام مقامه فيها وكما يلحقه الذم من العقلاء بترك اصلاح افعاله الصادرة

عن احد

عن احد جوارحه كذلك يلحقه الذم منهم على ترك اصلاح من يقوم مقامه
في تلك الافعال بتوليته له اياها وكما يستديم مودة اخوانه ويستجلب مودة
الناس بتواضعه ولين جانبه لهم كذلك يستديمها بتاديب حاشيته وخدمه
بالاداب المتفق على حسنها بين الناس واهمها وانفعها في ذلك لين الجانب
وترك الكبر المنفر فان اوهام الخلق حاكمة بنسبة كل خير وشر يحصل من حاشيه
الرجل اليه وان كان صدق هذا الحكم اكثريا وبالله التوفيق والعصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

ولعمري ما علي من قتال من خالف الحق وخابط الغي الى قوله ان لم تنجزوه
عاجلا **اقول** الادهان والمداهنة المصانعة والايهان مصدر
اوهنه اي اضعفه وخابط الغي بلفظ المفاعلة يخبط كل منهما بالاخر
وقد مر ان الخبط هو المشي على غير استقامة والغي الجهل ونهجه اي اوضحه
وعصبه بكم اي علقه بكم وربطه والفلج الفوز والمنحة العطية وفي هذا
الفصل رد لقول من قال ان مصانعته عليه السلام لمحاربيه ومخالفيه ومداهنتهم
اولى من محاربتهم فرد ذلك بقوله لعمري ما علي الى قوله ولا ايهان اي ليس
مصانعتهم بواجبة علي من طريق المصلحة الدينية وليسوا بضعفي لي ولا علي في
قتالهم عجز وفي ذكره عليه السلام لهم بصفة مخالفة الحق ومخابطة الغي والبغي
تنبيه للسامعين واستدراج لهم لقيام عذره في قتالهم اذ كانت مقاتلة
من هذه صفته واجبة فلا يمكن انكار وقوعها منه ثم اردف ذلك بالاوامر
اولها الامر بتقوى الله وقد علمت ان تقوى الله هو خشيته المستلزم للاعراض
عن كل ما هيه المبعدة عنه وهو الزهد الحقيقي كما سبقت الاشارة اليه الثاني
الامر بالفرار الى الله وهو امر بالاقبال على الله وتوجيه وجه النفس الى
كعبة وجوب وجوده واعلم ان فرار العبد الى الله تعالى على مراتب فاولاها
الفرار من بعض اثاره الى بعض كالفرار من اثر غضبه الى اثر رحمته كما قال تعالى
حكاية عن المؤمنين في التضرع اليه ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا الاية فكانهم لم يروا الا الله وافعاله ففروا من بعضها الى
بعض الثاني ان يفنى العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى في درجات
القرب والمعرفة الى مصادر الافعال وهي الصفات فيفر من بعضها الى

بعض

كما ورد عن زين العابدين عليه السلم اللهم اجعلني اسوة من قد انهضته بتجاوزك
عن مصارع المجرمين فاصبح طليق عفوك من اسر سخطك والعفو والسخط
صفتان فاستعاذ باحدهما من الاخرى الثالث ان يترقى عن مقام
الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها كقوله تعالى لا ملجا من الله
الا اليه وكما الوارد في الدعاء في القيام الى الصلوة منك وبك ولك واليك اى منك
بدا الوجود وبك قيامه ولك ملكه واليك رجوعه ثم اكد ذلك بقوله
لا منجا ولا ملجا ولا مفر منك الا اليك وقد جمع الرسول عليه السلم هذه المراتب
حين امر بالقرب في قوله تعالى واسجد واقترب فقال في سجوده اعوذ
بعفوك من عقابك وهو كلام عن مشاهدة فعل الله فاستعاذ ببعض افعاله
من بعض والعفو كما يراد به صفة العافي كذلك قد يراد به الاثر الحاصل عن صفة
العفو في المعفو عنه كالخلق والصنع ثم لما قرب فغنى عن مشاهدة الافعال وترقى
الى مصادرها وهي الصفات قال واعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم لما
راى ذلك نقصانا في التوحيد اقترب وترقى عن مقام مشاهدة الصفات الى
ملاحظة الذات فقال واعوذ بك منك وهذا فرار اليه منه مع قطع النظر
عن الافعال والصفات وهو اول مقام الوصول الى ساحل العزة ثم للسباحة
في لجة الوصول درجات اخر لا تتناهى ولذلك لما ازداد صلى الله عليه قربا قال
لا احصى ثناء عليك وكان ذلك حذفا لنفسه عن درجة الاعتبار في ذلك المقام
واعراضا عن التسبيح تنزيه الحق في ذاته وكان قوله بعد ذلك انت كما اثنيت
على نفسك كمالا للاخلاص وتجريدا للكمال المطلق الذى به هو هو عن ان يلحقه
حكم لغيره وهمي او عقلي اذا عرفت ذلك ظهر ان مقصوده عليه السلم بقوله
ففروا الى الله من الله امر بالترقى الى المرتبة الثالثة من المراتب المذكورة
الثالث الامر بالمضى فيما نهجه لهم من السبيل الواضح العدل الذى هو واسطة
بين طرفي الافراط والتفريط والصراط المستقيم المدلول عليه بالاوامر الشرعية
وقد علمت ان الغرض من سلوك هذا السبيل وامتثال التكاليف التى الزم
الانسان بها وعنيت به انما هو تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة
بحيث تصير موقرة لها ومتصرفة تحت حكمها العقلي منقادة لها عن الانفعال
في ميولها الطبيعية ولذاتها الفانية وانت تعلم ان هذه الاوامر الثلثه هى
التى

التى علينا مدار الرياضة والسلوك الى الله تعالى فالامر الاول والثالث امر
بما هو معين على حذف الموانع عن الالتفات الى الله على تطويع النفس الاما
رة والامر الثاني هو الامر بتوجيه السر الى الله وقد بينا فيما مر ان هذه
الامور الثلثة هى الاعراض التى يتوجه نحوها الرياضة المستلزمة لكمال الا
ستعداد المستلزم للوصول التام ولذلك قال عليه السلم فعلي ضامن لفلجكم
اجلا ان لم تمنحوه عاجلا اى اذا قمتم بواجب ما امرتم به من هذه الاوامر كان
ذلك مستلزما للفوز لكم في دار القرار بجنات تجرى من تحتها الانهار التى هى الغايات
الحقيقية لمثلها يعمل العاملون وفيها يتنافس المتنافسون ان لم يتم باهلكم
للفوز في الدار العاجلة فتمنحوه فيها وقد يتم الفوز بالسعادتين العاجلة
والاجلة لمن وفقت قوته بالقيام بها وكمل استحقاقه لذلك في علم الله و
لما كان حصول السعادة والفوز عن لزوم الاوامر المذكورة امرا واجبا
واضح الوجوب في علمه عليه السلم لا جرم كان ضامنا له فان قلت فما وجه
اتصال هذه الاوامر بصدر الفصل قلت لما كان مقتضى صدر الفصل الى قوله
ولا ايمان هو الاعذار الى السامعين في قتال مخالفي الحق وكان مفهوم ذلك هو
الحث على جهادهم والتشمر لما هم عليه من الطريق الجائر كان تعقيب ذلك بذكر
الطريق الواضح المامور بسلوكه ولزوم حدود الله فيه هو اللائق الواجب و
بالله التوفيق

## ومن خطبة له عليه السلام

وقد تواترت عليه الاخبار باستيلاء اصحاب معوية على البلاد وقدم عليه
عاملاه على اليمن الى اخر الخطبة **اقول** السبب ان قوما
بصنعا كانوا من شيعة عثمان يعظمون قتله فبايعوا عليا عليه السلم على دغل
فلما اختلف الناس عليه بالعراق وكان له يومئذ على صنعا عبيد الله بن
العباس وعلى الجند بها سعيد بن نمران ثم قتل محمد بن ابي بكر بمصر وكثرت
غارات اهل الشام تكلم هؤلاء ودعوا الى الطلب بدم عثمن فانكر عليهم عبيد
الله بن عباس فتظاهروا منابذة على مجيبهم فكتبوا الى اصحابهم بالجند فعزلوا
سعيد بن نمران عنهم واظهروا امرهم فانضم اليهم خلق كثير اراده منع الصدقة
فكتب عبيد الله وسعيد الى امير المومنين عليه السلم يخبرانه الخبر فكتب الى
اهل اليمن والجند كتابا يهددهم فيه ويذكرهم الله تعالى فاجابوه بانا مطيعون

ان عزلت عنا هذين الرجلين عبد الله وسعيدا ثم كتبوا الى معويه فاخبروه فوجه اليهم بسر بن ارطاه وكان فظا سفاكا للدما فقتل في طريقه بمكه داود وسليمن ابنى عبيد الله بن العباس وهما طفلان وامهما عبد الله ابن المدان وكان صهر ابن العباس ثم انتهى الى صنعا وقد خرج منها عبيد الله وسعيد واستخلفا عليها عبد الله بن عمرو بن اراكه الثقفى فقتله بسر واخذ صنعا فلما قدم ابن عباس وسعيد على على عليه السلم بالكوفة عاتبهما على تركهما قتال بسر فاعتذرا اليهما بضعفهما عنه فقام عليه السلم الى المنبر ضجرا من مخالفة اصحابه له في الراى فقال ما هى الا الكوفه الفصل اذا عرفت ذلك فنقول الاعصار ريح تهب فتثير التراب والوضر بقيه الدسم الدرن اللبانه في الاناء بعد الاكل واستعماله كما بقيه من شى يقل الانتفاع بها والالا مالقبح شجر حسن المنظر مر الطعم ويطلع اليمن اى غشيها سيدالون اى يصير الامر اليهم والدوله لهم والقعب القدح الضخم وحات الشى اذابه واعلم ان الضمير في قوله ما هى الكوفه وان لم تجره لها ذكر في اللفظ الا انه لحضوره من اهلها قبل ذلك وحضوره في تدبيرها وارادا حضورها في ذهنه مجرى الذكر السابق لها واقبضها خبر ثان اومبتدا محذوف تقديره انا وتحتمل ان يكون ضمير القصة واقبضها خبر عن الكوفة ونظيره في الاحتمالين قوله تعالى انها لظى نزاعه ويفهم من هذا الكلام حصر ما بقى له من البلاد التي يعتمد عليها في الحرب ومقابلة العدو في الكوفه وهو كلام في معرض التحقير لما هو فيه من امر الدنيا وما بقى له من التصرف الحق بالنسبه الى ما للخصم من التصرف الباطل واقبضها وابسطها كنايتان عن وجوه التصرف فيها اى ان الكوفة والتصرف فيها بوجوه التصرف حقيرة بالنسبه الى سائر البلاد التي غلب عليها الخصم فما عسى اصنع بتصرفي فيها وما الذى ابلغ به من دفع الخصم ومقاومته وهذا كما يقول الرجل في تحقيره ما في يده من المال القليل اذا رام به امرا كبيرا انما هو هذا الدينار فما عسى ابلغ به من الغرض و قوله فان لم تكوني الا انت تهب اعاصيرك عدول من الغيبه الى الخطاب والضمير بعد الا تاكيد للذى قبله اى الجملة الفعلية بعده في موضع الحال وخبر كان محذوف ولفظ الاعاصير يحتمل ان يكون على حقيقته فان الكوفه معروفه بهبوب الاعصار فيها ويحتمل ان يكون مستعارا لما يحدث من اراء اهلها المختلفه التي هى منبع الغدر به والتثاقل عن ندايه وكونه

المشابهة

المشابهة ما يستلزمه المستعار منه وله من الاذى والازعاج وتقدير الكلام فان لم تكوني الا انت عدة لى وجنة اتقى بها العدو وخطائر الملك والخلافه مع ما فيك من حالك من المدام فقبحا لك وهو ذم لها بعد ذكر وجه الذم والجبل استعاره لامورها مثل بالبيت لعمر ابيك الخير ومعنى تمثله به انى على بقيه من هذه الامور كالوضر القليل في الاناء وهو تمثيل على وجه الاستعاره فاستعار لفظ الاناء للدنيا ولفظ الوضر القليل فيه للكوفه ووجه المشابهه ما يشترك فيه الكوفه والوضر من الحقارة بالنسبة الى ما استولى عليه خصمه من الدنيا وما اشتمل عليه الاناء من الطعام ومن دون الالا من حسن المنظر مع عدم انتفاعه منه بشى اخر ويكون قد استعار لفظ الالا لسائر بلاد الاسلام ولفظ الوضر لما في يده هو عن حسن المنظر استعارة في الدرجه الثانيه وانما خص الكوفه دون البصرة وغيرها لان جمهور من كان يعتمد عليه في الحرب اذن هم اهل الكوفه و قوله انبئت بسرا الى قوله منكم شروع في استنفارهم الى الجهاد واعلمهم اولا بحال بسر وخروج اليمن من ايديهم ثم خوفهم بما حكم به من الظن الصادق ان سيدال القوم منهم ثم اعقب ذلك بذكر اسباب توجب وقوع ما حكم به وهي العلامات التي عنها حكم فذكر اربعة امور حسن قيلهم هي اسباب الانقهار واربعة امور من قبل الخصم مضادة لها هي اسباب القهر ورتب كل امر عقيب ضده لتظهر لهم المنا سبه بين افعالهم وافعال خصومهم فيدعوهم داعي الدين والمروة الى الفرار من الرذائل فالاول من افعال الخصم الاجتماع والتوازر وان كان على باطل وهو التصرف الغير الحق في البلاد والاول من افعالهم ما يضاد ذلك وهو تفرقهم عن حقهم اى تفرقهم المستحق لهم باذن ولى الامر الثانى من افعال الخصم الطاعة للامام الجائر فيما يامر به من الباطل ومن افعالهم معصية الامام الحق فيما امرهم به بالحق الثالث الثالث للخصم ادايهم الامانه الى صاحبهم وهى لزوم عهده والوفا ببيعته ومن افعالهم ضد ذلك من الغدر والخيانه في العهد بتركهم لموازرته في القتال وعصيانهم لامره حتى صار الغدر سبيلا لاهل الكوفه الرابع صلاح القوم في بلادهم اى انتظام امورهم فيها الناشى عن طاعة امامهم ومن افعالهم ما يضاد ذلك من فسادهم في بلادهم لخروجهم عن طاعة امامهم ولما ظهرت الامور الاربعة المذكورة من افعال الخصم من اسباب صلاح الحال والانتظام

[illegible]

الدولة والغلبة والقهر وان الامور الاربعة المضادة لها من افعالهم
من اقوى الاسباب الموجبة للانقلاب والانتهار و قوله
فلو انهم لتحكم على قعب لخشيت ان يذهب بعلاقه مبالغة في ذمهم بالخيانة
على سبيل الكناية عن خيانتهم لاماناتهم في عهدة على قبول اوامره وقوله
اللهم اني قد مللتهم وملوني شكاية الى الله سبحانه منهم وعرض لما في ضميره
وضمائرهم بحسب ما شهدت به قرائن احوالهم والملال والسام مترادفان
وحقيقته اعراض النفس عن الشيء اما لفتور القوى البدنية وكلالها
عن كثرة الافعال واما لاعتقاد النفس عن دليل وامارة تتبين لها ان
ما يطلبه غير ممكن لها وهذان السببان كانا موجودين لسآمته عليه السلام في
افعالهم فانه لم يشك منهم ولم يدع عليهم حتى عجزت قواه عن التطلع الى وجوه
اصلاحهم وانصرفت نفسه عن معالجة احوالهم لاعتقاده ان تقويمهم غير ممكن
له واما سامهم منه فلاعتقادهم ان مطلوباتهم التي كانوا ارادوه لها
غير ممكنة منه او لكثرة تكليفه ان اوامره بالجهاد والذب عن دين الله والموا
ظبة على اوامر الله على قواهم الضعيفة التي هي مع ضعفها مشغولة بغير الله
فلذلك ينصرف نفوسهم عن قبول قوله واحتمال اوامره ثم اردف تلك الشكاية
بالتضرع الى الله تعالى في الخلاص منهم ثم بالدعاء عليهم فدعا الله لنفسه
اولا فقال يبدلني خيرا منهم اما في الدنيا فقوما صالحين ينظرون بنور الله نعمة
عليهم فيحصلوا له الدين واما في الاخرة فقوما عرفوا في مطالعة انوار كبرياء
الله فاصفاهم اعلى منازل جنته واسنى مراتب كرامته فوما انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وطلبه
الخير منهم في الدنيا هو الراجح في الذهن لما يتمناه بعد من فوارس بني
فراس ثم دعا الله عليهم ان يبدلهم شرا منه فان قلت ان صدور مثل
هذا الدعاء منه عليه السلام مشكل من وجهين احدهما انه يقتضي ان يكون
هو ذا شر وقد ثبت انه كان منزها عن الشرور الثاني انه كيف يجوز منه
ان يدعو بوجود الشرور ووجود الاشرار قلت الجواب عن الاول من
وجهين احدهما ان صيغة افعل التفضيل كما ترد لاثبات الافضلية كذلك
قد ترد لاثبات الفضيلة وح يحتمل ان يكون مراده من قوله شرا مني

اي ابدلهم

اي ابدلهم بي فيه شر غيري الثاني ان يكون شرا مني بحسب عقائدهم
ان في شرا عليهم واعتقادهم انه ذو شر لا يوجب كونه كذلك وعن
الثاني من وجهين احدهما انه لما كان في دعاء الله ان يبدلهم من هو شر
منه مصلحة تامة حسن منه ذلك وبيان المصلحة من وجهين احدهما
ان صدور ذلك الدعاء منه عليهم لمشهد منهم ومسمع من اعظم الاسباب
المخوفة الجاذبة لاكثرهم الى الله تعالى وذلك مصلحة ظاهرة الثاني
ان نزول الامر المدعو به عليهم بعده فليتنبههم على فضله ويذكرهم انه
لم يصبهم ذلك الا لتركهم اوامر الله تعالى وخروجهم عن طاعته فينقهروا
عن مسالك الغي والفساد الى واضح سبيل الرشاد ويكون ذلك لطفا من
الله لهم الثاني لعله انما دعا عليهم لعلمه انه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا
لاجله مما يدعوهم اليه ومن لا يرجى صلاح حاله مع فساد نظام العالم
بوجوده ولزومه لما نقصا د مطلوب الله منه فعدمه اولى من وجوده
فكان دعاؤه عليهم اذن مندوبا اليه وعلى ذلك يحمل ايضا دعاؤه عليهم
اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء ونحوه وذلك ياتي منه عليه
السلام بالسابقين من الانبياء صلى الله عليهم في التضجر من قومهم والشكاية
منهم الى الله تعالى ودعائهم عليهم كنوح اذ قال رب اني دعوت قومي
ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا الايات رب انهم عصوني ثم
ختم بالدعاء على من لم يرج صلاحه فقال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا الاية وكلوط اذ قال لقومه اني لعملكم من القالين
وغيرهما من الانبياء والمراد بالميث المدعو به يشبه ان يكون ما
يحصل في القلب من الانفعال عن الغم والخوف ونحوهما وذلك ان الغم اذا
وقع لزمه تكاثف الروح القلبي للبرد الحادث عند انطفاء الحرارة الغر
يزية لشدة انقباض الروح واحساسه ينحصر في القلب بانفعال شبيه
بالعصر والمرس وذلك في الحقيقة الم ومستلزم له فيحسن ان يكون
مرادا له ويحتمل ان يكون كناية عن اصابة من الغم والخوف فكانه
طلب من الله ان يقبض له منهم اذا ماثوا قلبه بفساد افعالهم ويروى
ان اليوم الذي دعا عليهم فيه ولد فيه الحجاج بن يوسف وروى

أنه ولد بعد ذلك اليوم بأوقات يسيرة وفعل الحجاج بأهل الكوفة ظاهر
وما جرى له مشهور و**قوله** أما والله لوددت أن لي بكم ألف
فارس من بني فراس بن غنم يصلح تعيينه لمن ذكرنا سابقا للخير منهم الذين خلفه
أو لأمن الله مجملا عوضا بهم وبنو فراس حي من تغلب أبوهم غنم بفتح
الغين وسكون النون وهو غنم بن تغلب بن وائل وإنما خص هذا البطن
لشهرتهم بالشجاعة والحمية وسرعة إجابة الداعي فأما البيت هنالك
لو دعوت فمعناه ما ذكره السيد الرضي رضي الله عنه ووجه تمثله عليه
السلام بهذا البيت أن هؤلاء القوم الذين وذاتهم كانوا له عوضا من قومه هم
بصفة الفوارس الذين أشار إليهم الشاعر في المبادرة إلى إجابة الداعي و
الاجتماع على دفع الضيم عنهم ونصرة حقهم فلذلك تمناهم عوضا ومقصوده
في جميع ذلك ذمهم وتوبيخهم وتحقيرهم بتفضيل غيرهم عليهم وتنفير الطباع عنهم
بما هم عليه من التثاقل عن دعوته للذب عن دين الله وبالله التوفيق

## ومن خطبة له عليه السلام

إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم نذيرا للعالمين وأمينا على التنزيل
إلى قوله والآثام بكم معصوبة **أقول** الإناخة المقام بالمكان
والحية الصماء هي التي لا تنزجر بالصوت كأنها لا تسمع والمراد
يراد بها الصلبة الشديدة والجشب هو الطعام الغليظ الخشن ويقال
هو الذي لا أدام معه ومعصوب به مشدود به واعلم أنه عليه السلام أورد
أمورا وقعت لبعض مدحها وذمها فبدأ بذكر النبي صلى الله عليه وذكر
بعض أسباب غاية البعثة فإنه لما كانت الغاية منها هو جذب الخلق عن
دار الغرور إلى الواحد الحق وكان ذلك الجذب تارة بالنذارة وتارة با
لبشارة ذكر هاهنا النذارة وخصها بالذكر لأنها السبب الأقوى في الردع
فإن عامة الخلق وجمهورهم قلما يلتفتون إلى ما وعدوا به في الآخرة إذا
قابلوا ذلك بلذاتهم الحاضرة فإن تلك أمور غير محسوسة لهم إلا بحسب الوصف
الذي إنما يكشف لهم عن أمور محسوسة يشبه ما هم فيه أو أضعف عندهم
ثم إن نيلها مشروط بشرائط صعبة في الدنيا تكدر عليهم ما هم فيه من حاضر
لذاتهم مع براءتها عن الشرط والتكاليف الشاقة فلذلك قلما يلتفتون

إلى الوعد

إلى الوعد عما هم فيه فكان السبب الأقوى في الردع والالتفات إلى الله
إنما هو الإنذار والتخويف فإذا انضم إليه الوعد أفاد المجموع الغاية ولما
مقصوده عليه السلام في هذا الموضع التوبيخ المطلق للعرب وترقيق قلوبهم المتمثلة
على الفظاظة والقسوة كان الأليق هاهنا ذكر إنذار النبي للعالمين ليتذكروا
ذلك تفاصيل الإنذارات الواردة في القرآن والسنة ثم أردف ذلك بذكر
كونه أمينا على التنزيل ليتذكروا أن الإنذارات الواردة هي من عند الله
تعالى أتى بها الرسول غير خائن فيها بتبديل أو زيادة أو نقصان فليتأكد
في قلوبهم ما قد علموه من ذلك ليكون أدعى لهم إلى الانفعال عن أقواله ثم شرع
بعده في اقتصاص أحوالهم التي كانوا عليها والواو في **قوله** وأنتم للحال
أي حال ما كنتم بهذه الصفات بعث محمدا وذكر أحوالهم في معرض الذم لها
فذكر أنهم كانوا على شر دين وهو عبادة الأصنام من دون الله وأعظم بذ لك
افتضاحا لمن عقل منهم أسرار الشريعة وعرف الله سبحانه فلا أحسبه
عند سماع هذا التوبيخ إلا مجيبا على ما فرط في جنب الله ويقول يا ليتني لم
أشرك بربي أحدا ثم أردف ذلك بتذكيرهم ما كانوا فيه من شر دار وأراد
نجدا وتهامة وأرض الحجاز ومن كونها شر البلاد فساد أحوالهم لغاء في
مساكنهم فبأناختهم من الحجارة السود الخشن التي لا نداوة بها ولا نبات و
الحيات الصم التي لا علاج لسمومها ووصفها بالصم لأن حيات تلك الأرض
على غاية من القوة وحدة السموم لاستيلاء الحرارة واليبس عليها ولغاية
في مشربهم فلأن الغالب على المياه التي يشربونها أن تكون كدرة لا تكاد
غير المعتاد بها أن يقبل عليها مع العطش إلا عند الضرورة والسبب الغالب
في ذلك عدم إقامتهم بالمكان الواحد بل هم أبدا في الحل والارتحال والحفرون
المياه ويعالجونها الأدبث ما هم عليها فربما كان بعضهم يحتفر وبعضهم يشرب
ومشاهدتهم توضح ذلك وأما في مآكلهم فخشونتها ظاهرة فإنك تجد
عامتهم يأكل ما دب ودرج من حيوان وسئل بعض العرب أي الحيوانات تأكلون
في البادية فقال نأكل كل ما دب ودرج إلا أم حبين فقال السائل
لتهن أم حبين السلامة قال صاحب المجمل وأم حبين دويبة قدر
كف الإنسان وبعضهم يخلط الشعير بنوى التمر ويطحنهما ويتخذ

منها خبزا وروى انهم كانوا فى ايام المجاعة يلوثون اوبار الابل بدم العظلم
ويجففونها فاذا يبست دقوها وصنعوها طعاما واما فى سفكهم للدماء
بعضهم لبعض وقطع ارحامهم فظاهر ايضا فان الولد كان يقتل اباه و
بالعكس واما نصبهم للاصنام وعصب الاثام بهم فى جاهليتهم فغنى عن
البيان ولفظ العصب مستعار للزوم الاثام لهم فى تلك الحال عن معناه
الاصلى وهى استعارة لفظ منيه بين محسوسين للشبه بين معقولين او
بين معقول ومحسوس وانما ذكرهم عليه السلم بهذه الاحوال لينبههم على نسبة
ما كانوا عليه قبل الاسلام عليه فى تلك الحال من اضداد ذلك كله اذ تبدلوا
بما كانوا فيه من فساد احوالهم فى الدنيا صلاح حالهم فيها ففتحوا المدن و
كسروا الجيوش وقتلوا الملوك وغنموا اموالهم كما قال تعالى فى المنة عليهم وتذكيرهم
انواع ما انعم عليهم به واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها
وجعل لهم الذكر الباقى والشرف الثابت كل ذلك لزيادة على هدايته
لهم الى الاسلام الذى هو طريق دار السلم وسبب للسعادة الباقية وذلك انما كان بهم
بسبب مقدم محمد صلى الله عليه وآله وسلم واعلم ان سياق هذا الكلام يقتضى
مدح النبى صلى الله عليه فلما حذف من الفصل بعده لينبى عليه مقصودا
له وفيه تنبيه على دوام ملاحظة السامعين لنعم الله عليهم فيلا
يحظوا استحقاقه لتمام العبادة على ممر احوالهم ويكونوا فى وجل من
خوفه وشوق اليه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم
منها فنظرت فاذا ليس لى معين الا اهل بيتى
اقول ضننت بكسر النون اى بخلت ونقل الفراء
بالفتح ايضا واغضيت على كذا اى اطبقت عليه جفنى والقذى ما سقط
فى العين فيؤذيها والشجى ما يعرض فى الحلق عند الغيظ ونحوه لا يكاد
يسيغ الانسان معه الشراب وقد مر تفسيرها واخذ بكظمه اى
بمجرى نفسه والعلقم شجر بالغ المرارة ويصدق على كل مر واعلم ان بالعرف
هذا الفصل يشتمل على اقتصاص صورة حاله بعد وفاة رسول الله
صلى الله عليه فى امر الخلافة وهو اقتصاص فى معرض التظلم والشكاية
ممن يرى انه احق منه بالامر فاشار الى انه فكر فى امر المقاومة

والدفاع

والدفاع عن هذا الحق الذى يراه اولى به فراى انه لا ناصر له الا اهل بيته
وهم قليلون بالنسبة الى من لا يعينه ومن يعين عليه فانه لم يكن له معين يغلب
على الظن الا بنو هاشم كالعباس وبنيه وابى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب و
من يخصهم وضعفهم وقلتهم عن مقاومة جمهور الصحابة ظاهر فضن بهم عن
الموت لعلمه انهم لو قاوم بهم لقتلوا ثم لا يحصل على مقصوده ولما ضن بهم عن الموت
لزمه ما ذكر من الامور وهى الاغضاء على القذى وكنى بالاغضاء عن فتوره عن
المقاومة كناية بالمستعار ووجه المشابهة بينهما استلزامهما للالم البالغ وبالقذى
عما يعتقده ظلما فى حقه وكذلك قوله وشربت على الشجى ملاحظة للشبه بين ما
يجرى له من الامور التى توجب له الغضب والغيظ وبين الماء الذى يشرب على الشجى
وهو استلزامهما للاذى وعدم التلذذ والاساغة ولذلك استعار له لفظه الشرب
وكذلك قوله وصبرت على اخذ الكظم وعلى امر من طعم العلقم من المستعارات الحسنة
للفظ اخذ الكظم كناية عن اخذ الوجوه عليه وتضيق الامر فيما يطلبه ولفظ
المرارة التى هى حقيقة فى الكيفية المخصوصة للاجسام لما يجده من التالم بسبب فوت
مطلوبه ووجه المشابهة فيها بين الاستعارتين لزوم الاذى ايضا فاما ان الذى
وجده اشد مرة من العلقم فظاهر اذ لا نسبة للالم البدنى فى الشدة الى الالم النفسانى
واعلم انه قد اختلف الناقلون لكيفية حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله
عليه فروى المحدثون من الشيعة وغيرهم اخبارا كثيرة ربما خالف بعضها بعضا
بحسب اختلاف الاهواء منها وهو الذى عليه جمهور الشيعة ان عليا عليه السلم
امتنع من البيعة لابى بكر بعد وفاة الرسول عليه السلم وامتنع معه جماعة من بنى
هاشم كالزبير وابى سفيان بن الحرث والعباس وبنيه وغيرهم وقالوا لا نبايع
الا عليا وان الزبير شهر سيفه فجاء عمر فى جماعة من الانصار فاخذ سيفه فضرب
به الحجر فكسره وحملت الجماعة الى ابى بكر فبايعوه وبايع معهم على كرها وقيل
ان عليا اعتصم ببيت فاطمة عليها السلم وعلموا انه مفرد فتركوه وروى نضر بن
مزاحم فى كتاب صفين انه كان يقول لو وجدت اربعين ذوى عزم و
منها وهو الذى عليه جمهور المحدثين من غير الشيعة انه امتنع من البيعة ستة اشهر
حتى ماتت فاطمة فبايع بعد ذلك طوعا وفى صحيح مسلم والبخارى كانت وجوه
الناس تختلف اليه وفاطمة عليها السلم لم تمت بعد فلما ماتت انصرفت

وجوه الناس عنه فخرج وبايع ابا بكر وعلى الجملة فحال الصحابة في الاختلاف فيهم
بعد وفاة رسول الله وما جرى في سقيفة بني ساعدة وحال علي في طلب الامر
ظاهر والعاقل اذا طرح العصبية والهوى عن نفسه ونظر فيما نقله الناس
في هذا المعنى علم ما جرى بين الصحابة من الاختلاف والاتفاق وهل بايع علي عليه السلام
طوعا او كرها وهل ترك المقاومة عجزا او اختيارا ولما لم يكن غرضنا الا تفسير
كلامه كان الاشتغال بغير ذلك تطويلا وفضولا خارجا عن المقصود ومن رام ذلك
فعليه بكتب التواريخ

## ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها عمرو بن العاص ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا
**اقول** خزيت اي ذلت وهانت والاهبة الاستعداد والعدة
اي هيئوا عدة الحرب ما يعد لها من الالات والسلاح وشب لظاها اي وقدت
نارها واثيرت وروي شب بالبناء للفاعل اي ارتفع لهبها والسنا مقصور
الضوء والشعار ما يلي الجسد من الثياب ويلازمه واعلم ان هذا الفصل
من اقتصاص كلام ذكره عليه السلام فيه حال عمرو بن العاص مع معوية فذكر
انه لم يبايعه حتى شرط عليه ان يؤتيه على بيعته ثمنا وذكر انه لما نزل
عليه السلام بالكوفة بعد فراغه من اهل البصرة كتب الى معوية كتابا يدعوه
فيه الى البيعة فاحجم ذلك فدعا قوما من اهل الشام الى الطلب بدم عثمن
فاجابوه واراد الاستظهار في امره فاشار عليه اخوه عتبة بن ابي سفيان
بالاستعانة بعمرو بن العاص وكان بالمدينة فاستدعاه فلما قدم عليه
وعرف حاجته اليه تباعد عنه وجعل يمدح عليا في وجهه ويفضله ليخدعه
عما يريد منه فمن ذلك ان معاوية قال له يوما يا ابا عبد الله اني ادعوك الى
جهاد هذا الرجل الذي عصى الله وشق عصى المسلمين وقتل الخليفة واظهر الفتنة
وفرق الجماعة وقطع الرحم فقال عمرو بن العاص من هو قال علي فقال و
الله يا معوية ما انت وعلي حملي بعير ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته
ولا جهاده ولا علمه ووالله ان له مع ذلك لحظا في الحرب ليس لاحد غيره
ولكني قد تعودت من الله احسانا وبلاء جميلا فما تجعل لي ان شايعتك على
حربه وانت تعلم ما فيه من الغرر والخطر قال له حكمك قال له مصر طعمة
فلم يزل معوية متلكئا عليه ومماطله وهو يمتنع عن مساعدته

حتى

حتى رضي معاوية ان يعطيه مصر فعاهده على ذلك وبايع عمرو معا
وية وكتب له بمصر كتابا فذلك معنى **قوله** عليه السلام ولم يبايع معوية
حتى شرط ان يؤتيه ثمنا على البيعة ثم اردف ذلك بالدعاء على البا
يع لدينه وهو عمرو بعدم الظفر في الحرب او بالثمن **بقوله** ولا ظفرت
يد البايع والحقه بالتوبيخ والذم للمبتاع بذكر هوان امانته عليه
وهي بلاد المسلمين واموالهم التي ائتمنه الله عليهم ويحتمل ان يكون
اسناد الخزي الى الامانة اسنادا مجازيا او الى سبيل اضمار الفاعل يعني
المبتاع اي وخزي المبتاع في امانته لخيانته لها وذهب بعض الشارحين
الى ان المراد بالبايع معوية وبالمبتاع عمرو وهو ضعيف لان الثمن اذا كان
مصرا فالمبتاع هو معوية لما ظهرت دعوة معاوية لاهل الشام وبايعه عمرو
له كان ذلك من دلايل الحرب فلذلك امر عليه السلام اصحابه بالتاهب لها واعداد
عدتها وكنى عما ذكرناه من امارات وقوعها **بقوله** فقد شب لظاها وعلا سناها
كناية بالمستعار ووجه المشابهة من لهب النار وسناها وامارات الحرب كونها
علامات على امرين هما مظنة الهلاك ومحل الفتنة ويحتمل ان يكون اطلاق لفظ
السنا ترشيحا للاستعارة ثم اردف ذلك بالامر بالصبر في الحرب واستشعا
ره اما ان يراد به اتخاذه شعارا على وجه استعارته من الثوب لملازمته
الجسد او يراد اتخاذه علامة لان شعار القوم علامتهم ايضا ويحتمل ان يكون اشتقاقه
من الشعور اي ليكن في شعوركم الصبر وان كان لا يتناقلون من دون الشعار الى
المعنى الى الشعور و **قوله** فانه ادعى الى النصر بيان لفائدة
اتخاذ الصبر شعارا او علامة اما ان كان المقصود الزموا انفسكم الصبر فظاهر
لان لزوم الصبر من اقوى اسباب النصر وان كان المقصود اتخذوه علامة فلان
من كان الصبر في الحرب علامة له يعرفه الخصم بها كان الخصم يتصور ما منه
ادعى الى انهزامه فكان المستشعر لتلك العلامة ادعى الى القهر والنصر وان كان المراد
اخطاره بالبال فلانه سبب لزومه وبالله التوفيق والعصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه الى اخره
**اقول** هذه الخطبة مشهورة ذكرها ابو العباس المبرد

وغيره والسبب المشهور لها انه ورد عليه علج من اهل الانبار فاخبره ان سفيان
ابن عوف الغامدي قد ورد في خيل لمعوية الى الانبار وقتل عامله حسان بن
حسان البكري فقد اصيب بالانبار وهو معتزل لا يخاف ما كان واختار ما عند الله
على الدنيا فانتدبوا اليهم حتى تلاقوهم فان اصبتم منهم طرفا انكلتموهم عن العراق
ابدا ما بقوا ثم سكت رجاء ان يجيبوه بشيء فلم ينبس احد منهم بكلمة فلما راى صمتهم نزل
وخرج يمشي راجلا حتى اتى النخيلة والناس يمشون خلفه حتى احاط به قوم من اشرا
فهم وقالوا ترجع يا امير المؤمنين ونحن نكفيك فقال ما تكفوني ولا تكفون انفسكم فلم
يزالوا به حتى ردوه الى منزله فبعث سعيد بن قيس الهمداني في ثمانية الاف في طلب
سفيان بن عوف فخرج حتى انتهى الى ادانى ارض قنسرين وقد فاتوه فرجع
وكان علي عليه السلم في ذلك الوقت عليلا فلم يقو على القيام في الناس بما يريد من
القول فجلس بباب السدة التي تصل الى المسجد ومعه الحسن والحسين عليهما السلم و
عبد الله بن جعفر ودعى سعدا مولاه فدفع اليه كتابا كتب فيه هذه الخطبة
وامره ان يقراها على الناس بحيث يسمع عليه السلم ويسمعون وفي رواية المبرد انه
لما انتهى اليه ورود خيل معاوية الانبار وقتل حسان بن حسان خرج مغضبا يجر
رداءه حتى اتى النخيلة واتبعه الناس فرقي رباوة من الارض فحمد الله واثنى عليه
وصلى على النبي صلى الله عليه ثم قال الخطبة ورواية المبرد اليق بصورة الحال والحمد
وروي انه قام اليه رجل في اخر الخطبة ومعه ابن اخ له فقال يا امير المؤمنين اني
واخي هذا كما قال تعالى رب اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرك فوالله
لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد فدعا لهما بخير وقال
واين تقعان مما اريد ولنرجع الى التفسير فنقول الجنة ما استترت به من
سلاح او غيره وديث اي ذلل ومنه الديوث الذي لا غيرة له والصغار الذل
والضيم والقماء ممدود مصدر قمؤ قماءة فهو قمي وهو الحقارة والذل وروي
القما وروي القماء بالقصر وهو غير معروف واسهب الرجل بالبناء للمفعول اذا ذهب
عقله من اذى يلحقه واديل الحق من فلان اي غلب عليه عدوه وسامه خسفا
بفتح الخاء وضمها اي اولاه ذلا وكلفه المشقة والنصف بكسر النون وسكون
الصاد الاسم من الانصاف وضم النون لغة فيه وعقر الشيء اصله والتواكل
ان يكل كل واحد منهم الامر الى صاحبه ويعتمد عليه فيه وشن الغارة واشنها

فرقها

فرقها عليهم من كل وجه وغامد قبيلة من اليمن وهي من الازد ازد شنوءة
والمسالح جمع مسلحة وهي حدود الارض التي يرتب فيها ذوو الاسلحة مخافة عادية العدو
كالثغور والمعاهدة الذمية والحجل بكسر الحاء وفتحها الخلخال والقلب السوار
والرعث والرعاث جمع رعثة بفتح الراء وسكون العين وفتحها وهي القرط و
الرعاث ايضا ضرب من الخرز والحلي والاسترجاع ترديد الصوت في البكاء
وغيره والاسترحام مناشدة الرحم والوافر التام والكلم الجرح والترح
الحزن والغرض الهدف وحمارة القيظ بتشديد الراء شدة حره وسبخ
الحر فتر وخف وصبارة القر بتشديد الراء ايضا شدة البرد وينسلخ ينقضي
وربات الحجال النساء والحجال جمع حجلة وهي بيت العروس يزين بالستور و
الثياب والسدم الحزن على الندم والقيح ما يكون في القرحة من المدة والصديد
وشحنتم ملاتم والنغب جمع نغبة بضم النون وهي الجرعة والتهمام بالفتح الهم و
المراس العلاج وذرفت بتشديد الراء على الستين اي زدت واعلم ان قوله
اما بعد الى قوله ومنع النصف صدر الخطبة يجري فيه غرضه اجمالا وهو
الحث على الجهاد فانه لما ذكر فيه امر الجهاد وتعظيمه وخطا من قصر عنه علم من
ذلك انه يريد ان يحث السامعين على جهاد عدوهم فذكر من تمجيد الجهاد امورا
احدها انه باب من ابواب الجنة وبيانه ان الجهاد تارة يراد به جهاد العدو
الظاهر كما هو الظاهر هاهنا وتارة يعني بها جهاد العدو الخفي وهو النفس
الامارة بالسوء وكلاهما باب من ابواب الجنة والثاني منهما مراد بواسطة
الاول اذ هو لازم له وذلك انك علمت ان لقاء الله سبحانه ومشاهدة حضرة
الربوبية هي ثمرة الجنة وغاية سعي عباد الله الابرار ثم قد ثبت بالضرورة من
دين محمد عليه السلم ان الجهاد احد العبادات الخمس وبين ايضا في علم السلوك الى الله
تعالى ان العبادات الشرعية هي المتممة والمعينة على تطويع النفس الامارة
بالسوء للنفس المطمئنة وان التطويع كيف يكون وسيلة الى الجنة التي وعد
المتقون فيعلم من هذه المقدمات ان الجهاد الشرعي باب من ابواب الجنة
اذ منه يعبر المجاهد السالك الى الله الى الباب الاعظم للجنة وهو الرياضة
وقهر الشيطان ومن وقوفك على هذا السر تعلم ان الصلوة والصوم وساير العبادات
كلها ابواب الجنة اذ كان امتثالها على الوجه المامور بها مستلزما الوصول الى الجنة

فان باب كل شي هو ما يدخل اليه منه و يتوصل به اليه ونحوه قول الرسول صلى الله
عليه في الصلوة فانها مفتاح الجنة وفي الصوم ان للجنة بابا يقال له الريان لا يدخله
الا الصايمون الثاني من اوصاف الجهاد انه باب فتحه الله لخاصة اوليائه
والمراد بخواص الاولياء المخلصون له في المحبة والعبادة وظاهر ان المجاهد لله
لا لغرض اخر من خواص الاولياء وذلك ان المرء المسلم اذا فارق اهله وولده وماله
والقدم على من يغلب على ظنه انه اقوى منه كما امر المسلمون بان يثبت احدهم بعشرة من
الكفار ثم يعلم انه لو قهره لقتله فاستباح ذريته وهو في كل تلك الاحوال صابر
شاكر معترف بالعبودية لله مسلم لامره لله فذلك هو الولي الحق الذي قد اعرض
عن غير الله راسا وقهر شيطانه قهرا وابى ان يطيع له امرا فان قلت اذا
كان الغرض من العبادات هو جهاد الشيطان والاخلاص لله وكان تخصيص الجهاد
بالوصفين المذكورين لاستلزامه ذلك المعنى لم يبق وجه لساير العبادات منه فيه على
فما معنى قول الصحابة رضي الله عنهم وقد رجعوا من جهاد المشركين رجعنا
من الجهاد الاصغر الى جهاد الاكبر قلت يحتمل معنيين احدهما ان الجهاد الظا
هر ليس كل غرضه الذاتي هو جهاد النفس بل ربما كان من اعظم اغراضه
الذاتية هو قهر العدو الظاهر ليستقيم الناس على الدين الحق وينتظم امرهم
في سلوكه ولذلك دخل فيه من لا يراد منه الا ذلك كالمولفة قلوبهم وان كانوا
كفارا او ذلك بخلاف ساير العبادات اذ غرضها ليس الا جهاد النفس والاخر
انه هو الجهاد الاكبر اما الاول فاعتبار مضرة العدوين فان مضرة العدو الظاهر
مضرة دنياوية فانية ومضرة الشيطان مضرة اخروية باقية ومن كانت مضرته
اعظم كان جهاده اكبر واهم واما ثانيا فلان مجاهدة الشيطان مجاهدة عدو لازم
ومع ذلك فلا يزال مجاهدا عدوا لا ينال غرضه الا بالخروج في زي الناصحين
الاصدقاء والاخوان فالاحتراز من مثل هذا العدو اصعب وجهاد اكبر من جهاد
عدو مظهر لعداوته يقاتله الانسان في عمره مرة او مرتين فحسن لذلك تخصيص
الجهاد بالاصغر ومجاهدة النفس بالاكبر المعنى الثاني انا وان قلنا ان
الغرض من الجهاد الاصغر هو جهاد النفس الا ان جهادها في حال جهاد العدو
الظاهر قد يكون اسهل وذلك ان القوى البدنية كالغضب والشهوة تثوران
عند مناجزة العدو طلبا لدفعه وتصيران مطيعتين للنفس الانسانية فما يراه

وتأمر

وتامر به فلا يكون عليها كثير كلفة في تطويع تلك القوى بخلاف ساير العبادات
فان طباع تلك القوى معاكسة فيها لمراد النفس فلذلك كان جهادها في ساير
العبادات اصعب واكبر من جهادها في حال الحرب والله اعلم الثالث
كونه لباس التقوى و درع الله الحصينة وجنته الوثيقة واستعار لفظ اللباس
والدرع والجنة ثم رشح الاستعارتين الاخيرتين بوصفي الحصانة والوثاقة و
وجه المشابهة ان الانسان يتقي به شر العدو او سوء العذاب يوم القيامة
كما يتقي بثوبه ما يؤذيه من حر او برد وبدرعه وجنته ما يخشاه من عدوه
ثم اردف ذلك بذم تارك الجهاد بقوله فمن تركه رغبة عنه من غير عذر يوجب
تخلفه بامور منفور عنها طبعا منها انه يستعد بالترك لان يلبسه الله
ثوب الذل واستعار لفظ الثوب للذل ولفظ اللباس لشموله له ووجه المشابهة
احاطة الذل به احاطة الصفة بالموصوف كاحاطة الثوب بلابسه وان يشمله
بلاء العدو فيبتليه الله بالصغار والقماءة وان يضرب على قلبه بالاسهاب اي يذهب
وجه عقله العملي في تدبير مصالحه اما لحوق الذل به فلان كثرة غارات العدو و
تكررها منه موجب لتوهم قهره وقوته وذلك مما ينفعل عنه النفس بالانقهار
والذل و هي مذعن للحوق بلاياه وتذهب وجه عقلها في استخراج وجوه
المصالح في دفعه ومقاومته اما لقلة اهتمامها بذلك عن عدم طمعها في مقاومته
او لتشوشها لخوفه عن ملاحظة وجه المصلحة واطلاق لفظ الضرب على قلبه
استعارة لقوله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة ووجه الشبه فيها احا علة
قلبه للعقل به كاحاطة القبة المضروبة بمن فيها او لزوم قلبه الغفلة كلزوم
الطين المضروب على الحايط له ويحتمل ان يراد بالاسهاب كثرة الكلام من غير فايدة مع
فان الانسان حال الخوف والذل كثيرا ما يخبط في القول ويكثره من غير
اصابة فيه وكذلك لحوق باقي الامور به كادالة الحق منه وغلبة العدو له
وعدم انتصافه منه امر ظاهر عن ترك جهاد عدوه مع التمكن من ذلك وهي امور
منفور عنها طبعا ومضرة لحال من لحقته في الدارين وقد ورد في التنزيل الالهي
من مدح الجهاد والحث عليه امور كثيرة كقوله تعالى لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل
الله المجاهدين على القاعدين درجة وقوله فضل الله المجاهدين

على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وقوله و
جاهدوا في الله حق جهاده وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه و
نحو ذلك وقوله الا واني قد دعوتكم الى الاخره لما ذكر صدر الخطبه اردفه
بتفصيل غرضه مما احمله فيه وهو حثهم على الجهاد وتوبيخهم على تركه فنبههم اولا
على ما كان دعاهم اليه قبل من قتال معويه واصحابه مرارا كثيرة وذكرهم
نصيحته السابقه لهم في امرهم بغزو عدوهم قبل ان يغزوهم وتذكيرهم ما كان اعلمهم
اولا من القاعدة الكلية المعلومة بالتجربه والبرهان وهو انه ما غزي قوم قط
في عقر دارهم الا ذلوا وقد اشرنا الى علة ذلك وهو ان للاوهام افعالا عجيبة
في الابدان تارة بزيادة القوه وتارة بنقصانها حتى ان الوهم ربما كان سببا للمرض
العظيم لتوهمه المرض وبالعكس فكان السبب في ذل من غزي في داره وان كان
معروفا بالشجاعة هذه الاوهام اما اوهامهم فلانها تحكم بانه لم يقدم على غزوهم
الا لقوة غازيهم واعتقاده فيهم الضعف بالنسبة اليه فينفعل اذن نفوسهم
عن تلك الاوهام وينقهرون عن المقاومة وينضعف عن الانبعاث وتزول غيرتها و
حميتها فيحصل على طرف رذيلة الذل واما اوهام غيرهم فلان الغزو الذي يلحقهم
يكون باعثا لكثير الاوهام على الحكم بضعفهم ومحرك الهمم كل طامع فيهم فيثير ذلك
لهم احكاما وهمية بعجزهم عن المقاومة ثم انه اردف ذلك بما قابلوا به نصيحته
من تواكلهم وتخاذلهم عن العمل بمقتضى امره الى غاية ظهور العدو عليهم وتفريق الغارات
من كل جانب على اوطانهم وصدودهم ثم عقب ذكر العدو المطلق بذكره في شخص
معين مشاهد ونبههم عليه ليكونوا الى التصديق بظهور العدو عليهم اقرب وقص
عليهم ما احدث من ورود خيله ديارهم وقتله لعاملهم وازالة خيلهم عن ثغورهم
ومسالحهم وهتك المسلمات والمعاهدات وسلب اموال المسلمين وساير ما عدده
على الوجه المذكور مما هو مستغن عن الايضاح ثم ختم ذلك القصص بان الاولى ان
يلحق المسلم الحق ذا الغيرة والحمية لله من الاسف والحزن المميت له بسبب
ما شاهد من الاحوال المنكرة الواقعه بالمسلمين مع تقصيرهم عن مقاومة عدوهم كل
ذلك التقرير ليمهد قانونا حسن معه توبيخهم وذمهم على التقصير فيما ينبغي لهم من امتثال
امره وقبول شوره فيما هو الاولى والاصلح لهم ثم اردف ذلك بالتعجب من حالهم تاكيدا
لذلك التمهيد فنادى العجب من حالهم منكرا لحضوره كانه غير معين في حال ندايه

ثم تعين

ثم تعين بندائه وحضوره فكرره ليصفه بالشدة ونصبه على المصدر كانه لما حضر
وتعين قال عجبت عجبا من شانه كذا ونحو هذا المنادى قوله تعالى يا بشرى
في قراءة من قرا بغير اضافة ويحتمل ان يكون العجب الاول نصبا على المصدر ايضا والثاني ن
للتاكيد او لما كرره ويكون المنادى محذوفا فتقديره يا قوم او نحوه فاما وصفه
له بانه مميت القلب ومجلب الهم فاعلم ان السبب في التعجب من الامر هو عدم اطلاع
النفس على اسبابه لغموضها مع كونه في نفسه امرا غريبا ولذلك وضع اهل اللغة قولهم
ما افعله صيغه للتعجب كقولك ما احسن زيدا وعلمت ان التقدير فيه السؤال عن
اسباب حسنه وكلما كان الامر اغرب واسبابه اخفى كان اعجب فاذا انبعثت النفس
في طلب سببه فقد تعجز عن تحصيله وتكل القوة المتخيلة عن تفتيشه فيكون ذلك
متعبا للقلب مجوزا ان يطلق المميت في التعجب تسمية للشئ باسم ما يؤول اليه اولا اشتراكهما
في عدم حصول المطلوب معها اذا عرفت ذلك فنقول ان حال قومه عليه السلام في
تفرقهم عن حقهم مع علمهم بحقيته وحال اجتماعهم على باطلهم مع اشتراكهم في الشجاعه
ولكون قومه والمتقين برضا الله اولى ان يقبلوا امره من العجب المميت للقلب الذي لا يهتدى
لسببه واما انه يجلب الهم فظاهر اذ كان حاله عليه السلام معهم كحال الطبيب لمرضى الزمن
يعالجهم مع خطر امراضهم وعدم لزومهم لما يامرهم به من حمية او شرب دواء و
ظاهر ان تلك الحال مما يجلب هم الطبيب ثم لما اظهر التعجب ووصفه بالشدة اعقبه
بذكر الامر المتعجب منه ليكون في نفوسهم اوقع ثم اردف ذلك التعجب بالدعاء عليهم
والبعد عن الخير وبالحزن بسبب تفريطهم واعقبه بالتوبيخ لهم والتبكيت لما يانف منه
اهل المروة والحميه ويوجب لهم الخجل والاستحياء من صدوره منهم بسبب تقصيرهم غرضا
للرماة يغار عليهم وقد كان الاولى بهم ان يغيروا ويغزون وقد كانوا هم اولى با
الغزو ويعصى الله مع رضاهم بذلك ثم حكى صور اعذارهم في التقاعد عن امره
وهي تارة شدة الحر وتارة شدة القر ونحوهما من الاعذار التي يذوق العاقل
منها طعم الكسل والفتور وانه لم يكن لهم بها مقصود الا المدافعه ثم تسلم تلك الا
عذار منهم واستثبتها وجعلها مبادي للاحتجاج عليهم فقوله فانتم والله
من السيف افر وذلك ان الفار من الاهون فار من الاشد بطريق الاولى اذ لا
نسبه لشدة الحر والبرد مع القتل والمجالدة بالسيف ثم اردف ذلك التبكيت بالذم
لهم بثلثه اوصاف احدها انه نفى عنهم صفة الرجولية لاستجماعها ما ينبغي من صفات

الكمال للانسان كالشجاعة والانفة والحمية والعزة وعدم هذه الكمالات منهم
وان كانوا بالصور المحسوسة للرجال الموجبة لتشبههم بهم وذلك قوله
يا اشباه الرجال ولا رجال وثانيها انه وصفهم بحلوم الاطفال وذلك ان ملكة
الحلم ليس لها محل للطفل وان كانت قوة الحلم حاصلة له لكن قد يحصل فيه ما يشبه
بصورة الحلم لعدم التسرع الى الغضب عن خيال يرضيه واغلب احواله ان يكون
ذلك في غير موضعه وليس تحصيله ملكة بكشف نفسه طاينيه كما في حق الكاملين
فهو اذن نقصان ولما كان تاركوا امره عليه السلم بالجهاد ان تركوا المقاومة حلما
في غير موضعه كتركهم الحرب بصفين حين خدعهم اهل الشام بالمسالمة وطلب
المحاكمة الى كتاب الله ورفع المصاحف فقالوا اخواننا في الدين فلا يجوز لنا قتالهم
فكان ذلك حلما في غير موضعه حتى كان من امرهم ما كان فاشبه رضى الصبيان
فاطلق اسمه عليه وثالثها الحاق عقولهم بعقول النساء وذلك للمشاركة في النقصان
وعدم عقليتهم لوجوه المصالح المحصنه بتدبير المدن والحرب ثم عقبهم محبته لعدم
رويتهم وعدم معرفتهم لاستلزامها ندمه على الانجرار في امرهم والحزن من تقصيرهم
في الذب عن الدين لان المتولي لامر يغلب على ظنه استقامه حتى اذا دخل فيه و
طلب لنتظامه وجده غير ممكن له لا بد وان يندم على تضييع الوقت به وهذه حالة عليه
السلم مع اصحابه ولذلك حزنت الانبياء عليهم السلم على تقصير اممها حتى عاتبهم الله تعالى
على ذلك كقوله لمحمد صلى الله عليه ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون لعلك
باخع نفسك الا يكونوا مومنين ثم عاد الى الدعاء عليهم والشكاية منهم وذلك قوله
تعالى قاتلكم الله الى اخره واغلظ ما دعا عليهم به في المقابلة لما كانت مستلزمة
للعداوة والعداوة مستلزمة لاحكام كاللعن والطرد والبعد عن الشفقة والخير من
جهة العدو وكان اطلاق المقاتلة والعداوة على الله تعالى بحسب حقيقتهما غير
ممكن كان اطلاق لفظ المقاتلة والعداوة مقصودا به لوازمها كالابعاد
عن الرحمة مجازا قال المفسرون معنى قول العرب قاتلكم الله لعنكم وقال ابن عباس
تبارك المقاتله من القتل فاذا اخبر الله بها كان معناها اللعنة منه لان من
لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك وقوله لقد ملأتم قلبي
فيها اشارة الى بلوغ الغاية في التألم الحاصل له من شدة الاهتمام بامرهم مع
تقصيرهم وعدم طاعتهم لاوامره فعبر بالقيح عن الم قلبه مجازا من باب اطلاق

اسم

اسم [illegible] الغاية على ذي الغاية اذ كان غاية الم العضو ان يتقيح وكذلك اطلاق
لفظ الشحن على فعلهم المولم لقلبه لان الشحن حقيقة في نسبة بين جسمين و
كذلك قوله وجرعتموني نغب التهمام انفاسا اي جلبتم لي الهم وقتا فوقتا
مجاز لان التجريع عبارة ادخال الماء او نحوه في الحلق وطريان الهم على نفسه
وما يلزم الهم من الالام البدنية على مدريحه وتكرار ذلك منهم يشبه طريان المشروب و
تجريعه وقوله انفاسا مجازا في الدرجة الثانية فان النفس حقيقة لعوديه في الهواء
الداخل والخارج في بدن الحيوان من قبل الطبيعة ثم استعمل عرفا لمقدار ما يشرب
من الشراب في مدة ادخال الهواء بقدر الحاجة اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق ثم
استعمله هاهنا في كل مقدار من الهم يرد عليه من قبل اصحابه وقتا فوقتا وهي
درجة ثانية من المجاز و قوله وافسدتم على رايي بالعصيان الى كلم
شكايته منهم ومعنى افسادهم له خروجه بسبب عدم التفاتهم اليه عن ان يكون
منتفعا به لغيرهم حتى قالت قريش انه وان كان رجلا شجاعا الا انه لا علم له
بالحرب فان الخلق اذا راوا من قوم سوء تدبير او مقتضى راي فاسد كان الغالب ان
ينسبوه الى رئيسهم ومقدمهم ولا يعلمون انه عليه السلم الالمعي الذي يرى الراي كان
قد راى وقد سمع وان التقصير من قومه ثم اردف ذلك بالرد على قريش في نسبتهم له
الى قلة العلم بالحرب بقوله لله ابوهم الى اخره وهي كلمة من مدائح العرب ثم سالهم
عن وجود من هو اشد للحرب معالجة او اقدم منه فيها مقاما سؤالا على سبيل
الانكار ونبه على حذقه بنهوضه في الحرب ومعاناة احوالها عامة عمره
وهو من قبل بلوغ العشرين الى اخر عمره ثم بين ان السبب في فساد حال اصحابه
ليس ما تخيلته قريش فيه من ضعف الراي في الحرب كما يزعمون بل عدم طا
عتهم له فيما يراه ويشير عليهم به وذلك قوله ولكن لا راي لمن لا يطاع
فان الراي الذي لا يقبل بمنزلة الفاسد وان كان صوابا والمثل له عليه السلم

## ومن خطبة له عليه السلام

اما بعد فان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وان الاخرة قد اقبلت الى اخره
اقول هذا الفصل من الخطبة التي في اولها الحمد لله غير
مقنوط في رحمته سبق بعدها ما فدعه الرضي عليها لما سبق من اعتذاره في خطبه
الكتاب انه لا يراعي التتالي والنسق في كلامه عليه السلم و قوله ادبرت بر

اى ولى دبره واذنت اى اعلمت واشرفت اى اطلعت والمضمار المدة التى
يضمر فيها الخيل للمسابقة اى يعلف حتى يسمن ثم يرد الى القوت والمدة اربعون
يوما وقد يطلق على الموضع الذى يضمر فيه ايضا والسباق مصدر مرادف للمسابقة
وهو ايضا جمع سبقة كنطفة ونطاف او سبقه كجلة وجلال او سبق كجبل وجبال و
السبقة اسم لما يجعل للسابق من مال او عرض والمنية الموت والبوس شدة الحاجة
وتحرزون تحفظون واعلم ان هذا الفصل يشتمل على تنبيهات عشرة الاول
على وجوب النفار عن الدنيا وعدم الركون اليها وذلك بقوله الا وان الدنيا قد
ادبرت واذنت بوداع واشار بادبار الدنيا واعلامها بالوداع الى تقضى الاحوال
الحاضرة بالنسبة الى كل شخص شخص من الناس من صحة وشباب وجاه ومال و
كل ما يكون سببا لصلاح حال الانسان وان كل ذلك اجزاء للدنيا ادونها من الانسان
ولما كانت هذه الامور ابدا فى التغير والتقضى المستلزم لمفارقة الانسان لها وبعدها عنه
لاجرم حسن اطلاق اسم الادبار على تقضيها وبعدها استعارة تشبيها لها بالحيوان
فى ادباره وقيل لكل امر يكون الانسان من خير او شر اذا كان فى اوله اقبل واذا
كان فى اخره وبعد تقضيه ادبر وكذلك اسم الوداع فان التقضى لما استلزم المفارقة
وكانت مفارقة الدنيا مستلزمة لاسف الانسان عليها ووجده بها اشبه ذلك
ما يفعله الانسان فى حق صديقه المرتحل عنه فى وداعه له من الاسف على فراقه
والحزن والبكاء ونحوه فاستعير اسم الوداع له وكنى باعلامها بذلك عن الشعور
الحاصل بمفارقتها من تقضيها شيئا فشيئا وهو اعلام بلسان الحال الثانى
التنبيه على الاقبال على الاخرة والتيقظ للاستعداد لها بقوله الا وان الاخرة
قد اقبلت واشرفت باطلاع ولما كانت الاخرة عبارة عن الدار الجامعة للاحوال
التى يكون الناس عليها بعد الموت من سعادة وشقاوة والم ولذة وكان تقضى
العمر مقربا للوصول الى تلك الدار والحصول فيما يشتمل عليه من خير او شر حسن
اطلاق لفظ الاقبال عليها مجازا ثم نزلها لشرفها على الدنيا فى حال اقبالها منزلة
عال عند سافل فاستعار لها لفظ الاشراف ولاجل احصار الاعمال الدنيوية بينها
منزلة عالم مطلع فاطلق عليها لفظة الاطلاع ويحتمل ان يكون اسناد الاشراف
بكيفية الاطلاع الى رب الاخرة وانما عبر بالاخرة عنه تعظيما لجلاله كما يكنى عن
الرجل الفاضل بمجلسه وحضرته ويكون كيفية الاطلاع عن قرينة ذلك الثالث

التنبيه

التنبيه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعد لاجله وهو السباق وذكر ما يستبق
اليه وما هو غاية المقصر المتخلف عنه اعاذنا الله وذلك بقوله الا وان اليوم المضمار
الى قوله والغاية النار وكنى باليوم عن مدة عمر الانسان الباقية له واخبر بالمضمار
عنها واعلم انه قد ورد المضمار والسباق مرفوعين ومنصوبين فاما رفع المضمار
فلانه خبر ان واليوم اسمها واما اطلق اسم المضمار على تلك المدة لما بينهما من الشبه
فان الانسان فى مدة عمره يستعد بالتقوى ويرتاض بالاعمال الصالحة لتكمل قوته
فيكون من السابقين الى لقاء الله والمقربين فى حضرته كما يستعد الفرس بالتضمير
لسبق مثله واما نصبه ففيه شك اذ يحتمل ان يقال ان المضمار زمان و
اليوم زمان فلو اخبر لعنه باليوم لكان ذلك اخبارا بوقوع الزمان فى
الزمان فيكون الزمان محتاجا الى زمان اخر وذلك محال وجوابه لا نسلم
ان الاخبار بوقوع الزمان فى الزمان محوج للزمان الى زمان اخر فان بعض اجزاء
الزمان قد يخبر عنها بالزمان بمعنى انها اجزاؤه والجزء فى الكل لا بمعنى انها حاصلة
فى زمان اخر مان كان وانما يحسن الاخبار عنها به اذا قيدت بوصف او اشتملت على
احداث تخصص بها كما يقول ان مصطبح القوم اليوم فكذلك المضمار لما كان
وقتا مشتملا على التضمير وهو حدث صح الاخبار عنه باليوم واما نصب السباق فلا  ثم
اسم ان اى وان غدا السباق وكنى بغد عما بعد الموت واما رفعه فلا وجه له
الا ان يكون مبتدا خبره غدا ويكون اسم ان ضمير الشان وقال بعض الشارحين
يجوز ان يكون خبر ان وهو ظاهر الفساد لان الحكم بشىء على شىء اما بمعنى
انه هو هو كما يقال الانسان هو الضحاك وهو ما تسميه المنطقيون حمل المواطاة
او على ان المحكوم عليه ذو المحكوم به كما يقال الجسم ذو بياض وهو ما يسمونه حمل
الاشتقاق ولا واحد من المعنيين بحاصل فى الحكم بالسباق على غدا فيمتنع ان
يكون خبرا لان قلنا ان السباق مصدر كان التقدير ضمروا انفسكم اليوم
فانتم غدا تستبقون وتحقيق ذلك ان الانسان كلما كان اكمل فى قوته النظرية  به
والعملية كان وصوله الى حضرة القدس قبل وصول من هو انقص منه ولما كان
سبب النقصان فى هاتين القوتين انما هو لجنبه عما عدا الواحد الحق واتباع الشهوات
والميل الى انواع اللذات الفانية والاعراض بسبب ذلك عن تولى القبلة الحقيقية
وصب الهمة فيها هو الاعراض عما عدا الواحد الحق من الامور المعدودة و

والاقبال عليه بالكلية وكان الناس في محبة الدنيا وفي الاعراض عنها والا
شتغال بطاعة الله تعالى على مراتب مختلفة ودرجات متفاوتة كان كون
اليوم هو المضمار وغدا السباق متصورا جليا فان كل من كان اكثر استعدادا
واقطع لعلايق الدنيا عن قلبه لم يكن له بعد الموت عايق يعوقه عن الوصول
الى الله وما اعد له في الجنة من الثواب الجزيل بل كان خفيف الظهر ناجيا
من ثقل الوزر كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه بقوله نجا المخففون
وكما سبق من اشارة علي عليه السلم اليه ذلك فقوله تخففوا تلحقوا فيكون
بعد الموت سابقا لمن كان اضعف استكمالا منه ممن لبست عقارب
الهيات البدنية والملكات الردية قلبه واثقلت الاوزار ظهره واوجبت
له التخلف عن درجة السابقين الاولين وكذلك يكون سبق هذا بالنسبة
الى من هو اقل استعدادا منه واشد علاقة للدنيا بقلبه فكان معنى السبا
بقة ظاهرا وان كان استعارة من السباق المتعارف بين العرب واما ان
قلنا ان السباق جمع سبقة اسم لما يستبق اليه ويجعل للسابق فالمعنى ايضا
ظاهر فان ما يستبق اليه انما يحصل الوصول اليه بعد المفارقة ويكون الا
ستباق اما قبل المفارقة وهو السعي في درجات الرياضات كما اشار
اليه سبحانه بقوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السما
والارض اعدت للمتقين الاية و قوله فاستبقوا الخيرات او
بعد المفارقة كما اشرنا اليه ويكون قوله بعد ذلك والسبقة الجنة
تعيينا للمستبق اليه بعد التنبيه عليه اجمالا واما قوله والغا
ية النار فالذي ذكره الرضي رضي الله في تخصيص الجنة بالسبقة و
النار بالغاية حسن وكاف في بيان مراده عليه السلم الا انه بقي هاهنا
بحث وهو ان هذه الغاية من اي الغايات هي وهل هي غاية حقيقية او لازمة
للغاية فنقول ان ما ينتهي اليه قد يكون بشوق طبيعي وقد يكون بشوق
ارادي وكل واحد منهما قد يكون ذاتيا وقد يكون عرضيا فالشوق الذاتي
منهما يقال له غاية اما طبيعية كاستقرار الحجر في حيزه عن حركته بشوق
طبيعي له اليه واما ارادية كغايات الانسان من حركاته المنتهي اليها بالشوق
لارادته واما المنتهي اليه بالشوق العرضي فهو من لوازم احدى الغايتين

وقد يبقي

وقد يبقي غاية عرضية فاللازم عن الطبيعة كمنع الحجر ان يحل حيث هو
فان ذلك من لوازم استقراره في حيزه وعن الارادية كاستضاءة المجاور
بسراج جاره فان ذلك من لواحق استضاءته وكهلاك الطاير في حبايل
الصياد عن الميل الى التقاط حبه اذا عرفت ذلك فنقول ان كون النار
غاية بهذا المعنى الرابع وبيانه ان محبة الدنيا والميل اليها والانهماك في
مشتهياتها سواء كان مماسكة للانسان بالله تعالى او لم يكن فان من
لوازمها الانتهاء الى النار الا من يشاء الله كما قال تعالى ومن كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب فكان المقصود الاول للا نسان
هو تناول اللذات الحاضرة لكن لما كان من لوازم الوصول الى تلك اللذات
والاقبال عليها دخول النار والانتهاء اليها كانت غاية عرضية الرابع
التنبيه على التوبة قبل الموت وهو قوله افلا تايب من خطيئته قبل منيته
ولا شك انها تجب ان تكون متقدمة على الاعمال لانك علمت ان التوبة هي
انزجار النفس العاقلة عن متابعة النفس الامارة بالسوء الجاذب الحق
التطبعت معه على قبح ما كانت عليه من اطباع شياطينها وهو من مقام
الزهد والتخلي وقد علمت في بيان كيفية السلوك الى الله تعالى ان مقام التخلية
مقدم على مقام التحلية فكان الامر بها مقدما على الامر بسائر الطاعات
الخامس التنبيه على العمل للنفس قبل يوم البوس والاشارة به الى ما بعد
الموت والعذاب اللازم للنقصان اللازم عن التقصير في العمل اذ الواصل
الى يوم بوسه على غير عمل اسير في يد شياطينه وقد علمت ان غاية الاسير
تقاد في يد الشيطان دخول النار والحجب عن تقارب العالمين ولما كان
العمل هو المعين على قهر الشيطان والمخلص من اسره نبه عليه ثم اردف با
التنبيه على وجود الزمان الذي يمكنهم فيه العمل وهو ايام امالهم للعمل و
غيره وعلى ان ذلك الزمان منقطع بلحوق الاجل ثم اردفه ببيان فايدة العمل
في ذلك الزمان وهي المنفعة بالثواب في الاخرة وما يلزمها من عدم مضرة
الاجل وتبيان ثمرة التقصير في العمل فيه وهي خسران العمل المستلزم لمضرة
الاجل واحسن باستعارته عليه السلم لفظ الخسران لفوات العمل فان الخسران
في البيع لما كان هو النقصان في راس المال او ذهاب جملته وكان العمل

هو راس مال العامل الذى به يكتسب الكمال والسعادة الاخروية لاجرم
حسن استعارة لفظ الخسران لعدم العمل واما استلزام المنفعة لعدم مضرة
الموت واستلزام الخسران لمضرته فهو ايضا ظاهر اذ كان الكامل فى قوته
المعرض عن متاع الدنيا غير ملتفت اليها بعد المفارقة فلم يحصل له بسببها
تعذيب فكانت المضرة منفية عنه وكان المقصر عن الاستكمال فيهما
من ضرورة طباعه الميل الى اللذات الحسية فاذا قصر عن العمل والعلم ضروره
بطاعة الله الجاذبه اليه فلابد وان يستعد لحضور الاجل اذ كان العراقا
طعا الزمان الاستكمال وحايلا بين الانسان وبين ما هو معشوق له من
حاضر اللذات **السادس** التنبيه على وجوب التسوية للعامل بين
العمل فى الرغبه والعمل فى الرهبه وفيه شمة للتوبيخ للعبد على غفلته
عن ذكر الله واعراضه عن عبادته فى حال صفاء اللذات الحاضرة له
ولجايه اليه وفزعه عند نازلة ان نزلت به فان ذلك ليس من شان
العبودية الصادقة لله والى مثل هذا التوبيخ اشار التنزيل الالهى بقوله
واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم
وكان الانسان كفورا وغيره من الايات بل من شان العابد لله القاصد
له ان يتساوى عبادته فى ازمان شدته ورخايه فيقابل الشدة بالصبر
والرخاء بالشكر وان يعبده لا للرغبة ولا للرهبه وان عبده فيهما
**السابع قوله** الا وانى لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار
نام هاربها واعلم ان الضمير فى قوله طالبها وهاربها يعودان الى المفعول
الاول لرايت المحذوف المشبه فى الموضعين والتقدير لم ار نعمة كالجنة
نام طالبها ولا نقمة كالنار ونام فى محل النصب مفعولا ثانيا ومقصود هذا
الكلام انه نفى علمه بما يشبه الجنه وما يشبه النار ولم ينف علمه بذات
ذلك الشبيه بل علمه به من جهة الشبه وهى نوم الطالب والهارب والذى
استدعت ارى بمعنى اعلم هنا مفعولين اى لم ار نعمة كالجنة لصفة نوم
الطالب فنبه على وجه الشبه بقوله نام طالبها ثم نفى للشبيه من كل
الجنة وكذلك قوله ولا كالنار لصفة نوم هاربها والمفعول الثانى
فى الجملتين صفة جارية على غير من هى له وهو تنبيه للموقنين بالجنة

والنار

والنار على كونهم نايمين فى مراقد الطبيعة ليتنبهوا منها ويتيقظوا للاستعداد با
العمل التام لما وراءهم مرغوب ومرهوب وفيه شمية التعجب من جمع الموقن بالجنة
والنار بين علمه بما فى الجنة من تمام النعمة وتقصيره عن طلبها بما يؤدى اليها من
الاعمال الصالحه وجمع الموقن بالنار بين علمه بما فيها من عظيم العذاب وبين تقصيره
وغفلته عن الهرب الى ما يخلص منها من ذلك **الثامن** قوله الا وانه من لم ينفعه
الحق يضره الباطل فالجمهور فانه ظهر الشان واراد بالحق الاقبال على الله بلزوم
الاعمال الصالحة المطابقه للعقايد المطابقه وبالباطل الالتفات عنه الى غيره ذكر
فى الاخرى نفعا فى الاخرة وهو تنبيه على استلزام عدم منفعة الحق المضرة للباطل
فى صورة شرطية متصلة وبيان الملازمه فيها ظاهر فان وجود الحق مستلزم لمنفعه
فعدم منفعته اذن مستلزم لعدمه وعدمه مستلزم لوجود الباطل لان اعتقاد المكلف
وعمله اما ان يطابقا اوامر الله تعالى او ليس والاول هو الحق والثانى هو الباطل و
ظاهر ان عدم الاول مستلزم لوجود الثانى ثم ان وجود الباطل مستلزم لمضرته
فيظهر بهذا البيان ان عدم منفعة الحق مستلزمة لوجود مضرة للباطل واذا ثبت
ذلك فنقول مراده عليه السلم المشورة بلزوم الحق المستلزم لمنفعته ولنفى الباطل
المستلزم لعدم مضرته فان لزوم الطاعة لله بامتثال اوامره والاقبال عليه مستلزم
للوصول الى جواره المقدس والالتفات الى ما عداه المعبر عنه بالباطل مستلزم للنقصان
الموجب للتخلف عن السابقين والهوى فى درك الهالكين وذلك محض المضرة
فظهر اذن سر قوله عليه السلم انه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن غفله
بعض من يدعى العلم عن بيان هذه الملازمه ذهب الى ان الوعيدات الواردة فى
الكتب الالهيه انما جاءت للتخويف دون ان يكون هناك شقاوة للعصاة محتجا
على ذلك بتمثيلات خطابيه عن مشهورات فى بادى الراى اذا تعقبها النظر زالت
شهرتها **التاسع** ومن لا يستقيم به الهدى يجتر به الضلال الى الردى اراد بالهدى
نور العلم والايمان وبالضلال الجهل والخروج عن امر الله والمعنى ان من لم يكن
الهدى دليله القايد له بزمام عقله فى سبيل الله ويستقيم به فى سلوك صراطه
المستقيم فلابد وان ينحرف به الضلال عن سواء الصراط الى احد جانبى التفريط والافراط
وملازمة هذه الشرطية ايضا ظاهرة لان وجود الهدى لما استلزم وجود استقامته
بالانسان على سواء السبيل كان عدم استقامة الهدى به مستلزما لعدم

الهدى المستلزم للجور بالانسان الى مهاوى الردى والعدول به عن الصراط المستقيم
الى سواء الجحيم للعاشر قوله الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد و
هو تنبيه على ملاحظة الاوامر الواردة بالظعن لقوله ففروا الى الله انى لكم منه نذير و
بشير وكقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وعلى الامر باتخاذ الزاد كقوله
تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واحسن باستعارة الظعن للسفر الى الله
واستعارة الزاد لما تقرب اليه ووجه الاستعارة الاول ان الظعن لما كان عبارة
عن قطع المراحل المحسوسة بالرحل والجمل ونحوه فكذلك السفر الى الله عبارة عن قطع المراحل
المعقولة بقدم العقل ووجه الثانية ان الزاد لما كان انما يعد ليتقوى به البدن
على الحركة الحسية وكانت الامور المقربة الى الله تعالى مما يقوى به النفس على الوصول
الى الجناب المقدس كان ذلك من اتم المشابهة التى يقرب معها اتخاذ المتشابهين
وبحسب قوة المشابهة يكون حسن الاستعارة للتنبيه على احوف الامور الحادي عشر
التى ينبغى ان تخاف لتجتنب وهما الجمع بين اتباع الهوى وطول الامل وسنذكر
عليه السلم هذا الكلام فى موضع اخر مع ذكر علة التحذير من هذين الامرين وتوضيح
معناه هناك ان شاء الله ويكفى هنا ان يقال انما حذر منهما عقيب التنبيه على الظعن
والامر باتخاذ الزاد لكون الجمع بينهما مستلزما للاعراض عن الاخرة فيكون مستلزما
لعدم الظعن وعدم اتخاذ الزاد فخوف منهما ليجتنبا فيحصل مع اجتنابهما الاقبال
على اتخاذ الزاد والاهبة للظعن ولذلك اردف التخويف منهما بالامر باتخاذ الزاد
فى قوله من الدنيا فى الدنيا لطف فان الزاد الموصل الى الله تعالى اما علم او عمل و
كلاهما يحصلان من الدنيا فى الدنيا اما العمل فلانه عبارة عن حركات وسكنات
يستلزم هيئات مخصوصة انما يحصل بواسطة هذا البدن وكل ذلك من الدنيا
فى الدنيا واما العلم فلان الاستكمال به انما يحصل بواسطة هذا البدن ايضا اما بواسطة
الحواس الظاهرة او الباطنة وتفطن النفس لمشاركات بين المحسوسات و
مباينات بينها وظاهر ان ذلك من الدنيا فى الدنيا واشار بقوله ما تحرزون
به انفسكم غدا الى ان كل زاد اعد به الانسان نفسه للوصول الى جوار الله فقد احرز
به من عذابه وحفظ به نفسه يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد اشتمل هذا الفصل
على استدراجات لطيفة لانفعالات عن اوامر الله وزواجره واذا تاملت اسلوب
كلامه عليه السلم وراعيت ما فيه من فخامة الالفاظ وجزالة المعانى المطابقة

البراهين

للبراهين العقلية وحسن الاستعارات والتشبيهات ومواقعها وخفة ترتيب
اجزائه ووضع كل مع ما يناسبه وجدته لا يصدر الا عن علم لدنى وفيض ربانى
واطلعك على الفرق بين كلامه عليه السلم وكلام غيره والتمييز بينهما بسهولة
بالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم

اقول
ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم
روى ان السبب فى هذه الخطبة هو غارة الضحاك بن قيس بعد قصة الحكمين
وعزمه على المسير الى الشام وذلك ان معاوية لما سمع باختلاف الناس على على عليه
السلم وتفرقهم عنه وقتله من قتل من الخوارج بعث الضحاك بن قيس فى نحو من اربعة
الاف فارس واوعز عليه بالنهب والغارة فاقبل الضحاك يقتل وينهب حتى مر بالثعلبية
فاغار على الحاج فاخذ امتعتهم وقتل عمرو بن عميس بن مسعود ابن اخى عبد الله بن مسعود
صاحب رسول الله وقتل معه ناسا من اصحابه فلما بلغ عليا عليه السلم ذلك استصرخ على
اطراف اعماله واستنفر رجال الكوفة لقتاله وراى منهم تعاجزا وفشلا فخطبهم هذه
الخطبة ولنرجع الى المتن فالاهواء الاراء والوهى الضعف وليت وكيت كناية عن الحديث
وحاد عن الامر عدل عنه قال الجوهرى قولهم حيدى حياد كقولهم فيحى فياح ونزال
نزال اسم للغارة كقطام فحياد ايضا اسم لها والمعنى اعدلى عنا ايتها الحرب ويحتمل ان
يكون حياد من اسماء الافعال كنزال فيكون قد امر بالتنحى مرتين بلفظين مختلفين والاباطيل
واضاليل جمع اضلال واضلال وهما جمع على الاسم لما يشتغل به من فرض غيره وهى اسم
من الضلال لفعل الباطل والمطول كثير المطال وهو تطويل الوعد وتسويفه والجد الاجتهاد
والاخيب اشد خيبة وهى الحرمان والافوق السهم المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه
والناصل الذى لا نصل فيه والمقصود اليه عليه السلم شنعهم على ما يستقبح فى الدين وعلى
عادة حسن السيرة من احوالهم واقوالهم وافعالهم اما احوالهم فاجتماع ابدانهم مع تفرق
ارائهم الموجب لتخاذلهم عن الذب عن الدين والمفرق لشمل مصالحهم واما اقوالهم
فكلامهم الذى يضعف عند سماعه القلوب الصلبة الثابتة ويطمع سامعه ان تحته
نجدة وثباتا وهو قولهم مثلا فى مجالسهم انه لا محل لخصومنا وانا سنفعل بهم كذا و
سيكون منا كذا وامثاله واستعار لفظ الصم للصلاب من اوصاف الحجارة للقلوب
التى يضعف من سماع كلامهم كما شبه القران الكريم بها فهى كالحجارة او اشد قسوة
واما افعالهم فهو يعقب هذه الاقوال عند حضور القتال ودعوتهم الى الحرب

بالتخاذل وعدم التناصر والتقاعد عن اجابة داعي الله وكراهيه للحرب والفرار
عن مقاتلة العدو وكذا بقوله حيدي حياد عن ذلك وهي كلمة كانت يستعملها
العرب عند الفرار ثم اردف ذلك بما العادة ان يالف منه من يطلب الانتصار
به على وجه التضجر منهم عن كثرة تقاعدهم عن صونه وذلك قوله ما عزت
دعوة من دعاكم المستلزم للحكم بذله داعيهم ولا استراح قلب من قاساكم المستلزم
للحكم بتعبه وقوله اعاليل باضاليل خبر مبتدا محذوف اى واذا دعوتكم الى القتال
تعللتم وهي اعاليل باطلة ضالة عن سبيل الله وسالتموني التاخير وتطويل المدة دفاعا
و قوله دفاع ذى الدين المطول يحتمل ان يكون تشبيها لدفاعهم له
بدفاع ذى الدين فيكون منصوبا بحذف الجار ويحتمل ان يكون قد استعار دفاع
ذى الدين المطول لدفاعهم ووجه الاستعارة ان المدين المطول ابدا مشتغل لعدم المطالبه
وتوحي نفسه ان لا اداء عزمه فكذلك هم عليه السلم منهم انهم كانوا يحبون ان لا يعرض
لهم بذكر القتال ولا يطالبهم به فاستعار لدفاعهم الدفاع المذكور لمكان المشابهة
ثم نبههم على قبح الذل ليبعثوا الى فضيلة الشجاعة بذكر بعض لوازمه المنفرة وهو ان
صاحبه لا يمكن من دفع الضيم عن نفسه وعلى قبح التواني والتخاذل بانه لا يدرك الا
شان حقه الا بعد ذلك وهو الجد والتشمير في طلبه ثم اعقب ذلك بالسؤال على جهة
الانكار والتقريع عن تعيين الدار التي ينبغي لهم حمايتها بعد دار الاسلام التي لا نسبه
لغيرها اليها في العزة والكرامة عند الله ووجوب الدفع عنها والتي هي موطنهم
ومحل دولتهم وكذلك قوله ومع اى امام بعدى يقاتلون وفيه تنبيه
لهم على افضليته وما وثق به من اخلاص نفسه لله في جميع حركاته وتثبيته لهم
على طاعته اذ كان عليه السلم يتوهم في بعضهم الميل الى معوية والرغبة فيما عنده من
الدنيا ثم اردف ذلك بذم من اغتر بكلامهم ونسبته الى الغرور والغفلة ثم بالا
خبار عن سوء حال من كانوا حزبه ومن يقاتل بهم اما الاول فهو قوله المغرور
والله من غررتموه والمقصود بالحقيقة ذمهم وتوبيخهم على خلف المواعيد والمماطلة
بالنفار الى الحرب لانه انما ينسب من وثق بهم الى الغرور بعد خلفهم في وعدهم له با
النهوض معه وجعله المغرور مبتدا ومن خبره ابلغ في اثبات العزة لمن اغتروا بهم
من العكس لاقتضاء الكلام اذن انحصار المغرور في من اغتر بهم ولا كذلك لو كان
من مبتدا واما الثاني فهو قوله ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم

فقد رمى بافوق ناصل وقد شبه نفسه وخصومه كاللاعبين بالميسر والحظ
شبه حصولهم في حقه بخروج احد السهام الخايبة التي لا غنم لها كالاوغاد او
الذي فيها غرم كالتي لم تخرج حتى استوفيت اجزاء الجزور فحصل لصاحبها
غرم وخيبة فلاجل ملاحظة هذا الشبه استعار لهم لفظ السهم بصفة الاخيب
واطلاق الفوز هنا مجاز في حصولهم له من باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر
كتسمية السيئة جزاء وكذلك لاحظ المشابهة بين رجال الحرب وبين السهام في
كون كل منهما عدة للحرب ودفع العدو ولاحظها ايضا بين اوساطهم في الحرب
وبين الرمي بالسهام فلاجل ذلك استعار اوصاف السهم من الافوق والناصل و
استعار لفظ الرمي لمقابلته بهم ثم خصصهم بادرا اوصاف السهم التي يبطل
معها فايدته لمشابهتهم ذلك السهم في عدم الانتفاع بهم في الحرب وكانه ايضا خصص
بعثه لهم على الحرب باستعارة الرمي بالسهم الموصوف لزيادة التشبيه وهو عدم
انبعاثهم عن امره وتجاوزهم اوطانهم كالرمي بالسهم الذي لا فوق له فانه لا يكاد
يتجاوز عن القوس مسافة وهو من لطايف ملاحظات المشابهة والاستعارة
عنها والغرض من جملته في حزبه فالخيبة حاصلة له فيما يطلب بكم ومن قاتل
بكم عدوه فلا نفع له فيكم ثم اردفه بالاخبار عن نفسه بامور نشات عن اساءة
ظنه بهم وعدم وثوقه باقوالهم لكثرة خلفهم ومواعيدهم الباطلة بالنهوض
معه وهي انه لا يصدقهم لانه من اكثر من شيء عرف به ومن امثالهم ان الكذوب
لا يصدق وانه لا يطمع في نصرهم وانه لا يوعد بهم عدوهم اذ كان في وعيده بهم
مع طول تخلفهم وشعور العدو بذلك مما يوجب جراته وتسلطه واهانته
من المقاومة ثم اردفه بالاستفهام على سبيل الاستنكار والتقريع عن
حالهم التي يوجب لهم التخاذل والتصامم عن ندايه وهو قوله ما
بالكم ثم عن دوايهم الصالح للمرض الذي هم فيه ثم عن كيفية علاجهم منه بقوله
ما دواركم ما طبكم وقيل اراد بقوله ما طبكم اى ما عادتكم والاول اظهر
الباقى ثم نبههم على ما عساهم يتوهمونه من قوة خصومهم وبأسهم بانهم رجال
امثالكم في الرجولية التي هي مظنة الشجاعة والبأس فلا مزية لهم عليكم
فلا معنى للخوف منهم ثم عاد الى سؤالهم على جهة التقريع وتنبيههم به على امور
لا ينبغي صدورها عنهم مستحقة في الشريعة والعادة فالاول قوله اقولا بغير علم

وهو اشارة الى ما يعدونه به من النهوض الى الحرب ثم لا يفعلون فذكر
بقوله تقولا بغير علم تذكيرا لهم بما يستلزم ذلك من المقت عند الله كما
اشعر الله به في القران الكريم لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان
تقولوا ما لا تفعلون وعلى الرواية الثانية وهي تقولا بغير علم اي تقولون
بالسنتكم ما ليس في قلوبكم ولا يعتقدونه وتحرمون به من انا سنفعل كذا وكذا
ويحتمل ان يكون معناه انكم تقولون انا مخلصون لله وانا مسلمون ولا تعملون
شرائط الاسلام والايمان وثانيها عن غفلتهم التي ليست عن ورع وهي عدم تعلقهم
للمصالح التي ينبغي ان يكونوا عليها وهي طرف التفريط من فضيلة الفطانة وهي
بخلاف الغفلة مع الورع فان تلك نافعة في المعاد اذ كان الورع عبارة عن
لزوم الاعمال الجميلة المستعدة في الاخرة فالغفلة معه عن الامور الدنيوية
والمصالح المتعلقة بجزئياتها ليست بضائرة بل ربما كانت سببا للخلاص من
عذاب ما في الاخرة وثالثها عن طمعهم في غير حق اي في ان ينفلهم ما لا يستحقونه
لينهضوا معه ويجيبوا دعوته وكان عليه السلم عقل من بعضهم ان احد اسباب
تخلفهم عن ندايه انما هو طمعهم في ان يوفر عطياتهم او يزيدهم زيادة على ما يستحقون
كما فعل غيره مع غيرهم فاشار الى ذلك ونبههم على قبحه من حيث انه طمع في غير
حق والله اعلم ومن كلام له عليه السلام
في معنى قتل عثمان لو امرت به لكنت قاتلا او نهيت عنه لكنت ناصرا
غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول خذله من انا خير منه الى اخره
اقول المستاثر بالشيء المستبد به ومقتضى هذا الفصل
تبرؤه عليه السلم من الدخول في دم عثمان بامر او نهي كما نسبه اليه معاوية
وغيره فقوله لو امرت به لكنت قاتلا قضية شرطية بين فيها لزوم
كونه قاتلا لكونه امرا وهذا اللزوم عرفي اذ يقال في العرف للامر بالقتل قاتل
وللامر شريك الفاعل في اللغة هو المباشر للفعل والذي صدر عنه وكذلك بين
في قوله او نهيت عنه لكنت ناصرا لزوم كونه ناصرا لكونه ناهيا وهو ظاهر
وقد عرفت ان استثناء نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم واللازمان
في هاتين القضيتين هما القتل والنصرة ومعلوم ان القتل لم يوجد منه عليه السلم
بالاتفاق فان غاية ما نسب الخصم ان قعوده عن نصرته دليل على ارادته

لقتله

لقتله وذلك باطل لان القعود عن النصرة دليل ارادة القتل لكن ارادة القتل
ليس بقتل فان كل من يحب قتل خصمه لكن لا يكون بذلك قاتلا وكذلك ظاهر
كلامه يقتضي ان النصرة لم توجد منه واذا انتفى اللازمان استلزما نفي
امره بقتله ونهيه عنه ويحتمل ان يريد في القضية الثانية استثناء عين
مقدمها لينتج عين تاليها اي لكني نهيت عنه فكنت ناصرا الا انه لا يخلو اما ان
يكون مرتكب المنكر هو عثمان او قاتليه وعلى التقديرين فيجب على علي عليه السلم
القيام بالانكار اما على عثمان بالمساعدة عليه ان كان هو مرتكب المنكر او على
قاتليه بالانكار عليهم النصرة فقعوده عن احد الامرين يستلزم الخطا لكنه
لم يخطئ فلم يكن تاركا لاحد الامرين فلا يثبت التبري والجواب البري من
العصبية في هذا الموضع ان عثمان احدث احداثا نقمها جمهور الصحابة عليه وقاتلوه
لاحداثه واحدثها يجب انكاره اما عثمان فلم يثبت في نظر علي عليه السلم الحد يستحق
بها القتل وانما استحق في نظره ان ينبهه عليها فلذلك ورد في النقل انه انكرها
عليه وحذره من الناس غير مرة فان صح ذلك النقل ثبت انه انكرها عليه حال حدثه
لكنه لا يكون بذلك داخلا في دمه لاحتمال انه لما حذره الناس ولم ينبه اعتزله
وان لم يثبت ذلك النقل فالانكار ليس من فروض الاعيان بل من فروض الكفايات
اذا قام به البعض سقط عن الباقين وقد ثبت ان جمهور الصحابة انكروا
تلك الاحداث من عثمان فلا يتعين وجوب الانكار على علي عليه السلم واما احداث
قاتليه فهو قتله فان ثبت انه عليه السلم ما انكر عليهم قلنا ان من جملة شروط
انكار المنكر لمن يعلم المنكر ويغلب على ظنه قبول قوله او يمكنه من الدفع
بيده لمعلقه عليه السلم علم من حالهم انه لا يفيد انكاره معهم والظاهر ان الامر
كان كذلك اما عدم فايدة انكاره بالقول معهم فلانه نقل عليه السلم انه
كان يعد الناس باصلاح الحال بينهم وبين عثمان وازالته ما نقموه عليه و
تكرر منه وعده لهم بذلك ولم يتمكن منه والظاهر انهم بعد تلك المواعيد لا يلتفتون
الى قوله واما انكاره بيده فمعلوم بالضرورة ان الانسان الواحد والعشرة
لا يمكنهم دفع الجمع العظيم من عوام العرب ورعاعهم خصوصا عن طباع ثارت
وتالفت وجمعها اشتد حامع وهو ما نسبوه اليه من تفرقه مال المسلمين الذي
قوام صورتهم سواء كان ما نسبوه اليه حقا او باطلا ثم من المحتمل ان يكون

فقد يكون الاسباب لتخلف كما [illegible] [illegible] التعود عن النصرة [illegible]

قد غلب على ظنه انه لو قام في نصرته لقتل معه ولا يجوز للانسان ان يعرض
نفسه للاذى والقتل في دفع بعض المنكرات الجزئية واما ان ثبت انه انكر عليهم
كما نقل حملنا ذلك النفي على نفيه لعم حال اجتماعهم لقتله قبل حال قتله وكان قوله
ولو نهيت عنه لكنت ناصرا دالا على عدم النهي من قتله حال قتله لعدم تمكنه من
ذلك وعدم افادته قوله قال بعض الشارحين هذا الكلام ظاهره يقتضي انه
ما امر بقتله ولا نهى عنها قلت هذا سهو لان التبري من الامر بالبتي والنهي عنه
غاية ما يفهم منه عدم الدخول فيه والسكوت عنه ولا يلزم من ذلك الحكم بانه من
الامور المباحة لاحتمال ان اعتزاله هذه الامر كان لاحدما ذكرناه وبالجملة فان اهل
التحقيق متفقون على ان السكوت عن الامر لا يدل على حال الساكت بمجرده وان
دل بقرينة اخرى وهما يدل على انه كان متبريا من الدخول في دم عثمان
بامر او نهي ما نقل عنه لما سيل اساءك قتل عثمان ام سرك فقال ما ساءني ولا
سرني وقيل له ارضيت بقتله فقال لم ارض فقيل اسخطت قتله فقال لم اسخط
وهذا كله كلام حق يستلزم عدم التعرض بامره فان من اعرض عن شي ولم يرض
منه يصدق لمن يقول اني لم اسخط به ولم ارض ولم اساءبه ولم اسر فان السخط
والرضا والاساءة والسرور حالات تتوارد على النفس باسباب تعلق بها فخالع
تلك الاسباب عن نفسه في امر من الامور كيف يعرض له احد هذه الحالات فيه
فان قلت ان كان قتل عثمان منكرا كان مستلزما لسخطه عليه ومساته منه
وقد نقل عنه انه لم يسخط له وذلك يقتضي احد امرين احدهما انه عليه السلم لم يسخط
للمنكر وهو باطل بالاتفاق الثاني ان قتل عثمان لم يكن عنده منكرا والتقدير انه
منكر قلت ان قتل عثمان يستلزم سخطه لكن لا من حيث انه قتل عثمان بل من جهة
كونه منكرا والمنقول انه لم يسخط لقتل عثمان ولا اساءه ذلك اي من جهة كونه
قتل عثمان وذلك لا ينافي ان يسوءه ويسخطه من جهة كونه منكرا وفي الجواب غموض
فليتفطن له ولاجل اشتباه هذه الحال حبط الجهال وفيها يقول شاعر اهل الشام

وما في علي لمستعتب مقال سوى صحبة المحدثينا
وايثاره اليوم اهل الذنوب ورفع القصاص عن القاتلينا
اذا سيل عنه حذا شبهة وعمى الجواب على السايلينا
فليس براض ولا ساخط ولا في النهاة ولا الامرينا

ولا

ولا هو ساه ولا سره ولا بد من بعض ذا ان يكونا

فاما تفصيل الاعتراضات والاجوبة في معنى قتل عثمان وما نسب الى علي من
ذلك فمبسوط في كتب المتكلمين كالقاضي عبد الجبار وابي الحسين البصري و
السيد المرتضى وغيرهم فلا نطول بذكرها وربما اشرنا الى شي من ذلك فيما بعده
و قوله غيراني من نصره لا يستطيع الى قوله خير مني فاعلم
ان هذا الفصل ذكره عليه السلم جوابا لبعض من انكر تخلفه عليه السلم وقعوده من تقعد
عن نصرة عثمان وجعلهم منشا الفتنة وقال فانهم لو نصروه وهم اكابر الصحابة
لما اجترى عليه طغام الامة وجهالها وان كانوا ارادوا ان قتله وقتاله هو الحق
فقد كان يتعين عليهم ان يعرفوا للناس ذلك حتى يرتفع عنهم الشبهة وفهم عليه
السلم ان القايل بعينه بذلك فاجاب بهذا الكلام تلويحا لا تصريحا اذ كان في
محل يلزمه التوقي فقرر اولا انه ما امر في ذلك الامر ولا نهى ثم عاد الى الاستثناء
فقرر في حاشيتي القضيتين ان الذين خذلوه كانوا افضل من الناصرين له اذ لا
يستطيع ناصروه كمروان واشباهه ان يفضلوا انفسهم على خاذليه كعلي بن عم
المنكر وطلحة وساير اكابر الصحابة اذ العقل والعرف يشهد بافضليتهم وكذلك
لا يستطيع الخاذلون ان يفضلوا الناصرين على انفسهم اللهم الا على سبيل التوا
ضع ولبس الكلام فيه فكانه عليه السلم سلم تسليم جدل انه دخل في امر عثمان و
كان من الخاذلين له ثم اخذ في الرد على المنكر بوجه اخر فقال غير ان المتلبس
اي من خذله لكن الخاذلون له افضل من الناصرين واثبت هذه المقدمة
بما بين القضيتين وحذف الثانية للعلم بها وتقديرها والافضل يجب على من علم
اتباعه والاقتداء به فنسج هذا القياس انه كان يتعين على من نصره ان يسع
من خذله وهذا عكس اعتقاد المنكر وقال بعض النقاد ان هذه كلمة
قرشية والا دب ذلك انه عمى على الناس في كلامه ولم يرد التبري من امره وانما
اراد ان الخاذلين لا تلحقهم المفضولية بكونهم خاذلين وان الناصرين له
لا يلحقهم الافضلية بنصرته والذي ذكره بعيد الفهم من هذا الكلام ويمكن ان
يحمل على وجه اخر وذلك انه انما قرر افضلية الخاذلين على الناصرين
ليسلم هو من التخصيص بالملامة في القعود عن النصرة فكانه قال واذا كان
الخاذلون له افضل ممن نصره تعين عليهم السوال عن التخلف وان يستشهد

عليهم لحال الناصرين له مع كونهم مفضولين فلم حصلت الا ثنية من
بينهم والمطالبة بدمه لولا الاغراض الفاسدة و **قوله**
وانا جامع لكم امره الى قوله الاثرة اشار عليه السلام في هذا اللفظ
الوجيز اجمالا الى ان كل واحد من عثمان وقاتليه كان على طرفي الافراط
من فضيلة العدالة اما عثمان فاستيثاره واستبداده برايه مما لا وافقه
شركاؤه فيه والخروج في ذلك الى حد الافراط الذي يشتد معه نظام
الخلافة عليه وادى الى قتله واما قاتلوه فلخروجهم في الجزع من فعله
الى طرف التفريط عما كان ينبغي لهم من التثبت وانتظار اصلاح الحال
بينهم وبينه بدون القتل حتى استلزم ذلك الجزع ارتكابهم لرذيلة
الجور في قتله فكذلك كان فعله اشارة للاستيثار وفعلهم اساءة للجزع
وقيل اراد انكم اسأتم الجزع مع علمه بعد قتله وقد كان ينبغي منكم الجزع
له قبل قتله و **قوله** ولله حكم واقع في المستاثر و
الجازع المفهوم من ذلك انه يريد بالحكم الواقع لله في المستاثر هو
الحكم المقدر اللاحق لعثمان بالقتل المكتوب بقلم القضاء الالهي في اللوح
المحفوظ وفي الجازع هو الحكم اللاحق لقاتليه من كونهم قاتلين او قاتلين و
جازعين وفي نسبة هذه الاحكام الى الله تعالى تنبيه على تبرؤه من الدخول
في امر عثمان وقاتليه بعد الاشارة الى السبب المعد لوقوعها في حقهم وهو الاشارة
في الاستيثار والجزع ويحتمل ان يريد الحكم في الاخرة اللاحق لكل واحد من
ثواب او عقاب عن ما ارتكبه من خطاء او صواب كما قال تعالى فالله يحكم
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيجزي كلا لما يستحقه من سعادة
او شقاوة

## ومن كلام له عليه السلام

لما انفذ عبد الله بن عباس الى الزبير قبل وقوع حرب الجمل لا تلقين
طلحة الى اخره **اقول** يستفيئه اي يسترجعه من
فار اذا رجع وفي رواية ان تلقه تلقه من للغيبة على كذا اذا وجدته
عليه والعقص الاعوجاج وعقص الثور قرنيه بالفتح متعد وعقص
قرنه بالكسر لازم والصعب الدابة الجموح الشغبة والذلول السهل
الساكنة والعريكة فعيل بمعنى مفعول والتاء لنقل الاسم من الوصفية

الى الاسمية

الى الاسمية الصرفة واصل العرك دلك الجلد بالدباغ وعنده وعدا
جاوز وبدا ظهر واعلم انه عليه السلام لما نهى ابن عباس عن لقاء طلحة
بحسب ما راى في ذلك من المصلحة نبه على علة وجه نهيه عنه بقوله
فانك ان تلقه تجده كذا وقد شبهه بالثور واشار الى وجه الشبه بعقص
القرن فاستعار لفظ القرن وكنى عن شجاعته ولفظ العقص لما يتبع
تحاكيه بالقوة والشجاعة من منع الجانب وعدم الانقياد تحت طاعة الغير
اللازم عن الكبر والعجب بالنفس الذي قد يعرض للشجاع ووجه الا
ستعارة الاول ان القرن آلة القوة للثور ومنع ما يراد به عن نفسه كذلك
الشجاعة يلزمها الغلبة والقوة ومنع الجانب ووجه الاستعارة الثا
نية ان الثور عند ارادة الخصام يعقص قرنيه اي يرخي راسه ويعطف
قرنيه ليصوبهما الى جهة خصمه ويقارن ذلك منه نفخ صادر عن توهم
غلبته لمقاومة وشدته عليه وانه لا قدر له عنده كذلك المشبه ها
هنا علم منه عليه السلام انه عند لقاء ابن عباس له يكون مانعا جانبه متهيئا
للقتال مقابلا بالخشونة وعدم الانقياد له الصادر عن عجبه بنفسه
وغروره بشجاعته فلذلك حسن التشبيه ويحتمل ان يكون وجه التشبيه
هو التواء طلحة في ارائه والخلاف عنه عليه السلام التشبيه بالتواء القرن
وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس ويقال ان الكبر الذي تداخل طلحة لم
يكن فيه قبل يوم احد وانما حدث به في ذلك اليوم وذلك انه ابلى فيه
بلاء حسنا ثم اشار على ابن عباس بلقاء الزبير واشار له الى وجه الراي
في ذلك وهو كونه الين عريكة وكنى بالعريكة عن الطبع والخلق كناية
بالمستعار فيقال فلان لين العريكة اذا كان سهل الجانب لا يحتاج
فيما يراد منه الى تكلف مجاذبة قوية كالجلد اللين الذي يسهل عركه
وفلان شديد العريكة اذا كان بالضد من ذلك وظاهر ان الزبير
كان سهل الجانب فلاجل ذلك امره بلقائه لما عهد من طبيعته انها اقبل
للاستدراج واقرب الى الانفعال عن الموعظة وتذكر الرحم واحسن
بهذه الاستمالة بذكر النسب المستلزم تصوره للميل والانعطاف من
الطباع السليمة ونحوه قوله تعالى حكاية قول هرون لموسى عليهما

السلام

١٥

قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتى ولا براسى قال يا ابن ام ان القوم استضعفو
فان فيه من الاستقالة والاستعطاف ما يجذ به حتى لاخره فما بدعوا الى عطفه
عليه ما لا يوجد فى كلام اخر فانما كون على عليه السلم ابن خال الزبير فلان ابا طالب
وصفيه ام الزبير من اولاد عبد المطلب ابن هاشم و قوله فما عدا
مما بدا قال ابن ابى الحديد عدا بمعنى صرف ومن هاهنا بمعنى عن ومعنى الكلام
فما صرفك عما كان بدا منك اى ظهر اى ما الذى صدك عن طاعتى بعد اظهارك لها
وحذف الضمير المفعول كثير كقوله تعالى وسل من ارسلنا قبلك من رسلنا اى ارسلنا
قبلك
وقال قطب الراوندى له معنيان احدهما ما الذى منعك مما كان
قد بدا منك من البيعة قبل هذه الحالة الثانى ما الذى عاقك من البدا الذى يبدو
للانسان ويكون المفعول الثانى لعدا محذوفا يدل عليه الكلام اى ما عداك يريد
بدا ما شغلك وما منعك عما كان بدا لك من نصرتى قال ابن ابى الحديد ليس
فى الوجه الثانى مما ذكره القطب زيادة على الوجه الاول لا زيادة فاسدة اما
انه لا زيادة فلانه فسر عدا فى الوجهين بمعنى منع وفسر قوله مما كان بدا منك
فى الوجهين ايضا بتفسير واحد فلم يبق بينهما تفاوت واما الزيادة الفاسدة فظنه
ان عدا يتعدى الى مفعولين وهو باطل باجماع النحاه واقول الوجه
الذى ذكره ابن ابى الحديد هو الوجه الاول من الوجهين اللذين ذكرهما الراوندى
لان الصرف والمنع لا كثير تفاوت بينهما وان كان قد يتوهم ان المنع اعم واما
اعتراضه عليه بانه لا فرق بين الوجهين اللذين ذكرهما فهو سهو عليه لان معنى
بدا فى الوجه الاول معنى ظهر للناس منك من البيعة لى ومراده به فى الثانى ما
ظهر لك من الراى من نصرتى وطاعتى وفرق بين ما يظهر من الانسان لغيره
وبين ما يظهر له من نفسه او من غيره واما ذكر انه زيادة فاسدة فالاظهر
ان لفظة الثانى فى قوله المفعول الثانى زيادة من قلمه او قلم الناسخ سهوا
ويؤيده اظهاره للمفعول الاول تفسير القوله ويكون المفعول لعدا محذوفا
ثم اقول وهذه الوجوه وان احتملت ان يكون تفسيرا الا ان فى
كل واحد عدولا عن الظاهر من وجه اما الوجه الذى ذكره المداينى فلانه
لما حمل عدا على حقيقتها وهى المجاوزة وحمل ما بدا على الطاعة السابقة
احتاج ان يجعل من بمعنى عن وهو خلاف الظاهر واما الراوندى فانه

فسر عدا بمعنى منع او عاق وشغل وحمل ما بدا على الطاعة السابقة او على البيعة
ولا يتم ذلك الا ان يكون من بمعنى عن والحق ان يقال ان عدا بمعنى جاوز ومن
بيان للجنس والمراد ما الذى جاوز بك عن بيعتى مما بدا لك بعدها من الامور
التى ظهرت لك و حج بعض الالفاظ على اوضاعها الاصلية مع استقامة المعنى
وحسنه وروى عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم عن ابيه عن جده قال
سالت ابن عباس رضى الله عنه عن تلك الرسالة فقال بعثنى فاتيت الزبير فقلت
له فقال انى اريد ما تريد كانه يقول الملك ولم يزدنى على ذلك فرجعت الى
امير المومنين علم فاخبرته وعن ابن عباس ايضا انه قال قلت الكلمة للزبير فلم
يزدنى على ان قال انا مع الخوف الشديد لنطمع وسئل ابن عباس عما يعنى الزبير
بقوله هذا فقال يقول انا على الخوف لنطمع ان نلى من الامر ما وليتم وقد فسر
غيره ذلك بتفسير اخر فقال اراد انا مع الخوف الشديد من الله نطمع ان
يغفر لنا هذا الذنب ومن خطبة له عليه السلام
ايها الناس انا قد اصبحنا فى دهر عنود وزمن كنود الى اخره اقول
عنود جائر وكنود كفور و العتو التكبر والقارعة الخطب العظيم و
مهانة النفس حقارتها وكل حد السيف وغيره اذا وقف عن القطع وتخفيف
وفره قلة ماله والمصلت بسيفه الماضى فى الامور بقوته والمجلب المستعين
على امره بالرجل جمع راجل واشرط نفسه للذال اعلمها ما عدها وارتق دينه
بلجم
اى هلكه والحطام متاع الدنيا واصله ما تكسر من اليبس والانتهاز الاختلاس
والاستلاب والقدر الامكان والمقنب بكسر الميم وفتح النون الجمع من الخيل ما بين
الثلثين الى الاربعين ومنبر المنبر يقرعه اى علاه وطامن من شخصه اى خفض
والاسم الطابنه وشمر من ذيله اذا رفعه وزخرف اى زين وفق وصفوان نفسه
حقارتها والمراح المكان الذى ياوى اليه الماشيه بالليل والمغدى هو الذى
تاوى اليه بالغداة والشريد المشرد وهو المطرود والناد الذاهب على و
جهه والقمع الاذلال والمكعوم الذى لا يمكنه الكلام كانه سد فوه بالكعام وهو شى
يجعل فى فم البعير عند الهياج والثكل الحزن على فقد بعض الحباب واخلتهم
اخلتهم
اى اسقطتهم وارذلتهم بين الناس والتقية والتقوى للخوف والاجاج الملح
والظاهر بالزار الساكتة والحثالة الثفل والقرظ ورق السلم يدبغ به

والحلم المفراض تجز به اوبار الابل وقراضته ما تساقط من قرضه والحلم
ان نسبة الخير الى بعض الازمنة والشر الى بعض اخر وتفضيل بعض الازمنة
على بعض نسبة صحيحة لما ان الزمان من الاسباب المعدة لحصول ما
يحصل في هذا العالم من الامتزاجات وما يتبعها مما يعد خيرا او شرا وقد
يتفاوت الازمنة في الاعداد لقبول الخير والشر ففي بعضها يكون بحسب الاستقراء
شرا اكثر فيقال زمان صعب وزمان جائر خصوصا زمان ضعف الدين
والنواميس الشرعية التي هي سبب نظام العالم وبقائه وسبب الحيوة الا
بدية في الدار الاخرة وفي بعضها يكون مما يعد خيرا اكثر فيقال زمان حسن
وزمان عادل وهو الزمان الذي يكون احوال الخلق فيه منتظمة صالحة
خصوصا زمان قوة الدين وظهوره وبقاء ستر ناموس الشريعة مسدولا
هذا وان كنا اذا اعتبرنا اجزاء الخير واجزاء الشر الواقعة في كل العالم بحسب
كل زمان لم يكن هناك كثير تفاوت بين الازمنة فيما يعد خيرا فيها
وشرا ولذلك قال افلاطن الناس متوهمون بكل زمان انه اخر الازمنة
ويثبتون تقصيره عما تقدمه وليس يعرفون الزمان الماضي والمقيم حق فهمهما
من التامل وذلك انهم يقيسون الاحداث في الزمان المقيم الى من باهت
سنه وتجارسه في الزمان الماضي وينظرون الى قصور المروات في الزمان المقيم
واتساعها في الماضي من غير ان ينظروا الى الاعراض في الزمانين وما يوجبه كل واحد
منهما واذا تتبع هذا بعدل واستقصى تصريف الزمانين من القوى والحدثان والامن
والخوف والاسباب والاحوال كانا متقاربين اذا عرفت هذا فنقول قوله
عليه السلام انا قد اصبحنا الى قوله حتى تحل بهم ذم للزمان بوصف الجور و
الشدة لما اعد له فيه ما عدد فيه من الاوصاف المعدودة شرا بالقياس الى
نظام العالم وبقائه وذكر من تلك الاوصاف خمسة اولها انه يعد فيه المحسن
مسيئا وذلك في حساب المبين الكسالى عن القيام بطاعة الله فيعدون انفاق
المحسن لماله ريا وسمعة او خوفا او رغبة في مجازاة وكذلك سائر فضائله
رذائل كل ذلك طعنا في فضيلة وحسدا ان ينال رتبة اعلى فيلحقونه بدرجاتهم
في الاساءة وثانيها ان يزداد الظالم فيه عتوا وذلك ان منشا الظلم هو النفس
الامارة بالسوء وهي في زمان العدل تكون مقهورة دائما او في اكثر الاحوال وثورانها

في ذلك

في ذلك الوقت طالبة للظلم بكون غفلته وانتهاز فرصه فالظالم في زمان العدل
ان ظلم لم يتجاوز حده فكان السارق الذي لا يامن في كل لحظة ان يقع به المكروه
فكذلك الظالم في زمن العدل متوقع لحرس الشريعة مرصود بعيون طلايعها
اما في زمان ضعف الشريعة فالظالم فيه كالناهب معط لقوته سؤلها غير ملتفت
الى وازع الدين فلا جرم كان عتوه فيه ازيد وقد كان زمانه عليه السلام بالنسبة
الى عهد الرسول صلى الله عليه كذلك وثالثها انه لا ينتفع اهله فيه بما علموا وهو
توبيخ للمقصرين في الاعمال الاخروية على وفق ما علموا من الشريعة فما ينبغي ان يعمل
لها اذ الانتفاع بالعلم انما يكون اذا وفقه العمل واليه الاشارة بقوله عليه السلام
في موضع اخر العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل فان
المراد بارتحال العلم هو عدم الانتفاع به وبتبعه بالعمل اقتضاره ما ينبغي من مقا رنه
العمل له ورابعها انهم لا يسالون عما جهلوا وهو توبيخ للمقصرين في طلب العلم بعدم
السؤال عما جهلوا منه وقلة الالتفات اليه لقصور افهامهم عن فضيلته واشتغالهم
لحاضر اللذات الحسية وخامسها انهم لا يتخوفون قارعة حتى تحل بهم وذلك
لعدم تفكرهم في عواقب امورهم واشتغالهم لحاضرها عن الالتفات الى مصالحهم و
تدبيرها وهو توبيخ للمقصرين في امر الجهاد وتنبيه لهم بذكر القارعة وحلو
لها بهم وكل هذه امور مضادة لمصلحة العالم فلذلك عد الزمان الواقعة فيه
عنودا وشديدا **قوله** الناس على اربعة اصناف الى قوله
فقوا انوك وجه هذه القسمة ان الناس اما مريدون للدنيا او لا والمريدون
للدنيا فاما قادرون عليها او غير قادرين وغير القادرين اما غير المحتالين لها او
محتالون والمحتالون اما يتوقع لطافة نفوسهم للامرة والملك او لما هو دون ذلك فهذه
اقسام خمسة مطابقة لما ذكره عليه السلام من الاصناف الاربعة الذين عرضهم للذم
مع الصنف الخامس الذين افردهم بالمدح فالصنف الاول وهم المريدون للدنيا
القادرون عليها هو المشار اليه في القسم الثاني من قسمته بقوله ومنهم المصلت
لسيفه والمعلن بشره الى قوله يفترعه والمقصود بهذا الصنف القادرون
على الدنيا المطلقون لعنان الشهوة والغضب في تحصيل ما يتخيل كمالا من القنيات
الدنيوية فاصلات السيف كناية عن التغلب وتناول ما امكن تناوله بالغلبة
والقهر واعلان الشر المجاهرة بالظلم مميزة من رذائل الاخلاق والاجلاب بالخيل

والرجل كناية عن جمع اسباب الظلم والغلبة والاستعلاء على الغير واشتراطه نفسه
تاهيلها واعدادها للفساد في الارض وظاهران من كان كذلك فقد اوبق دينه
وافسده و قوله لحطام ينهزه او مفتنق يقوده او منبر يفرعه
اشارة بعض علل الغائية للصنف المذكور من كونهم بالاوصاف المذكورة
واستعار لفظ الحطام للمال ووجه المشابهة ان التباقى من النبات كما انه
لا نفع له بالقياس الى ما يبقى خضرته ونضارته اى يكون ذا ثمرة كذلك المال
بالنسبة الى الاعمال الصالحة الباقى نفعها فى الاخرة وانما خص هذه الامور الثلثة
لانها الاغلب فيما يتبع اهل الدنيا لاجله اذ الغالب ان المتبع فيها اما جمع المال اولا
باسة دنيوية باقتناء الخيل والنعم او دينية كافتراع المنابر والتراس بامور
الدين مع قصد الدنيا و قوله ولبس المتجر الى اخره تنبيه
لهذا الصنف من الناس على خسرانهم فى افعالهم الشبيهة بالتجارة الخاسرة
وان طالب الدنيا المحصل لها كيف ما اتفق هالك فى الاخرة فهو كالبايع لها باحصل
له من دنياه والمعتاض بماله عند الله من الاجر الجزيل لو اطاعه حظا ما
نقد عينه وتبلغ بنعته ولذلك استعار لفظ التجارة لها الصنف
الثانى وهم المريدون لها غير القادرين عليها وغير المحتالين لها وهو المشار اليه
بقوله ومنهم من لا يمنعه من الفساد فى الارض الا مهانة نفسه وكلالة حده
ونضيض وفره وكنى بقوله كلالة حده عن عدم صرامته فى الامور وضعفه
عنها وظاهران المريد للدنيا المعرض عن الله لو خلى عن الموانع المذكورة ووجد
الدنيا لم يكن سعيه فيها الا فسادا الصنف الثالث الغير القادرين على الدنيا
مع احتيالهم لها واعدادهم انفسهم لامور دون الملك وهو المشار اليه بقوله و
منهم من يطلب الدنيا بعمل الاخرة ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا الى اخره فقوله
يطلب الدنيا بعمل الاخرة اشارة الى الحيلة للدنيا كالرياء والسمعة وقوله
ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا اشارة الى انه مريد للدنيا فقط و قوله
قد طامن من شخصه الى اخره تفصيل لكيفية الحيلة فان خضوع الانسان وتطامن
شخصه والمقاربة بين خطوه وتشمير ثوبه وزخرفته لنفسه بما هو شعار الصا
لحين من عباد الله وستر الله الذى حمى به اهل التقوى ان يردوا موارد الهلكة
مع من صنف من الناس انما سلكوه لهم فى عيون اهل الدنيا وارباب القبائل

لسكنوا

ليسكنوا اليهم فى الامانات ونحوها ويجعلون ذلك ذريعة لهم الى ما يعلوه من
الدنيا الفانية فيكونون قد اتخذوا ستر الله وظاهر دينه وسيلة الى معصيته
الصنف الرابع الغير القادرين عليها المحتالون لها الموهمون انفسهم الملك
والامرة وهم المشار اليهم بقوله ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضؤوله نفسه
الى اخره وذكر من موانع هذا الصنف عما رامه ما تعين احدها ضؤوله نفسه و
قصورها عن المناوات وتحيلها العجز عن طلب الملك وان كان مطلوبا له الثانى سبب
ذلك الضعف وهو انقطاع سببه من قلة المال وعدم الاعوان والانصار فى الطلب
فلذلك وقفت به حال القدر على حالته التى لم يبلغ معها ما اراده وقصرته عليها
فعدل كذلك الى الحيلة الجاذبة لرغبات الخلق اليه من التحلى بالقناعة والتزين
بلباس اهل الزهادة من المواظبة على العبادات والزوم ظاهر اوامر الله و
ان لم يكن ذلك عن اصل واعتقاد وقادة اليه و قوله وليس هو من
ذلك فى مراح ولا مغدى كناية عن انه ليس من القناعة والزهد فى شئ اصلا
ويحتمل ان يكون هذا الصنف من غير القادرين وغير المحتالين الصنف الخامس
وهم المريدون لله تعالى وهم المشار اليهم بقوله عليه السلام وبقى رجال الاخره
وذكر لهم اوصافا الاول كونهم قد غض ابصارهم ذكر المرجع وذلك ان المريد لله
اذا التفت الى جنابه المقدس واستحضر انه راجع اليه بل ماثل بين يديه فلا
بد ان يعرض عن غيره حياء منه وابتهاجا بمطالعة انواره وخوفا ان يحجبه
بصره عن صعود مراتب الاملاك الى سماوات العلا ولان الحس تابع للقلب
فاذا كان بصر القلب مشغولا غريقا فى جلال الله مستتبعا الحس فلم يكن له
التفات من طريقه الى امر اخر وهو المراد بالغض الثانى كونهم قد اراق دموعهم
خوف المحشر واعلم ان خوف الخائفين قد يكون لامور مكروهة لذاتها
وقد يكون لامور مكروهة لاداها الى ما هو مكروه لذاته واقسام القسم الثانى فى
كثرة كخوف الموت قبل التوبة وخوف نقض التوبة او خوف الانحراف عن
القصد فى عبادة الله او خوف استيلاء القوى الشهوانية بحسب مجرى العادة
فى استعمال الشهوات المالوفة او خوف تبعات الناس عنده او خوف سوء
الخاتمة او خوف سوء الشقاوة فى علم الله تعالى وكثير منها ونحوها مخاوف
عباد الله الصالحين واغلبها على قلوب المتقين خوف الخاتمة فان الامر

فيه خطر واعلى الاقسام وادناها على كمال المعرفة خوف السابقة لكون
الخاتمة تبعا لها ومظهرة لما سبق في اللوح المحفوظ وقد مثل من له خوف
السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين وقع لهما ملك بتوقيع يحتمل ان
يكون لهما فيه غناء او هلاك فتعلق قلب احدهما بحال نشر التوقيع وما يظهر
فيه من خير او شر وتعلق قلب الاخر بما خطر للملك حالة التوقيع من رحمة
او غضب وهذا التفات الى السبب وكان اعلى فكذلك الالتفات الى القضاء
الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم الالهي في اللوح المحفوظ اعلى من الالتفات
الى الابد والى ذلك اشار الرسول صلى الله عليه حيث كان على المنبر فقبض
كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء ابائهم لا
يزاد فيه ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانهم
منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة و
ليعملن اهل الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم
يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله
والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم واما اقسام القسم الاول فمثل
ان يتمثل في نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت وشدته او سؤال منكر
ونكير او عذاب القبر او هول الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر
والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه
او من النار واغلالها واهوالها او من حرمان الجنة او من نقصان الدرجات
فيها او خوف الحجاب من الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها
ويختلف حال السالكين الى الله فيها واعلاها رتبة خوف الفراق والحجاب
عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك فهو خوف العابدين
والصالحين والزاهدين ومن لم تكمل معرفته بعد اذا عرفت ذلك فنقول
الخوف الذي اشار اليه عليه السلام من هذا القسم اذ خوف المحشر يشمل ما ذكرنا من
اقسامه الثالث كونهم بين شريد ناد اي متشرد في البلاد
مطرود اما لكثرة انكاره المنكر او لقلة صبره على مشاهدة المنكر وخائف
مقموع وساكت مكعوم اي كان للتقية سد فاه عن الكلام وهو من
باب الاستعارة وداع مخلص لله وثكلان موجع اما لمصابه في الدين او من

كثرة

كثرة اذى الظالمين وهذا تفصيل لحال احاد المتقين ويحتمل ان يكون ذلك تفصيلا
لحالهم بالنسبة الى خوف المحشر اي ان خوف المحشر اراق دموعهم وفعل لكل واحد
منهم ما ذكر عنه من الحالة التي هو عليها الرابع كونهم قد اخملتهم التقية اي تقية
الظالمين وهو تاكيد لما سبق الخامس كونهم قد شملتهم الذلة اي بسبب
التقية السادس كونهم في بحر اجاج واستعار لفظ البحر بوصف الاجاج
لما هم فيه من احوال الدنيا لما لا تصلح للاقتناء ولا استمتاع بها بل يكون سببا للعذاب
في الاخرة كذلك البحر الاجاج لا يمكن ساغه وان بلغ جهد العطش مبلغه شربه والتروي
به وقوله افواههم ضامرة وقلوبهم قرحة اي انهم لما فطموا انفسهم عن لذا تها
ومخالطة اهلها فيما هم فيه من الانهماك فيها لا جرم كانت افواههم ضامرة
لكثرة صيامهم بعيدة العهد بالمضغ وقلوبهم قرحة جوعا او خوفا من الله
او عطشا الى رحمته ورضوانه او لما يشاهدونه من كثرة المنكرات وعدم
تمكنهم من انكارها ومن روى ضامزة بالزاي المعجمة اراد سكوتهم وقلة كلامهم
السابع كونهم قد وعظوا حتى ملوا اي ملوا وعظ الخلق لعدم نفعه فيهم الثامن
كونهم قهروا حتى ذلوا التاسع كونهم قتلوا حتى قلوا اي قتلهم الظالمون لعدم
انتظامهم في سلكهم فان قلت كيف يقال قتلوا مع بقائهم قلت
لاسناد القتل الى الكل لوجود القتل في البعض مجاز من باب اسناد حكم الجزء
الى الكل ولان الكل لما كان مقصودا بالقتل كان كونهم مقتولين علة غائية
منهم مجاز اسناد القتل اليهم وان كان المقتول بعضهم و قوله
فلتكن الدنيا في اعينكم الى اخره امر للسامعين باستصغار الدنيا واستحقا رها
الى حد لا يكون في اعينهم ما هو احقر منها فان حثالة القرظ وقراضة الجلم
في غاية الحقارة والمراد من هذا الامر وغايته الترك لها فان استحقار الشيء
واستصغاره يستتبع تركه والاعراض عنه ثم امرهم بالاتعاظ بالامم السالفة
وان في الماضين عبرة لاولي الابصار ومحل الاعتبار ما كانوا فيه من نعيم
الدنيا ولذاتها والمباهات بكثرة قنياتها ثم مفارقتهم كذلك كله بالموت وبقاء
الحسرة والندامة للمستكثرين منها حجابا حايلا بينهم وبين الوصول الى حضرة
جلال الله ونبههم بقوله قبل ان تتعظ بكم من بعدكم على انهم مضطرين الى مفا رقة
ما هم فيه ومستصيرون عبرة لغيرهم وفايدة الامر بالاتعاظ ايضا الاعراض

عنها والاقلاع عن الاغترار بها ثم لما امرهم بهذه الاوامر التي ليست صريحة في
الترك اردف ذلك بالامر الصريح بالترك وارفضوها ذميمة الا تذكروا
ما حاله الحقارة والذمامة ثم نبه بعده على ما يصلح علة لتركها وهو عدم
دوام صحبتها وثباتها لمن كان احب منهم لها او لعدم دوام سرورها ونعيمها الحر
لمدام الاحب للخلق لها واحرصهم على المحافظة عليها فلما لم تدم لمن هو اشد حبا
لها منكم فبالاولى ان لا يدوم لكم واذا كان طباعها رفض كل محب فالاحرى بذي
المروة واللب الترفع والاعراض عمن لا يدوم صحبته ولا يصفوا محبته وبالله
التوفيق

## ومن خطبة له عليه السلام
## عند خروجه لقتال اهل البصرة الى الحرب

قوله ذو قار موضع قريب من البصرة وهو الموضع
الذي نصرت فيه العرب على الفرس قبل الاسلام والخصف نعله اي يخرزها ورام
اسكنهم والمحلة المنزلة والمنجاة موضع النجاة والقناة الرمح وعمود الظهر
المنتظم للفقار والصفاة الحجر الاملس المنبسط والساقة جمع سائق وولت
تخلفت بتأخيرها اي باسرها والبقر الشق واعلم انه عليه السلام قدم لنفسه مقدمة
من الكلام اشار فيها الى فضيلة الرسول صلى الله عليه في مبعثه وهو سوقه الخلق
الى الدين الحق ليبني عليها فضيلة نفسه وكانت غايته من ذلك توبيخ من خرج
عليه من قريش والاستعداء عليهم فقوله ان الله بعث محمدا صلى الله عليه
الى قوله صفايحهم صدر الكلام اشار فيه الى فضيلة الرسول صلى الله عليه
والواوان الداخلتان على حرفي النفي للحال فان قلت كيف يجوز ان يقال انه
لم يكن احد من العرب في ذلك الوقت يقرأ كتابا وكانت اليهود يقرؤن التورية
والنصارى الانجيل قلت لان الكتاب الذي يدعيه اليهود وينسبونه في ذلك
الوقت التورية ليس هو الكتاب الذي انزل على موسى عليه السلام فانهم كانوا
حرفوه وبدلوه فصار كتابا اخر بدليل قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي
جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون
كثيرا وظاهر انه من حيث هو مبدل ومحرف ليس هو المنزل على موسى عليه
السلام واما الكتاب الذي يدعي النصارى بقاءه في ايديهم فغير معتمد على
نقلهم فيه لكونهم كفارا بسبب القول بالتثليث واما النافون للتثليث

ثم

منهم في غاية القلة فلا يفيد قولهم ان ما في ايديهم هو انجيل عيسى عليه السلام فاذن لا
يكون المقروء لهم حال مبعث محمد صلى الله عليه كتابا هو من عند الله سلمناه
لكن يحتمل ان يريد بالعرب جمهورهم فان اكثرهم لم يكن له دين ولا كتاب
وانما كان بعضهم يتمسك باثار من شريعة اسمعيل وبعضهم برسوم لهم و
قوله فساق الناس حتى بوأهم محلتهم الاشارة بسوقه
لهم الى سوقه العقلي لاذهانهم بحسب المعجزات الى تصديقه فيما جاء به ثم
بحسب ما جاء به من القران الكريم والسنة النبوية الى معرفة سبيل الله ثم
بحسب الترغيب لبعضهم والترهيب لبعض الى سلوك تلك السبيل فاصبحوا
وقد تبوؤا محلتهم اي منزلتهم ومرتبتهم التي خلقوا لاجلها وكانت هي مطلوب
العناية الازلية بوجودهم في هذه الدار وهي لزوم القصد في سبيل الله المثمر
اسلاما ودينا وايمانا وهو في الحقيقة المنجاة الذي لا خوف على سالكها و
لا سلامة للمنحرف عنها وذلك معنى قوله وبلغهم منجاتهم و قوله
واستقامت قناتهم فالمراد بالقناة القوة والغلبة والدولة
التي حصلت لهم مجازا وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب فان الرمح صح
او الظهر سبب للقوة والشدة ومعنى اسناد الاستقامة اليها انتظام
امورهم ودولتهم و قوله واطمأنت صفاتهم استعارة للفظ
الصفاة لحالهم التي كانوا عليها ووجه المشابهة انهم كانوا قبل الاسلام
في مواطنهم وعلى احوالهم متزلزلين لا يقر بعضهم بعضا في موطن ولا على حال
بل كانوا ابدا في الغارة والنهب والجلاء فكانوا كالواقف على حجر املس متزلزل ل
مضطرب فاطمأنت احوالهم وسكنوا في مواطنهم من كل ذلك بسبب
مقدم محمد صلى الله عليه و قوله اما والله ان كنت لفي
ساقتها الى قوله ولا جبنت تقرير لفضيلته فاثبت لنفسه ان كان
من ساقتها الى ان تولت باسرها من غير عجز اعتراه ولا جبن والضمير في
ساقتها للكتائب للحرب وان لم يجر لها ذكر صريح بل لما يحصل منه معنى
الذكر وهو الناس فكانه قال فساق الناس وهم يومئذ كتائب عليه
فكنت في ساقتها حتى تولت تلك الكتائب باسرها لم يبق منها من يبغى ليه
وقد علمت ان السوق قد يكون سوقا الى الهدى وقد يكون سوق طرد وهزيمة

ولا اول هو غايته عليه السلام والشوق الثانى اذا لم يكن مقصوده من حروبه الا
الشوق الى الدين ولما لم يكن حصول الهداية للخلق الا بوجود النبى صلى الله عليه
وايضاح سبيل الحق كان ذبه وطرده لكتايب حتى تولت نحو ادبارها حماية
عن النبى وعن حوزة الدين امرا واجبا لا لذاته لكن لغرض تمام الهدى الذى
هو غاية وجود النبى و**قوله** ما عجزت ولا جبنت تمام لاثبات
الفضيلة المذكورة له وتقرير لما علم من شجاعته وتاكيد بعدم العجز والجبن
الذى هو طرف التفريط من فضيلة الشجاعة و**قوله** وان مسيرى
هذا لمثلها اى لمثل تلك الحال التى كنت عليها معهم زمان كفرهم من سوق
كتايبهم وطردها من غير جبن ولا ضعف وهو فى معنى التهديد الذى عساه ان
يبلغ خصومه ويقوى به نفوس اوليايه وكذلك قوله ولابقرن البا
طل حتى اخرج الحق من خاصرته ايضا فى معنى التهديد وتنبيه على ما عليه
خصومه من الباطل واستعار هنا لفظ الخاصرة للباطل والبقر لتفريق
الباطل وتمييز الحق منه تشبيها له فى استتار الحق فيه وعدم تميزه منه
بحيوان ابتلع جوهرا ثمينا اعز منه قيمة واتم فايدة فاحتيج الى شق بطنه
فى استخلاص ما ابتلع و**قوله** مالى ولقريش استفهام على سبيل
الانكار ما بينه وبينهم مما يوجب الاختلاف وجحد فضيلته وحمل الاغراء
فى حربه و**قوله** والله لقد قاتلتهم كافرين الجهاد المنة
عليهم بسوقه لهم الى الدين اولا وتقسير لهم بما كانوا عليه من الكدم ليعترفوا
بفضيلته ونعمة الله عليهم به وليخجلوا من مقابلته بالباطل وجحوا لما
من انكار عليه اذ كانوا اولى باتيان المنكر منه وهو اولى بودعهم عنه اجزاء
كما كان اولا وكذلك **قوله** ولقاتلنهم مفتونين على احدى الر
وايتين واما على رواية ولاقاتلنهم مفتونين فهو تهديد بان يوقع بهم
القتال على فتنتهم وضلالهم عن الدين وكافرين ومفتونين نصب
على الحال وفى ذكر هذين الحالين تنبيه على علة قتاله لهم فى الحالين و
هو طلبه لاستقامتهم على الدين ورجوعهم الى الحق عن الضلال واغراء
للسامعين بهم و**قوله** وانى لصاحبهم بالامس كما انا صا
حبهم اليوم اشارة الى انه لم يتغير حالته التى بها قاتلهم كافرين وزيادة

تذكر

تذكير الخصم الآن بابتلاء الكفار به فى ذلك الوقت لينقمعوا عن محاربته
اذ فى تذكيره وقايعه فى بدو الاسلام وشدة باسه ما تطير منه القلوب و
تقشعر منه الجلود وقد نقلت فى تمام هذه الخطبة فى بعض النسخ
لتضج قريش ضجيجها ان تكن فينا النبوة والخلافة والله ما اتينا
اليهم الا انا اجترانا عليهم وذلك اشارة الى السبب الاصلى لخروج
طلحة والزبير وغيرهم من قريش وهو الحسد والمنافسة ان يكن الخلافة
والنبوة فى بنى هاشم دونهم والضجيج الصراخ القوى وهو كناية عن اشد
مخاصماتهم ومنافاتهم له على هذا الامر و**قوله** والله ما اتينا
الى اخره تاكيد لما نسبه اليهم من سبب الخروج بالقسم البار على انه لم يكن
الباعث لهم على قتاله او على حسده والبغى عليه امرا من قبله سوى الا جتزاء (اجتزاء)
عليهم اى الشجاعة والاقدام عليهم فى منعهم عما يريدون من فعل لا تسوغه
الشريعة فانه لما لم يكن ذلك فى الحقيقة اساءة فى حقهم يستحق بها
المكافاة منهم كان احسان وردع عن سلوك طريق الضلال تعين ان
السبب فى الخروج عليه ونكث بيعته هو الحسد والمنافسة وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

فى استنفار الناس الى اهل الشام

اف لكم الى اخره روى انه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من
امر الخوارج وقد كان قام بالنهروان فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد
حمد الله فان الله تعالى قد احسن نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم
من اهل الشام فقالوا له قد نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ارجع بنا الى مصرنا لنصلح
عدتنا ولعل امير المومنين يزيد فى عددنا مثل من هلك لنستعين به فاجابهم
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم الاية
فتلكوا عليه وقالوا ان البرد شديد فقال انهم يجدون البرد كما تجدون
اف لكم ثم تلا قوله قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الاية فقام
منهم ناس واعتذروا بكثرة الجراح فى الناس فطلبوا ان يرجع بهم الى
الكوفة اياما ثم يخرج بهم فرجع بهم غير راض وانزلهم نخيلة وامرهم ان
يلزموا معسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم ويقلوا زيارة اهلهم فلم يقبلوا

مولأو

وجعلوا يتسللون و يدخلون الكوفة حتى لم يبق معه الا قليل منهم فلما راى ذلك دخل الكوفة فخطب الناس فقال ايها الناس استعدوا لقتال عدو في جهاده القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به وجفاة عن الكتاب نكب عن الدين يعمهون في الطغيان ويتسكعون في غمرة الضلال فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا قال ــــــــــ فلم ينفروا فتركهم اياما ثم خطبهم هذه الخطبة اف لكم الفصل اف كلمة تضجر من الشيء وغمرات الموت سكراته التي يغمر فيها العقل والذهول النسيان والسهو ويرتج عليكم اى يغلق والحوار المخاطبة وتعمهون تتحيرون وتترددون والمالوس المجنون والمختلط سجيس الليالي وسجيس الاوجس اى ابدا مدى الليالي والزوافر جمع زافرة وزافرة الرجل انصاره وعشيرته وسعر جمع ساعر واسعار النار تهيجها و الهابها والاحتفاظ الغضب وحمس الوغا اشتدت الحرب وجلبة الاصوات وعرقت اللحم اعرقه اذ لم ابق على العظم منه شيئا والمشرفية سيوف منسوبه الى مشارف قرى من ارض العرب تدنوا من الريف وفراش الهام العظام الرقيقة تلى القحف واعلم انه عليه السلام لما اراد استنفارهم الى الحرب وكانوا كثيرا ما يتثاقلون عن دعوته استقبلهم بالتافيف والتضجر مما لا يرتضيه من افعالهم و قوله لقد سئمت عتابكم تفسير لبعض ما تافف منه وقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة عوضا و بالذل من العز خلفا استفهام على سبيل الانكار عليهم مستلزم للحث على الجهاد فان الجهاد لما كان مستلزما للثواب الاخرة والعزة الجانب وخوف الاعداء والقعود عنه يستلزم في الاغلب السلامة في الدنيا والبقاء فيها لكن مع طمع العدو فيهم وذلتهم له كانوا بقعودهم عنه كمن اعتاض الدنيا من الاخرة واستخلف الذل من العزة وذلك مما لا يرضى به ذو عقل سليم و عوضا وخلفا منصوبان على التميز وقوله اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم الى قوله لا تعقلون تبكيت لهم وتوبيخ برذائل تعرض لهم عند دعايه لهم الى الجهاد الاول انه تدور اعينهم حيرة وترددا وخوفا من احد امرين اما مخالفة دعوته او الاقدام على الموت وفي ذلك الامر خطر ثم شبه حالتهم تلك في دوران اعينهم وحيرتهم بحال المغمور في سكرات

الموت

الموت الساهي فيها عن حاضر احواله المشغول بما يجده من الالم ومعنى قوله تعالى ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت الثانية انه يرتج عليهم حواره ويرتج في موضع الحال ويعمهون عطف عليه اى يرتج عليكم فتبقون ثم شبه حالهم عند دعايه لهم الى الجهاد تشبيها ثانيا بحال من اختلط عقله اى انهم في حيرتهم وترددهم في جوابه كمختلط العقل لا يفقه ما يقول الثالثة انهم ليسوا له بثقة ابدا وهو وصف لهم برذيلة الخلف والكذب المستلزم لعدم الثقة بافوالهم الرابعة كونهم ليسوا ركن ميل به المستند اليه على خصمه يقال فلان ركن شديد استعارة له من ركن الجبل وهو جانبه لما بينهما من المشاركة في الشدة والامتناع المعتصم به ومعنى قوله تعالى او اوى الى ركن شديد اى قوى تمتنع منكم وهو وصف بالتخاذل والعجز الخامسة ولا زوافر عزه يفتقر اليهم وهو وصف لهم برذيلة الذل والحقارة السادسة تشبيههم بابل ضل رعاتها و الاشارة الى وجه التشبيه وهو انها كلما جمعت من جانب انتشرت من جانب اشارة الى انهم ضعيفو العزوم متشتتو الاراء لا يجتمعون على مصلحة بها يكون نظام احوالهم في الدارين وقد علمت ان ذلك من نقصان القوة العملية فكانوا منها على رذيلة البله السابعة كونهم ليسوا سعر نار الحرب اى ليسوا من رجالها وذكر ان مدار الحرب على الشجاعة والراى وقد سبقت منه الاشارة الى ذمهم بالفشل وضعف الراى فاذن ليسوا من رجال الحرب ولما استعار لهيجان الحرب لفظ النار لما يستلزم من الاذى الشديد رشح تلك الاستعارة بذكر الاسعار ووصف رجالها به الثامنة كونهم يكادون ولا يكيدون اى يخدعون ويمكر بهم عدوهم في ايقاع الحيلة بهم وليس لهم قوة المكر والحيلة به وذلك ايضا من رذيلة ضعف الراى التاسعة كونهم تنتقص اطرافهم فلا يتسخطون اى يغادر العدو في كل وقت على بعض بلادهم فيحوزها فلا يشق ذلك عليهم ولا يدركهم منه انفة وحمية وهو وصف لهم برذيلة المهانة العاشرة كونهم في غفلة ساهون مع انتباه عدوهم لهم وهو وصف لهم برذيلة الغفلة ايضا عما يراد بهم وقلة عقليتهم لمصالح انفسهم وكل هذا التوبيخ تثقيف لهم وتنبيه لنفوسهم الى ما قوة في مراتب طلبها يجب عليها ما ينبغي لهم من المصالح التي يكون بها نظام احوالهم على قانون الدين و قوله غلب والله المتخاذلون تنبيه على انهم بتخاذلهم يغلبون واورد الغلب المطلق مقرونا بعلة التخاذل لانه الحكم العام اشد قبولا منهم له

يتسكعون اى يتحيرون و يتمادون

نوت

على انفسهم اذ لو خصصتهم به فقال غلبتم والله اذ تخاذلتم لم يكن وقعه في الذوق
كوقعه عاما و **قوله** وايم الله الى قوله انفراج الراس اقسم انه ليظن
بهم انهم عند اشتداد الحرب وحرارة الموت ينفرجون عنه انفراج الراس اى
يتفرقون عنه اشد تفريق وانفراج الراس مثل قيل اول من تكلم به اكثم بن
صيفي في وصية له يا بني لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الراس فانكم بعد ذلك لا
تجتمعون على عز وفي معناه اقوال احدها قال ابن دريد معناه ان الراس اذا انفرج
عن البدن لا يعود اليه ولا يكون بعده اتصال وذلك اشد انفراج الثاني قال المفضل
الراس اسم رجل ينسب اليه قرية من قرى الشام يقال لها بيت الراس وفيها يباع
الخمر قال حسان كان سبيئة من بيت راس يكون مزاجها عسل وماء وهذا
الرجل كان قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد اليه فضرب به المثل في المباينة
والمفارقة الثالث قال بعضهم معناه ان الراس اذا انفرج بعض عظامه
عن بعض فانه بعيد الالتيام والعود الى الصحة الرابع قال بعضهم معناه انفرجتم
عني راسا اى بالكلية الخامس قيل معناه انفراج من يريد ان ينجو براسه السادس
قيل معناه انفراج المراة عن راس ولدها حالة الوضع فانه يكون في غاية من الشدة
وتفرق الاتصال والانفراج ونحوه **قوله** عليه السلم في موضع اخر
انفراج المراة عن قبلها وعلى كل تقدير فمقصوده شدة انفصالهم وتفرقهم عنه
روحي ولا يكون اليهم واستحر الموت يحتمل ان يراد به شدته تشبيها بالحرارة
مجازا كما سبق ويحتمل ان يراد به خلوصه وحضوره فيكون اشتقاقه من الحرية
والجملة الشرطية خبر ان المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهي مع اسمها و
خبرها قائمة مقام مفعول الظن وفيه توبيخ لهم على التقصير البالغ في حقه
الى حد ان يظن بهم الظن المذكور و **قوله** والله ان امرا الى قوله
ان شئت من لطيف الحيلة في الخطاب الموجب للانفعال عنه وذلك انه صور لهم
افعالهم من التخاذل عن العدو والضعف وساير افعالهم المذمومة التي الفوا التوبيخ
عليها والتعنيف بعبارة تريهم اياها في القبح صورة واشنعها لعله اليهم وانجعها
حكاية منهم وهو تمكينهم للعدو من انفسهم فان افعالهم من التخاذل ونحوه هي بعينها
تمكين للعدو مما يريد بهم واعداده وتقويته لحاله ولما كان من عادة المظفر العدو
واحتياج المال وتفريق الحال كنى عن الاول بقوله يعرق لحمه ووجه استعارة

عرق

عرق اللحم لسلب المال ونحوه ظاهر وكذلك كنى عن القتل وساير اسباب الهلاك من
فعل العدو بتهشيم العظم وعن تمزيق الحال المنتظم بفري الجلد ثم لما كان من البين
ان تخاذلهم تمكين لعدوهم منهم وكان تمكين الانسان لعدوه من نفسه يفعل به
الافعال المنكرة لا يكون الا عن عجز عظيم وضعف في القلب عن مقاومته لا جرم اثبت
العجز وضعف القلب لامرء مكن عدوه من نفسه واكد ذلك بان وبالقسم البار وكنى بضعف
القلب عن الجبن واتى بذلك الاثبات على وجه علم لكل امرء فعل ذلك ولم يخصهم بالخطاب
ولا نسب تمكين العدو اليهم صريحا وان كانوا هم المقصود بذلك وجار لهم الاعتذار عن
الدخول تحت هذا العموم بالانتفاء ولامره بالجهاد ثم اردفه بالامر ان يكونوا ذلك المرء
الذي وصفه فما وصفه لعل على سبيل التهديد والتنفير وذلك قوله انت فكن ذاك
ان شئت اى ذلك المرء الموصوف بالعجز خطاب للشخص المطلق الصادق على كل وا
حد منهم كان ولا ان يكون بصفة المرء الموصوف اولا تنفيرا له عما ذكره مما يلزم
الانسان من الاحوال الردية عند تمكينه عدوه من نفسه وروى انه خاطب بقوله
انت فكن ذاك الاشعث بن قيس فانه روي انه قال له عليه السلم وهو يخطب و
يلوم الناس على تقاعدهم عن الحرب هلا فعلت فعل ابن عفان فقال له ان فعل ابن
عفان مخزاة على من لا دين له ولا وثيقة معه وان امرءا امكن عدوه من نفسه يهشم
عظمه ويفري جلده لضعيف رايه مافوق عقله انت فكن ذاك ان شئت الفصل و
**قوله** فاما انا الى قوله ما شاء لما حذرهم ان يكونوا ذلك المرء على
سبيل التهديد اردف ذلك بالتبري من حال المراة المذكور ليكون لهم به عليه السلم
اسوة في النقار عن تمكين العدو من انفسهم الا بعد بذل النفس في الجهاد اى على
تقدير اختيار المخاطب تلك الحال فانه لا يختار ذلك بل دون ان يعطي عدوه
من نفسه ذلك التمكين ضرب المشرفية تطير منه الهام ويطيح منه السواعد والا
قدام فكنى بذلك كناية عن اشد المجاهدة ويفعل الله بعد ذلك الجهاد والمنا
جزة ما يشاء من تمكين العدو او عدم تمكينه فانه اليه مصير الامور وعواقبها
**قوله** ايها الناس الى اخره ذكر ما لهم عليه من الحق وما له عليهم
منه ليعرفهم انه ادى ما عليه من الواجب لهم فينبغي ان يخرجوا اليه من
واجب حقه الذي فرضه الله عليهم فبدا ببيان حقهم عليه ادبا واستدراجا لطباعهم
فان البداة بحق الغير قبل حق النفس اليق بالادب واتم لسماعه اقبل فذكر

منها اربعة امور بها يكون صلاح حالهم في الدارين احدها النصيحة لهم وهي حثهم على
مكارم الاخلاق وجذبهم الى ما هو الاليق بهم في معاشهم ومعادهم الثاني توفير فيئهم
عليهم بترك ظلمهم فيه وتفريقه في غير وجوهه مما ليس بمصلحة لهم كما نسبوه الى
من كان قبله الثالث تعليمهم كيلا يجهلوا وانما لم يقل لئلا تجهلوا لان ظهور المنة عليهم
بذكر نفي الجهل عنهم اشد من ظهورها في ذكر غرض ايجاد العلم لهم ولذلك كان نفي الرذيلة
وانفته من ان يقال له يا جاهل اشد بكثير من نفاره له لست بعالم الرابع تاديبهم كيما
يعلموا فهذه الامور الاربعة هي الواجبة على الامام للرعية واحد منها يرجع الى صلاح ابدانهم
وقوامها وهو توفير فيئهم عليهم بضبطه وعدم التصرف فيه لغير وجوه مصالحهم والاثنان
يرجعان الى حال نفوسهم اما من جهة اصلاح القوة النظرية وهو التعليم لغرض العلم او
من جهة اصلاح القوة العملية وهو التاديب لغرض العمل والواحد مشترك بين مصلحتي
البدن والنفس ونظام احوالهما وهو النصيحة لهم ثم اردف ذلك ببيان حقه عليهم وذكر
ايضا اربعة الاول الوفاء بالبيعة وهي اهم الامور اذ بها النظام الكلي الجامع لهم معه
الثاني النصيحة له في غيبته وحضوره والذب عنه اذ بذلك نظام شمل المصلحة بينهم
بينه ايضا الثالث اجابته حين يدعوهم من غير تثاقل عن ندائه فان في التثاقل
عن دعوته ما علمت من قهر العدو وغلبته عليهم وفوات مصالح عظيمة الرابع طاعتهم
له حين يامرهم وظاهر ان شمل المصلحة لا ينتظم بدون ذلك وانت تعلم بادنى تامل ان
هذه الامور الاربعة وان كانت حقوقا له عليهم الا انه انما يطلبها منهم لما يعود عليهم به
من النفع في الدنيا والاخرة فان الوفاء ملكة تحت العفة والنصيحة له سبب لانتظام
امورهم به واجابة دعوته اجابة لداعي الله الجاذب الى الخير والمصلحة وكذلك طاعة
امره طاعة لامر الله اذ هو لسانه الناطق به وقد علمت ما يستلزمه طاعة الله من الكرامة
عنده

ومن خطبة له عليه السلام

الاول
بعد التحكيم الحمد لله وان اتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل الى اخر
روي ان عمرو بن العاص وابا موسى الاشعري لما التقيا بدومة الجندل وقد حكما في امر الناس
كان علي يومئذ قد دخل الكوفة ينتظر ما يحكمان به فلما تمت خديعة عمرو بن العاص لابي
موسى وبلغه عليه السلام ذلك اغتم له شديدا ووجم منه وقام فخطب الناس فقال
الحمد لله المفضل وزاد بعد لا شريك له بيت دريد بن الصمة في بعض الروايات الا ان هذين
الرجلين الذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب واحييا ما امات واتبع كل واحد



هواه وحكم بغير حجة ولا بينة ماضية واختلفا فيما حكما وكلاهما لم يرشد الله فا
ستعدوا للجهاد وتاهبوا للمسير واصبحوا في معسكركم يوم كذا واما قصة التحكيم وسببها
فمذكور في التواريخ والخطب الامر العظيم وفدحه الامر اذا غاله وابهظه والجا في
حنش للضباع الذي ينبو الطبع عن الموانسة فيقال طبع ويابن وقوله الحمد لله الى قوله
الجليل قد عرفت نسبة الخير والشر الى الدهر على اي وجه هو وامره بحمد الله
على كل حال من السراء والضراء وان هنا للغاية وفهم من هذا الصدر وقوع الخطب
الفادح وهو ما وقع من امر الحكمين وحمد الله عليه وقوله ليس معه اله غيره تاكيد
لمعنى كلمة التوحيد وتقرير لمقتضاها وقوله اما بعد الى قوله الندامة
القيود الاربعة التي ذكرها من صفات المشير معتبرة في حسن الراي ووجوب قبوله
اما كونه ناصحا فلان الناصح يصدق الفكر ويمحض الراي ويجتهد للنادر ويتابع تقطيره
الراي فيه واقع في المضرة واما كونه شفيقا فلان الشفقة تحمل على النصح وتبعث
على حسن التروي في الامور وايقاع الراي فيه عن تثبت واجتهاد والباعث على هذين اعني
النصح والشفقة اما الدين او محبة المستشير واما كونه عالما فقد يجب لاصابته بعلمه
وجه المصلحة في الامر فان الجاهل اعمى لا يبصر وجه المصلحة فيه قال رسول الله
صلى الله عليه استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا وقال عبد الله بن
الحسين لابنه محمد احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر عداوة العدو العا
قل فانه كما يوشك ان يقع بك مكر العاقل كذلك يوشك ان يورطك شور الجاهل واما كو
نه مجربا فلانه لا يتم راي العالم ما لم ينضم اليه التجربة وذلك ان العالم وان علم وجه
المصلحة في الامر الا ان ذلك الامر قد يشتمل على بعض وجوه المناسبة لا يطلع عليه
الا بالتجربة مرة ومرة فالمشورة من دون تجربة مظنة الخطا وقيل في منثور
الحكم كل شيء محتاج الى العقل والعقل محتاج الى التجارب واذا عرفت ان طاعة المشير
الموصوف بالصفات المذكورة مستلزمة في اغلب الاحوال المشورة لحسن ثمرة لا به
والفوز بها لا جرم كانت معصيته ومخالفة رايه مستلزمة للحسرة مستعقبة
للندامة وقوله وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري الى قوله م
ان معصية المشير المذكور تعقب الحسرة والندامة اردف ذلك ببيان انه هو المشير
وانه اشار عليهم فخالفوه ليتضح لهم انهم عصوا مشيرا قد استكمل شرائط الراي فيتو
جهوا الندم على معصيته وقوله ونحلت لكم مخزون الراي استعارة للفظة

النخل لاستقلاص اشد ارايه واجودها لم يحسب اجتهاده ووجه المشابهه
ان اجودها ينتفع به مما يخلو من دقيق ونحوه هو المنخول كذلك الراي اجوده و
انفعه ما استخلص وصفي من كدورات الشهوة والغضب و قوله
لو يطاع لقصير امر مثل وقصير هذا هو قصير بن سعد اللخمي مولى جذيمة الابرش قصير
بعض ملوك العرب واصل المثل ان جذيمة كان قتل ابا الزبا ملكة الجزيرة فبعثت
اليه عن حب التزوج بها خدعة وسالته القدوم عليها فاجابها الى ذلك وخرج
في الف فارس وخلف باقي جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدي وكان قصير اشار الى
جذيمة ان لا يتوجه اليها فلم يقبل رايه فلما قرب جذيمة من الجزيرة استقبلته
جنود الزبا بالعدة ولم ير منهم اكراما له فاشار عليه قصير بالرجوع عنها وقال انه
انها امراة ومن شان النساء الغدر فلم يقبل فلما دخل اليها غدرت به وقتلته فعندها
قال قصير لا يطاع لقصير امر فذهبت مثلا لكل ناصح عصي وهو مصيب في رايه و
قد يتوهم ان جواب لو ههنا مقدم والحق ان جوابها محذوف والمعنى يتضح بترتيب
الكلام والتقدير ان كنت امرتكم اولا في حسن الحكومة ونصحت لكم فلو اطعتموني لفعلتم
ما امرتكم به ونحيت لكم النصيحة فيه فقولنا لفعلتم هو تقدير الجواب ومما
ينبه عليه ان قوله فابيتم على ابا المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة هو في
تقدير استثناء نقيض ذكر التالي وتقديره للتكلم لاتبتم على ابا من خالف الامر
وجفا المشير وعصاه حتى تحمل في النصح هل كان صوابا او خطا وهذا الكلام حق فان
المشير بالراي الصواب اذا كثر مخالفه فيه قد يتهم نفسه في صحة ذلك الراي وصوابه
لان استخراج وجه المصلحة في الامر او اجتهاد انما يغلب على الظن بكثرة الامارات اللا
ئحة للمشير فاذا حضر المشير ان يكون خلاف ما راه هو المصلحة لا مانع اذن ان
يعرض لغيره امارات اخرى تغلب على ظنه ان ما راه هو ليس بمصلحة فيعارض
بها ما راه اولا حقا ويخالفه في رايه فاذا كثرت تلك المخالفة من جمع غفير جاز
ان يتشكك الانسان فيما ظنه من المصلحة انه ليس بمصلحة وان الامارات التي
اقتضت ذلك الظن غير صحيحة فلذلك قال عليه السلم حتى ارتاب الناصح بنصحه
وعني الناصح نفسه او من راى رايه لاطباق الكثير عليها به على مخالفته وقال بعض
الشارحين يحمل ذلك على المبالغة لانه عليه السلم منزه عن ان يشك فيما يراه صوابا
بعد شوره به و قوله وضن الزند بقدحه قيل هو مثل يضرب لمن

تخل

يخلف بعواقبه اذا لم يجد لها قابلا عارفا بحقها او لم يتمكن من افادتها فان المشير
اذا اتهم او استغش او خطي في رايه ربما لا ينقدح له بعد ذلك راي صالح
لحكم الغضب عليه من جهة مخالفته وعدم قبول رايه ولما كان غرضه
ان يقرر عليهم الندامة في مخالفة رايه ويريهم ثمرة عصيان لعله القضا
در عن معاينة وجه المصلحة كما هو قال فكنت واياكم كما قال اخو هوازن
امرتهم امري البيت وهو لدريد بن الصمة من قصيدة له في الحماسة اولها
نصحت لعارض واصحاب عارض ورهط بني السوداء والقوم شهدي و
قصته في هذه القصيدة ان اخاه عبد الله بن الصمة غزا بني بكر بن هو ازن
بن غطفان فغنم منهم واستاق ابلهم فلما كان منعرج اللوى قال لا ابرح
حتى انحر النقيعة وهو ما ينحر من النهب قبل القسمة واجيل السهام فقال اخوه
دريد لا تفعل فان القوم في طلبك فابى عليه واقام ونحر النقيعة وبات
فلما اصبح هجم القوم عليه وطعن عبد الله بن الصمة فاستغاث باخيه
دريد فنهنه عنه القوم حتى طعن هو ايضا وصرع وقتل عبد الله وحال
الليل بين القوم فنجا دريد بعد طعنات وجراح حصلت له فقال القصيدة و
انما قال عليه السلم اخو هوازن لنسبته اليهم فان دريد بن الصمة من بني جشم
بن معاوية بن بكر بن هوازن ونحوه قوله تعالى واذكر اخا عاد لنسبته
اليهم وكذلك قال لهم اخوهم لوط ويكفي في اطلاق لفظ الاخوة مجازا مجرد
الاتصال بهم والملابسة لهم وقد عرفت ذلك ووجه تمثله عليهم بالبيت ان
كنت واياكم في نصحي لكم ونهي عن الحكومة ومخالفتكم امري المستلزمة لبداهتكم
على التفريط كهذا القائل مع قومه حيث نصح لهم فعصوه فلحقهم ما لحقهم من
الندامة والهلاك واعلم ان الذي كان اشار به على اصحابه هو ترك الحكومة
والصبر على قتال اهل الشام ومحل البيت ان امارات الغلبة لعله الهزيمة
كانت لائحة على اهل الشام فلما عاينوا الهلاك استشار معوية لعمرو بن العاص
في كيفية الخلاص فقال عمرو ان رجالك لا يقوم لرجاله ولست مثله انه
يقاتلك على امر وانت تقاتل على غيره انت تريد البقاء وهو تريد الفناء واهل
العراق يخافون منك ان ظفرت بهم واهل الشام لا يخافون عليا ان ظفر بهم
ولكن الق الى القوم امرا ان قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا ادعهم

الى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فانك بالغ به حاجتك وانى لم ازل ادخر هذا
الامر لوقت حاجتك اليه فعرف معوية ذلك فلما اصبحوا رفعوا المصاحف
على اطراف الارماح وكان عددها خمسمائة مصحف ورفعوا مصحف المسجد
الاعظم على ثلثة ارماح مشدودة يمسكها عشرة رهط ونادوا باجمعهم
الله الله معشر العرب في النساء والبنات الله الله في دينكم هذا كتاب
الله بيننا وبينكم فقال عليه السلم اللهم انك تعلم انهم ما الكتاب يريدون
فاحكم بيننا وبينهم انك انت الحكم الحق المبين و ح اختلف اصحابه فقالت
طائفة القتال القتال وقال اكثرهم المحاكمة الى الكتاب ولا يحل لنا الحرب
وقد دعينا الى حكم الكتاب وتنادوا من كل جانب الموادعة الموادعة فقال
عليه السلم في جوابهم ايها الناس انى احق من اجاب الى كتاب الله ولكن
معاوية وعمرو بن العاص عليهم اللعنة وابن ابى معيط ليسوا باصحاب دين
ولا قران انى اعرف بهم منكم صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا شر صغار وشر رجال
ويحكم انها كلمة حق يراد بها باطل انهم ما رفعوها انهم يعرفونها ولا يعملون
بها ولكنها الخديعة والمكيدة والوهن اعيرونى سواعدكم وجماجمكم ساعة
واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق الا ان يقطع دابر القوم الذين ظلموا فجاءه
عشرون الفا من اصحابه ونادوه باسمه دون امرة المؤمنين اجب اليوم الى
كتاب الله اذا دعيت والا قتلناك مثل ما قتلنا عثمان فقال عليه السلم ويحكم
انا اول من اجاب الى كتاب الله واول من دعا اليه فكيف لا اقبله و
انما قاتلتهم ليدينوا بحكم القران ولكنى قد اعلمتكم انهم قد كادوكم وليس العمل
بالقران يريدون فقالوا ابعث الى الاشتر يأتيك وقد كان الاشتر صبيحة
ليلة الهرير قد اشرف على عسكر معوية ليدخله ولاح له الظفر فبعث اليه
فرجع على كره منه ووقع بينه وبين من اجاب الى الحكومة من اصحاب
على مسابات ومجادلات على ما اختاروا من ترك الحرب وتنادوا من كل جانب
رضى امير المؤمنين وكتبوا عهدا على الرضا به وسنذكر كيفيته لعلها انشاء الله

## ومن خطبة له عليه السلام

في تخويف اهل النهر فانا نذير لكم ان تصبحوا صرعى باكنا فى هذا الشوال
اخره اقول الخطاب للخوارج الذين قتلهم عليه السلم

بالنهروان

بالنهروان وقد كانت القضايا الالهية سبقت فيهم لما كان منهم من الخروج روى في صحيح
الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه بينا هو يقسم قسما جاءه رجل من بنى تميم فقال
له ذو الخويصرة فقال اعدل يا محمد فقال صلى الله عليه قد عدلت فقال ثانية اعدل
يا محمد فانك لم تعدل فقال صلى الله عليه ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فقام عمر
قال يا رسول الله ايذن لى في ضرب عنقه فقال دعه فسيخرج من ضئضئ هذا
قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على حين فرقة من الناس
تحتقر صلاتكم في جنب صلوتهم وصومكم عند صومهم يقرؤون القران لا يجاوز
تراقيهم فيهم رجل اسود مخدج اليد احدى يديه كانها ثدى امراة او بضعة
تدردر يقتلهم اولى الفريقين بالحق وفي مسند احمد رضى الله عنه عن مسروق قال
قالت لى عائشة انك من ولدى ومن احبهم الى فهل عندك علم من المخدج فقلت نعم
قتله على ابن ابو طالب على نهر يقال لاعلاه تامرا ولاسفله النهروان بين لخافيق
وطرفا فقالت ابغنى على ذلك بينة فاقمت رجالا شهدوا عندها بذلك ثم قلت
لها سألتك بصاحب القبر ما الذى سمعت منه فيهم فقالت سمعته يقول انهم شرار
الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله وسيلة فاما سبب
خروج هؤلاء القوم فهو انه عليه السلم لما قهره اصحابه على التحكيم واظهروا عنه
الرضى به بعد ان حذرهم ووعظهم فلم يلتفتوا كتبوا الكتاب للتحكيم واخذه الاشعث
بن قيس فطاف به على اصحاب معوية فرضوا به وطاف به على اصحاب على
فرضوا به حتى مر برايات عنزة وكان مع على عليه السلم منهم نحو من اربعة الاف
فارس فلما قرأ الكتاب عليهم قال فتيان منهم لا حكم الا لله ثم حملا على اصحاب
معوية فقتلا فهما اول من حكم ثم مر على مراد ثم على بنى راسب ثم على
بنى تميم فكل فرقة قرأه عليهم قالوا لا حكم الا لله لا نرضى ولا نحكم الرجال في
دين الله فرجع الاشعث فاخبر عليا عليه السلم بذلك فاستصغر امرهم فظن
انهم قليلون فما راعه الا والناس يتنادون من كل جانب لا حكم الا لله يا على
لا لك وقد كنا اخطانا حين رضينا بالحكمين رجعنا الى الله وتبنا فارجع
انت وتب الى الله كما تبنا والا برئنا منك فابى عليه السلم وقال ويحكم ابعد
العهد نرجع فما نصنع بقوله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الاية وابت
الخوارج الا تضليل التحكيم والطعن فيه فبرئوا من على وبرئ منهم ثم كان اجتماعهم

الحكم لله ح

خرجوا فنهاهم عليه السلم لذلك الحرورية فناظرهم بها فرجع منهم الفان ثم مضوا الى النهروان وكان امرهم يومئذ عبد الله ابن الكوا وحين القتال عبد الله بن وهب الراسبي فسار اليهم فخطبهم فقال نحن اهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرحمة ومعدن العلم والحكم ايها القوم اني نذير لكم الفصل وروى انه عليه السلم لما قتلهم طلب ذا الثدية بينهم طلبا شديدا فلم يجده فجعل يقول والله ما كذبت ولا كذبت اطلبوا الرجل وانه لفي القوم فلم يزل يتطلبه حتى وجده في وهدة من الارض تحت القتلى وهو رجل مخدج اليد كانها ثدي في صدره وعليها شعرات كسبال الهرة فكبر علي عليه السلم وكبر الناس معه وسروا بذلك والاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الوادي والغائط ما سفل من الارض وطوحت بكم اي توهتكم في اموركم ورمت بكم المرامي واحتبلكم اي تعلقكم في الحبالة والنكر المنكر وروى بجرا والبجر الامر العظيم والداهية وروى هجرا وهو المتساقط من القول وروى عرا والعر والعرة الاثم والعر ايضا داء ياخذ الابل في مشافرها ويستعار للدواهي واعلم ان حاصل هذا الفصل تحذير للقوم من الهلاك وهم على غير بينة من ربهم ولا حجة واضحة يحتجون بها على ما يدعونه حقا ويقاتلون عليه وذلك مما يجب الحذر منه اذ فيه حرمان سعادة الدارين وانما سميت الحجة نفسها سلطانا لان بها الغلبة والتسلط وهو من باب الاستعارة و قوله قد طوحت بكم الدار كنى بالدار عن الدنيا وانما نسب هلاكهم او انخداعهم ورميهم اليها لان المهلك لهم والموجب لتيههم انما هو اتباع اهوائهم الباطلة التي منشاها انما هو تحصيل امر دنيوي من مال او جاه ونحوه فكانت الدنيا هي التي رمت بهم المرامي عن رحمة الله واخرجتهم عن طاعته و قوله واحتبلكم المقدار استعارة حسنة لاحاطة القدر النازل عن قضاء الله بهم فهو كحبالة الصائد التي لا مخرج للطائر منها اذا انزلت به و قوله كنت نهيتكم عن هذه الحكومة الى قوله الى هواكم تقرير للحجة عليهم وكانه يقول لهم ان كان الحق هو عدم الحكومة فلم طلبتموها وابيتم علي اباء المخالفين المنابذين لما نهيتكم عنها حتى صرت الى هواكم فيها وان كان الحق هو ايقاعها فلم شنعتم في الان

لما اوقعتها

لما اوقعتها وجعلت لله علي بها عهدا وعلى التقديرين يلزمهم الخطاء و قوله وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام الواو للحال والعامل صرفت والاضافة في اخفاء وسفهاء غير محضة ولذلك صح كونهما وصفين لمعاشر وخفة الهامة كناية عن رذيلة الطيش المقابلة لفضيلة الثبات والسفه رذيلة مقابلة للحلم والثبات والحلم فضيلتان تحت ملكة الشجاعة ولما كانت هاتين الرذيلتين نسبة الى الفضيلتين صح اضافتهما اليهما و قوله ولم آت لا ابا لكم بجرا ولا اردت بكم ضرا خرج مخرج الاعتذار اليهم واستدراجهم ببيان تحسين فعله ونفي المنكر عنه وعدم قصد الاساءة اليهم ليرجعوا عما نسبه اليهم وقوله لا ابا لكم كلمة اعتيدت في السنة العرب قال الجوهري يراد بها المدح و قال غيره يراد بها الذم فان عدم الخرق باب يستلزم العار والسبة وقيل هو دعا على المرء ان لا يكون له اب يعززه ويشد ظهره ونفي الاب يستلزم نفي العشيرة له فكانه دعا بالذل وعدم الناصر وبالله التوفيق

## ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطب

فقمت بالامر حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا الى اخره

اقول التعتعة الاضطراب في الكلام عن الحصر و التطلع الى الامر اختباره وتعرفه والتقبع التقبض يقال قبع القنفذ اذا قبض راسه بين كتفيه والاستبداد الانفراد والرهان ما يراهن ويستبق عليه والغمز العيب بالعيب وكذلك الغمز قال بعض الشارحين هذا الفصل فيه فصول اربعة التقطها الرضي رحمه الله من كلام طويل له عليه السلم قاله بعد وقعة النهروان ذكر فيه حاله منذ توفي رسول الله صلى الله عليه الى اخر وقته قوله الفصل الاول فقمت بالامر حين فشلوا الى قوله برهانها هذا الكلام ورد في معرض افتخاره واثبات فضيلته لغاية قبول رايه فقيامه بالامر حين فشلهم اشارة الى فضيلة شجاعته اي قمت بامر الله بين يدي رسوله وبعده في الحروب والمقامات الصعبة التي ضعفوا عنها والاوقات التي فشلوا فيها وامره في ذلك ظاهر ونطقت حين تعتعوا اشارة الى ملكة الفصاحة مستتبعة

لملكة العلم اى نطقت فى القضايا المبهمة والاحكام المشكلة والمقاول التى
حصرت فيها بلغاءهم بكثير منطقه وتبعتهم عن فصاحته وعيهم و
**قوله** وتطلعت حين تقبعوا اشارة الى كبر الهمة فى تحصيل ما
ينبغى للانسان ان يحصله من تعرف الامور واختبارها والنظر فى مصادرها
ومواردها وهى ملكة تحت الشجاعة ولما كان التطلع على الامر يحتاج الانسان
فيه الى نحو من التطاول ومد العنق وتحديق العين ونحوه وكان تعرف الامور
واختبارها لا بد فيه من بعث رائد الفكر الذى هو عين النفس التى بها تبصر و
تحديقه نحو الامور المعقولة وارسال المخيلة ليقتبس حقائق المحسوسات اشبه
ذلك التطلع فاستعير له لفظ التطلع وكنى به عنه **قوله** حين تقبعوا
اى كان تعرفى للامور حين قصورهم عن ذلك ولما كان التقبع يقابل مد
العين والتطاول الى روية الاشياء المتطلع اليها وكان قصور افكارهم وعدم اعتبا
رهم للاشياء يقابل مد الفكر وتطاول الذهن الى معرفة الامور وكان قصور الفكر
ايضا والعجز عن المعرفة بسببه التقبع استعار لهم لفظ التقبع وكنى به عنه
**قوله** ومضيت بنور الله حين وقفوا اشارة الى فضيلة العلم
اى كان سلوكى لسبيل الحق على وفق العلم وهو نور الله الذى لا افضل من اهتدى به
وذلك حين وقفوا حايرين مترددين جاهلين بالقصد وكيفية سلوك الطريق
واعلم انه اثبت لنفسه هذه الفضايل وقرن كل فضيلة له برذيلة فيهم يقابلها
لتبين فضله بالنسبة اليهم اذ كان الغرض ذلك **قوله** وكنت اخفضهم
صوتا واعلاهم فوتا كنى بخفض الصوت عن ربط الجاش فى الامور والثبات فيها
والتصميم على فعل ما ينبغى من غير التفات الى الحوادث والموانع عن فعل ما هو خير و
مصلحة فان كثرة الاصوات اعلوها فى الافعال التى هى مظنة الخوف دليل الفشل
ولا شك ان من كان اشد فى ذلك كان اعلى فوتا واشد سبقا الى مراتب الكمال
ودرجات السعادة ممن كان اضعف فيه **قوله** فطرت بعنانها
واستبددت برهانها الضميران يعودان الى الفضيلة وان لم يجر لها ذكر لفظى
واستعار هاهنا لفظ الطيران للسبق العقلى لما يشتركان فيه من معنى السرعة
واستعار لفظى العنان والبرهان اللذين هما من متعلقات الخيل للفضيلة
التى استكملها نفسه تشبيها لها مع فضايل نفوسهم بخيل الحلبة ووجه الشبه

ان الصحابة

ان الصحابة لما كانوا يستبقون الفضايل ويستبقون بها الى رضوان الله
وسعادات الاخرة كانت فضايلهم التى هم عليها يستبقون كخيل الرهان
ولما كانت فضيلته عليه السلم اكمل فضايلهم وانها كانت بالنسبة الى فضايلهم
كالفرس الذى لا يشق غبار فحسن منه ان يستعير لسبقه بها لفظ الطيران و
يجرى عليها لفظ العنان والرهان **الفصل الثانى** **قوله**
كالجبل لا تحركه القواصف الى قوله احذ الحق منه وهذا الفصل يحكى فيه
قيامه باعباء الخلافة حين انتهاءها اليه وجريه فيها على القانون العدل
والاوامر الالهية فقوله كالجبل تشبيه له فى الثبات على الحق بالجبل فكما لا تحرك
الجبل قواصف الرياح وعواصفها كذلك هو لا تحركه عن سواء السبيل مراعاة
هوى لاحد او اتباع طبع يخالف ما تقتضيه سنة الله وشرعه بل هو ثابت
على القانون العدل وموافقة الامر الالهى **قوله** لم يكن لاحد فى
فى مغمز اى لم يكن فى عيب اعاب به ويقدح فى هذه القراين الاربع
مع الاربع الاخيرة من الفصل الاول النجم المتوازى **قوله** الذليل
عندى عزيز حتى اخذ الحق له اعزازه للذليل اعتناءه بحاله واهتمامه
بامر ظلامته ومن اعتنى بحال انسان فقد اعزه ثم جعل الاعزاز غاية هى اخذه
الحق له وكذلك قوله والقوى عندى ضعيف حتى اخذ الحق منه فان ضعف
القوى هو قهره تحت حكمه الى غاية يستوفى منه حق المظلوم فان قلت يفهم من
هاتين الغايتين ان نظره الى الذليل بعد استيفاء حقه والى القوى بعد
اخذ الحق منه لا يكون على سواء بل يكون التفاته الى القوى اكثر وذلك ابعد من
العدل قلت انه لما لم يكن الغرض من الامر بمساواة النظر من الخلق
الا اخذ حق الضعيف من القوى وعدم التظالم بينهم لم يجب مساواة النظر
بين القوى والضعيف الا من تلك الجهة ولم يكن اعزازه للقوى واكرامه
فى غير وجه التظلم قبيحا لجواز انفراده بفضيلة توجب اعزازه من جهة الدين
ايضا **الفصل الثالث** **قوله** رضينا عن الله قضاءه
وسلمنا له امره الى قوله من كذب عليه قيل ذكر ذلك عليه السلم لما تفرس
فى طايفة من قومه انهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبى صلى الله عليه من
اخبار الملاحم فى الامور المستقبلة وقد كان منهم من يواجهه بذلك كما روى انه

لما قال سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسالوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة الا انباتكم بناعقها وسايقها قام اليه انس النخعي فقال اخبرني كم في لحيتي وراسي طاقة شعر فقال عليه السلام والله لقد حدثني حبيبي ان على كل طاقة شعر من راسك ملكا يلعنك وان على كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك وان في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله وكان ابنه سنان بن انس قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلا يحبو وسياتي بعض تلك الاخبار فقوله رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره قد عرفت ان الرضا بقضاء الله والتسليم لامره باب من ابواب الجنة يفتحه الله لخواص اوليائه ولما كان عليه السلام يستدل لعارض بعد رسول الله صلى الله عليه وكان قلم القضاء الالهي قد جرى على قوم بالتكذيب له والتهمة فيما يقول لا جرم كان هو عليه السلام اهل الناس بلزوم باب الرضى و قوله اتراني اكذب الى قوله استنكار لما صدر منهم في حقه من التكذيب وايراد حجة لبطلان اوهامهم في حقه تصور قياس الضمير مع تنحيه وتعديره والله لانا اول من صدقه وكل من كان اول مصدق له فلن يكون اول مكذب له ينتج اني لا اكون اول مكذب له الفصل الرابع قوله فنظرت في امري الى اخره فيه احتمالان احدهما قال بعض الشارحين انه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وانه كان معهودا اليه ان لا ينازع في امر الخلافة بل ان حصل له بالرفق والا فليمسك فقوله فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي اي طاعتي لرسول الله فيما امرني به من ترك القتال قد سبقت بيعتي للقوم فلا سبيل الى الامتناع منها وقوله واذا الميثاق في عنقي لغيري اي ميثاق رسول الله وعهده الي بعدم المشاقة وقيل الميثاق ما لزمه من بيعة ابي بكر بعد ايقاعها اي فاذا ميثاق القوم قد لزمني فلم يمكني المخالفة بعده الاحتمال الثاني ان يكون ذلك في تضجره وتبرمه من ثقل اعباء الخلافة وتكلف مداراة الناس على اختلاف اهوائهم ويكون المعنى اني نظرت فاذا طاعة الخلق لي وانقيادهم الي قد سبقت بيعتهم لي واذا ميثاقهم قد صار في عنقي فلم اجد بدا من القيام بامرهم ولم يسعني عند الله الا النهوض بامرهم ولو لم يكن كذلك لتركت كما قال من قبل اما والله لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت اخرها بكاس اولها والاول اشهر من الشارحين وبالله التوفيق

وانما

## ومن خطبة له عليه السلام

وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق اقول يحتمل ان يكون هذا الكلام فصلين احدهما قوله وانما سميت الى قوله ودليلهم العمى والثاني الباقي فالفصل الاول اشارة الى علة تسمية الشبهة شبهة ثم الى بيان حال الناس فيها اما الاول فالشبهة عبارة عما يشبه الحق مما يحتج به اما في صورته او في مادته او فيهما معا وظاهر ان علة تسميتها شبهة هو ذلك الشبه فلذلك حصرها فيه واما الثاني فلان الناس اما اولياء الله او اعداؤه اما الاولياء فلما كانت نفوسهم مشرقة بنور اليقين مستضيئة بمصباح النبوة في سلوك الصراط المستقيم كانت تلك الانوار هدى اذهانهم في ظلمات الشبهات وحرزهم عن الهوي في مهاوي الجهالات كما قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الاية وهو الهدى المامور بلزوم سمته والاستدلال به الى المطالب الحقة وهو المراد بقوله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداؤه فليس دعاؤهم لما يدعون اليه الا ضلالا عن القصد القويم واضلالا للخلق عن الطريق الحق وليس ما يعتمدونه دليلا يزعمون انهم يهتدون به في السبيل الا شبهة هي في نفسها عمى عن الابصار بعيدة بهم عن مطالعة نور الحق وطمس للاذهان عن الانجذاب لهم عن اعتقاد سلوك سبيل الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور واما الفصل الثاني وهو قوله فما ينجو الى اخره فتصديق القضية العقلية الاولى قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقوله اينما تكونوا يدرككم الموت الاية وحاصله التذكير بهادم اللذات والتخويف بذكره والتنفير عن محبة ما لا بد من زواله ليفزع السامعون الى العمل لما بعده ان اخذ التوفيق بازمة عقولهم فان خوفه ومحبته هذه وهو البقاء لا ينفعان في الخلاص منه لكونه ضروريا في الطبيعة ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون الفصل الثاني قد سبق له قبل الاول كلام يحسن تعلقه به وبالله التوفيق والعصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

منيت بمن لا يطيع اذا امرت ولا يجيب اذا دعوت لا ابا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم اما دين يجمعكم الى اخره اقول روي ان هذه الخطبة خطب بها عليه السلام في غارة النعمان بن بشير لعين التمر والسبب ان معوية بعث النعمان

بن بشير في الفي فارس لارهاب اهل العراق فاقبل حتى دنا من عين التمر وكان عا
ملها يومئذ من قبل علي مالك بن كعب الارحبي ولم يكن معه اذ ذاك سوى مائة رجل
او نحوها فكتب مالك الى علي عليه السلم يعلمه الخبر فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال
اخرجوا هداكم الله الى مالك بن كعب اخيكم فان النعمن بن بشير قد نزل به في
جمع من اهل الشام ليس بالكثير فانهضوا الى اخوانكم لعل الله يقطع بكم طرفا من الكافرين
ثم نزل فتثاقلوا فارسل الى وجوههم فامرهم بالنهوض فتثاقلوا ولم يجتمع منهم الا نفر
يسير نحو ثلثماية رجل فقام عليه السلم وقال الا اني منيت الفصل وروي ان الدائرة
كانت لمالك ومن معه على النعمن وجمعه منيت ابتليت وتحمشكم اي تغضبكم والمستصرخ
المستجلب لصوته من ينصره والمتغوث المصوت فيستنصر به وقيل هو قول الرجل واغوثاه
والتأ في الزجر والجرجرة ترديد صوت البعير في حنجرته عند عسفه والسرر داء
ياخذ البعير في سرته يقال منه جمل اسر والنضو من الابل البالي من تعب السير
والادبر الذي به دبر وهي القروح في ظهره وفي الفصل مطالب الاول قوله منيت
من لا يطيع الى قوله دعوت وهو اظهار لعذر نفسه على اصحابه بنسبة اليهم التقصير
دونه وتقريع عليهم لانه عزهم الثاني قوله لا ابا لكم الى قوله مرام وهو استفهام
لهم الى نصرة ربهم بسؤالهم عن سبب تثاقلهم عن نصرته والذب عن دينه سؤالا على سبيل
الانكار للتثبيت تنبيها لهم على الاسباب التي توجب اجتماعهم لنصرته والغضب له بلوازم
عنها وهل هي موجودة لهم ام لا سؤالا على سبيل الانكار ايضا اذ هم يدعون وجودها لهم
وهي الدين الذي امروا بلزومه والاخذ فيه كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء ورايه ثم الحمية وهي ملكة تحت الشجاعة وكذلك قوله
اقوم فيكم الى قوله امرا من الاسباب الباعثة لهم ايضا على الاجتماع فان ذكر
حاله من استصراخه لهم واستغاثته بهم مع ذكر حالهم في مقابلة ذلك من
تركهم نداءه وعدم طاعتهم له فما ينبههم على خطاياهم وتقصيرهم وقوله
حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة ذكر لغاية تثاقلهم عن دعوته وتنبيه
بذكر استعقابه للمساءة على خطاياهم فيه وكذلك قوله فما يدرك بكم ثار ولا
لا يبلغ بكم مرام عتاب وتوبيخ يبعث طباع العرب على التالف في النصرة اذ
ما شانهم ثوران للطباع فمثل هذه الاقوال وقوله دعوتكم الى قوله الادبر
استعار لفظ الجرجرة لكثرة تململهم وقوة تضجرهم من ثقل ما يدعوهم اليه

ولما كان

ولما كانت جرجرة الجمل الاسر اشد من جرجرة غيره شبه ما يشبهه تلبيهم من
التضجر بها وكذلك اخوانهم اعني اصحاب مالك بن كعب المذكور وجوابهم له بالتبرم
من ذلك والتثاقل ثم اردف ذلك بتصغير من خرج منهم من الجند ووصفه بالاضطراب
والضعف وتشبيههم بمن يساق الى الموت وهو ينظر في تثاقله واضطرابه وضعفه
من الحركة الى ما يساق اليه لشدة خوفه وكل ذلك ذم وتوبيخ ليستثير به طباعهم عما هم عليه
من التثاقل عند ندائه والتقصير في اجابة دعائه وبالله التوفيق والعصمة

## ومن كلام له عليه السلام

في معنى الخوارج لما سمع قولهم لا حكم الا لله
قال كلمة حق يراد بها الباطل الى آخره

اقول قوله كلمة حق يراد بها باطل هذه الكلمة رد
لما انغرس في اذهان الخوارج من شبهة دعاء اصحاب معوية الى كتاب الله اي ان
دعاءهم لكم الى كتاب الله كلمة حق لكن ليس مقصودهم بها كتاب الله بل غرض
اخر باطل وهو فتور الحرب عنهم وتفرق اهوائكم ونحوه منها الا انه يحتمل ان يجعل قوله
نعم لا حكم الا لله تصديقا لقولهم كلمة حق لما عليه الكلمة في نفس الامر لا لما ارادوه منها من
ظاهرها فان حصر الحكم ليس بحق على معنى انه ليس للعبد ان يحكم بغير ما في كتاب
الله عليه وان اكثر الاحكام الفرعية غير منصوص عليها مع انها احكام لله بل تكون
منتزعة بحسب الاجتهاد وساير طرقها لمن كان اهلا لذلك ويجب على من ليس له
اهلية الاجتهاد امتثالها ولما تصور الخوارج هذه الكلمة بمعنى انه لا يصح حكم لم يوجد
في كتاب الله ولا يجوز امتثاله والعمل به لا جرم قال نعم لا حكم الا لله لكن هؤلاء
القوم يقولون لا امرة اي لما نفوا ان يكون لغير الله حكم نفوا عليه فقد نفوا الامرة
لان استنباط الاحكام والنظر في وجوه المصالح من لوازم الامرة التي هي حال الامير
في رعيته ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم ولما كانوا قد نفوا الامرة كذبهم عليه السلم
بقوله ولا بد للناس من امير بر او فاجر فكان جملة الكلام في معنى شرطية
متصلة هكذا اذا قالوا لا حكم الا لله كما تصوروه فقد قالوا لا ينبغي الامرة لكن القول
بنفي الامرة باطل فالقول بنفي الحكم الا لله كما تصوروه باطل فقوله ولا بد للناس
من امير في معنى استثناء نقيض تالي المتصلة وتقريره ان الانسان خلق مدنيا
لمقارنة النفس الامارة بالسوء محتاجا الى مجموع قوى يدبره هي منابع الشر

فاهوآء الخلق لذلك مختلفه وقلوبهم متفرقه فكانت طبيعة نظام احوالهم في
معاشهم ومقاصدهم محوجه الى سلطان قاهر بالملك مرهبة للاهوآء وتحتشم هيبته
القلوب وتملكت بسطوته للامال العادية اذ في طباع الخلق من حيث الغالبة
على حال الشره والقهر لمن عليه ما لا ينكفون عنه الا بمانع قوي ورادع ملي وقد
افصح المتنبي عن ذلك حيث يقول

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم في شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

المانعة من الظلم عند الاستقرا يرجع الى امور اربعه اما عقل زاجر او دين حاجز
او عجز مانع او سلطان رادع والسلطان القاهر ابلغها نفعا لان العقل والدين
ربما كانا مغلوبين بدواعي الهوى فيكون رهبة السلطان اقوى ردعا واعم نفعا
وان كان جائرا فانه روي عن رسول الله صلى الله عليه ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم
لا خلاق لهم في الاخرة وروي بالرجل الفاسق وروي عنه انه قال الامام الجائر
خير من الفتنة وكل لا خير فيه وفي بعض الشر خيار اي ان وجود الامام وان كان جائرا
خير من عدم المستلزم لوجود الفتنة ووقوع الهرج والمرج بين الخلق اذ كان
بوجوده صلاح بعض الامور على انه وان كان لا خير فيه ايضا من جهة ما هو جائر لكنا
وكل لا خير فيه الا ان هيبته ووجوده بين الخلق مما يوجب الانزجار عن اثارة الفتن
فيكون ذلك خيرا وقع في الوجود بوجوده لا يحصل مع عدمه فوجوده مطلقا خير
وذلك معنى قوله عليه السلم لا بد للناس من امير بر او فاجر و **قوله**
يعمل في امرته المومن ويستمتع فيها الكافر الضمير في امرته لما عاد الى الامير
وكان لفظ الامير محتملا للبر والفاجر كان المراد بالامرة التي يعمل فيها المومن امرة
الامير من حيث هو بر وما التي يتمتع فيها الكافر امرته من حيث هو فاجر وهذا
اولى من قول بعض الشارحين ان الضمير يعود الى الفاجر فان امرة الفاجر ليست
مظنة تمكن المومن من عمله والمراد بعمل المومن في امرة البر عمله على وفق اوامر
الله ونواهيه اذ ذلك وقت تمكنه منه والمراد باستمتاع الكافر في امرة الفاجر
انهماكه في اللذات الحاضرة التي يخالف فيها اوامر الله اذ ذلك وقت تمكينه
من مخالفة الدين وقوله يبلغ الله فيها الاجل اي في امرة الامير سوا كان برا
او فاجرا وفائدة هذه الكلمة تذكر العصاة بلوغ الاجل وتخويفهم به وقوله

ولهم

ولهج به الى قوله التوى الضماير المجرورة كلها راجعه الى الامير المطلق اذ
قد يحصل الامور المذكورة كلها من وجوده كيف كان برا او فاجرا وهما يدخل لكان
اكثر الخلق متفقون على ان امرآء بني امية كانوا فجارا عدا رجلين او رجل كعثمان
وعمر بن عبد العزيز وكان الفي يجمع بهم والبلاد تفتح في ايامهم والثغور الاسلامية
محروسة والسبل امنة والقوي ماخوذ بالضعيف ولم يفر جورهم شيئا في تلك الامور
و **قوله** حتى يستريح بر ويستراح من فاجر غاية من الامور المذكوره
اي غاية هذه الامور ان يستريح بر بوجودها ويستراح من تعدي الفاجر و
بغيه وقيل اراد ان هذه الامور لا تزال تحصل بوجود الامير برا كان او فاجرا الى
ان يستريح بر بموته ويستراح من فاجر بموته او بعزله وافقا الروايتان الاخرى
معنى الكلام فيها ظاهر **ومن خطبة له عليه السلام**
ان الوفا توام الصدق ولا اعلم جنة اوقى منه **الفول**
الجنة ما استترت به من سلاح ونحوه والحول القلب الذي يكثر تحوله
وتقلبه في اختبار الامور ويعرف وجوهها والانتهاز المبادرة الى الامر والفرصة
وقت الامكان والحريجة التحرج وهو التحرز من الحرج والاثم واعلم ان
الوفا ملكة نفسانية ينشا عن لزوم العهد كما ينبغي والعفاف والصدق
ملكه تحصل عن لزوم الاقوال المطابقة وهما فضيلتان داخلتان تحت فضيلة
العفه متلازمتان ولما كان التوام هو الولد المقارن لولد اخر في بطن
واحد اشبه الوفا لمقارنته الصدق تحت العفه واستعار لفظه له ثم لما كانت
فضيلة الوفا مقابلة برذيلة الغدر وفضيلة الصدق مقابله برذيلة
الكذب كانت رذيلتا الغدر والكذب ايضا توامين تحت رذيلة الفجور
المقابلة لفضيلة العفه **قوله** ولا اعلم جنة اوقى منه
حكم ظاهر فان الوفا وقاية تامة للمرء اما في اخرته فلاستتاره به عن
عذاب الله الذي هو اعظم محذور واما في دنياه فلاستتاره به من السب
والعار وما يستلزمه عدم الوفا من الغدر والكذب المستهجن لوجه النفس
واذا علمت انه لا نسبة لشي مما يجتن به من الاسلحة وغيرها الى ما يتوقى بالوفا
علمت انه لا جنة اوقى من الوفا وعادم الوفا ومذام الغدر كثيرة
قال تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين

يوفون بعهدهم اذا عاهدوا الاية وقال في مدحه بالوفاء ومن اوفى بعهده من
الله وقال ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه
اجرا عظيما ومن الخبر في ذم الغدر لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة
و **قوله** وما يغدر من علم كيف المرجع اقول
العلم بكيفية المرجع الى الله تعالى والاطلاع على منازل السفر اليه وعلى احوال الاخرة
التي هي المستقر صارف قوي عن ارتكاب الرذائل التي من جملتها الغدر وانما خص جملتها
الغدر بنسبة اهله الى الجهل بامر المعاد لكونه في معرض مدح الوفاء والتنزيه
منه و **قوله** ولقد اصبحنا في زمان الى قوله الحيلة اقول
انما اتخذ اهل الزمان الغدر كيسا ونسبهم كثير الى حسن الحيلة لجهل الفرق بين
الغدر ولعدم تميزهم بين الغدر والكيس فانه لما كان الغدر كثيرا ما يستلزم
الدهاء والفطنة لوجه الحيلة وايقاعها بالمغدور به فكان الكيس ايضا عبارة
عن الفطانة والذكاء وجودة الراي في استخراج وجوه المصالح التي ينبغي
كانت بينهما مشاركة في استلزام مفهوميهما للتفطن والذكاء في استخراج
وجه الحيلة وايقاع الاراء الا ان تفطن الغادر يستعمله في استنباط
الحيلة وان تخالفت القوانين الشرعية ووافقت المصالح الكلية في جنب
مصلحة جزوية محضة وتفطن الكيس انما يستعمله في ايقاع راي او حيلة
ينتظم مصلحة العالم ويوافق القوانين الشرعية فلدقة الفرق بينهما
استعمل الغادرون غدرهم في موضع الكيس ونسبهم ايضا الجاهلون في
غدرهم الى حسن حيلتهم كما نسب ذلك الى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة و
نحوهما ولم يعلموا ان حيلة الغادر تخرجه الى رذيلة الفجور وانه لا حسن
في حيلة جرت الى رذيلة و **قوله** ما لهم قاتلهم الله قد يرى
الى اخره دعا عليهم بقتال الله لهم بعد استفهامه عن خوضهم في امره
استفهاما على سبيل الانكار وقد علمت ان قتال الله كناية عن عداوته و
البعد عن رحمته وظاهر ان اهل الغدر بعداء عن رحمة الله ثم اردف ذلك
الدعاء بالاشارة الى انه لا فضيلة لهم فيما يفخرون به من الذكاء في استنباط
وجوه الحيلة اذا كانت غايتهم الفجور والخيانة فان الحول القلب في
الامور قد يرى وجه الحيلة عيانا الا انه يلاحظ في النهي بها مانع من الله

ونهيه

ونهيه عن ارتكابها لما يؤدي اليه من ارتكاب الرذائل الموبقة فيتركها
راي عين اي حال كونها مرئية له وبعد القدرة عليها من خوف الله
تعالى ثم يراها من لا يعتقد اثما في هدم قواعد الدين فيبادر اليها حال
امكانها وليس ذلك بفضيلة بل الفضل في الحقيقة لتاركها عن وازع الدين
والاشارة بالحول القلب الى نفسه فان شيمته الكريمة كانت كذلك

## ومن خطبة له عليه السلام

ايها الناس ان اخوف ما اخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الامل
فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الاخرة الا وان
الدنيا قد ولت حذاء الى اخره **قوله** حذاء خفيفة مسرعة
لا يتعلق احد منها بشيء والصبابة بقية الماء في الاناء والمقصود بهذا
الفصل النهي عن الهوى وطول الامل في الدنيا فانهما من اشد اسباب
الهلاك فكان الحذر عنهما من اشد اسباب النجاة كما قال تعالى فاما من
طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام ربه الاية
ثم التذكر بامور الاخرة واعلم ان الهوى هو ميل النفس الامارة بالسوء
الى مقتضى طباعها من اللذات الدنيوية واما الامل فقد سبق بيانه ولما
كانت السعادة التامة انما هي في مشاهدة حضرة الربوبية ومجاورة الملا
الاعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر وكان لاتباع النفس الامارة بالسوء
في ميولها الطبيعية والانهماك في لذاتها الفانية اشد مهلك جاذب
للانسان عن قصد الحق وصاد له عن سلوك سبيله وعن الترقي في ملكوت
السموات الى حضيض جهنم كما قال سيد المرسلين صلى الله عليه ثلث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكما قال حب الدنيا راس كل
خطيئة وقال الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احدهما
تبعد من الاخرى لاجرم كان اخوف ما ينبغي ان يخاف من الامور المهلكة
اتباع الهوى واما الامل فمراده به ايضا الامل لما لا ينبغي ان يمد الامل
فيه من المقتنيات الفانية وظاهر ان طول الامل فيما يكون مطابقا
لاتباع الهوى وبه يكون نسيان الاخرة لان طول توقع الامور المحبوبة
الدنيوية يوجب دوام ملاحظتها ودوام ملاحظتها مستلزم لدوام

اعراض النفس عن ملاحظة احوال الاخرة وهو مستعقب لا محالة ما تصور
في الذهن منها وذلك معنى النسيان لها وبذلك يكون الهلاك الابدي والشقاء
الاشنع ولما كان عليه السلام هو المتولي لاصلاح حال الخلق في امور معاشهم ومعادهم
كان الاهتمام بصلاحهم منوطا بهمته العلية فلا جرم نسب الخوف عليهم الى نفسه
و قوله الا وان الدنيا قد ولت الى قوله صبابتها اقول
الدنيا بالتولية اي كل شخص مفارقة له وحقيقته سرعة الانتقال لم يبق منها با
لقياس اليه الا اليسير واطلاق لفظ الصبابة هنا استعارة لبقيتها القليلة و
القلة هي وجه تشبيهها بصبابة الاناء ايضا و قوله الا وان الاخرة
قد اقبلت لما نبه على ان الدنيا سريعة الانتقال اردف ذلك بالتنبيه على سرعة
لحوق الاخرة واقبالها وكل ذلك قطع للامال الفانية وردع عن اتباع الهوى
ومن اثار الصالحين اذا كان العمر في ادبار والموت في اقبال فما اسرع الملتقى
والموت هو دهليز الاخرة و قوله ولكل منهما بنون الى قوله
يوم القيامة من لطايف كلامه فاستعار لفظ الابناء للخلق بالنسبة الى الدنيا والاخرة
ولفظ الاب لهما ووجه الاستعارة ان الابن لما كان من شانه الميل الى والده اما ميلا
طبيعيا او بحسب تصور المنفعة منه وكان الخلق منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد
الاخرة ويميل كل منهما الى مراده مع ما يحصل من طرف الدنيا للراغبين فيها مما يتوهمونه
لذة وخيرا وما يحصل من طرف الاخرة للراغبين فيها من اللذة والسعادة اشبه
كل بالنسبة الى ما رغب فيه واستفاد منه الخير الابن بالنسبة الى الاب فاستعير
لفظه لتلك المشابهة ولما كان غرضه حث الخلق على السعي للاخرة والميل اليها
والاعراض عن الدنيا قال عليه السلام فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا
ثم ذكر فايدة رابعة عليهم بان يكونوا كذلك وهي ان كل ولد سيلحق بابيه يوم القيا
مة واشار بذلك الى ان ابناء الاخرة والطالبين لها والعاملين لاجلها مقربون
في الاخرة لا يحجبون عن مراداتهم فيها ولهم فيها ما تشتهي انفسهم ولهم ما يدعون نزلا
من غفور رحيم واما ابناء الدنيا فان نفوسهم لما كانت مستغرقة في محبتها
وناسية لطرف الاخرة ومعرضة عنها لا جرم كانت يوم القيامة مغمورة في محبة
الباطل مغلولة بسلاسل الهيئات البدنية والملكات الردية المتمكنة من جواهرها
فهي لتعلقها بمحبة الدنيا حيث لا تتمكن من محبوبها بمنزلة ولد لا تعلق له ولا مسكة

الا بوالده

الا بوالده ولا الف له الا هو ولا انس الا معه ثم حيل بينه وبينه مع شدة
تعلقه به وشوقه اليه واحتاج الى اضيق الاحضان ونزل بالعز الهوان فهو
في اشد وله وتيه واعظم حسرة وغم فاما ابناء الاخرة ففي حضانة ابيهم و
نعيمه قد زال عنهم بوس الغربة وشقاء اليتيم وسوء الحضن فمن الواجب
اذن تعرف احوال الوالدين واتباع ابرهما وادومهما شفقة واعظمهما
بركة ومالها الا الاخرة فليكن ذو العقل من ابناء الاخرة وليكن برا بوالده متوصلا
اليه باقوى الاسباب واعتنها اقول قوله وان اليوم عمل ولا حساب
كنى باليوم عن مدة الحيوة وبغد عما بعد الموت وراعى المقابلة فقابل اليوم با لغد
والعمل بلا عمل ولا حساب بالحساب واليوم اسم ان وعمل قام مقام الخبر استعمالا
للمضاف اليه مقام المضاف اي اليوم يوم العمل ويحتمل ان يكون اسم ان ضمير الشان
واليوم عمل جملة من مبتدا وخبر هي خبرها وكذلك قوله وغدا حساب
ولا عمل وصدق هذه الكلمة ظاهر وفايدتها التنبيه على وقت العمل وعدمه
ليبادروا الى العمل الذي به يكونون من ابناء الاخرة في وقت امكانه قبل
مجي الغد الذي هو وقت الحساب دون العمل وبالله التوفيق والعصمة

## ومن كلام له عليه السلام

وقد اشار عليه اصحابه بالاستعداد للحرب لاهل الشام بعد ارساله الى معوية
جرير بن عبد الله البجلي ان استعدادي لحرب اهل الشام وجرير عندهم الى
اخره اقول قد كان في ظن كثير من الصحابة بعد دلالة
علي عليه السلام ان معاوية لا يطيع له بامارات كثيرة ولذلك اشار عليه اصحابه
بعد ارسال جرير اليه بالاستعداد لحربه وروي ان جريرا لما اراد بعثه قال
والله يا امير المؤمنين ما ادخرك من نصرتي شيا وما اطمع لك في معاوية
فقال عليه السلام قصدي حجة اقيمها ثم كتب معه اما بعد فان بيعتي
بالمدينة لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر
وعثمن على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغايب ان يرد
وانما الشورى للمهاجرين والانصار اذا اجتمعوا على رجل فسموه اماما كان رضا
فان خرج من امرهم خارج بطعن او رغبة ردوه الى ما خرج منه فان
ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت

مصيبوا وان طلحة والزبير بايعا في ثم نقضا بيعتي فكان نقضهما كردتهما
فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون
فان احب الامور الي فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك و
استعنت بالله عليك وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم
القوم الي احملك واياهم على كتاب الله فاما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن
ولعمري ان نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ قريش من دم عثمان واعلم انك من الطلقاء
الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد ارسلت اليك جرير بن عبد الله
وهو من اهل الايمان والهجرة فبايع ولا قوة الا بالله ورد ما جاء في جواب هذا الكتاب في
كتب عليه السلام الى معوية فاجابه معوية اما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين
بايعوك وانت بريء من دم عثمان كنت كابي بكر وعمر وعثمان ولكنك اغريت بعثمان و
خذلت عنه الانصار فاطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد ابى اهل الشام الا قتالك
حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى من المسلمين ولعمري ما حجتك على
كحجتك على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم ابايعك وما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل
البصرة لانهم اطاعوك ولم يطعك اهل الشام فاما شرفك في الاسلام وقرابتك من النبي صلعم
وموضعك من قريش فلست ادفعه وكتب في اخر الكتاب قصيدة كعب بن جعيل
ارى الشام يكره اهل العراق واهل العراق لها كارهونا وقد ذكرنا بعضها اقول
ويروى ان الكتاب الذي كتبه عليه السلام مع جرير كانت صورته اني قد عزلتك ففوض
الامر الى جرير والسلام وقال لجرير صن نفسك عن خداعه فان سلم اليك الامر وتوجه الي فاقم
انت بالشام وان تعلل بشيء فارجع فلما عرض جرير الكتاب على معوية تعلل بمشاورة
اهل الشام وغير ذلك فرجع جرير فكتب معوية في اثره في ظهر كتاب علي عليه السلام من
ولاك حتى تعزلني والسلام اقول الاستعداد التهيؤ للامر والخداع الاخذ
بالحيلة والاناة في الامر من التاني والرفق وارودوا امهلوا ونقبت الامر بتقديم
القاف المكررة فتقول ان استعدادي الى قوله ان اردت المراد ان اهل الشام
في زمان جرير عندهم هم في مقام التردد والتفكر في اي الامرين يتبعون والذين لم يكن
كلهم فبعضهم كذلك فلو اعتدهم للحرب في تلك الحال لبلغهم ذلك فاحتاجوا الى الاستعداد
ايضا والتاهب للقاية فكان ذلك الاستعداد سببا لغلق الشام بالكلية وصرفا
لمن يكون في ذهنه تردد في هذا الامر او في قلبه الخرق به عما يريد وذلك مضادة لحزم

ودل

قوله لكن قد وقت الى قوله عاصيا اي قد وقت له وقتا يصل
البنا فيه لا يتخلف عنه الا احد ما امرين اما خداع منهم له ومواعيد مخلفة بالجواب
ليمنيه والصبر عليه في تلك المدة واما عصيان منه ومخالفة فان قلت حصر تخلف جرير
في هذين الامرين غير صحيح لجواز ان يتخلف لمرض او موت او عرض لغير قلت
انه عليه السلام لم يقصد الحصر الحقيقي وانما اراد الحصر بحسب غلبة الظن الناشي من الا
مارات والقراين الحالية ثم كلامه عليه السلام ليس في الاسباب الاضطرارية التي من قبل
الله تعالى فان ذلك امر مفروغ منه لا يحسن ذكره واما الموانع الاختيارية فاما
منهم وغالب الظن هو الخداع واما منه وغالب الظن انه العصيان اذ لا يتصور
من مثل جرير وقد ارسل في مثل هذا الامر المهم ان يعدل عنه الى شغل اختياري لنفسه
او لغيره الا ان يكون عاصيا و قوله والراي مع الاناة اي حق
رجع الحكماء على صوابه فان اصابة المطالب والظفر بها في الغالب انما هو مع التثبت
والتاني في الطلب وذلك ان اثارة للطالب هو فطنته وفكره في الاعتبار الى تحصيل الوجه
الاليق والاقيس والاشمل للمصلحة في تحصيل مطلوبه ولذلك اكد بعض الحكماء الامر بالتاني
بقوله من لم يتثبت في الامور لم يعد مصيبا وان اصاب فالغرض وان كان
هو الاصابة الا انها وان حصلت من غير التاني كان مفرطا مفترقة التفريط غالبا
النادمة وعدم الاصابة والاصابة منه نادرة والنادر غير منتفع به ولا ملتفت اليه
و قوله فارودوا ولا اكره لكم الاعداد لما نبههم على فضيلة الاناة
امرهم بها ولم يامرهم مطلقا بل نبههم بقوله ولا اكره لكم الاعداد على امور ثلثة
احدها انه ينبغي لهم ان يكونوا على يقظة من هذا الامر حتى يكونوا حال اشارته اليهم
قريبين من الاستعداد الثاني ان لا يتوهم احد منهم فيه مداخلة ضعف عن مقارعة
اهل الشام فيداخلهم بسبب ذلك فشل وضعف عزيمة الثالث ذكره
الشارح ابن ابي الحديد رحمه الله عليه السلام وان كان كره الاستعداد الظاهر الا انه
قوله ولا اكره لكم الاستعداد تنبيه لهم على الاستعداد الباطن والتهيؤ في السر ولما
كان فراز الشارح بهذا الوجه مما يتوهم تناقضا وهو كونه قد اشار بترك الاستعداد
ثم قال لاصحابه ولا اكره لكم الاعداد وقد علمت ان تركه للاستعداد في ذلك الوقت و
اختياره تركه لا ينافي تنبيههم على عدم كراهيته له ليكونوا منه على يقظة كما اومانا
اليه و قوله ولقد ضربت الى قوله او الكفر اقول

استعار لفظ العين والانف والظهر والبطن التي هي حقائق في الحيوان لحالة مع
معوية في امر الخلافة وخلاف اهل الشام له استعارة على سبيل الكناية فكنى بالعين
والانف عن المهم من هذا الامر وخالصه فان العين والانف اعز ما في الوجه وكنى
بالضرب لهما عن قصده للمهم منه على سبيل الاستعارة ايضا وكنى بلفظي الظهر والبطن
لظاهر هذا الامر وباطنه ووجوه الرأي فيه ولفظ التقليب لتصفح تلك الوجوه
وغيرهما واحدا واحدا او **قوله** فلم ار الا القتال او الكفر تعيين لما اختاره
بعد التقليب والتصفح لوجوه المصلحة في امر مخالفيه وهو قتالهم ونبه على وجه
اختياره له بقوله او الكفر اي ان احد الامرين لازم اما القتال او الكفر وذلك
لانه ان لم يختر القتال لزمه تركه وتركه مستلزم للكفر لكن التزام الكفر منه محال فتعين
اختياره للقتال ومراده بالكفر الكفر الحقيقي فانه صرح بمثله فيما قبل حين
يقول وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني يسعني الا
قتالهم او الجحود لما جاء به محمد عليه السلام فان قلت ما وجه الحصر في القتال والجحود
مع ان ترك القتال بدون الجحود ممكن قلت بيانه من وجهين احدهما ان الشارحون
ان الرسول صلى الله عليه كان قد امره بقتال من خالفه لقوله امرت ان اقاتل
الناكثين والقاسطين والمارقين فلو ترك قتالهم مع ما عليه امر الاسلام من الخطر
لكان قد خالف امر الرسول صلى الله عليه وظاهر ان مخالفته مثله عليه السلام الاوامر الرسول
لا يتصور الا عن عدم اعتقاد صحتها وذلك جحد به وكفر الثاني يحتمل ان يكون
قد تجوز بلفظ الجحود في التهاون بهذا الامر تعظيما له في نفوس السامعين وهو من
المجازات الشايعة و**قوله** انه قد كان الي الخ تنبيه على وجه عذره
عما نسبه اليه معاوية وجعله سببا لعصيانه له وهو الطلب بدم عثمان وتهمته له بذلك
واراد بالوالي عثمان والاحداث التي احدثها هو ما نسب اليه من الامور التي انكروها
عليه كما سنذكرها واوجد للناس مقالا اي جعل لهم بتلك الاحداث طريقا الى القول
عليه فقالوا ثم انكروا ما فعل فغيروا او ازالوه فاما الاحداث المنقولة عنه فالمشهور
منها بين اهل السير عشرة الاول توليته امور المسلمين من لم يصلح لها من الفساق
مراعاة للقرابة دون حرمة الاسلام كالوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر
وسعيد بن العاص حتى ظهرت عنه الامور التي اخرجه اهل الكوفة منها بسببها وعبد الله بن
ابي سرح مع قوة ظلمه وتظلم المصريين منه وهو الذي اتهمه المسلمون لما تبعه

بعد

بعد محمد ابن ابي بكر ونقل انهم ظفروا بالكتاب ولاجله عظم التظلم وكثر الجمع
واشتد الحصار عليه الثانية رده الحكم بن ابي العاص الى المدينة بعد طرد
رسول الله صلى الله عليه وبعد امتناع ابي بكر وعمر من رده فخالف في ذلك سنة
الرسول وسيرة الشيخين وعمل بدعواه مجردة عن البينة الثالثة انه كان
يوثر اهله بالاموال العظيمة من بيت المال من غير استحقاق وذلك في صور
منها انه دفع الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته اربعمائة الف دينار ومنها
انه اعطى لمروان مائة الف دينار وروى خمس افريقية وذلك يخالف سنة الرسول
ومن بعده من الخلفاء الرابعة انه حمى الحمى عن المسلمين بعد تسوية الرسول بينهم
في الماء والكلاء الخامسة انه اعطى من بيت المال الصدقة والمقاتلة وغيرها وذلك
مما لا يجوز في الدين السادسة انه ضرب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو من
اكابر الصحابة وعلمائها حتى كسر بعض اضلاعه وذلك ظلم ظاهر السابعة انه
جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة واحرق المصاحف وابطل ما لا شك انه من
القرآن المنزل وذلك مخالفة لله وللرسول ومن بعده الثامنة انه اقدم على عمار
بن ياسر رحمه الله بالضرب مع كونه من اشراف الصحابة ومع علمه بما قال الرسول
صلى الله عليه في عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي
حتى اصابه الفتق ولذلك صار عمار مظاهرا بالبغض المطلبين منه على قتله وروي
عنه انه كان يقول قتلناه كافرا التاسعة اقدامه على ابي ذر مع تنزيل الرسول
صلى الله عليه وصحبته له وقوله فيه ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء على ذي
لهجة اصدق من ابي ذر حتى نفاه الى الربذة العاشرة تعطيله الحد الواجب على
عبد الله بن عمر بن الخطاب فانه قتل الهرمزان مسلما بمجرد تهمته انه امر ابا لؤلؤة
بقتل ابيه ثم لم يقده به وقد كان علي عليه السلام يطلبه بذلك فهذه هي المطاعن
المشهورة فيه وقد اجاب الناصرون لعثمان عن هذه الاحداث باجوبة مستحسنة
وهي مذكورة في المطولات من مظانها وانما ذكرنا هذه الاحداث واوردناها مختصرة
لتعلق المتن بها **ومن كلام له عليه السلام**
لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني الى معوية وكان قد ابتاع سبي بني ناجية
الى قوله قبح الله مصقلة فعل فعل السادة الخ **اقول**
مصقلة هذا كان عاملا لعلي عليه السلام على اردشيرخره وبنو ناجية قبيلة نسبوا الى امهم

الى سامة بن لؤي بن غالب فدفعتهم قريش عن هذا النسب وسمتهم بني ناجية
وهي امهم امراة سامة ولنا سبب هربه الى الشام فهولاء الخريت احد
بني ناجية كان قد شهد مع علي عليه السلام صفين ثم استهواه الشيطان فصار
من الخوارج بسبب التحكيم وخرج هو واصحابه الى المداين مفارقا لعلي فوجه
اليهم معقل ابن قيس في الفي فارس من اهل البصرة ولم يزل يتبعهم بالعسكر بعد العسكر
حتى الحقهم بساحل فارس وكان به جماعة كثيرة من قوم الخريت وكان فيهم من
اسلم عن النصرانية فلما راوا ذلك الاختلاف ارتدوا واجتمعوا عليه فزحف اليهم
معقل بمن معه فقتل الخريت وجماعة منهم وسبى من كان ادرك منهم من الرجال
والنساء ونظر فيهم فمن كان مسلما اخذ بيعته وخلى سبيله واحتمل الباقين من
النصارى وعيالهم معه وكانوا خمسماية نفر حتى مروا بمصقلة فاستغاث اليه
الرجال والنساء وتجردوه وطلبوا منه ان يعتقهم فاقسم ليتصدقن عليهم بذلك
ثم بعث الى معقل بن قيس فابتاعهم منه بخمسماية الف درهم ثم وعد ان يحمل
المال في اوقات مخصوصة فلما قدم معقل على علي بن ابي طالب عليه السلام واخبره
القصة شكر سعيه وانتظر المال من يد مصقلة فابطا به فكتب اليه باستعجاله
او بقدومه عليه فلما قرا كتابه قدم عليه وهو بالكوفة فاقره اياما ثم طالبه
بالمال فادى منه مايتي الف درهم وعجز عن الباقي وخاف فلحق بمعاوية فبلغ ذلك
عليا فقال الفصل ولنرجع الى المتن فقبحه الله اي نحاه عن الخير والتبكيت كا
التقريع واللائمة والموفور مصدر وفرا المال اي نما وزاد ويروى موفوره
ومقصوده عليه السلام بعد ان قدم الدعاء على مصقلة بان خطا به فاشار الى
جهة الخطا وهي جمعه بين امرين متنافيين في العرف وهما فعل السادة ذوي
المروة والحمية حيث اشترى القوم واعتقهم مع الفرار الذي هو شيمة العبيد
ثم اكد عليه السلام ذلك بمثلين احدهما انه ما انطق مادحه حتى اسكته ويفهم
منه معنيان احدهما ان يكون حتى بمعنى اللام اي انه لم ينطق مادحه
حتى يقصد اسكاته بهربه فان اسكات المادح لا يتصور قصده او قصد
الا بعد انطاقه وهو لم يتم فعله التي يطلب به انطاق مادحه بمدحه
من الكرم والحمية والرقة ونحوها فكانه قصد اسكات مادحه بهربه
فانكر عليه ذلك وقال له انه لم ينطقه بمدحه فكيف يقصد اسكاته بهربه

وانكار

وان كان العاقل لا يتصور منه قصد اسكات مادحه عن مدحه الا انه
لاختياره الهرب المستلزم لاسكات المادح صار كالقاصد له فنسب اليه
الثاني ان يكون المراد انه قد جمع بين غايتين متنافيتين انطاقه لمادحه بفدا
للاسرى مع اسكاته بهربه قبل تمام انطاقه وهو وصف له بسرعة الحاقه
فضيلته برذيلته حتى كانه قصد الجمع بينهما وهذا كما تقول في وصف
سرعة تفرق الاحباب عن اجتماعهم ما اجتمعوا حتى افترقوا اي لسرعة افتر اقهم
كان الدهر قد جمع لهم بين الاجتماع والافتراق الثاني قوله ولا صدق وا
صفه حتى بكته والمفهوم منه كالمفهوم من الذي قبله **قوله**
ولو اقام الى اخره لما اشار الى خطايه اردفه بما يصلح جوابا لما عساه يكون
عذرا له لو اعتذر وهو توعده بالتشديد عليه في امر الباقي من المال حتى كان
ذلك الوهم سبب هزيمته وفي بعض الروايات ولو اقام لاخذنا منه بالقدر
عليه فان اعسر انظرناه فان عجز لم ناخذه بشي والاول هو المشهور وبالله التوفيق

## ومن خطبة له عليه السلام

الحمد لله غير مقنوط من رحمته الى اخره

**اقول** هذا الفصل ملتقط من خطبة طويلة له عليه السلام
خطب بها يوم الفطر وهو غير متسق بل بين قوله نعمه وفي قوله والدنيا
فصل طويل وهذه الخطبة ينتظم الفصل المتقدم وهو قوله اما بعد فان
الدنيا قد ادبرت وهو فيها بعد هذا الفصل ولم يذكرها كراهة التطويل ولنعد
الى الشرح **فنقول** القنوط الياس والاستنكاف الاستكبار ومنى بها
اي قدر والجلاء بالفتح والمد الخروج عن الوطن والتبست امتزجت والكفاف
ما كف عن الناس اي اغنى عنهم من المال والبلاغ ما بلغ مدة الحيوة منه وكفى
واعلم انه نبه على استحقاق الله تعالى الحمد ودوامه باعتبار ملاحظة ستة
احوال فاشار الى الحالة الاولى بقوله غير مقنوط من رحمته مقرر القوله
تعالى ورحمتي وسعت كل شي والقوله ولا تياسوا من روح الله انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الخاسرون وهذه الحال مما يشهد باثباتها العقل
اذ كان للعبد عند لحظ العناية الالهية بضبطه بعلم استناد جميع الموجودات
كليها وجزئيها الى مدبر حكيم وانه ليس شي منها خاليا عن حكمه فيستلهم من ذ لك

ان اتخاذه له واخذ العبد عليه بالعبادة ليس الا لينجذب الى موطنه الاصلي
ومبدايه الاول بالتوحيد المحقق والحمد المطلق عن نار الحجب وبحكم سورة
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلا ييأس من روح الله عند نزول الع
واجب النزول به مما يعقبه شرا بل يكون برجائه اوثق وقلبه بشمول العنا
ية له اعلق فانه لا ييأس من روح الله الا الذين عميت بصائرهم عن
اسرار الله منهم في طغيانهم يعمهون واولئك هم الخاسرون واشار الى الحالة
الثانية بقوله ولا يخلو من نعمته تقريرا لقوله تعالى وما بكم من نعمة
فمن الله فسبوغ نعمته دايم الاثار وقدرته التي استلزمت طبايعها الحاجة
اليه فوجب لها فيض جوده فاستلزم ذلك وجوب تصريحها بلسان
حالها ومقالها بالثناء المطلق عليه ودوام الشكر له وان من شيء الا
يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم واشار الى الحال الثالثة
بقوله ولا مايوس من مغفرته تقريرا لقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية وهي شهادة بشمول ستره وجميل
عفوه وغفره لمن حرست عقله ايدي شياطينه لتحطه الى مهاوي الهلاك
فحجر عزمها ومنعها بعد ان كانت له ملكة الجناب لله فضعفت تلك الملكة
عن ان يكون منجاه له حال محادثته لهواه وان كان ذلك الفقر متفاوتا
بحسب قوة تلك الملكة وضعفها والعقل مما يؤيد ذلك ويحكم بصحة هذه
الشهادة فان كل ذي علاقة لجناب الله سيخلص من العقاب وان
بعد خلاصه على ما نطق به البرهان في موضعه وذلك مستلزم الاعتراف
بالاحسان ودوام الثناء والحمد ثم اشار الى الرابعة بقوله
ولا مستنكف عن عبادته تقريرا لقوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
وقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون
الاية وكونه تعالى غير مستنكف عن عبادته شاهد عظيم على كمال عظمته
وانه المستحق للعبادة دون ما عداه اذ هو المستجمع للكمال المطلق فلا
جهة نقصان فيه اليها يشار فيكون سببا للاستنكاف والاستكبار
وغير مع محال القلوب الثلثة بعدها منصوبات على الحال و
قوله الذي لا يبرح له رحمة ولا انفد له

نعمة اعتباران اخران يستلزمان في ملاحظتهما وجوب شكره تعالى ونبه
بقوله لا يبرح على دوام رحمة الله لعباده وقوله ولا انفد له
نعمه كقوله تعالى ولا يخلو من نعمته ثم اعقب ذلك بالتنبيه على معايب
الدنيا للتنفير عنها فذكر وجوب الفناء لها ثم حذر بذكر العيب الاكبر
لها الذي يرغب مع ذكره وملاحظته من له ادنى بصيرة عن الركون اليها
ومحبة قنيتها وهو مفارقته للواجبة والجلا عنها ثم اردف ذلك بذكر جهتين
من جهات الميل اليها احديهما منسوبة الى القوة الذائقة وهي حلاوتها والا
خرى الى القوة الباصرة وهي خضرتها واطلاق لفظيهما مجاز كني به عن
جهات الميل اليها من باب اطلاق لفظ الجزء على الكل وايراده لهذين الو
صفين اللذين هما وصفا مدح في معرض ذمها كتقدير اعتراض على ذمها
لعرض ان يجيب عنه ولهذا اعقب ذكرهما بما يصلح جوابا وتنبيه على
ما يصرف عن الميل اليها من هاتين الجهتين وهو كونها معجلة للطالب اذ
كان من شان المعجل ان ينتفع به في حال تعجيله دون ما بعده خصوصا في
حق من احب ذلك المعجل ولم يلتفت الى ما سواه والدنيا كذلك كما اشار اليه
بقوله والتبست بقلب الناظر وانما خص الناظر لتقدم ذكر الخضرة
التي هي من حظ النظر فمن عجلت له منحة والتبست بقلبه وكان لا بد
له من مفارقتها لم ينتفع بما بعدها بل بقي في عذاب الفراق منكوسا في
ظلمة الوحشة محبوسا واليه اشار التنزيل الالهي من كان يريد العاجلة عجلنا
له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ثم لما
نبه على معايبها امر بالارتحال عنها ولم يأمر به مطلقا بل لا بد معه من استصحاب
احسن الازواد اذ كانت الطريق المامور بسلوكها في غاية البعد مع طول
لها وقصر المدة التي تحصل الزاد فيها فلا ينفع اذن الا الزاد الاقوى الاتم
الذي لا يتطرق اليه فناء ولا نقصان اعدل الله لافاضة رحمته من هذا
الارتحال الحسي الحاصل لكل من بعضها الى بعض ولا من الزاد الماكول الحيواني
فان احسن ما حضرنا منه زادا كان منهيا عنه بل المامور به زاد ارتحال
اخر تبينه من تصور طريق الغير فانك لما علمت من ذلك ان الطريق
الى هذا المطلوب هي اثار جوده وشواهد الايه وان القاطع لمراحل تلك

الطريق ومنازلها هو قدم عقلك مقتديا باعلامها اللايحة كلما نزل منها
منزلا اعدته المعرفة به لاستلاحة اعلام منزل اخر اعلى واكرم منه كما قال
تعالى لتركبن طبقا عن طبق الى ان تستقر في مقعد صدق عند مليك مقتدر
واذا تصورت معنى الارتحال وقد علمت ان لكل ارتحال وسفر زادا علمت ان اكرم
زاد واحسنه في هذه الطريق ليس الا التقوى والاعمال الصالحة التي هي غذاء
للعقول وملاذ حيوتها والى هذه الاشارة بقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد
التقوى واشار بقوله ما حضرتكم الى ما امكنكم ان ياتي به من الاعمال الصالحة
في حيوتنا الدنيا ثم عقب الامر باتخاذ الزاد بالنهي عن طلب الزيادة على ما يقوم
به صورة البدن من متاع الدنيا اذ كان البدن بمنزلة مركوب يقطع به
النفس مراحل طريقها فالزيادة على المحتاج اليه فما يحوج الراكب الى الاهتمام
به والعناية بحفظه المستلزم لمحبته وكل ذلك مثقل للظهر ومشغل عن الجهة
المقصودة وذلك معنى قوله ولا تسلوا منها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها
اكثر من البلاغ ولا تمدن اعينكم فيها الى ما متع المترفون به فتقصروا في الرحيل
وتشتغلوا بطلب مثل ما شاهدتم وبالله التوفيق والعصمة

## ومن كلام له عليه السلام

عند عزمه على المسير الى الشام اللهم
اني اعوذ بك من وعثاء السفر الى آخره

**اقول** روى انه عليه السلام دعا بهذا الدعاء عند وضعه
رجله في الركاب متوجها الى حرب معاوية ووعثاء السفر مشقته
واصله المكان المتعب لكثرة رمله وغوص الارجل فيه والكابة الحزن
ويشتمل هذا الفصل على الالتجاء الى الله تعالى في خلاص طريقه المتوجه فيها ابتداء
وعودا من الموانع القاطعة عن تمام المقصود وفي سلامة الاحوال المهمة
التي يتعلق النفس بها عن المشغلات البدنية المعوقة عن عبادة الله و
اعظمها احوال النفس ثم ما يصحبها من اهل ومال وولد ثم عقب ذلك بالاقرار
بشمول عنايته وجميل رعايته وصحبته تقريرا لقوله تعالى وهو معكم اينما
كنتم اذ كان بيان الصاحب العناية بامور صاحبه وبيان الخليفة على الشيء
العناية بذلك الشيء وحفظه مما يوجب له ضررا واستلزم جمعه له بين

بين

هذين الحكمين وهما الخلافة والاستصحاب بقوله ولا يجمعهما غيرك لكونه تعالى بريا
عن الجهة والجسمية اذ كان اجتماعهما ممتنعا للاجسام اذ لا يكون جسم مستصحبا
مستخلفا في حال واحدة واكد ذكره وبينه بقوله لان المستخلف لا يكون مستصحبا
والمستصحب لا يكون مستخلفا فان قلت هذا الحصر انما يتم ان لو قلنا ان كل ما ليس
بذي جهة هو واجب الوجود وهذا مذهب خاص لم تتضح صحته مطلقا قلت الحصر
صادق على كل تقدير فانه على تقدير ثبوت امور مجردة عن الجسمية سوى الحق سبحانه
فالمستحق للجمع بين هذين الامرين بالذات والاولى هو الله تعالى وما سواه فبالعرض
فيصدق الحصر على ذلك الاستحقاق ولنبحث عن فايدة الدعاء وسبب اجابته فانه ربما
عرض لبعض الاذهان شبهة فيقول اما ان يكون المطلوب بالدعاء معلوم
الوقوع لله او معلوم اللاوقوع وعلى التقديرين لا فايدة في الدعاء لان ما علم الله
وقوعه وجب وما علم عدمه امتنع فنقول في الجواب عن هذا الوهم ان كل كائن
فاسد فموقوف في كونه وفساده على شرايط توجد واسباب تعد لاحدهما لا يمكن
دونها كما علمت ذلك في مظانه واذا جاز ذلك فلعل الدعاء من شرايط وجود ما
يطلب به وهما وان كانا معلومي الوقوع لله وهو سببهما وعلتهما الاولى الا انه هو الذي
ربط احدهما بالاخر فجعل سبب وجود ذلك الشيء الدعاء كما جعل سبب صحة المريض
شرب الدواء وما لم يشرب الدواء لم يصح واما سبب اجابته فقال العلماء هو توافق
الاسباب وهو ان يتوافق سبب دعاء رجل مثلا فيما يدعو فيه سائر اسباب وجود
ذلك الشيء معا عن الباري تعالى لحكمة الهية على ما قدر وقضى ثم الدعاء واجب و
توقع الاجابة واجب فان انبعاثنا للدعاء سببه من هناك ويصير دعاؤنا سببا
للاجابة وموافاة الدعاء لحدوث الامر المدعو لاجله هما معلولا علة واحدة وقد
يكون احدهما بواسطة الاخر وقد يتوهم ان السماويات تنفعل عن الارضية
وذلك انا ندعو فيستجاب لنا وذلك باطل لان المعلول لا يفعل في علته البتة
واذا لم يستجب الدعاء الداعي وان كان يرى ان الغاية التي يدعو لاجلها نافعة
فالسبب في عدم الاجابة ان الغاية النافعة ربما لا يكون نافعة بحسب مراده بل
بحسب نظام الكل فلذلك تتاخر اجابة دعائه او لا يستجاب له وبالجملة يكون
عدم الاجابة لفوات شرط من شروط ذلك المطلوب حال الدعاء واعلم ان النفس الزكية كيفية
عند الدعاء قد تفيض عليها من الاول قوة تصير بها مؤثرة في العناصر فتطاوعها

متصرفة على الاتها فيكون ذلك اجابة للدعاء فان العناصر موضوعة لفعل
النفس فيها واعتبار ذلك في ابداننا فانا ما تخيلنا شيئا فتتغير ابداننا بحسب تغير
احوال نفوسنا وتخيلاتنا وقد يمكن ان يؤثر النفس في غير بدنها كما يؤثر في بدنها و
قد تؤثر في نفس غيرها وقد اشرنا الى ذلك في المقدمات وقد يستجيب الله لتلك
النفس اذا دعت فيما يدعو فيه اذا كانت الغاية التي تطلبها بالدعاء نافعة بحسب نظام الكل

## ومن كلام له عليه السلام

كاني بك يا كوفة تمدين مد الاديم العكاظي

اقول عكاظ بالضم اسم موضع بناحية مكة كانت العرب تجتمع به
في كل سنة ويقيمون به سوقا مدة شهر ويتبايعون ويتناشدون الاشعار ويتفاخرون
وفي ذلك قول ابي ذؤيب     اذا بني القباب على عكاظ
وقام البيع واجتمع الالوف     فلما جاء الاسلام رفع ذلك واديم عكاظي منسوب اليها
لكثرة ما كان يباع منه بها والاديم واحد وجمعه ادم وربما جمع على ادمة كرغيف
وارغفة والعرك الدلك والنوازل المصائب والخطاب هاهنا للشاهد حال المدينة
التي هي الكوفة وبكرها خبر كان وتمدين وتعركين وتركبين في موضع النصب
على الحال وتقدير الخطاب كاني حاضر بك ومشاهد لحالك المستقبلة حال
تجاذب ايدي الظالمين لاهلك بانواع الظلم وهو المكنى عنه بمدها وشبه ذلك بمد
الاديم ووجه الشبه كثرة ما يقع بهم من الظلم والبلاء كما ان الاديم مستحكم الدباغ
يكون شديد المد والعرك واستعار لفظ المد والعرك ملاحظة لذلك الشبه
ولفظ الركوب ملاحظة لشبهها بشقي المطايا وكذلك لفظ الزلازل ملاحظة
لشبهها فيما يقع لهم من الظلم الموجب لاضطراب الحال بالارض ذات الزلازل
ثم اشار الى مشاهد ثابتة لا تنفع لمن اراد بهم سوءا واوقع بهم ما اوقع من البلاء
واشار الى كونهم جبابرة ثم الى ابتلاء الله بعضهم بشاغل في نفسه عما يريد بهم من
سوء اورميه بمن يحادثه حرب ورمي بعضهم بقاتل فاما المصائب التي ابتلي بها
اهل الكوفة والنوازل التي عركوا بها فكثيرة مشهورة في كتب التواريخ واما
الجبابرة الذين ارادوا بها سوءا وطغوا فيها فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم
ربك سوط عذاب واخذهم بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فجماعة
فممن ابتلي بشاغل منها زياد روي انه كان قد جمع الناس في المسجد ليامرهم

بسب علي عليه السلام والبراءة منه ويبتليهم بذلك فيقتل من يعصيه فبيناهم مجتمعون
اذ خرج حاجبه فامرهم بالانصراف وقال ان الامير مشغول عنكم وكان في
تلك الساعة قد رمي بالفالج ومنهم ابنه عبيد الله وقد اصابه الجذام ومنهم الحجاج ح
وقد تولدت في بطنه الحيات واحترق دبره حتى هلك ومنهم عمر بن هبيرة و
ابنه يوسف وقد اصابهما البرص ومنهم خالد القسري وقد ضرب وحبس حتى
مات جوعا واما الذين رماهم الله بقاتل فعبيد الله بن زياد قتله المختار ومصعب
ابن الزبير والمختار بن ابي عبيدة الثقفي ويزيد بن المهلب واحوالهم مشهورة من احوال
التاريخ

## ومن خطبة له عليه السلام

الحمد لله كلما وقب ليل وغسق
والحمد لله كلما لاح نجم وخفق

اقول روي ان هذه الخطبة خطب بها عليه السلام وهو بالنخيلة
خارجا من الكوفة متوجها الى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلثين وقب الليل
دخل وغسق اظلم وخفق النجم غاب ومقدمة الجيش اوله والشرذمة النفر
اليسير والاكناف النواحي ووطنت البقعة واستوطنتها اتخذتها وطنا والامداد
جمع مدد وهو ما يمد به الجيش من الجند واعلم انه قيد حمد الله باعتبار تكرره وتغير
ودوام حالين والمقصود وان كان دوام الحمد لله الا ان في التقييد بالقيود المذكورة
فوايد فالاول قوله كلما وقب ليل وغسق وفيه تنبيه على كمال قدرة
الله في تعاقب الليل والنهار واستحقاقه دوام الحمد بما يلزم ذلك من ضروب
الامتنان والثاني قوله كلما لاح نجم وخفق وفيه تنبيه على ما يلزم
طلوع الكواكب وغروبها من الحكمة وكمال النعمة كما سبقت الاشارة اليه الثالث
الحمد لله حال كونه غير مفقود الانعام وقد تكررت الاشارة الى فايدة هذا القيد
الرابع كونه غير مكافأ الافضال وفايدته التنبيه على ان افضاله لا يمكن ان يقابل بل
بجزاء اذ كانت القدرة على الحمد والثناء نعمة ثانية وقد سبق بيان ذلك ايضا و
اما قوله اما بعد الى آخره فحاصله انه عليه السلام لما اراد التوجه
الى صفين بعث زياد بن النضر وشريح بن هانئ في اثني عشر الف فارس مقدمة له
وامرهم ان يلزموا شاطئ الفرات فاخذوا شاطئها من قبل البر مما يلي الكوفة
بلغوا عانات فذلك معنى امره لهم بلزوم الملطاط وهو سمت شاطئ الفرات

وانما هو عليه السلام فلما خرج من الكوفة لينتهى الى المدائن فحذرهم ووعظهم
ثم سار عنهم وخلف عليهم عدى بن حاتم فاستخلص منهم ثمان مائة رجل فسار بهم
وخلف معه ابنه زيدا فلحقه فى اربعمائه رجل منهم فذلك
وقد رأيت ان اقطع هذه النطفة الى الفرات الى شرذمة منكم موطنين
اكناف دجلة وهم اهل المدائن فاما المقدمة فانه لما بلغهم انه عليه السلام
سار على طريق الجزيرة وان معوية خرج فى جموعه لاستقباله كرهوا ان
يلقوهم وبينهم وبين على عليه السلام الفرات مع قلة عددهم فرجعوا حتى عبروا
الفرات من هيت ولحقوا به فصوب رايهم فى الرجوع اليه وباقى الكلام ظاهر

## ومن خطبة له عليه السلام

الحمد لله الذى بطن خفيات الامور ودلت
عليه اعلام الظهور وامتنع على عين البصير

**اقول** يقال بطنت الوادى دخلته وبطنت الامر علمت باطنه
وفى هذا الفصل مباحث جليلة من العلم الالهى وجملة من صفات الربوبية الاول
كونه تعالى بطن خفيات الامور ويفهم منه معنيان احدهما كونه داخلا فى
جملة الامور الخفية ولما كانت بواطن الامور الخفية اخفى من ظواهرها كان
المفهوم من كونه بطنها انه اخفى منها عند العقول الثانى ان يكون المعنى انه نفذ
علمه فى بواطن خفيات الامور اما معنى الاول فبرهانه انك علمت ان الادراك
اما حسى واما عقلى ولما كان البارى تعالى مقدسا عن الجسمية منزها عن الوضع
والجهة استحال ان يدركه شىء من الحواس الظاهرة والباطنة ولما كانت ذاته
برية عن انحاء التراكيب استحال ان يكون للعقل اطلاع عليها بالكنه فهو اذن
اذن على جميع الادراكات ظاهر وكونه اخفى الامور الخفية واضح واما الثانى
فقد سبق منا بيان انه عالم الخفيات والسرائر وثانيهما كونه تعالى قد دلت
عليه اعلام الظهور وكذا باعلام الظهور عن اياته واثاره فى العالم الدالة على
وجوده الظاهر فى كل صورة منها كما قال وفى كل شىء له اية
دليل على انه واحد وهى كناية بالمستعار ووجه المشابهة ما بينهما
من الاشتراك فى الهداية والى هذه الاعلام الاشارة بقوله تعالى سنريهم اياتنا
فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق واعلم ان هذه الطريق فى

الاستدلال هو طريق الالهيين وسائر فرق المتكلمين فانهم يستدلون اولا بحدوث
الاجسام والاعراض ثم يستدلون بحدوثها وتغيراتها على وجود الخالق ثم بالنظر
فى احوال المخلوقات على صفاته واحدة واحدة مثلا باحكامها واتقانها على كونه
عالما حكيما وبتخصيص بعضها بامر ليس للاخر على كونه مريدا ونحو ذلك وكذلك
الحكماء الطبيعيون يستدلون ايضا بوجود الحركة على محرك وامتناع اتصال المحركات
الى اول على وجود محرك اول غير متحرك ثم يستدلون من ذلك على وجود مبدا اول
واما الالهيون فلهم فى الاستدلال طريق اخر وهى انهم ينظرون اولا فى مطلق الوجود وانه
واجب او ممكن ويستدلون من ذلك على اثبات موجود واجب ثم بالنظر فى لوازم الوجوب
من الوحدة الحقيقية على نفى الكثرة بوجه ما المستلزم لعدم الجسمية والعرضية والجهة
ونحوها ثم يستدلون بصفاته على كيفية صدور افعاله عنه واحدا بعد اخر وظاهر
ان هذه الطريق اجل واشرف من الطريق الاول وذلك لان الاستدلال بالعلة على المعلول
اولى البراهين باعطاء اليقين لكون العلم بالعلة المعينة المستلزمة للعلم بالمعلول المعين
من غير عكس ولما كان صدر الاية المذكورة اشارة الى الطريقة الاولى فتمامها اشارة
الى الطريقة وهو قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد قال بعض العلماء
وهذه طريق الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه اى يستدلون بوجوده على وجود
كل شىء لا هو منه ولا يستدلون عليه بوجود شىء بل هو اظهر وجودا من كل شىء فان خفى
مع ظهوره فلشدة ظهوره وظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره اذ كل ذرة من
ذرات مبدعاته ومكوناته فلها عدة السنة تشهد بوجوده وبالحاجة الى تدبيره وقدرته
لا تخالف شىء من الموجودات شيئا فى تلك الشهادات ولا يختص بعضها بعدم الحا
جات وقد ضرب العلماء للشمس مثلا لسوره فى شدة ظهوره فقالوا ان اظهر الادراكات
التى يساعد عليها الوهم ادراك الحواس واظهرها ادراك البصر واظهر مدرك للبصر
نور الشمس المشرق على الاجسام وقد اشكل ذلك على جماعة حتى قالوا الاشياء الملونة
ليس فيها الا الوانها فقط من سواد وحمرة فاما ان فيها مع ذلك ضوءا يقارن اللون
فلا فاذا الرئيس نبه هؤلاء على سهوهم فطريقة التنبيه بالتفرقة التى يجدونها بين
غيبة الشمس بالليل ولحوقها بها عن الملونات وبين حضورها بالنهار واشراقها عليها
مع بقاء الالوان فى الحالين فان للتفرقة بين المستضىء بها وبين المظلم المحجوب عنها جلية
ظاهرة فيعرف وجود النور اذن بعدمه ولو فرضت الشمس دائمة الاشراق على الجسم

الملوف لايغيب عنه ليتعذر علي هولاء معرفة كون النور شيا موجودا زائدا علي الالوان مع
انه اظهر الاشيا وبه ظهورها ولو تصور لله تعالى وتقدس لو غيبة لانهدمت السموات
والارض وكل ما انقطع نوره عنه ولادركت التفرقة بين الحالين وعلم وجوده قطعا
لكن لما كانت الاشيا كلها في الشهادة به متفقه والاحوال كلها علي نسق بلعدم مطردة
متسقه كان ذلك سببا لخفايه فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفي عليهم بشدة ظهوره
وثانيها الاشارة الى سلوب يوجب ملاحظة تركيبها تعظيمه تعالى لصدها الونه ممتنعا
عين البصير اى لابصر ان يدرك بحاسة البصر وصدق هذا السلب ظاهر بديل هكذا البلاء
تعالى هو جسم عن ذي وضع وكل ما كان كذلك فيمتنع رويته بحاسة البصر فهو انه تعالى
ممتنع الروية بحاسة البصر والمقدمة الاولى استدلاليه والثانية ضرورية وقد ابتنى
عليها والمسلة مستقصاة في الكلام وفي ذلك اشار القران الكريم لاتدركه الابصار وهو
يدرك الابصار وثانيها **قوله** فلاعين من لم يره تنكره اى انه سبحانه مع
كون البصير لايدركه بحاسة بصره لاتنكره من جهة انه لايبصره اذ كانت فطرته شاهدة
بظهور وجوده في جميع اثاره ومع ذلك ليس سبيل الى انكاره من جهة عدم ابصاره اذ كان
حظ العين ان يدرك بها ما صح ادراكه فاما ان ينفي بها ما لا يدرك من جهة فلا وثالثها
**قوله** ولاقلب من اثبته يبصره اى ان من اثبته مع كونه مثبتاله
بقلبه لايبصره وانما اكد عليه السلم بهذين السلبين الاخيرين لانهما يشملان عند الوهم
في مبدا سماعها علي منافاة وكذب الى ان يقهره العقل علي التصديق بهما فكان الوهم
يقول في جواب قوله فلاعين من لم يره تنكره كيف لاينكر العين شيا لاتراه وفي جواب
السلب الثاني كيف تثبت القلب ما لم يبصر فلما كان في صدق هذين السلبين ارغام
لاوهام السامعين بصريح لهم الى ملاحظة جلال الله وعظمته وتنزيهه عما
لايجوز عليه كان ذكرهما من احسن الذكر ويحتمل ان يريد بقوله فلاقلب من اثبته
يبصره اى انه وان اثبته من جهة وجوده فيستحيل ان يحيط به علما ورابعها كونه تعالى
قد سبق في العلو فلاشي اعلا منه وتقريره ان العلو يقال بالاشتراك علي معان ثلثة
الاول العلو الحسي المكاني كارتفاع بعض الاجسام علي بعض الثاني العلو الخيالي
كما يقال للملك الانساني انه اعلى للناس اى اعلاهم في الرتبه المتخيلة كما لا الثالث
العلو العقلي كما يقال في بعض الكمالات العقلية التي بعضها اعلى من بعض وكما يقال
السبب اعلى من المسبب اذا عرفت ذلك فنقول يستحيل ان يكون علوه تعالى

بالمعنى

بحكم

بالمعنى الاول لاستحالة كونه في المكان ويستحيل ان يكون بالمعنى الثاني لتنزهه
سبحانه عن الكمالات الخيالية التي يصدق بها العلو الخيالي اذ هي كمالات اضافية فيه
يتغير ويتبدل بحسب الاشخاص والاوقات وقد يكون كمالات عند بعض الناس
ونقصانات عند اخرين كدول الدنيا بالنسبة الى العالم الزاهد وبتطرق اليه
الزيادة والنقصان ولاشي من كمال الاول الواجب سبحانه كذلك لتنزهه عن النقصان
والتغير بوجه ما فبقي ان يكون علوه علوا عقليا مطلقا بمعنى انه لارتبة فوق
رتبته بل جميع المراتب العقلية منحطة عنه وبيان ذلك ان اعلى مراتب الكمال العقلي
هو مرتبه العلية ولما كانت ذاته المقدسه هي مبدا كل موجود حسي وعقلي وعلته
التامة المطلقه التي لايتصور النقصان فيها بوجه ما لاجرم كانت مرتبته اعلى
المراتب العقلية مطلقا وله الفوق المطلق في الوجود العاري عن الاضافه الى شي
وعن امكان ان يكون فوقه ما هو اعلى منه وذلك معنى **قوله** سبق في العلو فلا
شي اعلا منه فسبقه في علوه تفرده في العلو المطلق وفواته لغيره ان يلحقه فيه
وخامسها قربه في الدنو فلا شي ادنى منه وقد اورد عليه السلم القرب ههنا مقابلا بلا
للبعد اللازم عن السبق في العلو فانه مستلزم للبعد عن الغير فنبه وأورد الدنو
مقابلا للعلو وكما علمت ان العلو يقال علي المعاني الثلثه المذكوره بحسب الاشتراك
فكذلك الدنو يقال علي معاني ثلثه مقابلة لها فيقال مكان فلان ادنى من مكان
فلان اذا كان اسفل منه وان كان يقال بمعنى القرب ايضا ويقال رتبه الملك الفلاني في
ادنى من رتبة السلطان الفلاني اذا كان في مرتبته اقل ويقال رتبه المعلول
ادنى من رتبة علته ويقال علي معنى رابع فيقال فلان ادنى الى فلان واقرب اليه
اذا كان مخصصا به مطلعا علي احواله اكثر من غيره والباري تعالى منزه
عن ان يراد بدنوه احد المفهومات الثلثه الاول بل المراد هو المفهوم الرابع
فقربه في دنوه اذن بحسب علمه الذي لايعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا
في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وبهذا الاعتبار هو اقرب كل قريب وادنى
كل دان كما قال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وهو ادنى الى العبد من
نفسه اذ نفس كل انسان لايعرف نفسها وهو سبحانه العالم بها الموجد لها فهو
اذن القريب في دنوه الذي لا شي اقرب منه واما اورده بلفظ الدنو ليحصل
المقابلة فيمتنع النفوس السليمة عند انكار الوهم لاجتماع القرب والبعد

والعلو والدنو في شيء واحد الى تفهم المقاصد بها او يطلع على عظمة الحق سبحانه منها
قوله فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ولا قربه ساواهم
في المكان به ما كيد لدفع الاحكام الوهمية بالاحكام العقلية فان الوهم يحكم بان ما استعلى
على الاشياء كان بعده عنها بقدر علوه عليها وما قرب منها فقد ساواها في اماكنها
وذلك لكونه مقصور الحكم على المحسوسات ونحن لما بينا ان علوه على خلقه وقربه منهم
ليس علوا وقربا مكانيين بل بمعان اخرى لاجرم لم يكن استعلاؤه بذلك المعنى
على مخلوقاته مباعدا له عن شيء منها ولم يكن منافيا القرب بالمعنى الذي ذكرناه
بل كان الاستعلاء والقرب مجتمعين له ولم يكن قربه منها ايضا موجبا لمساواته
لها في المكان كما حكم الوهم ورد الاحكام الفاسدة في صفات الجلال ونعوت
الكمال وسادسها كونه لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب
معرفته ويفهم من صفته معنيان احدهما شرح حقيقة ذاته والثاني شرح
ما لها من صفات الكمال المطلق وظاهر ان العقول لم يطلع على حد صفته
وتحديدها بالمعنى الاول اذ لا حد لحقيقته ولا بالمعنى الثاني ايضا اذ ليس لما عرفه
العقول من كماله سبحانه نهاية تقف عندها فيكون حدا له واما انه سبحانه
مع ذلك لم يحجبها عن واجب معرفته فلانه تعالى وهب كل نفس قسطا من معرفته
هو الواجب لها بحسب استعدادها لقبوله حتى نفوس الجاحدين له فانها ايضا
معترفة بوجوده لشهادة اعلام الوجود وايات الصنع له على كل نفس جاحد بصدوره
عنه بحيث تحكم صريح عقلها وبديهتها بالحاجة لما تشاهده من تلك الايات الى
صانع حكيم فهو الذي تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب كل من جحده بان جحده
له انما هو الى ان ينبع فيه وهمه مع اقرار قلبه بالتصديق به وشهادة ايات الصنع
وشواهد الاثار على صحة ذلك الاقرار واعلم ان الجحود على نوعين احدهما جحود تشبيه
اذ المشبهون لله بخلقه وان اختلفوا في كيفية التشبيه باسرهم جاحدون
له في الحقيقة وذلك ان المعنى الذي يتصورونه ويثبتونه الها ليس هو نفس
الاله مع انهم ينفون ما سوى ذلك فهم اذا نافون للاله الحق في المعنى و
الثاني جحود من لم يثبت صانعا وكلا الفريقين جاحد له من وجه مثبت
له من وجه اما المشبهون فمثبتون له صريحا جاحدون له لزوما واما الاخرون
فبالعكس اذ كانوا جاحدين له صريحا من الجهة التي يثبته العقلاء بها

ومقربون

ومقربون به التزاما او اضطرارا ولذلك نزهه عليه السلام عن اقوال الفريقين
فقال تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا وحكي ان زنديقا
دخل على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فسأله عن دليل اثبات الصانع فاعرض
عليه السلام عنه ثم التفت اليه وسأله من اين اقبلت وما قصتك فقال الزنديق اني
كنت مسافرا في البحر فعصفت علينا الريح ذات يوم وتلعبت بنا الامواج
من كل جانب فانكسرت سفينتنا فتعلقت بخشبة منها ولم تزل الامواج تقلبها
حتى قذفت بها الى الساحل وسلمت عليها فقال له عليه السلام ارايت الذي كان قلبك
اذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم امواج البحر فزعا اليه مخلصا في التضرع
له طالبا للنجاة منه فهو الهك فاعترف الزنديق بذلك وحسن اعتقاده و
بالجملة فاتفاق العقول على الشهادة بوجود الصانع سبحانه امر ظاهر وان
خالطها عوارض الاوهام واليه الاشارة بقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل
من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وقوله
تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح
عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين
له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما نجاهم الى البر اذا
هم يشركون وبالله العصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله
اقول المرتاد الطالب والضغث القبضة من الشيء و
اعلم ان مبدأ وقوع الفتن المؤدية الى خراب العالم وفساده انما هو اتباع
الهوى والاراء الباطلة والاحكام المبتدعة الخارجة عن اوامر الله وذلك ان
المقصود من بعثة الرسل ووضع الشرائع انما هو نظام احوال الخلق في امر
معاشهم ومعادهم فكان كل راي مبتدع او هوى متبع خارجا عن كتاب الله
وسنة رسله سببا لوقوع الفتنة وتبدد نظام الوجود في هذا العالم وذلك كاهواء
البغاة واراء الخوارج ونحوهما و قوله فلو ان الباطل خلص من مزاج
الحق الى اخره اشارة الى اسباب تلك الاراء الفاسدة ومدار تلك الاسباب على
امتزاج المقدمات الحقة بالباطلة في الحجج التي يستعملها المبطلون في استعلام

الجولات تبين ان الشبه هو ذلك الممتزج لمشوبيته مقدمتين احديهما قوله
فلو ان الباطل خالص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ووجه الملازمة في
هذه المتصلة ظاهر فان مقدمات الشبهة اذا كانت كلها باطلة ادرك طالب الحق
وجه فسادها بادنى سعي ولم يخف عليه بطلانها ولما استثنى نقيض تاليها فلانه
لما خفي وجه البطلان فيها على طالب الحق لم يكن الباطل فيها خالصا من مزاج الحق
فكان ذلك هو سبب الغلط واتباع الباطل لان النتيجة تتبع اخس المقدمتين والثا
نية قوله ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن
المعاندين ووجه الملازمة ايضا كما مر اي ان مقدمات الحجة التي استعملها المبطلون
لو كانت كلها حقة مرتبة ترتيبا حقا لكانت النتيجة حقا فتنقطع السنتهم عن العناد
فيه والمخالفة له وقد حذف عليه السلام كبرى هذين القياسين لانهما قياسا خلف
كما سبق ثم اتى بالنتيجة او في معناها وهو قوله ولكن يوخذ من
هذا ضغث ومن هذا ضغث اي من الحق والباطل فيمزجان ولفظ الضغث
مستعار ومقصوده بذلك التصريح بلزوم الآثار الباطلة والاهواء المبتدعة لمزج
الحق بالباطل ولذلك قال وهنالك يستولي الشيطان على اوليائه اي لانه يزين لهم
اتباع الاهواء والاحكام الخارجة عن كتاب الله بسبب اغوائهم عن تمييز الحق من
الباطل فيما سلكوه من الشبهة وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى اي من لحقت عناية
الله بايديهم في ظلمات الشبهات فقادتهم فيها بافاضة نور الهداية عليهم الى تمييز الحق
من الباطل واولئك عنها مبعدون وبالله التوفيق والعصمة

## ومن كلام له عليه السلام

لما غلب اصحاب معوية اصحابه عليه السلام على شريعة الفرات
بصفين ومنعوهم من الماء قد استطعموكم القتال الى آخره

اقول اللمة بالتخفيف الجماعة القليلة وعمس بالتخفيف و
التشديد عمي وابهم ومنه عمس الليل اظلم والمحلة المنزلة وفي الفصل لطايف
سبع الاولى قوله قد استطعموكم القتال استعار لفظ الاستطعام للتحرش معهم
بالقتال في منعهم الماء ووجه الاستعارة استعدادهم للقتال وطلبهم له بمنع الماء
الذي هو في الحقيقة اقوى جذبا للقتال من طلب المأكول بالاقوال ولانهم لما جاوزوا
الماء انتهوا في ذلك من طلب الطعام له ولما استلزم ذلك المنع طلبهم للقتال

تعين

تعين ان يشبه ما طلبوا طعامه الثانية قوله فاقروا على مذلة و
تاخير محلة الى قوله الماء امر لهم باحد الامرين عن منعهم الماء واستطعامهم القتال
به اما ترك القتال او ايقاعه وانما اورد الكلام بصورة التخيير بين هذين الامرين
وان لم يكن مراده الا القتال لعلمه بانهم لا يختارون ترك القتال مع ما يلزمه
من الاقرار بالعجز والمذلة والاستسلام للعدو وتاخير المنزلة عن رتبة اهل الشرف
والشجاعة وانما اورد الوصفين اللازمين لترك القتال وهما الاقرار على المذلة
وعلى تاخير المحلة لتنفر بهما عنه ويظهره لهم في صورة كريهة وانما جعل الري من
الماء الذي هو مشتهى اصحابه في ذلك الوقت لازما لترويتهم السيوف من الدماء
التي يلزمها القتال ليريهم القتال في صورة محبوبة تميل طباعهم اليها ونسبه
الترويه الى السيوف نسبة مجازية الثالثة قوله فالموت
في حياتكم مقهورين والحيوة في موتكم قاهرين من لطايف الكلام ومحاسنه وهو
جذب الى القتال ما بلغ ما يمكن من البلاغة فجذبهم اليه بتصويره لهم ان الغاية
التي عساهم يفرون من القتال خوفا منها وهي الموت موجودة في الغاية التي
عساهم يطلبونها من ترك القتال وهي الحيوة البدنية حال كونهم مقهورين ولفظ
الموت في الشدايد والاهوال التي يلحقهم من عدوهم لو قهرهم وعند العاقل اشد كثير
من موت البدن واقوى مقاساة فان المذلة وسقوط المنزلة والهضم والاستنقاص
عند ذي اللب موتات متعاقبة ويحتمل ان يكون مجازا في ترك عبادة الله بالجهاد
فانه موت للنفس وعدم لحيوتها برضوان الله وكذلك جذبه لهم ان الغاية التي يفرون
اليها بترك القتال وهي الحياة موجودة في الغاية التي يفرون منها وهي الموت البدني
حال كونهم قاهرين اما في الدنيا فمن وجهين احدهما الذكر الباقي الجميل الذي لا يموت
ولا يفنى الثاني ان طيب حيوتهم الدنيا انما يكون بنظام احوالهم بوجود الامام العادل
وبقاء الشريعة كما هي وذلك انما يكون بالقهر لخصمهم في غمرات الحرب محافظة على الدين
وموت بعضهم فيها ولفظ الموت مستعمل بصدق لنسبته الى الكل وان وجد للبعض
واما في الآخرة فالجهاد لا بد بالمحافظة على وظايف الله والحياة التامة في جنات
عدن كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
يرزقون الآية وفي القرينتين الاوليين التسجيع المتوازن وفي الثانيتين بعدهما التسجيع
المطرف وفي الثانيتين بعدهما المقابلة الرابع قوله الا وان معوية

ذكر للعدة بوذ بلبس ولاصحابه بوذ بلبس اما الاولان فكونه قائد غواة وكونه
قد لبس عليهم الحق بالباطل واراهم الباطل في صورة الحق واما الاخريان فكونهم
غواة عن الحق وكونهم قد انقادوا للباطل عن شبهة حتى صار ذلك لهم مركبا والغرض
من ذلك التنفير عنهم و **قوله** حتى حملوا نحورهم اعراض المنية غاية
لاصحاب معرفة من تلبيسه الحق عليهم وكنى بذلك عن تعرضهم للموت ولفظ الغرض
مستعار لنحورهم ووجه المشابهة جعلهم نحورهم بصدد ان يصيبها سهام المنية
من الطعن والضرب والذبح ووجوه القتل فاشبهت ما ينصب للرامي هدفا
وهي استعارة بالكناية كانه حاول ان يستعير للمنية لفظ الرامي وبالله التوفيق

## ومن خطبة له عليه السلام

الا وان الدنيا قد تصرمت واذنت بانقضاء
وتنكر معروفها وادبرت حذاء فهي تحفز بالفناء

**اقول** اذنت اعلمت وتنكر معروفها جهل وحذاء سريعة
خفيفة ويروى بالجيم اي مقطوعة الخير والعلاقة والحفز السوق الحثيث
والحفز ايضا الطعن والثمالة بقية الماء في الاناء والمقلة بفتح الميم
وسكون القاف حصاة يقسم بها الماء عند قلته يعرف بها مقدار ما يسقى كل شخص
والتمزز تمصص الشراب قليلا قليلا والصديان والعطشان ونقع ينقع اي
سكن عطشه وازمعت الامر وازمعت عليه اي ثبت عزمي على فعله والمقدور
المقدر الذي لا بد من كونه والامد الغاية والوله العجال جمع واله وعجول
وهما من الابل النوق تفقد اولادها وهديل الحمامة نوحها والجوار الصوت
المرتفع والتبتل الانقطاع الى الله باخلاص النية وانات التي تحن وذاب واعلم
ان مدار هذا الفصل على امور ثلاثة احدها التنفير عن الدنيا والتحذير منها والنهي عن
تاميلها والامر بالرحيل عنها الثاني التنبيه على عظيم ثواب الله وما ينبغي ان
يرجى منه ويلتفت اليه ويقصد بالتحصيل بالنسبة الى ما الناس فيه مما يتوهم
خيرا في الدنيا ثم على عظيم عقابه وما ينبغي ان يخاف منه الثالث التنبيه
على عظمة نعم الله تعالى على الخلق وانه لا يمكن جزاؤها بابلغ المساعي والشكر والاجتهاد
اما الاول فاشار اليه بقوله الا وان الدنيا قد تصرمت الى قوله فهنا الامد
وقد علمت ان تصرمها هو تقضي احوالها الحاضرة شيئا فشيئا بالنسبة الى من



وجد فيها في كل حين وان اذنها بالانقضاء هو اعلامها بلسان حالها للاذهان
المعتبرين انها لا تبقى لاحد فاما تنكر معروفها فمعناه تغيره وتبدله ومثاله
ان الانسان اذا صاب لذة من لذات الدنيا كصحة او امن او مال او جاه ونحوه
انس اليه وتوهم بقاءه له فكان ذلك معروفها الذي اسدته اليه وعرفه
والفه منها ثم انه عن قليل يزول ويتبدل بضده فيصير بعد ان كان معروفا مجهولا
ويكون الدنيا كصديق مكر في صديقه ومزجها بعداوته وادبرت حذاء اي ولت
خالية لا تعلق لاحد بشيء منها مسرعة واستعار لفظ الادبار لانتقال خيراتها
عمن انتقلت عنه لموته او غير ذلك من وجوه زوالها ملاحظة لشبهها بملك اعرض
عن بعض رعيته برفده وبره و **قوله** فهي تحفز بالفناء
سكانها وتحدو بالموت جيرانها استعار لها وصفي السائق والحادي استعارة
بالكناية ووجه المشابهة كونهم في الطعن لمدة العمر بالفناء والموت في مصاحبة
لهم بذلك كما يصحب السائق والحادي الابل بالسوق والحداء وان اريد بالحفز
الطعن فيكون قد تجوز بنسبته الى الجملة ملاحظة لشبه مصائب الدنيا بالرماح
وكذلك استعار لفظ الفناء والموت لالة السوق والحداء وتنزلها منزلة الحقيقة
ووجه المشابهة كون الموت هو السبب في انتقال الانسان الى دار الاخرة كما ان العصا
والسوط مثلا اللذين هما الالة للحداء والسوق هي الالات بهما يحصل انتقال الابل من
موضع الى موضع و **قوله** وقد امر منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان
صفوا كقوله وتنكر معروفها اي ان الامور التي تقع اللذة فيها ويجدها الانسان
في بعض اوقاته صافية حلوة خالية عن كدورات الاعراض ومرارة التنغيص
بالعوارض الكريهة هي في معرض التغير والتبدل بالمرارة والكدر فما من شخص خاطبه
بما ذكر الا ويصدق عليه انه قد عرضت له من تلك اللذات ما استعقب صفوها
كدرا وحلاوتها مرارة اما من شباب تبدل بكبر او غنى بفقر او عز بذل او صحة
بسقم و **قوله** فلم يبق منها الا سملة الى قوله لم ينقع تقليل و
تحقير لما بقي منها لكل شخص شخص من الناس فان بقاءها له على حسب بقائه
فيها وبقاء كل شخص فيها يسير ووقته قصير واستعار لفظ السملة لبقيتها
وشبهها ببقية الماء في الاداوة وبجرعة المقلة ووجه الشبه ما اشار اليه
بقوله لو تمززها الصديان لم ينقع اي كما ان العطشان الواجد لبقية الاداوة

والجرعة لو تمصصها لم ينقع عطشه كذلك طالب الدنيا المتعطش اليها الواجد
لبقية عمره وللبسير من الاستمتاع فيه بلذات الدنيا لا يشبع ذلك غليله ولا يسكن
عطشه منها فالاول اذن تعويد النفس بالفطام عن شهواتها و قوله
فارفضوا عباد الله بالرحيل عن هذه الدار امر لهم بعد تحقيرها والتنفير عنها بالا
زماع وتقديم العزم على الرحيل عنها بالالتفات الى الله والاقبال على قطع
عقبات الطريق اليه وهو الرحيل الحق عن الدنيا و قوله
المقدور على اهلها الزوال تذكير بما لا بد منه من مفارقتها ليخف الرغبة فيها ثم
اعقب ذلك بالنهي عن متابعة الامل في لذاتها فانه ينسي الآخرة كما سبقت الاشارة
اليه و ذكر لفظ المغالبة تذكيرا بالانفة واستثارة للحمية من نفوسهم ثم بالنهي عن
توهم طول مدة الحيوة واستبعاد الغاية التي هي الموت فان ذلك يقسي القلب
فيورث الغفلة عن ذكر الله كما قال تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
وكثير منهم فاسقون واما الثاني وهو التنبيه على عظيم ثواب الله وعقابه
فاعلم انه لما حقر الدنيا وحذر منها وامر بالارتحال عنها اشار بعد ذلك الى ما
ينبغي ان يعظم ويلتفت اليه ويرجى ويخشى وهو ثواب الله وعقابه فاشار الى
تعظيمها بتحقير الاسباب والوسائل التي يعتمد عليها العباد ويبلغ غايات جهدهم
بالنسبة الى ما ينبغي ان يرجى من ثوابه ويخشى من عقابه وتلك الاسباب من شدة
الحنين والوله الى الله والدعاء المستمر والتضرع المشبه لتبتل الرهبان وهذا
في طرف العبادة وانما خص التشبيه بمتبتلي الرهبان لشهرتهم بشدة التضرع
وكذلك الخروج الى الله من الاموال والاولاد وهو اشد الزهد ورتب ذلك في صورة
متصلة مقدمها قوله لو حننتم الى قوله رسله وتاليها
قوله لكان ذلك قليلا الى قوله من عقابه والتماس مفعول له وخلاصة
هذا المقصود بوجيز الكلام انكم لو اتيتم بجميع اسباب التقرب الى الله الممكنة
لكم من عبادة وزهد ملتمسين بذلك التقرب اليه في ان يرفع لكم عنده درجة او
يغفر لكم سيئة احصتها كتبته والواحه المحفوظة لكان الذي ارجوه من ثوابه
للمتقرب اليه في ان يرفع منزلته من حضرة قدسه اكثر مما يتصور المتقرب
انه يصل اليه بتقربه وكان الذي اخافه من عقابه على المتقرب في غفران
سيئة عنده اكثر من العقاب الذي يتوهم انه يدفعه عن نفسه بتقربه

فينبغي

فينبغي للطالب الزيادة في المنزلة عند الله ان يخلص بكليته في التقرب اليه ليصل الى
ما هو اعظم مما يتوهم انه يصل اليه من المنزلة عنده وينبغي للهارب من ذنبه الى الله
ان يخلص بكليته في الفرار اليه ليخلص من هول ما هو اعظم مما يتوهم انه يدفعه
عن نفسه بوسيلته اليه فان الامر في معرفة ما اعده الله لعباده الصالحين من الثواب
العظيم وما اعده لاعدائه الظالمين من العذاب الاليم لجزئيا يتصوره عقول البشر
ما دامت في عالم الغربة وان كانت عقولهم في ذلك الادراك متفاوتة ولما كانت
نفسه القدسية اشرف نفوس الخلق في ذلك الوقت لاجرم نسب الثواب المرجو لهم
والعقاب المخوف عليهم الى رجائه هو وخوفه فقال الذي ارجوا لكم من ثوابه واخاف عليكم
من عقابه وذلك لقوة اطلاعه من ذلك على ما لم يطلعوا عليه واما الثالث
وهو التنبيه على عظم نعم الله تعالى على العباد فنبه عليه بان كل ما اتوا به من الاعمال
التي بذلوا جهدهم فيها في طاعة الله وما عساه تمكنهم ان ياتوا به منها مقصر عن
مجازاة نعمه العظام وقد سبق بيان ذلك ورتب المطلوب في صورة شرطية متصلة
ايضا مقدمها مركب من امور احدها قوله لو انماثت قلوبكم الى قوله خوفا منه و
رجاء به وكنى به عن اقصى حال الخائف الراجي لربه في عبادته الثاني قوله وسالت
عيونكم دما وهو كالاول الثالث قوله ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية اي مدة
بقاء الدنيا وتاليها قوله ما جزت اعمالكم الى قوله وانعمه منصوب
مفعول جزت وهداه في محل النصب عطفا عليه وانما افرد الهدى بالذكر وان
كان من الانعم لشرفه اذ هو الغاية المطلوبة من العبد بكل نعمة له فنصب عليه فانه
لم يخلق ولم يفض عليه انواع النعم الالهية الا ليساعد قلبه ويستعد نفسه لقبول صورة
الهدى من واهبها فيخرج بها من ظلمات الجهل الى ربه ويجوز بها عقاب صراطه المستقيم
والتالي ملازمة هذه المتصلة بالقسم البات وكذلك المتصلة السابقة وفائدة هذا التنبيه
بعث الخلق على الشكر وتوفر الدواعي على الاجتهاد في الاخلاص لله جبرا من مقابلة عظيم
انعامه بالتقصير في شكره والتشاغل بغيره وبالله التوفيق والعصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

يوم النحر في صفة الاضحية ومن تمام
الاضحية استشراف اذنها وسلامة عينها

اقول الاضحية منسوبة الى الاضحى اذا كان ذبحها في ضحى ذلك اليوم

وقيل انه مشتق منها واستشراف اذنها طولها و كنى بذلك عن سلامتها من القطع
او نقصان الخلقة والعضباء المكسورة القرن وقيل القرن الداخل وكنى بجر
رجلها الى المنسك لموضع النسك وهو العبادة والتقرب بذبحها واعلم ان الجز
في الاضحية سلامتها عما ينقص قيمتها وظاهر ان العمى والعور والهزال وقطع
الاذن تنقص به خلقتها ونقصان في قيمتها دون العرج وكسر القرن وفي فضل
الاضحية اخبار كثيرة روى عن رسول الله صلعم انه ما من عمل يوم النحر احب
الى الله عز وجل من اراقة دم وانها لتاتي يوم القيامة بقرونها واظلافها وان
الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الارض فطيبوا بها انفسا وروى عنه ايضا
ان لكم لكل صوفة من جلدها حسنة ولكل قطرة من دمها حسنة وانها
ليوضع في الميزان فابشروا وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم يغالون في اثمان
الهدي والاضاحي ويكرهون المماكسة فيها فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه
عند اهله روى ابن عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول
الله صلى الله عليه ان يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها
وسر ذلك ان الجيد القليل خير من الكثير الدون فثلثمائة دينار وان كان
قيمة ثلثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم بل المقصود تزكية النفس
وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم وذلك بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل واعلم
انه ربما لاح من اسرار وضع الاضحية سنة باقية هو ان يدوم بها التذكر لقصة ابرهيم
عليه السلم وابتلائه بذبح ولده وقوة صبره على تلك المحنة والبلاء المبين ثم يلاحظ
من ذلك حلاوة ثمرة الصبر على المصايب والمكاره فيتاسى الناس به في ذلك مع ما
في الاضحية من تطهير النفس عن رذيلة البخل واستعداد النفس بها للتقرب
الى الله تعالى وبالله التوفيق والعصمة

## ومن كلام له عليه السلام

فتداكوا علي تداك الابل الهيم يوم ورودها قد ارسلها راعيها

اقول تداكوا دق بعضهم بعضا اي دقه بالضرب والدفع والهيم الابل
العطاش والمثاني جمع مثناة وهي الحبل يثنى ويعقل بها البعير واعلم ان قوله
فتداكوا الى قوله لذلك اشارة الى صفة اصحابه بصفين لما طال منعه لهم من



قتال اهل الشام وكان عليه السلم منعهم من قتالهم لامرين احدهما انه كانت
عادته في الحرب ذلك ليكون خصمه الباغي فتركبه الحجة والثاني انه كان يتخلص
وجه المصلحة في كيفية قتالهم لا على سبيل شك في وجوب قتال من خالفه فانه
عليه السلم كان مامورا بذلك بل على وجه استخلاص وجه الراي الاصلح او انتظارا لا
نجذابهم الى الحق ورجوعهم الى الطاعة لحقن دماء المسلمين كما يستصرح به في الفصل
الذي ياتي ثم انه وصفهم بالازدحام عليه بامرين احدهما تشبيهه بزحام الابل العطاش
حين يطلقها رعاتها من مثانيها يوم ورودها الماء ووجه الشبه ما لها من شدة
الزحام والثاني غاية ذلك الزحام وهو ظنه عليه السلم ان يقتلوه او يقتل بعضهم بعضا

قوله وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره اشارة الى بعض عذره
لهم من القتال وهو تقليبه لوجوه الاراء في قتالهم حتى تبين له ما يلزم في ترك القتال
من الخطر وهو الكفر على ان في الامرين خطرا اما القتال ففيه بذل نفسه للقتل و
هلاك جملة من المسلمين واما تركه ففيه مخالفة امر الله ورسوله المستلزمة العقاب
الاليم لكن قد علمت ان الدنيا الاخرة لسعادتها والاشقية لشقاوتها الى سعادة
الاخرة وشقاوتها عند ذوي البصائر خصوصا مثله عليه السلم فلذلك قال فكانت
معالجة القتال اهون علي من معاونة العقاب وموتات الدنيا اهون علي من
موتات الاخرة واستعار لفظ الموتات للاهوال والشدائد في الدنيا والاخرة لما بين
الموت وبينهما من المناسبة في الشدة وبالله التوفيق والعصمة

## ومن كلام له عليه السلام

وقد استبطا اصحابه اذنه في القتال بصفين اما قولكم اكل ذلك كراهية الموت

اقول عشى الى النار استدل عليها ببصر ضعيف وباء باثمه
اي رجع به وهذا الفصل مناسب للذي قبله والسبب فيه ان اصحابه لما طال منعه
لهم عن قتال اهل الشام الحوا عليه في طلبه حتى نسبه بعضهم الى العجز وكراهية
الموت ونسبه بعضهم الى الشك في وجوب قتال هؤلاء فاورد عليه السلم شبهة الاولين
في قوله اكان ذلك كراهية الموت وروى كراهية بالنصب على المفعول له
وسد مسد الخبر واجاب عنها بقوله فوالله ما ابالي الى قوله الى وصدق
هذه الدعوى المؤكد بالقسم للبات ظاهر منه فان العارف بمعزل عن بقية الموت
خصوصا نفسه القدسية كما سبق ونسبة الدخول على الموت والخروج اليه نسبة

محاربة تستلزم ملاحظة تشبيهه بحيوان مخوف ثم اورد الشبهة الثانية و
هي قوله واما قولكم شكا في اهل الشام واجاب عنها بقوله فوالله ما دفعت
الحرب الى آخره وتقريره ان المطلوب الاول من انبياء الله ورسله انما هو اهتداء
الخلق بهم من ظلمة الجهل واستقامة امورهم في معاشهم ومعادهم بوجودهم واذا
كان هذا هو المطلوب الذاتي له عليه السلم من طلب هذا الامر والقتال عليه فكان
تحصيل المطالب كلما كان الطف واسهل من القتل والقتال كان اولى لاجرم كان
انتظاره بالحرب يوما فيوما انما هو لانتظار وطمع ان يلحق به منهم
من تجذب العناية الالهية بذهنه الى الحق فيهتدي به في طريق الله ويعشوا الى ضوء
علمه وكماله وكان ذلك احب اليه من قتلهم على اضلالهم وان كان كل ضال انما
يرجع باثمه الى ربه ويكون رهين عمله كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة
ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وبالله التوفيق والعصمة

## ومن كلام له عليه السلام

ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
نقتل آباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا

اقول المنقول ان هذا الكلام صدر عنه عليه السلم يوم صفين حين
اقر الناس بالصلح واوله ان هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا الى الحق ولا ليجيبوا
الى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر يتبعها العساكر وحتى يرجموا بالكتائب تقفوها
الحلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحي
ارضهم وباحناء مساربهم ومسارحهم وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج
وحتى يلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم ومو
تاهم في سبيل الله الا جدا في طاعة الله وحرصا على لقاء الله ولقد كنا مع رسول
الله الفصل وكلمة سواء اي عادلة والمناسر خيل من المائة الى المائتين ويقال بل
الجيش لا يمر بشيء الا اقتلعه والخميس الجيش وتدعق تغار على الارض فتثير
فيها حوافرها وشن الغارة اثارها والفج منهج الطريق والمصع حركة
الالم ويتصاولان يتحاملان ويتطاولان ويتخالسان ينتهز كل منهما فرصة
صاحبه والمنون المنية والكبت الصرف والاذلال وجران البعير مقدم عنقه
من مذبحه الى منحره وتبوأ وطنه سكن فيه ومقصوده في هذا الفصل توبيخ

اصحابه

اصحابه على ترك الحرب والتقصير فيه فقوله ولقد كنا الى قوله اوطانه بيان
لفضله وكيفية صنعه هو وساير الصحابة في الجهاد بين يدي رسول الله صلى
الله عليه لغرض قيام الاسلام وظهور امر الله ليتبين للسامعين تقصيرهم
بالنسبة الى ما كان اوليك عليه في جهادهم يومئذ فبدا فذكر ما كانوا يحتملونه
من الشدايد وان احدهم كان يقتل اباه وولده طلبا لرضاء الله وذبا عن دينه
ثم لا يزيده ذلك الا ايمانا بالله وتسليما لقضايه ومضيا على واضح سبيله وصبرا
في طاعته على مضيض الالام المتواترة وان احدهم كان يتصاول عدوه ليختطف
كل روح صاحبه ويحرز بلفظ الكاس فيما يتجرعه الانسان من غصص الالم حال
القتل ونبه بقوله مرة لنا ومرة لعدونا على ان اقدامهم على القتال يومئذ لم يكن
عن قوة منهم على العدو وتيقن بغلبه بل مع غلبة العدو لهم وقهره ومرة مغلوب
على الظرف وتقديره مرة الادالة يكون لنا من عدونا ومرة يكون له منا
وقوله فلما راى الله صدقنا الى قوله النصر فيه تنبيه على ان الجود
الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما هو عام الفيض على كل قابل استعد
لرحمته فاشار برؤية الله صدقهم الى علمه باستحقاقهم واستعدادهم بالصبر الذي
اعدهم به وبانزال النصر عليهم والكبت لعدوهم الى افاضته على كل منهم ما استعد
له وقوله حتى استقر الاسلام الى قوله اوطانه اشارة الى حصول
غاياتهم التي قصدوها بجهادهم العدو وهي استقرار الاسلام في قلوب عباد الله و
استعار له لفظ الجران ورشح تلك الاستعارة بالالقاء ملاحظة لشبهه بالبعير
الذي القى مكانه وكذلك استعار لفظ التبوء ونسبته الى الاوطان تشبيها له
بمن كان من الناس خايفا متزلزلا مستقرا له ثم اطمان واستقر في وطنه
واستعار لفظ الاوطان لقلوب المومنين وكنى بتبوءه لاوطانه عن استقراره
فيها وقوله لعمري لو كنا ناتي الى قوله عودا رجوع الى المقصود
الاصلي وهو تنبيه اصحابه على تقصيرهم والمعنى لو قصرنا يومئذ كتقصيركم
الان وتخاذلكم لما حصل ما حصل من استقامة الدين وكنى بالعمود للدين عن
قوته ومعظمه كناية بالمستعار وكذلك باخضرار العود للايمان عن
نضارته في النفوس ولاحظ في الاول تشبيه الاسلام بالبيت ذي العمود وفي
الثانية تشبيه الايمان بالشجرة ذات الاغصان وقوله وايم الله

لعالبنها دما استعار لفظ جلب الدم لثمرة تقصيرهم وتخاذلهم عما ادعوهم
اليه من الجهاد ولاحظ في ذلك الاستعارة تشبيههم لتقصيرهم في افعالهم با
الناقة التي تصيب ضرعها بآفة من تفريط صاحبها فيها والضمير للمؤنث
مبهم يرجع في المعنى الى افعالهم وكذلك الضمير في قوله ولتتبعنها ندما
فان ثمرة التفريط الندامة ونصب دما وندما منصوبان على التمييز وقد اتفق
في هذا الفصل نوعان من السجع فالقمع والامر سجع متوازن وحرانه واوطانه
مطرّف وكذلك عمود وعود ودما وبالله التوفيق والعصمة

## ومن كلام له عليه السلام

لاصحابه اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب
البلعوم مندحق البطن ياكل ما يجد ويطلب ما لا يجد

اقول رحب البلعوم واسع مجرى الحلق وبطن مندحق
ناتي بارز وفي هذا الفصل اخبار بما سيكون لاصحابه من الابتلاء بسببه و
الخطاب لاهل الكوفة فقوله اما يحتمل ان تكون المشددة والتقدير اما
بعد انه كذا ويحتمل ان تكون مخففة وهي ما النافية دخلت عليها همزة
الاستفهام والتقدير اما تعلمون انه سيظهر واختلف في مراده بالرجل فقال
اكثر الشارحين المراد به معوية لانه كان بطينا كثير الاكل روي انه
كان ياكل فيمل فيقول ارفعوا فوالله ما شبعت ولكن مللت وتعبت
وكان ذلك داء اصابه بدعاء الرسول صلى الله عليه روي انه بعث اليه مرة
فوجده ياكل فبعث اليه ثانية فوجده كذلك فقال اللهم لا تشبع بطنه
ولبعضهم في وصف لغز وصاحب لي بطنه كالهاوية كان في امعائه معوية
وقيل هو زياد بن ابي سفيان وهو زياد بن ابيه وقيل هو الحجاج وقيل المغيرة
بن شعبة وظهوره عليهم بعده استعلاؤه وتامره عليهم واكله ما يجد مع طلبه
ما لا يجد كناية عن كثرة اكله وجعل ذلك علامة له وقوله
فاقتلوه اي لما هو عليه من الفساد في الارض ولن تقتلوه حكم لدني اطلع
عليه وقوله الا وانه سيامركم بسبي الى اخره اشارة الى ما
سيامرهم به في حقه من السب والبراءة ووصيته لهم بما هو المصلحة اذن
وفرق عليه السلم بين سبه والبراءة منه بان رخص في سبه عند الاكراه عليه

ولم يرض

ولم يرض في التبري منه وفي الفرق بينهما لطف وذلك ان السب من
صفات القول اللساني وهو امر يمكن ايقاعه من دون اعتقاده مع
احتمال التعريض ومع ما يشتمل عليه من حقن دماء المامورين ونجاتهم با
متثال الامر به فاما التبري فليس لصفة قولية فقط بل يعود الى المجانبة القلبية
والمعاداة والبغض وهو المنهي عنه هاهنا فانه امر باطن يمكنهم الانتهاء عنه
ولا يلحقهم بسبب تركه وعدم امتثال الامر به ضرر وكانه لحظ فيهما قوله
تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم
غضب الاية وقوله في السب فانه لي زكاة ولكم نجاة اشارة الى اسباب
ترخيصه في سبه اما نجاتهم بسببه فظاهرة واما كونه زكوة له فلوجهين
احدهما ما روي في الحديث ان ذكر المؤمن بسوء هو زكاة له وذلك بما ليس فيه
زيادة في جاهه وشرفه الثاني ان الطباع تحرص على ما تمنع منه وتلح فيه
فالناس لما منعوا من ذكر فضائله والموالاة له فالزموا سبه وبغضه ازدادوا
بذلك محبة له واظهارا لشرفه ولذلك انه عليه السلم سبه بنو امية الف شهر
على المنابر فما زاد ذكره على ذلك الا علوا ولا ازداد الناس في محبته الا علوا و
المنقول ان الذي امر بقطع سبه عمر بن عبد العزيز ووضع مكان سبه من
الخطبة ان الله تعالى يامر بالعدل والاحسان الاية ولذلك قال كثير بن عبد الرحمن
يمدحه وليت فلم تشتم عليا ولم تخف بريا ولم تقبل اشارة مجرم وفيه يقول
الرضي الموسوي رحمه الله يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من امية لبكيتك
انت نزهتنا عن الشتم والسب ولو كنت مجزيا لجزيتك غير اني اقول انك قد طبت
وان لم يطب ولم يزك بيتك قوله واني ولدت على الفطرة الى اخره
تعليل لحسن الانتهاء عن البراءة منه ووجوبه واراد بالفطرة فطرة الله التي
فطر الناس عليها وهي بعثهم الى عالم الاجساد ما اخذ عليهم ميثاق العبودية و
الاستقامة على سنن العدل في سلوك صراطه المستقيم واراد بسبقه الى الاسلام والهجرة
سبقه الى طاعة رسول الله صلى الله عليه فيما جاء به من الدين وصحبته له و
مهاجرته معه مستقيما في كل ذلك على فطرة الله لم يدنس نفسه بشيء من
الملكات الردية مدة وقته اما زمان صغره فللخبر المشهور كل مولود يولد
على الفطرة واما بعد ذلك فلان الرسول صلى الله عليه كان هو المتولي لتربيته

وتزكيته نفسه بالعلوم والاخلاق من اول وقته الى ان توفي صلى الله عليه كما اشرنا اليه قبل وكما سنذكره بعد كيفيته وكان قبوله واستعداده لانوار الله اوفر وفطرت نفسه وجبلت عليه طبيعته حتى لم يلحقه في ذلك احد من الصحابة وظاهر ان من كان بهذه الصفة من خلفاء الله واوليائه كان المتبرئ منه متبرئا من الله ورسوله فوجب الا تبرا عنه وبالله التوفيق

**ومن كلام له عليه السلام**

اصابكم حاصب ولا بقي منكم آبر ابعد ايماني بالله وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه

**اقول** المروي في السبب انه لما كتب عهد التراضي بالحكمين بين علي ومعاوية اعتزلت الخوارج وتنادوا من كل ناحية لا حكم الا لله الحكم لله يا علي لا لك ان الله قد امضى حكمه في معوية واصحابه ان يدخلوا تحت حكمنا وقد كنا زللنا واخطانا حين رضينا بالتحكيم وقد بان زللنا وخطاؤنا ورجعنا الى الله وتبنا فارجع انت كما رجعنا وتب الى الله كما تبنا وقال بعضهم انك اخطات فاشهد على نفسك بالكفر ثم تب منه حتى نطيعك فاجابهم عليه السلام بهذا الكلام والحاصب ريح شديدة تنزع بالحصباء وهي صغار الحصى والاثرة بالفتح الاستبداد فدعا عليهم اولا بريح تحصبهم ثم بالفناء غضبا من مقالتهم ثم اخذ في تقريعهم وانكار مقالتهم وطلبهم شهادته على نفسه بالكفر في صورة سؤال اعقبه بتنبيههم على خطائهم في حقه ببيان غلطهم على نفسه لو اجابهم الى ما سالوا فان شهادة الانسان على نفسه بالكفر ضلال عن الحق وعدم اهتداء في سبيل الله ثم اردف ذلك بامرين احدهما جذبهم بالعنف والقهر وامرهم بالرجوع الى الحق على اعقابهم اي من حيث خرجوا من الحق وفارقوه الثاني اخبارهم بانهم سيلقون بعده من الذل الشامل والسيف القاطع وهو كناية عمن يقتلهم بعده كالمهلب بن ابي صفرة وغيره وهذا الاخبار الغرض استغفارهم اليه وجذب لهم برذيلة غيره والاثرة التي يتخذها الظالمون فيهم سنة اشارة الى ما يستاثر به الملوك والجبابرة عليهم من الفيء والغنائم والاهانة لهم وقد كانت دعوته عليه السلام استجيبت منهم فانهم لم يزالوا بعده في ذل شامل وقتل ذريع حتى افناهم الله تعالى

واحوالهم

واحوالهم في كيفية قتالهم وقتلهم ومن قتلهم مستوفى في كتاب الخوارج وبالله التوفيق

**وقال عليه السلام**

لما عزم على قتال الخوارج وقيل له ان القوم عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفة

**اقول** خلاصة هذا الخبر انه عليه السلام لما خرج الى اصحاب النهر جاءه رجل من اصحابه فقال البشرى يا امير المؤمنين ان القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك فابشر فقد منحك الله اكتافهم فقال الله انت رايتهم قد عبروا فقال نعم فقال عليه السلام والله ما عبروا ولن يعبروه وان مصارعهم دون النطفة والذي فلق الحبة وبرا النسمة لن يبلغوا الاثلاث ولا قصر بوران حتى يقتلهم الله وقد خاب من افترى قال ثم جاءه جماعة من اصحابه واحدا بعد آخر كلهم يخبره بما اخبره الاول فركب عليه السلام وسار حتى انتهى الى النهر فوجد القوم باسرهم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيولهم وجثوا على الركب وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل وروي ان شابا من اصحابه قال في نفسه حين حلف عليه السلام بالحكم من امرهم وسار الى النهر ليبان صدق حلفه والله لاكونن قريبا منه فان كانوا عبروا النهر لاجعلن سنان رمحي في عينيه ايدعي علم الغيب فلما وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه واخبره بما دار في نفسه وطلب منه ان يغفر له فقال عليه السلام ان الله هو الذي يغفر الذنوب جميعا فاستغفره فاما حكمه بانهم لا يفلت منهم عشرة ولا يقتل من اصحابه عشرة فروي انه قال لابي ايوب الانصاري وكان على ميمنته لما بدات الخوارج بالقتال احملوا عليهم فوالله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة فلما قتلهم وجدوا المفلت منهم تسعة والمقتول من اصحابه ثمانية وهذان الحكمان من كراماته عليه السلام وبالله التوفيق

**وقال عليه السلام**

لما قتل فقيل له يا امير المؤمنين هلك القوم باجمعهم كلا والله انهم نطف في اصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين

**اقول** نجم طلع والسلاب المختلس وكلا رد لمقالة من حكم بهلاكهم جميعا واشار بكونهم نطفا في اصلاب الرجال وقرارات النساء الى

الى انه لابد من وجود قوم منهم يقولون بمثل مقالتهم وانهم الان موجودون
في الاصلاب والارحام بالقوة فمنهم نطف برزت الى الارحام وكنى بالقرارات عنها
ومنهم نطف بعد في الاصلاب ثم اخبر عنهم احكاما اخر تقرير البقاء بهم منها انه
سيقوم منهم روساء ذوو اتباع وكنى عمن يظهر منهم بالقرن كناية بالمستعار
مرشحا لتلك الاستعارة بقوله نجم وقطع لكونهما حقيقتين في النبات و
جعل لتراذلهم غاية هي كون اواخرهم لصوصا سلابين اي قطاعا للطريق
واما الذين ظهروا بعده من روسائهم فجماعة كثيرة وذلك ان التسعة الذين
سلموا يوم النهر تفرقوا في البلاد فانهزم اثنان منهم الى عمان واثنان الى كرمان
واثنان الى سجستان واثنان الى الجزيرة وواحد الى تل موزن وقد كان منهم
جماعة لم يظفر بهم عليه السلام فظهرت بدعتهم في اطراف البلاد بعده فكانوا نحوا
من عشرين فرقة وكبارها ست احديها الازارقة اصحاب نافع بن الازرق وكانوا
اكبر الفرق خرجوا من البصرة الى الاهواز وغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من
بلدان فارس وكرمان في ايام عبد الله بن الزبير وكان مع نافع من امراء الخوارج
عشرة عطية بن الاسود الحنفي وعبد الله بن ماحوز واخواه عثمان بن الزبير وعمر
عمير العنبري وقطري بن فجاءة المازني وعبيدة بن هلال الشيباني وصخر التميمي
وصالح العبدي وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير في نيف وثلثين الف فارس
منهم فانفذ اليهم المهلب بن ابي صفرة ولم يزل في حربهم هو واولاده تسع عشرة
سنة الى ان فرغ من امرهم في ايام الحجاج ومات نافع قبل وقائع المهلب و
بايعوا بعده قطريا وسموه امير المومنين الثانية النجدات رئيسهم نجدة بن
عامر الحنفي وكان معه رجلان يقال لاحدهما عطية وللاخر ابو فديك ففارقاه الحنفي
بشبهة ثم قتله ابو فديك وصار لكل واحد منهما جمع عظيم وقتلا في زمن عبد
الملك بن مروان الثالثة البيهسية اصحاب ابي بيهس الهيصم بن جابر وكان
بالحجاز وقتله عثمان بن حيان المزني بالمدينة بعد ان قطع يديه ورجليه وكان
في زمن الوليد باشارة منه الرابعة العجاردة اصحاب عبد الكريم بن عجرد
وتحت هذه الفرقة فرق كثيرة لكل منهم رئيس مشهور الخامسة الاباضية
اصحاب عبد الله بن اباض خرج في ايام مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله
بن محمد عطية فقاتله فقتله السادسة الثعالبة اصحاب ثعلبة بن عامر

وتحت هذه الفرق فرق كثيرة ولكل منها ايضا رئيس مشهور وتفصيل روسائهم وفرقهم و
احوالهم ومن قتلهم مذكور في كتب التواريخ واما كون اواخرهم لصوصا سلابين فاشارة
الى ما كانوا يفعلونه في اطراف البلاد باصفهان والاهواز وسواد العراق ويعيثون
فيها و في نهب اموال الخراج وقتل من لم يدن بدينهم جهرا وغيلة وذلك بعد ضعفهم
وتفرقهم بوقائع المهلب وغيرها كما هو مذكور في مظانه وبالله العصمة والتوفيق

وقال عليه السلام

لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فاخطاه
كمن طلب الباطل فادركه يعني معوية واصحابه

اقول نهى عليه السلام عن قتل الخوارج بعده واومى الى علة استحقاق
القتل بانه طلب الباطل لانه باطل ليتبين انها منتفية في حقهم فينبغي لان مقصدهم نه
باطلا بل طلبوا الحق بالذات فوقعوا في الباطل بالعرض ولم يكن غرضه الا الحق لم
يجز قتله وحسن الكلام ظهر في تقدير متصلة هكذا لو استحقوا القتل بسبب طلبهم
للباطل من حيث هو باطل لكنهم لا يستحقونه من تلك الجهة لانهم ليسوا بطالبين للباطل
من حيث هو باطل فلا يستحقون القتل وفرق بين من طلب الحق لذاته فيظهر عنه
في صورة باطل وبين من يطلب الباطل لذاته فيظهره في صورة الحق حتى يدركه
فان الثاني هو المستحق للقتل دون الاول واوما بمن طلب الباطل فادركه الى معوية
واعلم ان هذا النهي منه عليه السلام بانهم كانوا طالبين للحق وبيانه ان معظم روسائهم كانوا
على غاية من المحافظة على العبادات كما نقل عن الرسول صلى الله عليه حيث وصفهم
فقال حتى ان صلوة احدكم ليحتقر في جنب صلوتهم وكانوا مشهورين بالصلاح والموا
ظبة على حفظ القران ودرسه الا انهم بالغوا في التحري وشدة الطلب للحق حتى
خرجوا عن فضيلة العدل فيه الى رذيلة الافراط فوقعوا في الفسق ومرقوا من الدين
فان قلت كيف نهى عن قتلهم بعده مع انه قتلهم قلت الجواب من وجهين احدهما انه
عليه السلام انما نهى عن قتلهم بعده على تقدير ان يلزم كل منهم نفسه ويشتغل بها ولا يعيثوا
في الارض فسادا وهو انما قتلهم حيث افسدوا في زمانه وقتلوا جماعة من الصالحين
كعبد الله بن خباب وشقوا بطن امراته وكانت حاملا ودعوا الناس الى بدعتهم ومع
ذلك كان يقول لاصحابه حين سار اليهم لا تبدءوهم بالقتال حتى يبدءوكم به ولم يشرعوا
في قتلهم حتى بدءوه بقتل جماعة من اصحابه الثاني انه يحتمل ان يقال انه انما قتلهم لانه

امام عادل لان الحق في ذلك وانما نهى عن قتلهم بعده لانه علم انه لا يلي هذا الامر بعده
من له تحكم الشريعة ان يقتل ويتولى اقامة الحدود ولا من يعرف مواضعها وبالله التوفيق

## ومن كلام له عليه السلام

لما خوف من الغيلة وانّ عليّ من الله جنّة حصينة فاذا جاء يومي الى اخره

اقول قد كان عليه السلام خوّف من غيلة ابن ملجم لعنه الله مرارا روى
ان الاشعث لقيه متقلّدا سيفه فقال له ما يقلدك السيف وليس باوان حرب فقال
اردت ان انحر به جزور القرية فاتى الاشعث عليا فاخبره وقال قد عرفت ابن ملجم وفتكه
فقال علي عليه السلام ما قتلني بعد وروى ان عليا عليه السلام كان يخطب مرة ويذكر اصحابه
وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لاريحنهم منك فلما انصرف على اثره به ملببا فا
شرف عليهم وقال ما تريدون فخبروه بما سمعوا منه فقال ما قتلني بعد فخلوا عنه وانّ
علي من الله جنة الفصل والغيلة القتل على غفلة والجنة ما يستتر به من سلاح وطائش
السهم الخارف عن الغرض والكلم الجرح وكنى بالجنّة عن عناية الله بحفظ اسباب حيوته
في المدة المكتوبة له في القضاء الالهي كنى به ما المستعار ووجه الاستعارة ان مع بقاء اسباب
الحيوة محفوظة لا يؤثر في الانسان شيء من سهام المنية ابدا كما ان لابس الجنة محفوظ
بها من اثار السهام ونحوها ووصفها بالحصينة ترشيحا للاستعارة وكنى بها ايضا عن
قوة ذلك الحفظ وكنى بيومه عن وقت ضرورة موته وبانفراج الجنة عنه عن
عدم بعض اسباب الحيوة المستلزم لعدم الحيوة ولحوق سهام الامراض وهو ترشيح
الاستعارة ايضا ونسبة اليها اسلامها له ملاحظة لتشبيهها بمن يحفظ ثم يسلمه للقتل
و قوله وح لا يطيش السهم استعار لفظ السهم للامراض التي هي اسباب
الموت وكنى بعدم طيشه عن امكانه وحصول الموت عنه ولفظ الكلم للاثر الحاصل
عن تلك الاسباب ووجه الشبه في الاول كونهما سببين للهلاك وفي الثاني فيه ما
يتألم منه من التألم ورشح الاولى بذكر الطيش والثانية بذكر البرء ومن الشعر
المنسوب اليه في ذلك قوله عليه السلام

من اي يومي من الموت افر     ايوم لم يقدر ام يوم قدر
يوم لم يقدر فلا ارهبه     ويوم قد قدر لا يغني الحذر

وهو في ذلك ملاحظة لقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا
مؤجلا ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون

## ومن خطبة له عليه السلام

الا وان الدنيا دار لا يسلم فيها ولا ينجى بشيء
كان لها ابتلي الناس فتنة

اقول بينا
اصلها بين بمعنى الوسط فاشبعت الفتحة فحدثت الالف وقد تزاد ما فيقال بينما
والمعنى واحد وتحقيق الظرفية هنا ان الظرف دائر بين الشيوع والتخلص والزيادة
والنقصان وقليل الظرف نقص وغرض هذا الفصل التحذير من الدنيا والتنبيه على وجوب
لزوم العمل لله فيها واشار الى ذلك في اوصاف لها الاول كونها لا يسلم منها الا فيها
وتحقيق ذلك انه لا دار الا الدنيا والاخرة وقد علمت ان اسباب السلامة هي الزهد
والعبادة وساير اجزاء الرياضة وشيء منها لا يكون في الاخرة بل كلها اعمال متعلقة بالبدن
فاذن لا يتحقق ما يلزمها من السلامة من الدنيا الا في الدنيا الثاني كونها لا ينجى بشيء كان
لها وفيه ايماء الى ذم الرياء في الاقوال والافعال وتحذير من كل عمل وقول قصد به الدنيا
فان شيئا من ذلك لا حظ له في استلزام النجاة في الاخرة بل انما كان سببا للهلاك فيها
كما ان الاشتغال بمهمات الدنيا منسي للاخرة الثالث كونها قد ابتلي الناس بها
فتنة وفتنة منصوب بالمفعول له ويحتمل ان يكون مصدرا سد مسد الحال ونحوه
قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ولنبحث عن معنى الابتلاء
بالدنيا وكونها فتنة واعلم انه ليس المراد ان الله تعالى لا يعلم ما يؤول اليه احوال العباد
وما يكون منهم الا بعد خلقهم وابتلائهم بالدنيا فانه تعالى العالم بما كان وما يكون
قبل كونه كما قال تعالى وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب من قبل ان نبرأها
ان ذلك على الله يسير بل الكشف عن حقيقة الابتلاء انه لما كان الانسان انما يكون انسانا
بما خلق فيه من القوى الشهوية والغضبية وما يتبعهما وكان لهذه القوى ميول طبيعية
الى حاضر اللذات الدنيوية من مشتهياتها والابتهاج لها الا بها ولا حظ لها من
غيرها وكانت النفوس الانسانية مخالطة لهذه القوى وهي الاتها والاوجه لها في
تصرفاتها غالب الاحوال لا العقل وكانت تلك القوى في اكثر الخلق جاذبة لنفوسها الى
مشتهياتها الطبيعية بالطبع وكانت تلك النفوس في اكثر الناس منقادة لقواها معرضة
عن الاخرة مشغولة بحاضر ما وجدته من لذات الدنيا عن تصور ما وراءها ثم مع
ذلك كان المطلوب منها ما يضاد ذلك وهو ترك حاضر الدنيا ومنازعة هذه
القوى في مشتهياتها وجذبها عن التوجه بكليتها اليها لما تبعة للنفس في التفاتها

عن ذلك الى امر لا يتصور في الدنيا الا بالاوصاف الخيالية كما هو وظيفة الانبياء
عليهم السلام مع الخلق كانت الارادة لله تعالى لذلك الالتفات مع ما هم فيه من منازعة الهوى
فان اطاعوه هلكوا وان عصوه نجوا صورة امتحان فاشبه ذلك ما يعتمده احدنا عند عبده
اذا اراد مثلا اختبار صبره ومحبته له فوهب له جميع ما يشتهيه ثم كلفه مع ذلك
تكاليف شاقة لا يتمكن من فعلها الا بالتفاته عن مشتهاه وتنغيصه عليه فلا جرم كان ذلك
صورة الابتلاء والاختبار من الله في الوجود وكذلك ظهر معنى كونها فتنة فان الفتنة
الامتحان والاختبار وان قدرناها حالا متى يعني للضلال ويعود الى جذبها للنفوس
الى حضرتها انما عن سنن الحق الرابع كونهم ما اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا
عليه وهو تنبيه على وجوب قصد الاخرة بما يوخذ من الدنيا وينصرف فيه وتقيران
بجعل الماخوذ منها لمجرد التمتع بها فذكر وصفين احدهما وجوب مفارقة الماخوذ منها
والاخراج منه والثاني الحساب عليه في الاخرة واعلم ان الحساب على راي المليين
ظاهر قالوا ان الله تعالى قادر على حساب الخلق دفعة واحدة ولا يشغله كلام عن
كلام كما قال تعالى وهو سريع الحساب واما الحكماء فقالوا ان للحساب معنى وتقريره
بتقديم مقدمات الاولى ان تكرر الافعال وتكثرها يوجب حدوث الملكات في النفوس واستقرارها
التام بكيف عن ذلك ومن كانت مواظبته على عمل من الاعمال اكثر كان رسوخ تلك الملكة
الصادرة عن ذلك الفعل في نفسه اقوى الثانية انه لما كان تكرر العمل يوجب حصول
الملكة وجب ان يكون لكل عمل يفعله الانسان اثر في حصول تلك الملكة بل يجب ان يكون
لكل جزء من اجزاء العمل الواحد اثر في حصولها بوجه ما وضربوا لذلك مثالا فقالوا
لو فرضنا سفينة عظيمة بحيث لا تغرق فيها مائة الف من فانها تغوص في الماء قدر شبر
واحد لو لم يكن فيها الا حبة واحدة من الحنطة فتلك القدر من الجسم الخفيف فيها
يوجب غوصها في الماء بمقدار ما له من الثقل وان بلغ في القلة الى حيث لا يدركه الحس
اذا عرفت ذلك فنقول ما من عوارض الخير والشر قليل ولا كثير الا ويفيد حصول اثر
في النفس اما سعادة او شقاوة وعند هذا ينكشف سر قوله تعالى فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكذلك لما ثبت ان الافعال
انما تصدر بواسطة الجوارح من اليد والرجل وغيرهما لا جرم كانت الايدي والارجل
شاهدة على الانسان يوم القيامة بلسان حالها على معنى ان تلك الاثار النفسانية
انما حصلت في جواهر النفوس بواسطة الافعال الصادرة عنها فكان صدقه

تكرر الافعال

تكرر الافعال من تلك الجوارح جاريا مجرى الشهادة على النفس بما اكتسبته بها اذا
عرفت ذلك فنقول لما كانت حقيقة المحاسبة تعود الى تعريف الانسان ما له وما عليه
من مال ونحوه وكان ما يحصل في النفوس من الملكات الخيرية والشرية امورا مضبو
طة في جوهرها محصاة عليها وانما تنكشف لها كثرة تلك الهيئات وتمكنها من ذواتها
وتضررها بها في الان الذي ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن اشبه ذلك ما
يتبين للانسان عند المحاسبة مما احصي عليه وله فاطلق عليه لفظ الحساب وذلك
م اليقين والاطلاع هو المشار اليه بقوله عليه السلام قدموا عليه وليس المقصود ان ما قدموا
عليه في الاخرة هو عين ما اخذ من الدنيا بل ثمرته في النفوس من خير او شر فالذي غنمه
وله الجاهلون منها لمجرد التنعم بها هو الذي يتمكن عنه هيئات السوء في جواهر نفو
سهم فيقدمون عليها ويقيمون بها في عذاب جهنم خالدين فيها لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون
الخامس كونها عند ذوي العقول كفيء الظل وبينه بهذا الوصف على سرعة زوالها وانما
خصص ذوي العقول بذلك لامرين احدهما ان المعتبر لزوالها عاقل بمجرد عقله دون
هواه فلذلك نسب الى العقل الثاني ان حال ذوي العقول مرغوب فيه لمن سمعه ولما
كان مقصوده تحذير السامعين من سرعة زوالها ليعلموا انها لما بعدها نسب ذلك الى
ذوي العقل ليقتدي السامعون اثرهم ثم اشار الى وجه شبهها بالظل بقوله بينا يراه
الى اخره اي انها تسرع زوالها كما تسرع زواله وهو من التشبيهات السايرة ومثله
قول الشاعر   الا انما الدنيا كظل غمامة   اظلت يسيرا ثم خفت فولت

## ومن خطبة له عليه السلام

فاتقوا عباد الله وبادروا اجالكم الى اخره

اقول المبادرة المسارعة والسداد المهل وحدير بكذا اي اولى به
وحري حقيق والتسويف قول الانسان سوف افعل وهو كناية عن التمادي في الامور
والبطر تجاوز الحد في الفرح والكابة الحزن وحاصل هذه الموعظة التنفير من الدنيا
والترغيب في الاخرة وما يكون وسيلة الى نعيمها والترهيب مما يكون سببا للشقاء فيها
فقوله فاتقوا الله الى قوله باعمالكم فيه تنبيه على وجوب لزوم الاعمال الصالحة
وحث عليها بالامر بمسابقة الاجال فيها وعلى توقع سرعة الاجال واخطاره بالبال وهو
من الجواذب القوية الى الله تعالى ونسب المسابقة الى الاجال ملاحظة لشبهها بالمراهن
اذ كان لحوقها لهم حايلا بينهم وبين الاعمال الصالحة الشبيهة بما يستبق عليه من رهن

فقوله واتاعوا ما يق الى قوله عنكم اشارة الى لزوم الزهد في الدنيا والتقلع
عن متاعها الفاني وان يشترى به ما يبقى من متاع الاخره وقد عرفت غير مرة
اطلاق لفظ البيع هنا وقيد المشترى بما يبقى والثمن ما يزول لكون المشترى لحب الى
النفوس لبقائه و قوله وترحلوا فقد جدّ بكم الامر بالترحل وهو قطع منازل
من منازل السفر الى الله تعالى في مراتب السلوك لطريقه ونبّه على وجوب الترحل
بقوله فقد جدّ بكم اى في السير الى اجالكم بقوة وذلك الجد يعود الى سرعة بوارد الاسباب
التى تعد المزاج للفساد ويقربه الى الاخرة ملاحظة لشبهها تسابق الابل ونحوها و
قوله فاستعدوا للموت فقد اظلكم الاستعداد له هو باستكمال النفوس
كمالها الذى ينبغى حتى لا يبقى للموت عندها كثير وقع بل يكون محبوبا لكونه وسيلة
الى المحبوب وهو لقاء الله والسعادة الباقية في حضرت الملاء الاعلى ونبه بقوله
فقد اظلكم على قربه واستلزم ذلك تشبيهه بالسحاب او الطير فاستعير له وصف الاظلال
و قوله فكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا تنبيه لهم على الالتفات الى منادى
الله وهو لسان الشريعة والانتباه بندائه من مراقد الطبيعة و قوله
واعلموا الى قوله بدلا تنبيه لهم على ان الدنيا ليست بدار لهم ليلتفتوا عن الذكور
اليها وتنقطعوا الاعراض منها لعدمهم بالاستبدال بها ليذكروا ان هناك عوضا منها
تحب ان يلتفتوا اليها وهو الدار الاخره ونبّه بقوله فان الله لم يخلقكم عبثا الى آخر
على وجوب العمل لذلك البدل فانهم لم يخلقوا الا لاجله وكما امامه فيه و قوله
وما بين احدكم الى قوله ينزل به تحريض لما خلقوا له ووعدوا بالوصول اليه و
انه لا حايل بينهم وبينه الا الموت قال بعض الشارحين وهذا الكلام منه عليه السلام
متمسكا للحكماء في تفسيرهم للجنة والنار فانهم لما قالوا ان الجنة تعود الى المعارف
الالهية ولوازمها والنار تعود الى حب الدنيا والميل الى مشتهياتها وملكات
الهيات الردية في جوهر النفس وعشقها بعد المفارقة فلا يتمكن من العود
اليه كمن نقل عن مجاورة معشوقه والالتذاذ به الى موضع ظلمات شديد الظلمة
مع عدم تمكنه من العود اليه كما قال تعالى قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا
فيما تركت كلا الاية وكان ادراك لذة المعارفة التامة وادراك الم النار بالمعنى
المذكور انما يتحقق حال مفارقة هذا البدن اذ كان الانسان في عالم الشهادة في
ادراكه لما حصل في نفسه ويمكن من الهيات كعضو مفلوج غطى خدره على المه
فاذا

فاذا زال الخدر احس بالالام فلذلك النفس بعد الموت يدرك ما لها من لذة او الم
كما هو لزوال الشواغل البدنية عنها قلت وهذا الكلام ايضا ظاهر
على مذهب المتكلمين اذ جاز في الجزاف للعبد يكشف له عند الموت عما يستحقه من جنة
او نار لم يوجل ذلك الى قيام القيامة الكبرى و قوله وان غاية الى
قوله المدة كنى بالغاية عن الاجل المعلوم للانسان ثم نبّه على قصره وحقارته
بامرين احدهما كونه ينقصه اللحظة اى النظرة وهو ظاهر فان كل جزء من الزمان
مضت فقد مضى من مدة الانسان منتقص لها الثاني كونه تهدمه الساعة
كنى بالساعة عن وقت الموت ولا شك ان الان الذى ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن
غاية لاجل الانسان وغاية الشئ هي ما ينقطع عندها الشئ فكنى بالهدم عن ذلك الا
نقطاع والانتهاء كناية بالمستعار وظاهر ان مدة هذا شانها في غاية القصر
و قوله وان غايبا الى قوله الاوبة اشار بالغايب الى الانسان
اذ كانت الدنيا عالم غربته و محل سفره ومنزله الحقيقي انما هو مبداه
وما اليه مرجعه واشار بالجديدين الى الليل والنهار جديدان لتعاقبهما فليس احدهما
مخلق للاخر واستعار لفظ الحدو لما يستلزمانه من اعداد الانسان لقرب اجله المشبه
بصوت الحادي الذى يعد الابل بسرعة سيرها وقربها من المنزل المقصود بها
وظاهر ان من كان الليل والنهار حاديه فهو في غاية سرعة الرجوع الى
مبدايه ووطنه الاصلي وقال بعض الشارحين اراد بالغايب الموت وهو
وان كان محتملا الا انه لا يطابقه لفظ الاوبة لان الموت لم يكن حتى يرجع و
قوله وان قادما الى قوله للعدة اشار بالقادم بالفوز او
الشقوة الى الانسان حين قدومه على ربه بعد المفارقة فانه اما الفوز بالسعادة
الباقية او الحصول على الخيبة والشقوة ونبّه بذكر القدوم على ان من هذا شا
نه فالواجب عليه ان يستعد بافضل عدة ليصل بها الى ما يحتمله وينبا عما
عن اكرههما عنده و قوله فتزودوا الى قوله غدا فصل نوع
تفصيل لافضل العدة وهو الزاد الذى تحرز الانسان به نفسه يوم القيامة من
السعف في نار جهنم وغليل حرها واشار بذلك الزاد الى تقوى الله من السعف
في نار جهنم وغليل حرها واشار بذلك الزاد الى تقوى الله وخشيته وقد علمت
حقيقة الخشية والخوف وانه انما يحصل في الدنيا واما كونه من الدنيا فلان

لآثار الحاصلة للنفس من الحالات والملكات كالخشية والخوف وساير ما يتزوّده
ويستصحبه بعد المفارقة لعوراً انّما حصلت عن هذا البدن واستفيدت من البدن
بواسطته والمشابهة التي لاجلها استعار لفظ الزاد هنا هو ما يشترك فيه
الزاد المحسوس والتقوى من حاجة المتزوّد بهما كلّ في طريقه في ذلك فذاك في
المنازل المحسوسة من عذاب الجوع والعطش المحسوسين وهذا في المنازل المعقولة
ومراتب السلوك ومراحل السفر الى الله تعالى من عذاب الجوع المعقول و
**قوله** فاتقى عبد ربّه الى قوله شهوته اوامر وردت بلفظ الماضي
خالية عن العطف وهي بلاغة يركز المعنى في احسن صورة فالامر بالتقوى تفسير للامر
بالزاد كما قال تعالى وتزوّدوا فان خير الزاد التقوى والامر بنصيحة النفس امر
بالنظر في مصالحها والغيور عليها ان تعمل ما هو اولى بها من التمسك بحدود الله والوقوف
عندها والامر بتقديم التوبة وغلب الشهوة هو من جملة الامر بالنصيحة كالتفسير له
ومن لوازم التقوى اردفه بهما واراد تقديم التوبة على الموت او بالنسبة الى
كل وقت سيحضر و **قوله** فان اجله الى قوله شقوة حثّ على امتثال
اوامره السابقة الى التوبة وغيرها وتحذير من هجوم المنيّة على غفلة لما يلزمه
ذلك من شدّة الحسرة وطول الندم على التفريط وذلك ان ستر الاجل عن الانسان موجب
للغفلة عنه فاذا انضاف الى ذلك خداع الامل الناشي عن وساوس الشيطان
في تزيينه المعصية وتسويفه التوبة مع كونه موكلا به وقرينا له كما قال سيد المرسلين
صلى الله عليه ما من مولود يولد الا ويولد معه قرين من الشيطان كانت
الغفلة اشدّ والشقاء آكد واستعار لفظ الخداع بصورته من النفس الامّارة با
السوء وهو قولها للانسان مهلا تمتّع من شبابك واغتنم لذّة العيش ما دمت
في مهلة ومستقبل من عمرك وستلحق الى التوبة ونحو ذلك من الاضاليل فان هذه
صورة خداع من الشيطان وانما نسبه ذلك الى الامل فلان الامل هو عزم النفس على
فعل تلك الامور وامثالها في مستقبل الاوقات عن توهّم طول مدّة الحيوة واشباعها
لما تفعله فيها من معصية وتوبة وذلك العزم من اسباب الانخداع للشيطان وغروره
فلذلك نسب الخداع الى الامل مجازا وجعل غاية ذلك الخداع هو ان تهجم على المخدوع
منيّته حال ما هو في اشدّ غفلة عنها واستغفال بما لو امله فيكون ذلك مستلزما
لاعظم حسرة واكبر ندامة على ان يكون عمره عليه حجّة شاهداً بلسان حاله على ما

ما اكتسب

ما اكتسب فيه من الآثام فضاءً بعد ان كان وسيلة لسعادته سببا لشقاوته
واغفل نصب على الحال وحسرة على التمييز للمتعجّب منه المدعوّ واللام في لها قيل للا
ستغاثة كانه قال يا لحسرة على الغافلين ما اكثرك وقيل بل لام الجرّ فتحت
لدخولها على الضمير والمنادى محذوف تقديره يا قوم ادعوكم لها حسرة وان
في موضع النصب بحذف الجارّ كانه قيل لعلام يقع عليهم الحسرة فقال على كون عمرهم
حجّة عليهم يوم القيامة و **قوله** نسأل الله الى قوله كآبة خاتمة للخطبة
وسأل الله الخلاص من امور ثلثة الاول ان يخلصه من شدّة الفرح ببهجة الدنيا
فان ذلك من لوازم محبّتها المستلزمة للهلاك الابدي الثاني ان لا يقصر به غاية عن
طاعة ربه اي لا يقصر عن غاية من غايات الطاعة يقال قصرت هذه الغاية بفلان
اذا لم يبلغها الثالث ان لا تحلّ به بعد الموت ندامة ولا حزن وذلك سؤال لحسم اسبا
بهما وهو اتباع الهوى في الدنيا والعدول عن طاعة الله وبالله العصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون اخرا
**اقول** المثاور المواثب والداخر الذليل وآده الامر اثقله وذرأ خلق
والمبرم المحكم وقد اشتملت هذه الخطبة على مباحث لطيفة من العلم الالهي ايضا لا يطلع
عليها الا المحرزون فيه الاول الذي لم يسبق الى قوله باطنا **قوله** انه
لما ثبت ان السبق والمقارنة والقبلية والبعدية امور تلحق الزمان لذاته وتلحق
الزمانيات به وثبت انه تعالى منزّه عن الزمان اذ كان من لواحق الحركة المتأخرة
عن وجود الجسم المتأخر عن وجود الله سبحانه كما علم ذلك في موضعه لا جرم لم يلحق
ذاته المقدسة وما لها من صفات الكمال ونعوت الجلال شيء من لواحق الزمان
فلم يجز اذن ان يقال مثلا كونه عالما قبل كونه قادرا وسابقا عليه وكونه قادرا
قبل كونه مريدا او كونه حيّا قبل كونه عالما ولا كونه اولا للعالم قبل كونه اخرا له
قبلية وسبقا زمانيا نعم ان يقال ان القبلية والبعدية قد تطلق بمعان اخر
كالقبلية بالشرف والفضيلة والذات والعليّة وقد بيّنا في الخطبة الاولى
ان كل ما يلحق ذاته المقدسة من الصفات فاعتبارات ذهنية تحدثها
العقول عند مقايسته الى مخلوقاته وشيء من تلك الاعتبارات لا يتفاوت ايضا
بالقبلية والبعدية باحد المعاني المذكورة بالنظر الى ذاته لما يصحّ ان يعتبر لها

استحقاق واحد لجميعها اما فلا حاجة لغرض الا وهو يستحق فيه ان يعتبر له
الاولية والاخرية معا استحقاقا اوليا ذاتيا لا على وجه الترتيب وان
تفاوتت الاعتبارات بالنظر الى اعتبارنا وهذا بخلاف غيره من الامور
الزمانية فان الجوهر مثلا يصدق عليه كونه اولا من العرض ولا يصدق عليه
مع ذلك انه اخر له حتى لو فرضنا عدم جميع الاعراض وبقاء الجوهر بعدها
لم يكن استحقاقه للاعتبارين معا بل استحقاقه لاعتبار الاولية متقدم
اذ كانت بعض احواله سابقة على بعض ولا استحقاقه لهما لذاته بل بحسب
بقاء اسبابه فلا العرض لما صدق عليه انه بعد الجوهر يصدق عليه انه قبله
باعتبار ما وخلاف المختلفين في اي الصفات اقدم مبني على سوء تصورهم
لصانعهم سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا اذا عرفت ذلك فمعنى اوليته
هو اعتبار كونه مبدأ لكل موجود واخريته هو كونه غاية لكل ممكن وقد
سبق معنى كونه ظاهرا وباطنا في الخطبة التي اولها الحمد لله الذي بطن خفيات
الامور الثاني كل مسمى بالوحدة غيره قليل مقصود هذه الكلمة انه تعالى
لا يوصف بالقلة وان كان واحدا وتقرير ذلك ان الواحد يقال لمعان و
المشهور منها المتعارف بين الخلق كون الشيء مبدأ لكثرة يكون عادا لها و
مكيالا وهو الذي يلحقه القلة والكثرة اضافيا فيتبين فان كل واحد بهذا
المعنى هو قليل بالنسبة الى الكثرة التي يصلح ان يكون مبدأ لها فالمتصور
لاكثر اهل العالم صدق هذا الاعتبار على الله تعالى بل ربما لا يتصور بعضهم
كونه تعالى واحدا الا بهذا الوجه ولما كان تعالى منزها عن الوصف بالقلة
والكثرة لما يستلزمانه من الحاجة والنقصان اللازمين للطبيعة
الامكان اثبت القلة لكل ما سواه فاستلزم اثباتها لغيره في معرض
المدح له نفيها عنه واستلزم ذلك تنزيهه تعالى عن الواحدية بالمعنى
المذكور اذ سلب اللازم يستلزم سلب ملزومه وليس اذا بطل كونه
واحدا بهذا المعنى بطل كونه واحدا فانا بينا صدق الواحد عليه بمعان اخر
في الخطبة الاولى وقد يفهم من هذا الكلام انه لما نفى عنه القلة استلزم
ذلك ان يثبت له الكثرة وهو من سوء الفهم وقلة العلم فان عدم القلة انما
يستلزم ثبوت الكثرة عند تعاقبهما على محل من شانه ثبوتهما وربما قيل

انّ

ان المراد بالقليل هنا الحقير وهو غير مناسب لذكر الوحدة وانما قال
عليه السلام كل مسمى بالوحدة ولم يقل كل واحد ليشعر بان قول الوحدة على
وحدته تعالى وعلى واحدية غيره قول بحسب اشتراك الاسم الثالث
وكل عزيز غيره ذليل **اقول** رسم العزيز انه الخطير الذي
يقل وجود مثله ويشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول ثم في كل واحد من
هذه القيود الثلاثة كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجدان يرجع الى ان صح
يستحيل ان يوجد مثله وليس ذلك الا الله سبحانه والكمال في النفاسة
وشدة الحاجة ان يحتاج اليه كل شيء في كل شيء وليس ذلك على الكمال الا الله
تعالى والكمال في صعوبة المنال ان لا يوصل الى حقيقته على معنى الاحاطة بها
وليس ذلك على الكمال الا لله تعالى فهو اذن العزيز المطلق الذي كل موجود
سواه ففي ذل الحاجة اليه وحقارة العبودية بالنسبة الى كمال عزه فاما
العزيز من الخلق فهو الذي توجد له تلك الاعتبارات لكن لا مطلقا بل بالنسبة
الى من هو دونه في الاعتبارات المذكورة فهو اذن وان صدق عليه انه
عزيز بذلك الاعتبار الا انه في ذل الحاجة الى من هو اعلى رتبة منه واكمل
في تلك الاعتبارات وكذلك من هو اعلى منه الى ان ينتهي الى العزيز المطلق الذي
لا يلحقه ذل باعتبار ما فلذلك اثبت عليه السلام الذل لكل عزيز سواه الرابع
وكل قوي غيره ضعيف القوة تعود الى تمام القدرة ويقابلها الضعف
ولما كان استناد جميع الموجودات الى تمام قدرته علمت انه لا اتم من قدرته
وكل قوة وصف بها غيره فبالنسبة الى ضعف يقابلها لمن هو دونه واذا
قيس بالنسبة الى من فوقه كان ضعفا بالنسبة اليه وكذلك من هو فوقه
الى ان ينتهي الى تمام قدرة الله فهو القوي المطلق الذي لا يلحقه ضعف بالقياس
الى احد غيره وكذلك **قوله** وكل مالك غيره مملوك فان معنى
المالك يعود الى القادر على الشيء الذي ينفذ مشيته فيه باستحقاق دون غيره
وغيره باذنه ولما ثبت ان كل موجود سواه فهو في تصريف قدرته و
مشيته اذ هو مستند وجوده ثبت انه هو المالك المطلق الذي ليست
له مملوكيته بالقياس الى شيء اصلا وان كل ما سواه فهو مملوك له وان
صدق عليه بالعرف انه مالك بالقياس الى من هو دونه لا يخفى عليك

مما سلف ان قول العوام الملك عليه وعلى غيره قول بحسب اشتراك الاسم ايضا
الخامس وكل عالم غيره متعلم لما ثبت ان علمه تعالى بالاشياء على ما هي من
التفصيل انما هو لذاته ولم يكن شيء منه مستفادا من غيره وكان علم من سواه
انما هو مستفادا بالتعلم من الغير ثم للغير من الغير الى ان ينتهي الى علمه تعالى الفايض
بالخيرات لا جرم كان كل عالم سواه متعلما وان سمي عالما لحصول العلم له وكان هو العالم
المطلق الذي لا حاجة به في تحصيل العلم الى الغير السادس وكل قادر غيره
يقدر ويعجز اقول قدرة الله تعالى يعود الى اعتبار كونه مصدر الاثار
فاما قدرة الغير فقد يراد بها قوة جسمانية منبثة في الاعضاء محركة لها نحو الافاعيل
الاختيارية وبالعجز ما يقابل القدرة بهذا المعنى وهو عدمها عما من شانه ان يقدر كما
في حق الواحد منا وقد يراد بهما اعتباران اخران يتقابلان اذا عرفت ذلك فنقول
القادر المطلق على كل تقدير هو مستند كل مخترع وموجود اختراعا ينفرد به و
يستغني فيه عن معاونة غيره وذلك انما يتحقق في حق الله سبحانه فاما كل منسوب
الى القدرة سواه فهو وان كان بالجملة ذا قدرة الا انها ناقصة لتناولها لبعض
الممكنات فقط وقصورها عن البعض الاخر وعدم تناولها له اذ كانت لا يصح الاختراع
وان نسب اليه الحادث فلانه فاعل القرب وواسطة بين القادر الاول سبحانه
وبين ذلك الاثر لا لذاته استقلالا وتفردا به على ما علم في مظانه وكل قادر سواه فلذاته
يستحق العجز وعدم القدرة وبالنسبة الى ما لا يمكن تعلق قدرته من ساير المخترعات
والممكنات وانما يستحق القدرة من جوده تعالى وهو اذن الفاعل المطلق الذي
لا يعجزه شيء عن شيء ولا يستعصي على قدرته شيء السابع وكل سامع غيره يصم
عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها اقول
حس السمع في الحيوان عبارة عن قوة تنفذ من الدماغ الى الاذن في عصبة
نابتة منه الى الصماخ مبسوطة عليه كجلد الطبل وهذه العصبة الة هذه
القوة والصوت هيئة تحصل في الهواء عن تموجه بحركة شديدة اما من قرع
يحصل من اصطكاك جسمين صلبين فينضغط الهواء بينهما وينفلت بشدة
واما من قلع شديد فيلج الهواء بين الجسمين المنفصلين الصلبين وتحصل
عن السببين تموج الهواء على هيئة مستديرة كما يفعل وقوع الحجر في الماء
فاذا انتهى ذلك التموج الى الهواء الذي في الاذن تحرك ذلك الهواء الراكد

حركة

حركة مخصوصة بهيئة مخصوصة فينفعل العصبة المفروشة على الصماخ
عن تلك الحركة وتدركها القوة السامعة هناك فهذا الادراك يسمى سماعا
اذا عرفت ذلك فاعلم ان ادراك هذه القوة للصوت يكون على قرب وبعد
وحد من القوة والضعف مخصوص فانه ان كان الصوت ضعيفا او بعيدا
جدا لم يحصل بسببه تموج الهواء فلم يصل الى الصماخ فلم يحصل السماع وذلك معنى
قوله يصم عن لطيف الاصوات ويذهب عليه ما بعد منها فان قلت
لم خصص اللطيف بالصمم عنه والبعيد بالذهاب عليه قلت يشبه ان
يكون لان البعيد في مظنة ان يسمع وانما يفوته بسبب عدم وصول الهواء الحامل
له اليه واما الخفي فلما لم يكن من شانه ان تدركه القوة السامعة اشبه
عجزها عن ادراكه الصمم فاستعير لفظه واما ان كان الصوت في غاية من القوة
والقرب فربما احدث الصمم وذلك لشدة قرعه للصماخ وتفرق اتصال
الروح الحامل لقوة السمع عنه بحيث تبطل استعدادها لتادية القوة الى
الصماخ وكل ذلك من نقصان الحيوان وضعفه ولما كان الباري تعالى منزها
عن الجسمية وتوابعها لا جرم كانت هذه اللواحق من الصمم عن لطيف الاصوات
وذهاب بعيدها والصمم من كبيرها مخصوصة لمن له تلك القوة المذكورة والسمع
المخصوص فكل سامع غيره فهو كذلك واستلزم ذلك في معرض مدحه تنزيهه
سبحانه عنها واذ ليس سميعا بالمعنى المذكور وقد نطق القران باثبات هذه
الصفة له فهو سميع بمعنى انه لا يعزب عن ادراكه مسموع وان خفي فيسمع السر
والنجوى بل ما هو ادق واخفى ويسمع حمد الحامدين ودعا الداعين وذلك
هو السميع الذي لا يتطرق اليه الحدثان اذ لم يكن باله واذان الثامن
وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام اقول خفي الالوان
مثلا كاللون في الظلمة واللطيف قد يكون بمعنى عدم اللون كما في الهواء و
قد يكون بمعنى رقيق القوام كالجوهر الفرد عند المتكلمين وكالذرة واللطيف با
المعنيين غير مدرك للحيوان واطلق لفظ العمى مجازا اذ كان
عبارة اما عن عدم البصر مطلقا او عن عدمه عما من شانه ان يبصر ولا واحد
من هذين الاعتبارين موجود للبصر عن اللون فلم يكن عدم ادراكها عمى حقيقيا
بل لكون العمى من اسباب عدم الادراك به اطلق لفظه عليه اطلاقا لاسم السبب

على المسبب وهذا الحكم في معرض مدحه تعالى يستلزم تنزيهه بصره عن لاحق
العمى ومظنته اذ كان سبحانه منزها عن معروض العمى والبصر وممتنعا ايضا عن
ان يكون ادراكه بحدقة واجفان وانطباع للصور والالوان وان كان يشاهد
ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى واذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو البصير
باعتبار انه مدرك لكمال صفات المبصرات وذلك الاعتبار اوضح واجلى
مما يفهم من ادراك البصر القاصر على ظواهر المرئيات الحادي عشر
وكل ظاهر غيره باطن لقوله ظهور الاشياء هو انكشافها في الحس
او العقل انكشافا بينا ومقابله بطونها وهو خفاؤها عن احدهما ولما ثبت
انه تعالى منزه عن الحسية ولواحقها علم كونه منزها عن ادراك الحواس ولما
قام البرهان على انه تعالى بريء عن انحاء التراكيب الخارجية والعقلية وجب
تنزه ذاته المقدسة عن اطلاع العقول عليها فعلم من هذا الترتيب انه لا يشارك
الاشياء في معنى ظهورها وقد وصف نفسه بالظاهر فيجب ان يكون ظهوره عبارة
عن انكشاف وجوده لابصار بصائر عباده في جزئيات اثاره كما قال تعالى سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم وان كانت مشاهدة الخلق له على مراتب متفاوتة
ودرجات متصاعدة كما اشار اليه بعض مجردي السالكين ما رأينا شيئا
الا ورأينا الله قبله فلما ترقوا قالوا ما رأينا شيئا سوى الله والاولى مرتبة
الفكر والاستدلال عليه والثانية مرتبة الحس والثالثة مرتبة المستدلين
به لا عليه والرابعة مرتبة الفناء في ساحل عزته واعتبار الوحدة المطلقة
محضة فاعتبرنا كل لاحق واذا عرفت معنى ظهوره علمت ان شيئا من الممكنات لا يكون
له الظهور المذكور فانه وان كان لبعض الاشياء ظهور في عقل او حس الا انه
ليس في كل عقل وحس اذ كل مطلع على شيء فالذي خفي عنه اكثر مما اطلع عليه
فكل ظاهر غيره فهو باطن بالقياس اليه وهو تعالى الظاهر لكل شيء وفي كل شيء
لكونه مبدأ كل شيء ومرجع كل شيء الثاني عشر وكل باطن غيره فهو
ظاهر وقد عرفت معنى البطون للممكنات وظهورها وعلمت ايضا مما سبق
ان كونه باطنا يقال بمعنيين احدهما بطن جميع الاشياء خبره ونفذ فيها
علمه ثم علمت الظاهر المقابل للمعنى الاول فاما المقابل للثاني فهو الذي
لم يطلع الا على ظواهر الاشياء ولم يكن له اطلاع على بواطنها يقال فلان

في كل حس

طلم

ظاهر وظاهري اذا عرفت ذلك فنقول ان كل باطن غيره سواء كان المراد
بالبطون خفاء التصور او نفوذ العلم في البواطن فهو ظاهر بالقياس اليه
تعالى ظهورا بالمعنى الذي يقابله اما الاول فلان كل ممكن وان خفي على بعض
العالمين لم يخف على غيره وان خفي على الكل فهو ظاهر في علمه تعالى وممكن
للظهور في علم غيره فليس اذن بخفي مطلقا وهو تعالى الباطن الذي لا ابطن
منه وكل باطن غيره فهو ظاهر بالقياس اليه واما الثاني فلان كل عالم
وان جل قدره فلا احاطة له الا ببعض المعلومات وهو قاصر عن بعضها
وبعضها غير ممكن له وهو تعالى الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وكل ظاهر بالقياس اليه وفي بعض
النسخ وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر ومعنى القضيتين
ان كل ممكن ان كان ظاهرا منكشفا لعقل او حس لم يوصف مع ذلك فانه باطن
كالشمس مثلا وان كان باطنا خفيا عن العقل او الحس لم يوصف مع ذلك بانه ظاهر
وهو تعالى الموصوف بانه الباطن والظاهر معا وفي هذه النسخة نظر فانا انما اثبتنا
كونه تعالى ظاهرا وباطنا معا باعتبارين وفي بعض الممكنات ما هو كذلك كا
لزمان مثلا فان كل عاقل يعلم بالضرورة وجود الزمان وان خفيت حقيقته
على جمهور الحكماء واضطربت فيه اقوال العلماء وكذلك العلم فليس اذن كل
ظاهر غيره باطن ولا كل باطن غيره غير ظاهر الثالث عشر لم
يخلق ما خلقه لتشديد سلطان الى قوله منافر المقول انه تعالى لا يفعل
لغرض ومتى كان كذلك كان منزها عن خصوصيات هذه الاعراض اما الاول
فبرهانه انه لو فعل لغرض لكان وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه
تعالى اما ان يكونا على سواء او ليس والاول باطل والا لكان حصول الغرض
له ترجيحا من غير مرجح والثاني باطل لانهما اذا لم يستويا كان حصول
الغرض اولى به فحينئذ يكون حصول ذلك الغرض معتبرا في كماله فيكون
بدونه ناقصا تعالى الله عن ذلك لا يقال ليست اولوية الغرض بالنسبة الى
ذاته بل بالنسبة الى العبد اذ غرضه الاحسان الى الغير وعدمه ان كانا بالنسبة
اليه على سواء عاد حديث الرجحان بلا مرجح وان كان احدهما اولى به عاد
حديث الكمال والنقصان واذا عرفت انه تعالى لا يفعل لغرض وكل ما ذكره

عليه السلم في هذا الفصل من تشديد سلطان وتقويته لمخوف عاقبة زمان او استعانة
على ند وشريك وضد اعراض علمت صدق قوله انه لم يخلق شيأ من خلقه لشيء
من هذه الامور وهذا تنزيه من طريق نفي الغرض المطلق ولما تنزيهه تعالى
عن خصوصيات هذه الاغراض فلان تشديد السلطان فانما يحتاج اليه ذو
النقصان في ملكه ولما كان تعالى هو الغني المطلق في كل شيء عن كل شيء صدق
ان كان ذلك ليس بغرض له مما خلق واما التخوف من عواقب الزمان فلان التضرر
والانتفاع ولواحقهما من الخوف والرجاء ونحوهما انما هي من لواحق الممكنات القابلة
للنقصان والكمال وما هو في معرض التغير والزوال ولما ثبت تنزيهه تعالى عن
تعالى عن شيء لم يتصور ان يكون احد هذه الامور غرضا له وكذلك الاستعانة على الند
والضد والشريك فان الاستعانة هي طلب العون من الغير وذلك من لوازم الضعف
والعجز والخوف واذ لا عجز فلا استعانة فلا ند ولا شريك ولا ضد وكذلك بقول لا ند
ولا شريك ولا ضد فلا استعانة ولا غرض تنزيه سبحانه عن صفات المخلوقين و
خواص المحدثين و **قوله** لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون
اي بل خلائق خلقهم لمحض جوده وهو فيضان الخير عنه على كل قابل بقدر ما
يقبله من غير بخل ولا منع وتعويق وبذلك الاعتبار كان كل شيء مربوبا له
وهو رب كل شيء وكل عبد ذليل وهو مالكه ومولاه و **قوله** لم يحلل
في الاشياء فيقال هو فيها كاين اشارة الى وصفه بسلب كونه ذا محل والكلام
في تنزيهه تعالى عن المحل كلام طويل والمعقول من الحلول عند الجمهور قيام موجود
بموجود على سبيل التبعية له وظاهر ان الحلول بهذا المعنى على واجب الوجود
محال لان كونه تبعا للغير يستلزم حاجته اليه وكل محتاج ممكن قال افضل المتا
خرين نصير الدين الطوسي ابقاه الله والحق ان الحلول الشيء في الشيء لا يتصور الا اذا
كان الحال بحيث لا يتعين الا بتوسط المحل واذ لا يمكن ان يتعين واجب الوجود
بغيره فاذن يستحيل حلوله في غيره اذا عرفت ذلك فنقول لما كان الكون في المحل
والتنائي عنه والمباينة له امورا انما يقال على ما يصح حلوله فيه وبالجملة وكان هو
تعالى منزها عن الحلول وجب ان يمتنع عليه اطلاق هذه الامور فاذ ليس هو حالا
في الاشياء فليس هو فيها كاين فيها واذ ليس كاين فيها فليس بناء عنها ولا مباين لها
و **قوله** لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ الاعتبار انما يقال

لذى

لذى الاعضاء من الحيوان واذ ليس تعالى بجسم ولا ذى الة جسمانية لم يلحقه بسبب
فعله اعيار وانا قال ما ابتدأ لكون سلب الاعيار عنه ابلغ اذ لما التبدي من الافعال
يكون المشقة فيه اتم وتدبيره يعود الى تصريفه لجميع الذوات والصفات دايما تصريفا
كليا وجزويا على وفق حكمته وعنايته ونحو قوله تعالى اولم يروا ان الله الذى
خلق السماوات والارض ولم يعي بخلقهن و **قوله** ولا وقف به
عجز عما خلق اشارة الى كمال قدرته وان العجز عليه محال وقد سبق بيانه و **قوله**
ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر اشارة الى كمال علمه ونفي الشبهة ان تعرض
له واعلم ان الشبهة انما تدخل على العقل في الامور المعقولة الصرفة غير الضرورية وذلك
انك علمت ان الوهم لا يصدق حكمه الا في المحسوسات فاما الامور المعقولة الصرفة
فحكمه فيها كاذب فالعقل حال استفصاله وجه الحق فيها يكون معارضا بالاحكام
الوهمية فاذا كان المطلوب على مضاد ما كان في الاحكام الوهمية ما شبه بعض اسباب
المطلوب فيتصوره النفس بصورته ويعتقده مبدأ فينتج الباطل في صورة المطلق و
ليس به ولما كان البارى تعالى منزها عن القوى البدنية وكان علمه لذاته لم يجز ان
يعرض لقضائه ولقدره شبهة او يدخل عليه فيه شك لكونهما من عوارضها وقد عرفت
معنى القضاء والقدر فيما سبق و **قوله** بل قضاء متقن وعلم محكم اي
برى من فساد الشبهة والغلط و **قوله** وامر مبرم اشارة الى قدرته الذى
هو تفصيل قضائه المحكم وظاهر ان تفصيل المحكم لا يكون الا محكما و **قوله**
المامول مع النقم المرهوب مع النعم اقول يجمع هذين الوصفين هو
كمال ذاته وعموم فيضه وانه لا غرض له وانما الجود المطلق والعبد لكل ما يستحقه
ولما كان للعبد حال حلول نقمته به قد يستعد بالاستغفار والشكر لافاضة
الغفران ورفع النقمة فيفيضها عليه مع بقاء الكثير من نعمه لديه كان تعالى مظنة
الامل والرجا اشاره بقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه
وكذلك حال افاضة نعمه لما كان العبد قد يستعد بالغفلة للاعراض عن شكرها
كان تعالى في تلك الحال اهلا ان يفيض عليه زوال نعمته بسلبها فكان هو
المامول مع النقم المرهوب مع النعم فهو المستعان به عليه وهو الذى لا مفر
منه الا اليه ومن عداه فحلول نقمته غير مجامع لامل رحمته وقيام نعمته
منافيا لشمول رهبته فلا مامول ولا مرهوب في كلا الحالين سواه وبالله العصمة

## ومن كلام له عليه السلام

يقوله لاصحابه في بعض ايام صفين معاشر المسلمين
استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة

**أقول** المشهور ان هذا الكلام قاله عليه السلم لاصحابه في اليوم الذي كان مساوه ليلة الهرير وروى انه قاله في اول ايام اللقاء بصفين وذلك في صفر سنة سبع وثلثين استشعرت الشي اتخذته شعارا وهو مايلي الجسد من الثياب والجلباب الملحفة والسكينة الثبات والوقار والنواجذ اقاصي الاضراس ونبى السيف اذا رجع في الضريبة ولم يعمل واللامة بالهمزة الساكنة الدرع وبالمهرودة مع تضعيف الميم جميع آلات الحرب والقلقلة التحريك والخزر بفتح الزاء ضيق العين وصغرها وكذلك تضييقها والنظر بموخرها عند الغضب والطعن الشزر يكون الى الطرف على غير استقامة بل يمينا وشمالا والظبا جمع ظبة وهي طرف السيف والمنافحة الضرب باطراف السيوف والاعقاب جمع عقب او جمع عقبة وهو العاقبة وسجحا اي سهلا والسواد العدد الكثير والرواق بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد وثبجه وسطه والكسر جانب الخباء والنكوص الرجوع والصمد القصد ولن يتركم اي ينقصكم واعلم ان هذه الاوامر مشتملة على تعليم كيفية الحرب والمقاتلة وهي كيفية يستلزم الاستعداد بها افاضة النصر لا محالة فاولها الامر باستشعار خشية الله كما يلزم الشعار الجسد وهو استعارة كما سبق وفايدة هذا الامر الصبر على الحرب وامتثال جميع الاوامر الباقية اذ خشية الله مستلزمة لامتثال اوامره ولذلك قدمه الثاني الامر بالتجلبب السكينة جلبابا تنزيلا للثبات الشامل للانسان منزلة الملحفة في شمولها للبدن والتجلبب هو وجه الاستعارة وفايدة هذا الامر طرد الفشل وارهاب العدو فان الطيش والاضطراب يستلزمان الفشل وطمع العدو الثالث الامر بالعض على النواجذ وفايدته ماذكر وهو ان ينبو السيف عن الهامة وعلته ان العض على النواجذ يستلزم تصلب العضلات والاعصاب المتصلة بالدماغ فيقاوم ضربة السيف ويكون نكايته فيه اقل والضمير في قوله فانه يعود الى المصدر الذي دل عليه عضوا كقولك من احسن كان خيرا له وقال بعض الشارحين عض النواجذ كناية عن تسكين القلب وطرد الرعدة

وليس

وليس المراد حقيقته قلت وهذا ان كان محتملا لو قطع عن التعليل الا انه غير مراد هنا لانه يضيع تعليله بكونه انبا للسيوف عن الهام الرابع الامر باكمال اللامة والكمال الدرع البيضة والسواعد ويحتمل ان يريد باللامة جميع آلات الحرب وما يحتاج اليه فيه وفايدته شدة التحصن الخامس الامر بقلقلة السيوف في الاغماد وفايدته سهولة جذبها حال الحاجة اليها فان طول مكثها في الاغماد يوجب صداها وصعوبة مخرجها السادس الامر بلحظ الخزر وذلك من هيات الغضب فان الانسان اذا نظر من غضب عليه نظره خزرا وفايدته امران احدهما احمار الطبع واستثارة الغضب والثاني ان النظر بكلية العين الى العدو امارة الفشل ومن عوارض الطيش والخوف وذلك يوجب طمع العدو الثالث ان النظر بكليتها اليه يوجب له التفطن والحذر واخذ الاهبة والتحرز والنظر خزرا استغفال له وموطنة لاخذ غرته السابع الامر بالطعن الشزر وذلك ان الطعن يمينا وشمالا يوسع المجال على الطاعن وان اكثر المناوشة للخصم في الحرب يكون عن يمينه وشماله الثامن الضرب باطراف السيوف وفايدته ان مخالطة العدو والقرب الكثير منه يشغل عن التمكن من ضربه التاسع الامر بوصل السيوف بالخطى وله فايدتان احداهما ان السيف انما يكون قصيرا فلا ينال الغرض به فاذا انضاف اليه مد اليد والخطوات بلغ به المراد وفيه قول الشاعر

اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب

وقول الاخر

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا يوما ونلحقها اذا لم تلحق

وقيل له عليه السلم ما اقصر سيفك فقال اطوله بخطوة الثانية ان الزحف في الحرب الى العدو والتقدم اليه خطوات في حال المكافحة يكسر توهمه الضعف في عدوه ويلقي في قلبه الرعب ويداخله الرهبة واليه اشار حميد بن ثور الهلالي

ووصل الخطا بالسيف والسيف بالخطا اذا ظن ان المرء ذا السيف قاصر

ثم اراد تاكيد تلك الاوامر في قلوبهم وان يردعهم [illegible] اردف ذلك بامرين احدهما ان الله تعالى يراهم وينظر كيف يعملون وذلك قوله واعلموا انكم بعين الله والباء هاهنا كهي في قولك انت مني بمراى ومسمع الثاني بذكرهم بكونهم مع ابن عم رسول الله تنبيها لهم على فضيلته وان طاعته كطاعة رسول الله وحربه كحربه لما هو المنقول عنه حربك يا علي حربي فيثبتوا على قتال عدوهم كما يثبتوا مع رسول الله

العاشر الامر بمعاودة الكر وذلك عند التحرف للقتال والانحياز الى
الفئة وان يستحيوا من الفرار ثم نبههم على قبحه بامرين احدهما انه عار في الاعقاب
اى انه عار في عاقبة امركم وسبة في خلفكم والعرب تستقبح الفرار كثيرا والثانى
كونه نارا يوم الحساب اى يوجب استحقاق النار وهو من كباير المعاصى وجعله
نارا مجازا تسمية لما باسم غايته وهو تذكير لهم بوعيده تعالى ومن يولهم يومئذ دبره
الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس
المصير الحادى عشر **قوله** وطيبوا عن انفسكم نفسا وهو تسهيل للموت عليهم
عليهم الذى هو غاية ما يلقونه من الشدايد في الحرب بالبشارة بما هو اعظم واجل من
الحياة الدنيا المطلوبة بترك القتال وهو ما اعد لهم من الثواب الباقى وهكذا كما يقول
احدنا للمنفق ماله مع حبه له طب نفسا عما ذهب منك فان الصدقة مضاعفة لك
عند الله وتجدها خيرا واعظم اجرا ونفسا منصوب على التمييز واشار بها الى النفس
المدبرة لهذا البدن وبالاولى الى الشخص الزايل بالقتل الثانى عشر الامر
بالمشى الى الموت مشيا سهلا لا يكلف فيه ولا تجشم فان المتكلف سريع الفرار
وهو امر لهم بالمشى الى غاية ما يخافون من القتال ليوطنوا انفسهم عليه ولينفروا
سرعة الى الحرب اذ من العادة ان تستنفر الشجاع لمثل ذلك فيسارع الى داعيه
لما يتصوره فيه من جميل الذكر وحسن الاحدوثة وروى سمحا والمعنى واحد
و**قوله** عليكم بالسواد الاعظم الى قوله الخبار اقول
لما شحذهم بالاوامر المذكورة عين مقصدهم واشار بالسواد الاعظم الى اهل الشام
مجتمعين وبالرواق المطنب الى مضرب معوية وكان معوية اذن في مضرب عليه
قبة عالية بالاطناب عظيمة وحوله من اهل الشام مائة الف كانوا تعاهدوا ان
لا ينفرجوا عنه حتى يقتلوا وعبى لهم وسط الرواق واغراهم به بقوله فان الشيطان
كامن في كسره واراد بالشيطان معوية وقيل عمرو بن العاص وذلك ان الشيطان
لما كان عبارة عن شخص يضل الناس عن سبيل الله وكان معوية في اصحابه
كذلك عنده عليه السلم لا جرم اطلق عليه لفظ الشيطان وقد سبقت الاشارة الى
معنى الشيطان ويحتمل ان يريد الشيطان المطلق ولما كانت محال الفساد هى
مظنة للتلبس وكان المضرب قد ضرب على غير طاعة الله كان محلا للشيطان
فلذلك استعار له لفظ الجلوس في كسره و**قوله** قد قدم للوثبة

يدا واخر للنكوص رجلا كناية عن تردد معوية وانتظاره لامرهم ان جبنوا او
وان شجعوا نكص وهرب لدعن الشيطان على سبيل استعارة الوثبة والنكوص
واليد والرجل ويكون تقديم يده للوثبة كناية عن تزيينه لاصحاب معوية الحرب
والمعصية وتاخيره للنكوص الرجل كناية عن تهيئته للفرار اذا التقى الجمعان
كما حكى الله سبحانه عنه فلما تراءت الجمعان نكص على عقبيه وقال انى برى منكم الاية
فان قلت فما معنى نكوص الشيطان على راى من فسره بالقوة الوهمية ونحوها قلت
لما كانت وسوسة تعود الى القائه الى النفس صورة ما الحكم بحسنه لها فقط دون
امر العقل كما حكى الله تعالى عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم الاية
كان نكوصه يعود الى اعراض الوهم عند عض الحرب ومشاهدة المكروه عن ذلك
الحكم ورجوعه عنه وهو معنى قوله انى برى منكم انى ارى ما لا ترون وذلك
ان الوهم اذن يحكم بالهرب والاندفاع عن المخوف بعد ان كان قد زين الدخول
فيه ويكون اذن قوله انى اخاف الله والله شديد العقاب موافقة
لحكم العقل وما كان يراه من طاعة الله بترك المعصية بالحرب وكل ذلك من
تمام اغراء اصحابه باهل الشام وتنبيههم على ان باعثهم في الحرب ليس الا الشيطان
وانه لا غرض له الا فتنتهم ثم الرجوع والاعراض عنهم الثالث عشر
امرهم بقصد عدوهم مؤكدا له بتكريره اى اصمدوا لهم صمدا الى غاية ان يظهر
لكم نور الحق بالنصر واستعار لفظ العمود للحق الظاهر عن الصبح للمشاركة
بينهما في الوضوح والجلاء فى الصبح الحسى والحق للعقل ولفظ التجلى ترشيح
للاستعارة كنى به عن ظهوره ووضوحه والمعنى الى ان يتضح لكم ان الحق
معكم لظفركم بعدوكم وقهره اذ الغالب لغير حقه سريع الانفعال قريب الفرار
في المقاومة و**قوله** وانتم الاعلون الاية تسكين لنفوسهم وبشارة
بالمطلوب بالحرب وهو العلو والقهر كما بشر الله به الصحابة في قتال المشركين
وتثبيت لهم على المضى في طاعته فان حزب الله هم الغالبون و**قوله**
ولن يتركم اعمالكم تذكير لهم بجزاء الله لهم اعمالهم في الاخرة وبعث لهم بذلك
على لزوم العمل له وبالله التوفيق والعصمة

## ومن كلام له عليه السلام

قالوا لما انتهت الى امير المومنين عليه السلم انباء السقيفة

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ما قالت
الانصار قالوا قالت منا امير ومنكم امير
قال فهلا احتججتم عليهم الى آخره

اقول الاخبار التي بلغتنا عليه السلم هي اخبار ما جرى بين الانصار
والمهاجرين من المشاجرة في امر الامامة وايقاعهم البيعة لابي بكر وخلاصة
القصة انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه اجتمعت الانصار في سقيفة بني
ساعدة وهي صفة كانوا يجتمعون بها فخطبهم سعد بن عبادة ومدحهم في خطبته
واغراهم بطلب الامامة وقال ان لكم سابقة في الاسلام ليست بقبيلة من العرب ان
رسول الله صلى الله عليه لبث في قومه بضع عشر سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن فما
آمن به من قومه الا قليل والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوه ولا يدفعوا عنه ضيما
حتى اراد الله بكم خير الفضيلة وساق اليكم الكرامة ورزقكم الايمان به والاقرار
بدينه فكنتم اشد الناس على من تخلف عنكم منكم واثقله على عدوه من غيركم حتى
استقاموا لامره ودانت لاسيافكم العرب وانجز الله لنبيكم الوعد وتوفاه
وهو عنكم راض فشدوا ايديكم بهذا الامر فانتم احق الناس به فاجابوه جميعا
ان وفقت واصبت ولن نعدوا ان نوليك هذا الامر واتى الخبر بابا بكر وعمر
فجاآ مسرعين الى السقيفة فتكلم ابو بكر فقال للانصار الم تعلموا انا معشر المهاجرين
اول الناس اسلاما ونحن عترة رسول الله وانتم انصار الدين ووزراء رسول
الله واخواننا في كتاب الله وانتم المؤثرون على انفسهم واحق الناس بالرضا
بقضاء الله والتسليم لما ساق الله الى اخوانكم وان لا تكونوا انتقاض هذا الدين
على ايديكم وانا ادعوكم الى بيعة ابي عبيدة او عمر فكلاهما قد رضيت لهذا الامر
فقال عمر وابو عبيدة ما ينبغي لاحد من الناس ان يكون فوقك انت صاحب
الغار وثاني اثنين وامرك رسول الله صلى الله عليه بالصلاة فانت احق
بهذا الامر فقالت الانصار نحن اصحاب الدار والايمان لم يعبد الله علانية
الا عندنا وفي بلادنا ولا عرف الايمان الا من اسيافنا ولا جمعت الصلاة الا في
مساجدنا فنحن اولى بهذا الامر فان ابيتم فمنا امير ومنكم امير فقال عمر هيهات لا يجتمع
سيفان في غمد ان العرب لا ترضى ان تؤمركم ونبيها من غيركم فقال الحباب
بن المنذر نحن والله احق بهذا الامر منه فانه قد دان لهذا الامر باسيافنا فمنا

منا

من لم يكن له بدين وان لم ترضوا الخلينا لكم عن بلادنا انا جذيلها المحكك و
عذيقها المرجب ان شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد علي احد ما اقول الا حطمت
انفه بالسيف هذا فقام بشير بن سعد الخزرجي وكان يحسد سعد بن عبادة ان يصل اليه
هذا الامر وكان سيدا في الخزرج وقال انا لم نرد بجهادنا واسلامنا الا و
جه ربنا لا عرضا من الدنيا وان محمدا صلى الله عليه رجل من قريش وقومه
احق بميراث امره واتقوا الله ولا تنازعوهم معشر الانصار فقام ابو بكر وقال
هذا عمر وابو عبيدة بايعوا ايهما شئتم فقالا لا نتولى هذا الامر عليك وانت احق به
ابسط يدك فبسط يده فبايعاه وبايعه بشير بن سعد وبايعته الاوس كلها وحمل
سعد بن عباده وهو مريض فادخل منزله وقيل انه بقي ممتنعا من البيعة
حتى مات بحوران في طريق الشام ولنرجع الى المتن فنقول اما
الخبر الذي رواه عليه السلم عن رسول الله صلى الله عليه حجة عليهم فهو صحيح
اخرجه مسلم والبخاري في مسندهما عن انس قال مر ابو بكر والعباس بمجلس
من مجالس الانصار في مرض رسول الله صلى الله عليه وهم يبكون فقالا ما
يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله عليه فدخلا على الرسول فاخبراه
بذلك فخرج صلى الله عليه معصبا على راسه حاشية برد فصعد المنبر ولم
يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار
فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم
وتجاوزوا عن مسيئهم فاما وجه احتجاجه بهذا الخبر فهو في صورة شرطية
متصلة يستثنى فيها نقيض تاليها وتقريرها لو كانت الامامة حقا لهم لما
كانت الوصية بهم لكنها بهم فليست الامامة لهم بيان الملازمة ان العرف
قاض بان الوصية والشفاعة ونحوها انما يكون الى الرئيس في حق
المرؤس من غير عكس واما بطلان التالي فللخبر المذكور واما قوله
احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة فاشار بالثمرة الى نفسه واهل بيته فانهم
ثمرة الغصن المورق المثمر لتلك الشجرة ولما استعير لفظ الشجرة لقريش
استعار هو لفظ الثمرة لنفسه وقد عرفت كيفية فرعيته عن رسول الله
صلى الله عليه وكونه ثمرة له واضاعتهم لها اهمالهم له من هذا الامر
ويحتمل ان يريد بالثمرة التي اضاعوها هو سنة الله الموجبة في اعتقادهم

استحقاقه لهذا الامر وظاهر كونها ثمرة الرسول صلى الله عليه واله لما
هو كهم العمل بها في حقه وهو كلام في قوة احتجاج له على قريش مثل ما احتجوا
به على الانصار وتقديره انهم ان كانوا اولى من الانصار لكونهم شجرة رسول الله فنحن
اولى لكوننا ثمرته وللثمرة اختصاص بالشجرة من وجهين احدهما القرب ومزيته
ظاهرة والثاني ان الثمرة هي المطلوبة بالذات من الشجرة وغرسها فان كانت
الشجرة معتبرة فبالاولى اعتبار الثمرة وان لم يلتفت الى الثمرة فبالاولى ان
لا يلتفت الى الشجرة ويلزم من هذا الاحتجاج احد الامرين اما بقاء الانصار على
حجتهم لقيام هذه المعارضة او كونه عليه السلم احق بهذا الامر وهو المطلوب والله العصمة

## ومن كلام له عليه السلام

لما قلد محمد بن ابي بكر مصر فملكت عليه و
قتل وقد اوردت توليه مصر ها

اقول كان عليه السلم ولى محمد بن ابي بكر مصر فلما اضطرب الامر
عليه بعد صفين وقوي امر معاوية طمع في مصر وقد كان عمرو بن العاص بايعه
على ان يكون معه في قتال علي عليه السلم ويكون مصر له طعمة فبعثه اليها بعد صفين
في ستة الاف فارس وقد كان فيها جماعة عظيمة ممن يطلب بدم عثمان وكانوا
يزعمون ان محمدا قتله فانضافوا الى عمرو وكان معوية يكتب الى وجوه اهل مصر اما
الى شيعته فبالترغيب واما الى اعدائه فبالترهيب وكتب محمد بن ابي بكر الى علي ع
القصة يستمده بالمال والرجال فكتب اليه يعده بذلك فجعل محمد يدعو اهل
مصر لقتال عمرو فانتدب معه منهم اربعة الاف رجل فوجه منهم الفين عند
كنانة بن بشر لاستقبال عمرو وبقي هو في الفين فابلى كنانة في ذلك اليوم بلاء
حسنا وقتل من عسكر عمرو خلقا كثيرا ولم يزل يقاتل حتى قتل هو ومن معه
ثم تفرق الناس عن محمد واقبل عمرو يطلب محمدا فهرب منه متخفيا فا
لتجى الى خربة اختفى فيها فدخل عمرو فسطاطه وخرج معوية بن خديج الكندي
وكان من امراء جيش عمرو في طلب محمد فظفر به وقد كاد يموت عطشا فقدمه
فضرب عنقه ثم اخذ جثته فحشاها في جوف حمار ميت واحرقه وقد
كان علي عليه السلم وجه لنصرته مع مالك بن كعب الى مصر نحوا من الفي رجل فسار
بهم خمس ليال وورد الخبر الى علي بقتله واخذ مصر فجزع عليه السلم



جزعا ظهر اثره في وجهه ثم قال رحمه الله محمدا كان غلاما حدثا ولقد كنت اردت
الفصل والنهز النهوض لتناول الشيء والفرصة النهزة وهي ما امكنك من
نفسه واما اراد توليه هاشم لقوته على هذا الامر وكثرة تجاربه وهاشم هذا
ابن عتبة بن ابي وقاص الذي كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه يوم احد
وكلم شفته وكان هاشم من شيعة علي والمخلصين في ولايته وشهد معه حرب صفين
وابلى فيه بلاء حسنا واستشهد بين يديه بها و قوله لما خلى لهم العرصة
اي عرصة الحرب كما فر محمد وظن انه ينجو بفراره ولو ثبت لثبت معه الناس
وقتل كريما و قوله ولا انهزهم الفرصة كنى بالفرصة عن مصر اي و
لم يمكنهم من تناولها كما تمكنوا مع محمد و قوله بلا ذم لمحمد اي لست مذ
لهاشم ذلك ذما لمحمد ونبه على براءته من استحقاق الذم لوجهين الاول انه كان له
حبيبا وظاهر انه عليه السلم لا يحب الا مرضيا لله ورسوله بريا من العيوب الفاضحه
ولقد كان محمد رضي الله عنه من نساك قريش وعبادها الثاني انه كان ربيبا
له وذلك مما يستلزم محبته وعدم ذمه اما كونه ربيبا فلان ام محمد هي اسماء
بنت عميس وكانت تحت جعفر بن ابي طالب وهاجرت معه الى الحبشة فولدت
له عبد الله بن جعفر وقتل عنها يوم مؤتة فتزوجها ابو بكر فاولدها محمدا ثم لما
مات عنها تزوجها علي عليه السلم فكان محمد ربيبه ونشا على ولايته منذ صباه
وكان علي عليه السلم يحبه ويكرمه ويقول محمد ابني من ظهر ابي بكر وبالله العصمة

## ومن كلام له عليه السلام

كم اداريكم كما تدارى البكار العمدة

اقول البكار جمع بكر وهو الفتي من الابل والعمدة هي التي
شدخ اسنمتها ثقل الحمل والحوص الخياطة وتهتكت تخرقت واطل اشرف
والمنسر بكسر الميم وفتح السين وبالعكس القطعة من الجيش من المائة الى
المائتين وقد سبق وانجحر الضب دخل جحره وهو بيته وبيت الضبع و
جاره والافوق الناصل السهم الذي لا فوق ولا نصل والباحة ساحة
الدار والاود الاعوجاج واضرع اذل واتعس اهلك وهذا الفصل
يشتمل على توبيخ اصحابه لتقاعدهم عن النهوض معه الى حرب اهل الشام
وذكر وجوه التوبيخ الاول حاجتهم الى المداراة الكثيرة وليس ذلك من

شبه الرجال ذوى العقول بل من شان البهايم ومن لاعقل له وشبههم في حاجتهم الى
المداراة تشبيهاً احدهما بالابكار التي قد انفكها حملها ووجه الشبه بينهما وبينهم
هو قلة صبرهم وشدة لشفاقهم وفرارهم من التكليف بالجهاد واستعانتهم كما
يشتد جرجرة للبكر العمد وفراره من معاودة الحمل للاثقال المتداعية وهي التي تنهتك
ما لم يتخرق منها والخرق في مثل حاله ووجه التشبيه ما ذكره وهو قوله
كلما حيصت من جانب تهتكت من اخر اى كما ان الثياب المتداعية كذلك فكذلك
اصحابه كلما اصلح حال بعضهم وجمعهم للحرب فسد بعض اخر عليه الثاني
شهادة حاله عليهم بالجبن والخوف وهو **قوله** كلما اطل الى قوله
وجارها وكنى باغلاق كل منهم بابه عند سماعهم بقرب بعض جيوش الشام منهم
عن فرارهم من القتال وكراهية سماعهم الحرب وشبههم في ذلك الخوف والفرار بالضب
والضبع حين ترى الصايد او لعل تخافه وانما خص الاناث لانها اولى
بالمخافة من الذكران الثالث وصفهم بالذلة وقلة الانتفاع بهم فنبه
على وصف الذل بقوله الذليل و لله من نصرتموه فانه انما يكون ذليلا لكونهم
كذلك ويحتمل ان يشير بذلك الى سوء الرأى منهم في التفرق والاختلاف ثم بالغ في
ذلك بحصر الذل في محل منتصر بهم فيمن نصروه ونبه على قلة الانتفاع بقوله
ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل استعار لهم اوصاف السهم ارداها
وكنى بذلك عن عدم فايدتهم ونكايتهم في العدو كما لا فايدة في الرمي بالسهم الموصوف
الرابع وصفهم بالكثرة في المجامع والاندية مع قلتهم في الحرب وتحت الالوية
وذلك يعود الى الذم بالجبن ايضا والعار به فان قلة الاجتماع في الحرب
والتفرق عنه من لوازم الخوف وكما ان مقابل هذا الوصف وهو الاجتماع و
الكثرة في الحرب مع القلة في غير مدح كما قال ابو الطيب

ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا ... قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا

فلا جرم ان كان هذا الوصف ذما كما قال ... عويف القوافي

رايتم اندى الناس عند لوايهم ... واكثرهم عند الذبيحة والقدر و

**قوله** واني لعالم الى قوله اودكم اراد انه لا يصلحهم الا السياسة
بالقتل ونحوه كما فعل الحجاج حين ارسل المهلب الى الخوارج روى انه نادى
في الكوفة من تخلف عن المهلب بعد ثلث فقد احل دمه وقتل جماعة فخرج

الناس

الناس الى المهلب يهرعون وكما يفعله كثير من الملوك و **قوله** ولكني
لا ارى اصلاحكم بافساد نفسي اى لما لم يكن ليستحل من دماء اصحابه ما يستحل ملوك
الدنيا من رعيتهم اذا ارادوا اثبات ملكهم ولو بفساد دينهم لا جرم لم ير اصلاحهم
بالقتل اذ كان اصلاحهم بذلك سببا لفساد نفسه بلزوم اثامهم ولما كان من
الواجب في الحكمة ان يكون اصلاح الانسان للغير فرعا على اصلاح نفسه اولا لم يتصور
من مثله عليه السلم ان يفعل فعلا يستلزم فساد نفسه وان اشتمل على وجه من المصلحة
فان قلت الجهاد بين يدى الامام العادل واجب وله ان يحملهم عليه فلم لا يستجبر
قتلهم قلت الجواب من وجهين احدهما انه ليس كل واجب يجب في تركه القتل كالحج
الثانى لعله عليه السلم لو شرع في عقوبتهم بالقتل على ترك الجهاد معه لتفرقوا عنه
الى خصمه او سلموه اليه او اتفقوا على قتله وكل هذه مفاسد اعظم من تقاعدهم عن
دعوته لهم في بعض الاوقات و **قوله** اضرع الله الى قوله دعا عليهم
بالذل وهلاك الحظ ثم نبههم على علة استحقاقهم لدعايه وهي الجهل ثم ما ينشأ عنه
من ظلم انفسهم اما الجهل فعدم معرفتهم للحق كمعرفتهم الباطل وارادته ما يلزمهم
من اوامر الله وارادة معرفتهم الباطل معرفتهم باحوال الدنيا وباطلها والاشتغال
به عن اوامره ويحتمل ان يشير به الى ما يعرض لبعضهم من الشبه الباطلة في
قتال اهل القبلة فيوجب لهم التوقف والتخاذل عن الحرب ويكون مكاثرته بين
معرفتهم للباطل والحق تنبيها على قوة جهلهم المركب وهو اشد الجهل وغايته نبه
عليهم بكونهم على قسمي الجهل فالبسيط هو عدم معرفتهم للحق والمركب هو تصديقهم با
لباطل واما الظلم فهو ابطالهم الحق وذلك اشارة الى تعاميهم عن طاعة الله و
تغاميهم عن سماع مناديه ولجابته وعدم ابطالهم للباطل اشارة الى عدم انكارهم
للمنكر من انفسهم وغيرهم **وقال عليه السلام**

في سحرة اليوم الذى ضرب فيه ملكتني عيني
وانا جالس فسنح لى رسول الله صلى الله عليه واله فقلت **اقول**
السحرة السحر الاعلى واما كيفية قتله عليه السلم فمذكور في التواريخ و
ملكتني عيني فاستعارة حسنة ولطف في التركيب اما الاستعارة بلفظ الملك للنوم
ووجه الاستعارة دخول النايم في غلبة النوم وقهره ومنعه له ان يتصرف في
نفسه كما يمنع الملك العبد من التصرف في امره واما التجوز في العين فلا اسناد

اليهما اما الاول فاطلق لفظ العين على النوم لما بينهما من الملابسة اذ الحباق
الجفون من عوارضها واما الثاني فاسناد الملك الى النوم المتجوز فيه بلفظ
العين والواو في قوله وانا الحال و **قوله** فسنح الى الضم اراد
بالسنح حضور صورة رسول الله صلى الله عليه في لوح خياله كما علمت وشكايته
منهم وجواب الرسول صلى الله عليه له يستلزم لعن احدهما انه عليه السلام كان
في غاية الكرب من تقصيرهم في اجابة ندائه ودعوته الى الجهاد حتى انتهت الحال الى
قتله الثاني عدم رضا الرسول صلى الله عليه عنهم و **قوله** وابدلهم بي
شرا لهم منى لا يستلزم ان فيه شرا كما قدمنا بيانه وبالله التوفيق والعصمة

## ومن كلام له عليه السلام

اما بعد يا اهل العراق فانما انتم كالمراة الحامل

**اقول** املصت اسقطت وتأيّم التي لا بعل لها والقحم اللسان و
القول الفصيح وهذا الكلام صدر عنه بعد حرب صفين وفيه مقصودان الاول توبيخهم
على تركهم للقتال بعد ان شارفوا النصر على اهل الشام وتخاذلهم الى التحكيم وابرز هذا
المقصود في تشبيههم بالمراة الحامل وذكر لها اوصافا خمسة هي وجوه التشبيه بينها
وبينهم فالحمل يشبه استعدادهم وتعبيتهم للحرب والاتمام يشبه مشارفتهم الظفر
والاملاص يشبه رجوعهم عن عدوهم بعد طمعهم في الظفر به وذلك رجوع غير
طبيعي ولا معتاد للعقلاء كما ان الاملاص امر غير طبيعي للحامل ولا معتاد لها
ثم موت القيم بامورها وهو زوجها وطول عزبتها وذلك يشبه عدم طاعتهم له
الجاري مجرى موته عنهم وطول ضعفهم لذلك ودوام عجزهم وذلتهم بعد رجوعهم الى تفرقهم
الى جوار حرمهم فان موت قيم المراة مستلزم لضعفها ودوام عجزها وذلتها
ثم كونها قد استحق ميراثها البعيد عنها لعدم ولدها وزوجها وذلك يشبه من حالهم
اخذ عدوهم الذي هو ابعد الناس عنهم ما لهم من البلاد واستحقاقه ذلك بسبب
تقصيرهم في مقاومته وبهذه الوجوه من الشبه اشبهوا المراة المذكورة وتم توبيخهم
من هذه الجهة ثم اخبرهم على وجه التنفير من حاله معهم فانهم لم يأتهم ايثارا منه للمقام
بينهم ولكن شوقا قدريا اضطره الى ذلك وصدق اذ لم يكن خروجه من المدينة
التي هي دار الهجرة ومفارقته منزل رسول الله صلى الله عليه وقبره الى الكوفة الا لقتال
اهل البصرة وحاجته الى الاستنصار باهل الكوفة عليهم اذ لم يكن جنس الحجاز وافيا

لمقاتلهم

لمقاتلهم ثم اتصلت تلك الفتنة بفتنة اهل الشام فدامت حاجته الى المقام بينهم و
روى ولا جئت للبكم شوقا بالسين المهملة والمقصود الثاني توبيخهم على ما بلغه من
تكذيبهم له ومقابلته لهم على ذلك برد احكام اوهامهم الفاسدة في حقه وذمهم
بجهلهم وقصور افهامهم عما يفيده من الحكمة وهو **قوله** ولقد بلغني
الى اخره فقوله ولقد بلغني انكم تقولون يكذب صورة دعويهم المقولة عليه
وقد كان جماعة من منافقي اصحابه اذا اخبر عن امور ستكون او كانت ثم اخبر عنها
واسند ذلك الى رسول الله صلى الله عليه يتحادثون فيما بينهم بتكذيبه فيبلغه ذلك
كاخباره عن قصة الخوارج وما يكون منهم وعن ذي الثدية وانه سيقاتل الناكثين
والقاسطين والمارقين ونحو ذلك من الامور الغريبة التي يستنكرها طباع العوام ولا
لا يعقل اسرارها الا العالمون بل كانوا يكذبونه بحضرته روى انه لما قال لو كسرت
لي الوسادة لحكمت بين اهل التورية بتوريتهم ومن اهل الانجيل بانجيلهم ومن اهل القرآن
قرآنهم والله ما من اية نزلت في بر او بحر او سهل او جبل ولا سماء ولا ارض الا
وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي شيء نزلت قال رجل من تحت المنبر بالله وللدعوى الكاذبة
وكذلك لما قال سلوني قبل ان تفقدوني لما والله لتشعرن الفتنة الصماء برجلها
وتطأ في خطامها يا لها فتنة شبت نارها بالحطب الجزل مقبلة من شرق الارض
رافعة ذيلها داعية ويلها برجلة او حولها ذاك اذا استدار الفلك وقلتم مات او هلك
باي واد سلك فقام قوم من تحت منبره ابوه ما افصحه كاذبا وكانها اشارة الى
واقعة التتار وقابل دعواهم بامرين احدهما الدعاء عليهم بقتال الله لهم وقد علمت
ان قتاله يعود الى مقته وابعادهم عن رحمته الثاني في الحجة وتقديرها ان الذي
اخبركم به من هذه الامور انما هو عن الله وعن رسوله فلو كذبت فيه لكذبت
اما على الله وهو باطل لاني اول من امن به واول مؤمن به لا يكون اول مكذب
له او على نبيه وهو باطل لاني اول من صدقه واتبع ملته و **قوله**
كلا والله رد لصدق دعواهم بعد الحجة كانه قال فاذن دعواكم على الكذب فيما
اخبركم به باطلة و **قوله** ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من اهلها يريد
بيان منشأ دعواهم الفاسدة لتكذيبه وذلك كون ما يقوله ويخبر به من الامور
المستقبلة ونحوها طورا وراء عقولهم الضعيفة التي هي بمنزلة اوهام سائر الحيوان
ولبسوا لفهم اسرارها باهل واشار باللهجة الى تلك الاقوال واسرارها وبغيبتهم عنها

الى غيبة عقولهم عن ادراكها ومعرفة امكانها فحق مثله وان غيبتهم عنها عند افتقار الرسول صلى الله عليه قوانينها الكلية للنبيه وتعليمه لابوابها وتفصيل ما فصل منها له فظاهر انه لما كانت عقول اولئك ولمشاعرهم مقهورة تحت سلطان اوهامهم وكان الوهم مكذبا ومنكرا لمثل هذه الاحكام لاجرم لم تنهض عقولهم لتصديقه عليه السلام فيها ولم تجوز اطلاعه عليها بل بالعجب اودعاها في الحكم بتكذيبه وحاله في ذلك مختصرة من حال رسول الله صلى الله عليه مع منافقي قومه و

**قوله** ويل امه فالويل في الاصل دعا بالشر واضافته الى الام دعا عليها ان تصاب باولادها وقيل انها يستعمل للترحم وقيل يستعمل للتعجب واستعظام الامر و **قوله** كيلا بغير ثمن اشارة الى ما يفيضه عليهم من الاخلاق الكريمة والحكم البالغة التي لا يريد بها جزاء ولا ثمنا ثم لا ينفقونها ولا يهذبون بها انفسهم لكون نفوسهم غير مستعدة لقبولها فليس لها اذن من تلك الانفس وعاء يقبلها واستعار لفظ الكيل وكنى به عن كثرة ما يلقيه اليهم منها وهو مصدر استغنى به عن ذكر فعله فعلى هذا يحتمل ان يكون ويل امه دعا بالشر على من لم يفقه مقاله ولم يقتبس الحكمة منه والضمير للانسان ذلك الوقت وان لم يجر له ذكر سابق مفرد يعود اليه لكنه موجود في كل شخص منهم فكانه قال ويل لامهم ويحتمل ان يكون ترحما لهم فان الجاهل مرحوم ويحتمل ان يكون تعجبا من قوة جهلهم او من كثرة كيله الحكم عليهم مع اعراضهم عنها و

وليعلمن نباه بعد حين اقتباس لهذه الاية المفصحة عن مقصوده اي ولتعلمن نبا جهلكم واعراضكم عما امركم به والقيه اليكم من الحكم والاوامر الصالحة وينكشف لكم ثمرة ذلك بعد حين واشار بالحين اما الى مدة الحيوة الدنيا وثمرة افعالهم اذن الندامة والحسرة على ما فرطوا في جنب الله حيث لا ينفع الاعمال الصالحة وذلك حين نزول عنهم غواشي الابدان وتطرح نفوسهم جلابيبها بالموت واما الى مدة حيوته هو اي سيعلمون عاقبة فعلكم هذا بعد مفارقتي لكم والعاقبة اذن ابتلاؤهم ممن بعده من بني امية وغيرهم بالقتل والذل والصغار

## ومن خطبة له عليه السلام

علم فيها الصلوة على النبي صلى الله عليه اللهم
داحي المدحوات وداعم المسموكات ـــ

اقول

**اقول** ـــ المدحوات المبسوطات والمسموكات المرفوعات ودعمها حفظها بالدعامة وجبل خلق والفطرات جمع فطرة وهي الخلقة والدمغ كسر عظم الدماغ وجيشات جمع جيشة من جاشت القدر ارتفع غليانها والاضطلاع بالامر قوى على حمله والقيام به من الضلاعة وهي القوة والاستنفار والاستعجال والنكول الرجوع والقدم التقدم والوهي الضعف ووعى الامر فقهه والقبس شعلة النار واورى اذكى واشعل واشتملت هذه الخطبة على ثلثة فصول الاول في صفات المدعو له وتمجيده وهو الله سبحانه والثاني في صفات المدعو له وهو النبي صلى الله عليه الثالث في انواع المدعو به وذلك هو الترتيب الطبيعي فبدا بتمجيد الله تعالى باعتبارات ثلثة احدها كونه داحي المدحوات اي باسط الارضين السبع وظاهر كونها مدحوات فان كل طبقة منها اذا اعتبرت كانت مبسوطة فاما صدق البسط على جملة الارض مع انها كرة وشهادة ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها بذلك والارض مددناها فهو باعتبار طبقاتها وقد يصدق عليها البسط باعتبار سطحها البارز من الماء الذي يتصرف عليه الحيوان فانه في الاوهام سطح مبسوط وان كان عند الاعتبار العقلي محدبا واليه الاشارة بقوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والله جعل لكم الارض بساطا الثاني كونه داعم المسموكات اي حافظ السموات ان يقع على الارض فان قلت قد قال في الخطبة الاولى بلا عمد يدعمها ثم جعلها هنا مدعومة فما وجه الجمع قلت انه لم ينف هناك الا كونها مدعومة بعمد وهنا اثبت كونها مدعومة بغير العمد وقد بينا هناك ان الدعامة التي يقوم بها السموات هي قدرته تعالى الثالث جابل القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها اي خالق النفوس على ما خلقها عليه من التهيؤ والاستعداد لسلوك سبيلي الخير والشر واستحقاق الشقاوة او السعادة بحسب القضاء الالهي كما قال تعالى ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وقوله وهديناه النجدين اي العمناه معرفة سلوك طريق الخير والشر واهل العرفان كثيرا ما يعبرون عن النفس بالقلب وشقيها بدل من القلوب اي خالق شقي القلوب وسعيدها على فطراتها المكتوبة في اللوح المحفوظ ممن احدث العناية

الالهية بزمام عقله على وفق ما كتب له قاعدة لقبول الهداية لسلوك
سبيل الله فهو السعيد ومن لحقته حبايل الفقّار مخطته الى مهاوى
الهلكة فذلك هو الشقى البعيد واليه الاشارة بقوله تعالى فمنهم شقى
وسعيد الايه وقوله اجعل شرايف صلواتك ونوامى بركاتك
على محمد عبدك ورسولك بعض مطلوباته من هذا الدعا وشرايف صلواته
ما عظم من رحمته وكمال جوده على النفوس المستعدة لها ونوامى بركاته
مازاد منها الفصل الثانى ذكر للنبى صلى الله عليه احدا
وعشرين وصفا هى جهات استحقاق الرحمة من الله وزيادة البركه المدعو
بها الاول كونه عبد الله وظاهر كون العبودية جهة لاستحقاق
الرحمة الثانى كونه رسولا له والرسالة نوع خاص من الاستعباد توجب
مزيد الرحمة والشفقة الثالث كونه خاتما لما سبق من انوار الوحى و
الرسالة بنوره وما جاء به من الدين الحق وظاهر كون ذلك جهة استعداد
منه لقبول الرحمة ودرجات الكمال الرابع كونه فاتحا لما انغلق من سبل الله
قبله وطريق جنته وحضرة قدسه باندراس الشرايع ففتح صلى الله عليه
تلك السبيل بشرعه وكيفيه هدايته للخلق فيها الخامس كونه قد اظهر
الحق بالحق والحق الاول هو الدين وما يدعو اليه والثانى فيه اقوال قيل
هو المعجزات اذ بسببها تمكن من اظهار الدين وقيل الحرب والخصومة يقال
فلان حاق فلانا يحققه اى خاصمه فغلبه وقيل هو البيان اى اظهر الدين
بالبيان الواضح واقول الاشبه انه اراد اظهر الحق بعضه ببعض
وكل جزئى من الحق حق وذلك ان الدين لم يظهر دفعه وانما بنى الاسلام
على خمس ثم كثرت فروعه بالاصل لظهر الفرع وظاهر كون اظهاره للحق
جهة لاستحقاق الرحمة السادس كونه دافعا لجيشات الاباطيل اى
لثوران فتن المشركين وانبعاثهم لاطفاء انوار الله اولفتنهم السابقه
التى كانت معتاده لهم من الغارات وحروب بعضهم لبعض فان كل ذلك
امور باطلة على غير قانون عدل من الله وذلك الدفع من جهات قبول
الرحمة السابع كونه دامغا لصولات الاضاليل وهو قريب من السادس واستعار
لفظ الدمغ لهلاك الضلال بالكليه ببركه مقدمه صلى الله عليه ووجه الاستعارة

كون

كون الدمغ مهلكا للانسان فاشبه ما اهلك الباطل ومحاه من افعال الزور
والضلال هنا الانحراف عن طريق الله اللازم عن الجهل بها واستعار وصف
الصولات له ملاحظه لشبه المنحرفين على سبيل الله الى الفساد فى قوله الخ منهم
وشدة فسادهم بالفحل الصايل الثامن كونه حمل الرسالة فقام بما كلف
به وقوى عليه وقايما بما نصب على الحال وكذلك المنصوبات بعده وهى مستوفرا
وعنونا لك وكذلك محل لاواعى وواعيا وحافظا وقاضيا وفى قوله كما
حمل لطف اى صل عليه صلاة مناسبة مشابهة لتحمله له الرسالة و
قيامه بامرها لان الجزا من الحكيم العدل يكون مناسبا للفعل المجزى ولاجل
كونها جهة استحقاق طلب ما يناسبها من الجزاء التاسع كونه عجلا فى
رضاء الله بامتثال اوامره العاشر كونه عيرنا لك فيما يتقدم فيه من طاعة
ربه الحادى عشر كونه ماضى العزم فى القيام بامر الله غير وان فيه
الثانى عشر كونه واعيا لوحيه ضابطا له بقوة النفس على قبوله الثالث
عشر كونه حافظا لعهده الماخوذ عليه من تبليغ الرسالة واداء الامانه و
قد سبق بيان معنى العهد فى الخطبة الاول الرابع عشر كونه ماضيا على
انفاذ امره فى العالم وجذب الخلق الى سلوك سبيله الخامس عشر ما انتهى
اليه من الغاية باجتهاده فى ارضاء الله وهو كونه اورى قبس القابس
اى اشعل انوار الدين وقدح زناد الافكار حتى اظهر انوار العلوم منها
للمقتبسين واستعار لفظ القبس لنور العلم والحكمة ولفظ الورى لا
ظهار الرسول لتلك الانوار فى طريق الله وقد سبق وجه الاستعاره السادس
عشر كونه اضاء الطريق للخابط فالطريق هى طريق الجنة والحضرة الا
لهية واضائته لها باظهار تلك الانوار وبيانها لتعليم كيفيه سلوكها و
الارشاد اليها والخابط هو الجاهل الذى قصدت الحكمة الالهية ارشاده
حيث كان يخبط فى ظلمات الجهل السابع عشر كونه قد هديت به القلوب
الى موضحات الاعلام اى الى الادلة الواضحة على الحق ونيرات الاحكام
هى المطالب الحقة الواضحة اللازمة عن تلك الادلة بعد ما كانت القلوب
فيه من خوضات الفتن والاثام اللازمة عما اجترحته من السيات
وذلك امر ظاهر الثامن عشر كونه امين الله اى على وحيه ورسالته

والمامون تاكيد الامانته وقد عرفت معنى الامانه التاسع عشر كونه خازن
علمه المخزون اى علومه الدينية الغيبية التى لا يتاهل لحملها كالبشر
المشار اليها بقوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول العشرون
كونه شهيدا يوم الدين كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هولاء شهيدا اى شاهدا يوم القيامة على امته بما علم منهم من
خير وشر فان قلت وما حقيقة هذه الشهادة وما فايدتها مع ان الله
تعالى عالم الغيب والشهادة قلت اما حقيقتها فيعود الى اطلاعه صلى الله عليه
على افعال امته وبيان ذلك انك علمت فيما سلف ان للنفوس القدسية الاطلاع
على الامور الغايبه والانتقاش بها مع كونها فى جلابيب من ابدانها فكيف بها اذا
فارقت هذا العالم والجسم المظلم فانها اذن يكون مطلعه على جميع افعال اممها
ومشاهده لها من خير او شر واما فايدتها فقد علمت ان اكثر احكام الناس
وهمية والوهم منكر للاله على الوجه الذى هو به اله فالحرى ان ينكر كونه
عالما بجزئيات افعال عباده ودقايق خطرات اوهامهم والظاهر ان ذلك الانكار
يستتبع عدم المبالاه لفعل القبيح والانهماك فى الامور الباطلة التى نهى الله
تعالى عنها فاذا ذكر لهم ان عليهم شهداء ورقباء وكتابا بما يفعلون مع
صدق كل ذلك واحسن تاويل كان ذلك مما يعين العقل على كسر النفس
الامارة بالسوء وقهر الاوهام الكاذبة وبردع النفس عن متابعة الهوى
ثم لابد لكل رسول من اعتناء على دينه وحفظه لهم شهيد ايضا على بعده الى
قيام الساعة واذا كان معنى الشهادة يعود الى اطلاع الشاهد على ما فى
ذمة المشهود عليه وعلمه بحقيقته وفايدتها حفظ ما فى ذمة المشهود عليه
وتخوفه ان يجحده او لم يوصله الى مستحقه ان يشهد عليه الشاهد فيفضحه
ويشنع منه على اقبح وجه وكان هذا المعنى والفايدة قايمين فى شهادة
الانبياء عليهم السلام اذ بها يحفظ اوامر الله وتكاليفه التى هى حقوقه
الواجبه ويحصل الخوف للمقصرين فيما يذكر شهادة الرسول عليهم بالتقصير
فيفتضحوا فى محفل القيامة ويتوفى منهم جزاء ما كلفوا به فقصروا فيه
بالعقاب الاليم لاجرم ظهر معنى كونهم شهداء الله على خلقه الحادى و
العشرون كونه مبعوثه بالحق وهو الدين الثابت الباقى نفعه وثمرته



فى الاخرة ثم اعاد ذكر كونه رسولا الله الى خلقه وانما كرره لاصل فى تباقى الاوصاف
والظاهر ان كل هذه الاوصاف جهات استحقاق الرحمة والبركة وافاضة الصلوات
الالهيه على نفسه القدسيه الفصل الثالث فى تفصيل المطلوب من
هذا الدعاء وهو قوله اللهم افسح له فسحا فى ظلك وطلب امورا احدها
ان يفسح له مفسحا فى ظله اى مكانا متسعا فى حضرة قدسه وظل جوده
ولفظ الظل مستعار للجود ووجه المشابهه راحة المستظل بالظل من حر
الشمس فاشبهها راحة الملتجى الى جود الله المستظل به من حرارة جهنم و
سعير عذابه واليه الاشارة بقوله تعالى فى ظل ممدود الثانى ان يجزيه
مضاعفات الخير من فضله اى يضاعف له الكمالات من نعمه وقد علمت ان
مراتب استحقاق نعم الله غير متناهيه الثالث ان يعلى على بناء
البانين بناءه يحتمل ان يريد بنايه ما شيده من الدين فيكون اعلاء المطلوب
هو اتمام دينه واظهاره بعده على الاديان كلها ويحتمل ان يريد به ما شيده
من الملكات الخيرية واستحقه من مراتب الجنة وقصورها الرابع ان يكرم
لديه منزلته وهو انزاله المنزل المبارك الموعود وقل رب انزلنى منزلا مباركا
الخامس ان يتمم له نوره وهو اما النور الذى بعث به واتمامه انتشاره
فى قلوب العالمين واما النور الذى فى جوهر ذاته وتمامه زيادة كماله السادس
ان يجزيه عن بعثته قبول شهادته ورضاء مقالته ومقبول مفعول ثان
وذا منطق نصب على الحال وقبول شهادته كناية عن تمام الرضا عنه
اذ من كان مقبول الشهادة مرضى القول فلابد وان يكون مبرأ من جهات
الرذايل المسخطة او كناية عن كون معتقداته ومشاهداته من اعمال امته
وغيرها بريئة عن كدر الاغاليط وشوايب الاوهام وكذلك رضاء اقواله
فى شفاعته وغيرها وكونه ذا منطق عدل لا جور فيه عن الحق وخطبة
فصل اى مميزة للحق فاصلة له من الباطل وكل هذه الاعتبارات وان
اختلفت مفهوماتها يرجع الى مطلوب واحد وهو طلب زيادة كمالاته
عليه السلام وقربه من الله تعالى وقوله اللهم اجمع الى اخره
سال الله ان يجمع بينه وبين الرسول فى امور احدها برد العيش والعرب
يقول عيش بارد اذا كان لا كلفه فيه من حرب وخصومة وهو فى الا خرة

يعود الى ثمرات الجنة البدنية من كد الاتعاب الثانى قرار النعمة اى مستقرها
وهو الجنة وحضرة رب العالمين الثالث من الشهوات وهو ما يتمناه النفس
من المشتهيات وتهواه من اللذات بنعيم الابد الرابع دخار الرغبة ومنتهى
الطمانينة اى اتساع سكون النفس بلذة معارفة الحق والانس بالملاء الاعلى وامنها
من مزعجات الدنيا وراحتها من معاناة افاتها الخامس تحف الكرامة وهى
ثمرات الجنة وقطوفها الدانية وساير ما اعده لخلفه اولياية الابرار مما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد وبالله العصمة والتوفيق

## ومن كلام له عليه السلام

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة الى قوله
وستلقى الامة منه ومن ولده موتا احمر

اقول السبة الاست والامرة بالكسر الولاية والكبش القوم زعيمهم
ولما امتنع من بيعة مروان نبه على سبب امتناعه من ذلك وهو انه مظنة
الغدر وذلك بقوله انها كف يهودية اذ من شان اليهود الخبث والمكر والغدر
ثم فسر تلك الكناية بقوله لو بايعنى بيده لغدر بسبته وذكر السبة اهانة له
لان الغدر من اقبح الرذايل فنسبته الى السبة اولى النسب والعرب تسلك مثل ذلك فى
كلامها قال المتوكل يوما لابى العيناء الى متى تمدح الناس وتذمهم فقال
ما احسنوا واساؤا ثم قال يا امير المومنين ان الله تعالى رضى فمدح فقال
نعم العبد انه اواب وسخط فذم فقال عتل بعد ذلك زنيم والزنيم ولد الزنا
ثم ذكر مما سيكون من امر مروان ثلثه امور احدها انه سيصير امير المسلمين
ونبه على قصر مدة امارته بتشبيهها بلعقة الكلب انفه ووجه الشبه هو
القصر وكانت مدة امرته اربعة اشهر وعشرا ودون ستة اشهر وانما خصه
بلعقة الكلب لانه فى معرض الذم والبحث فى اما كهو فى قوله اما
انه سيظهر عليكم والثانى انه سيكون ابا الاكبش الاربعة وكان له اربعة ذكور
لصلبه وهم عبد الملك وولى الخلافة وعبد العزيز وولى المصر وبشر وولى
العراق ومحمد وولى الجزيرة ويحتمل ان يريد بالاربعة اولاد عبد الملك وهم
الوليد وسليمن ويزيد وهشام وكلهم ولى الخلافة ولم يلها اربعة اخوة الا هم
الثالث الى ما يصدر منه ومن ذريته من الفساد فى الارض وما يلقى الناس

منهم

منهم من القتل وانتهاك الحرمة وكنى عن قتلهم للناس وشدايد ما يلقون منهم با
الموت الاحمر من لسان العرب وصف الامر الشديد بالاحمر ولعله لكون
الحمرة وصف الدم كنى به عن القتل وروى يوما احمر وهو كناية عن شدة امورهم
ووصفه بالحمرة كناية عن شدته وفساد دين اعقبه ودمارهم للاسلام واهله
مشهور فى كتب التواريخ مسطور وبالله العصمة والتوفيق

## ومن كلام له عليه السلام

لقد علمتم انى احق بها من غيرى الى اخره

اقول الزخرف الزينة ويقال الذهب والزبرج النقش
والزينة بالحلية ايضا وقوله لقد علمتم انى احق بها ينبه الى ما علموه
من وجه استحقاقه للخلافة وهو استجماعه للفضايل الداخلية والخارجية
والضمير فى بها للخلافة وهو اما ان يعود الى ذكرها فى فصل تقدم متصلا بهذا
الفصل او لشهرتها وكون الحديث فيها قرينة معينة لها كما قال قبل لقد تقمصها
وقوله والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين اى لاتركن المنافسة
فى هذا الامر مهما سلمت امور المسلمين من الفتنة وفيه اشارة الى ان غرضه عليه
السلم من المنافسة فى هذا الامر هو صلاح حال المسلمين واستقامة امورهم وسلامتهم
عن الفتن وقد كان لهم من سلف من الخلفاء قبله استقامة امر وان كان
لا يبلغ عنده كمال استقامتها لو ولى هو هذا الامر فلذلك لم يسلم ذلك الامر
ولا ينازع فيه اذ لو نازع فيه لثارت الفتنة بين المسلمين وانشقت عصا الاسلام
وذلك ضد مطلوب التنازع وانما يتعين عليه النزاع والقتال عند خوف الفتنة
وقيامها فان قلت السوال من وجهين الاول ما وجه منافسته فى هذا الامر
مع انه منصب يتعلق بامور الدنيا وصلاحها مع ما اشتهر منه عليه السلم من الزهد
فيها والاعراض عنها وذمها ورفضها الثانى كيف سلم هاهنا خوف الفتنة
ولم يسلم لمعوية ولطلحة والزبير مع قيام الفتنة فى حربهم قلت الجواب عن الاول
ان منصب رسول الله ليس منصبا دنياويا وان كان متعلقا باصلاح احوال الدنيا لكن
لا لكونها دنيا بل لانها مضمار الاخرة ومزرعتها والغرض من اصلاحها انما
هو نظام احوال الخلق فى معاشهم ومعادهم فمنافسته عليه السلم فى هذا الامر على هذا
الوجه من الامور المندوب اليها اذا اعتقد ان غيره لا يغنى غناءه فى القيام

به فضلا عن ان يقال انها لا تجوز وعن الثاني ان الفرق بين الخلفاء الثلثة و
بين معاوية في اقامة حدود الله والعمل بمقتضى اوامره ونواهيه ظاهر قوله
ولم يكن فيما صور الاعلى خاصة تظلم ممن عدل بها عنه ونسبه لهم الى الجور دون من
استحقها في انظارهم فاوصلوا اليه من سائر الخلفاء وخاصة تغضب على الحال و
قوله التماسا لاجر ذلك الى اخره والتماسا مفعول له والعامل اسلمن
اى التمس ثواب الله وفضله بتسليمي وصبري وكذلك قوله وزهدا مفعول
له وفيه ايماء الى ان مقصود غيره من طلب هذا الامر والمنافسة فيه ليس الا الدنيا وزخرفها

## ومن كلام له عليه السلام

لما بلغه اتهام بني امية الى قوله تجادل العباد

اقول قرفني بكذا اي اتهمني به ونسبه الى ووزع كف و حجيجهم محاجهم
والخصيم المخاصم و قوله اولم ينه اي ما وزع استفهام عن عدم انتهائهم عن
نسبته الى دم عثمن مع علمهم بحاله وقوته في الدين وعصمته عن دم حرام فضلا
عن مثل دم عثمان استفهاما على سبيل الانكار عليهم والتعجب منهم ونسبه لهم الى الجهل بعلمهم
بمناسبة حاله وسابقته في الاسلام لبرائة عما قرفوه به و قوله ولما
وعظهم الله ابلغ من لساني تعذير لنفسه في عدم ردعه لهم عن الغيبة وامثالها
اى اذا كان وعظ الله لهم مع كونه ابلغ من كلامي لا يردعهم فكلامي بطريق الاولى
وزواجر كتاب الله كقوله تعالى ان بعض الظن اثم وقوله ولا يغتب
بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا الاية وقوله والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ونحوه من القران
كثير واراد بلسانه وعظه مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب و قوله
وانا حجيج المارقين اى الخوارج او كل من خرج من دين الله وخصيم المرتابين
اى الشاكين في صحة الدين و قوله على كتاب الله تعرض الامثال الى
اخره اشارة الى الحجة التي يحج بها ويخاصم وتقريرها ان تعلق هذا المنكر به
اما من جهة اقواله او افعاله او اعتقاده وارادته والثلثة باطلة فتعلق هذا
المنكر به ونسبته اليه باطلة بيان الحصر ان هذه الجهات الثلث هي جهات صدور
المنكر عن الانسان بيان بطلان الاول والثاني انه كان قد حصل في اقواله او
افعاله ما يشبه الامر بالقتل او فعله فاوقع في نفوس الجهال شبهة القتل نحو ما روى عنه

[illegible]

لما سئل

لما سئل عن قتل عثمان الله قتله وانا معه والكلمة في داره يوم قتل عن
الخروج فينبغي ان يعرض ذلك على كتاب الله تعالى فانه عليه تعرض الامثال
والاشباه فان دل على كون شيء من ذلك قتلا فليحكم به والا فلا وان يدل ابدا
فليس لهم ان يحكموا بالقتل من جهة قول او فعل واما بطلان الثالث فلان علم ما في
القلوب الى الله وهو المجازي لما فيها من خير وشر وليسوا مطلعين على ما
هناك حتى يحكموا بالقتل من جهتها فاذن حكمهم بتعلق هذا المنكر به وبالله العصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

رحم الله امرأ سمع حكما فوعى ودعي الى رشاد
فدنا واخذ بحجزة هاد فنجا

اقول الحجزة معقد الازار والمراقبة المحافظة والعذار
الاستبصار واعلم ان هذا الفصل يشتمل على استنزاله عليه السلم الرحمة لعبد استجمع ما ذكره
من الامور وهي عشرون وصفا الاول ان يسمع الحكم فيعيه والحكم الحكمة ووعاؤه
لسامعها ووعيها يستلزم امره بتعلمها وتعليمها وهي اعم من العلمية والعملية ووعاها
اى فهمها كما القيت اليه الثاني في كونه اذا دعي الى رشاد دنا من الداعي اليه
واجاب دعاءه والرشاد يعود الى ما يهتدى به ويرشده في طريق معاشه ومعاده
من العلوم والاعمال التي وردت بها الشريعة الثالث ان ياخذ بحجزة هاد
فينجو به اي يكون في سلوكه لسبيل الله مقتديا باستاد مرشد عالم يحصل بنجاته
واستعار لفظ الحجزة لاثر الاستاد وسنته ووجه المشابهة كون ذهن المقتدي لازما
لسنة شيخه في مضايق طريق الله وظلماتها لينجوا به كما يلزم السالك لطريق مظلم
لم يسلكه قبل بحجزة اخر قد سلك تلك الطريق وصار دليلا فيها ليهتدي به وينجوا
من التيه في ظلماتها ومن اهل السلوك خلاف انه هل يضطر المريد الى الشيخ في سلوكه
ام لا واكثرهم على وجوبه ويفهم من كلامه عليه السلم وجوب ذلك وبمثل
شهادته يحتج الموجبون له اذ كان لسان العارفين ومنتهى طبقاتهم وظاهر
ان طريق المريد مع الشيخ اقرب الى الهداية وبدونه اطول واقرب الى الضلال
عنها فلذلك قال عليه السلم فنجا اي ان النجاة معلقة به وقد ذكرنا ما يصلح به
الفريقان في كتاب مصباح العارفين الرابع ان يراقب ربه واعلم ان المراقبة احد
مراتب الايمان وهي رتبة عظيمة من رتب السالكين قال رسول الله صلى الله عليه

اعبد ربه كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال تعالى افمن هو قايم على كل
كل نفس بما كسبت وقال ان الله كان عليكم رقيبا وقال الامام الغزالي رحمه الله
وحقيقتها انها حالة للنفس يثمرها نوع من المعرفة ويثمر اعمالا في الجوارح والقلب
اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به واما العلم المثمر لها فهو
العلم بان الله تعالى مطلع على الضماير والسراير قايم على كل نفس بما كسبت وان
سر القلوب مكشوف له كظاهر البشرة للخلق بل هو اشد فهذه المعرفة اذا استولت
على القلب ولم يبق فيها شبهة فلا بد ان تجذبه الى مراعاة الرقيب والموقنون
بهذه المعرفة منهم الصديقون ومراقبتهم التعظيم والاجلال واستغراق القلب بملاحظة
ذلك الجلال والانكسار تحت الهيبة والتعظيم بحيث لا يبقى فيه متسع للالتفات الى
الغير اصلا وهي مراقبة مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت
الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعة كانت كالمستعمل لها
فلا يصلح لغيرها ولا تحتاج الى تدبير في ضبطها على سنن السداد ومن نال هذه الرتبة
فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصرهم ولا يسمع اقوالهم ومثل هذا بمن يحضر في خدمة
ملك عظيم فان بعضهم قد لا يحس بما يجري عليه في حضرة الملك من استغراقه بهيبته
ولمن يشغله امر مهم يفكر فيه وروي ان يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بامراة
فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا الثانية
مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب بعض اطلاع الله على ظاهرهم
وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على الاعتدال
متسعة للتلفت الى الاقوال والاعمال الا انها مع ممارستها للعمل لا تخلو عن
المراقبة وقد غلب الحياء من الله على قلوبهم فلا يقدمون ولا يحجمون الا عن تثبت
فيمتنعون عن كل امر فاضح في القيامة اذ يرون الله تعالى مشاهدا لاعمالهم في
الدنيا كما يرونه في القيامة ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج ان يراقب جميع
حركاته وسكناته ولحظاته وجميع اختياراته ويرصد كل خاطر سنح له
فان كان الهيا تعجل مقتضاه وان كان شيطانيا بادر الى قمعه واستحيا من
ربه ولام نفسه على اتباع هواها فيه وان شك فيه يتوقف الى ان يظهر له بنور الله
سبحانه من اي جانب هو كما قال علي عليه السلام الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف
عند الحيرة ولا يهمل شيا من اعماله وخواطره وان قل ليسلم من مناقشة الحساب

فقد قال

فقد قال الرسول صلى الله عليه ان الرجل ليسال عن كحل عينيه وعن فتة
باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه الخامس ان تخاف ذنبه واعلم ان الخوف
ليس مما هو ذنب بل من المعاقب على الذنب لكن لما كان الذنب سببا موجبا
لسخط المعاقب وعقابه نسب الخوف اليه وقد سبق منا بيان حقيقة الخوف و
الرجاء السادس ان يقدم خالصا اي يكون احواله كلها خالصة لله تعالى من
قول وعمل وخاطر بريئة عن الالتفات الى غيره فيها وقد سبق معنى الاخلاص في
الخطبة الاولى السابع ان يعمل صالحا وصلاح العمل الاتيان به كما امر به وهو
نوع مما تقدمه الثامن ان يكتسب مذخورا وهو امر بسائر ما عرفت الشريعة
باكتسابه ونبه على وجوب السعي فيه بانه يبقى ذخرا ليوم الفاقة اليه التاسع
ان يجتنب محذورا وهو امر باجتناب ما نهت الشريعة عنه ونبه على وجوب اجتنابه
بكونه محذورا يستلزم العقاب في الاخرة العاشر ان يرمي عرضا اي يحذف
اغراض الدنيا عن درجة الاعتبار وهو اشارة الى الزهد والقطع عن موانع قبول الرحمة
الحادي عشر ان يحرز عوضا اي يدخر في جوهر نفسه ملكات الخير ويوجه سره
الى مطالعة انوار كبرياء الله ويحرز ما يفاض عليه من الحسنات وتنبيها بتكريرها
نعم العوض هي من متاع الدنيا واغراضها الفانية الثاني عشر ان يكابر
هواه اي يطوع نفسه الامارة بالسوء بالاعمال الدينية ويراقبها في كل خاطر يلقيه
الى نفسه ويعاملها بكسره وقمعه الثالث عشر ان يكذب مناه اي يقابل ما
يلقيه اليه الشيطان من الاماني ويعده به بالتكذيب ويقطع له بتجويز عدم نيلها
ويحسم مادة ذلك بالمراقبة فان الوساوس الشيطانية يتبع بعضها بعضا ومن
اشاراته عليه السلام الى ذلك اياكم والمنى فانها بضايع النوكى اي الحمقى الرابع عشر
ان يجعل الصبر مطية نجاته والصبر هو مقاومة النفس لئلا تنقاد الى قبايح اللذات
ولما علمت ان الانقياد في سلوكها الى اللذات القبيحة هو سبب الهلاك في الاخرة
علمت ان مقاومتها ودفعها عنها هو سبب النجاة هناك وقد استعار لفظ المطية
للصبر ووجه المشابهة كون لزومه سببا للنجاة كما ان ركوب المطية والهرب
عليها سبب للنجاة من العدو الخامس عشر ان يجعل التقوى عدة وفاته ولما كان
التقوى قد يراد به الزهد وقد يراد به الخوف من الله المستلزم للزهد كما علمت و
كانت العدة هو ما استعد به الانسان للقاء الحوادث وكان الموت اعظم حادث

سبع جه

عدة

يسبق الى الانسان من اهوال الاخرة لاجرم كان التقوى عدة للموت اذ كان
المتقى مشغول السر بعظمة الله وهيبته عن كل حادث يلحقه فلا يكون للموت
عنده كبير روع ولا عظيم كرب وقد يراد بالتقوى مطلق الامان وبالوفاة ما بعدها
مجازا وظاهر كون الامان عدة واقية من عذاب الله السادس عشر ان ركوب
الطريقة الغراء وهو ان يسلك الى الله تعالى طريقة الواضحة المستقيمة وهى شرع
بعثه السابع عشر وان يلزم المحجة البيضاء والفرق بين هذا الامر والذى
قبله ان الاول امر بركوب الطريقة الغراء والثانى امر بلزومها وعدم مفارقتها
فانها وان كانت واضحة الا انها طويلة كثيرة المخاوف وسالكها ابدا محارب
للشيطان وهو فى معرض ان يستزله عنها الثامن عشر ان يغتنم المهل
ايام مهلته وهى حيوة الدنيا واغتنامه العمل فيها قبل يوم الحساب التاسع
عشر ان يبادر وعاجل اى يسابقه الى العمل قبل الفوت لبغته فيقطعه عنه العشرون
ان يتزود من العمل وهو امر لما يتبادر بالعبد من اتخاذ العمل زادا وقد سبق
وجه استعارة الزاد له وقد راعى عليه السلام فى كل مرتين من هذا الكلام السجع
المتوازى وجعل الصدر ثلثا والاخر ثلثا وعطف كل قرينة على مشاركها فى
الحروف الاخير منها وحذف حرف العطف من الباقى ليتميز ما يتناسب منها عن
غيره كل ذلك بلاغة وبالله العصمة والتوفيق

ومن كلام له عليه السلام

ان بنى امية ليفوقوننى تراث محمد صلى الله عليه
تفويقا والله لئن بقيت لهم لانفضنهم نفض اللحام الوذام التربة

اقول استعار لفظ التفويق لعطيتهم له المال قليلا ووجه
المشابهة هو قلة ما يعطونه منه مع كونه فى دفعات كما يعطى الفصيل ضرع
امه ليدر ثم يدفع عنها ليحلب ثم يعاد اليها لتدر وتراث محمد صلى الله عليه
اشارة الى الفىء الحاصل ببركة محمد صلى الله عليه وهو التراث المعقول المكتسب
عن الميت بوجه ما ثم اقسم ان بقى لبنى امية لينفضهم نفض القصاب الوذام
من الكبد او الكرش من التراب اذا اصابته وهذه الرواية هى الحق والثابت
عند من النافلين وقد ورد عنه هذا الكلام بزيادة ونقصان فى رواية اخرى
وذلك ان سعيد بن العاص حيث كان امير الكوفة من قبل عثمان بعث

اليه

اليه بصلة فقال والله لا يزال غلام من غلمان بنى امية يبعث الينا ما افاء الله
على رسوله بمثل قوت الارملة والله لئن بقيت لانفضنها نفض القصاب الوذام التربة

ومن كلام له عليه السلام

اللهم اغفر لى ما انت اعلم به منى

اقول الواى الوعد والرمزات جمع رمزة وهى الاشارة بالعين
او الحاجب او الشفة والسقطات من التى رديه والهفوة الزلة وقد سال الله سبحانه
فى جميع هذا الفصل المغفرة ومغفرة الله للعبد تعود الى ستره عليه ان يقع فى
مهاوى الهلكة فى الاخرة او تكشف مقابحه لاهل الدنيا فيها وذلك يعود الى توفيقه لا
سباب السعادة وجذبه بها عن متابعة الشيطان فى المعاصى قبل صدورها منه
او قبل صيرورتها ملكات فى جوهر نفسه والمطلوب عفو امور الاول ما الله اعلم
به منه مما هو عند الله معصية وسيئة فى حقه وهو لا يعلمها فيفعلها ثم طلب تكرار
مغفرة الله لما تعاوده ويتكرر منه كذلك واذا تصورت معنى المغفرة تصورت
كيف تكرارها الثانى فى ما وعد من نفسه ان يفعله لله ثم لم يوف به وما ههنا
مصدرية ولا شك ان مطال النفس بفعل الخير وعدم الوفاء به انما يكون عن خاطر
شيطانى يجب ان يستغفر الله له ويسال ستره بعث الدواعى الجاذبة عن متابعة
الشيطان المحرك له الثالث شوب النفس ما يتقرب به من الاعمال الى الله
بالرياء والسمعة ومخالفة نية القربة اليه بقصد غيره بها ولا شك ان ذلك شرك
خفى جاذب عن الترقى فى درجات العلى ويحتاج الى تدارك الله بالمغفرة
والجذب به عنه قبل تمكنه من النفس الرابع الاشارة بالغمز وهو الامارات الخارجة
عن حدود الشريعة كما يفعل عند التنبيه على شخص ليعاب او ليضحك منه او يظلم
وكل تلك عن خواطر شيطانية ينبغى ان يسال الله تعالى دفع اسبابها وستر
النفس عن التدنس بها الخامس سقطات الالفاظ والردئ من القول وهو ما تجاوز
حدود الله وخرج بها الانسان عن مستقيم صراطه السادس شهوات القلوب
ان روى بالشين المعجمة فالمراد جذب القوة الشهوية للنفس الى مشتهياتها وان
من روى بالسين فسهوات القلب خواطره التى لا يشعر بتفصيلها اذا خالفت اوامر الله
وقد تستتبع حركة بعض الجوارح الى فعل خارج عن حدود الله ايضا وذلك وان كان
لا يوجب اثرا فى النفس ولا يواخذ به العبد الا انه مما يقوى بقوة اسبابه

وكثرتها فينقطع العبد عن سلوك سبيل الله كما في حق المنهمكين في لذات الدنيا المتوحدين
لها فان احدهم ربما رام التشبه بمن يعظ الغرض فيصلي الصلوة الواحدة مرتين او مرارا
ولا يستثبت عدد ركعاتها وسجداتها وغير مثل ذلك لجذب العبد عن الاسباب الموجبة
له السابع هفوات اللسان اي الزلل الحاصل من قبله ومادته ايضا خاطر شيطاني
وغيره بتوفيقه المقاومة هواه واعلم ان الشيعة لما اوجبوا عصمته عليه السلام عن
المعاصي حملوا طلبه لمغفرة هذه الامور على وجهين احدهما وهو الادق ان طلبه
لمغفرتها انما هو على تقدير وقوعها منه فكانه قال اللهم ان صدر عني شيء من هذه الامور
فاغفره لي وقد علمت انه لا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من جزئيها فلا يلزم
من صدق كلامه صدور شيء منها عنه حتى يحتاج الى المغفرة الثاني انهم حملوا ذلك
على تاديب الناس وتعليمهم كيفية الاستغفار من الذنوب او على التواضع والاعتراف
بالعبودية وان البشر في مظنة التقصير والاساءة واما من لم يوجب عصمته
فالامر معه ظاهر

## ومن كلام له عليه السلام

قاله لبعض اصحابه لما عزم على المسير الى الخوارج
فقال له يا امير المؤمنين ان سرت في هذا الوقت
خشيت ... عليك ... اقول

حاق به احاط ويوليه كذا اي يعطيه اياه ويجعله اولى به وروي ان المشير عليه بذلك
كان عفيف بن قيس اخا الاشعث بن قيس وكان يتعاطى علم النجوم واعلم ان الذي يلوح
من سر نهي الحكمة النبوية عن تعلم النجوم امران احدهما اشتغال متعلمها بها واعتماد
كثير من الخلق السامعين لاحكامها فيما يرجون ويخافون عليه فيما يسنده الى الكواكب
والاوقات والاشتغال بالفزع اليه والى ملاحظة الكواكب عن الفزع الى الله تعالى و
الغفلة عن الرجوع اليه فيما اهم من الاحوال وقد علمت ان ذلك يضاد مطلوب الشارع
اذ كان غرضه ليس الا دوام التفات الخلق الى الله وتذكيرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم
اليه الثاني ان الاحكام النجومية اخبارات عن امور ستكون وهي تشبه الاطلاع على
الامور الغيبية واكثر الخلق من العوام والنساء والصبيان لا يميزون بينها وبين علم
الغيب والاخبار به فكان تعلم تلك الاحكام والحكم بها سببا لضلال كثير من الخلق و
موهنا لاعتقادهم في المعجزات اذ الاخبار عن الكائنات منها وكذلك في عظمة
باريهم ويشككهم في عموم صدق قوله قل لا يعلم الغيب الا الله وعنده مفاتح الغيب

لا يعلمها

لا يعلمها الا هو وقوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في
الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت فالمنجم
اذا حكم لنفسه بانه يصيب كذا في وقت كذا فقد ادعى ان نفسه تعلم ما تكسب غدا
وباي ارض تموت وذلك عين التكذيب للقران وكان هذين الوجهين هما المقتضيان
لتحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوها واما مطابقة لسان الشريعة للعقل في
تكذيب هذه الاحكام فبيانها ان اهل النظر اما متكلمون او حكماء اما المتكلمون
فاما معتزلة او اشعرية اما المعتزلة فاعتمادهم في تكذيب المنجم على احد امرين
احدهما ان الشريعة كذبته وعندهم ان كل حكم شرعي فيشتمل على وجه عقلي و
ان لم يعلم عين ذلك الوجه والثاني مناقشته في ضبطه الاسباب ما اخبر عنه
من كون او فساد واما الاشعرية فهم وان قالوا انه لا مؤثر الا الله تعالى وزعم بعضهم
انهم خلصوا بذلك من اسناد التاثيرات الى الكواكب الا انه لا مانع على مذهبهم ان يجعل
الله تعالى اتصال نجم بنجم او حركته علامة على كون كاين او فساده وذلك مما لا يبطل
على المنجم قاعدة فيرجعون ايضا الى بيان عدم احاطته باسباب كون ما اخبر عن
كونه ومناقشته في ذلك واما الحكماء فاعلم انه قد ثبت في اصولهم ان كل كاين
فاسد في هذا العالم فلا بد له من اسباب اربعة فاعلي ومادي وصوري وغائي
اما السبب الفاعلي القريب فالحركات السماوية والذي هو اسبق منها فالمحرك لها
الى ان ينتهي الى الجود الالهي المعطي لكل قابل ما يستحقه واما السبب المادي فهو
القابل لصورته وينتهي القوابل الى القابل الاول وهو مادة العناصر المشتركة
بينها واما الصوري فصورته التي يقبلها مادته واما الغائي فهي لاجلها وجد
اما الحركات السماوية فان من الكائنات ما يحتاج في كونه الى دورة واحدة
للفلك ومنها ما يحتاج الى بعض دورة ومنها ما يحتاج الى جملة من ادواره
واتصالاته واما القوابل للكائنات فقد تقرر عندهم ايضا ان قبولها لكل كاين
معين مشروط باستعداد معين له وذلك الاستعداد يكون لحصول صورة
سابقة عليه وهكذا قبل كل صورة معدة لحصول الصورة بعدها وكل صورة
منها ايضا يستند الى الاتصالات والحركات الفلكية ولكل استعداد معين و
زمان معين وحركة معينة واتصال معين يخصه لا يكاد يدركها القوة البشرية
اذا عرفت ذلك فنقول الاحكام النجومية اما ان يكون جزئية او كلية اما

اما الجزئية فان حكم مثلا بان هذا الانسان يكون من حاله كذا وكذا فظاهر ان مثل هذا الحكم
لا سبيل الى معرفته اذ العلم به انما هو من جهة اسبابه لتا الفاعلية فان يعلم ان الدورة
المعينة او الاتصال المعين تملك هذا الرجل البلد المعين مثلا وانه لا سبب فاعلي لذلك
الا هو والاول باطل لجواز ان يكون السبب غير ذلك الاتصال او هو مع غيره اقصى
ما في الباب ان يقال ان كانت هذه الدورة وهذا الاتصال سببا لهذا الكاين لانها
كانت سببا لمثله في الوقت الفلاني لكن هذا ايضا باطل لان كونها سببا للكاين
السابق لا يجب ان يكون لكونها مطلق دورة واتصال بل لعله ان يكون لخصوصية
كونها تلك المعينة التي لا تعود بعينها فيما بعد وح لا يمكن الاستدلال بحصولها على
كون هذا الكاين لان المؤثرات المختلفة لا يجب تشابه اثارها والثاني ايضا باطل
لان العقل يجزم بانه لا اطلاع له على انه لا مقتضي لذلك الكاين من الاسباب
الفاعلة الا الاتصال المعين وكيف وقد ثبت ان من الكائنات ما يفتقر اكثر
من اتصال واحد ودورة واحدة او اكثر واما القابلية فان يعلم ان المادة
قد استعدت لقبول مثل هذا الكاين واستجمعت جميع شرايط قبوله الزمانية
والمكانية والسماوية والارضية وظاهر ان الاحاطة بذلك مما لا يفي به القوة
البشرية واما الصورية والغائية فان يعلم ما يقتضيه استعداد مادة ذلك
المعين وقبولها من الصورة وما يستلزمه من الشكل والمقدار وان يعلم ما غاية
وجوده وما الغرض له للعناية له وظاهر ان الاحاطة بذلك غير ممكنة للانسان
واما احكامهم الكلية فكان يقال كلما حصلت الدورة الفلانية كان كذا
والمنجم انما يحكم بذلك الحكم عن جزئيات من الدورات تشابهت اثارها فظنها
متكررة ولذلك يعدلون اذا حقق القول عليهم الى دعوى التجربة وقد علمت
ان التجربة يعود الى تكرر مشاهدات يضبطها الحس والعقل يحصل منها حكما
كليا كحكمه بان كل نار محرقة فانه لما امكن العقل استثبات الاحراق بواسطة
الحس امكنه الجزم الكلي بذلك فاما التشكلات الفلكية والاتصالات
الكوكبية المقتضية لكون ما يكون فليس شيء منها يعود بعينه كما علمت و
ان جاز ان يكون تشكلات وعودات متقاربة الاحوال ومتشابهة الا انه لا يمكن
للانسان ضبطها والاطلاع على مقدار ما بينها من المشابهة والتفاوت وذلك
ان حساب المنجم مبني على قسمة الزمان بالشهور والايام والساعات

والدرج

والدرج والدقائق واجزائها وتقسيم الحركة بازائها ورفع ما بينهما نسبة عددية
وكل هذه امور حقيقية وانما يوخذ على سبيل التقريب اقصى ما في الباب ان التفاوت
فيها لا يظهر في المدد المتقاربة لكنه يشبه ان يظهر في المدد المتباعدة ومع ظهور
التفاوت في الاسباب كيف يمكن دعوى التجربة وحصول العلم الكلي الثابت الذي
لا يتغير باستمرار اثرها على وتيرة واحدة ثم لو سلمنا انه لا يظهر تفاوت اصلا
الا ان العلم بعود مثل الدورة لا يقتضي بمجرده العلم بعود مثل الاثر السابق لتوقف
العلم بذلك على عود امثال الاسباب الباقية للاثر السابق من الاستعداد
وسائر اسبابه العلوية والسفلية وعلى ضبطها فان العلم التجربي انما يحصل بعد
حصرها والعلم بعودها وتكررها وكل ذلك مما لا سبيل للقوة البشرية الى ضبطه
فكيف يمكن دعوى التجربة اذا عرفت ذلك فنقول **قوله** اتزعم
الى قوله الضر استثبات لما في العادة ان تدعيه الاحكاميون لما ادعاه
المنجم المشير بعدم المسير في ذلك الوقت و **قوله** فمن صدقك بهذا الى قوله
الضرب الذامات له على ما يعتقده تقويتها عن قبول احكام المنجم والاعتقاد
فيه اولها ان من صدقه فقد كذب القران ووجه التكذيب ما ذكرناه الثاني
كون مصدقه يستغني عن الاستعانة بالله في نيل محبوبه ودفع مكروهه
اي يفرغ اليه في كل امر يهتم به ويجعله عمدة له فيعرض عن الفزع
الى الله كما سبق الثالث انه ينبغي للعامل بامره ان يوليه الحمد دون
ربه وعلل هذا الالزام بقياس ضمير من الشكل الاول صورته انك تزعم انك هديت
الى ساعة النفع والضرر وكل من زعم ذلك فقد اهل نفسه لاستحقاق الحمد
من مصدقه دون الله فينتج انه قد اهل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدقه
دون الله والكبرى من المخيلات وقد يستعملها الخطيب للتنفير عن بعض
الامور التي يقصد النهي عنها و **قوله** ايها الناس الى قوله بحر
اوبر تحذير عن تعلمها لما ذكرناه واستثنى من ذلك تعلمها للاهتداء بها
في السفر واعلم ان الذي ذكرناه ليس الا بيان ان الاصول التي بنى عليها
الاحكاميون احكامهم وما يخبرون به في المستقبل اصول غير موثوق بها
فلا يجوز الاعتماد عليها في تلك الاحكام والجزم بها وهذا لا ينافي كون
تلك القواعد ممهدة بالتقريب كقسمة الزمان وحركة الفلك بالسنة والشهر

واليوم ماخوذا عنها حساب يبنى عليه مصالح اقتصادية دينية كمعرفة اوقات
العبادات كالصوم والحج ونحوهما او دنيوية كآجال المداينات وساير المعاملات
وكمعرفة الفصول الاربعة ليعمل في كل منها مايليق به من الحراثة والسفر
واسباب المعاش وكذلك معرفة قوانين تقريبية من اوضاع الكواكب وحركاتها
يهتدى بقصدها وعلى سمتها المسافرون في بر او بحر فان ذلك القدر منها
غير محرم بل تعلمه من الامور المستحبة لخلو المصالح المذكورة فيه عن وجوه
المفاسد التي يشتمل عليها الاحكام كما سبق ولذلك امتن الله على عباده
بخلق الكواكب في قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر
والبحر وقوله ولتعلموا عدد السنين والحساب وقوله فانما الى اخره
تعليل للتحذير عن تعلمها وتنفير عنها بقياس لغو موصول يستنتج منه ان المنجم
في النار وعلى تقدير تفصيله فالنتيجة الاولى كون المنجم كالساحر وهي مع قوله
والساحر كالكافر ينتج ان المنجم كالكافر وهذه النتيجة مع قوله
والكافر في النار ينتج المطلوب وهو ان المنجم في النار والقياسان الاولان من
قياس المساواة وقد علمت انه عند الاخلال الى الحدود المرتبة في القياس المنتج
لان موضوع الكبرى جزء من محمول الصغرى فليس الاوسط متكررا فهو معدول
عن وجهه الى وقوع الشركة في بعض الاوسط ولذلك استحق ان يعد باسم
ويجعل لتعاليه قانون يرجع اليه في امثاله وقد سبق مثله في الخطبة الاولى
واذا حمل على القياس الصحيح كان تقديره المنجم يشبه الكاهن المشبه للساحر
ومشبه الكاهن المشبه للساحر مشبه للساحر فينتج ان المنجم يشبه الساحر
وهكذا في القياس الثاني المنجم يشبه الساحر المشبه للكافر ومشبه الساحر
المشبه للكافر يشبه الكافر فالمنجم يشبه الكافر والكافر في النار فالمنجم
كذلك وهو القياس الثالث ونتيجته فاما بيان معنى الكاهن والساحر و
الاشارة الى وجوه التشبيهات المذكورة فاعلم انا قد اشرنا في المقدمة
الى امكان وجود نفس تقوى على الاطلاع على ما يكون وعلى التصرفات
العجيبة في هذا العالم فتلك النفس ان كانت كاملة خيرة مجذوبة من الله
تعالى بدواعي السلوك الى سبيله ومايقود اليه فهي نفوس الانبياء والاولياء
ذوي المعجزات والكرامات وان كانت ناقصة شريرة منجذبة عن تلك

الجهة

الجهة وغير طالبة لتلك المرتبة بل مقتصرة على رذايل الاخلاق وخسايس الامور
كالتكهن ونحوه فهي نفوس الكهنة والسحرة واعلم ان اكثر مايظهر قوة الكهانة في
نحوها من قوى النفوس في اوقات الانبياء وقبيل ظهورهم وذلك ان الفلك اذا اخذ
في التشكل بشكل يتم به في العالم حدث عظيم عرض من ابتداء اخذه للشكل وغايته
احوال شتى في الارض شبيهة بما يريد ان يتم ولكنها تكون غير تامة لان شبهها غير تام فاذا
استكمل ذلك الشكل في الفلك وتم وجد به في العالم مايقتضيه في اسرع زمان
لسرعة تبدل اشكال الفلك فتظهر تلك القوة التي توجبها ذلك الشكل في شخص
واحد او شخصين او اكثر على حسب مايقتضيه العناية الالهية ويتوقع ذلك الشخص
تلك القوة على الكمال فاما من قرب من ذلك الشكل ولم يستوفه فانه يكون ناقص القوة
بحسب بعده من الشكل وتظهر ذلك النقصان بظهوره النبوة المقصودة بذلك الشكل
فيتبين قصور القوى المتقدمة على النبي والمتاخرة عنه ونقصانها عن ذلك التمام
فاما صفة الكاهن من اصحاب تلك القوة فهو ان صاحب قوة الكهانة اذا احس
بها من نفسه تحرك اليها بالارادة ليكملها فيبرزها في امور حسية ويثيرها في
علامات تجري مجرى الفال والزجر وطرق الحصى وربما استعان بالكلام الذي
فيه سجع وموازنة او بحركة عنيفة من عدو وحثيث كما حكي عن كاهن من الترك
وكما نقل الي من شاهد كاهنا كان في زماننا وتوفي منذ عشرين سنة يلقب
بابا عمر وكان بناحية من ساحل البحر يقال لها تلهاث وانه كان اذا سئل عن امر
استعان بتحريك راسه تحريكا بقوة ويضعف بحسب الحاجة واجاب عقيب
ذلك وقيل انه كان قد يستعين في بعض الاخبارات عن تلك الحركة والغرض من
ذلك اشتغال النفس عن المحسوسات فيتداخل نفسه ويقوى فيها ذلك الاثر
ويهجس في نفسه عن تلك الحركة ماتقذفه على لسانه وربما صدق الكاهن وربما
كذب وذلك انه يتمم نقصه بامر مباين لكماله غير داخل فيه فيعرض له الكذب
ويكون غير موثوق به وربما تهم الكذب خوفا من كساد بضاعته فينتحل
الزرق ويخبر بما لا اثر له في نفسه ويضطر الى التخمين ودرجات هؤلاء متفاوتة ورتبه
بحسب قربهم من الافق الانساني وبعدهم منه وبقدر قبولهم للاثر العلوي و
يميزون عن الانبياء بالكذب ومايدعونه من المحالات وان اتفق ان يلزم
احدهم الصدق فانه لايتجاوز قدره في قوته ويسارع الى التصديق باول

امور يلوح من النبي ويعرف فضله كما روى عن طلحة وسواد بن قارب ونحوهما
من الكهنة في زمان الرسول صلى الله عليه اذا عرفت ذلك فنقول اما قوله
فانها تدعوا الى الكهانة اى انها تدعوا المنجم في اخرة امره الى ان يصير نفسه كالكاهن
في دعوى الاخبار عما سيكون ثم الذكر انها داعية الى التكهن بتشبيهه بالكاهن
واعلم ان الكاهن يتميز عن المنجم بكون ما يخبر به من الامور الكائنة انما هو عن قوة
نفسانية له وظاهر ان ذلك ادعى الى فساد اذهان الخلق واغوائهم لزيادة اعتقادهم
فيه على المنجم واما الساحر فيتميز عن الكاهن بان له قوة على التاثير في امور خارجة
عن بدنه اثارا خارجة عن الشريعة موذية للخلق كالتفريق بين الزوجين و
نحوه وتلك زيادة شر لاصق على الكاهن ادعى الى فساد اذهان الناس وزيادة
اعتقادهم فيه وانفعالهم عنه خوفا ورغبة واما الكافر فيتميز عن الساحر بالبعد
الاكثر عن الله تعالى وعن دينه وان شاركه في اصل الانحراف عن سبيل الله وكل
ضار الضلال والفساد في الارض مشتركا بين الاربعة الا انه مقول عليهم بالاشد
والاضعف فالكاهن اقوى في ذلك من المنجم والساحر اقوى من الكاهن والكافر
اقوى من الساحر ولذلك التفاوت جعل عليه السلام الكاهن اصلا في التشبيه
للمنجم لزيادة فساده عليه ثم الحقه به وجعل الساحر اصلا للكاهن والكافر اصلا
للساحر لان التشبيه يستدعي كون المشبه به اقوى في الوصف الذي فيه التشبيه
واخص به وقد لاح من ذلك ان الوجه التشبيه في الكل هو ما يشتركون فيه من العدول
والانحراف عن طريق الله بالتنجيم والكهانة والسحر والكفر وما يلزم ذلك من ضلال
كثير من الخلق عن سبيل الله وان اختلفت جهات عن العدول بالشدة والضعف
كما بيناه ولما فرغ عليه السلام من تنفير اصحابه عن تعلم النجوم وقبول احكامها و
شغل اذهانهم من ذلك بالتخويف المذكور امرهم بالمسير الى الحرب وروى انه سار
في تلك الساعة الى الخوارج وكان منه ما علمت من الظفر بهم وقتلهم حتى لم يفلت
منهم غير تسعة نفر ولم يهلك من رجاله غير ثمانية نفر كما سبق بيانه وذلك يستلزم
خطار ذلك المنجم وتكذيبه في مقاله وبالله التوفيق والعصمة

## ومن كلام له عليه السلام

بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء
معاشر الناس ان النساء الى اخره

**قوله** لما كانت واقعة الجمل وما اشتملت عليه من هلاك جمع
عظيم من المسلمين منسوبا الى راي امراة الان تنبيه على وجوه نقصان النساء
واسبابه فذكر نقصانهن من وجوه ثلثة احدها كونهن نواقص الايمان واشار الى
جهة النقص فيه بقعود احداهن عن الصلوة والصوم ايام الحيض ولما كان الصوم
والصلاة من كمال الايمان ومتممات الرياضة كان قعودهن عن الارتياض با
الصوم والصلوة في تلك الايام نقصانا لايمانهن وانما رفعت الشريعة عنهن بالعبا د
بين المذكورين لكونهن في حال مستقذرة لا يناسب صاحبها للوقوف بين يدي الملك
الجبار ويعقل للصوم وجه اخر وهو انه تزيد الحائض الى ضعفها ضعفا بخروج
الدم واسرار الشريعة ادق واجل ان يطلع عليها عقول سائر الخلق الثاني كونهن
نواقص حظ واشار الى جهة نقصانه بان ميراثهن على النصف من ميراث الرجال كما قال
تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين والذي يلوح من سر ذلك كثرة
المونة على الرجال وهو اهل التصرف وكون المراة من شانها ان تكون مكفولة محتاجة الى قيم
هو لها كالخادم الثالث كونهن نواقص عقول ولذلك سبب من داخل وهو نقصان
استعداد امزجتهن وقصورهن عن قبول تصرف العقل كما تقبله مزاج الرجل كما نبه
تعالى عليه بقوله فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذ كر
احديهما الاخرى فانه نبه على ضعف القوة الذاكرة فيهن ولذلك جعل شهادة امراتين
بشهادة رجل واحد وله ايضا سبب عارض من خارج وهو قلة معاشرتهن لاهل العقل
والتصرفات وقلة رياضتهن لقواهن الحيوانية واستعمال القوانين العقلية في تدبير
امر المعاش والمعاد ولذلك كانت احكام القوى الحيوانية فيهن اغلب على احكام عقو لهن
فكانت المراة ارق وابكى واحسد والج وابغى واجزع واوقح واكذب وامكر واقبل
للمكر واذكر لمحقرات الامور ولكونها بهذه الصفات اقتضت الحكمة الالهية ان يكون
عليها حاكم ومدبر يعيش بتدبيره وهو الرجل فقال تعالى الرجال قوامون على
النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم ولشدة قبولها للمكر
وقلة طاعتها للعقل مع كونها مشتركة وداعية الى نفسها اقتضت ايضا ان يسن
في حقها التستر والتخدر **قوله** واتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن
على حذر لما نبه على جهات نقصانهن وقد علمت ان النقصان يستلزم الشر
لا جرم نفر عنهن فامر اولا بالخشية من شرارهن وهو يستلزم الامر بالهرب

منهن وعدم مقارنتهن فاما خيارهن فانه امر بالكون منهن على حذر وبيانه
ذلك انه لما كان لابد من مقارنتهن وكان الانسان انما يختار مقارنة الخيرة منهن
فينبغي ان يكون معها على تحرز ويثبت في سياستها وسياسة نفسه معها اذ لم يكن
للخيرة منهن خيرة الا بالقياس الى الشريرة ثم نهى عن طاعتهن في المعروف كيلا
يطمعن في المنكر واشار به الى طاعتهن فيما يشرن به ويامرن مطلقا وان معروفا
صوابا وفيما يطلبنه من زيادة المعروف والاحسان اليهن والى اهلهن بالزينة ونحوها
فان طاعة الانسان لهن فيما يشرن به من معروف يدعوهن الى المشورة بما لا ينبغي و
التسلط على الامر به فان فعل فليفعل لانه معروف لا لانه مقتضى رايهن وزيادة
اكرامهن من مقويات دواعي الشهوة والشر فيهن حتى ينتهي بهن الطمع الى الاقتراح
وطلب الخروج الى المواضع التي تهتك فيها زينتهن ونحو ذلك اذ العقل مغلوب فيهن
بدواعي الشهوات وفي المثل المشهور لا تعط عبدك كراعا فياخذ ذراعا وروي ان رسول
الله صلى الله عليه كان يخطب يوم عيد فالتفت الى صفوف النساء فقال معاشر النساء
تصدقن فاني رايتكن اكثر اهل النار عددا فقالت واحدة منهن ولم يا رسول الله
فقال لانكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير وتمكث احداكن شطر عمرها لا تصوم ولا
تصلي وبالله العصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

ايها الناس الزهادة قصر الامل الى اخره

**اقول** عزب ذهب وبعد واعذر اظهر عذره ومسفرة مشرقة
واعلم ان قوله ايها الناس الى قوله عند المحارم تفسير للزهد وقد رسمه بثلث لوازم
الاول قصر الامل وقد علمت فيما سلف ان الزهد هو اعراض النفس عن متاع الدنيا
وطيباتها وقطع الالتفات الى ما سوى الله تعالى وظاهر ان ذلك الاعراض مستلزم
لقصر الامل في الدنيا اذ كان الامل لا يتوجه الا نحو مامول والملتفت عن الدنيا كيف
يتصور طول امله لشيء منها الثاني الشكر على النعمة وذلك ان العبد بقدر التفاته
عن اعراض الدنيا يكون محبته لله واقباله عليه واعترافه الحق بالائه وذلك
ان الشكر للقلب يثمرها العلم بالمشكور وهو في حق الله ان يعلم انه لا منعم سواه
وان كل منعم يقال في العرف فهو واسطة مسخرة من جهته وتلك الحال يثمر العمل
بالجوارح الثالث الورع وهو لزوم الاعمال الجليلة والوقوف على حدود الله عن
التورط في محارمه وهو ملكة تحت العفة وقد علمت ان الوقوف عن التورط في

المحارم

في المحارم ولزوم الاعمال الجليلة لازمة للالتفات عن محاب الدنيا ولذاتها المنهي
عن الميل اليها وهذا التفسير منه عليه السلام مستلزم للامر به و **قوله** بعد
ذلك فان عزب عنكم الى اخره يحتمل معنيين احدهما وهو الظاهر انه ان بعد عليكم
وشق استجماع هذه الامور الثلثة فالزموا منها الورع والشكر وكانه رخص لهم
في طول الامل وذلك انه قد يتصور طوله فيما ينبغي من عمارة الارض لغرض الاخرة
ولان قصر الامل لا يحصل الا عن غلبة الخوف من الله تعالى على القلب والاعراض بها
الكلية عن الدنيا وذلك في غاية الصعوبة فلذلك نبه على لزوم الشكر والورع
وخفف في طول الامل وفسر الورع بالصبر اذ كان لازما للورع وهما تحت ملكة
العفة ثم تجمع بذكر القلب على مقاومة الهوى وتقدم تذكر للشيطان على لزوم
التذكر الثاني يحتمل ان يكون لما فسر الزهد باللوازم الثلثة في معرض الامر
بلزومها قال بعدها ان صعب عليكم لزوم الشكر والثناء لله ولزوم الاعمال الجليلة
فاعدلوا الى امور اسهل منها قد خفف لهم في طول الامل لما ذكرناه في التذكر للنعم لله
بحيث لا ينسى في الحلبة ويلتفت عنها عوضا من دوام الحمد والثناء ثم في الصبر عند المحارم
وعدم الانقياد للغلبة دواعي الشيطان عوضا من لزوم الاعمال الجليلة عندها فان الصبر
عند شرب الخمر مثلا عند حضورها اهون على الطبع من الصوم عن سائر المباحات و
لزوم سائر الاعمال الجليلة و **قوله** فقد اعذر الى اخره تاكيد لما سبق من امره
بالزهد وجذب اليه واشار بالحجج الى الرسل لقوله تعالى رسلا مبشرين و
منذرين لئلا يكون على الله حجة بعد الرسل ولفظ الحجج مستعار ووجه المشابهة
انه لما كان ظهور الرسل قاطعا السنة حال الظالمين لانفسهم في محفل القيامة عن
ان يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى اشبه
الحجة القاطعة فاستعير لفظها له وباسفارها وظهورها الى اشراق انوار الدين عن
نفوسهم الكاملة على نفوس الناقصين وهو استعارة بالكناية واشار بظهور
عذر الكتب الى ظهور اعذار الله الى خلقه بتخويفهم وترغيبهم وارشادهم الى طرق
النجاة واسناد الاعذار الى الله تعالى استعارة من الاقوال المخصوصة التي يبديها
الانسان عذرا لافعال الله واقواله التي عرف خلقه فيها صلاحهم واشعرهم
فيها بلزوم العقاب لهم لو لم يلتفتوا اليها وبالله العصمة والتوفيق

## ومن كلام له عليه السلام

في ذم الدنيا ما اصف من دار اولها عناء الى آخره

**اقول** العنا التعب وقد ذكر للدنيا في معرض ذمها والتنفير عنها اوصافا عشرة **الاول** كون اولها عناء وهو اشارة الى ان الانسان فيها من لدن ولادته في تعب وشقاء وبلغ في الاشارة الى متاعب الانسان فيها ما ذكره الحكيم برزويه في صدر كتاب كليله ودمنه في معرض تطويع نفسه بالصبر على عيش النساك او لست الدنيا كلها اذى وبلاء اوليس الانسان يتقلب في ذلك من حين يكون جنينا الى ان يستوفي ايامه فانا قد وجدنا في كتب الطب ان الماء الذي يتقدر منه الولد السوي اذا وقع في رحم المراة اختلط بمائها ودمها ثم الريح تمخض ذلك الماء والدم حتى يتركه كالرايب الغليظ ثم يقسمه في اعضائه لايام ايامه فان كان ذكرا فوجهه قبل ظهر امه وان كان انثى فوجهها قبل بطن امها وذقنه على ركبتيه ويداه على جنبيه متقبض في المشيمة كانه مصرور في صرة ويتنفس من متنفس شاق وليس منه عضو الا كانه مقموط فوقه حر البطن وتحته ما تحته وهو منوط بمعا من سرته الى سرة امه ومنها يمتص ويعيش من طعام امه وشرابها فهو في هذه الحاله في الغم والظلمات والضيق حتى اذا كان يوم ولادته سلط الله الريح على بطن امه ويقوى عليه التحريك فتصوب راسه قبل المخرج فيجد من ضيق المخرج وعصره ما يجد صاحب الرهق فاذا وقع الى الارض فاصابته ريح او مسته يد وجد من ذلك من الالم ما يجده من سلخ جلده ثم هو في الوان من العذاب ان جاع فليس له استطعام وان عطش فليس له استسقاء او وجع فليس به استغاثه مع ما يلقى من الرفع والوضع واللف والحل والدهن والمسح اذا انيم على ظهره لم يستطع تقلبا فلا يزال في اصناف هذا العذاب ما دام رضيعا فاذا افلت من ذلك اخذ بعذاب الادب فاذيق منه الوانا وفي الحمية والدواء والاوجاع والاسقام فاذا ادرك فهم المال والاهل والولد والشره والحرص ومخاطرة الطلب والسعي وكل هذا يتقلب معه فيها العداوة الاربعة المرة والبلغم والدم والريح والسم المميت والحيات اللادغة مع خوف السباع والناس وخوف البرد والحر ثم الوان عذاب الهرم لمن بلغه **الثاني** كون اخرها فناء وهو تنفير عنها بذكر غايتها وهو الموت وما يستصحبه من فراق الاهل والاحبه والاشراف على اهواله العظيمة المعضله **الثالث** كونها في حلالها حساب وهو اشارة الى ما يظهر في صحيفة الانسان يوم القيامة من الاثار المكتوب عليه الاستقذار

مما خاض

مما خاض فيه من مباحات الدنيا وتوسع فيه من الماكل والمشارب والمناكح والمراكب وما يلتذ به الهوى نفسه من محبة ذلك فتعوقه عن اللحوق بالمجردين عنها الذين لم يتصرفوا فيها تصرف الملاك فلم يكتب عليهم في شيء منها ما يحاسبون عليه واليه الاشارة سيد المرسلين صلى الله عليه ان الفقراء ليدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وان فقراء امتي ليدخلون الجنة سعيا وعبد الرحمن بن عوف حبوا وما ذاك الا لكثرة حساب الاغنياء وتعويقهم بثقل ما حملوا من محبة الدنيا وقنيتها عن اللحوق بدرجة المخففين منها وقد عرفت كيفية الحساب **الرابع** كونها في حرامها عقاب وهو تنفير عما يوجب العقاب من الاثام تذكرة **الخامس** كونها من استغنى فيها فتن اي كانت محبته لما اقتنى منها سببا لفتنته وضلاله عن سبيل الله كما قال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنه **السادس** كونها من افتقر فيها حزن وظاهر ان الفقير الطالب للدنيا غير الواجد لها في غاية من الحزن والمحنة على ما يفوته منها وخاصة ما يفوته بعد حصوله له **السابع** من ساعاها فاتته واقوى اسباب هذا الفوات ان تحصيلها اكثر ما يكون لمنازعة اهلها عليها ومحادثتهم اياها وقد علمت ثوران الشهوة والغضب والحرص عند المجاذبة للشيء وقوة منع الانسان له وتجاذب الخلق للشيء وعزته عندهم سبب لتفويت بعضهم له على بعض وفيه تنبيه على وجوب ترك الحرص عليها والاعراض عنها اذ كان فواتها اللازم عن شدة السعي في فضلها مكروها للساعين **الثامن** كونها من قعد عنها واتته وهو ايضا جذب الى القعود عنها وتركها وان كان لغرض مواتاتها كما يفعله اهل الزهد الظاهري المشوب بالرياء والسمعة وقد علمت ان الزهد الظاهري المشوب بالرياء والسمعة وقد علمت ان الزهد الظاهري مطلوب ايضا للشارع اذا كان وسيلة الى الزهد الحقيقي كما قال الرسول صلى الله عليه الرياء قنطرة الاخلاص وقد راعى في هذه القراين السجع المتوازي **التاسع** من ابصر بها بصرته اي من جعلها سبب هدايته وبصره استفاد منها البصر والهداية وذلك انك علمت ان مقصود الحكمة الالهية من خلق هذا البدن وما فيه من الالات والمنافع انما هو استكمال نفسه باستخلاص العلوم الكلية وفضايل الاخلاق من تصفح جزئيات الدنيا ومقايسات بعضها الى بعض كالاستدلال بحوادثها وعجايب مخلوقات الله فيها على وجوده وحكمته وجوده وتحصيل

خلها

الهداية بها الى اسرار ملكه فكانت سببا هاديا الى ذلك فلاجل صدق انها تبصر
من ابصر بها العاشر ومن لبصوا ليها اعمته اى من مدّ اليها بصره بصيرته
وتطلع اليها بعين قلبه محبة وعشقا اعمت عين بصيرته عن ادراك انوار الله
والاهتداء لكيفية سلوك سبيله واليه الاشارة بالنهى فى قوله تعالى ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه وقد ظهر الفرق
بين قوله من ابصر بها وابصر اليها ومدح البيه لهذا الفصل مدح فى موضعه

## ومن خطبة له عليه السلام

وهى من الخطب العجيبة وتسمى الغراء

اعلم ان فى هذه الخطبة فصولا الفصل الاول قوله الحمد لله الذى علا بحوله
ودنا بطوله الى قوله وانذار عذره وتقديم نذره اقول
الحول القوة والطول الفضل والمنحة العطية والازل الشدة والنذر النذارة
وقد اثنى على الله تعالى فى هذا الفصل باعتبارات اربعة من نعوت جلاله الاول كونه
عليا واذ ليس المراد به العلو المكانى لتقدسه تعالى عن الجسمية كما سبق فالمراد العلو
المعقول له باعتبار كونه مبدا كل موجود ومرجعه فهو العلى المطلق الذى لا اعلى
منه فى وجود وكمال رتبة وشرف كما سبق بيانه ولما كان ذلك الاعتبار انما يلحقه
بالقياس الى كل موجود صدر عن قدرته وقوته لاجرم جعل المتعلق له مبدا حوله
الثانى كونه دانيا بطوله ولما عرفت ان معنى الدنو والقرب فى حقه تعالى
ليس مكانيا ايضا كان اعتبارا تحدثه عقولنا له من قرب افاضته نعمه على
قوابلها وقربه من ابصار البصائر فى صورة نعمة نعمة منها ولذلك جعل طوله
مبدا الدنو الثالث كونه مانح كل غنيمة وفضل الرابع كونه كاشف كل عظيمة
وازل وهما اشارة الى ان كل نعمة صدرت عنه على قابلها فمبداها جوده ورحمته
سواء كانت وجودية كالصحة والمال والعقل وغيرها او عدمية كرفع الباساء
والضراء واليه الاشارة بقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم الاية و قوله امن يجيب
المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض وقوله احمده
الى قوله نعمه تنبيه للسامعين على مبدا استحقاقه لاعتبار الحمد وهو كرمه
قال بعض الفضلاء الكريم هو الذى اذا قدر عفا واذا توعد عفا واذا اعطى

زاد

زاد على منتهى الرجاء ولم يبال لمن اعطى ولا لمن اعطى وان رفعت الى غيره حاجة
لا يرضى واذا جفى عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به ولا التجا ويغنيه عن الو
سائل والشفعاء فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقة من غير تكلف فهو الكريم
المطلق وليس ذلك الا الله تعالى قلت ولا حاجة لا منع فى رسم هذا الاعتبار انه
يعود الى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على كل من يقدر ان يقبله
بقدر ما يقبله وعواطف كرمه هى نعمه واثاره الخيرية التى تعود على عباده مرة
بعد اخرى وسوابغ نعمه نعمه السابغة التى لا قصور فيها عن قبول قابلها و
قوله واومن به اولا باديا نصبهما على الحال و لشاد بهذين
الوصفين الى الجهة التى هى مبدا الايمان به اذ كان باعتبار كونه اولا هو مبدا
لجميع الموجودات وكونه باديا هو كونه ظاهرا للعقل فى جميع اثاره فباعتبار ظهوره
مع كونه مبدا لكل موجود واولا له يجب الايمان به والتصديق بالالهية و
قوله واستهديه قريبا هاديا فاستهداؤه طلب الهداية منه وقربه
هو دنوه بجوده من قابل فضله وهدايته هبته للشعور لكل ذى ادراك بما هو
اليق به ليطلبه دون ما ليس اليق به وظاهر انه باعتبار هذين الوصفين مبدا
لطلب الهداية منه قوله واستعينه قاهرا قادرا استعانته
طلب المعونة منه على ما ينبغى من طاعته وسلوك سبيله والقاهر هو الذى لا يجر ى
فى ملكه خلاف حكمه نفس بل كل موجود مسخر تحت حكمه وقدرته وحقير فى
قبضته والقادر هو الذى اذا شاء فعل واذا لم يشاء لم يفعل وان لم يلزم انه
لا يشاء فلا يفعل كما سبق بيانه وظاهر انه باعتبار هذين الوصفين مبدا
للاستعانة و قوله واتوكل عليه كافيا ناصرا التوكل كما علمت
يعود الى اعتماد الانسان فيما يرجوه او يخاف على غيره والكافى باعتبار كونه معطيا
لكل قابل من خلقه ما يكفيه استحقاقه من منفعة ودفع مضرة والناصر هو
اعتبار اعطائه للنصر لعباده على اعدائهم بافاضة هدايته وقوته وظاهر
انه تعالى باعتبار هذين الوصفين مبدا التوكل عباده عليه والقاء مقاليد امور هم
اليه قوله واشهد الى اخره تقرير للرسالة وتعيين لاغراضها
وذكر منها ثلثة احدها انفاذ امره والقضاء الثلثة لله وانفاذ امره اجراء
لاحكامه على قلوب الخلق ليقروا بالعبودية له الثانى انها عذره فى اقواله

لاقصور فيها

وافعاله وقد سبق بيان وجه استعارة العذر الثالث تقديم نذره وهو التخويفات
الواردة على السنة الرسل عليهم السلام الى الخلق قبل لقائه الجاذبة لهم الى لزوم طاعته و
لى هو كون الثلاثة اعراضا للبعثة الفصل قوله اوصيكم عباد
الله بتقوى الله الى قوله محاسبون عليها اقول الرياش اللباس
الفاخر وقيل الغنى بالمال وارصد اعد والرفد جمع رفدة وهي العطية والروافغ الا
الواسعة الطيبة وهذا الفصل يشتمل على الوصية بتقوى الله وخشيته والانجذاب
اليه باعتبار امور الاول ضرب الامثال والامثال التي ضربها الله تعالى لعباده في القران
كثيرة منها قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات الى قوله يرجعون والاشارة بهذا المثل الى من كان قد طلب اظهار المعجز
من الرسول صلى الله عليه فلما حضرت لهم لم يتبعوها ورجعوا الى ظلمة جهلهم فهم صم عن
سماع دواعي الله باذان قلوبهم بكم عن ضيا جاءت الله باسرارهم عمي عن مشاهدة انوار الله
بابصار بصائرهم فهم لا يرجعون عن تماديهم في غيهم وكفرهم ومنها قوله او كصيب
من السماء الى قوله قاموا وهو مثل شبه فيه القران بالمطر من الرعد والبرق وشبه
تباعد المنافقين عن الاصغاء الى القران وتغافلهم عن سماع الوعظ بمن يجعل اصابعه
في اذانه خوف الصواعق وقوله يكاد البرق الى اخره اشارة الى من كان يرق قلبه
لسماع الوعظ البالغ اذا قرعه ويميل الى التوبة وينجلي عن قلبه بعض الظلمة فاذا
رجعوا الى قرنائهم اشاروا عليهم بالعود الى دينهم وبذلوا لهم الجهد في التقبيح و
خوفهم بالعجز فيضعف قصودهم و يظلم عليهم شبهات الباطل فيعطل ما كان ظهر لهم من نور
الحق وكذلك باقي امثال الله في كتابه الكريم الثاني قوله ووقت لكم
الاجال اي كتبها بقلم القضاء في اللوح المحفوظ كل الى اجل مسمى ثم يرجع اليه فيجازيه
باعلانه واسراره فيجري ان يتقيه ويعمل للقائه الثالث كونه قد البسهم الرياش
وهو اظهار للمنة عليهم كما قال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم
وريشا ولباس التقوى الاية ليتذكروا انواع نعمه فيستحيوا من مجاهرته بالمعصية
الرابع كونه قد ارفع لهم المعاش اي طاب معايشهم في الدنيا كما قال تعالى ورزقكم
من الطيبات وهو كالثالث الخامس احاطته بهم احصاء كقوله تعالى
لقد احصاهم وعدهم عدا اي احاط بهم علمه واحصاء منصوب على المصدر من غير
لفظ فعله او على التميز وظاهر ان علم العصاة بانه لا يشذ احد منهم عن احاطة علمه

جاذب

جاذب لهم الى تقواه السادس كونه قد ارصد لهم الجزاء كقوله من جاء با
لحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون ومن جاء بالسيئة فكبت
وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون السابع ايثارهم بالنعم السوابغ
والرفد الروافغ كقوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الثامن
انذاره بالحجج البوالغ وهي رسله ومواعظه وساير ما جذب به عباده الى
سلوك سبيله وهو حجة على عصاة لعبده ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا
غافلين التاسع احصاؤه لعددهم كقوله تعالى واحصى كل شيء عددا
العاشر توظيفه لهم المدد وهو كتوقيته لهم الاجال وانما كرر وصفي الاحصاء
والعد وهذين الوصفين ايضا لان الوهم كثيرا ما ينكر احاطته تعالى بالجزئيات
مع عدم تناهيها فيكون ذكر مثبتا على النفس توقيت الاجال لكل شخص شخص
ويقدح في امر المعاد والعقوبات اللازمة لكل احاد الخلق بحسب كل درجة
من الاعمال الفاضحة فكررهما طردا للوهم وكسرا لحكمه ولان ذكر توقيت
الاجال من اشد الجواذب عن الدنيا الى الله قوله في قرار
خبرة ودار عبرة اي محل اختبار الله خلقه ومحل عبرتهم اي انتقال اذهانهم
فيما يحدث من ايات العبرة واثار القدرة والاستدلال بها على وحدانية مبدعها
كما سبقت الاشارة الى معنى الاختبار والاعتبار وكذلك قوله وانتم
فيها مختبرون وعليها محاسبون قد سبقت الاشارة اليه في قوله الا
ان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها وفي هاتين القرينتين مع السجع المتوازي
نوع من التجنيس بين خبرة وعبرة والاختلاف بالحرف الاول
الفصل الثالث قوله فان الدنيا رنق مشربها ردغ مشرعها
اقول الرنق الكدر والردغ الوحل والتراب المختلط بالماء
ويونق يعجب ويوبق يهلك وغرور خداعة مستغفلة للاذهان والحبايل
المنتقلة المتحولة وقمصت الدابة رفعت يديها وطرحتهما وعجنت
برجليها وقنصت صادت واقصدت اصابت القصد والاوهاق جمع
وهق بالفتح وهو الحبل والضنك الضيق واقلع عن الشيء امتنع منه
والاخترام الموت دون المدة الطبيعية وارعوى كف ورجع وحذا
حذو فلان فعل فعله والارسال جمع رسل بالفتح وهو القطيع من الغنم

يتبع القطيع وصيّور الامر ما يرجع اليه منه ومدار هذا الفصل على
التنفير عن الدنيا بذكر معايبها وما تؤول اليه وذكر لها اوصافا الاول
كونها رنق مشربها وهو كناية عن كدر لذاتها بشوائب المصائب من
الهموم والاحزان والاعراض والامراض الثاني كونها ردغ مشرعها و
مشرعها محل الشروع في تناولها والورود في استعمالها وكونه ردغا وصف
للطريق المحسوس استعير له ووجه المشابهة كون طريق الانسان في
استعمال الدنيا والتصرف فيها ذات مزالق ومزال للاقدام يهوي به الى جهنم
لا يثبت فيها الاقدام عقل قد تمرن في ضبط قواه وقهر سطوة شياطينه كما
ان للطريق ذات الوحل كذلك وهو من لطايف اشاراته عليه السلام الثالث
كونها يونق منظرها ويوبق مخبرها وهو اشارة الى اعجابها لذوي الغفلة
بزينتها الحاضرة مع هلاكهم باختيارها وذوقهم لحلاوتها لغرض الالتذاذ
بها الرابع كونها غرورا حايلا يروى بفتح الغين وضمها ومعنى الاول ذات
غرور اي تغر الخلق بزخارفها فيتوهمون بقاها ثم ينتقل عنهم وتحول
ومن روى بالضم جعلها نفسها غرورا والغرور يطلق على ما يغتر به حقيقة
عرفية الخامس كونها ضوءا آفلا استعار لفظ الضوء لما يظهر منها
من الحسن في عيون الغافلين يقال على فلان ضوء اي له منظر حسن او لما ظهر
من وجوه مسالكها فاهتدوا به الى تحصيلها ومداخلها ومخارجها وعلى التقد
يرين فهو ضوء آفل لا يدوم ولفظ الافول ايضا مستعار السادس ظل
زايل استعار لفظ الظل لما يأوي اليه الانسان من نعيمها فيستظل
به من حرارة بؤسها وظاهر كونه زايلا السابع كونها سنادا مايلا استعارة
ايضا للفظ السناد فيما يعتمد الغافلون عليه من قنياتها وخيراتها
التي لا اصل لها ولا ثبات بل هي كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض
ما لها من قرار وذكر الميل ترشيح للاستعارة الثامن كونها تغر الناس
بصورتها وظلها وبهجة منظرها الى غاية ان يستانس بها من كان بعقله
نافرا عنها ويطمئن اليها من كان بمقتضى فطرته منكرا لها حتى اذا كان
ذلك منه طوعا لها فعلت به افعال العدو الجموح ولنسب اليها من الا
فعال امورا احدها قمصها بالارجل واستعار لفظ القمص لامتناعها على

الانسان

الانسان عند حضور اجله كانها تدفعه برجليها مولية عنه كما يفعل الدابة به والترشيح
بذكر الارجل وانما جمع لاعتبار اليدين مع الرجلين وذكره بلفظ الرجل لان القمص
اليها انسب الثاني قنصها له باحبلها وهو كناية عن تمكن حبايل محنها
والحيات الردية المهلكة منها في عنق نفسه كناية بالمستعار الثالث كونها
اقصدت له باسهمها واستعار لفظ الاسهم للامراض واسباب الموت واقصا
دها كناية عن لحاقها بها كناية بالمستعار لاوصاف الرامي تنزيلا للدنيا منزلته
الرابع كونها اعلقة حبال المنية وحبالها استعارة لما تجذب به الى الموت
من ما به اسبابه ايضا وكذلك لفظ القايد استعارة كنى بها عن السياق للمريض
في حبال مرضه الحاصل فيها الى الامور المذكورة من ضنك المضجع وهو القبر
ووحشة المرجع وهو اشارة الى ما تجده النفوس الجاهلة عند رجوعها الى
مبداها من وحشة فراق ما كان محبوبا لها في الدنيا وما كانت الفته من
مال واهل وولد وهي استعارات لاوصاف القايد تنزيلا للدنيا منزلته
ومعاينة المحل اي مشاهدة الاخرة التي هي محل الجزاء وثواب العمل اي جزاؤه
من خير او شر و **قوله** وكذلك الخلف الى آخره اي على الاحوال
المذكورة للدنيا مضى الخلق يتبع خلفهم من سلف منهم لا المنية يقصر عن اخترام
نفوسهم ولا الباقون منهم يرجعون عما هم عليه من ارتكاب الجرائم فيها وا
الغرور بها بل يقتدون بامثالهم الماضين في ذلك ويمضون عليه اتباعا
الى غاية مسيرهم مطايا الابدان ومصيرا مرهم وهو الفناء والعرض على الملك الد
يان وقد راعى ايضا مع السجع التجنيس في قوله يونق ويوبق ونافرها
وناكرها وقمصت وقنصت والاطلاق بحرف او وسط وبالله العصمة والتوفيق
**الفصل الرابع** في الاشارة الى ما يلحق الناس
بعد الموت من احوال القيامة بذكر الهم **قوله** حتى اذا تصرمت
الامور وتقضت الدهور وازف النشور الى قوله ونوال الثواب
**اقول** تصرمت تقضت وازف دنا والضرايح جمع ضريح
وهو الشق في وسط القبر والاوكار الطيور اعشاشها والاوجرة جمع وجار وهو
بيت للسبع ومهطعين مقبلين ورعيلا مجتمعين واللبوس ما يلبس والضروع
الخضوع والانكسار وكاظمة ساكتة والهينمة صوت خفي والجم العرق

بلغ الالم فصار كالجام والشق الاشفاف وهو الخوف والزبره الانتهار المقا بعقه
المعاوضه والنكال تنويع العقوبة واعلم انه قد تطابقت السنة الانبيار
والرسل عليهم السلم على القول بالمعاد الجسماني ونطق به الكتاب العزيز كقوله
تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة الايه بجزءه واتفق المسلمون على القول به واما الحكماء فا
المشهور من مذهبهم منع المعاد الجسماني بنا على ان المعدوم لا يعاد بعينه لامتناع
عود اسبابه باعيانها من الوقت والدورة الفلكية المعينة وغيرهما وربما قال
بعض حكما الاسلام بجواز عود المثل وربما قال بعضهم بظاهر الشريعة في امر المعاد
الجسماني فتوا اثبات السعادة والشقاوة البدنية مع الروحانية قال الرئيس ابو علي
بن سينا في كتاب الشفاء ما هذه حكاية الفاظه يجب ان تعلم ان المعاد منه ما
هو مقبول من الشرع ولا سبيل الى اثباته الا من طريق الشريعة وتصديق خبر
النبوة وهو الذي للبدن عند البعث وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج
ان تعلم وقد بسطت الشريعة الحقة التي اتانا بها سيدنا ومولانا محمد صلى الله
عليه حال الشقاوة والسعادة اللتين بحسب البدن ومنه ما هو مدرك با
العقل والقياس البرهاني وقد صدقته النبوة وهو السعادة والشقاوة البالغتان
الثابتتان بالمقاييس اللتان للانفس وان كانت الاوهام منا تقصر عن
تصورها الان لما نوضح من العلل والحكماء الالهيون رغبتهم في اصابة هذه
السعادة اعظم من رغبتهم في اصابة السعادة البدنية بل كانهم لا يلتفتون
الى تلك وان اعطوها ولا يستعظمونها في جنب هذه السعادة التي هي مقارنة
الحق الاول واعلم ان الذي ذكره عليه السلم هنا صريح في اثبات المعاد الجسماني
ولواحقه فقوله اخرجهم من ضرايح القبور واوكار الطيور واوجرة
السباع ومطارح المهالك اشارة الى جمعه لاجزاء ابدان الناس بعد تشذبها
وتفرقها فيخرج من كان قبر من ضريح قبره ومن كان اكيل طير او سبع
او مقتولا في مطرح الهلاك من معركة الحرب اوغيرها اخرجه من ذلك المكان
وجمع اجزاءه والف بينها فان قلت اذا اكل انسان انسانا واغتذى به
وصارت اجزاء بدنه اجزاء لبدن اكله فكيف يمكن اعادتهما لان تلك الاجزاء
في اي بدن منهما اعتدت لزم نقصان الاخر وبطلانه قلت مذهب

محقق

محققي المتكلمين ان في كل بدن واحد اجزاء اصلية باقية من اول العمر الى اخره
لا يتغير ولا يتبدل واجزاء فضيلة فاذا اعيد يوم القيامة فما كان اصليا من اجزاء
البدن الماكول فهو فضلي البدن الاكل فيرد اليه من غير ان ينقص من الاجزاء الا
صلية للاكل شي ولا عبرة بالفاضلة وما في الفصل غني عن البيان وقال بعض
الفضلاء انه ربما احتملت هذه الالفاظ ان يسلط عليها من التاويل ما يناسب مذهب
القايلين بالمعاد الروحاني فقوله حتى اذا تصرمت الامور اي احوال كل واحد
من الخلق في الدنيا و قوله وتقضت الدهور اي انقضت مدة كل شخص
منهم و قوله وازف النشور اي دنا انتشار كل واحد في عالم الاخرة من
قبور الابدان و قوله اخرجهم من ضرايح القبور استعار لفظ القبور
للابدان وضرايحها ترشيح للاستعارة ووجه المشابهة ان النفس تكون منغمسة
في ظلمة البدن وكدر الحواس متوحشة عن عالمها كما ان المقبور متروع لظلمة القبر
ووحشته منقطع عن الاهل والمال وضمير المخرج يعود الى الله في صدر الخطبة و قوله
واوكار الطيور فاعلم ان العارفين واهل الحكمة كثيرا ما يستعيرون لفظ الطير و
اوصافه للنفس الناطقة والملائكة كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه في
قوله حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول يا اهلي
ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي والرفرفة انما يكون لذي الجناح من الطير
كما جاء في التنزيل الالهي في وصف الملائكة اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع وكما
اشار اليه ابو علي في قصيدته التي اولها هبطت اليك من المكان الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع واشار بالورقاء الى النفس الناطقة وكما اشار اليه
في رسالته المسماة برسالة الطير بقوله برزت طائفة تقتنص فنصبوا الحبائل
ورتبوا الشرك وهيأوا الطعم وتواروا في الحشيش وانا في سربة طير وفخره
ووجه المشابهة في هذه الاستعارة ما يشترك فيه النفس والطير من سرعة
التصرف والانتقال فالنفس بانتقال عقلي والطير بانتقال حسي واذا استعير
لفظ الطير للنفس فبالحري ان يستعار لفظ الوكر للبدن لما بينهما من المشا
كلة وهو كونهما مسكنا لا تسهل مفارقته و قوله واوجرة
السباع استعارة للابدان ايضا والسباع اشارة الى النفوس المطبعة
لقواها الغضبية التي شانها محبة الغلبة والانتقام كما ان السبع كذلك

و قوله ومطار في المهالك اشارة الى الابدان ايضا فانها مطارة في مهالك
الغافلين الذين اتبعوا الشهوات اعني ابدانهم و قوله سراعا الى امره
نصب على الحال لقوله اخرجهم وكذلك ما بعده من المنصوبات وامره هو حكم قضا
به الازلي عليهم بالرجوع اليه وعودهم الى مبداهم و سرعتهم اليه اشارة الى قرب و
صولهم وحرفي اي انقطاع علاقة النفس مع البدن وهو على غاية من السرعة و
و قوله مهطعين الى معاده اشارة الى اقبال النفوس بوجهها على محل عودها
وما اعد لها فيه من خير وشر و قوله رعيلا اشارة الى اجتماعهم في حكم الله
وقبضته و محل الاستحقاق لثوابه وعقابه و قوله صموتا اذ لا السنة لهم
اذن ينطقون بها ويحتمل ان يكون الصمت كناية عن خضوعهم وانقيادهم في ذل
الحاجة وهيبة الجلال و قوله قياما صفوفا فقيامهم استعارة لاستقواء
النفوس بهيبة الله وعظمته وقيامها يتصور كانه على ساق العبودية وذل
الامكان وصفوفا استعارة لانتظامهم اذن في سلك علمه تعالى اذ الكل بالنسبه
الى علمه على سواء كما يستوي الصف المحسوس ويحتمل ان يكون الصف استعارة لمراتبهم
في القرب الى الله تعالى متنازلين متصاعدين و قوله ينفذهم البصر اشارة
الى احاطة علمه تعالى بهم و قوله ويسمعهم الداعي فالداعي هو حكم القضاء
عليهم بالعود واسماعهم عموم ذلك الحكم لهم بحيث لا يمكن ان يخرج عنه منهم احد
و قوله عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة اشارة
الى حالهم التي يخرجون من الاحداث عليها من ذل الامكان ورق الحاجة والخوف
في قبضة الله وهو كقوله تعالى يوم يدعو الداع الى شيء نكر خشعا ابصارهم
ترهقهم ذلة و قوله قد ضلت الحيل اي حيل الدنيا فلا حيلة لهم في
الخلاص مما هم فيه كما كانوا يخلصون بحيل الدنيا من بعض شرورها وانقطع الامل
اي املهم فيها لامتناع عودهم اليها وانقطاع طمعهم في ذلك و قوله وهوت
الافئدة كاظمة اي سقطت النفوس في حضيض الذل والفاقة الى رضا الله
وعفوه ولفظ الكظم مستعار كما سبق و قوله وخشعت الاصوات
مهينمة كقوله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وهو
اشارة الى سؤالهم بلسان حالهم عفو الله ورحمته على وجه الذلة والضعف و
رق العبودية في ملاحظة جلال الله و قوله والجم العرق وعظم الشفق

استعار

استعار لفظ العرق وكنى به عن غاية ما تجده النفس من كرب الم الفراق
ومحبة الله وعدم الانس بعد الموت اذ غاية الخائف التاعب ان يعرق و
يشفق من نزول العقاب به ونسبة الالجام الى العرق نسبة مجازية و قوله
وارعدت الاسماع لزبرة الداعي اشارة الى ما تجده النفس عند تفتيشها المفارقة
واستعار لفظ الزبرة لقهر حكم القضاء للانفس على مرادها قهرا لا يتمكن معه
من الجواب ما الامتناع وفصل الخطاب هو امضاء احكام الله على النفوس عباده
عند الرجوع اليه بتوفيه ما لها واستيفاء ما عليها ومقابلة الجزاء معاوضتها
بما اتت به اما من الملكات الرديه فبنكال العقاب واما من الملكات الفاضلة
فبنوال الثواب وهبة كل بقدر استعداده وقبوله واعلم ان العدول الى المجازات
والاستعارات عن حقايق الالفاظ والى التاويل عن الظواهر انما يجوز حيث يصح
في كلام الله وكلام رسوله واوليائه اذا عضده دليل عقلي يمنع من اجراء الكلام
على ظاهره ولما اعترف القوم بجواز المعاد الجسماني في تقليد الشريعة ولم يقم دليل
عقلي يمنع منه لم يمكننا الجزم اذن بصحة هذه التاويلات وامثالها

**الفصل الخامس** في تنبيه الخلق على اوصاف حالهم المنافيه
لما هم عليه من التجبر والاعراض عما خلقوا لاجله لعلهم يتذكرون و قوله
عباد مخلوقون اقتدارا و مربوبون اقتسارا ومقبوضون احتضارا ومضمنون
اجداثا وكائنون رفاتا ومبعوثون افرادا ومدينون جزاء ومميزون
حسابا قد امهلوا في طلب المخرج وهدوا سبيل المنهج اقول القسر
القهر والجبر والاجداث القبور واحدها جدث والرفات الفتات من العظم
ونحوه ومدينون مجزيون والمستعتب المسترضى والسدف جمع سدفة و
هي ظلمة الليل والريب الشبه والشكوك والارتياد الطلب وذكر من تلك الاو صاف
ثلثة عشر وصفا الاول كونهم مخلوقين اقتدارا اي خلقهم ليس لذواتهم بل بقدرة
قادر مستقلة عن مشاركة الغير وذلك مناف لعصيانهم له الثاني كونهم
مربوبون اقتسارا اي ليس ملك مالكهم لهم عن اختيار منهم حتى يكون لهم الخيرة
في معصيته وطاعته الثالث كونهم مقبوضين احتضارا اي مستحضرون
بالموت مقبوضون به الى حضرة جلال الله الرابع كونهم من شانهم ان يضمنوا الا
جداث الخامس ان من شانهم ان يصيروا رفاتا السادس ان من شانهم ان يبعثوا

افرادا كما قال تعالى وكلهم اتيه يوم القيامة فردا اى مجردا عن استصحاب غيره معه
من اهل ومال السابع انهم مدينون جزاء ومن شانهم ذلك والجزاء مصدر انتصب بفعل
فعله الثامن ان من شانهم ان يجزوا حسابا اى يحصون عددا كقوله تعالى لقد
احصاهم وعدهم عدا وحسابا ايضا مصدرا ينتصب عن غير فعله التاسع كونهم قد اهملوا
في طلب المخرج اى انما امهلوا في الدنيا لطلب خلاصهم وخروجهم من ظلمات الجهل وورطات
المعاصى الى نور الحق ومنبع الجود العاشر كونهم قد هدوا سبيل المنهج اى الحوا
بابل فطرهم ودلوا باعلام الواضحة من الانبياء والشرايع على الطريق الى حضرة قدس
الله والجنة الحادى عشر كونهم قد عمروا امهل المستعتب لما كان من يطلب استعتابه
ويقصد رجوعه عن غيه يمهل ويدارى طويلا كانت مهلة الله لخلقه مدة اعمارهم
ليرجعوا الى طاعته ويعملوا صالحا يشبه ذلك فنزلت منزله وعمل ينتصب على المصدر
لان التعمير امهال الثانى عشر كونهم قد كشفت عنهم سدف الريب اى ازال عن ابصار
بصايرهم ظلم الشكوك والشبهات والجهالات بما وهبه لهم من العقول وايدهم به من
بعثه الرسل الثالث عشر كونهم قد خلوا مضمار الجياد اى تركوا في الدنيا ليضمروا انفسهم
بازواد التقوى ولما استعار لفظ المضمار رشح بذكر الجياد ذ غرض المضمار ان تجرى
به جياد الخيل وفيه تنبيه لهم على ان يكونوا من جياد مضامرهم وقد سبق وجه الاستعارة
ومعنى التضمير في قوله الا وان اليوم المضمار وكذلك خلوا الروية الارتياد
اى ليتفكروا في طلب ما يتخلصون به الى الله تعالى من سابر طاعاته وكذلك ليتا
من اناة المقتبس للانوار الالهية الطالب للاستنارة بها في مدة اجالهم ومحل اضطرابهم
في مهلتهم وتحصيلهم لما ينبغى لهم من الكمالات ومن هلك من عبيده هذه الحالات وافاض
عليهم ضروب هذه الانعامات فكيف يليق باحدهم ان يجاهره بالعصيان او يجاهر
ان يقابله بالكفران اذ الانسان لكفور مبين الفصل السادس
في التنبيه على فضل موعظته وتذكيره ومدحها بالبلاغة والتعريض بعدم القلوب
الحاملة لها ثم الحث على التقوى فقوله فيا لها امثالا صايبة ومواعظ
شافية امثالا ومواعظ نصب على التميز وصواب الامثلة مطابقتها للممثل به وشفاء
الموعظة تاثيرها في القلوب لازالة مرض الجهل والرذايل الخلقية ورجوع
المتعظ بها منيبا الى ربه وقوله لو صادفت قلوبا زاكية واسماعا
واعية واراء عازمة والبابا حازمة فذكاء القلوب استعدادها لقبول العظة

ودفعها

وقربها من ذلك ووعى الاسماع فهم القلوب عنها وانما وصفها بالوعى لانها ايضا
قابلة لنشور المعانى مودية لها الى قوة الحس ثم الخيال وعزم الاراء توجيه
الهمة الى ما ينبغى والثبات على ذلك وحزامة الالباب جودة راى العقول
فيما تختاره وظاهر ان هذه الثلثة هى اسباب نفع الموعظة وقوله فاتقوا
الله الى قوله مقامه امر بتقوى الله تقية كتقوى من استجمع جميع هذه الاوصاف
احدها تقية من سمع فخشع اى تقية من استعد قلبه بسماع الموعظة فخشع عندها
لله الثانى تقية من اقترف فاعترف اى اكتسب الذنوب فاعترف بها واناب
الى الله الثالث تقية من وجل اى خاف ربه فادركه خوفه فعمل اى فالتجا الى
الاعمال الصالحة ليخلو بها الرابع تقية من حاذر اى عقاب ربه فبادر اى الى طاعته
الخامس تقية من ايقن اى بالموت ولقاء ربه فاحسن اى فاحسن عمله واخلصه
له السادس تقية من عبر اى زجر بالعبر وذكر بها فاعتبر اى فجعلها سلما يعبر فيها
ذهنه الى العلم بما ينبغى له السابع وحذر اى من سخط الله وعقابه فازدجر اى
فرجع عن معصيته الثامن تقية من اجاب اى اجاب داعى الله فاناب اى
رجع اليه بسره وامتثال امره التاسع تقية من راجع اى راجع فكره وعقله
فتاب اى فاستعان به على شياطينه وقهر نفسه الامارة بالسوء فتاب منها بعقلها
العاشر تقية من اقتدى اى بانبياء الله واوليائه وهداتهم للذين اتوا به فا
حتذى اى حذا حذوهم في جميع احوالهم في طلب مقصدهم وفعل فعلهم الحادى عشر
تقية من ارى اى الحق فاطهرت لعين بصيرته طريق الله وسبيله
فراى اى فنظر فيها واسرع طالبا لما تسلكه وينتهى اليه ونجا فيها هاربا من ظلمات
جهله وشرائه فافاد ذخيرة اى فاستفاد سلوكه لها وطاعته لربه في ذلك
ذخيرة لمعاده واطاب بسلوكها سريرته عن نجاسات الدنيا وعمرها بما يكتسبه في
سلوكها من الكمالات المستعدة لمعاده واستظهر به زادا اليوم رحيله من دنياه
واستعد به لوجه سبيله التى هو سالكها ومسافر فيها ولحال حاجته ولموطن
فاقته فان كل مرتبة من الكمال حصلت للانسان فهى تعده لمرتبة اعلى منها الى ان يحصلها
لظهور له حاجته في الاخرة الى اقل منها حيث لا يجد اليها سبيلا وكذلك قوله
قدم اى ما استظهر به زادا امامه اى تلقاء وجهته التى هو مستقبلها ومنتهاه
اليها لدار مقامه اى الاخرة وقوله فاتقوا الله جهة ما خلقكم له

لك باعتبار ما خلقكم له ولما كان ما خلقهم له انما هو عرفانه والوصول اليه كان لعل
اجعلوا تقواكم لعله نظرا الى تلك الجهة والاعتبار للقربات والسمعة وجهة منصوب على
الظرف ويحتمل ان تكون مفعولا به لفعل مقدر اى واقصدوا بتقواكم جهة ما خلقكم له
وقوله ولحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه اى اسلكوا في حذركم منه كنه
تحذيره لكم من نفسه بما توعد به وذلك الحذر انما يحصل بالبحث عن حقيقة المحذور عنه
والسالكون الى الله في تصور ذلك على مراتب متفاوته و قوله وانتجزوا
منه ما اعدكم بالتنجز لصدق ميعاده لاستحقاق ما وعد الله به تعالى من بالتنجز
جزيل الثواب انما يحصل بالاستعداد له فهو امر بالاستعداد له والاستعداد يحتاج
الى اسباب فذكرها عليه السلم في امرين احدهما التنجز لصدق ميعاده والتنجز
طلب انجاز الوعد وقضايه وذلك انما هو بالاقبال على طاعته كما قال تعالى وعد
الله الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار الايه ونحوها والثاني
الحذر من اهوال معاده وذلك باجتناب مناهيه والارتداع بزواجره ونواهيه
منها قوله جعل لكم اسماعا لتعى في هذا الفصل فصلين

الفصل الاول في تذكر عباد الله بضروب نعمته عليهم والتنبيه
على الغاية منها ثم التذكر بحال الماضين من الخلق والتنبيه على الغاية منها ثم التذكر
بحال الماضين من الخلق والتنبيه الى علو الاعتبار بهم وهو في معرض الامتنان وذلك
قوله عليه السلم جعل لكم اسماعا لتعى ما عناها وابصارا لتجلوا عن عشاها
واشلاء جامعة لاعضايها ملائمة لاحنايها في تركيب صورها ومدد عمرها بابدان
قايمة بارفاقها وقلوب رايدة لارزاقها من مجللات نعمه وموجبات مننه
وحواجز عافيته وقدر لكم اعمارا سترها عنكم وخلف لكم عبرا من اثار الماضين قبلكم
من مستمتع خلاقهم ومستفسح خناقهم ارهقتهم المنايا دون الامال وشذبهم عنها
تخرم الاجال لم يمهدوا في سلامة الابدان ولم يعتبروا في انف الاوان فهل ينتظر اهل
بضاضة الشباب الا حواني الهرم واهل غضارة الصحة الا نوازل السقم واهل مدة
البقاء الا اونة الفناء مع قرب الزيال وازوف الانتقال وعلز القلق والم المضض
وغصص الجرض وتلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة والاقرباء والاعزة والقرناء
فهل دفعت الاقارب او نفعت النواحب وقد غودر في محلة الاموات رهينا و
في ضيق المضجع وحيدا قد هتكت الهوام جلدته وابلت النواهك جدته

وعفت

وعفت العواصف اثاره ومحا الحدثان معالمه وصارت الاجساد شحبة بعد
بضتها والعظام نخرة بعد قوتها والارواح مرتهنة بثقل اعبائها موقنة بغيب
انبائها لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيئ زللها اولستم ابناء القوم
والاباء واخوانهم والاقرباء تحتذون امثلتهم وتركبون قدتهم وتطاون
جادتهم فالقلوب قاسية عن حظها لاهية عن رشدها سالكة في غير مضمارها كان
المعنى سواها وكان الرشد في احراز دنياها اقول عناها
اهمها والعشى ظلمة تعرض للعين بالليل والاشلاء جمع شلو وهو الجسد والحنو الجانب
والارفاق المنافع وروى بارماقها والرمق بقية الروح والخلاق النصيب والخناق
بالكسر حبل تخنق به والارهاق الاعجال والتشذيب التفريق والتمهيد الامر محققا و
مشذدا اى هياه وانف الاوان اوله والبضاضة امتلاء البدن وقوته والهرم الكبر
وغضارة العيش طيبه واونة جمع اوان كازمنة جمع زمان والزيال المزايلة وازوف
قرب والعلز كالرعدة تاخذ المريض والجرض ان يبتلع ريقه على هم وحزن
والحفدة الاعوان وغودر ترك والنهك الخلقة والابلاه والعالم الاثار والشحب الهالك
الناحل والنخرة البالية والاعباء الاثقال والقدة بكسر القاف والدال المهملة الطريقة
وروى بضم القاف والذال المعجمة والاول اجود ولنرجع الى المعنى فقوله
جعل لكم الى قوله باوقاتها مذكر بنعمة الله تعالى بخلق الابدان وما يشتمل عليه
من المنافع ففايدة الاسماع ان تعى ما خلقت لاجله وفايدة الابصار ان يدرك بها
الانسان عجايب مصنوعات الله تعالى فيحصل له عبرة ولفظ يحتمل ان يكون
مستعارا لظلمة الجهل العارض لابصار القلوب حتى يكون التقدير لتجلو عشا قلو
بها و ح فادراك البصر المحض عبرة يحصل للقلب به جلاء لذلك العشا ففي اذن
اسناد الجلاء الى الابصار ويحتمل ان يكون مستعارا لعدم ادراكها ادراكا يحصل منه
عبرة اذ كانت فايدتها ذلك فاذا لم يحصل منها ذلك الادراك كانت كبصر صاحبه
العشاء و وجه المشابهة عدم الفايدة ونسبة الجلاء اليها بوجود الادراك المفيد
عبرة عنها وهو استعارة ايضا وعن لبيان بزايدة لان الجلاء يتعدى يجلوه ويجلوا
عنه فذكر عليه السلم المجلو واقامة مقام المجلو عنه فكانه قال لتجلوا عن قواها
عشاها واما فايدة البدن واعضايه فقد اشرنا اليه مفصلا و قوله
قائمة بارفاقها اى كل بدن قايم في الوجود بحسب ما يحتاج له من ضروب المنافع

و **قوله** وقلوب رامدة الى قوله سترها عنكم اظهار لمنة الله تعالى على عباده
بخلقه لهم وهدايته لنفوسهم لارتياد ارزاقها التي بها قوام حيوتها الدنيا وتمكنها من اصلاح
معادها ثم باعتبار كونهم في محللات نعمه وسوابغها منها ستره عليهم قبائح اعمالهم ان
يظهر سواء ضيق خواطرهم لبعضهم لبعض بحيث لو اطلع كل على ماله في ضمير صاحبه
من الحقد والحسد وتمنى زوال نعمته لافنى بعضهم بعضا وخرب نظام وجودهم وموجبات
منته نعمه التي يتوجب ان تحف بها ومن روى بفتح الجيم فالمراد بالمنن ايضا النعم و
موجباتها ما سقط منها وافيض على العباد وحواجز عافيته ما منع منها عوائد العوارض
والمضار المندفعة بها وانما ذكر ستر كمية الاعمار في معرض المنة لانه من النعم العظيمة
على العبد اذ كان اطلاع الانسان على كمية عمره مما يوجب اشتغال خاطره لخوفه
من الموت عن عمارة الارض ويبطل بسببه نظام هذا العالم و **قوله**
وخلف لكم عبرا وجه من منن الله تعالى على عباده فان ابقائه احوال الماضين وما
خلفوه عبرة للاحقين سبب عظيم لجذبهم عن دار الغرور ومهاوي الهلاك الى سعادة
الابد ومستمتع خلاقهم محل ما استمتعوا به مما كان نصيبا لكل منهم في مدة بقائه
من متاع الدنيا ومستفسح خناقهم محل الفسحة لاعناقهم من ضيق حبائل الموت
واغلال الجحيم وذلك المستفسح هو مدة حياتهم ايضا ثم اردف ذلك بوصف حال الماضين
في غرورهم وذكر اعجال الموت لهم عن بلوغ امالهم وتشذبه لهم باخترامهم عنها ونبه
به على وجوب تقصير الامل والاستعداد للموت وكذلك نبههم بقوله لم يمهدوا الى
**قوله** الاوان تقصير الماضين في اصلاح معادهم حيث امكنتهم
ذلك في سلامة ابدانهم واول زمانهم ليحصل لهم بذلك التذكير نفرة عن حال السابقين
وانزعاج عن الغرور بالتقوى والاعمال الصالحة ثم استفهمهم عما ينتظر الشباب
بشبابهم غير حواني الهرم واهل الصحة بصحتهم غير عوارض الاسقام والمعمرون بطول
اعمارهم غير الفناء استفهاما على سبيل الانكار لما ينتظرونه غير هذه الامور وتقريعا
على ذلك الانتظار وتنفيرا عنه بذكر غاياته التي حصره فيها واعلم ان ذلك ليس
انتظارا حقيقيا لكن لما كان المنتظر لامر والمترقب له تاركا في اكثر احواله
لما يغنيه من الاشتغال الى غاية ان يصل اليه ما ينتظره وكانت غاية الشباب
ان تحني ظهورهم الهرم وغاية الصحيح ان يسقم وغاية العمر ان يفنى اشبه تركهم العمل
وعبادة الله الى غاياتهم المذكورة الانتظار لها فاستعير له لفظ الانتظار ثم كنى

عن شدة

عن شدة حال المفارق في سكرات الموت باوصاف تعرض له من كالرعدة
والقلق والغم والخوف والغصص بالريق والتلفت للاستعانة بالاعوان والاقرباء
والاعزة ثم نبه بقوله فهل دفعت الاقارب او نفعت النواحب اي البواكي على ان ما يقع
عند نزول الموت من تلك الاحوال لا ينفع في دفعه قريب ولا حبيب على طريق الاستفهام
والانكار و **قوله** وقد غودر الجملة في محل النصب على الحال والعامل فيها نفعت
اي لم ينفعه البكاء حال ما غودر في محلة الاموات بالاوصاف الكريهة تنفيرا عن اهواله
وجذبا الى الخلاص من اهوالها بالعمل لله والاخلاص له ورهينا اي مقيما او مرتهنا
بذنوبه وموثوق بها ونصبه على الحال وكذلك وحيدا او موضع قوله قد هتكت
وما في الافعال المعطوفة عليه والهوام الديدان المتولدة من جيفته وغيرها وقوله
والارواح مرتهنة بثقل اعبائها اشارة الى اشتغال النفوس وانحطاطها الى الجنبة
السافلة بثقل ما حملته من الاوزار والتبعية من الهيئات الردية وما يتحقق غيبته
من الانباء عنها هو الاخبار عن الاحوال اللاحقة بها بعد الموت ومن خير وشر فانها
يتحقق غيبتها عن اهل الدنيا او انباء ما خلفته من الفواحش الدنيوية فانما يتحقق بعد
الموت غيبتها وانقطاعها عنها والاول اولى و **قوله** لا تستزاد من صالح
عملها ولا يستعتب من سيئ زللها اي لا يطلب منها زيادة من العمل الصالح ولا العتاب من
سيئ زللها ورجوع عنها كقوله تعالى وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وذلك لعدم الة
العمل وامتناع الرجوع اليه وعدم تمكنها من نزع ما صار في عنقها من طوق الهيئات
البدنية كما قال تعالى قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها
بها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون و **قوله** اولستم ابناء القوم
واخوانهم والاقرباء اي اولستم فيكم من هو ابن لاحد اولئك او ابن له او اخوه او قريبه
وهو تنبيه للسامعين على وجه العبرة فانه لما شرح حال الماضين في الموت وما بعده
نبههم على انهم امثالهم في كل تلك الاحوال ليرجعوا الى تقوى الله الذي هو سبب النجاة
من تلك الاحوال و **قوله** تحتذون امثلتهم اي تقتدون بهم في افعالهم وتسلكون
مسالكهم في غرورهم وغيره كما قال تعالى حكاية انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مقتدون و **قوله** فالقلوب قاسية عن حظها اي لا استعداد لها يقبل به
حظها الذي ينبغي لها طلبه لاهية عن رشدها غافلة عن طلب هدايتها سالكة في
غير مضمارها المضمار هنا هو الشريعة واوامر الله تعالى وسلوكها لغيره ارتكابها للمناهي

الله ورياضتها بالاعمال الصالحة التي هي طريق الجحيم وقوله كان المعز
سواها وكان الرشد في احراز دنياها مبالغة في ذكر اعراض القلوب وغفلتها
عن المواعظ وانهماكها في تحصيل الدنيا الى غاية ان اشتهت من لم يكن معتنيا
بالخطاب بها اوان الرشد الذي جذبت اليه انما هو في تحصيل الدنيا وجمعها
الذي جذبت عنه وحذرت منه

## الفصل الثاني

في التذكير بامر الصراط والتحذير من اهواله
والحث على التقوى وذكر قوله

واعلموا ان مجازكم على الصراط ومزالق دحضه واهاويل زلله وتارات اهواله
الى قوله وحذر ما كمن اقول المزلق الموضع الذي لا يثبت عليه
قدم والدحض الزلق والتهجد العبادة بالليل واصله السهر والغرار النوم القليل واوجز
اسرع والمخالج الامور المشغلة الجاذبة والكمش امضى عزمه ومضى قدما لم يعرج و
اعلم ان الصراط الموعود به في القران الكريم حق يجب الايمان به وان اختلف الناس في حقيقته
فظاهر الشريعة والذي عليه جمهور المسلمين ومن اثبت المعاد الجسماني يقتضي انه جسم
في غاية الدقة والحدة ممدود على جهنم وهو طريق الى الجنة يجوزه من اخلص لله ومن
عصاه سلك عن جنبتيه احد ابواب جهنم واما الحكماء فقالوا حقيقته وما قيل في حقه
انه كالشعر في الدقة فهو ظاهر بل نسبة الشعرة اليه كنسبتها الى الخط الهندسي الفاصل
بين الظل والشمس الذي من احدهما فهو كذلك الخط الذي لا عرض له اصلا وحقيقته هو
الوسط الحقيقي بين الاخلاق المتضادة كالسخاوة بين التبذير والبخل والشجاعة
بين التهور والجبن والاقتصاد بين الاسراف والتقتير والتواضع بين التكبر والمهانة
والعفة بين الشهوة والخمود والعدالة بين الظلم والانظلام فالاوساط من هذه الاطراف
المتضادة هي الاخلاق المحمودة ولكل واحد منها طرفا تفريط وافراط هما مذمومان
وكل واحد منها هو غاية البعد بين طرفيه وليس من طرف الزيادة ولا من طرف
النقصان قالوا وتحقيق ذلك ان كمال الانسان في التشبه بالملائكة وهم
منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة وليس في امكان الانسان الانفكاك عنها
بالكلية فغايته التباعد عنها الى الوسط تباعدا يشبه الانفكاك عنها فالسخي كانه
لا بخيل ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق الذي لا ميل له الى احد الجانبين
ولا عرض له وهو ادق من الشعر ولذلك قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا

بين

بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل وروي عن الصادق عليه السلام وقد سئل
عن قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال يقول ارشدنا للزوم الطريق المؤدي
الى محبتك والمبلغ دينك والمانع من ان نتبع اهواءنا فنعطب او ناخذ بارائنا فنهلك
وعن الحسن العسكري عليه السلام الصراط صراطان صراط في الدنيا وصراط في
الاخرة فاما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير
واستقام فلم يعدل الى شيء من الباطل والصراط الاخر هو طريق المؤمنين الى الجنة لا يعدلون
عن الجنة الى النار ولا الى غير النار سوى الجنة والناس في ذلك متفاوتون فمن
استقام على هذا الصراط وتعود سلوكه مر على صراط الاخرة مستويا ودخل الجنة
امنا اذا عرفت ذلك فنقول مزالق الصراط كناية عن المواقع التي هي مظان
انحراف الانسان عن الوسط بين الاطراف المذمومة وتلك المواضع هي مظان الشهوات
والميول الطبيعية واهاويل زلله هي ما يستلزمه العبور الى احد طرفي الافراط
والتفريط من العذاب العظيم في الاخرة وتارات اهواله تكرار ذلك تارة بعد اخرى
وقوله فاتقوا الله عود الى الامر بتقوى الله تقية من استجمع اوصاف
الايمان احدها تقية من شغل التفكر قلبه اي في امر معاده عن محبة الدنيا وبا
طلها الثاني وانصب الخوف بدنه اي اتعبه وانحله خوف الله تعالى وما اعد
للعصاة من الاهوال الثالث واسهرت للعبادة غرار نومه اي لم يترك له
نوما الرابع واظمأ الرجاء هواجر يومه اي اظماه رجاء ما اعد الله للاولياء يه
الابرار عوضا من طيبات هذه الدار وظماؤه في هواجر يومه كناية عن كثرة
صيامه في الشدة لقوة حرارة وانما جعل الهواجر مفعولا لاقامة الظرف مقام
المظروف وهو من وجوه المجاز الخامس وطفا الزهد شهواته استعار الاطفاء
الاطفاء للزهد وهو من اوصاف الماء ونسبته الى النار نسبة الزهد الى الشهوات
ولاحظ الشبه بين الشهوات والنار في تاثيرهما المؤذي وبين الزهد والماء لما
يستلزمانه من كون الاعراض عن الدنيا يستتبع قهر الشهوات ودفع مضارها
كما يفعله الماء بالنار السادس واسرع الذكر الى لسانه اي تعوده اياه وادامه
منه السابع وقدم الخوف لامانه اي خوف ربه فعمل مخلصا له ليامن عذابه
الثامن وتنكب المخالج اي عدل عن الامور المشغلة له الى واضح سبيل الله
التاسع وسلك اقصد المسالك اي اولاها بالقصد الى النهج الواضح والطريق

المطلوب لله من خلقه وهو سبيله المستقيم فان للناس في سلوك سبيل الله مذاهب
كثيرة ولكن احبها اليه اولاها بالقصد الى طريقه الموصل اليه العاشر ولم يعقله
فاتلات الغرور اى لم تهلكه غفلاته في لذات الدنيا عن ربه اذ لم يغفل عن طاعته
الحادى عشر ولم تعم عليه مشتبهات الامور اى لم تظلم في وجهه شبهة على
حق فينسد عليه وجه تخليصه الثانى عشر طافرا بفرحه البشرى الى بشرى
الملايكة يومئذ بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار الثالث عشر والراحة
النعمى اى الراحة من مشاق الدنيا ومتاعبها بنعمى الاخرة ونعيم الله في الجنة
الرابع عشر في انعم نومه اى في اطيب راحته واطلق لفظ النوم على الراحة
في الجنة مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه الخامس عشر وامن يومه اى امن
اوقاته واطلق لفظ اليوم على مطلق الوقت مجازا اطلاقا لاسم الجزء على الكل السادس
عشر قد عبر معبر العاجلة اى الدنيا حميدا اى محمود الطريقه السابع عشر وقدم
زاد الاجلة سعيدا اى عمله للاخره محصل على السعادة الابدية و حميدا وسعيدا
حالان الثامن عشر وبادر من وجل اى الى الاعمال الصالحة من وجل خوف لله
التاسع عشر واسرع في مهل اى الى طاعة ربه ايام مهلته وهى حياته الدنيا
العشرون ورغب في طلب اى كان طلبه لله عن رغبة له الحادى والعشرون
وذهب عن هرب اى كان ذهابه عما يبعد عن الله عن هرب عن خوف لله و
في كل قرينتين من هذه العشر السجع المتوازى الثانى والعشرون وراقب في يومه
غده اى توقع في ايام حياته هجوم اخرته الثالث والعشرون ونظر
قدما امامه اى لم يلتفت في نظره عن قصد الله الى غيره ثم نبه بقوله
فكفى بالجنة ثوابا ونوالا على وجوب السعى لها دون غيرها ثم بكون النار وبالا و
عقابا على وجوب الهرب منها دون غيرها وبقوله وكفى بالله منتقما ونصيرا
على وجوب الاقتصار على خشيته والاستعانة به وبقوله وكفى بالكتاب حجيجا
اى محتجا وخصيما على وجوب الانفعال عنه وملاحظة شهادته في الاخرة على
من لم يتبعه ونسبة الاحتجاج والخصام الى الكتاب مجازا والمنصوبات
بكفى على التميز قوله اوصيكم بتقوى الله عود الى الحث على تقوى الله
باعتبار امور ثلثة احدها اعذاره الى الخلق بما انذرهم به من العقوبات الثانى
احتجاجه عليهم بما اوضحه بالدلايل والبينات الثالث تحذيره لهم ابليس

وعداوة

وعداوته وقد سبق معناه في الخطبة الاولى و ذكر له اوصافا منها كونه نفذ في
الصدور خفيا والاشارة به الى النفس الامارة بالسوء وتجوز بلفظ الصدور في
القلوب اطلاقا لاسم المكان على المتمكن وكونه نفث في الاذان نجيا وهو اشارة الى
ما يلقنه شياطين الانس بعضهم الى بعض من زخرف القول وغروره و قد سبق ذلك
في الخطبة الاولى وكونه اضل اى جذب عن طريق الله فاردى اى فالقاه في
قرار الجحيم ووعد ومنى اى بلوغ الامال الكاذبه وزين سيئات الجرايم اى قبايح
المعاصى وهون موبقات العظايم اى ما يهلك من عظم الذنوب وتهوينه لها
تمثيل تمنيته التوبه ومساعدة العقل له بقوله ان الله غفور رحيم وتمثيل الا
قدار بالخير الذى هو اولى بالعفة مثلا او اكبر قدرا في الدنيا وساير اصناف الو
ساوس كما عرفت حقيقتها و قوله حتى اذا استدرج قرينته واستغلق
رهينته فقرينته هى النفس الناطقه باعتبار موافقته وهى رهينته باعتبار ارتها طه
الذنوب بها من قبله كما استغلق الرهن بما عليه من المال ولفظ الرهينة مستعار
واستدراجه لها تزيينه حالا بعد حال وتعويدها بطاعته و قوله انكر
ما زين الى اخره اشارة الى غايته من وسوسته ويعود من النفس الامارة بالسوء
الى موافقتها الحكم العقل في قبح ما كانت اغرت به واستعظام خطره ومساعدتها
على التحذير منه بالامتناع من تحسينه بعد ان كانت تحث عليه وتزيينه وتومن
منه وذلك اما عند التوبه وقهر العقل لها او عند معاينة المكروهات الجزئية
من العقوبات والالام اما في الدنيا او بعد المفارقه والحصول في عذاب الجحيم بسبب
الانهماك فيما كانت زينته من الباطل وذلك ان النفس اذا فارقت البدن حملت
معها القوة المتوهمة فيدرك ما يلحقها من جزئيات العقوبات كعذاب القبر
وما يتنوع منه كما سبقت الاشارة اليه وقد يتصور ذلك من شياطين الانس في
تزيينهم الجرايم واما من الشيطان الظاهر فظاهر منها في صفة خلق
الانسان من هذا الفصل فصلان

## الفصل الاول

قوله ام هذا الذى انشاه في ظلمات الارحام الى قوله
بين اطوار الموتات وعذاب الساعات انا بالله عايذون اقول
اعلم ان مدار هذا الفصل على وصف حال الانسان من مبدا عمره بالنقصان وبيان
نعمة الله تعالى عليه تردده في اطوار الخلقة وتنكيبه مقابلة نعمه بالكفران

وللغفلة في متابعة الشيطان وتذكيره بما يكون غاية من حيوته الدنيا و
هو الموت وما يتبعه من احوال الميت بين اهله واقاربه وحالهم معه
وما يكون بعد الموت من العذاب في القبر والسؤال والحساب وساير ما ينفر
طبعه منه ويوجب له الالتفات الى اصلاح معاده وتذكره مبداه لعله يتذكر
او يخشى والشغف بالغين المعجمة جمع شغاف بالفتح وهو غلاف القلب
والرغاف المفرغة والمحاق الناقصة واليافع الغلام المرتفع والسادر
اللاهي الذي لا يهتم بشي والماتح الجاذب للدلو من البير والبدوات الخطرات
التي تبدو اي يظهر للخاطر ودمه بالكسر اي غشيه وعبر الشي بقيته
وجماعته سعيه في ركوب هواه والسادر ثانيا المتحير واللازم ضرب القدر
وكارثه موجبة لشدة الغم والابلاس الياس والترجيع من الابل الموقد
في الاسعار والنضو الذي قد اهزلته وحفدة الولدان اعوانهم والحشدة
بفتح الحاء والشين المجتمعون والتجمع التوجع وفي تفصيل هذا الفصل نكت
مادوي ام للاستفهام وهو استفهام في معرض التقريع للانسان وامره باعتبار
حال نفسه ودلالة خلقته على جزئيات نعم الله عليه مع كفرانه لها وكان
ام معادلة لهمزة الاستفهام قبلها والتقدير البس فيها لاظهر الله لكم من عجايب
مصنوعاته عبرة ام هذا الانسان وتقلبه في اطوار خلقته وحالاته الى يوم
نشوره كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وفي بعض النسخ او هذا
والمعنى واحد واعلم ان في ملاحظة خلقة الانسان وما جمع فيها من لطايف
الاسرار عبرة تامة حتى كان عالما مختصرا كما اشرنا اليه قبل وكما سياتي
الثانية قبل الاول احوال تكون الانسان زبدية المني والتقاخ في ظهوره
فيمنوا به واول ما يكون فيه وعاء الروح بفعل الملك المصور ثم تحدث
له من قبل الطبيعة فيثقب ثقبا امام فوهات العروق بحيث اذا اختلفت
محسوسة صارت عروقا ثم يبسط للنطفة في اقطارها وتحدث في الغشاء
ثقب موازية لثقب العروق التي في الرحم ينفتح عند الحيض وتحصل جميعها
مجاري في الغشاء المذكور يؤدي الى مجرى واحد نافذ الى عمق النطفة مو
ذيا الى باطنه الدم في عرقين او عرق والنفس في عرقين فاذا اختلفت هذه
المبادي امتصت النطفة ح الغذاء من فوهات تلك العروق ونفذ في



في الانصفاق دم لم يحل عن قريب الى جوهر المني وحدث لها خطوط لها مبادي
دموية ونقطة اولى هي القلب ثم لا يزال الدموية تزداد في النطفة
حتى تصير علقة ويكون مثل الرغوة في الاكثر لستة ايام وابتدا الخطوط الحمر
والنقطة بعد ثلثة ايام اخرى ثم بعد ستة ايام اخرى وهو الخامس عشر
من حين العلوق تنفذ الدموية في الجميع فيصير علقة وبعد ذلك باثني عشر
يوما يصير لحما ويتميز قطعة لحم هي مضغة ويتميز الاعضاء الرئيسة وتمتد رطوبة
النخاع ثم بعد تسعة ايام ينفصل الراس عن المنكبين والاطراف عن الضلوع
والبطن تميز الحس به في بعضهم ويخفى في البعض حتى يحس به بعد اربعة ايام
اخرى تمام الاربعين فيصير وقد يتم ذلك في ثلثين يوما وقد يتم في خمس
اربعين يوما وقيل العدل في زمان ذلك خمسة وثلثون يوما فيتحرك في سبعين
يوما ويولد في مايتين وعشرة ايام وذلك سبعة اشهر واذا كان الاكثر خمسة
واربعين يوما فيتحرك في تسعين يوما ويولد في مايتين وسبعين يوما وذلك
تسعة اشهر فهذه اشارة الى تنقيله في ظلمات الرحم بتدبير الملك المقتدر و
واسطة الملك المصور ولو كشف الغطاء لراينا هذا التخطيط والتصوير يظهر عليه
شيا فشيا مع انا لا نرى المصور ولا الته فسبحان المقتدر على ما يشا الثالثة
انما وصف العلقة بالمحاق لكونها لم تفض عليها بعد صورة تخصصها بالانسان
فهي بعد ممحقة الرابعة الولد ما دام يرضع فهو رضيع وبعده وليد
فاذا ارتفع قيل يافع فاذا طر شاربه فهو غلام فاذا ادرك فهو رجل و
للرجولية ثلثة حدود الشباب وهو الى تمام النمو وبعده الكهولة و
بعدها الشيخوخة الخامسة ذكر الحفظ للقلوب والالفاظ للسان
واللحظ للبصر بيان لفوايدها ثم ذكر غاية تلك الفوايد ومقصودها وهو
ان يفهم الانسان معتبرا اي يستنبط من شواهد الاء الله دلايل وحدانيته
وساير نعوت جلاله ويعبر بها الى استكمال الفضايل النفسانية ويقصر
مزدجرا اي يكف عما لا ينبغي من موبقات الايام وعن الخوض فيما لا يعنيه
مزدجرا عنها السادسة قوله حتى اذا قام اعتداله
واستوى مثاله نفر مستكبرا اي اخر الاوصاف في ما يعترض فيقال ان كثيرا
من الناس لا يكون بهذه الصفة و ح لا يصدق عليهم هذه الاحكام فجوابه

انى اشارته عليه السلم الى الانسان المطلق الذى هو فى قوة البعض لا الانسان
العام وظاهر ان الاوصاف المذكورة اذا صدقت على المطلق فقد صدق على
بعض الناس وذكر البعض هم العصاة المرادون بهذه الصفات والتوبيخ بها
لهم وفيه تنبيه للباقين على وجوب دوام شكر الله والبقاء على امتثال الاوامر و
نواهيه السابعة ماتحا فى غرب هواه لما استعار لفظ الغرب لهواه الذى
تملا به صحائف اعماله من المآثم كما تملا رذو الغرب غربه من الماء رشح تلك
الاستعارة بذكر المتح الثامنة المنصوبات العشرون نطفة وعلقة و
جنينا وراضعا ووليدا ويافعا ومعتبرا ومزدجرا ومستكبرا وسادرا وماتحا
وكادحا وغريرا ومبلسا ومنقادا ومسلسا ورجيع وصب ونضو سقم
ونجيا كلها احوال والعامل فى كل حال ما يليه من الافعال وسعيا اما مفعول
به والعامل كادحا او مصدرا مستغنى عن ذكر فعله ويسيرا صفة ظرف محذوف
اقيمت مقامه اى زمانا يسيرا وروى اسيرا فعلى هذا يكون حالا وجزعا وقلقا
وبقية مفعول له واستعار اسيرا للعاصى على الرواية الثانية ووجه
المشابهة ان صاحب الزلة يقوده هواه الى هوانه كما يقاد الاسير الى ما يكرهه
التاسعة لم يفد عوضا اى لم يستفد فى الدنيا عوضا مما يفوته منها فى
الاخرة والعوض الذى ضيعه هو الكمالات التى خلق ليستفيدها وفرضت
عليه ولم يقضها من العلوم والاخلاق العاشرة الواو فى المر للحال
والعامل لادمة والانة الموجعة منه لقلوب الواجدين عليه والجذبة
المكربة اى جذب الملائكة للروح كما قال تعالى ولو ترى اذ الظالمون فى
غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الاية وروى عن رسول
الله صلى الله عليه انه قال ان المومن اذا حضر اتته الملائكة بحريرة فيها
مسك وضبائر الريحان فيسل روحه كما يسل الشعرة من العجين ويقال ايتها
النفس المطمئنة ارجعى راضية مرضية الى روح الله وكرامته واذا اخرجت
روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها
الى عليين وان الكافر اذا حضر اتته الملائكة بمسح فيه جمره
فينزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة ارجعى ساخطة
مسخوطا الى هوان الله وعذابه واذا اخرجت روحه وضعت على تلك

جمرة

الجمره وكان لها نشيش ويطوى عليها ذلك المسح ويذهب بها الى سجين و
اعلم ان تلك الجذبة تعود الى ما يجده الميت حال النزع وهو عبارة عن الم
ينزل بنفس الروح فيستغرق جميع اجزائه المنتشرة فى اعماق البدن وليس
هو كسائر ما يجده الروح المختص ببعض الاعضاء كعضو تالته شوكة ونحوه لا
ختصاص ذلك بموضع واحد فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع
اجزائه وهو المجذوب من كل عرق وعصب وجزء من الاجزاء او من اصل كل
شعرة وبشرة ولا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه وقد مثل
ذلك بشجرة شوك كانت داخل البدن ثم جذبت منه فهى الجذبة المكربة ولما كان
موت كل عضو من البدن عقيب الامراض التى ربما طالت تدريجا فتلك هى السوقة
المتعبة الحادية عشر قوله رجيع وصب ونضو سقم استعار
له وصف الجمل فالرجيع باعتبار كونها قد ردد فى اطوار المرض وتواتر عليه
كما يردد الجمل فى السفر مرة بعد اخرى ولفظ النضو باعتبار نحوله من الا
سقام كما ينحل الاسفار الجمل الثانية عشر قوله فقعد فى حفرته
نجيا لبهت السوال اى احزنه الثالثة عشر القول بعذاب القبر وسوال منكر و
نكير حق روى عن رسول الله صلى الله عليه انه قال لعمر ابن الخطاب كيف بك اذا انت
مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلثة اذرع فى ذراع وشبر ثم رجعوا اليك
فغسلوك وكفنوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب فيدفنوك
فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد العاصف
وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويحثان القبر بانيابهما فيتلتلانك
ويترترانك فيقولان لك من ربك ومن نبيك وما دينك كيف بك يا عمر عند ذلك
فقال عمر فيكون معى عقلى الان قال صلى الله عليه نعم قال فاذن اكفيكهما
وفى وصفهما عنه صلى الله عليه انهما ملكان اسودان ازرقان احدهما منكرا و
الاخر نكيرا واعلم ان الايمان بما جاء من ذلك على نحو ما ورد مراتب احدها وهو الا
ظهر الاسلم ان تصدق بانها موجودة وان هناك ملكين على الصورة المحكية و
حيات وعقارب تلدغ الميت وان كنا لا نشاهدها اذ لا تصلح هذه
العين لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت
الا كانت الصحابة يومنون بنزول جبرئيل وكان النبى صلى الله عليه

يشاهده وان لم يكونوا يشاهدونه وكما ان جرس الايشعه الناس فكذلك منكر ونكير
وفعلهما والحيات والعقارب في القبر ليس من جنس حيات عالمنا فتدرك
نعم اخر المقام الثاني ان يتذكر ما قد يراه النايم من صورة شخص هايل يضربه
او يقتله او حيه تلدغه وقد يتالم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه
وينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويشاهده ويتاذى به كما يتاذى
اليقظان وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حوله شخصا ولا حية والحية موجوده
في حقه متخيلة له ولا فرق بين ان يتخيل عدوا او حيه او يشاهد المقام الثالث
ان يعلم ان منكرا ونكيرا وساير اهوال القبر غايته الايلام والمولم في حقه ليس هو الشخص
المشاهد ولا الحية بل ما حصل فيه من العذاب فالنفس العاصية اذا فارقت البدن
حملت للقوة المتخيلة معها لم تجرد عن البدن منزهة عن الهيات البدنية والاخلاق
الردية المهلكة من الكبر والريا والحسد والحقد والحرص وغيرها وهي عند الموت
عالمه بمفارقه البدن متوجهه لنفسها الانسان الذي مات وعلى صورته كما كان في
الرويا يتخيل وتتوهم بدنها مقصورة ويتخيل الالام الواصلة اليها عن كل خلق اذى
على سبيل العقوبة الحسية لها كما قررته الشريعة الصادقة والغرض في الاذهان
عنها على صورة شخص منكر هايل الصورة يعنفه في السوال ويهيته بسوء منظره و
هول صولته وتلجنه فيتلجلج لسانه فيضربه ويعذبه وعلى مثال تبين الدغه
وان كانت النفس سعيدة تخيلت الملذات الحاصلة لها عن كل خلق حسن
وعمل صالح قدمته في صورة ملايمة فوق ما كانت يعتقده مما كان
وصف لها من صور اشخاص حسنه يدخل عليهم ويتلقاهم بالبشارة كبشير
وبشير وساير الملايكة الذين يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ومن فسحه
القبر والروح والريحان وساير ما وعد فيه فهذا عذاب القبر وثوابه واليه
الاشارة بقول الرسول صلى الله عليه القبر روضة من رياض الجنه
او حفرة من حفر النيران فان قلت لم جعل اول داخل على الانسان في قبره
سوا كان سعيدا او شقيا ملكين ولم يكن ثلثة او واحد مثلا قلت
قال بعض العلما انه لما كانت السعادة او الشقاوة الحاصلتان للنفس
انما تحصل من جهة قوتين نظرية وعملية بعضا جهل ما يكتسب عن كل واحد
منهما ملكا فان كان المكتسب جهلا مركبا ورذايل اخلاق فمنكر ونكير

وان كان

وان كان علما ومكارم اخلاق فمبشر وبشير والله اعلم باسرار شريعته واعلم انك متى
تصورت معنى ثواب القبر وعذابه في المقامات تصورت معنى ثواب الجنة وعذاب
النار الرابعة عشر قوله لا فترة مريحة ولا قوة حاجزة يجري مجرى
ايات الوعيد الناطقة بالتخليد وهي مخصوصة بالكفار الماسكة لنفوسهم بعالم الملكوت
ونحوه قوله تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون
واما انه ليس لهم قوة حاجزة فلان القوة الحاجزة بينهم وبين العذاب مفقودة
في حقهم وهي المسكة بالله تعالى ومحبته والالتفات الى عالم الغيب والملا الاعلى واما عدم الفترة
الناجزة فلان الانسان عن قابل للفتار مرة لحرى كما علم ذلك في موضعه والمطالب
السنه عنهم فاشارة الى شدة الامهم وما يلقونه من الم العذاب لما ان الالم الشديد
يستلزم عدم النوم فلا سلوة اذن بين حالات سكرات العذاب واطلاق لفظ الموتات
مجاز في شدة العذاب اطلاقا للذي للغاية على ما يصلح غاية له وقد لاحظ في اكثر
هذا الفصل النسج المتوازن وبالله التوفيق الفصل الثالث
قوله عباد الله الذين عمروا فيفعوا الى قوله ولخضوه العزيز
المقتدر قوله ورطته في الامر حصلته فيه والمناص الملجا والمحار
المرجع والفكر صوف وقيد مقدار قامته والمنعفر المترب والعفر التراب و
الفينة الحين وانف الشي اوله والحوبة الحاجة والمسكنة والضنك الضيق وفي
هذا الفصل فوايد الاولى التنبيه والتقريع على كفران جملة من نعم الله فمنها ان عمرهم
نعمهم وعلمهم ففهموا وانظرهم وسلموهم من الافات وامهلهم طويلا ومنحهم الجميل و
حذرهم اليم العذاب ووعدهم وعدا حسنا ومن كفرانهم لتلك النعم ان اشتغلوا بلذات
الدنيا عن اوامره ولهوا عن الالتفات اليه ونسوا ما ذكرهم به ودعاهم اليه الثانية
التحذير من الذنوب المورطة في موارد الهلكة وانواع العذاب ثم من العيوب المسخط
لله وهي اكتساب رذايل الاخلاق الثالثة تنبيه اولي الابصار والاسماع والعا
فية والمتاع في الدنيا على انه لا مناص اي مخلص من الله والاخلاص اي في عذابه لمن
حصل فيه وكذلك لا معاد ولا معاد منه لمن استحقه ولا فرار اي من حكمه ولا مرجع
اي بعد الموت وانما خص اولي الابصار والاسماع والعافيه لكونهم اهل التكاليف
التامه والعقول ولعله في اشارته انما بالابصار والاسماع مجاز العرف العافيه
وانما خص اولي المتاع لان اهل الاستمتاع بالدنيا هم المجذوبون عنها من جهة

من جهة اشتغالهم لسناعها عن سلوك سبيل الله وهو استفهام عن الامور المذكورة على
سبيل الانكار لها ثم استفهم عن وقت صرفهم عن عزائمهم وعن مكان ذلك على سبيل
التقريع لهم عما اعتذروا به بعد انقيادهم لله في ترك اوامره على سبيل الانكار ولا
عذر ايضا وام معادلة لهل الاستفهامية الرابعة التذكر بامر القبر وتحقيرا لحفرة
فما هو منفور عنه طبعا وفيه تنبيه على وجوب الاستعداد عن الاستكبار من قنيات
الدنيا وحطامها لوجوب مفارقتها وانه لا يصحب للمجد في تحصيلها منها الا مقدار
قامته وهو كناية عن قبره الخامسة للتنبيه على وقت للعمل والاحوال
التي تمكنهم فيها وكنى بالمرار عن زمان الحيوة الدنيا وبالخناق عما يوضع به اعناق
النفوس الى بارئها وهو الموت كناية بالمستعار ووجه المشابهة كون كل واحد
منهما مكروها يقاد به الى مكروه ورشح الاستعاره بذكر الاهمال وكنى به عن مدة الامهال
في الحيوة الدنيا ولذلك اراد بارسال الروح اهمالها وامهالها وبكون ذلك الارسال
في فينة الارتياد اي في زمان ارتياد النفوس وطلبها لما يتعدى به من الكمال للقاء
الله وروض الارتياد اي ارشاد النفوس الى سبيل الله وجهة السعادة الابدية
وكنى لك مهل المتقين اي بقية الاعمار السادسة قوله وانف المتشبه الى
اولى الارادات للنفوس وذلك انه ينبغي ان يكون اول زمان الانسان واوايل
ميول قلبه الى طاعة الله والانقياد لاوامره لكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات
المستعدة في الاخرة واركانها لوح صاف عن كدر الباطل وانه متى عكس ذلك فجعل اوايل
ميوله وارادته لمعاصي الله تسود وجه نفسه بملكات السوء فلم يكد يقبل بعد
ذلك الاستضاءة بنور الحق فكان من الاخسرين اعمالا السابعة الانظار التوبة
امهال الله العصاة لاجلها ولما كان عرض العناية الالهية من كل ناقص الى
كماله حسن ان يعبر عن بقاء العاصي فانه انظار للتوبة الثامنة وانفساح
الحوبة اتساع زمان العمل للحاجة في الاخرة والاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة وذلك
ان كل حاجة فرضها للانسان في الدنيا فقد لا يكون في محل الضيق الكلي منها وان الضرورة صح
كانت في محل الضرورة لكنها في مظنة ان يرجى زوالها بخلاف الحاجة والضرورة في
الاخرة الى صالح الاعمال فانها لا يمكن زوالها بعد المفارقة ولا متسع للعمل لها الا في
الدنيا وكان اعلاها منها في اشد ضرورة والضيق حال وانفهم صورة واشار بالضنك
والضيق الى انحصار الانسان في اغلال الهيئات الردية وسجن جهنم وبالزوع

والزهوق

والزهوق الى الفزع الاكبر من اهوال الموت وما بعده التاسعة الغائب
المنتظر كناية عن الموت وقدومه هجومه ولما استعار له لفظ الغايب مراعاة
لشبهه بما في منتظر رشح تلك الاستعارة بلفظ القدوم العاشره اخذة
العزيز المقتدر حذف الارواح لحكم قدرة الله العزيز الذي لا يلحقه اذلال
قاهر المقتدر الذي لا امتناع منه لقدرة قادر وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام

في ذكر عمرو بن العاص عجبا لابن النابغة يزعم
لاهل الشام ان في دعابة الى قوله على ترك الدين رضخة

اقول بنغ التي ظهر وعيب ام عمرو النابغة لشهرتها بالفجور
وتظاهرها به والدعابة المزاح والتلعابة كثير اللعب والتاء للمبالغة و
المعافسة والمداعبة والممارسة المعالجة بالمصارعة والقرص ونحوه والاولى
القرانة وشبيه حواته والاتية العطية والوزن ولحد وكذلك الرضخة
واعلم ان في هذا الفصل ثلثة فصول الاول ذكر دعوى عمرو في حقه عليه السلام
من كونه لعابا مزاحا يكسر المعالجة والمصارعه وذكر هذه الدعوى مصدرة با
التعجب من صدورها في حقه محتوما بالتكذيب لمدعيها والرد لمقاله و
ذلك قوله عجبا الى قوله ونطق اثما وباطلا وصف المصدر واثما حال وانما
كنى عنه بامه لان من عادة العرب النسبة الى الام لما كانت مشهورة بشرف
او خسة ونحوهما واعلم لانه عليه السلم قد كان يصدر عنه المزاح بالقدر المعتدل
الذي لا يخرج به الى حد رذيلة الافراط فيه فمن ذلك ما روي انه كان جالسا
يوما على زبارة من الارض وكان ابو هريرة جالسا معه واخذ منه لقية و
حذفه بنواة فالتفت اليه ابو هريرة فتبسم عليه السلم فقال ابو هريرة هذه
الذي اخرك عن الناس وقد علمت ان ذلك من توابع حسن الخلق ولين
الجانب فاذن هو فضيلة وليس برذيلة والمدعي لعمرو وانما هو عبوره
في ذلك الى حد الافراط الذي يصدق عليه انه لعب وهزل روي انه كان
يقول لاهل الشام انا انما اخرنا عليا لان فيه هزلا لا جد معه و
نحوه ما كان يقوله ابوه العاص لرسول الله صلى الله انه لساحر ومن
اشبه اباه فما ظلم وتكذيبه عليه السلم لعمرو انما هو فيما ادعاه من الخروج

الى اللعب واما اصل المزاح فلم نذكره وكيف وقد كان يصدر عن رسول الله
صلى الله عليه كما روى انه قال يوما لعجوز ان العجايز لا يدخلن الجنة فبكت
فتبسم وقال ان الله يجعلهن شوابا ثم يدخلهن الجنة فاهل الجنة شباب
جرد مرد وان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وكان يقول امزح ولا اقول
الا حقا الثاني قوله دعا وغير القول الى قوله وسبته ويشتمل على
ذكر ما جمع في هذا المدعى من الرذايل التي يوجب فسقه وسقوط دعواه
لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الاية وذكر من
تلك الرذايل خمسا الاولى الكذب وظاهر كونه شر القول وانه مفسدة
مطلقة في الدين والدنيا اما الدين فللمنقول والمعقول اما المنقول فقول الرسول
صلى الله عليه الكذب راس النفاق واما المعقول فلان الوجدان شاهد بان
الكذب مما يسود لوح النفس ويمنعه عن ان ينتقش بصور الحق والصدق
ويفسد المنامات والالهامات واما الدنيا فلانه سبب عظيم لخراب البلاد
وقتل النفوس وسفك الدماء وانواع الظلم ولذلك اتفق اهل العالم من ارباب
الملل وغيرهم على تحريمه وادعى المعتزلة قبحه بالضرورة لذاته وهو رذيلة
مقابلة للصدق داخلة تحت رذيلة الفجور الثانية الخلف في الوعد
الثالثة الغدر في العهد وخيانته وهما رذيلتان مقابلتان للوفاء
داخلتان تحت رذيلة الفجور ايضا والغدر يستلزم رذيلة الخبث وهو
طرف الافراط من فضيلة الذكاء وهما يستلزمان الكذب ايضا الرابعة
قطع الرحم وهي رذيلة الافراط من فضيلة صلة الرحم وحقيقتها عدم
مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات الدنيوية وهي رذيلة تحت الظلم مستلزمة
للبخل الخامسة رذيلة الجبن وهي طرف التفريط من فضيلة الشجاعة و
نبه عليها بقوله فاذا كان عند الحرب فاي زاجر وامر هو الى قوله
سبته وفيه تنبيه على دناءة همته ومهانة نفسه اذ كان على الهمة نهم
النفس لا تفر من قراع الاقران الى التخلص من الموت بابقح فعل يكون من
كشف سوءته وبقاء ذلك سبة في عقبه على مرور الدهور والدناءة والمهانة
رذيلتان تحت الجبن وقوله فاي زاجر وامر هو استفهام
على سبيل التعجب والمبالغة في امره ونهيه وذكره في معرض الذم



عنا وان كان من المادح لغرض ان يردفه برذيلته لكون ذلك اخا رجا مخرج
الاستهزاء فيكون ابلغ وقعا في النفوس واشد عارا عليه اذ كان الامر والنهي
في الحرب انما يحسن ممن اشتهر بالشجاعة والاقدام الا ممن يامر وينهى فاذا
اشتد القتال فر فرار الحمار من السبع واجتهد في الفرار ولو باقبح عزمة
فان عدم الامر والنهي والخمول لمثل هذا اليق واولى من وجودها وكان ابا
الطيب حكى صورة حاله اذ قال    واذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن
وحده والنزالا    ولما صورة هذه الرذيلة منه فروى ان عليا عليه السلام
حمل عليه في بعض ايام صفين فلما تصور انه قاتله القى نفسه عن فرسه
وكشف سوءته مواجها له عليه السلم فلما راى ذلك منه غض بصره عنه وانصرف
عنه فضرب بكشوف العورة وتجاوزك فصار مثلا لمن يدفع عن نفسه مكروها بارتكاب
المذلة والعار وفيه يقول ابو فراس    ولا خير في دفع الاذى بمذلة
كما ردها يوما بسوءته عمرو    وروى مثل ذلك لبسر بن ارطاة معه عليه
السلم فانه حمل على بسر فسقطت بسر على قفاه ورفع رجليه فانكشفت عورته
فصرف عليه السلم وجهه عنه فلما قام سقطت البيضة عن راسه فصاح
اصحابه يا امير المومنين انه بسر بن ارطاة فقال ذروه لعنه الله فلقد كان
معويه اولى بذلك منه فضحك معوية وقال لا عليك يا بسر وارفع طرفك و
لا تستحي فلك بعمرو اسوة وقد اراك الله منه واراه منك فصاح فتى من اهل الكوفة
ويلكم يا اهل الشام اما تستحيون لقد علمكم عمرو كشف الاستاه ثم انشد
افي كل يوم فارس ذو نكيره له عورة وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه علي سنانه ويضحك منها في الخلاء معويه
بدت امس من عمرو فقنع راسه وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو وابن ارطاة ابصرا انشدتكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما هما كانتا والله للنفس واقيه
ولولاهما لم تنجوا من سنانه وتلك بما فيها عن العود ناهيه
وكان بسر ممن يضحك من عمرو فصار ضحكة له ايضا الثالث بيان وجه
فساد مدعى عمرو في حقه وهو مستند المنع وذكر وجهين احدهما يرجع
اليه وهو انه عليه السلم دايم الذكر للموت والتفكر في احوال المعاد والموطن ان

شاهد بان المستكثر من اخطار الموت بقلبه يكون ابدا قصير الامل وجلا من الله
مترقبا لهجوم الموت عليه مشغولا بذلك عن الالتفات الى حطام الشهوات
من اللعب ونحوه فكيف يتصور اللعب ممن هذه حاله للناس في سرص الى حال
عمرو وعداوته ممن نسي الاخرة وظاهر ان نسيانها مستلزم للكذب وسائر وجوه
خداع ابناء الدنيا عنها بالمكر والحيلة وما لا ينبغي من منافي الله ومن كانت
هذه حاله كيف يوثق بقوله ثم نبه بقوله ولم يبايع معوية الا اخره على بعض
لوازم نسيان الاخرة وهو اخذه لبيعته وقتاله معه للامام الحق الذي تخرج
به عن رقبة الدين عوضا وثمنا وتلك العطية هي مصر كما سبقت الاشارة اليه

## ومن خطبة له عليه السلام

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الاول لا شيء
قبله والاخر لا غاية له لا تقع الاوهام له على صفة
ولا تعقد القلوب منه على كيفية ولا تناله التجزئة
والتبعيض ولا تحيط به الابصار والقلوب

**اقول** هذا الفصل يشتمل على اثبات ثماني صفات من صفات
الجلال والاول الوحدانية مؤكدة بنفي الشركاء وذلك قوله واشهد
الى قوله لا شريك له وقد اشرنا الى معاقد البرهان العقلي على الوحدانية
ولما لم يكن هذه المسألة مما يتوقف اثبات النبوة عليها جاز الاستدلال فيها
بالسمع كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله واعلم
انه لا اله الا هو الثانية اثبات كونه اولا غير مسبوق بالغير الثالثة
اثبات كونه اخرا غير منته وجوده الى غاية يقف عندها وقد سبق البحث
عنهما مستقصى ونفي قبلية شيء له والغاية عنه تاكيدا الرابعة من السلوب
انه لا يلحقه الاوهام فيقع منه على صفة وقد علمت فيما سبق ان الاوهام لا يصدق
حكمها الا فيما كان محسوسا او متعلقا بمحسوس فاما الامور المجردة عن
علائق المادة والوضع فالوهم ينكر وجودها اصلا فضلا عن ان يصدق في
اثبات صفة لها وانما الحاكم باثبات صفة له هو العقل الصرف وقد علمت
ان ما يثبته منها ليست حقيقية خارجية بل امور اعتبارية تحدثها
عقولنا عند مقايسته الى الغير ولا يفهم من هذا انه اثبت له صفة بل معناه

ان

ان الاوهام لا يصدق حكمها في وصفه تعالى الخامسة كونه تعالى لا يعقل له
كيفية تكون عليها وبيان ذلك بيان معنى الكيفية فنقول انها عرض هيئة قارة
في المحل لا يوجب اعتبار وجودها قسمة ولا نسبة ولما بينا انه تعالى ليس له صفة
تزيد على ذاته وهي محل لها استحال ان يعقد القلوب منه على كيفية السادسة
كونه لا يناله التجزئة والتبعيض وهو اشارة الى نفي الكمية عنه اذ كانت التجزئة
والتبعيض من لواحقها وقد علمت ان الكم من لواحق الجسم والباري تعالى
ليس بجسم وليس بكم فليس بقابل للتبعيض والتجزية ولان كل قابل لهما
منفعل عن غيره من المنفعل عن الغير ممكن على ما مر السابعة كونه تعالى لا تحيط
به الابصار وهو كقوله تعالى لا تدركه الابصار وهذه المسألة مما اختلف فيها علماء
الاسلام وقد سبق فيها الكلام وخلاصته ان المدرك بحاسة البصر بالذات انما
هو الالوان والاضواء وبالعرض المتلون والمضيء ولما كان اللون والضوء من
خواص الجسم وكان تعالى منزها عن الجسمية ولواحقها وجب كونه منزها عن الا
دراك بحاسة البصر الثامنة كونه تعالى لا تحيط به القلوب والمراد ان العقول
البشرية قاصرة عن الاحاطة بكنه ذاته المقدسة وقد سبق تقرير ذلك وبالله العصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع

**اقول** الآي جمع اية والسواطع المرتفع والنذر جمع نذير و
مقطعات الامور شدايدها والورد المورد وفي هذا الفصل فوايد الاولى الامر
بالاتعاظ بالعبر النوافع واسم العبرة حقيقة في الاعتبار وقد يطلق مجازا
فيما يعتبر به ويحتمل ان يراد هيهنا اطلاق اسم الحال على المحل وللالفاظ سبب
وحقيقة وثمرة اما سببه فالنظر في اثار الماضين ورود قصصهم وتصريف
قضاء الله وقدره لاحوالهم وهو الاعتبار واما حقيقته والخوف الحاصل في
نفس المعتبر من اعتباره وتاثره عن ان يلحقه ما لحقهم اذ هو مثلهم واولى بما
لحقهم واما ثمرته فالانزجار عن مناهي الله واجابة داعيه والانقياد لسلوك
سبيله الثانية الامر بالاعتبار بالآي السواطع وهو ارداف للامر بالاتعاظ
بالامر بسببه واراد بالآيات آثار الله وعجايب مصنوعاته او آيات
القرآن المعجزة والمنذرة واستعار لها لفظ السطوع ووجه المشابهة ظهور

اشراق نور الحق منها على مرايا قلوب عباد الله كاشراق نور الصبح وسطوعه
وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول واعتباره بها انتقال ذهنه فيها في مقام النظر
والاستدلال كما سلف بيانه الثالثة الامر بالازدجار بالنذر البوالغ وهو امر بغاية
الاتعاظ والنذر هي زواجر الله ووعيداته البالغة حد الكمال في التخويف والزجر
عند اعتبارها الرابعة الامر بالانتفاع بالذكر والمواعظ وهو امر بتحصيل ثمرة الذكر
والمواعظ عنها وختم هذه الاوامر بذكر الانتفاع ترغيبا وجذبا للنفوس الى الذكر
وقبول المواعظ الخامسة التخويف والتذكير بالموت وما يتبعه ليبادروا الى امتثال
اوامره السابقة فقوله فكان قد علقتكم مخالب المنية استعار لفظ المخالب للمنية
استعارة بالكناية ورشح بذكر العلوق ملاحظا في ذلك تشبيه المنية بالسبع الذي
يهجم ويتوقع افتراسه وكان مخففة من كان واسمها ضمير الشان ويحتمل ان يكون
الناصبة للفعل دخلت عليها كاف التشبيه وقوله وانقطعت عنكم علائق
الامنية اشارة الى ما ينقطع عن الميت بانقطاع امله من الاولاد وساير ما كان
يتعلق به اماله من علائق الدنيا ومتاعها وقوله ودهمتكم مفظعات
الامور اشارة الى ما يهجم على الميت من سكرات الموت وما يتبعها من عذاب القبر
واهوال الاخرة وقوله والسياقة الى الورد المورود فالسياقة هي السوقة
المتبعة التي سلف ذكرها والورد المورود هو المحشر وقوله وكل نفس
معها سايق وشهيد فالسايق الذي يسوقها الى المحشر هو حكم القضاء الالهي واسباب
الموت القريبة الحاكمة على النفس بالرجوع الى معادها فان كانت من اهل الشقاوة
فيا لها من سوقة متعبة وجذبة مزعجة وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى
اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم الايات وان كانت
من اهل السعادة ساقها سايق رؤف سوق الحبيبة ونودوا ان تلكم الجنة
اورثتموها بما كنتم تعملون وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها
وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واما الشاهد
عليها بعملها فقد سبقت الاشارة اليه منها
في صفة الجنة درجات اعلم ان اللذة ثمار الجنة هي المعارف الالهية والنظر
الى وجه الله ذي الجلال والاكرام والسعداء في الوصول الى نيل هذه الثمرة على مراتب
متفاوتة ودرجات متفاضلة فالاولى مرتبة من اوتي الكمال في حدس القوة

النظرية

النظرية حتى استغنى عن معلم بشري راسا واوتي مع ذلك ثبات قوته
المفكرة واستقامة وهمه منقادا تحت قلم العقل فلا يلتفت الى العالم المحسوس
بما فيه حتى يشاهد العالم المعقول بما فيه من الاحوال ويستثبتها في اليقظة فيصير
العالم وما يجري فيه متمثلا في نفسه ويكون لقوته النفسانية ان يوثر في عالم
الطبيعة حتى ينتهي الى درجة النفوس السماوية وتلك هي النفوس القدسية اولات
المعارج وهم السابقون السابقون اولئك المقربون وهم افضل النوع البشري
ولحقه باعلى درجات السعادة في الجنة المرتبة الثانية مرتبة من له الامران
الاولان دون الثالث اعني التاثير في عالم الطبيعة وهذه مرتبة لاصحاب اليمين و
تحتها مراتب فاحدها مرتبة من له استعداد طبيعي لاستكمال قوته النظرية اكتسابا
تكلفيا دون تميز طبيعي ولا حصة له في العمل القوة العملية الثالثة مرتبة من له
تميز طبيعي ولا اكتساب تكلفي في قوته النظرية وله ذلك التميز في القوة العملية
الرابعة من له تكلف في اصلاح الاخلاق واكتساب الملكات الفاضلة دون تميز طبيعي
لذلك اذا عرفت ذلك فاعلم ان المقربين لما بلغوا في الملكات الشريفة لذات عظيمة في
الجنة فقد فازوا بنعيم الابد والسرور الدايم في حضرة جلال رب العالمين في مقعد صدق عند
مليك مقتدر غير محجوبين عن لذاتهم لهم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون
كما قال عليه السلام لا يظعن مقيمها جرد عن عوارض الابدان وشوايب المواد مرد
عن مزاحمة القوى المتغالبة المؤدية الى الهرم والموت مكحلين بالانوار
الساطعة ينظرون الى ربهم بوجوههم المفارقة واما اصحاب اليمين فسلام لك من بوجوههم
اصحاب اليمين وهم لذات دون الوصول الى رتبة السابقين وقد تخالط لذاتهم
لا شوب من لذات المقربين كما اشير اليه في التنزيل الالهي في وصف شراب الابرار
ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ويكمل من المراتب المذكورة كما لحقه
ودرجته من السعادة في الجنة بحقه كما قال تعالى هم درجات عند الله وقال
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال لهم غرف من فوقها
غرف مبنية تجري من تحتها الانهار واذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن فنقول
اما قوله لا ينقطع نعيمها فلقوله تعالى واما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ وقوله
ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ولان الكمال الذي حصل للانسان فاستحق به

سعادة في الجنة ملكات ثابتة في جوهره لا تزول ولا تتغير ومهما دام استحقاق
القابل لجود الله ونعمته وجب دوام ذلك الجود وفيض تلك النعمه اذ هو الجواد
المطلق الذى لا بخل من جهته ولا منع واما **قوله** ولا يظعن مقيمها فلقوله
تعالى لهم جنات النعيم خالدين فيها ابدا وقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ولان النعيم الابدى
مطلوب بالذات غير ممنوع منه فلا يكون مهروبا عنه بالذات واما **قوله** ولا يهرم
خالدها ولا ييأس ساكنها اى لا يصيبه بوس فلان الهرم مستلزم للتعب والنصب و
لذلك البوس عن الضعف وهذه اللوازم منفية عن اهل الجنة لقوله تعالى وقالوا الحمد
لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى احلنا دار المقامة من فضله
لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وبانتفاء هذه اللوازم ينتفى عنهم ملزومها وهو
الهرم وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
**ومنها فصول الاول قوله**
قد علم السرائر وخبر الضمائر له الاحاطة بكل شىء والغلبة
لكل شىء والقوة على كل شىء وهذا الفصل يشتمل على بعض اوصاف
الحق سبحانه الاول كونه عالما بالسرائر وهو كقوله تعالى يعلم سركم ونجويكم
والثانى كونه خبيرا بالضمائر وهو قريب من المراد فى العالم بالسرائر فان الخبير هو الذى لا يعزب
عنه الاخبار الباطنة فلا يتحرك فى نفس ولا تسكن الا ويكون عنده خبرها وذلك بعينه
هو العالم مضافا الى السرائر والخفايا الباطنة وان كان مطلق العليم اعم الثالث
كونه محيطا بكل شىء وهو اشارة الى علمه بكليات الاشياء وجزئياتها وعليه اتفاق
جمهور المتكلمين والحكماء اما المتكلمون فظاهر واما المحققون من الحكماء فلخص
كلامهم اجمالا فى كيفية علمه تعالى انه يعلم ذاته بذاته ويتحد هناك المدرك والمدرك
والادراك ولا يتعدد الا بحسب الاعتبارات العقلية التى تحدثها العقول البشرية واما
لمعلولاته القريبة منه فيكون باعيان ذواتها ويتحد هناك المدرك والادراك ولا
يتعددان الا بالاعتبار العقلى ويغايرهما المدرك واما لمعلولاته البعيدة كالماديات
والمعدومات التى من شانها امكان ان توجد فى وقت او يتعلق بموجود فيكون بارتسام
صورها المعقولة من المعلولات القريبة التى هى المدركات لها اولا وبالذات و
كذلك الى ان ينتهى الى ادراك المحسوسات بارتسامها فى الالات مدركها قالوا وذلك لان

الموجود

الوجود فى الحاضر حاضر والمدرك للحاضر مدرك لما يحضر معه فاذن لا يعزب عن علمه
مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر ويكون ذوات معلولاته
القريبة مرتسمة بجميع الصور وهى التى يعبر عنها تارة بالكتاب المبين وتارة باللوح
المحفوظ وتسمى عندهم عقولا فعالة الرابع كونه تعالى غالبا لكل شىء الخامس كونه
قويا على كل شىء وهما اشارتان الى وصف قدرته تعالى بالتمام على كل مقدور فان
القوة عليها والغلبة لها من تمام القدرة ويفهم من الغالب زيادة على القوى ويعود
الى معنى القاهر وقد سبق بيانه واما بيان صدق هاتين القضيتين فبيان انه تعالى
مبدا كل موجود وان كل ممكن مفتقر فى سلسلة الحاجة اليه وقد عرفت ذلك من
فى الكتب الكلامية **الفصل الثانى قوله** فليعمل العامل
منكم فى ايام مهله الى قوله فالكذب امر فانه غرور وصاحبه مغرور اقول
الفصل الى اخره شروع فى الموعظة والمشورة ولما قدم الاشعار بان الله تعالى عالم
بما فى الصدور غالب على كل مقدور امرهم بعده بالعمل واراد الاعمال الصالحة المطلوبة
بالتكاليف الشرعية وان تجعلوها مهادا للثبات لقدامهم على الصراط المستقيم المامور
بسلوكه ثم يطلق فى الجذب الى العمل بتذكيرهم انهم فى ايام مهلة وفراغ ومتنفس خانق
تمكنهم فيه العمل وان الذى يعملونه من الصالحات هو زاد لهم فى سفرهم الى الله تعالى و
الى دار اقامتهم وان وراء هذه المهلة ادراك الاجل وعنده شغل باهوال الاخرة واخذ
بالكظم وكنى به عن عدم التمكن من العمل اذ لم يكن الاخرة دار عمل ثم ايه بالناس
وحذرهم ربهم ان يخالفوه فيما امرهم بحفظه وهو كتابه وعنى بحفظه تدبر ما فيه
والمحافظة على العمل باوامره ونواهيه وهى حقوقه التى استودعهم اياها ثم علل
ذلك تنبيههم على انه تعالى لم يخلقهم عبثا خاليا عن وجه الحكمة بل خلقهم ليستكملوا
بالالات البدنية ولم يجعلهم فى وجودهم من المهملين بل ضبط اثارهم واعمالهم وكتب
اجالهم فى كتابه المبين والواحه المحفوظة الى يوم الدين ونظم وجودهم برسول كريم عمده
منهم وكتاب اوضح لهم فيه السبيل التى لسلوكها خلقهم والمكمل لهم وليبنيه دينهم الذى
ارتضى لهم وما يعلمهم له من الكمالات المستعدة فى الاخرة كما قال تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وبلغهم على لسانه ما احب لهم من الخيرات
الباقية وكرهه لهم من الشرور المستمرة فى الاخرة كما اشتملت عليه اوامره ونواهيه
وابان لهم فيه الاعذار واوضح فيه الحجج وشحنه بالوعد والتذرين بين يدى عذاب شديد

واستعار لفظه اليدين للعذاب وكنى بين يديه عن الوقت المتقدم على عذاب الآخرة المسارف له ووجه المشابهة ان الانذار بالمخوف يكون من ذي سطوة وباس شديد فكانه نزل العذاب الشديد بمنزلة المعذب فاستعار له يدين وجعل الانذار به والتخويف منه متقدما له بين يديه وذلك من اللواذب اللطيفه ثم عاد الى اوهم باستدراك بقية اعمارهم في الدنيا وان تصبروا لها انفسهم اي تلزموا انفسهم فيها الصبر على الاعمال الصالحة وفي لفظ الاستدراك اشعار بتقديم تفريط منهم في جنب الله ولذلك قال فانها قليل في كثير الايام التي يكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة و انما قال لها لان كل وقت يستحق ان يوقع فيه ما ينبغي من الافعال فصدق عليها ان ذلك الفعل لها او **قوله** ولا ترخصوا لانفسكم الى قوله المعصية اقول ليس المقصود بالرخصة هنا الرخص الشرعية بل ما يتساهل الانسان فيه مع نفسه من توسيع الماكل والمشارب والمناكح والخروج فيها الى ما لا ينبغي في نفس الامر ويتاول له تاويلا وحيلة يتخيل انها جائزة في الشريعة ويروجها اتباعه هواه ونحوه الاجتماع في السماع لغير الله وحضور مجالس الفساق ومعاشرة الظالمين والضابط الكلي في هذا الباب هو توسع الانسان في الامور المباحة والاستفادة حده فانه متى فعل ذلك شارف المكروه ثم ربما الحقه لانه لا عقاب في فعله فقادته شهوته الى فعله فاستوفى حده فشارف المحظور وذلك ان العقل اذا الجاء النفس الى الافراط بالسوابقها يامره به مرة مرة لم يبق له نفار عما يقوده اليه لوقوع الانس به وظاهر ان ارتكاب بعض ما موراتها يجر الى ارتكاب بعض فيؤدي ذلك الى ان تجاوز الحدود الشرعية وعبورها الى الوقوع في حبائل الشيطان والتهور في المحظورات التي هي مهاوي الهلاك ولذلك ما ورد في الخبر من رتع حول الحمى اوشك ان تقع فيه وقد شبه العارفون القلب بالحصن والشيطان بعدو يريد ان يدخله ولن يمكن دفع ذلك العدو والتحفظ منه ولا يضبط ابواب ذلك الحصن التي منها الدخول اليه ومراصدها وهي ابواب كساير المحرمات ومساهلة النفس في التوسع في المباحات والدخول في الامور المشتبهة من اعظم تلك الابواب ودخول الشيطان منه اسهل وهو عليه اقدر ولذلك قال عليه السلم فيذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ويهجم بكم الادهان على المعصية ومذاهب الظلمة مسالكها وطرقها العادلة عن العدل وروى ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلم فراى عليه معاليق من كل شي فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه هي الشهوات التي اصيب به قلوب بني ادم فقال فهل لي فيها شي قال نعم

ربما شبعت

ربما شبعت فشغلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املا بطني من طعام ابدا فقال ابليس لله علي ان لا انصح مسلما ابدا ومذاهب الظلمة مسالكها وطرقها العادلة عن العدل ولا يداهنوا اي لا تساهلوا الظلمة وتساهلوا معهم في السكوت عما يرونه من منكراتهم فيهجم بكم الادهان على المعصية اي اذا انستم لمشاهدة المعاصي والفتم تكرارها كنتم بذلك عصاة وربما ساقكم ذلك الى فعل المنكر ومشاركتهم فيه و **قوله** عباد الله الى اخره اخبارات في معنى الاوامر والنواهي واوامر ونواهي صريحة مشتملة على جواذب الى طاعة الله ولزوم دينه فالاول قوله ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه وبيانه انه لما كان غرض الناصح انما هو جلب الخير والمنفعة الى المنصوح وكان اجل خير ومنفعة هو السعادة الباقية الابدية ومشاهدة حضرة الربوبية وكانت تلك السعادة انما تنال بطاعة الله تعالى فكل من كانت طاعته له اتم كانت سعادته اتم فكان هو انصح الناس لنفسه لمبالغته في طاعته الثاني قوله وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه وهو ظاهر مما قررناه وانه لما كانت غاية الغش انما هو جلب الشر والمضرة الى المغشوش فكان اعظم شر وضرر لحق العبد هو الشقاوة الابدية في قرار الجحيم وكانت تلك الشقاوة انما يحصل الانسان عليها بمعصية الله تعالى فكل من كانت معصيته اتم كانت شقاوته اتم فكان هو اغش الناس لنفسه لمبالغته في معصيته وحاصل القضية الاولى الامر بالطاعة اتم ما امكن والثانية النهي عن المعصية اتم ما يمكن والترغيب في الطاعة بذكر نصيحة النفس لما ان النصيحة محبوبة والتنفير عن المعصية بذكر غشها الثالث **قوله** والمغبون من غبن نفسه والمراد من غبنها بالمعصية المستلزمة لدخول النار فكان الانسان بمتابعة شيطانه خادع لنفسه وقد بخسها ما يستحقه من ثواب الله ولما كانت السعادة الاخروية اعظم ما يتنافس فيه لا جرم كان اعظم مغبون من لم يفز بها فلذلك حصر المغبون فيه على طريق المبالغة وهو خبر في معنى النهي عن المعصية والتنفير عنها بذكر غبن النفس الرابع **قوله** والمغبوط من سلم له دينه والغبطة ان يتمنى الانسان مثل ما لغيره من حال او مال مع قطع النظر عن تمني زوال تلك الحال عمن هي له وبهذا القيد تتميز عن الحسد والقضية ظاهرة مما قبلها فانه لما كان من سلم دينه فايزا بالسعادة الكبرى الباقية مع كونها اجل ما يغبط به ويتنافس فيه لا جرم كان هو اعظم مغبوط

ولذلك حصر المغبوط فيه مبالغة ورغب في المحافظة على الدين بكون من علم
له مغبوطا الخامس قوله والتعبيد من وعظ بغيره وقد صارت
هذه القضية ومعنى المثل اي السعيد في الاخرة من اعتبر حال غيره فشاهد بعين بصيرته
مصير الظالمين فخاف عاقبتهم فعدل عن طريقتهم ويذكر مال المتقين فال الى جادتهم
وسلك مسالكهم ورغب في الاتعاظ بالعبر مذكرا استلزامه للسعادة السادس و
كذلك الشقي في الاخرة من انخدع لهواه وغروره ونفر عن اتباع الهوى بذكر الخداع
والغرور السابع التنبيه على ان يسير الريا شرك وقد سبق منا بيان ان الريا في
العبادة وان قل النفاق مع الله الى غيره وادخال لغير قصد بالعمل والطاعة وذلك
في الحقيقة شرك حتى اتفقت عليه ارباب القلوب الثامن قوله
ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان اراد باهل الهوى
العشاق المنقادين لدواعي الشيطان الى الشهوات الخارجة عن حدود الله و
نفر عن مجالستهم بانها محل لامرين احدهما نسيان الايمان وهو ظاهر بان اهل الهوى
ابدا مشغولون بذكر ما هم فيه من لعب ولهو خائضون في اصناف الباطل وانواعه
فمجالستهم عن رغبة مظنة الغفلة عن ذكر الله والانجذاب الى ما هم عليه من الاعمال
الفاسدة وترك اركان الايمان وقواعده وقد علمت ان كثرة الغفلات عن الشيء تؤول الى
نسيانه والمجانبة عن لوح الخيال والذكر وربما تجوز في مطلق الغفلة عن اوقات
العبادة والذكر بالنسيان تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه الثاني كونها محلا لحضور
الشيطان وقد علمت معنى الشيطان وان كل محل عصي الله فيه فهو محضر للشيطان
وموطن له التاسع الامر بمجانبة الكذب ونفر عنه بقوله فانه مجانب للايمان
وهو حديث نبوي ومعنى المجانبة كون كل منهما في جانب فان كانت الاعمال الصالحة
داخلة في مسمى الايمان فالصدق من جملتها ومضاد الصدق مضاد للايمان واحد الضدين
مجانب للاخر فالكذب مجانب للايمان وان لم يكن كذلك قلنا ان الكذب من اعظم
الرذائل الموبقة والايمان اعظم الفضائل المتعددة وبين الفضائل والرذائل منافاة
ذاتية فالكذب مناف للايمان ومجانب له ويحتمل ان يكون معنى مجانبته له كونه غير
لائق ان يجامعه في محل واحد وغير مناسب له وبالجملة كونه ليس منه في شيء وقد
بينا ما يشتمل عليه الكذب من المضار المهلكة ثم اردف ذلك بالترغيب في الصدق
بكون الصادق على شفا منجاة اي مشارف لمنجاة وكرامة او لمحلها وهو الجنة اذ الصدق
باب

باب من ابوابها ثم بالتنفير عن الكذب لكون الكاذب على شرف مهواة ومهانة اي هوي و
هوان او محلهما وهو حضيض الجحيم الذي هو محل الهوان وعن الرسول صلى الله عليه
اياكم والكذب فانه يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى
يكتب عند الله كذابا وعليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي
الى الجنة وان الرجل ليقول الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وقال صلى الله عليه
الكذب راس النفاق وهو ظاهر فان مدار النفاق على المصانعة بالقول الغير المطابق
لما في النفس وهو حقيقة الكذب العاشر النهي عن الحسد وقد اتفق ارباب القلوب
على انه من اعظم ابواب الشيطان التي يدخل بها على القلب وهو احد العوارض الردية
للنفس ويتولد من اجتماع البخل والشرية في النفس واعني بالشرية من يلتذ طبعا
بمضار تقع بالناس ويكره ما يوافقهم وان كانوا ممن لا يرونه ولم يسيئوا اليه وقد علمت
ان من هذه صفته مستحق للمقت من الله عز وجل وذلك انه مضاد لارادته اذ هو
تعالى المتفضل على الكل المريد للخير المطلق للكل وقد رسم الحسد بانه اغتمام الانسان
بخير ينال غيره من حيث لا مضرة عليه منه ثمة وقد يوجد الحسد ممن لم تقع ما
من المحسود وهي الحسد البالغ فاما تعليله وجوب تركه بانه ياكل الحسنات كما تاكل
النار الحطب فاعلم ان للعلماء فيه اتفقوا على ان الحسد مضر بالنفس والحسد اما بالنفس
فلانه يزعجها ويعرف فكرها ما الاهتمام بامر المحسود حتى لا تفرغ للتصرف فيما يعود
نفعه عليها بل وينسى ما حصلت عليه من الملكات الخيرية التي هي الحسنات المنقوشة
في جوهرها ويمحوها على طول تعود الحسد واشتغال الفكر فيه وطول الحزن والغم لان
نعم الله على عباده اكثر من ان تحصى فاذا كان الحسد بها دام فانقطع وقت الحاسد
به عن تحصيل الحسنات واما بالجسد فلانه يعرض له عند حدوثه من الاعراض
للنفس طول السهر وسوء الاغتذاء ويعقب ذلك رداءة اللون وسوء السحنة و
فساد المزاج اذا عرفت ذلك فنقول انه قد استعار هاهنا لفظ الاكل لكون
الحسد ماحيا لما في النفس من الخواطر الخيرية التي هي الحسنات ومانعا من صيرورتها
ملكات وذلك بسبب استغراقها في حال المحسود واشتغالها به وشبه ذلك باكل
النار الحطب ووجه الشبه ما يشترك فيه الحسد والنار من افناء الحسنات
والحطب واستهلاكهما الحادي عشر النهي عن التباغض وتعليله ذلك بانها
الحالقة واعلم انه لما كان امر العالم لا ينتظم الا بالتعاون والتظافر وكان التعاون

انا يتم بالالفة فكان اقوى اسباب الالفة هو المودة والمواخاة بين الخلق
كانت المودة من المطالب المهمة للشارع ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه
بين اصحابه ليخلص محبتهم وتصفو الفتهم ويصدق بينهم التعاون والتظافر
والاتحاد في الدين وقال صلى الله عليه المرء كثير باخيه ولاخير في صحبة من لا يرى لك
من الحق مثل ما ترى له فلذلك كان التباغض بينهم منهيا عنه مكروها في
الشريعة لما يستلزمه من التقاطع بينهم وعدم تعاونهم وتظافرهم وبسبب ذلك
تتخطف كلا منهم ايدي حاسديه ويتحكم فيه اهواء اعاديه فلا تسلم له نعمة ولا اليك
يصفو له مودة بل يكون بذلك بواره وانقطاع التنوع وهلاكه ولذلك قال عليه السلم
فانها الحالقة واصل هذا اللفظ مستعار مما لحلق الشعر كالموسى ونحوها للادوات
واسباب الشر ثم سار مثلا وقد وقع هاهنا موقعه من الاستعاره ووجه المشا
بهة ان الموسى مثلا لما انه سبب لحلق الشعر واستيصاله كذلك التباغض سبب
لاستيصال الخلق بعضهم بعضا الثاني عشر التنبيه على مضار الامل للدنيا
تنفيرا عنه والامر بتكذيبه المستلزم للنهي عنه واما مضاره فاحدها انه يوجب
سهو العقل اي عما هو اولى بالانسان في معاشه ومعاده وهو ظاهر فان الامل
ابدا مشغول الفكر بما يامله ويرجوه وفي كيفية تحصله وكيفية العمل به بعد
حصوله وشغله بذلك يستلزم اعراضه عن غيره اذ ما جعل الله لرجل من قلبين في
جوفه الثاني انه ينسي الذكر اي ذكر الله تعالى وما بعد الموت من احوال
الاخرة وذلك باستغراقه في ما يامله من احوال الدنيا كما مر الثالث
انه غرور وصاحبه مغرور وروي بفتح الغين من غرور وضمها ووجه الفتح
ان الامل ليس هو نفس الغفلة عن الذكر وغيره بل مستلزم لها فلذلك صدقت
نسبة الغرور اليه ووجه الضم انه مجاز من باب اطلاق اسم اللازم على ملزومه
واما تكذيبه فبذكر الموت ودوام اخطاره بالبال وملاحظة المرجع والمعاد
وانما سمى رد الامل تكذيبا له لان النفس حال توقعها للامور يكون حكمها حكما
وهميا ببلوغه ونيله فاذا رجعت الى صرف العقل وملاحظة الموت وجواز
الانقطاع به عن بلوغ ما رجته كان تجويزها ذلك تكذيبا لما جزم به الوهم
من الاحكام وراد له وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له
وفيها فصول الفصل الاول

في صفات

في صفات المتقين وهو قوله عباد الله
ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله
على نفسه الى قوله وينزل حيث كان منزله
اللغة القرى الضيافة والفرات صادق العذوبة والنهل
الشرب في اول الورد والجدد الارض المستوية والسرابيل القمصان والمنار
الاعلام والغمار جمع غمرة وهي الزحمة من كثرة الناس والماء ونحوه والعشوات
جمع عشوة وهي ركوب الامر على جهل به والغشوة بالغين المعجمة هي الغطاء والمبهمة
الامر الملتبس والمعضلات الشدايد وذكر من صفاتهم التي هي سبب محبة
الله لهم اربعين وصفا وقد علمت ان محبة الله تعالى يعود الى افاضة الكمالات
النفسانية على نفس العبد بحسب قربه بالاستعداد لها الى جوده فمن كان استعداده
اتم كان استحقاقه اوفى فكانت محبة الله له اكمل فالاول من تلك الاوصاف
كونه اعانة الله على نفسه اي افاضه قوة على الاستعداد يقوى به عقله على
قهر نفسه الامارة بالسوء الثاني ان يستشعر الحزن اي يتخذه شعارا له واراد الحزن
على ما فرط في جنب الله والتسبب من الاثم فانه من جملة ما اعدته المعونة الالهية لا
وهو افاده ستشعاره ليستعد به لكمال اعلى الثالث ان يتجلبب الخوف جلبابا واستعار لفظ
الجلباب وهو الملحفة للخوف من الله والخشية من عقابه ووجه المشابهة ما
يشتركان فيه من كون كل منهما ملتبسا به وهو ايضا معونة من الله للعبد
على تحصيل السعادة الرابع زهرة مصباح الهدى في قلبه وهو اشارة الى شروق
نور المعارف الالهية على مرآة سره وهو ثمرة الاستعداد بالحزن والخوف ولذلك عطفه
بالفاء واستعار لفظ المصباح لنور المعرفة لما يشترك فيه من كون كل منهما سببا
للهدى وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول الخامس كونه اعد القرى ليومه النازل
به استعار لفظ القرى للاعمال الصالحة واراد باليوم النازل به يوم القيامة واستلزمت
الاستعارة تشبيهه لذلك اليوم بالضيف او بيوم القرى للضيف المتوقع نزوله ووجه
جه المشابهة ان القرى لما يبيض به وجه القاري عند ضيفه ويخلص به من ذمه
ويكسبه المحمدة والثناء منه كذلك الاعمال الصالحة في ذلك اليوم يكون سببا لخلاص
العبد من اهواله ويكسبه رضا الحق سبحانه والثواب الجزيل منه السادس
وقرب على نفسه البعيد ويحتمل وجهين احدهما ان يشير بالبعيد الى رحمة الله فانها

من غير مستحقها والمستعدة لقبولها قريبة ممن حسن عمله وكمل قبوله فالعبد
اذا راض بالاعمال الصالحة نفسه واعدها اقرب يومه كانت رحمة على غاية
من القرب منه كما قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين الثالث يحتمل
ان يريد بالبعيد امله الطويل في الدنيا وبتقريبه له على نفسه تقصيره له
بذكر الموت دون بلوغه لما سبق السابع كونه قد هون الشديد ويحتمل ايضا
معنيين احدهما ان يريد بالتشديد اهوال الاخرة وعذاب الجحيم وتهوينه لها بالاعمال
الصالحة واستشراق انوار الحق وظاهر كونها مهونة لشديد عذاب الله الثاني
ان يريد بالتشديد شدائد الدنيا من الفقر والاهتمام بالمصائب التي تتوارد من
الظلم وفقد الاحبة والاقرباء ونحو ذلك وتهوينه كذلك تسهيله على خاطره و
استحقاره في جنب ما يتصوره من الفرحة بلقاء الله وما اعده له من الثواب
الجزيل في الاخرة كما قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا
انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم
المهتدون الثامن كونه نظر اي تفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله
من شيء فابصر اي فشاهد الحق سبحانه في عجائب مصنوعاته بعين بصيرته التاسع
وذكر فاستكثر اي ذكر ربه ومعاده فاستكثر من ذكره حتى صار الذكر ملكة له
وتجلى المذكور في اطوار ذكره لمرآة سره ولا شك ان الذكر باب عظيم من ابواب
الجنة العاشر كونه ارتوى من عذب فرات يشبه العلوم والكمالات النفسا
نية التي تفاض على العارف بالماء الزلال فاستعار له لفظ العذوبة والفرات
ورشح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وقد سبق وجه هذه الاستعارة مرارا الحادي
عشر كونه سهلت له موارده الفائزون بقصب السبق في طريق الله لا يغفلون
عن تأييد الحق لخاصية مزاجه تكون لهم بها سرعة الاستعداد لقبول الكمالات
الموصلة اليه اذا عرفت فنقول موارد تلك الكمالات من العلوم والاخلاق
وهي معادنها ومواطنها المنتزعة منها وهي النفوس الكاملة التي يقتدى بها و
يؤخذ عنها انوار الله كالانبياء ويصدق تلك الموارد ايضا على بدايع صنع الله
التي يردها ذهن العبد ويكتسب بها الملكات الفاضلة وسهولة تلك الموارد
لهم هو سرعة فيضها لاخذ الكمالات عنها بسهولة باذهان صافية هيأتها العناية
الالهية لقبولها وتيسرتها لذلك الثاني عشر فشرب نهلا اي اخذ تلك

الكمالات

الكمالات سابقا اليها كثيرا من ابناء نوعه ومتقدما فيها لسهولة موردها
عليه وهي الفاظ مستعارة لاخذه لها وسبقه اليها ملاحظة لشبهه بشرب
السوابق من الابل الى الماء الثالث عشر كونه قد سلك سبيلا جددا الى سبيل
الله الواضح المستقيم العدل بين طرفي التفريط والافراط الرابع عشر كونه
قد خلع سرابيل الشهوات اكثر الاوصاف السابقة اشار فيها الى تحصيل العلم ولا
يستعد له واشار بهذا الوصف الى طرف الزهد واستعار لفظ السرابيل للشهوات
ووجه المشابهة تلبس صاحبها بها كما يتلبس بالقميص ورشح بلفظ الخلع لتخليه
به عن طرحه لاتباع الشهوة والعادة عنها فيما تخرج به عن حد العدل الخامس
عشر وتخلى من الهموم اي من هموم الدنيا وعلائق احوالها وطرح كل مقصود عن
قصده الا هما واحدا تفرد به وهو الوصول الى ساحة عزة الله وتوجيه سره الى
مطالعة انوار كبريائه واستشراقها وهو تمام الزهد الحقيقي وظاهر كونه منفردا
به عن غيره من ابناء نوعه السادس عشر تخرج عن صفة العمى اي عمى الجهل
لما حصل عليه من فضيلة العلم والحكمة وعن مشاركة اهل الهوى اي في اغراضهم ونحو
ادهم على حاق الوسط من فضيلة العفة السابع عشر فصار من مفاتيح الابواب
الهدى فابواب الهدى هي طرقه وسبله المعدة لقبوله من واهبه وقد وقف
عليها العارفون ودخلوا منها الى حضرة جلال الله فوقفوا على مراحلها ومنازلها
ومنها ومنها فصاروا مفاتيح لما انغلق منها على اذهان الناقصين ومصابيح
فيها النفوس الجاهلين ولفظ المفتاح مستعار للعارف ووجه المشابهة ظاهر
الثامن عشر ومغاليق ابواب الردى فابواب الردى هي طرق التفريط والافراط
والمسالك التي تخرج فيها عن حدود الله المؤدي سلوكها الى قرار الجحيم والعارف
لما سد ابواب المنكرات يسلكها الجاهلون ولزم طريق العدل لا جرم اشبه الغلاق
الذي يكون سببا لسد الطريق ان يسلك فاستعير لفظه له وفي القرينتين مطا
بقة فالمغاليق بازاء المفاتيح والردى بازاء الهدى التاسع عشر قد ابصر اي بنور
بصيرته طريقه اي المامور بسلوكها والمجذوب بالعناية الالهية اليها وهي صراط
الله المستقيم العشرون وسلك سبيله اي لما ابصر السبيل سلكها اذ كان السلوك
هو المقصود الاول الحادي والعشرون وعرف مناره لما كان للسالك الى الله
قد يستقيم به طريق الحق اتفاقا وذلك كسلوك من لم يستكمل قوة النظر تبة

بالعلوم وقد يكون سلوكه بعد استكماله بها فالسالك كذلك قد عرف با
البرهان مناره اى اعلامه المقصودة فى طريقة التى هى سبب هدايته
وهى القوانين الكلية العلمية ويحتمل ان يريد بالمنار ما يقصده بسلوكه و
هو حضرت جلال الله وملايكته المقربون الثانى والعشرون قد قطع عماره
واشار بالعماد الى ما كان معمورا فيه من مشاق الدنيا وهمومها والتالم بسبب
فقدها ومجاذبة اهلها الافات العارف مشغول عن ذلك والتالم بسببه الثالث
والعشرون واستمسك من العرى باوثقها ومن الجبال بامتنها اراد باوثق العرى
وامتن الجبال سبيل الله واوامره استعاره ووجه المشابهة ان العروة
كما يكون سببا للنجاة من تمسك بها وكذلك الحبل وكان اجودها ما يثبت و
امتن ولم ينفصم طريق الله المؤدى اليه يكون لزومه والتمسك باوامره سبب
للنجاة من اهوال الاخرة وهى عروة لا انفصام لها واوامرها حبال لا انقطاع
لها واليه الاشارة بقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد
استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها الرابع والعشرون فهو من اليقين
على مثل ضوء الشمس اى فكان بتمسكه باوامر الله ونواهيه ومجاهدته في سبيله
قد استشرق انوار اليقين فصار مشاهدا بعين بصيرته عالم الملكوت
رايا بها الجنة والنار عين اليقين كما يرى ببصيرة الظاهر نور الشمس فى
الوضوح والجلاء الخامس والعشرون قد نصب نفسه لله سبحانه فى ارفع
الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع الى اصله اى لما كمل فى
ذاته نصب نفسه لارفع الامور من هداية الخلق وافادتهم لقوانين طرق
الله فصار كالمصباح يقتبس منه انوار العلم فهو لكونه مليا بها قايم باصدار الا
جوبة عن كل ما ورد عليه من الاسولة التى استبهم امرها على الاذهان ورد
رد كل فرع من فروع العلم الى اصله المنشعب عنه السادس والعشرون
كونه مصباح ظلمات اى يهتدى به الساهون فى ظلمات الجهل الى الحق و
لفظ المصباح مستعار له كما سبق السابع والعشرون كونه كشاف عشوات
اى موضح لما اشكل امره وركب فيه الجهل من الاحكام الملتبسة مميز الوجه
الحق منها ومن روى بالغين المعجمة فالمراد كشاف اغطية الجهالات عن ابصار
البصاير الثامن والعشرون وكذلك كونه مفتاح مبهمات اى فاتح لما

التعلق

لما انغلق على اذهان الخلق واستبهم وجه الحق فيه من الاحكام التاسع و
العشرون كونه دفاع معضلات اى يدفع كل ما يرد فى معضلة من معضلات
الشرع صعب على الطالبين تميز وجه الحق فيه وتحيرهم ببيانه عن التردد
فيها وهى الجهل الثلثون وكذلك كونه دليل فلوات واستعار لفظ الفلوات
لموارد الشكوك وهى الامور المعقولة ووجه المشابهة ان الفلوات كما لا يهتدى
لمسالكها الا الادلاء الذين اعتادوا سلوكها وضبطوا مراحلها ومنازلها حتى
كان من القايدة له منهم فيها الابد وان يتيه فيها ويكون جهله بطرقها سببا لهلاكه
كذلك الامور المتصورة المعقولة لا يهتدى لطريق الحق فيها الا من لحظت له العنا
الالهية لصنعه فالقت بزمام عقله الى استاد مرشد يهديه سبل الحق فيها
ومن لم يكن كذلك حتى جاز عن طريق الحق فيها خبط فى ظلمات الجهل خبط عشواء
وسلكت به شياطينه ابواب جهنم والعارفون هم ادلاء هذه الطرق والواقفون
على اخطارها ومنازل السلامة فيها يعرفون بما يدعهم الحادى والثلثون كونه
يقول فيفهم وذلك لمشاهدته عين الحق من غير شبهة يعتريه فيما يقول ولا
اختلاف عبارة عن جهل بالمقول الثانى والثلثون كونه يسكت فيسلم اى من
خطر القول ولما كانت فايدة القول الافهام والافادة وفايدة السكوت السلامة
من افات اللسان وكان كلامه فى معرض المدح لا جرم ذكرهما مع فايد
تهما والمقصود ان العارف يستعمل كلا من القول والسكوت فى موضعه
وعند الحاجة اليه فقط الثالث والثلثون كونه قد اخلص لله فاستخلصه
وقد عرفت ان الاخلاص لله هو النظر اليه مع حذف كل خاطر سواه عن
درجة الاعتبار واستخلاص الحق للعبد هو اختصاصه من بين ابناء نوعه
بالرضى عنه وافاضه انواع الكمال عليه وادنائه الى حضرت قدسه وانفرا د
لمناجاته وظاهر ان اخلاصه سبب استخلاصه كما قال تعالى واذكر فى الكتاب
موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقر
بناه نجيا الرابع والثلثون فهو من معادن دينه استعار لفظ المعدن له
ووجه المشابهة اشتراكهما فى كون كل منهما اصلا ينتزع منه الجواهر فمن
المعادن انواع الجواهر المحسوسة ومن نفس العارف جواهر العلوم والا
خلاق وساير ما اشتمل عليه دين الله الخامس والثلثون كونه من اوتاد

ارضه استعار له لفظ الوتد ووجه المشابهة كون كل منهما سببا لحفظ
ما يحفظ به فبالوتد يحفظ الموتود وبالعارف يحفظ نظام الارض واستقامة
امور هذا العالم وقد سبق مثله في قوله في الخطبة الاولى ووتد بالصخور
ميدان ارضه السادس والثلثون كونه الزم نفسه العدل فكان اول عدله
نفي الهوى عن نفسه لما كان العدل ملكة ينشا عن الملكات الثلث وهي الحكمة
والعفة والشجاعة وكان العارفون قد راضوا انفسهم بالعبادة وغيرها
حتى حصلوا على هذه الملكات الخلقية لاجرم كان بسعيه في حصولها قد الزم
نفسه العدل ولما كان العدل في القوة الشهوية وهو ان يصير عفيفا لا خاملا
للشهوة ولا فاجرا اصعب من العدل على ساير القوى لكثرة موارد الشهوة و
ميلها بالانسان الى طرف الافراط ولذلك كان اكثر المناهي الواردة في الشريعة
هي من موارد الشهوة لاجرم كان مقتضى المدح ان يبدا بذكر نفي الهوى عن نفسه
ولان السالك اول ما يبدا في تكميل القوة العملية باصلاح القوة الشهوية
فيقف عند حدود الله تعالى ولا يتجاوزها في ماكول او منكوح او مكسب ونحوه
السابع والثلثون كونه يصف الحق ويتبع قول الحق بعمله فان الخلف في
القول عند الخلق قبيح ومع الله اقبح ولذلك عاتب الله المومنين يا ايها
الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
وكانوا قالوا لنفعلن في سبيل الله ما فيه رضاه فلما كان يوم احد لم يثبتوا
واكد عتابا به بشدة مقته لخلفهم وعدم مطابقة افعالهم لاقوالهم الثامن و
والثلثون كونه لا يدع للخير غاية الا امها لما فرغ من جزئيات اوصاف
العارف شرع فيها اجمالا فذكر انه طالب لكل غاية خيرية اي لا يقنع
ببعض الحق ويقف عنده بل يتناهى فيه ويستقصي غاياته التاسع و
الثلثون وكذلك هو قاصد لكل مظنة له ومظنته كل محل امكنه ان
ينتزعه منه ويستفيده كالاولياء ومجالس الذكر وغيرها الاربعون كونه
قد امكن الكتاب من زمامه فهو قائده الى اخره فتمكينه الكتاب كناية
عن انقياده لما اشتمل عليه من الاوامر والنواهي واستعار لفظ الزمام لعقله
ووجه المشابهة ما يشتركان فيه من كون كل منهما اله الانقياد وهي استعارة
لفظ المحسوس للمعقول وكذلك استعار لفظ القايد للكتاب لكونه

ويعمله اى

جاذبا

جاذبا بزمام عقله الى جهة واحدة مانعا له عن الانحراف فيها وكذلك
لفظ الامام لكونه مقتدى به و قوله يحل حيث حل ثقله و
ينزل استعار وصفي الحلول والنزول اللذين هما من صفات المسافر وكنى
بحلوله حيث حل عن لزوم اثره والعمل بمقتضاه ومتابعته له في طريق
سفره الى الله بحيث لا ينفك عنه وجودا وعدما وبالله التوفيق والعصمة
الثاني قوله وآخر قد تسمى عالما وليس به فاقتبس جهائل من
جهال الى قوله وذلك ميت الاحياء اقول وهذا
الفصل لانه فتنة واقوى فسادا للدين لتعدي فتنته من نفسه الى غيره و
ذكر له اوصافا الاول كونه قد تسمى عالما وليس بعالم طلبا للرياسة وتحصيل
الدنيا وهذا الصنف من الناس كثير والعلماء فيهم مغمورون الثاني كونه
قد اقتبس جهائل من جهال واضاليل من ضلال والجهائل جمع جهالة واراد
الجهل المركب وهو الاعتقاد الغير المطابق لما في نفس الامر وهذا الوصف
اضداد اسباب الاول ونسبة الاقتباس الى الجهل نسبة مجازية لما ان الجهل يشبه
العلم في كونه مستفادا على وجه التعلم والتعليم والاضاليل من لوازم الجهالات
وهي الانحراف عن سواء السبيل وانما قال من جهال وضلال لكون اثبات الجهل
والضلال له اكد فان تلقفهما عن الجهال الضلال واعتقادهما اثبت و
ارسخ في النفس من ساير الجهالات الثالث كونه نصب للناس اشراكا من
حبائل غرور وقول زور استعار لفظ الاشراك والحبائل لما تغر علماء السوء
به الناس من الاقوال الباطلة والافعال المزخرفة ووجه المشابهة ما يشترك
فيه الشرك من الحبائل وغيره وساير ما تحدث به الخلق من اقوالهم وافعالهم في
كونها محصلة للغرض فالشرك للصيد وغرور هولاء لقلوب الخلق و
رشح تلك الاستعارة بذكر النصب الرابع قد حمل الكتاب على ارائه اي حمل في
تفسير كتاب الله تعالى مذاهب مخيلة ويكفيك منها ما يعتقده المجسمة من
ظواهرها المشعرة بتجسيم الصانع جلت قدرته وتفسيرهم للكتاب على ما
اعتقدوه من باطلهم الخامس وعطف الحق على اهوائه من فسر الفاظ
القران على حسب عقيدته الفاسدة ورايه الباطل فقد عطف الحق على هواه
اي جعل كل ما هو عنده حقا يتبع تاويلها ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت

السموات والارض ومن يهتن السادس كونه يوم الناس من العظايم ويهون
كثر الحرام اى يسهل على الناس لو الاخرة فى موضع تحتاجون فيه الى ذكر وعيد الله
وتذكيرهم باليم عقابه كما تخل الجاهلون ولعرضوا عن اوامر الله تعالى ونواهيه
فاذا حضروا مجالس جهال الواعظين والزهاد توسلوا الى استجلاب قلوبهم وسبيل
مناصبهم باجتماعهم عليهم بان ذكروا لهم مواعيد الله كقوله تعالى ان الله يغفر
الذنوب جميعا ونحوه فيهون عليهم بذلك عظيم الوعيد واهوال الاخرة ويصغر عندهم
جرايمهم التى ارتكبوها فى جنب ما تصوّروه من الوعد الكريم ويساعدهم ميل طباعهم
الى المشتهيات الخارجة عن حدود الله فتعاودوا ما قترفوه ولا كذلك العالم اذ
من شانه ان يستعمل كلا من ايات الوعد والوعيد فى موضعهما ليبقى السامعون
بين خوف ورجاء فلا يغرهم لوامع اللذات الفانية اتكالا على الوعد ولا يقنطوا
من رحمة الله نظرا الى الوعيد السابع يقول اقف عند الشبهات اى اذ لم
انتهى الى امر فيه شبهة لا اقدم عليه وفيما وقع وذلك لجهله بمواقع الشبهة
وغيرها الثامن يقول اعتزل البدع اى ما يبتدع من الامور المخالفة لقوانين
الشريعة وبينهما اضطجع كنى باضطجاعه من البدع عن تورطه فيهما الكناية با
المستعار وذلك ايضا لجهله باصول الشريعة وكيفية تفريعها التاسع فالصورة
صورة انسان والقلب قلب حيوان اراد بالحيوان غير الانسان لما هو مختص به
فى العرف واطلق على قلبه انه قلب حيوان كالحمار ونحوه لما بينهما من المناسبة
وهو عدم صلاحيتها لقبول المعارف والعلوم مع ميلهما الى الشهوات العاشر
كونه لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصدّ عنه اى لا يعرف لجهله
قانون الهداية الى طرق الحق فيسلكه ولا وجه دخوله فى الباطل فيعرض عنه
وذلك ان الجاهل الجهل المركب لما جاز عن سبيل الله وجزم بما اعتقده من
الباطل امتنع مع ذلك الجزم ان يعرف باب الهدى ومبدا الدخول اليه
فامتنع منه اتباعه ولما اعتقد ان ما جزم به من الباطل هو الحق امتنع
ان يعرف مبدا دخوله فى الجهل وهو باب العمى فامتنع منه ان يصدّ عنه
ثم حكم عليه بعد تلك الاوصاف انه ميت الاحياء اى ما كونه ميتا فلان
الحياة الحقيقية التى بطلت لكل عاقل والتى وردت الشرايع والكتب
الالهية بالامر بتحصيلها هى حيوة النفس باستكمال الفضايل التى هى

سببه

سبب السعادة الباقية وقد علمت ان الجهل المركب هو الموت المضاد لتلك
الحياة فالحاصل بالحقيقة ميت واما انه حى الاحياء فلانه فى صورة حى

الفصل الثالث قوله

اين تذهبون وانى تؤفكون الى قوله
ولا يتغلغل اليه الفكر اقول

تؤفكون تصرفون والتيه الضلال والعمه الحيرة والتردد وعترة الرجل
ما قاربه من ولده وولد ولده وادانى بنى عمه والهيم الابل العطاش واعلم
انه لما قدم المتقين بصفاتهم والفاسقين بصفاتهم كان فى ذكرهما تنبيه
على وضع طريق الحق والباطل ولوازمهما فلذلك اعقبهما بالتنبيه على كونهم فى
ضلال وتيه وعمى عن الحق ثم بالتخويف والتبكيت والتذكير بكتاب الله وعترة
رسوله ليلزموا متابعتهم ويسلكوا بهم طريق اهل التقوى ويفيئوا عن ضلالهم
الى اقتباس انوار الحق من اهله فقوله فاين تذهبون الى قوله
منصوبه سؤال عن ما يذهبون اليه وعن وقت صرفهم عن ذلك الغى سؤالا على
سبيل الانكار لما هم عليه من الطريق الجائرة والواو فى قوله والاعلام الحال
واشار بالاعلام الى ائمة الدين ووضوحها ظهورها بينهم وكذلك المنار و
نصبها قيام الائمة بينهم ووجودهم فيهم ثم اردف ما انكره من ذهابهم و
يعجب منه بتفسيره فقال فاين تباه بكم وكيف يعمهون ونبه به على ان الذهاب
الذى سالهم عنه هو تيههم فى الضلال وحيرة الجهل والتردد فى الغى وتنبيه
منه ان قوله وانى يؤفكون اى متى يصرفون عن نبيكم وذهابكم فى الضلالة
و قوله وبينكم عترة نبيكم الواو للحال ايضا فالعامل يعمهون
وتباه بكم وكذلك الواو فى قوله وهم ازمة الحق والمعنى كيف يجوز ان تتيهوا
وترددوا فى ظلمات الجهل مع ان فيكم عترة نبيكم واراد بعترته اهل بيته عليهم
السلام واليه الاشارة بقول الرسول صلى الله عليه وآله انى مخلف فيكم ما ان تمسكتم به
لن تضلوا كتاب الله وعترتى اهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض و
استعار لهم لفظ الازمة ووجه المشابهة كونهم قادة الخلق الى طريق الحق كما
يقود الزمام الناقة الى الطريق وكذلك استعار لهم لفظ الالسنة ووجه المشابهة
كونهم تراجمة الوحى الصادق كما ان اللسان ترجمان النفس وخدا ان

يريد بكونهم للسنة للصدق انهم لايقولون الا صدقا و قوله فانزلوهم باحسن
منازل القران فاعلم ان للقران منازل القلب وهو فيه نزلتين احداهما منزلة
الاكرام والتعظيم والثانيه منزله التصور فقط من دون تعظيم الثالثه منزلة
في الوجود اللساني بالتلاوة الرابعه منزلة في الدفاتر والكتب واحسن منازله
هي الاولى فالمراد اذن الوصية باكرامهم ومحبتهم وتعظيمهم لما يكرم القران بالمحبة
والتعظيم و قوله وردوهم ورد الهيم العطاش ارشادلهم الى اقتباس
العلوم والاخلاق منهم اذ كانوا لمعادنها ومنا كانت للعلماء ورثة شبه اليتامى
والعلم يشبه بالماء العذب وعادمه بالعطشان حسن منه ان يامرهم بورودهم وان
يشبه الورود المطلوب منهم بورود الابل العطاش و قوله ايها الناس
الا قوله وليس بال لما كان ذلك اللم في معرض ذكر الفاتحة فكانما قد تقدم ذكرها
فلذلك حسن ايراد الضمير في قوله خذوها وان لم يسبق لها ذكر واشارة ل النبي
صلى الله عليه بهذه الكلمة تقرير لقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء يرزقون فرحين الايه ولما اتفقت عليه كلمة العلماء ونطقت به البراهين
العقلية وان اولياء الله لايموتون ولايبلون وان بليت اجسادهم قال بعض
الغايصين فيما لايعنيه قوله ويبلى من بلي منا ليس بلي نص على ان الاجساد
الاولياء تبلى و ذلك الخالف ما يعتقده الناس من ان اجسادهم باقيه الى يوم القيامه
بحالها قلت الاعتقاد المذكور لبعض الناس انما نشاء من قول الرسول صلى الله
عليه في قتلى بدر زملوهم بكلومهم ودمايهم فانهم يحشرون يوم القيامة واوداجهم
يشخب دما وقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الايه وليس ولا
واحد منهما يدل على ان الاجساد لايموت ولاتبلى اما الخبر فليس مقتضاه انها يبقى
صحيحة يشخب دما الى يوم القيامه بل ذلك مما يشهد ببطلانه الحس بل يحمل
على انها كما تعاد يوم القيامه تعاد مجروحه يشخب خراجها دما كهيئتها يوم موتها
واما الايه فالذى اجمع عليه علماء المفسرين ان الحياة المذكورة فيها هي حيوة
النفوس وهو ظاهر في سبب نزولها عن ابن عباس رض قال قال رسول الله
صلى الله عليه لما اصيبت اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طيور
خضر ترد انهار الجنة و تاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقه
في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم و مقيلهم قالوا من يبلغ

اخواننا

اخواننا عنا انا في الجنه نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب
فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
الايه فاذن لامنافاة بين كلامه عليه السلم وما ورد في القران والخبر ومقصوده
بهذه الكلمه تقرير فضيلتهم وانهم لو اماتوا باقون عندربهم في ظل كرامته وقوله
فلا تعولوا بما لا تعرفون تنبيه على الرجوع الى العترة العارفين بما ينبغي ان
يقال قوله فان اكثر الحق فيما ينكرون تاكيد للامر بالتثبت في الاقوال
والنهي عن التسرع اليها والجاهل قد يستنكر الحق اذا خالف طبعه او نبا عنه
فهمه او سبق اعتقاد ضده اليه بشبهه او تقليد فنبه على ان اكثر الحق فيما
ينكرونه لئلا يتسرعوا الى القول عن غير علم ولذلك ذكر هذه القضية مرتبه
بفاء التفصيل و قوله واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو انا طلب
عليه السلم العذر منهم فيما يلحقهم من عذاب الله بسبب تقصيرهم فان العذر الاحق
لهم قد انذروا به وتوعدوا فلو قصر هو عليه السلم في تذكيرهم بتلك الوعيدات
والانذارات مع كون ذلك ماخوذا عليه من الله تعالى لكانت حجتهم عليه قايمة
ولما كان له عذر لكنه بلغ وحذر وقد اعذر من انذر وانما ذكرهم بسلب الحجة
عنه في ذلك ليتذكروا خطاهم ولعلهم يرجعون و قوله الم اعمل فيكم الى
قوله من نفسي تقبيح لما جاءهم به من الجواذب الى الله فاعذر اليهم بها
واتى بلفظ الاستفهام على سبيل التقريع والتبكيت والثقل الاكبر كتاب الله وانما ر
بكونه اكبر الى انه الاصل المتبع المقتدى به والثقل الاصغر الايمة من ولده عليهم
السلم وكنى براية الايمان عن سنته المتبعه وطريقته الواضحة في العمل بكتاب
الله وسنة رسوله كناية بالاستعارة ووجه المشابهة كون طريقته مهتدى بها
الى سلوك سبيل الله كما يهتدى بالاعلام والرايات امام الجيش ونحوه ولفظ
الركز ترشيح للاستعارة كنى به عن ايضاحها لهم وتوقيفه على حدود الحلال
والحرام تعريفهم اياها واراد بالعافية اللامه من الاخلاق الحاصل من ايدي
الظالمين واستعار لفظ اللباس لها ووجه الاستعارة ان العافيه تشمل
العافي كالقميص وكذلك استعار لفظ الفرش للمعروف لكونه اذا وطئت فقد اعدع
يستراح كالفراش و قوله وارتكم كرايم الاخلاق من نفسي اي اوضحتها لكم وشاهدتموها مني متكررة و قوله فلا تستعملوا الراي

الى اجزه نهى لهم عن الاشتغال بالخوض في صفات الله والبحث عن ذاته على غير قانون واستاد مرشد بل بحسب الراى والتخمين فان تلك الدقائق لما كانت لا ساحل لها ولا غاية تقف الفكر عندها وان تغلغل في اعماقها وكانت مع ذلك في غاية للعسر والدقة وكثرة الاشتباه كان الخائض له فيها ولهم الاشتغال بها مودنا الى الخبط وافتراق المذاهب وتشتت الكلمة والاشتغال بذلك عن الانتظام في سلك الدين والاتحاد فيه كما عليه من ينتسب الى العلم بعده وكل ذلك ضد مطلوب الشارع فان الالفة والاتحاد في الدين من اعظم مطلوباته ويحتمل ان يريد مطلق دقائق العلم وتفريع الفقه على غير قانون من امام هدى بل بالراى عن ادنى وجوه **قوله** حتى نطق القائل ان الدنيا معقوله على بني امية تمنحهم دررها وتوردهم صفوها ولا يرفع عن هذه الامة سوطها ولا سيفها فكذب القائل لذلك بل هي مجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة **قوله** معقوله محبوسة والمجة النفلة من فم الشراب اذا قذفه من فيه والبرهة لمدة من الزمان فيها طول ولفظ كما القاه من فيه وهذا الكلام من فصل يذكر فيه حال بني امية وطول مدتهم وبلاء الخلق بهم فقوله حتى نطق القائل الى قوله سيفها غاية من غايات طول عناء الناس معهم واستعار للدنيا اوصاف احدها كونها معقوله ووجه الاستعارة ملاحظة شبهها بالناقة في كونها محبوسة في ايديهم كما تحبس الناقة بالعقال الثاني كونها ذات در تمنحهم اياه ووجه الاستعارة ايضا الاشبهها بالناقة في كونها محبوسة في ايديهم كما تحبس الناقة بالعقال الثاني كونها ذات در تمنحهم اياه ووجه الاستعارة ايضا الى تشبيهها بالناقة في كون ما فيها من فوائدها وخيرها مهيئة لهم ومصبوبة عليهم كما تبذل الناقة درها لحالبها الثالث كونها تورد هم صفوها او نسبة الايراد اليها مجاز ويجوز بالسوط والسيف فما فيه لاقوه معهم من العذاب والقتل ونحوه استعمالا للفظ السبب في المسبب و **قوله** وكذب القائل لذلك اضرب له لما عساه يظن من ذلك بتحقير ما حصلوا عليه من الامر والتنعم به وتحقيرته واستعار لذلك لفظ المجة وكنى بكونها مطعومة لهم عن تلذذهم بها مدة لعمرهم وبكونها ملفوظة عن زوال مامره عنهم واكده ذلك الزوال بقوله جملة اي بكليتها وهي كناية بالمستعار تنبيها لها بالنقمة التي لا يمكن اساغتها والله التوفيق والعصمة



## ومن خطبة له عليه السلام

اما بعد فان الله سبحانه لم يقصم جباري دهر قط

**اقول** القصم بالقاف الكسر والازل بفتح الهمزة الضيق والشدة واقتفى اثره تبعه ومقصود هذا الفصل توبيخ الامة على اختلاف الارآء في الدين واستبداد كل منهم بمذهب بحسب رايهم في المسائل الفقهية ونحوها مع وجود عليه السلام بينهم واعراضهم عن مراجعته مع علمهم بقيامه بذلك فقوله اما بعد الى قوله بيص صدر الخطبة وكانه عليه السلام فهم ممن خرجت هذه الخطبة فيهم انهم انما يستبدون بارائهم من دون مراجعته عن كبر منهم على التعلم والاستفادة ومحبة الراحة من ثقل كلفة التحري في الدين والتحرز من الغلط فيه ومشقة الطلب فلذلك خوفهم من حال الجبابرة وان تصيبهم بترك قواعد الدين الى ارائهم المتفرقة فيستعدوا للهلاك بقوله انه لم يقصم جباري دهر الا بعد تمهيل ورخائهم فانهم اذا امهلوا وانغمسوا فيما هم من الرخاء والترف اعرضوا عن الاخرة ونسوا ذكر الله تعالى فاستعدوا بتركهم لقوانين الدين التي بها نظام العالم للهلاك وهو قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكذلك قوله ولم يجبر عظم احد من الامم الا بعد ازل وبلاء كنى بجبران العظم عن قوتهم بعد الضعف كناية بالمستعار وصدق هذه القضية ظاهر فان كلا من الامم المتبعين لانبيائهم او لملوكهم في الجهاد دين او طلب ملك لن تصلوا الى مطلوبهم الا بعد قوتهم وتضاعفهم وتظاهر بعضهم ببعض ومعناه بلا ازل وبلاء بحيث يستعدون بذلك للفزع الى الله تعالى فيهيئ قلوبهم لقبول الالفة ويعدها بالاجتماع على امر بعد القبول صورة النصر وفيه تنبيه على وجوب الاتحاد في الدين وعدم تشتت الارآء فيه فان ذلك يدعو الى التحزب والتفرق ويدخل عليهم الوهن والضعف وكل ذلك ضد مطلوب الشارع كما سبق ويحتمل ان يكنى بقوله لم يقصم جباري دهر عن جبابرة وقته كمعاوية واصحابه وبقوله ولم يجبر احدا من الامم الا بعد ازل وبلاء عن اصحابه فنبههم بالكلمة الاولى على ان اولئك الجبابرة وان طالت مدتهم وقويت شوكتهم فانما ذلك امهال من الله لهم ليستعدوا به للهلاك وبالكلمة الثانية على انهم وان ضعفتم

وابتليتم فذاك عادة لله يفني بد بد بنصره ثم عقب ذلك بتوبيخهم على الاختلاف
وتشعب الآراء والمذاهب في الدين لما ان ذلك يؤدي الى طول محنتهم وضعفهم
عن مقاومة عدوهم قوله وفي دون ما استقبلتم من عتب
اي من عتابي لكم واستدبرتم من خطب اي من الاهوال التي كنتم ترونها من المشركين
في صدر الاسلام حيث كنتم قليلين وامرتم ان تثبت الواحد منكم لعشرة منهم ثم ايدكم
الله بنصره وبالتاليف بين قلوبكم وجبر عظمكم بمن اسلم ودخل في دينكم وذكراى
معتبر وفيه اي اعتبار فانكم لو لم تجددوا في الدين وتقاسوا مرارة ذلك الصبر والخلاف
الاراء في ذلك الوقت كاختلافها الان وكنتم اذن على غاية من الكثرة لم يغن عنكم
كثرتكم شيئا فكانه قال فيعجب من ذلك الاعتبار ان لا يفترقوا في الآراء وان يتحدوا
في الدين ويراجعوا اعلمكم باصوله وفروعه فما كل ذي لب بلبيب الى قوله
يبصر اراد بذي القلب الانسان وظاهر ان الانسان قد يخلو عن اللب واراد باللب
العقل والذكاء واستعماله فيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي وبالجملة فاللبيب من
ينتفع بعقله فيما خلق لاجله وكذلك السميع والبصير هما اللذان يستعملان سمعهما وبصرهما
في استفادة العبرة واصلاح امر المعاد ونحوه قوله تعالى الهم ارجل يمشون بها
ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الا
بصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وفايدة هذه الكلمات تحريك النفوس الى
الاعتبار كيلا يعد التارك له غير لبيب ولا سميع ولا بصير قوله واعجبا الا صنع
اردف تعجبه بما يصلح جواب سوال مقدر عما تعجب منه وكانه فهم من تقدير ذلك السوال
نعت السايل من تعجبه المستلزم لتبرمه وتضجره حتى كان السايل يقول مم تتعجب
وعلام هذا التبرم والاسف فقال ومالي لا اعجب من خطاء هذه الفرق اعضل
ثم شرع في تفصيل الخطايا والمدام التي كان اجتماعها فيهم سببا للتعجب منهم
فاشار الى تركهم لما ينبغي ثم اردفه بذكر فعلهم لما لا ينبغي وقدم على الكل ذكر اختلاف
حججهم في دينهم وذلك هو الاصل الذي نشات عنه اكثر هذه الرذايل فاما تركهم
لما ينبغي ففي صور احدها تركهم لاقتصاص اثر نبيهم فانهم لو اقتصوا اثره لما
اختلفوا اذ الاختلاف فيما جاء به كما سبق بيانه لكنهم اختلفوا فلم يقتصوا اثر
نبيهم الثانية تركهم الاقتداء بعمل الوصي وهو اشارة الى نفسه وهذا اقطع لا
عذارهم فان الاختلاف في الدين قد يعرض عن ضرورة وهي عدم اصابة الكل الحق

مع عدم

مع عدم الشارع الذي يرجع اليه في التوقيف على اسرار الشريعة فاما اذا كان
الموقف موجودا بينهم مثله عليه السلم امتنع ان يقعوا في تلك الضرورة فيعتذروا
بها في الاختلاف الثالثة تركهم الايمان بالغيب اي التصديق به والطمانينة
في اعتقاده وللمفسرين في تفسير الغيب اقوال احدها عن ابن عباس هو ما جاء
من عند الله الثاني عن عطاء هو الله سبحانه الثالث عن الحسن هو الدار الاخرة
والثواب والعقاب والحساب الرابع قيل يؤمنون بظهر الغيب كقوله تعالى يخشون
ربهم بالغيب اي لا يحفظون شرايط الايمان في غيب بعضهم عن بعض الخامس
عن ابن عيسى الغيب ما غاب عن الحواس مما يعلم بالدليل السادس عن الاخفش
يؤمنون بما غاب عن افهامهم من متشابهات القران الرابعة تركهم العفة
عن عيب وهو اشارة الى الغيبة وظاهر انها فجور وعبور الى طرف الافراط من
فضيلة العفة واما فعلهم لما لا ينبغي فامور احدها انهم يعملون في الشبهات
اي لا يتوقفون فيما اشتبه عليهم امره ولا يحترزون عن وجه الحق فيه بل
يعملون فيه بما ادى اليه الهوى الثاني كونهم يسيرون في الشهوات لما الحظ
مشابهة ميل قلوبهم الى شهواتها الدنيوية وانغماسها فيها قاطعة مراحل الاوقات
بالتلذذ بها كالسلوك السائر في الطريق ونحوها استعار لذلك السلوك لفظ
السير الثالث كون المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر ما انكروا اي ان المعروف
والمنكر تابعان لارائهم وميولهم الطبيعية فما انكرته طباعهم كان هو المنكر
بينهم وان كان معروفا في الشريعة وما قبلته طباعهم ومالت اليه كان
هو المعروف بينهم وان كان منكرا في الدين والواجب ان تكون اراؤهم وميولهم
تابعة لاوامر الشريعة في اتباع ما كان فيها معروفا واتخاذ ما كان فيها منكرا
الرابع كون مفزعهم في المعضلات الى انفسهم وتعويلهم في المبهمات على ارائهم
وهو كناية عن كون احكامهم في كل ما يرد عليهم من مشكلات الدين وشبهه
من احكامه تابعة لاهوائهم لا يجرونها على قانون شرعي يعرف حتى انتهت
نفوسهم الامارة بالسوء التي هي منبع الاهواء المخالفة للشريعة الالهية التي يرجع
اليها في استفادة الاحكام فكل منهم ياخذ عن نفسه اي يتمسك بما رآه ويحكم به
بالآراء كانها عنده عرى وثيقة اي لا يخلو من تمسك بها واسباب محكمات اي
نصوص جلية وظواهر واضحة لا اشتباه فيها وقد عرفت معنى المحكم والعروة

مستعار وقد سبق وجه الاستعاره وبالله التوفيق والعصمة

## ومن خطبة له عليه السلم

ارسله على حين فترة من الرسل الى قوله
فانما هو ظل ممدود الى اجل معدود

اقول الفتره ما بين زمانى الرسالة والهجعة النومة
والاعتزام العزم وروى اعتزام الفتن بالزاء المهملة اى كثرتها وروى اعتراض
من اعترض الفرس الطريق اذا مشى عرضا من غير قصد وتلظت الحرب التهبت
والتجهم العبوس والاحقاب جمع حقب بضم الحاء والقاف وهو الدهر والبطان
حزام البعير للقتب وصورة هذا الفصل تذكيرهم بنعمة الله تعالى التى نعشت
ما كانوا فيه من بؤس وهى بعثه الرسول صلى الله عليه وما استلزمته من الخيرات
ليعتبروا فيشكروا ويخلصوا التوجه الى الله تعالى فاشار اولا الى النعمه المذكوره ثم
اردفها بالاحوال المذمومة التى تبدلت بتلك النعمه الجسيمة وعد منها امورا
احدها الفتره من الرسل وظاهر ان خلو الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود
الشرور ووقوع الهرج والمرج وتلك احوال مذمومة لحق ذلك الزمان
بها من الذم بمقدار ما لحق زمان وجود الرسول من المدح الثانى طول الهجعه
من الامم وكنى بالهجعة عن الغفلة فى امر المعاد وسائر المصالح التى ينبغى
الثالث الاعتزام من الفتن اما على الرواية الاولى فنسبة العزم الى الفتن
مجاز كنى به عن وقوعها بين الخلق المشبه لقصدها اياهم وعلى الرواية الثانية
اى على كثرة من الفتن وعلى الرواية الثالثة فالمعنى ان الفتن لما كانت تجرى
دافعه على قانون شرعى ولا نظام مصلحى ولذلك حسنت فتنته لاجرام اشبهت
المعترض فى الطريق من الحيوان الماشى على غير استقامه فلذلك استعير لها
لفظ الاعتراض الرابع وعلى انتشار من الامور اى تفرق امور الخلق واحوالهم
وجريان افعالهم على غير قانون عدلى الخامس التلظى عن الحروب وقد سبق
تشبيه الحرب بالنار فلذلك اسند اليها التلظى على سبيل الاستعارة وكنى
به عن هيجانها ووجودها بينهم زمان الفتره السادس والدنيا كاسفه النور
والواو للحال اى كاسفة نورها ونور الدنيا كناية عن وجود الانبياء وما يأتون
به من الشرائع وما ينتفع عنهم من الاولياء والعلماء كناية بالمستعار ووجه

المشابهة

المشابهة ما يستلزمه النور ووجود الانبياء والشرائع من الاهتداء بهما و
رشح تلك الاستعارة بذكر الكسوف وعبر به عن عدم ذلك النور منها فلاحظه
تشبيها بالشمس السابع ظاهرة الغرور اى كل قد اغتر بها وانهمك فى
مشتهياتها وخدعته بخوادعها الثامن كونه ارسل على حين اصفرار من
ورقها واياس من ثمرها واغورار من مائها استعار لفظ الثمر والورق لمتا
عها وزينتها ولفظ الاصفرار لتغير تلك الزينه عن العرب فى ذلك الوقت و
عدم طراوة عيشهم اذن وخشونه مطاعمهم كما يذهب حسن الشجر باصفرار ورقها
فلا يلتذ بالنظر اليها وعنى بالاياس من ثمرها انقطاع امال العرب اذن من
الملك والدولة وما يستلزمه من الحصول على طيبات الدنيا وكذلك استعار لفظ
الماء لمواد متاع الدنيا وطرق لذاتها ولفظ الاغورار لعدم تلك المواد من ضعف
التجارات والمكاسب وعدم التملك للامصار وكل ذلك لعدم النظام للعدل بينهم
وكلها استعارات بالكناية ووجه الاستعاره الاولى ان الورق لما انه زينة
الشجرة وبه كمالها كذلك لذات الحياة الدنيا وزينتها ووجه الثانية ان الثمر
لما انه مقصود الشجرة غالبا وغايتها كذلك متاع الدنيا والانتفاع به هو مقصودها
المطلوب منها لاكثر الخلق ووجه الثالثه ان الماء لما انه مادة الشجر وبه
حياتها وقيامها فى الوجود كذلك مواد تلك اللذات وهى المكاسب والتجارات
والصناعات وقد كانت العرب خالية من ذلك ووجه باقى الاستعارات ظاهرة
التاسع دروس اعلام الهدى وكنى باعلام الهدى عن ائمة الدين وكتبه التى
بها يهتدى لسلوك سبيل الله ودروسها عن موت اوليك وعدمهم كناية با
لمستعار كما سبق العاشر ظهور اعلام الردى وهم ائمة الضلال الداعين الى النار
الحادى عشر كون الدنيا متجهمة لاهلها عابسة فى وجوه طلابها وكنى بذلك
عن عدم صفائها لهم فان طيب العيش فى الدنيا انما يكون مع وجود نظام
العدل والتنصفه بين اهلها وعدم التظالم وذلك فى زمان الفتن مفقود
من العرب وهو كناية بالمستعار ووجه المشابهة ما يستلزمه المستعار عنه
وله من عدم تحصيل المطلوب معهما الثانى عشر كون ثمرها الفتنة اى غاية
سعيهم فيها على خبط فى ظلمات جهلهم انما هو الفتنة اى الضلال عن سبيل الله و
التيه فى ظلمات الباطل وغاية كل شى هى ثمرة موجوده فيشبه الثمرة التى هى

مقصود النجوة فلذلك استعير لها لفظها الثالث عشر وطعامها الجيفة
تحتمل ان يكون لفظ الجيفة مستعارا هنا لطعام الدنيا ولذاتها ووجه انه لما
كانت الجيفة عبارة عما انتن وتغيرت رائحته من جثة حيوان ونحوها
فتخبث ماكله وتنفر الطبع عنه كذلك طعام الدنيا ولذاتها في زمان الفترة
اكثر ما يكون من النهب والغارة والسرقة ونحوها مما تخبث تناوله شرعا
وينفر العقل منه وتاباه كرام الاخلاق فاشبه ما يحصل من متاعها اذن الجيفه
في خبثها وسوء مطعمها وان كان احد الخبيثين عقليا والاخر حسيا فاستعير
لفظها له ويحتمل ان تكون الجيفة مما كانوا ياكلونه في الجاهلية من الحيوان غير مذكى
وهو ما حرمه القران الكريم من ذلك في قوله حرمت عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة اى المضروبة بالخشب
حتى تموت ويبقى الدم فيها فيكون اطيب كما زعم المجوس والمتردية اى التي تردت
من علو فماتت فان كل ذلك اذا مات فكثيرا ما يتعفن ويوكل فيصدق ان
طعامهم كان الجيفة الرابع عشر شعارها الخوف الخامس عشر كون دثارها
السيف استعار لفظ الشعار للخوف والدثار للسيف ووجه الاستعارة
الاولى ان الخوف وان كان من العوارض القلبية الا انه كثيرا ما يستتبع اضطراب
البدن وانفعاله بالرعدة فيكون شاملا له شمول ما يتخذه الانسان شعارا
ووجه الثانية ان الدثار والسيف يشتركان في مباشرة المدثر والمضروب
من فوقهما و قوله فاعتبروا عباد الله شروع في المقصود
فقوله واذكروا تلك اشارة الى وجه العبرة من قبائح الاعمال اى تلك
الاعمال التي كانت عليها اباؤكم واخوانكم زمان الفترة وزمان دعوة الرسول
لكم و قوله فهم بها مرتهنون اى محبوسون في سلاسل الهيات البدنية
واغلال ما اكتسبوا منها ومحاسبون عليها و قوله ولعمري الى
قوله بعيد الخالق لهم باباهم في تشبيه زمانهم وتقارب ما بين الزمانين
وتشبيه احوالهم باحوالهم في امور احدها ان اولئك كانوا اباءكم وزمان الابن
وحاله بعيد من حال ابيه فيما ياتي ويذر الثاني ان الرسول صلى الله عليه
[illegible] شيا الا واسمعكم اياه فلا فرق بينكم وبينهم من هذه الجهة الثالث
انه لا تفاوت بين اسماعكم واسماعهم الرابع ان سائر الالات البدنية

التي

التي كانت لاولئك فاكتسبوا بها كمالا اولم يكتسبوا حاصلة لكم ايضا الخامس
انكم لم تعلموا شيا كان اباؤكم جهلوه حتى يكون ذلك سببا للفرق بينكم وبينهم
السادس ولا اصفيتم من الدنيا بشي لم يكن لابائكم مثله وعوضه من الخاتم بابائهم
في هذه الاحوال امران احدهما التنفير عن حال من سبق من العاصين لمخالفة
اوامر الله تعالى والثاني الجذب والترغيب في حال من سبق ممن اطاع الله
والرسول فانه اذا حصلت المشابهة بينهم وبين السابقين والمتشابهان
تتحدان في اللوازم كان من تشبه بسابق في عصيانه لزمه ما لزمه من اليم
العقاب ومن تشبه به في طاعته وانقياده لله لزمه ما لزمه من الوصول
الى جزيل الثواب و قوله ولقد نزلت بكم البلية يشبه ان يكون
انذارا بابتلاء الخلق بدولة بني امية وملوكها و قوله وجائلا خطامها
كنى بها المستعار عن خطرها وصعوبة حال من ركن اليها فانها لما كانت دولة
خارجة عن نظام الشريعة جارية على وفق الاهواء كان الراكن اليهم على خطر
في دينه ونفسه كما ان من ركن الى الناقة التي جال خطامها اى لم يثبت في
وجهها وارتخى خزامها فركبها كان على خطر ان تصرعه فيهلك ثم اردف ذلك
بالنهي عن الاغترار بما اصبح فيه اهل الغفلة من متاع الدنيا وطيباتها و
نفر عنه باستعارة لفظ الظل له ووجه المشابهة ما يشتركان فيه
ممدود الى منتهى عند اجل ونزول به وبالله التوفيق والعصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

المعروف من غير روية الخالق من غير رويه
الى قوله لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ

اقول الارتاج الاغلاق والساجي الساكن والفجاج الاتساع
والفج الواسع ودائبان مجدان في سيرهما وغائرة غالبة والمتفاوتات العادات
وقد صدر هذا الفصل باعتبارات اضافية للحق سبحانه في معرض تمجيده فالاول
كونه تعالى معروفا من غير روية وقد سبق معنى معرفته تعالى ومراتبها وبيان
كونه منزها عن الروية الخاصة بالبصر الثاني كونه تعالى خالقا من غير
روية وقد سبق ايضا بيانه في قوله في الخطبة الاولى بلا روية اجالها
الثالث كونه لم يزل دائما وذلك لكون وجوب وجوده مستلزما لاستحالة

عدمه لزلاوابدا الرابع كونه قايما فيجوز ان يريد به معنى الدايم الباقي ويجوز
ان يريد به القايم بامور العالم وللمفسرين فيه على اوجه اقوال احدها عن ابن الوجه
عباس رض كونه عالما بالخلق اينما كانوا وضابطا لاحوالهم الثاني قيامه
توكيله الحفظة عليهم وهو المشار اليه بقوله تعالى افمن هو قايم على كل
نفس بما كسبت الثالث القايم على الشي وهو الحافظ له والمدبر لامره الرابع
هو المجازي بالاعمال الخامس هو القاهر لعباده المقتدر عليهم و قوله
ذو الاسماء الى قوله ذا اعتماد اشارة الى اعتباره ازلية قيامه بذاته
وسبقه لكل ممكن ودوامه لقول الرسول صلى الله عليه كان الله ولم يكن شي فاما الحجب
ذات الازاج فيحتمل ان يريد بها السموات على ظاهر الشريعة وانه تعالى في السماء
فاشبهت الحجب له فاطلق لفظها عليها وكونها ذات ازاج كناية عن عدم
التمكن من فتحها والدخول فيها كناية بها المستعار وقال بعض الفضلاء اراد بها الهيات
البدنية وحجبة الدنيا والظلمات الحاصلة للنفس الحاجبة لها عن شهود انوار
جلال الله حتى كانها اقفال عليها كما قال تعالى ام على قلوب اقفالها وقوله
وللخلق ذو اعتماد اي ذو قوة وبطش الخامس كونه مبتدع الخلق اي مخترعه
على غير مثال سبق السادس كونه وارثه اي كماانه مبداه فهو ماله ومرجعه و
ذلك اشارة الى كونه دايما قايما لم يزل ولا يزال السابع كونه اله الخلق وهو
اعتبار لحقه بالقياس الى افاضة ساير نعمه عليهم الثامن كون الشمس والقمر
دايبين في مرضاته اي على وفق ارادته للخير المطلق في النظام الكلي وذكرهما في
معرض تمجيده لكونهما من اعظم ايات ملكه و قوله يبليان كل
جديد نسب الابلا اليهما لكون حركاتهما من الاسباب لحدوث الحوادث في
هذا العالم وتغيراته وكذلك قوله ويقربان كل بعيد وفيه جذب الى ذكر
المعاد والعمل له فكونهما يبليان كل جديد منبه على عدم الثقه والاعتماد
على مايروق ويعجب من حسن الالوان وجدتها وكذلك ما يحدث ويتجدد
من قنيات الدنيا ولذاتها الوجوب دخولها فيما يبلى وكونهما يقربان
البعيد تنبيه مع ذلك على الحذر فيما استبعده اهل الغفلة من الموت و
الفناء في حال صحة ابدانهم وسلامتهم في حياتهم الدنيا العاشر كونه تعالى
قسم ارزاقهم كقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا الى ذهب

لكل

لكل من الخلق ما كتب له في اللوح المحفوظ الحادي عشر كونه احصى اثارهم
الى قوله من الارحام والظهور اي احصى كل ذلك منهم بقلم القضاء الالهي في
الالواح المحفوظة واليه الاشارة بقوله تعالى والله يعلم اعمالكم وقوله
وما من غايبة في السماء والارض الا في كتاب مبين وقوله يعلم خاينة الاعين
وما تخفي الصدور وقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم
مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين و قوله الى ان يتناهى
بهم الغايات اي يعلم كل احوالهم من حين ابتدايهم الى ان يقف كل عند غايته المكتوبة
له من خير او شر الثاني عشر هو الذي اشتدت نقمته على اعدايه في سعة رحمته
واتسعت رحمته لاوليايه في شدة نقمته واشار بذلك الى كمال ذاته بالنسبة
الى ملوك الدنيا مثلا فان احدهم في حال غضبه على عدوه لا يتسع لرحمته ولا رحمة
غيره وكذلك في حال رحمته لاوليايه لا يجتمع معها غضبه عليهم ولما ثبت انه تعالى
هو الغني المطلق المنزه عن صفات المخلوقين وانه المعطي لكل قابل ما يستحقه
من غير توقف في جوده على امر من ذاته وكان اعداء الله مستعدون ببعدهم عنه
لقبول سخطه وشدة نقمته في الاخرة لا جرم لو لاهم ذلك وان كانوا في الدنيا في سعة
من رحمته وشمول نعمته وكذلك اوليايه لما استعدوا القبول رحمته وشمول نعمه
لفاضها عليهم فهو في حضرة قدسه على غاية من البهجة والسعادة وضروب الكرامة
وان كانوا باجسادهم في ضروب من العذاب وشقاوة للفقر والضنك في الدنيا
وذلك لا بملكه للاجلهم لا يشغله غضب عن رحمة عدل حكيم لا تمنعه رحمته عن
انزال عقوبته سبحانه ليس الا هو الثالث عشر قاهر من عاداه انه تعالى
قاهر باعتبار انه قاصم ظهور الجبابرة من اعدايه فيقهرهم بالموت والاذلال
كفرعون اذ قال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى وهو الذي يلحقه
هذا الاعتبار مطلقا اذ كل موجود فهو ممكن تحت قدرته وقهره عاجز في قبضته
الرابع عشر ومدمر من شاقه الخامس عشر ومذل من ناواه السادس
عشر وغالب من عاداه فشاقه لله اتباع غير سبيله من بعد ما يتبين له الهدى في
العمل ومناواته الاعراض عن اوامره واتباع الشهوات واذلاله تعالى هم
هو الافاضة لصورة الحاجة الى غيره السابع عشر كافي من توكل عليه الثامن
عشر ومعطي من ساله التاسع عشر وقاضي من اقرضه العشرون ومجازي من شكره

وهذه الاعتبارات تعود الى حرف واحد وهو ان العبد اذا استعد بحسن
التوكل والسؤال والصدقة والشكر لنعم الله وجب في جود الله وحكمته
افاضة كفايته فيما توكل عليه فيه فكفايته من الكمالات افاضة تمامها
عليه ومن دفع النقصانات دفعها عنه ثم اعطاؤه ما سأل اذا استعد لقبوله
ثم اداؤه عن قرضه اضعافه ثم جزاؤه على شكره زيادة انعامه واطلاق لفظ
القرض لما يعطى الفقير مجاز كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
اى برا من جهات الرياء والسمعة خالصا لوجه الله فيضاعفه له اضعافا كثيرة
ووجه المناسبة كون الفقراء اهل الله وعياله فكان المعطى هو الله تعالى
و قوله عباد الله الى آخره شروع في الشورى والموعظة فقوله
زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا زنة النفوس في الدنيا اعتبارا عمالها وضبطها
بميزان العدل اى مراعاة استقامتها على حاق الوسط من طرفي الافراط والتفريط
اللذين هما ككفتي الميزان مهما رجحت احديهما فالنقصان لازم والخسران
قائم واما الميزان الاخروي فاما على رأي المتكلمين فظاهر الشريعة وظاهر اما
على رأي محققي السالكين من الصوفية فما اشار اليه الامام الغزالي كاف في
بيانه قال ان تعلق النفس بالجسد كالحجاب لها عن حقائق الامور و
بالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم
حديد ومما ينكشف له تأثير اعماله فيما تقربه الى الله تعالى وتبعده عنه
ومقادير تلك الاثار وان بعضها اشد تأثيرا من بعض وفي قدرة الله تعالى
ان يجري شيئا يعرف الخلق به في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى
تأثيراتها في التقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز به الزيادة والنقصان
وان اختلف مثاله في العالم المحسوس فمنه الميزان المعروف ومنه القبان والاصطرلاب
لحركات الفلك والمسطرة لمقادير الخطوط والعروض لمقادير حركات الاصوات
فهذه كلها امثلة للميزان الحقيقي وهو ما يعرف به الزيادة والنقصان وهو موجود
فيها باسرها وصورته تكون موجودة للحس عند التشكيل وللخيال بالتمثيل و
قوله وحاسبوها قبل ان تحاسبوا محاسبة النفس ضبط الانسان على نفسه
اعمالها الخيرية والشرية ليزكيها بما ينبغي لها ويعاقبها على فعل ما لا ينبغي و
هي باب عظيم من ابواب المرابطة في سبيل الله فان للعارفين في سلوك سبيل الله

ورابطهم

وهذا يلحم مع النفس مقامات ستة الاولى المشارطة ثم المراقبة ثم المحاسبة
ثم المعاتبة ثم المجاهدة او المعاقبة وضربوا لذلك مثالا فقالوا ينبغي ان يكون
حال الانسان مع نفسه كحاله مع شريكه اذا سلم اليه مالا ليتجر به فالعقل هو التاجر
في طريق الاخرة ومطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها كما قال تعالى قد
افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة فالعقل يستعين
بالنفس في هذه التجارة اذ يستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وكما ان
الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا
ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس
اولا فيوظف عليها الوظائف ويأمرها بسلوك طريق الحق ويرشدها اليها ويحرم
عليها سلوك غيرها كما يشترط التاجر على شريكه الثانية ان لا يغفل عن مراقبتها
لحظة فلحظة عند خوضها في الاعمال ويلاحظها بالعين الكالية والى مقام المراقبة
الاشارة بقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم
قائمون و قوله صلى الله عليه لعبد الله كانك تراه وقد سبق بيان حقيقة
المراقبة ولابد منها فان الانسان لو غفل عن نفسه واهملها لم يرى منها الا الخيانة
وتضييع راس المال كالعبد الخائن اذا انفرد بمال سيده الثالثة ثم بعد الفراغ
من العمل ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة ربحها
الفردوس الاعلى فتدقيق الحساب فيه اهم من التدقيق في ارباح الدنيا لحقا
رتها بالنسبة الى نعيم الاخرة فلا ينبغي ان تهمل مناقشتها في ذرة من حركاتها
وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة
لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من كنوز الاخرة لا يتناهى قالوا وينبغي للانسان
ان يخلو عقيب كل فريضة كل صبح مع نفسه بالوصية ويقول اى نفس ليس
لى بضاعة الا العمر ومهما فنى فقد فنى راس مالي ووقع الياس من التجارة وطلب
الربح وهذا يوم جديد قد امهلني الله فيه وهو صاحب البضاعة ورتبها ولو توفاني
لقلت رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فاحسبي انك رددت فاياك
وتضيع هذا اليوم والغفلة فيه واعلمي ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة
وقد ورد في الخبر انه يفتح للعبد في كل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة
فيفتح له فيها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله

من الفرح والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار ما لو قسم على اهل النار لاغناهم
عن الاحساس بالامها ويفتح له خزانة اخرى فيراها سوداء مظلمة يفوح
نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها فيناله من الهول و
الفزع ما لو قسم على اهل الجنة لنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة
ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من مباحات
الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من الغبن الفاحش ما ينال من قدر على ربح
كثير ثم ضيعه واليه الاشارة بقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
وقال بعضهم هب ان المسيء قد عفا عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين وهو اشارة
الى الغبن والحسرة يومئذ ثم يستانف وصية لاعضائه السبعة وهي العين و
الاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خا
دمة لها في التجارة وبها يتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب
منهم جزء مقسوم وانما يتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء و
يوصي كل عضو بما ينبغي له وينهاه عما لا ينبغي له ويرجعه في تفصيل تلك الاوامر
والنواهي الى مراسم الشريعة ثم يشترط عليها ان خالفت ذلك عاقبتها بالمنع من
شهواتها وهذه الوصية قد يكون بعد العمل وقد يكون قبله للتحذير كما قال
تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه الرابعة المجاهدة والمعاقبة
وهو بعد المحاسبة اذا راى نفسه قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها
بالصبر عن اعتيادها ويضيق عليها في مواردها وما يقود اليها من الامور المباحة
وان راها توانت وكسلت عن شيء من الفضايل وورد من الاوراد فينبغي ان
يؤدبها بثقل الاوراد عليها ويلزمها ما فاتها من الطاعات جبرا لما فات روي
ان ابن عمر اخر صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين الخامسة
توبيخ النفس ومعاتبتها وقد علمت ان لك نفسا امارة بالسوء ميالة الى الشر
وقد امرت بتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها
عن شهواتها ولذاتها المالوفة فان اهملتها شردت وجمحت ولم يظفر بها
بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والملامة كانت نفسك هي النفس
اللوامة وسبيل المعاتبة ان يذكر للنفس عيوبها وما هي عليه من الجهل والحمق
وما بين يديها من مفاجاة الموت وما يؤول اليه من الجنة والنار وما عليه

اتفاق

الله
اتفاق كلمة اولياء الدين هم بتسليمها سادات الخلق ورؤساء العالم من وجوب
سلوك سبيل الله ومفارقة معاصيه وتذكرها بايات الله واحوال الصالحين
من عباده فهذه محاسبات النفس ومرابطاتها واما حسابها للاخرة فقد سبقت
الاشارة اليه و **قوله** وتنفسوا من قبل ضيق الخناق استعار لفظ التنفس
لتحصيل الراحة والبهجة في الجنة بالاعمال الصالحة في الدنيا المستلزمة لها لما يستلزم
التنفس راحة القلب من الكرب واستعار لفظ الخناق من الحبل المخصوص للموت
ووجه المشابهة ما يستلزمه ضيق الخناق والموت من عدم التمكن والتصرف و
العمل اي انتهزوا الفرصة للعمل قبل تعذره بزوال وقته وضيقه و **قوله**
وانقادوا قبل عنف السياق اي انقادوا لاوامر الله الى طاعته قبل السوق العنيف
وهو سوق ملك الموت بالجذبة المكربة كما سبق و **قوله** واعلموا انه من
لم يعن على نفسه الى اخره اي من لم يعنه الله على نفسه واعانته له هو اعداد العناية
الالهية لنفسه الناطقة ان يعمل السوانح الخيرية وتاييدها بها على النفس الامارة
بالسوء لتعين بتلك السوانح على قهرها وعلى الانزجار عن متابعتها والانجذاب الى ما يد
عوها اليه من الشهوات فانه متى لم يكن لها ذلك الاستعداد والقبول لم ينفعها وعظ
غيرها ولم يقبله اذ لا قبول بدون استعداد للقبول وفي ذلك تنبيه على وجوب
الاستعانة بالله في احوال النفس ودفع الشيطان عنها وبالله العصمة والتوفيق
ومن خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الاشباح
وهي من جلايل خطبه وكان سايل ساله ان يصف الله
تعالى حتى كانه يراه عيانا فغضب لذلك وقال الخطبة
روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما
السلام انه قال خطب امير المؤمنين عليه السلام هذه الخطبة على منبر الكو فة
وذلك ان رجلا اتاه فقال يا امير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد
له حبا وبه معرفة فغضب ونادى الصلاة جامعة فا
جتمع الناس حتى غص المسجد باهله فصعد المنبر وهو مغضب
متغير اللون فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله
عليه ثم خطبها واعلم ان في الخطبة فصو ل
**الفصل الاول قوله** الحمد لله الذي لا يفره المنع والاكديه

للاعطاء والجود الى قوله ولا يبخله الحاح الملحين اقول ـــــ الالحاح
الاشخاص ويفره يزيد ماله وفورا ويتمه ويكديه ينقص خيره وتنفست عنه
انفرجت والفلذ ما يتفقه الكبير مما يذاب من جواهر الارض والعقيان الذهب
الخالص والمرجان صغار اللؤلؤ والح في سؤاله اذا دام عليه وقد شرع في وصف
الله سبحانه باعتبارات له الى اثارة الاول انه لا تزيده ما حرمه ومنعه من
فضله الثاني انه لا ينقصه عطاؤه وجوده ثم رد حكم الوهم عليه سبحانه بدخوله في
عموم المتنقصين بالعطاء بقوله اذ كل معط منتقص سواه وكذلك رده
عن الدخول في زمرة المذمومين بمنعهم ما في ايديهم عن طالبه بقوله وكل
مانع مذموم ما خلاه فكانت هاتان القضيتان المؤكدتين للاوليين ووجههما
ان التزيد بالمنع والتنقص بالاعطاء انما يطلق في حق من ينتفع ويتضرر بالزيادة و
النقصان والانتفاع والتضرر على الله محال فالتزيد والتنقص عليه محال والانهما
يقضيان عليه بالحاجة والامكان ولان مقدوراته غير متناهيه ونبه بقوله
اذ على جهة الفرق بينه وبين خلقه وانما انتقص المعطي من خلقه لحاجته الى ما يعطيه
وانتفاعه به وانما استحق المانع منهم الذم دونه سبحانه لكون ما يصدر عنه من منع
واعطاء مضبوطا بنظام الحكمة والعدل دون غيره من المانعين فان غالب منعهم يكون
عن شح مطاع وهوى متبع واعلم ان صدق الكلية في المتنقصين بالعطاء ظاهر
واما في المذمومين بالمنع فتحقيقها ان كل مانع للمال فهو انما يمنعه خوف الفقر
ونحوه وظاهر ان الخائف من الفقر في الدنيا محب لها وهو لمعزل عن عباد الله
المتوكلين عليه الزاهدين في متاع الدنيا وقنيتها واذا كان العبد مامورا
بان يكون من هؤلاء وفي زمرتهم فبالحري ان يكون مستحقا للذم على ما يمنعه
من ماله فيكون محجوبا بالوجه عن النظر الى وجه الله الكريم فصدق الكلية
اذن ظاهر وفي ادعية زين العابدين عليه السلام يا من لا تزيده كثرة العطاء
الا جودا وفيه سر لطيف فانه لما كان جوده سبحانه غير متوقف الا على وجود
الاستحقاق وكانت كل نعمة صدرت عنه معدة لمحلها ومهيئة له لقبول نعمه
اخرى كانت كثرة عطاياه مستلزمة لكثرة الاعداد المستلزمة لزيادة الجود الثالث
انه المنان بفوائد النعم والمنة تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه
بها كقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم في غير موضع من كتابه

وهي

وهي صفة مدح للحق سبحانه وان كانت صفة ذم لخلقه والسبب الفارق كون كل
منعم سواه فيحتمل ان يتوقع لنعمته جزاء او يستفيد كما لا يعود اليه مما افاده و
ايسره توقع الذكر الجميل وبقبح من يعامل بنعمته ويتوقع لها جزاء ان من بها
لما تستلزمه المن من التطاول والكبر مما الاحتمان في العرف اذ التطاول و
الكبر انما يلحقان بالغني عن ثمرة ما تطاول به ولان التطاول مما يتأذى به
المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد نفس المنعم لقبول رحمة الله وجزائه ولذلك
ورد النهي عن المنة في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى فجعلهما سببا لبطلان الصدقة اي عدم استحقاق ثوابها وفوائد
النعم ما افاد منها وعوائد المزيد والقسم معتادها الرابع كون الخلائق عياله
ضمن ارزاقهم وقدر اقواتهم واستعار لفظ العيال للخلق بالنسبة الى رحمتهم ووجه
المشابهة ان عيال الرجل هو من جمعهم ليقيتهم ويصلح حالهم كذلك الخلق انما خلق
الله وجمعهم تحت عنايته ليصلح احوالهم في معاشهم ومعادهم ولذلك استعار لفظ الضمان
لما وجب في الحكمة الالهية من وجود ما لا بد منه في تدبير صلاح حالهم من الاقوات و
الارزاق وتقدير اقواتهم اعطاء كل ما كتب له في اللوح المحفوظ من زائد وناقص الخامس
كونه نهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه ذكر اولا ما يصلح حالهم في الدنيا
وهو ضمان الارزاق وتقدير الاقوات ثم اردفه بما هو سبب صلاح حالهم في الاخرة
من نهج السبيل وايضاحه واشار به الى ايضاح الشريعة لطريق السالكين اليه الراغبين
في النظر الى وجهه الكريم والطالبين لما عنده من النعيم المقيم السادس كونه ليس
بما سئل باجود منه بما لم يسأل ويستلزم بيان هذا الوصف اشارة لطيفة وهو ان
فيضان ما يصدر عنه سبحانه له اعتباران احدهما بالنظر الى جوده وهو من تلك الجهة
غير مختلف في جميع الموجودات بل نسبتها اليه على سواء فلذلك لا اعتبار فلا يقال
هو بكذا اجود منه بكذا والا لاستلزم ذلك ان يكون ببعض الاشياء اولى اولها
احوج فيلزمه النقصان تعالى الله عن ذلك والثاني بالنظر الى الممكن نفسه
والاختلاف الواقع في القرب والبعد الى جوده انما هو من تلك الجهة فكل ممكن
كان اتم استعدادا واقبل للوجود واقل شرطا ومعاندا كان اقرب الى جوده
اذا عرفت ذلك فاعلم ان السائل وان حصل له ما سأل من الله تعالى دون
ما لم يسأل فليس منعه ما لم يسأله لعزته عند الله وليس بينه وبين ما سأل

بالنسبة الى جوده له فرق وتفاوت بل انما حقق ما سال لوجوب وجوده له
عند تمام قبوله له بسواله دون ما لم يساله ولو سال ما لم يساله واستحق وجود
ما كان في الجود لا لعق بخل ولا منع في حقه وان عظم خطره وجل قدره ولم يكن له
اثر نقصان في خزاين ملكه وعموم جوده والى هذا اشار دعاء من صوص الدعاء عليه
السلام وقد سيل عن الجواد فقال لسوالكم وجهان ان اردت المخلوق فالذى يودي ما افترض
عليه والبخيل الذى يمنع ما افترض عليه وان اردت الخالق فهو الجواد ان اعطى و
ان منع لانه ان اعطى اعطى من له وان منع منع من ليس له فقوله له وليس
له اشارتان الى ان الجواد لا لعق انما يعيب ويتوقف في بقيته على وجود المستحق و
قد نزهه عليه السلام بهذا الوصف عن صفة الخلق اذ كان من شانهم ان يكونوا فيما سالوا
اجود منهم فيما لم يسالوه لكونه اسهل عليهم ومن شان السايل ان لا يسالهم ما هو اعز
عندهم فلذلك كانوا فيما سالوا اجود للسابع الاول الذى لم يكن له قبل فيكون شي قبله
الثامن والاخر الذى ليس له بعد فيكون شي بعده وقد اشرنا الى هذين الوصفين فيما
سلف ونزيدهما بيانا فنقول الاوليه والاخريه اعتباران اضافيان تحدثهما العقول
لذاته المقدسة وذلك انا اذا لاحظنا ترتيب الوجود في سلسلة الحاجة اليه سبحانه
ووحدته تعالى بالاضافة اليها اولى اذ كان انتها وعلى في سلسلة الحاجة الى عناية
المطلق فهو اول بالعلية والذات والشرف واذ ليس بذى مكان فالتقدم بالمكان
منفى عنه والزمان متاخر عنه اذ هو من لواحق الحركة المتاخرة عن الجسم المتاخر
عن علته فلم يلحقه القبلية الزمانية فضلا ان يسبق عليه فلم يكن شي قبله مطلقا الا
الزمانيات ولا من غيرها واذا اعتبرته بالنظر الى ترتيب السلوك ولاحظنا مراتب
السالكين المسافرين في منازل عرفانه وحدته فهو اخرا اذ هو اخر ما ترتقي اليه
درجات العارفين ومعرفته هي الدرجة القصوى والمنزل الاخر ولان كل موجود
سواه فهو ممكن العدم فله من ذاته ان لا يستحق وجودا فضلا ان يستحق الاخرية و
البعدية المطلقة وهو تعالى الواجب لذاته فهو المستحق لبعدية الوجود واخريته
لذاته وبالقياس الى كل موجود فاذن هو الاول المطلق الذى لا شي قبله والاخر
المطلق الذى لا شي بعده للتاسع الرادع اناسى الابصار عن ان تناله او تدركه
وقد سبق ان القوة الباصرة انما يتعلق بذى وضع وجهة والبارى تعالى منزه
عنهما فيستحيل ان يدرك بحاسة البصر وردعه لها قهرها بذل النقصان عن قبول

ادراكه

ادراكه العاشر كونه لم يختلف عليه دهر فيختلف عليه الحال لما كان الزمان
مبدا التغيرات واختلاف الاحوال وكان ذاته سبحانه مقدسة عن لحوق الزمان
كانت مبراة عن تغير الاحوال الجارية على الزمانيات واختلافها الحادي عشر
ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال لما كان من شان ذى المكان جواز ان ينتقل
عن مكانه وكان سبحانه منزها عن المكان ولوازمه التي هي الانتقال اللازم للامكان
لا جرم لم يجز عليه الانتقال الثاني عشر كونه لو وهب ما تنفست عنه معادن
الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين و العقيان الى قوله
مطالب الانام انما عدد هذه الاشيا في معرض المدح له تعالى لكونها اعظم ما يقدر
عليه الانسان ويقتنيه واجل ما يتنافس فيه ابنا الدنيا تنبيها على كمال قدرته
وعدم تناهي مقدوراته اذ سبق انه انما يتاثر بحسبه مثل ذلك جود المحتاجين
الذين يتعاقب عليهم الانتفاع والتضرر واستعار لفظ الضحك للاصداف ووجه
الشبه انفتاح الصدفتين واسفارهما عن اللؤلؤ الشبيه في بدوه باسنان الانسان
حال ضحكه وعن لجة بشبه اللسان في رقة طرفه ولطافته ومن شاهد الصدفة
عند فتحها وجدها كالانسان يضحك وكذلك استعار لفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ ملاحظة
لشبهه في الحصيد من الحنطة وغيرها واعلم ان الصدف وان كان حيوانا ذو حس
وحركة الا ان له شبها بالنبات ولحوقا به من جهة انه ذو عرق في الارض يغتذى
به وقد اجمل ما يخرج من معادن البر والبحر لتمييز السامع بينهما وقوله
لانه الجواد الذى لا يغيضه سوال السايلين ولا يبخله الحاح الملحين انما كان
هذا علة لعدم تاثر جوده بحسب ما عظم قدره ونقصان خزاينه باخراجه
منها لان الجواد الذى شانه ما ذكر انما كان كذلك لكونه ليس من شانه
ان يلحقه النفع والضر والتنقص بل نعمه غير متناهية واستعار لفظ الغيظ
لنعمه ملاحظة لشبهها بالمكان الذى له مادة تامة لا ينقص بالنزح ومن لوازم
يغضبه فلان الغضب من لواحق المزاج والبارى تعالى منزه عنه فيتنزه
عن لواحقه وكذلك البخل رذيلة مكتسبة من البدن والمزاج تبعث عليها
الحاجة والنقصان ممن لا يتزيد ولا ينتقص فلا يوثر في ملكه ان يهب الدنيا
لمن سالها الفصل الثاني له فانظر ايها السايل
فما دلك القران عليه من صفته فائتم به واستضئ بنور هدايته وما كلفك الشيطان

علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وائمة الهدى
اثره فكل علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق الله عليك واعلم ان الراسخين
في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار
بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول
ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا فاقتصر
على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين هو
القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرا من
خطر الوساوس ان يجري في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه
الصفات لينال علم ذاته ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة اليه
سبحانه فرجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ولا
تخطر ببال اولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته الذي ابتدع الخلق على
غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله وارانا
من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به اثار حكمته واعتراف الحاجة من الخلق
الى ان يقيمها بمساك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحجة فصار كل ما خلق حجة له
ودليلا عليه وان كان صامتا فحجته بالتدبير ناطقة ودلالته على المبدع قائمة واشهد
ان من شبهك بتباين اعضاء خلقك وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير
حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بانه لا ند لك
وكانه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين اذ يقولون تالله ان كنا لفي ضلال
مبين اذ نسويكم برب العالمين كذب العادلون بك اذ شبهوك باصنامهم و
نحلوك حلية المخلوقين باوهامهم وجزؤوك تجزئة المجسمات بخواطرهم
وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم فاشهد ان من ساواك
بشيء من خلقك فقد عدل بك والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات اياتك
ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك وانك انت الله الذي لم يتناه في العقول
فيكون في مهب فكرها مكيفا ولا في رويات خواطرها محدودا مصرفا
اقول الاقتحام الدخول في الامر بشدة دفعة والسدد جمع سدة وهي الابواب
والحجب وجاب البلاد اي قطعها والسدف جمع سدفة وهي الظلمة والجبهة الرد
واحتذى عليه اي سلك مسلكه والحقاق جمع حق وهو طرف عظام المفاصل

والعادل

والعادل الجاعل لله عديلا والقريحة قوة الفكر وصدر هذا الفصل تاديب
الخلق في وصفهم لله سبحانه وتعليمهم كيفية السلوك في مدحه والثناء عليه بما
هو اهله وان كان الخطاب للسائل اذ هو السبب في هذه الخطبة وذلك
على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة فارشده في ذلك الى كتاب الله و
امره ان يجعله اماما يقتدى به ويستضيء بانواره في سلوك سبيل الله وكيفية
وصفه فان لعل ما وصف به تعالى هو ما وصف به نفسه وامره بان يكل علم
ما يجده مفروضا عليه علمه في كتاب الله او في سنة رسوله واثار ائمة الهدى القائمين
مقامه في ايضاح الدين وحفظه الى علم الله تعالى وهو المراد بالتفويض وذلك
ان ائمة الهدى اعلم بوجوه نسبته تعالى الى خلقه وبما يناسب تلك الاعتبارات
من الالفاظ ويفيدها فيطلق عليه ونهيه عن طلب ذلك والبحث عنه باشارته
الى انه تكليف الشيطان وظاهر ان طلب ما وراء حدود الشريعة التي نهت
عن تجاوزها انما هو بسبب وسوسة الشيطان وحرص الطبع على ما منع منه
ثم اعلمه ان ذلك هو منتهى حق الله عليه ومطلوبه منه ولما كان مطلوب
الشارع حين وضع الشريعة وتقرير قواعدها هو جمع قلوب العالم على
قانون واحد والقاؤهم فيه بحيث لا يفترقوا في اعتقاداتهم لئلا يكون ذلك
الافتراق سببا لضعف الدين وعدم تعاونهم على تشييده كما سبق بيانه لاجرم
وجب في الحكمة ان يحرم عليهم الخوض فيما وراء ذلك ليثبت قواعد الدين
في قلوبهم ويترسخ ولا يخرج بهم البحث عما وراءها الى اطراحها وفساد اعتقاد
كثير من الخلق لها ولغيرها مما وراءها اذ لم يكن فيهم من يستعد لقبول ما وراء
تلك القواعد الا الفرد النادر وان كنا نعلم انه كان صلى الله عليه اذا علم من
احد استعدادا لقبول شيء من اسرار الشريعة ووثق به ان يحمله القاه اليه
كما حكي عنه انه دون ابا هريرة وامثاله ثم وصف له بعد ذلك الراسخين
في العلم الممدوحين في القران الكريم بقوله تعالى لكن الراسخون في العلم
منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك الاية وقوله والراسخون في العلم
يقولون امنا به وفسر معنى الرسوخ فقال هم الذين اغناهم عن اقتحام
السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب
فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق

فيما لم كلفهم البحث عن كنهه رسوخا ولما اشار الى السبعين المضروبة والحجب
للغيب فلنشر الى بعض ما كشف عنه بعض علماء الصوفية منها واشار اليه
الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها
لاحرقت سبحات وجهه كل من ادرك بصره ولما ثبت ان الله متجلي لذاته
بذاته والحجاب لابد وان يكون بالنسبة الى محجوب فاقسام المحجوبين ثلثه منهم من
حجب بمجرد ظلمة ومنهم من حجب بمجرد نور ومنهم من حجب بنور مقرون بظلمه
وتحت كل قسم من هولاء الاقسام كثيرة لا يحصى فيكفينا الاشاره الى اصولها
فنقول القسم الاول المحجوبون بمجرد الظلمه وهولاء هم الملحدين الذين لا يومنون
بالله وهم صنفان فصنف منهم طلبوا للعالم سببا فاحالوه على الطبع وقد علمت
ان الطبع صفة جسمانية مظلمة خاليه عن المعرفة والادراك وصنف منهم
لم يتفرغوا الى ذلك ولم يتنبهوا لطلب السبب بل اشتغلوا بانفسهم وعاشوا
عيش البهايم فكانوا محجوبين بكدورات نفوسهم وشهواتهم المظلمة ولا ظلمة
اشد من الهوى ولذلك قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال النبي
صلى الله عليه ابغض اله عبد على وجه الارض وتحت هولاء فرق كثيرة لا حاجه
الى ذكرها القسم الثاني المحجوبون بنور مقرون بظلمة وهم ثلثه اصناف
فصنف منهم منشا ظلمته الحس وصنف منهم منشا الخيال وصنف منهم منشاها
مقايسات عقلية فاسدة فالاولون ايضا طوايف الاولى عبدة الاوثان فانهم
علموا على سبيل الجمله ان لهم ربا ووجبوا ايثاره على انفسهم واعتقدوا انه اعز و
انفس من كل شي ولكنهم حجبوا بظلمه الحس عن ان يتجاوزوا العالم المحسوس في
اثبات ربهم فاتخذوا من انفس الجواهر كالفضه والذهب والياقوت
اشخاصا مصورة باحسن صورة وجعلوها الهة فهولاء محجوبون بنور العزة
والجلال من صفات الله لكنهم وضعوها في الاجسام المحسوسة فصارت حجبتهم
انوارا مكدرة بظلمة الحس اذ الحس ظلمة بالاضافه الى عالم المعقولات الثانية
طايفة ترقوا عن رتبة الاحجار فكانوا ادخل من عبدة الاوثان في ملاحظة
الانوار كما تحكى عن قوم من اقاصي الترك ليس لهم ملة ولكن يعتقدون ان لهم
ربا هو اجمل الاشياء فاذا راوا انسانا في غاية الجمال او فرسا او شجرا عبدوه
وقالوا هو ربنا فهولاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس ايضا الثالثة

طايفه

طايفه ترقوا عن هولاء وقالوا ينبغي ان يكون الرب نورانيا في صورته ذا سلطان
في نفسه مهيبا لا يطاق القرب منه ولم يترقوا عن درجه المحسوس فعبدوا
النار اذ وجدوها بهذه الصفات فهولاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء
وكل ذلك من انوار الله مع ظلمات حسهم الرابعة طايفه ترقوا عن ذلك
فراوا ان النار تطفى وتقهر فلا تصلح للالهية بل ما يكون بهذه الصفات ولكن
يكون تحت تصرفه ويكون مع ذلك موصوفا بالعلو وكان المشهور منهم علم النجوم
واضافة التاثيرات اليها فعبدوا النجوم فمنهم عبد المشترى ومنهم عبدة الشعرى
وغيرهم فهولاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الاستعلاء والاشراق وهي من انوار الله
الخامسة طايفه ترقوا عن هولاء فقالوا وان وجب ان يكون الرب بالصفات
المذكورة الا انه ينبغي ان يكون اكبر الكواكب فعبدوا الشمس فهولاء محجوبون مع
ظلمة الحس بنور الكبرياء والعظمه مع بقية الانوار السادسه طايفه ترقوا عن
ذلك فقالوا ان الشمس لا ينفرد بالنور بل لغيرها انوار والاله لا يجوز ان يكون له شريك
في نورانيته فعبدوا النور المطلق على كل نور وزعموا انه اله العالم والخيرات كلها منسوبة
اليه ثم راوا في العالم شرورا فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيها له فجعلوا بينه
وبين الظلمه منازعة واحالوا العالم الى النور والظلمه وهولاء هم الثنوية الصنف
الثاني المحجوبون ببعض الانوار مقرونة بظلمه الخيال وهم الذين جاوزوا
الحس واثبتوا وراء المحسوس امرا لكنهم لم يهتدوا الى مجاوزة الخيال فعبدوا
موجودا قاعدا على العرش واخسهم رتبة المجسمه ثم اصناف الكرامية وارفعهم
درجة من نفي الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة فخصصوه بجهة فوق وهولاء
لم يثبتوا موجودا غير محسوس ولا متخيل حتى نزهوه عن الجهة الصنف الثالث
المحجوبون بالانوار الالهيه مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا
الها سميعا بصيرا متكلما عالما قادرا منزها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات
على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه صوت ككلامنا
وربما ترقى بعضهم فقال لا بل هو كحديث انفسنا ولا صوت ولا حرف ولذلك اذا
حقق القول عليهم رجعوا الى التشبيه في المعنى وان انكروه لفظا اذ لم يدركوا كيفيه
اطلاق هذه الالفاظ في حق الله فهولاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمات
المقايسات العقلية القسم الثالث المحجوبون بمحض الانوار و

وهم اصناف ولا يحصى ايضا لكن نذكر منهم ثلثة اصناف الاول الذين عرفوا معانى
هذه الصفات وعرفوا بين اطلاق اسمائها على الله تعالى وبين اطلاقها على البشر
مباشرة لعز تعريفه لهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات فقالوا ربنا
رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها وهو الرب المنزه عن هذا المفهوم
الظاهر وهو محرك السموات ومدبرها الصنف الثانى الذين عرفوا ان
فى السموات ملائكة كثيرة وان محرك كل سماء منها موجود آخر يسمى ملكا وان هذه السموات
فى ضمن فلك يتحرك الجميع بحركته فى اليوم والليلة مرة واحدة والرب تعالى هو
المحرك للفلك الاقصى منها المشتمل عليها الصنف الثالث الذين ترقوا عن هؤلاء
وقالوا ان تحريك الاجسام الفلكية من الملائكة يكون خدمة لرب العالمين وعبادة
له ويكون الرب تعالى هو المحرك للكل بطريق الامر فهؤلاء كلهم محجوبون بانوار محضة
وقفت بهم عما وراءها ووراء هؤلاء صنف رابع تجلى لهم ان هذا المطاع موصوف
بصفة الوحدة المطلقة والكمال البالغ وكشفت عنهم حجب المقايسات والاعتبارات
الى الغير وهم الواصلون فمنهم من احرق ذلك التجلى فى تلك الانوار جميع ما ادركه
بصره بالكلية وبقى ملاحظا لزينة الحق فيها فانمحقت فيه المبصرات دون المبصر
ومنهم من تجاوز هؤلاء وهم خواص الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم
سلطان الجلال فانمحقوا وتلاشوا فى انفسهم فلم يبق لهم اليها التفات وملاحظة
لفنائهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وهؤلاء هم الواصلون كما سبقت الاشارة
اليه وينتهى الكل الى حجاب الامكان الذى يهلك فيه كل موجود ولا يبقى الا وجه
ربه ذى الجلال والاكرام اذا عرفت ذلك فنقول السدد المضروبة دون حجب
الغيب التى اشار اليها هى درجات الانتقالات فى مفهومات صفات الله
تعالى ومراتب عرفانه ومعرفة ملائكته ومعانيهم وكمالاتهم وسائر حجب الانوار التى
حجب بها اهل القسم الثالث والراسخون الذين اشار اليهم هم فى ظاهر كلامه الواقفون
فى المرتبة الاولى وهم الذين اقتصروا فى صفات الله تعالى وملائكته وعلم غيبه
على ما وقفهم الشريعة عليه على سبيل الجملة كما اوصل الى افهامهم الرسول صلى الله عليه
ونقلوا فى وصفه تعالى بصفات الكمال ونعوت الجلال انه ليس على حد وصف
البشر بما ورثهم فى اذهانهم ما تصوروه اجمالا او مفصلا لكان مطابقا من اعدته
العناية الالهية لقبول التفصيل وصل اليه بقى هاهنا بحث لطيف

وهو انه

لطيف وهو انه لما كان التكليف فى نفس الامر انما هو على قدر العقول وتفاوت
مراتبها ولذلك قال صلى الله بعثت لاكلم الناس بقدر عقولهم كان كل عقل
قوى على رفع حجاب من حجب الغيب وقصر عما وراءه واعترف به وبالعجز عنه
فذلك تكليفه وهو من الراسخين فعلى هذا ليس الرسوخ فى مرتبة واحدة حتى
تقليد ظواهر الشريعة واعتقاد حقيتها فقط بل تقليدها مرتبة اولى فى
مراتب الرسوخ وما وراءها مراتب غير متناهية بحسب مراتب السلوك وقوة
السالكين على رفع حجب الانوار التى اشرنا اليها وكلامه عليه السلم لا ينافى
ما قلناه بل يصدق اذا نزل عليه فان قوله ويسمى ترك التعمق فيما لم يكلفهم
البحث عن كنهه رسوخا صادق ايضا على من قطع جملة من منازل السلوك وعجز
عما وراءها فتوقف ذهنه عن التعمق فيه والبحث اذ لا يكلف مما لا يبلغ به قوته
قوله فاقتصر على ذلك اى على ما نطق به الكتاب العزيز ودلت
عليه السنة النبوية وارشدت اليه ائمة الهدى و قوله ولا تقدر
عظمة الله تعالى على قدر عقلك فتكون من الهالكين فالمقدر لعظمة الله بقدر
عقله هو المعتقد ان عقله قدره واحاط به علما وهو تصغير لعظمة الله بحسب
عقله الضعيف وعظمة الله تعالى اعظم واجل من ان يضبطها عقل
بشرى وانما منشأ ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهم الحاكم بتمثيله تعالى بمد
ركاته من الاجسام والجسمانيات وذلك فى الحقيقة كفر لاعتقاد غير الصانع
صانعا وضلال عن طريق معرفة الله وهو مستلزم للهلاك فى تيه الجهل
واعلم ان فى احالته عليه السلم لطالب المعرفة على الكتاب والسنة وسائر
الائمة دلالة على ان مقصوده ليس ان يقتصر على ظاهر الشريعة فقط
بل يتبع انوار القران والسنة واثار ائمة الهدى وقد ورد فى القران الكريم
والسنة وكلام الائمة من الاشارات والتنبيهات على منازل السلوك ووجوب
الانتقال فى درجاتها ما لا يحصى كثرة ونهوا عن كلام مقام اهله واخفوه
عن غير اهله اذ كانوا اطباء النفوس وكما ان الطبيب يرى ان بعض الادوية
لبعض المرضى ترياق وشفاء وذلك الدواء بعينه لشخص اخر سم وهلاك
كذلك كتاب الله والموصوفون لمقاصده من الانبياء والاولياء يرون
ان بعض الاسرار الالهية شفاء لبعض الصدور فيلقونها اليهم ويحبا

كانت تلك الاسرار باعيانها بالغير اعلها سببا الضلالهم وكفرهم اذ القيت اليهم فادت
مقصوده عليه السلم فتهر كل عقل بما ماهو الاولى به وما تحمله والجمع العظيم ٥٦
المخاطبون هم اصحاب الخاطر الدش تحت قصرهم عليه والله اعلم

و قوله هو القادر الذي اذا ارتقت الى اخره اشارة الى
اعتبارات اخر جلالته في وصفه تعالى نبه فيها على ان غاية استقصار العقول
وتعمقها وغوص فطنها طالبة لتفصيل صفات كماله ونعوت جلاله ان يقف خاسية
وترجع لحسيره معترفة بالعجز والقصور فقوله اذا ارتقت الى قوله ردعها
شرطية متصلة في قوة شرطيات متعدده المقدمات وتاليها واحد فالمقدم
الاول قوله اذا ارتقت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وارتمت وهما استر
سالها مجدة في المطالعة والتفتيش ومنقطع قدرته منتهاها والمقدم الثاني
قوله وحاول الفكر المتجرد عن خطرات وساوس الشيطان و
شوايب الاوهام ان يقع عليه فبكيف ذاته ويستثبتها الكد ما ينبغي لها من
الجمالات في عميقات غيوب ملكوته اى في اسرار عالم الغيب العميقة المقدم
الثالث قوله وتولهت القلوب الى تشتدشوقها اليه لتجرى في
كنفه صفاته المقدم الرابع قوله وغمضت مداخل العقول
اى دقت مواقع دخولها بحيث لاتبلغه الصفات اى انتهت العقول الى
حد انها لا يعتبر مع ملاحظة ذات الحق صفة له بل تحذف كل خاطر و
كل اعتبار من صفة وغيرها عن ملاحظة قدسه لتنال علم ذاته بالكنه
وقوله وردعها هو تالى هذه الشرطيات وردعها هو ردها خاسئة حسيرة
وسبب ذلك ان كل هذه المدركات هو خلقها قاصرة عن ادراك ما يطلبه
من هذه المطالب العظيمة فالاوهام لقصورها عن ادراك ما ليس بمحسوس
ولا متعلقا بالمحسوس ورد ع الفكر ان يقع عليه والقلوب ان تجرى في كيفية
صفاته فحدها وحصرها لخلقها قاصرة عن الاحاطة بما لانهاية له اذ كانت
صفات الكمال ونعوت الجلال كذلك ورد ع العقول ان تحيط بكنه ذاته
لخلقها قاصرة عن ادراك كنه ما ليس بذى حد وتركيب فكان مستند
ذلك الرد ع هو قدرته فلذلك قدم على الشرطية اعتبار كونه قادرا فقال
هو القادر الذي من شانه كذا و قوله هو المحجوب معادن سدف

الغيوب

الغيوب متخلصة اليه سبحانه الجملة في موضع الحال والعامل ردعها واستعار
لفظ السدف لظلمات الجهل بكل معنى معنى غيبي من صفات جلاله وطبقات
حجبها اى ردعها عن تلك المطالب حال ما هي قاطعة لمهاوى تلك الظلمات
ووجه الاستعارة ما يشتركان فيه من عدم الاهتداء فيها ومتخلصة حال ايضا
والعامل اما تجوب او ردعها وتخلصها اليه توجهها بكليتها في طلب ادراكه
و قوله فرجعت اذ جبهت الى قوله عزته معترفه حال والعامل
رجعت وجور الاعتساف شدة جولانها في تلك المنازل وظاهر ان جور الاعتساف
غير نافع في تحصيل ما لا يمكن والرويات اصحاب الفكر اى رجعت معترفه
بامرين احدهما انه لا ينال كنه معرفته والثاني ان الفكر لا يقدر جلال عزته
اى لا يحيط بكماله خبرا وظاهر ان صدق هذه الاحكام للنفس موقوف على
ارتيادها في طلب هذه المعارف وعجزها عنها و قوله الذي
ابتدع الخلق على غير مثال الى قوله قبله ان الصنائع البشرية انما تحصل بعد
ان ترتسم في الخيال صورة المصنوع بل وكل فعل لا يصدر الا عن تصور ذهنه
وكيفيته اولا وتلك التصورات تارة تحصل عن امثلة للمصنوع ومقادير له
خارجية يشاهدها الصانع ويحذو حذوها وتارة تحصل بمحض الالهام والا
ختراع كما يفاض على اذهان كثير من الاذكياء صورة شكل لم يسبق الى تصوره
فيتصوره ويبرز صورته الى الخارج وكيفية صنع الله للعالم وجزئياته
منزهة عن الوقوع على احد هذين الوجهين اما الاول فلانا بينا انه
لا قبل له فلا قبل لمصنوعاته فلا امثال امتثله اى عمل مثله ولا مقدار
احتذى حذوه واما الثاني فلان نسبة الفاعل على وفقه مخترعا لكن التحقيق
يشهد بانه انما فعل على وفق ما حصل في ذهنه من الشكل والهيات وهما
مستفادان من الصانع الاول جلت عظمته فكان في الحقيقة فاعلا على
غير مثال سابق محتذيا لمقدار غيره وعلم الاول سبحانه ليس على النحو المذكور
من حصول صورة مساوية للمعلوم في ذاته كما حققته من قبل فاذن
فعله لمحض الابداع والاختراع على ابعد ما يكون عن حذو مثال و
قوله وارانا من ملكوت قدرته الى قوله معرفته ملكوت
قدرته ملكها وانما نسبه الى القدرة لان اعتبارها مبدا الوجود كله فهي مبدا

المالكية وانا وحكمته مما صدر عنها من الافعال والاحكام والتقيا ذكرنا قصر الى
كماله واستعار لفظ النطق للسان حال اثاره تعالى المفصحة عن كمال الحكمة العجيبة
بتمام النظام وحسن الترتيب ووجه المشابهة ما اشترك فيه النطق وحال مصنوعاته
من ذلك الافصاح والبيان واعتراف عطف على عجايب والى ان متعلق بالحاجة
وما في قوله مادلتنا هي المفعول الثاني لارانا اي وارانا من اعتراف الخلق بحاجتهم
الى ان يقيمهم في الوجود امساك قوته التي تمسك السموات والارض ان تزولا ولا
مادلتنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وقوله على معرفته متعلق بدلتنا
اي مادلتنا على معرفته فقد وجب قيام الحجة له بالضرورة و قوله
وظهرت في البدايع الى قوله قايمة استعار لفظ الاعلام لما تدل على حكمة
الصانع في فعله من الاتقان والاحكام واعلم ان كل ما ظهرت فيه اثار حكمة الله
فهو ناطق بربوبيته وكمال الوهيته فبعض ناطق بلسان حاله ومقاله
كالانسان وبعض بلسان حاله فقط اذ لا عقل له ولا لسان كالجماد والنبات والضمير
المضاف اليه في قوله فحجته يحتمل عوده الى الله ويحتمل ان يعود الى
الخلق الصامت وقد علمت ان السالكين في سماع هذا النطق من اثار الله ومشاهدته
في مصنوعاته على درجات ومنازل متفاوتة كما اشرنا اليه غير مرة وقوله
واشهد ان من شبهك الى قوله برب العالمين التفات الى خطاب الله تعالى
على طريق قوله مالك يوم الدين اياك نعبد والمشبه به في الحقيقة هو الخلق
وانما جعل المشبه به هو تباين اعضايهم وتلاحم حقايق مفاصلهم لانه في معرض
ذم المشبهة والتشبيه على وجوه اغلاطهم وتباين الاعضاء وتلاحمها من لوازم
المشبه به وهما مستلزمان التركيب واجتماع المفردات المستلزم لظهور الحاجة
الى المركب والجامع وممتنع على محل تظهر حاجته ان يتشبه به الصانع المطلق
البري عن الحاجة بوجه ما فقد مهما اجريا مجرى الاوسط في لزوم التركيب
للمشبه به ليظهر تنزيه الاله عن المشبه به وان كان التقدير من شبهك بخلق
في اعضايهم المتباينة المتلاحم والذي يقال من وجه الحكمة في احتجاب المفاصل
هو انها لو خلقت ظاهرة عرية عن الاغشية ليبست رباطها وقست فيتعذر
تصرف الحيوان بها او انها كانت معترضة للافات المفسدة لها
وغير ذلك من خفي تدبيره ولطيف حكمته وقد شهد عليه السلم على المشبه

لله

لله بخلقه باموره احدها انه لم يعرفه والثاني انه لم يتيقن تنزيهه
عن المثل والقرآن والبرهان مصدقان لشهادته في الموضعين اما القرآن
فما نبه عليه بقوله وكانه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين اذ يقولون
الاية ووجه الاستدلال على المطلوب الاول ان المشبه وعبدة الاصنام يكشف
لهم في الاخرة انهم كانوا ضالين في تشبيه اصنامهم برب العالمين فيتبرأ كل
هكذا المشبه ضالون من جهة تشبيههم لله بخلقه وكل من كان كذلك فليس
بعارف بالله والمقدمة الاولى ثابتة بمنطوق الاية واما الثانية
فلانه لو كان المشبه له عارفا به مع تشبيهه له بخلقه لما كان في ضلال مبين
من تلك الجهة لكنه في ضلال مبين من تلك الجهة فاذن ليس هو عارف له
واما البرهان فلان الله تعالى لما تقدس عن ان يشبه خلقه في شي كان
المشبه له بخلقه والمكيف له بكيفيته انما هو عابد وهمه غير عارف به بل متصور امر
الا ضرورة في الحقيقة غير الاله واما صدقه في القضية الثانية فلان المشبه
لله ضال من جهة ما هو مشبه له وكل من كان كذلك فليس بمنزه له عن الند
والمثل وصدق الاولى ظاهر من الاية واما الثانية فلانه لو كان منزها له
عن الند بكونه مشبها له لما كان ضالا من تلك الجهة لكنه ضال منها فليس
منزه له عنه واما البرهان العقلي فلان الند والمثل هو الشبيه وكلامنا في
المشبه في الاية تنفير عن مذهب التشبيه بذكر تبرؤ التابعين ممن اتبعوه
وشبهوا به خالقهم وتمنيهم على تفريطهم في ذلك وحسرتهم على الرجوع لتدارك
الاعمال والاعتقادات الصالحة واعترافهم بانهم كانوا بتشبيههم في ضلال مبين
و قوله كذب العادلون الى قوله عقول لهم تكذيب للعادلين
به واشار الى تفصيل جهات كونهم عادلين والى سبب ذلك وهو الوهم وقد
علمت ان منشأ التشبيه هو الوهم اذ كان حكمه لا يرتفع عن المحسوسات و
ما يتعلق بها فان حكم في المجردات بحكم قدرها محسوسة ذات احجام و
الحقها احكام المحسوس ولذلك لم يترفع المشبه لله عن تشبيهه بالاصنام
والاشخاص الاجسام كصورة الانسان واعضايه وكذلك غير عبدة الاوثان
من ساير فرق المشبهة حتى كانت غاية تنزيه من نزهه منهم ان توهمه
في جهة فوق وقد علمت ان الجهة والكون فيها من عوارض الاجسام الحادثة

فكانوا عن لحزهم قد خلوه حلية المخلوقين وصفاتهم باوهامهم الفاسدة فمنهم من اثبت له اعضاء من يد وساق ووجه وعين وساير ماورد في القران الكريم والسنة النبوية حملا على ظاهرها ومنهم من تجاسر على وصف هيأته فقال انه مجوف الاعلى مصمت الاسفل وانه قطط الشعر الى غير ذلك من هذيانهم وكفرهم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وتجويزهم نحو الحدود تجربة الحجار هو اثباتهم الاعضاء المذكورة وذلك عن تقدير لهم له على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم الجامدة متابعة لاوهامهم الفاسدة وتقليد من سلف من ابائهم فان الاعضاء انما يتولد ويكمل بواسطة قوى طبيعية ونباتية وحيوانية وغيرها وهي قوى مختلفة الحقايق ومتضادة في افعالها محتاجة الى الجامع المركب مؤدية بالامكان الذي تنزه قدس الصانع ان يتطرق اليه بوجه و قوله فاشهد ان من ساواك بشئ من خلقك الى قوله بنِدّك شهادة ثانية على من شبهه وجعل له مثلا بالكفر واشارة الى برهانها وقياس من الشكل الاول اسنده بيان لبراءته الى كتاب الله ونصوص اياته المحكمة وسنة الانبياء وشواهد حججهم هي تلك الايات اي حجهم الشاهدة وهي كقوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا وقوله ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني برئ مما تشركون والاشتراك كفر ونحو ذلك واما المقدمة الاولى فلان الشبيه هو المثل والعديل وقد علمت ان البرهان العقلي مما يشهد بصدق هذه الشهادة فان المشبه لله بخلقه مع برائته عن شبهية الغير اذا اعتقد ان ذلك الذي يشير اليه بوهمه هو صانع العالم فقد اعتقد غير الصانع صانعا وذلك عين الكفر والضلال و قوله وانك انت الله الذي لم يتناه في العقول الى قوله مصرفا شهادة ثالثة هي خلاصة الشهادتين الاولين بتنزيهه عن تناهيه في العقول البشرية وافكارها الى احاطتها بحقيقته وما لها من صفات الكمال ونعوت الجلال بحيث لا يكون وراء ما ادركته شئ اخر وتنبيه في هذه الشهادة على ما يلزم ذلك التناهي من كونه ذا كيفية بلغته بها القوى المتخيلة لتستثبته بها العقول ومهاب الفكر جهاتها ثم من كونه محدودا اذ كانت الحقائق انما تدرك

بكنهها

بكنهها من حدودها وكونه مصرفا اي محكوما في ذاته بالتجزيه والتحليل والتركيب اذ كان من شان المحدود ذلك ولما كانت هذه اللوازم باطلة لبرائته عن الكيفية والاجزاء والتركيب كان ملزومها وهو التناهي في العقول باطلا

الفصل الثالث

قدّر ما خلق فاحسن تقديره ودبّره فالطف

الى قوله خلائق احكم صنعها وفطرها

على ما اراد وابتدعها اقول

اي رجع واذعن خضع وذل والريث البطوء وكذلك الاناة والتلكي التباطوء عن الامر والتوقف فيه والاود الاعوجاج وبدايا جمع بدية وهي الخلقة العجيبة فقوله قدّر ما خلق فاحكم تقديره اشارة الى ان كل مصنوع قدّر في الوجود فعلى وفق حكمته بحيث لو زاد على ذلك المقدار ونقص منه لاختلت مصلحته ذلك المقدر وتغيّرت منفعته وقوله ودبّره فالطف تدبيره اجراه على وفق المصلحة ولطفه في ذلك تصرفه في جميع الذوات والصفات تصرفات كلية وجزئية من غير شعور غيره بذلك و قوله ووجهه لوجهته الى قوله الى غايته اي الجم كلا ويسّره لما خلق له وكما كتب له في اللوح المحفوظ فلم يتجاوز مرسوم تلك المنزلة المعلومة له اي لم يعبرها ولم ينقص دونها والا للزم التغير في علمه سبحانه وانه محال و قوله ولم يستصعب اذا امر بالمضي على ارادته اي كما امر المخلوق بالتوجه الى وجهته على وفق ارادة الله وساقته الحكمة الالهية كلا الى غايته لم يكن لخلقه واستصعابه عن ذلك الامر وامره له اشارة الى توجيهه اسبابه بحسب القضاء الالهي عليه بذلك وقوله و كيف وانما صدرت الامور عن مشيته اي وكيف يستصعب ثم اشار الى علة عدم استصعابه وسرعة طوعه وانقياده بذكر علته وهو استناد جميع الاثار الى مشيته اذ كل اثر فهو واجب عن مؤثره والكل منتهٍ في سلسلة الحاجة الى ارادته وواجب عنها وقد علم ذلك في العلم الالهي و قوله المنشئ اصناف الاشياء الى قوله عجائب الامور قد سبق في الخطبة الاولى بيان ان الروية والفكر والتجربة مما يلحق الانسان ويخصه وان الباري سبحانه منزه عن شئ منها في كيفية ابداعه لخلقه واما الشريك فتنزه عنه ببرهان الوحدانية كما سبقت

لاشارة اليه ايضا وقوله العزيزه قوة الفكر للعقلاو **قوله** فاتم
خلقه وادعن لطاعته واجاب الى دعوته تمام مخلوقاته من جهة جوده بافا
دتنا ما ينبغي لها فان عرض لشي منها فوت لكمال فلعدم استعداده وقوله
اذلك واذعانه ذلته في رق الحاجة والامكان وتصريف للقدرة واجابته
الى دعوته كونه في الوجود عن قوله كن و **قوله** لم يعترض دونه
ريث المبطي ولا اناة المتلكي تنزيه لفعله تعالى وامره ان يعرض في طاعة
الاشياء له شي من هذه الكيفيات اذ كل شي في قهره وعلى غاية من السرعة الى الاجابة
لامره ولما كان تعالى انما امره اذا اردنا شيئا ان نقول يقول كن وفي قوله
كن هيبة كل ما ينبغي لذلك المامور وما يعده لاجابة امره بالكون في الوجود
ويجب عنه فكيف يمكن ان يعرض له في اجابة الامر بطوء وتلكي بل يكون كلمح البصر
كما قال تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ويحتمل ان يكون ذلك تنزيها
له تعالى ان يعرض له من جهة ما هو فاعل شي من هذه الكيفيات فان
البطوء والاناة والتلكي من عوارض الحركة التي هي من عوارض الجسم واعراضها
فيمن يفعل بالالة ويشتد حركته ويضعف وقد علمت تنزيه الله تعالى عن جميع
ذلك و **قوله** فاقام من الاشياء اودها الى قوله والهيات
اقامته لاودها رفعه لاعوجاج كل شي باعداده لما ينبغي له ولافاضته كماله
ونهجه لحدودها او لحدودها على الرواتب هو ايضاحه لكل شي وجهته وغايته
وتيسيره حاله وملائمته بين متضاداتها لجمعه للعناصر الاربعة على تضاد
كيفياتها في مزاج واحد وقد سبق بيانه ووصله لاسباب قراينها اشارة الى
ان الموجودات لا ينفك عن اشياء يقترن بها من هيئة او شكل او غريزة ونحوها
والقول الشيئين لا محالة مستلزم لاقتران اسبابهما وايصالها لاستحالة
قيام الموجود دون اسبابه وذلك الوصل مستند الى كمال قدرته اذ هو مسبب
الاسباب ومحال بعض الشارحين ارادتها بقراين النفوس وعلى هذا
يحتمل ان يكون معنى وصله لاسبابها هدايتها الى عبادته وما هو الاولى بها
في معاشها ومعادها وسوقها الى ذلك اذ المفهوم من قول القايل وصل الملك
اسباب فلان اذا علقه عليه ووصله ببره وانعامه والاول اظهر
و **قوله** وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار والغرايز والهيات



لايزيدها الاجناس والحدود ما اصطلح عليه قوم في عرفهم بل الاختلاف با
لامور المذكورة كلها او بعضها فهو مختلف الجنس لغة وحد الشي منتهاه
وما يحيط به والاقدار المقادير والاشكال ايضا والغرايز القوى النفسانية
والاخلاق وانهيات الصفات وان حملنا الحدود على ما هو المتعارف كان
حسنا فان حكمة الخالق سبحانه اقتضت تميز بعض الموجودات عن غيرها
بحدودها وحقايقها وبعضها باشكالها وهيأتها ومقاديرها وغرايزها
واخلاقها لما يقتضيه نظام الوجود واحكام الصنع وحكم الارادة الالهية
و بدايا خلائق احكم صنعها على وفق ارادته وبالله التوفيق

منها في صفة السماء

ونظم بلا تعليق رهوات فرجها الى قوله ونحوها وسعودها

اقول الرهوات جمع رهوة وهي الفرجة المتسعة وايده
قوته وناسعة هالكة ومار تحرك وناط علق والصدوع الشقوق و
رتق بالتشديد اي شبك والحزونه الصعوبة والاشراج جمع شرج با
لفتح وهي عرى العيبة التي تخاط بها وبقفل ويطلق ايضا على حروفها
التي تخاط والارتياق الالتصاق والنقاب جمع نقب بفتح النون وهو
الطريق في الجبل والذراري الكواكب المضيئة وهذا الفصل يشتمل على كيفية
خلق السماء فقوله ونظم بلا تعليق الى قوله التواجها يقتضي
بظاهره ان السماء كانت ذات فرج وصدوع وهذا على راي المتكلمين
ظاهر فان الاجسام لما كانت عندهم مركبة من الاجزاء التي لا تتجزى فكانت
قبل تاليفها ذات فرج وصدوع واما على راي غيرهم فقالوا يحتمل امرين احدهما
انه لما كانت السموات مركبة من اجزاء وكانت بين اجزاء كل مركب مباينة
لولا المركب والمولف استعار عليه السلام لفظ الرهوات والفروج لما يتصور
من المباينة بين اجزاء السماء عند قطع النظر عن صانعها ومركبها سبحانه
ونظامه لرهوات فرجها افاضته لصورها على قوابلها حتى تمت مركبا
منتظما ملائم الصدوع والفرج الثاني يحتمل ان يشير بالفروج
الى ما بين اطباق السموات من التباين ونظمه لرهواتها وملائمة
صدوعها خلقها اكرا متماسة لا خلا بينها وينبه على كمال قدرة الله

بقوله بلا تعليق فان الاوهام حاكمة بان السماء واقفة في خلاء كما
يقف الحجر في الهواء وذلك منشأ حيرتها وتعجبها فحركها ذلك القول الى التعجب
والاستعظام و **قوله** وزوج بينها وبين ازواجها اراد بازواجها
نفوسها التى هى الملائكة السماوية معنى قرانيها وكل قرين زوج اى ربط
ما بينها وبين نفوسها بقبول كل جرم سماوى لنفسه التى لا يقبلها غيره
و **قوله** وذلل للهابطين بامره الى قوله انفراجها قد
سبقت الاشارة الى ان الملائكة ليست اجساما كساير الحيوان فاذن
ليس هبوطها وصعودها الهبوط والصعود المحسوسين والا لكان البارى
جل قدسه عن اوهام المتوهمين فى جهة اليه يصعد وعنه ينزل فاذن
هو استعارة لفظ النزول من الجهة المحسوسة الى اسفل للنزول العقول
من سماء جود الحق الى اراضى المواد القابلة للافاضات العالية وبذلك
المعنى يكون هبوط الملائكة عبارة عن ايصالها الى كل ما دونها كما انه متو
سطة بينه وبين مبدعه وموجده وهم المرسلون من الملائكة بالوحى
وغيره وكذلك الصاعدون باعمال الخلق هم الملائكة ايضا فاما معنى
الصعود بها فيعود الى كونها منقوشة فى ذوات الصاعدين بها وقد
لاح فيما سبق ان علم الله سبحانه بمعلولاته البعيدة كالزمانيات
والمعدومات التى من شانها ان توجد فى وقت وتتعلق بزمان يكون
بارتسام صورها المعقولة فى تلك الالواح وهو ايضا مستعار كلفظ الهبوط
للمعنى الذى ذكرناه من الاراضى النفوس الى الالواح المحفوظة فاما انفراجها
الذى ذلك حزونته لهم وسهل عليهم سلوكه فيعود الى عدم حجبها ومنعها
لنفوذ علوم الملائكة باعمال الخلائق وما يجرى فى هذا العالم وكما ان الجسم
المنصدع لا يمنع نفوذ جسم اخر فيه من حيث هو منصدع والوصول الى
ما وراءه كذلك السماء لا تحجب علوم الملائكة ان يتعلق بما فى هذا العالم
من الموجودات فجرت مجرى المنفرج من الاجسام فاطلق عليها لفظ
الانفراج وتذليله لحزونة ذلك الانفراج لهم هو كونها غير ممانعة بوجه
ما لجريان علوم الملائكة المقربين فى هذا العالم و **قوله** وناداها
بعد اذ هى دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت

ابوابها

ابوابها فيه احتمالان الاول انك قد علمت فيما سلف ما معنى كون السماء من دخان
فاما نداوه لها فاشارة الى امره لها بالايجاد فالكون فى قوله تعالى فقال لها
وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين واما التحامها واعتبار تر
كيبها بانضمام جزءها الصورى الى جزءها القابل كما يلتحم طرف العيبة
بتشريج عراها وافتتاق صوامت ابوابها بعد ذلك الارتتاق هو جعلها اسبابا
لنزول رحمته ومدبرات ينزل بواسطة حركاتها على هذا العالم انواع رحمة
الله فكانت حركاتها تشبه الابواب اذ هى ابواب رحمته ومفاتيح جوده الثانى
ان العرب تقول كل ما علاك فهو سماؤك فعلى هذا يحتمل ان يكون المراد
بالسماء ما هو اعم من السماء المعهودة ويكون قوله وناداها اشارة الى سماء
السحاب وكونها دخانا هو كونها بخارا قبل الانعقاد يشبه الدخان فاستعير
له لفظه والتحام عرى اشراجها اشارة الى التحام تلك الاجزاء البخارية و
انعقادها سحابا وافتتاق صوامت ابوابها هو انزال المطر منها كما قال تعالى
ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر و **قوله** واقام رصدا من الشهب
الثواقب على نقابها له معنيان احدهما ان يكون استعار لفظ النقاب لكونها
بحيث لا تمنع تعلق العلوم بما وراءها من الاجسام والمجردات وقد سبق معنى الشهب
واقامتها رصدا الثانى ان يكون استعار لفظ الرصد لعين الشهب المحسوسة
وقد يذكر النقاب اذ شان الرصد والحرس حفظ الفروج والابواب ويكون
سر ذلك ووجه الحكمة فيه ان العرب كانت يعتقد ان الشياطين يصعد
الى السماء فيسترق الغيب من الملائكة ثم يلقيه الى الكهنة والسحرة ونحوهم
فلما ان ورد الشرع والنهى عن التكهن ونحوه لما بيننا فيه من فساد اذهان
الخلق وصرف قلوبهم عن عرض الشريعة القى الوحى اليهم ان هذه الشهب التى
ينقض انما جعلت رجوما للشياطين مسترقى السمع فكل من استمع منهم رمى
بشهاب منها وان السموات حجبت عنهم فلا يصلون اليها لينغرس فى اذهان
الخلق انقطاع مادة الكهانة ونحوها فيثبتوا اعتقادهم فيهم ويكون ذلك
كسرا لاوهامهم التى بيننا انها شياطين النفوس وقمعا لها وبالله التوفيق و
**قوله** وامسكها ان تمور فى خرق الهواء بايده وامرها ان تقف
مستسلمة لامره اى حفظها بقوته عن ان تحركها الريح المحرقة فيها مجيا وذهابا

وحكمت لذلك لا لعبثه عليهما بالاستقرار انقيادا للقهر والامر فالاول اشارة الى
حكم القهار والامر الثاني اشارة الى اعتبار القدرة و **قوله** وجعل شمسها
اية مبصرة لنهارها وقمرها اية ممحوة من ليلها كقوله تعالى وجعلنا الليل
والنهار ايتين وكونهما ايتين اى علامتين دالتين على كمال قدرته ونقل عن ائمة التفسير
في ابصار اية النهار ومحو اية الليل وجوه احدها ان ابصار اية النهار هو بقاء الشمس
على حالها وتمام ضيائها في كل حال ومحو اية الليل هو اختلاف احوال القمر في اشراقه
ومحاقه بحيث لا يبقى ليلتين على حالة واحدة بل كل ليلة في منزل بزيادة او نقصان
الثاني ما نقول ان ابن الكوا سال عليا عليه السلام عن اللطخة التي في وجه القمر فقال ذلك
محو اية الليل الثالث عن ابن كثير ان لا تمتنع مخالطة الليل وضياء النهار و
التقدير وجعلنا الليل والنهار ذوى ايتين فقوله فمحونا اية الليل اى لم نجعل
للقمر نورا من ذاته بل من الشمس وابصار اية النهار كون الشمس مضيئة بذاتها
ومن هنا لابتداء الغاية او لبيان الجنس ويتعلق بممحوة او بجعل وقبل الاضافة اى ايات
ليلها و **قوله** فاجراهما في مناقل مجراهما وقدر مسيرهما في مدارج
درجتهما مناقل مجراهما ومدارج درجتهما التي قدر سيرهما فيها هي بروجهما
ومنازلهما والتنشير الى مفهومات الدرج والبروج والمنازل وهو ان الناس
قسموا دور الفلك الذي تسير فيه الكواكب اثنا عشر قسما وسموا كل قسم برجا و
قسموا كل برج بثلثين قسما وسموا كل قسم درجة وسموا تلك البروج اسماء الحمل
الثور الجوزاء السرطان الاسد السنبلة الميزان العقرب القوس الجدي
الدلو الحوت والقمر تسير كل برج منها في ازيد من يومين وانقص من
ثلثة ايام وسموا منازل القمر ثمانية وعشرون واسماؤها الشرطين البطين
الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة
الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة
النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
الفرغ المقدم الفرغ المؤخر الرشا والقمر يكون كل يوم في منزل منها وكل
في فلك يسبحون ذلك تقدير العزيز العليم و **قوله** ليميز من الليل والنهار
الى قوله مقاديرهما اى مقادير سيرهما وقد سبق بيانه في الخطبة الاول
وقوله ثم علق في جوها فلكها لما اشار اولا الى تركيبها اشار الى انوارها

اللحيه

في احيازها وهو المشار اليه بتعليق فلكها في جوها فان قلت اولا بلا تعليق
ثم قال هنا وعلق فما وجه الجمع قلت التعليق امر اضافي يصدق سلبه
واثباته باعتبارين فالمراد بالاول انها غير معلقة بجسم اخر فوقها وبالثاني
انه علقها في جوها بقدرته والامنافاة واراد بالفلك اسم الجنس وهو اجسامها
المستديرة التي يصدق عليها هذا الاسم وقوله وناط بها زينتها من خفيات
دراريها ومصابيح كواكبها كقوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح ورمى مسترقي
السمع بثواقب شهبها كقوله تعالى شهاب ثاقب وقد تقدم بيانه وانما اعاد
ذكر الشهب لانه ذكر اولا انه اقامها رصدا و ذكر هاهنا انه جعلها رصدا له
اى لرمى مسترقي السمع بها و **قوله** واجراها على اذلال تسخيرها الى قوله
وسعودها كقوله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره والذلة ذلة
الامكان والحاجة الى الايجاد والتدبير فاما الثابت والسائر منها فالسيارة
هي الكواكب السبعة زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر
ويسمى الشمس والقمر بالنيرين والخمسة الباقية بالمتحيرة لان لكل واحد منها استقامة ثم
وقوفا ثم رجوعا ثم وقوفا ثانيا ثم عودا الى الاستقامة وليس للنيرين غير الاستقامة
وباقى الكواكب التي على السماء غير هذه السبعة يسمى بالثوابت وفلكها الثامن
وكل واحد من السبعة يتحرك حركة مخصوصة تخالف حركة الاخر فاما صعودها
وهبوطها فصعودها طلبها لشرفها وشرف الشمس في الدرجة التاسعة عشر من الحمل
وشرف القمر في الدرجة الثالثة من الثور وشرف زحل في الحادية والعشرين
من الميزان وشرف المشترى في الخامسة عشر من السرطان وشرف المريخ
في الثامنة والعشرين من الجدي وشرف الزهرة في السابعة والعشرين من
الحوت وشرف عطارد في الخامسة عشر من السنبلة وشرف الراس في الثالثة
من الجوزا وشرف الذنب في الثالثة من القوس وبرج الشرف كله شرف الا ان
تلك الدرجات قوية ومادام الكوكب متوجها الى قوة الشرف فهو في الازدياد
والصعود فاذا جازها صار في الانتقاص والهبوط وهبوط كل كوكب يقابل شرفه
وصعوده واما نحوسها وسعودها فقالوا زحل والمريخ نحسان اكبرهما زحل
والمشترى والزهرة سعدان اكبرهما المشترى وعطارد سعد مع السعود
نحس مع النحوس والنيران سعدان من التثليث والتسديس نحسان من المقابلة

والتربيع والمقارنة والرأس سعد والذنب والكيد نحسان ومعنى سعودها
ونحوسها كون اتصالاتها اسبابا لعلاج شيء من احوال هذا العالم وفساده وبالله
التوفيق **ومنها صفة الملائكة عليهم السلام**

ثم خلق لاسكان سمواته وعمارة الصفيح الاعلى من
ملكوته الى قوله ويزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما

**اقول** الصفيح السطح والفجاج الطريق الواسع والجو المكان
المتسع العالي والفجوة الفرجة والزجل الاصوات والسرادق الستر الذي
يمد فوق البيت والرجيج الزلزلة والاضطراب وتستك الاسماع تصم وخاسئة
متحيرة والاخبات التذلل والاستكانة وذلل سهلة والموصرات المثقلات
والعقب جمع عقبة وهي المرة من التعاقب والنوازغ بالغين المعجمة الخواطر
المفسدة وبالمهملة المشتهية والاحن جمع احنة وهي الحقد ولاق التصق و
اثناء جمع ثني وهي تضاعيف الشيء والرين الغلبة والتغطية والدلح جمع دالحة
وهي الثقال والشمخ العالية وقترة الظلام سواده والابهم الذي لا يهتدى فيه
والتخوم جمع تخم بفتح التاء وهو منتهى الشجرة والربق جمع ربقة وهي الحلقة في
الحبل والدؤوب الجد في العمل والاسلة طرف اللسان والجؤار رفع الصوت
بالدعاء ونحوه والهمس الخفي من الصوت والانتضال الرمي بالسهام واستهتروا بالامر
احبوه وتظاهروا به وشبكة السعي قريبة والنشج الازالة والاستحواذ على الشيء
الاحاطة به والغلبة عليه واخياف الهمم مختلفاتها واحاخيف والحفد
السرعة واعلم ان هذا الفصل يشتمل على وصف الملائكة الذين هم اشرف الموجودات
الممكنة بكمال العبودية لله اذ كان في معرض تمجيده ووصف عظمته وقد سبق
ذكر انواع الملائكة واسكانهم لطباق السموات وبينا مقاصده بقدر الامكان
ولنشر ههنا الى ما يختص بهذا الموضع من المباحث الاول ثم خلق سبحانه
الى قوله من ملائكته يحتمل ان يشير بالصفيح الاعلى الى الفلك التاسع وهو العرش
لكونه اعظم الاجرام واعلاها وسكانه الملائكة المدبرون له ويحتمل ان يريد
به محل عبادة الملائكة من حضرة جلال رب العالمين وعالم الملكوت ومقعد
الصدق من معرفته فان خلقهم انما كان لعمارة ذلك المحل وهو البيت المعمور
بجلال الله وعبادتهم له ولما كانوا من اشرف الموجودات كانوا هم الخلق البديع

التام

التام المحجب الثاني فملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق اجوائها
استعار لفظ الفروج والفجاج والفتوق لما يتصور بين اجزاء الفلك من
التباين لولا الملائكة الذين هم ارواح الافلاك وبها قام وجودها وبقاء جوا
هرها محفوظة بها ووجه المشابهة ظاهر ورشح تلك الاستعارة بذكر الملء
والحشو واما فجاجها وفروجها فاشار الى ما يعقل بين اجزائها واجوائها المتنظمة
من التباين لولا الناظم لها بوجود الملائكة فيكون حشو تلك الفروج بالملائكة
كناية عن نظامها بوجودها وجعلها مدبرة لها **الثالث** وبين فجوات
تلك الفروج الى قوله المجد استعار لفظ الزجل لكمال عبادتهم لربهم كما ان كمال
عبادة الرجل في رفع صوته بالتضرع والتسبيح والتهليل وكذلك استعار لفظ
الحظائر لمنازل الملائكة من عالم الغيب ومقامات عباداتهم وظاهر كونها
حظائر القدس لطهارتها وبراءتها عن نجاسات الجهل والنفوس الامارة بالسوء
ولذلك استعار لفظ سترات الحجب والسرادقات لما ينتفيا عليه من حجب النور
التي حجب بها عن الاذهان او لتجردهم عن المواد والاوضاع المحسوسة ووجه المشا
بهة كونهم محتجبين بذلك عن رؤية الابصار والاوهام وظاهر كون تلك الحجب سرادقات
المجد لكمال ذواتهم وشرفهم بها على من دون تلك الحجب **الرابع** ووراء ذلك الرجيج
الذي تستك الى قوله حدودها استعار لفظ الرجيج لعبادات الملائكة كما
استعار لفظ الزجل ورشح استعارة الرجيج بقوله تستك منه الاسماع وكنى
به عن كمال عباداتهم ويحتمل ان يشير بذلك الزجل والرجيج الى ما تسمعه الانبياء
من اصوات الملائكة كما علمت كيفيته في سماع الوحي وبيناه في المقدمة
واشار بسبحات النور الى ما وراء ذلك الرجيج الى جلال وجه الله وعظمته
وتنزيهه ان يصل اليه ابصار البصائر ونبه بكون ذلك وراء رجيجهم الى ان
معارفهم لا يتعلق به كما هو بل وراء علومهم وعباداتهم اطوار اخرى من جلاله
تقصر معارفهم عنها وتردع ابصار البصائر عن ادراكها فترجع حسيرة
متحيرة واقفة عند حدودها وغاياتها من الادراك **الخامس** انشاهم على
صور مختلفات الى قوله عزته اختلاف صورهم كناية عن اختلافهم با
لحقائق وتفاوت اقدارهم تفاوت مراتبهم في الكمال والقرب منه و
لفظ الاجنحة مستعار للقوى التي بها حصلوا على المعارف الالهية وتفاوتها

بالزيادة والنقصان كما قال تعالى اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع كناية
عن تفاوت ادراكهم لجلال الله وعلو همم كما ينبغي له وكذلك جعل الاجنحة
هي التي تسبح جلال عزته فان علمهم بجلاله منزه له عما لا ينبغي لكرم وجهه
ولا يناسب جلال عزته السادس ولا يتخذون الى قوله يعلمون اي لا ينسبون
بعض مصنوعاته الى قدرهم وان كانوا وسائط فيها ولا يدعون انهم يقدرون
على شيء منها الا باقداره لهم بل غاية انهم وسائط في افاضته الجود على مستحقه وما لم
يجعلهم وسائط فيه بل انفرد بذاته في ابداعه فلا يدعون القدرة عليه اصلا وذلك
لكمال معارفهم باقدارهم ونسبتهم الى باريهم وعلو همهم لله تعالى بالتقديس عن
النفوس الامارة بالسوء التي هي مبادي مخالفة امره والخروج عن طاعته السابع جعلهم
فيما هنالك الى قوله ونفيه اي في مقاماتهم من حضرة قدسه وقد سبقت الاشارة
الى كل ذلك في الخطبة الاولى الثامن وعصمهم الى قوله مرضاته مثلا
للشكوك والشبهات والزيغ عن سبيل الله هو معارضة النفس الامارة للعقل
وجذبها له الى طرق الباطل والملائكة مبرون عنها وكانوا معصومين منوعين
مما يقودك اليه ويامر به من الزيغ والانحراف عن قصد الله وامدادهم بفوايد
المعونة زيادتهم في كمالاتهم على غيرهم ودوام ذلك بدوام وجوده التاسع
واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة استعار لفظ التواضع والاستكانة
لحالهم من الاعتراف بذل الحاجة والامكان الى جوده والانقياد تحت عظمته اي
جعل ذلك الاعتراف شعارا لازما لذواتهم او من الشعور وهو الادراك العاشر
وفتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده الابواب الذلل وجوه معارفهم الالهيه التي
بها يمجدونه حق تمجيده وهي ابوابهم ووسايلهم التي تنزيهه وتعظيمه وظاهر
كونها سهلة اذ حصولها لهم ليس اكتسابا عن طرق توعرت بتراكم الشكوك و
الشبهات ومنازعات الاوهام والخيالات كما عليه علومنا الحادي عشر
ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده قبل استعار المنار الواضحة
للوسايط من الملايكة المقربين بينهم وبين الحق سبحانه اذ اخباره عن الملايكة
السماوية ولفظ الاعلام لصور المعقولات في ذواتهم المستلزمة لتوحيده و
تنزيهه عن الكثرة ووجه المشابهة ان المنار والاعلام كما يكون وسايط
في حصول العلم بالمطلوب كذلك الملايكة المقربون والمعارف الحاصلة

والطم

موصولة

بواسطتهم يكون وسائط في الوصول الى المطلوب الاول محرك الكل عن
سلطانه و الثاني عشر لم يثقلهم موصرات الاثام لما لم يكن النفوس الامارة
بالسوء موجودة لهم استلزم عدمها نفي اثارها عنهم من الاثام والشهور
الثالث عشر ولم ترتحلهم عقب الليالي والايام اي لم يستلزم تعاقب
الزمان رحيلهم عن الوجود وذلك لتجردهم وبراءة المجردات عن لحوق الزمان
والتغيرات الحادثة بسببه الرابع عشر ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة
ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم عزيمة ايمانهم ما لزم ذواتهم
من التصديق بمبدعهم وما ينبغي له ومعاقد يقينهم اعتقاداتهم اليقينية
واعتراك الشكوك والظنون منشاؤه الاوهام والخيالات وعلوم الملايكة
المجردين مبراة عنها ولفظ الرمي مستعار لانبعاث النفوس الامارة بالسوء
والقايها الخواطر الفاسدة الى النفس المطمينة ومن رمى النوازع بالعين
المهملة فهو ترشيح للاستعارة وكذلك استعار لفظ الاعتراك لاختلاط الظنون
والاوهام على القلوب وجولانها في النفوس ووجه المشابهة ظاهر الخامس
عشر ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم اي لم تثر بينهم الاحقاد شيئا
من الشرور كما يثير النار قادحها لبراءتهم عن قوى الغضب والشهوة السادس
عشر ولا سلبت الحيرة ما لاق من معرفته بضمايرهم الى قوله صدورهم لما كانت
الحيرة تردد العقل في اي الامرين اولى بالطلب والاختيار وكان منشا ذلك
هو معارضات الوهم والخيال للعقل بحيث الوهم والخيال فلا حيرة تخالط معا
رفهم وتزيل هيبة عظمته من صدورهم والهيبة كناية عن استشعار عظمته
ولفظ الصدور مستعار لذواتهم السابع عشر ولم يطمع فيهم الوساوس فيقترع
برينها على فكرهم وقد مر تفسير الوسوسة وفاعل الطمع ههنا اما مضمر على
تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي اهل الوساوس وهم
الشياطين او يكون الفاعل هو الوساوس واسناد الطمع اليه مجاز كقوله تعالى
واخرجت الارض اثقالها ورينها غلبة الشكوك اللازمة عنها على وجوه عقولهم
وابصار ذواتهم التي بها ينظرون الى وجه ربهم وانتفاؤها عنهم لانتفاء اسبابها و
هي النفوس الامارة الثامن عشر منهم من هو في خلق الغمام الى قوله الايهم
هذا التقسيم يعود الى جنس الملايكة فان ما مر اوصاف السابقة فكانت خاصة

لسكان السموات منهم وقد وردت الشريعة بان في الغمام ملائكة تسبح الله و
تقدسه وكذلك في الجبال وفي الاماكن المظلمة وعموم الملائكة الارضية وقد علمت مما قبل
فيما في الخطبة الاولى الثاني عشر ومنهم من خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى
الى قوله المتناهية يشبه ان يكون هذا القسم من الملائكة السماوية ليضاوا استعار
لفظ الاقدام لعلومهم المحيطة باقطار الارض السفلى ونهاياتها ووجه المشابهة
كون العلوم قاطعة للمعلوم وسارية فيه وواصلة الى نهايته كما ان الاقدام تقطع
الطريق وتصل الى الغاية منها وشبهها بالرايات البيض النافذة في مخارق الهواء
من وجهين احدهما في البياض فان البياض لما استلزم الصفاء عن الكدر و
السواد كذلك علومهم صافية من كدورات الباطل وظلمات الشبه الثاني في
نفوذها في اسرار العلوم كما ينفذ الرايات في الهواء واشار بالريح التي تحبس الاقدام
على حيث انتهت من الحدود الى الحكمة لله تعالى التي اعطت كلا ما يستحقه ووقفت
كل موجود على حده وبعثوها الى لطف تصرفها وجريانها في المصنوعات العشرون
قد استفرغتهم اشغال عبادته الى قوله وشفعه حقيقه اي لم يجعل لهم فراغا لغيرها
وقد علمت ان تحريك الملائكة السماوية لاجرام الافلاك الجارية لها مجرى الابدان
حركة ارادية شوقية للتشبه بالملائكة المتوسطة بينها وبين الحق سبحانه
في كمال عبادتهم له وتلك الحركات الدائمة الواصبة مستفرغة لهم عن الاشتغال بغيرها
كما قال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وحقائق الايمان تصديقهم الموجود
عن شاهد وجودهم وظاهر كونه سببا للادوم معرفته النافعة والدوام عليها و
ابراز ما في قوتهم من الكمال بها الى الفعل فان التصديق بوجود الشيء الواجب تحصيله
اقوى الاسباب الباعثة على طلبه فصار الايمان به والتصديق الحق اليقيني بو
جوده وسيلة جامعة بينهم وبين معرفته والاستكمال بها وقطعهم الى قوله
اليه والعشق له وثبات الرغبات على ما عنده دون غيره ولما استعار لفظ الذوق
لتعقلهم ولفظ الشرب لما تمكن في ذواتهم من عشقه وكمال محبته رشح الاستعارة
الاولى بذكر الحلاوة وكنى بها عن كمال ما يجدونه من اللذة بمعرفته كما يلتذ ذائق
الحلاوة بها والثانية بذكر الكاس الروية اذ من كمال الشرب ان يكون بكاس
روية اي من شانها ان تروي وكنى بها عن كمال معارفهم بالنسبة الى غيرهم وكذلك
رشح استعارة لفظ القلوب بذكر سويداء اذ كان من كمال تمكن العوارض

القلبية

القابلية كالحبة والخوف ان يبلغ الى سويداء به واشار بوشيجة خيفته الى العلاقة
المتمكنة من ذواتهم بالخيفة وهي كمال علمهم بعظمته ولفظ الوشيج مستعار كما سبق
لالتقاربهم في ذل الامكان عند اعتبار عزه وقهره الحادي والعشرون فحنوا
بطول الطاعة اعتدال ظهورهم تجوزا بانحناء الظهور في كمال خضوعهم في عبا
دتهم وهو اطلاق لاسم المسبب على السبب الثاني والعشرون ولم تنفد طول
الرغبة اليه مادة تضرعهم لما كان من شان احدنا اذا رغب في امر الى بعض
الملوك وفزع فيه اليه بالتضرع والخدمة ان ينقطع تضرعه بانقطاع ما
دته ومادته اما دواعي نفسه الى الطلب وميولها وانقطاعها باستيلاء الملال على
نفسه وضعفها عن تحمل المشقة او مطلوبه وحصوله لامكان تناوله وانقطاعه
اما باياسه منه او باعطائه اياه وكانت مادة تضرعهم وعبادتهم له
تعالى على التقديرين منزهة عن العوائق اما من دواعيهم فلان الكلال والملال من
عوارض المركبات العنصرية واما مطلوبهم فلانه كمال معرفة الله تعالى بعد
تصورهم لعظمة ذلك المطلوب وعلمت ان درجات الوصول اليه غير متناهية
لاجرم سلب عنهم في معرض مدحهم انقطاع مادة تضرعهم ليستلزم ذلك سلب
انقطاع تضرعهم وعبادتهم له الثالث والعشرون ولا اطلق عنهم عظيم
الزلفة لديه ربق خشوعهم لما كان من قرب من السلطان مثلا من شانه ان
يقول بنفسه وتخف هيبته منه وكان ذلك لتناهي ملك ملوك الدنيا وكونه
مكتسبا لهم وتصور المتقرب اليهم مثليته لهم وامكان وصوله الى ما وصلوا
اليه وكان سلطان الله لا يتناهى عظمة وعزة وعرفانا لم يتصور من العارف
المتقرب اليه ان تخف هيبته او ينقص خشوعه وعبادته بل كلما ازدا د
معرفة به ازداد عظمته في نفسه اذ كان تقدر في سلوكه عظمة الله بقدر
عرفانه به فكلما عبر منزلا من منازل المعرفة علم عظمة خالقه فكمل عقد
يقينه بذلك وعلم نقصان ذاته فكمل خشوعه وصدق خضوعه واستعار
لفظ الربق لما حصلوا فيه من الخشوع الرابع والعشرون ولم يتولهم الا
عجاب الى قوله حسناتهم اي لم يستول عليهم والاعجاب هو استعظام
الانسان نفسه عما يتصور انه فضيلة له ومنشا ذلك الحكم هو النفس الامارة
فيتوهم الانسان ان تلك الفضيلة حصلت له عن استحقاق وجب له

الخيفة صح

بسعيه وكدّه مع قطع النظر عن واهب النعم ومفيضها والملائكة السماوية
مبرّؤون عن الاوهام واحكامها غرقى في الوله اليه ودوام مطالعة الاية والاستكانة
تحت جلال عزته فلا يستكثرون ما سلف منهم من عبادة ولا يستعظمون ما صدر
عنهم من خير الخامس والعشرون ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم
قد ثبت ان الملائكة السماوية دائمة التحريك لاجرامها حركة لا يتخللها سكون
ولا يلحقها ونفوسها اعياء وتعب ولبيان ذلك بالبرهان اصول ممهدة في موا
ضعها واما بالقران فلقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقد سبق
السادس والعشرون ولم يغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم المخالفة عن
الشيء العدول عنه وقد سبق ان رغبات الملائكة السماوية واشواقها الى كمالاتها
دائمة ثابتة فكانت لذلك دائمة الرجاء لها من واهبها ولفظ الغيض مستعار
كما سبق السابع والعشرون ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم طول
مناجاتهم يعود الى توجيه وجوههم دائما اليه واستعار لفظ الالسنة ورشح
بذكر الاسلات ملاحظة للتشبيه باحدنا في مناجاته وكنى بعدم جفاف السنتهم
عن عدم فتورهم وعدم لحوق الاعياء والكلال لهم وظاهر انه لا السنة لحمانية لهم فلا
جفاف الثامن والعشرون ولا ملكتهم الى قوله اصواتهم اي لم يضعفهم العبادة
فينقطع اصواتهم ويضعف فيخفى بالتضرع اليه وهو تنزيه لهم عن الاحوال البشرية
والعوارض البدنية من الضعف والاعياء وكلال الاعضاء عند كثرة الاشتغال وقوتها
وقد مر ان الملائكة السماوية لا تطرء عليها شيء من تلك العوارض واستعار
لفظ الاصوات كما استعار لفظ الالسنة التاسع والعشرون ولم تختلف في
مقادم الطاعة مناكبهم الى قوله رقابهم استعار لفظ المقادم من ريش
الطاير وهي عشرة في كل جناح لما سبق وجوبه من طاعة الله وكان اهم عباداته
كمعرفته والتوجه اليه ولفظ المناكب وهي اربع ريشات بعد المقادم في
كل جناح لذواتهم ووجه المشابهة ان المناكب تالية للمقادم وعلى نظامها في
ترتيبها لا تخالف صفها ونسقها لذلك الملائكة لا تختلف ذواتهم واحوالها
في نسق ما الهم من عبادة ربهم ومعرفته بل صافّون لا يخالف بعضهم بعضا
في استقامة طريقتهم اليه ولا يخرجون عن نظام ترتيبه لهم في التوجه اليه
كما اشار اليه في الخطبة الاولى وصافون لا يتزايلون وكذلك استعار لفظ

الرقاب

الرقاب ولفظ الثني اي لم يلتفتوا الى الراحة من تعب العبادة فيقصروا في اوامره
والمقصود نفي الاحوال البشرية عنهم من التعب والراحة لكونهما من توابع هذه
الابدان الثلثون لا تعدو الى قوله الشهوات قد عرفت معنى الغفلة
فيما سبق والبلادة هي طرف التفريط من فضيلة الذكاء وكلاهما من عوارض
هذا البدن وبواسطته وكذلك الشهوات والملائكة السماوية بريّة عنها فلم
يجز ان يتطرق الى مقصودهم لما توجهوا اليه غفلة والبلادة حتى يكون ذلك سببا
لاعراضهم عن التوجه فيه ولم يجز ان ترمي الشهوات هممهم بسهام خدايعها و
لفظ الانتضال مستعار لتوارد جواذب الشهوة على النفس الناطقة مع
كونها مؤذية لها ومردية في قرار الجحيم الحادي والثلثون قد اتخذوا
الى قوله برغبتهم اشار بيوم فاقتهم الى حال حاجتهم في الاستكمال الى جوده
وان كان ذلك دائما فهو ذخرهم الذي اليه يرجعون وكذلك الاشارة بقوله
عند انقطاع الخلق الى المخلوق الى حال الحاجة ايضا فانه انما يكون ذخرهم
لهم لرجوعهم اليه فيما يحتاجون وانما تحقق قصدهم له ترغيبهم حال الحاجة اليه
الثاني والثلثون لا يقطعون الى قوله ومخافته لما كانت غاية عبادته
هو الوصول الى كمال معرفته وكانت درجات المعارف الالهية غير متناهية
لم يكن قطعهم لتلك الغاية ممكنا ولما كانوا غرقى في محبته عالمين بكمال
عظمته وانما هو منه من تمام جوده اشرف المطالب وارزح المكاسب وما يخشى
من انقطاع جوده ونزول حرمانه اعظم المهالك والمعاطب لاجرم دام رجاؤهم مع
له وخضوعهم في رق الحاجة اليه والفزع من حرمانه وكان ذكر الرجاء
والخوف هو مادة استعدادهم بلزوم طاعته التي يرجعون اليها من اللوم
فلم ينقطع استعدادهم بلزومها الثالث والثلثون لم ينقطع اسباب
الشفقة منهم فينوا في جدهم الشفقة الاسم من الاشفاق اي لم ينقطع اسباب
خوفهم له واسبابه حاجتهم الى القيام في الوجود الى الاستكمال بجوده
فان الحاجة الضرورية الى الغير في مطلوب يستلزم الخوف منه في عدم قضا به
وتوجب الاقبال على الاستعداد لجوده بلزوم طاعته وحاجتهم اليه دائمة
فجدهم في عبادته دايم فالتواني فيه مفقود الرابع والثلثون ولم يأ
سرهم الى قوله باجتهادهم سلب لبعض اوصاف البشر عنهم فان كثيرا

من المعاندين قد يصرفهم عن الاجتهاد في طاعة الله بسبب ما يظهر لهم من كمالات
الدنيا وزينتها فيؤثرون ما قرب من النفع في تحصيله على ما يبعد عنه من تحصيل السعادة
الاخروية الباقية وقد عرفت ان ذلك من جواذب الشهوات والغفلة عن ما وراء
هذه الدار والملائكة مبرؤون عن الشهوات وما يلزمها من اسر الاطماع الكاذبة
لهم ولفظ الاسر استعارة لقود الاطماع الى ما يطمع فيه الخامس والثلثون ولم يستعظموا
ما مضى من اعمالهم الى قوله وجه معنى هذه الشرطية انهم لو استعظموا ذلك لكان
رجاؤهم لثواب عباداتهم عظيما وكان لقوته ماحيا لاشفاقهم وخوفهم منه وهذا لان
الانسان اذا عمل لبعض الملوك عملا يستعظمه فانه يرى في نفسه استحقاق الجزاء
له ويجد التطاول به والدالة عليه فيهون ذلك ما يجده من خوفه وكلما ازداد استعظاما
لخدمته ازداد اعتقاده في قربه من الملك قوة وبمقدار ذلك ينقص خوفه وتقل هيبته
لكن الملائكة خائفون ابدا كما قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقوله
والملائكة من خيفته فينتج انهم لا يستعظمون سالف عباداتهم السادس والثلثون
ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم اي في اثباته واستحقاقه لكمال العبادة
وذلك لعدم سلطان الشيطان عليهم وهو سلب لبعض احوال البشر وكذلك قوله
ولم يفرقهم الى قوله اخياف الهمم تنزيه لهم عن امور من عوارض البشرية احدها سوء
التقاطع وهو كتقاطع المتعاقدين وتباينهم الناشئ عن الغضب والشهوة الثاني غل
الحسد وقد علمت ان الحسد رذيلة نفسانية تنبعث عن البخل والبشرية ومنبعهما
النفوس الامارة الثالث تشعب مصارف الريب لهم والريب الشكوك والشبه و
مصارفها الامور الباطلة التي ينصرف اذهانهم اليها عن الشبه او تلك الشبه
والشكوك انفسها وتشعبها لهم اقتسامها لهم بحيث يذهب كل واحد من شبهه الى
باطل وقد علمت ان منشأ الشكوك والشبهات هو الوهم والخيال ولما كانوا
مبرئين عن النفوس الامارة وجب تنزيههم عن هذه الامور الثلثة الرابع لما كان
معبودهم واحدا وهو غاية مطلوبهم كانت هممهم فيه واحدة فلم يلتفتوا الى غيره
ولم يفترقوا فيها السابع والثلثون منهم اسراء الايمان الى قوله ولا فتور استعار
لفظ الاسر ورشح بذكر الربقة ونزههم عن ان يحدهم عن الايمان احد الامور الاربعة
وقد سبق وجه تنزيههم عنها الثامن والثلثون ولعين في اطباق السموات
مجد في امره واعلم ان للسماء ملائكة مباشرين لتحريكها وملائكة لعلل رتبة

من اولئك

من اولئك هم الامرون لهم بالتحريك فيشبه ان يكون الاشارة بالساجدين منهم الى
الامرين والسجود كناية عن كمال عباداتهم كناية بالمستعار ويكون الاشارة با
الساعين المرعين الى المولين للتحريك فاما زيادتهم بطول الطاعة علما بربهم
فلما ثبت ان حركاتهم انما هي شوقية للتشبه بالملائكة اعلى منهم رتبة في كمالهم بالمعارف
الالهية وظهور ما في ذواتهم بالقوة الى الفعل وزيادة عزة ربهم عندهم عظما بحسب
زيادتهم معرفتهم له تابعة لها كما نبهنا عليه قبل وبالله التوفيق والعصمة

## منها في صفة الارض ودحوها على الماء

كبس الارض على مور امواج مستفحلة الى قوله فهب لنا
في هذا المقام رضاك واغننا عن مد الايدي الى سواك انك على كل شيء قدير
اقول كبسها اغاصها في الماء بقوة والمور التردد في الحركة
ومستفحلة صائلة واللاطم المتراد والاواذي جمع آذي وهو ما عظم من موج البحر
والاصطفاق الترادّ ايضا والاثباج جمع ثبج وهو معظمها واعاليها وجمح الفرس اذا غلب
صاحبه ولم يملكه والارتمار التقاذف والتراد والكلكل الصدر والمستخذي الخاضع
والتمعك التمرغ واصطخاب امواجه غلبتها واصواتها والساجي الساكن والحكمة
ما احاط من اللجام بحنك الدابة والدحو البسط والتيار الموج والنخوة الكبر والترفع
والباو الفخر وشمخ بانفه تكبر والغلواء تجاوز الحد وكعمته شددت فاه والكظة
ثقلة البطنة وهمد سكن وخمد والنزق الخفة والطيش ولبد لصق بالارض
ساكنا والزيفان التبختر والبذخ العالية والعرنين اعلى الانف عند ملتقى الحا
جبين والنهوب جمع نهب وهو الفلاة الواسعة والبيد جمع بيداء وهي الفلاة
ايضا والاخدود الشق في الارض والجلاميد الصخور والشناخيب رؤوس الجبال
والشم العالية والصيخود الصخرة الصلبة وماد بها سكنها وتغلغله دخوله
في اعماقها والتسرب الدخول في السرب والجوبة الفرجة في الارض وجراثيم
الارض اعاليها وما اجتمع منها والارض الجرز لا نبات بها لانقطاع الماء عنها
والربا عوالي الارض والقزع قطع السحاب الرقيقة الواحدة قزعة والكفة
بالضم ما استطال من السحاب وما استدار فبالكسر والوميض اللمعان والكنهور
العظيم من السحاب والرباب الغمام الابيض والسح الصب واسف دنا من
الارض لثقله وهيدبه ما تهدب منه الى الارض اي تدلى ومتريه تستخرج

ما فيه من الماء والقرار جمع قرارة بالكسر وهي كثرة اللبن وسيلانه والاهاضيب
جمع هضاب وهو جمع هضب وهو حلبات القطر بعد القطر والشآبيب
جمع شؤبوب وهو الدفعة القوية من المطر والبروك الصدر والبوانا بل
الصدر من الاضلاع وبعاع السحاب ثقله بالمطر والعبء الثقل وجبلة
زعوار لا نبت بها ويذوهي تكبر والربط جمع ربطة وهي الملاءة البيضاء وممطت
زيتت بالبلح وهو العقد ومن روى تمطت بالثين المعجمة اراد خلطت
والجبلة الخلقة واوعز اليه بكذا يقدم اليه به والعقابيل بقايا المرض و
الشر ع الحدث والفاقة الفقر والخلج الجذب والانتزاع والاشطان جمع شطن
وهي الحبال والمرائر ايضا الحبال اللطيفة الفتل والقنا قنت المشارة والرجم
بالظن القول عنه والغيابة ظلمة قعر البير ومصابيح الاماع حرفها ولا
صاحة الشح والولائج المداخل والاكمام جمع كم بالكسر وهو غلاف الطلع والمتقع
محل الانفاع وهو الارتداع ولحى الشجرة قشرها والافنان الاغصان والامشاج المختلفة
بالدم والعنوا ظهروا وشناخيب الجبال رؤسها وذراها اعاليها والتغريد ترديد
صوت الطاير والدياجير جمع ديجور وهو الظلام والسدفة الظلمة وذر الشارق
طلع ورجع الكلمة جوابها والنقاعة نقرة يجتمع فيه الدم واعتورته احاطته
والعارفة المعروف والخلة الفقر والغشية الغضة من عثرته واعلم ان هذا
الفصل يشتمل على فصول الفصل الاول في تحميد الله
تعالى باعتبار خلقه للارض في الماء وجعله من احوالها وعوالي قوله
جواد طرقها وفيه ابحاث البحث الاول في الاستعارات والتشبيهات
ابحاث لطيفة الاول استعارة لفظ الكبس لخلقه لها غائصا معظمها في الماء كما تغوص
بعض الزق المنفوخ ونحوه بالاعتماد عليه الثاني استعارة لفظ الاستفحال
للموج ووجه المشابهة ما اشترك فيه الموج والفحل من الاضطراب والهيجان والصولة
الثالث تشبيهه بالفحول ايضا ووجه الشبه ما يظهر على رؤوس الموج
عند اضطرابه وغليانه من رغوة الزبد كما يظهر من فم الفحل عند هياجه
الرابع استعار لفظ الجماح لحركة الماء على غير نسق واضطراب الامكان معه
تصريفه كما يجمح الفرس الخامس استعار اوصاف الناقة من الكلكل والكاهل
للارض ورشح تلك الاستعارة بالوطء والتمعك وانما خص الكلكل

والكاهل

والكاهل لقوتهما وكنى بالمجموع عن الحاقها بالناقة السادس استعار
للماء لفظ الاستخذاء والقهر ولفظ الحكمة والانقياد والاسر وكنى بها عن
الحاقه بحيوان صايل كالفرس واضاف الحكمة الى الذل اضافة للسبب
الى المسبب السابع استعار لفظ النخوة والبأو وشموخ الانف والتيه و
الغلواء والزق والزفيان والوثبات للماء في هيجانه واضطرابه ملاحظة
لشبهه بالانسان المتجبر التياه في حركاته الموذنة بتكبره وزهوه الثامن
استعار لفظ الاكتاف للارض ووجه المشابهة كون الارض محلا لحملها
ثقل من الجبال كما ان كتف الانسان وغيره محل لحمل الاثقال التاسع استعار
لفظ العرنين والانف لاعالي رؤوس الجبال كناية عن الحاقها بالانسان العاشر
كنى بالتغلغل والتسرب عما يتوهم من نفوذ الجبال في الارض وغوصها فيها واستعار
لفظ الخياشيم لتلك الاسراب الموهمة ولما جعل الجبال انوفا جعل تلك الاسراب
المتوهم قيام الجبال فيها خياشيم الحادي عشر استعار لفظ الوجدان والذراري بعة
للجداول كناية عن الحاقها بالانسان عديم الوسيلة الى مطلوبه الثالث
عشر الغميان في تغلغلها وركوبها الجبال والضمير في خياشيمها يعود الى الارض
وباقي الضماير ظاهر الرابع عشر تجوز في اسناد لفظ الاحياء والاستخراج
الى السحاب اذ المخرج هو الله تعالى الخامس عشر كنى بعدم النوم عن عدم
اخفاء وميض البرق في السحاب كناية بالمستعار السادس عشر استعارة
لفظ الهدب لقطرات المطر المتصلة يتلو بعضها بعضا ملاحظة لشبهها بالخيوط المتدلية السابع عشر استعار لفظ الدرر والاهاضيب وهي الحلبات
للغمام كناية عن الحاقها بالناقة الثامن عشر اسند المري الى الجنوب
مجازا ولان لها سببية ما في نزول الغيث وانما خص الجنوب لانها في اكثر البلاد
حارة رطبة اما الحرارة فلانها تاتي من الجهة المتسخنة بمقاربة الشمس و
اما الرطوبة فلان البحار اكثرها جنوبية والشمس تفعل فيها بقوة وتبخر
عنها الابخرة تخالط الرياح واذا كان كذلك كانت الجنوب اولى بالذكر من
وجهين احدهما انها اكثر استصحابا للابخرة فلذلك كان السحاب اكثر
انعقادا معها ومصاحبة لها الثاني انها لحرارتها تفتح المسام ولرطوبتها ترخي
وكان درور المطر عنها اكثر التاسع عشر استعار لفظ البروك والبواني

للسحاب واسند اليه الاقار كنى به عن الحاقه بالحبل الذى اثقله الحمل فى
بصدوره الى الارض كالعيون لسبب الابتهاج والازدهار واللبس الى الارض
ذات الازاهير مجازا ملاحظة لشبهها بالمراة المتبجحة بما عليها من فاخر
الملبوس وجميل الثياب البحث الثانى ان مقتضى الكلام انه تعالى خلق
الماء قبل الارض ثم دحاها فيه وسكن بها مستفحل امواجه وهذا مما شهد به
البرهان العقلى فان الماء لما كان حاويا لاكثر الارض كان سطحه الباطن المماس
لسطحها الظاهر مكانا لها وظاهر ان المكان تقدما بالطبع رتبة على المتمكن
فيه وان كان اللفظ يعطى تقدم خلق الماء على خلق الارض تقدما زمانيا كما هو
المقبول عند السامعين البحث الثالث انه اشير الى كونها مدحوة
فى القران الكريم ايضا والارض بعد ذلك دحيها مع ان الارض كرة كما ثبت بيانه
فى علم الهيئة فلا بد من التاويل وقد نبهنا عليه فى قوله اللهم داحى المدحوات
وقد ورد فى الخبر ان الارض دحيت من تحت الكعبة قال بعض العارفين الا
شارة بالكعبة الى كعبة وجود واجب الوجود التى هى مقصد وجوه المخلصين التى
جعلت هذه الكعبة فى عالم الشهادة مثالا لها ودحوها من تحتها عبارة عن وجودها
عن ذلك المبدا البحث الرابع الاشارة الى خلق الجبال فيها وكونها سببا
لسكونها وللناس فى تكون ما تكون من الجبال فيها وجوه احدها انه قد يكون
عن بحار زالت مياهها الثانى قد يكون عن زلزلة فصلت قطعة عن ناحية
فارتفعت الثالث قد يكون عن رياح جمعت بهبوبها ترابا فتراكم وعلا
الرابع قد يكون لعمارات تراكمت فتخربت فاما كونها اسبابا لسكون الارض فقد
سبقت الاشارة اليه فى الخطبة الاولى واعلم ان البرهان مطابق على الشهادة
بسكونها كما اشير اليه فى مظانه البحث الخامس فى تفجير ينابيع العيون
فى الجبال وغيرها وقد اشار العلماء الى اسبابه فقالوا ان الادخنة والابخرة ما
يحتبس منها تحت الارض وفيه ثقب وفرج فيها هواء او بخار ومياه فقد تبرد
الابخرة والهواء فيصير ماء فما له قوة وعدد ينفجر عيونا ويجرى على الولاء
لعدم مدخل الهواء من الخارج وما يتصل به ويتبعه وما لا مدد له من العيون
يركد وما له مدد الا ان اجزاءه متبددة والارض واهية لا يحتاج الى متقا
ومنه يحصل منه القنوات وماء الابار ايضا من قبيل ما له مدد لكنه لم يجد سبيلا
الى احد

الى احد الجوانب لعدم رخاوة ارضه فخالف القنوات وانما حفر الحبار فيجرى
العيون منها لان العيون اكثر ما ينفجر من الجبال والاماكن المرتفعة وذلك لشدة
احتقان الابخرة تحتها بالنسبة الى ساير الاماكن الهابطة الرخوة فان الارض اذا كانت
رخوة نفشت البخار عنها فلا يكاد يجتمع منه قدر يعتد به ولان هذا التخصيص دال
على حكمة الصانع وعنايته بالخلق وهو معرض تمجيده وتعديد الايه البحث
السادس انه اعد الهواء لساكنها واعلم انه سبحانه كما جعل الهواء عنصر الابدان
اى الحيوان وارواحه البدنية كذلك جعله مددا يصل الى الارواح ويكون علة لصلاحها
وبقائها بالتعديل وذلك التعديل يكون بفعلين احدهما الترويح والثانى التنقية
اما الترويح فهو تعديل مزاج الروح الحار اذا افرط ما لاحتقان فى الاكثر
فان الهواء الذى يحيط بنا ابرد بكثير من ذلك المزاج فاذا وصل اليه باستنشاق
الرية وعن مسام منافس النبض وصدمه وخالطه منعه عن الاستحالة الى
النارية الاحتقانية المودية الى سوء مزاج يزول به عن الاستعداد لقبول
اثار النفس التى هو سبب الحياة واما التنقية فهى باستصحابه
عند رد النفس لما سلمته اليه القوة المميزة من البخار الدخانى الذى نسبته
الى الروح نسبة الخلط الفضلى الى البدن فكما ان التعديل هو بورود الهواء
على الروح عند الاستنشاق فالتنقية بصدوره عنه عند رد النفس وذلك
ان الهواء المستنشق انما يحتاج اليه فى تعديله اول وروده لكونه باردا
بالفعل فاذا استحال الى كيفية الروح بالتسخن لطول مكثه بطلت فايدته
فاستغنى عنه واحتيج الى هواء جديد يدخل ويتقدم مقامه ودعت الضرورة
الى اخراجه لاخلاء المكان لمعاقبه ولينذفع معه فضول جوهر الروح فهذا
معنى قوله عليه السلام واعد الهواء متنسما لساكنها باعتبار اعداده لمنفعة
الحيوان اعم مما ذكرنا فانه ايضا معد لساير الامزجة المعدنية والنباتية
والحيوانية التى يحتاج الانسان فى بقايه اليها وكونه عنصرا لها ومعتبرا
فى بقايها وعند ملاحظة هذه المنافع عن الهواء تظهر اثر نعمة الله تعالى به
البحث السابع فى اخراجه تعالى اهل الارض اليها بعد تمام مرا
فقها كما قال تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل
شى موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين والاشارة باهلها

المخرجين اليها الى الحيوان مطلقا واعلم ان اول ارتفاقهم بها ان جعلها قرارا لهم
صالحا للتسكن عليها كما قال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا ولكونها فراشا
بشرايط احدها ان يكون ساكنة ليصح الاستقرار عليها والتصرف فيها بحسب الا
ختيار وموافقة المصلحة دون كونها متحركة الثاني ان تكون خارجة من
الماء وذلك ان الانسان وغيره من الحيوانات البرية لا يمكنه ان يعيش في
الماء فاقتضت عناية الحق سبحانه بالحيوان ان ابرز بعضها من الماء ليعيش
فيه ويتصرف عليه الثالث ان لا يكون في غاية الصلابة كالحجر والا كان
النوم والمشي عليها مولما وايضا لم يكن ليثبت فيها انواع النبات والاشجار
وايضا لكان يسخن كثيرا في الصيف ويبرد كثيرا في الشتاء فما كانت تصلح لسكنى
الحيوان وايضا كان يتعذر حفرها وتركيب بعضها ببعض الرابع ان لا يكون
في غاية الرخاوة كالماء وغيره من المايعات التي يغوص فيها الانسان
الخامس انه سبحانه لم يخلقها في غاية الشفافية واللطافة فانها ان كانت
مع ذلك جسما سيالا كالهواء لم تمكن من الاستقرار عليه وان كان جسما ثابتا
صقيلا براقا لاحترق الحيوان وما عليها بسبب انعكاس اشعة الشمس
عليها كما يحترق القطن اذا قرب من المرايا المحاذية للشمس والبلور لكنه
خلقها غبراء ليستقر النور على وجهها فيحصل فيها نوع من السخونة وخلقها
كثيفة لئلا ينعكس الاشعة منها على ما فيها فيحرقه فصارت معتدلة
في الحر والبرد تصلح ان تكون فراشا ومسكنا للحيوان المنفعة الثانية
خلق الجبال فيها وتفجيرها بالمياه كما سبقت الاشارة اليه المنفعة الثالثة
ما يتولد فيها من المعادن والنبات والحيوان وفي انواع كل من هذه الموجودات
واختلاف اصنافه والوانه وروايحه وطعومه ولينه وصلابته وملاسته
وخشونته ما لا يحصى من المنافع التي يحتاج اليها الانسان في بقايه وصلا ح
حاله المنفعة الرابعة كونها اصلا لبدن الانسان وذلك ان الماء لرقته و
رطوبته لا يحفظ التشكل والتصوير فاذا خلط بالماء حصل له قوام وحصل
قبول الاشكال والتخطيط كما قال اني خالق بشرا من طين المنفعة الخا
مسة قبولها الحيوة بعد الموت كما قال تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها
البحث الثامن في تمجيده تعالى باعتبار انشائه للسحاب

والرق

والرق والنظر في وجه الحكمة فيه وفي اصله وفي حياة الارض اما وجه الحكمة
في انشائه فلكونه مادة لما ينبت في الارض الجرز مما هو قوام البدن الحيوان
وغذاء له كما اشار اليه عليه السلام بقوله ثم لم يدع جرز الارض التي تنقص
مياه العيون والانهار عنها ولا تجد جداول الارض ذريعة الى بلوغها الى
قوله وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام ونحوه قوله تعالى اولم
يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم
افلا تبصرون البحث التاسع في تمجيده باعتبار تخريقه للفجاج في
افاقها الى الطرق الواسعة في نواحيها كما قال تعالى وجعل لكم فيها فجاجا
سبلا لعلكم تهتدون ثم باعتبار اقامته المنار للسالكين فيها والاشارة با
لمنار اما الى النجوم كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون او الى الجبال
الفصل الثاني في تمجيده تعالى باعتبار خلقه لادم واختياره له
واتمام نعمته عليه ومقابلته بالعصيان ومقابلة عصيانه بقبول توبته واهباطه
الى الارض والزام ذريته بعده بعثة الانبياء منهم اليهم وقسمته بينهم معيشتهم و
اجالهم بالقلة والكثرة وابتلايه لهم بذلك وهو من قوله فلما مهد ارضه و
انفذ امره الى قوله قاطعا لمراير قرانتها واعلم ان الكلام في قصة ادم عليه السلام
قد سبق في الخطبة الاولى مستوفى فلا نعيده بل نذكر ان في هذا الكلام فوايد الفايدة
الاولى معنى قوله مهد ارضه اي جعلها مهادا كقوله تعالى الم نجعل الارض
مهادا او جعلها مهدا كقوله تعالى جعل لكم الارض مهدا وعلى التقدير الاول ارادته
لما خلقها بحيث يسهل على العباد ان يتصرفوا فيها بالقعود والقيام والزراعة
وساير جهات المنفعة وانفذ امره في خلق ادم عليه السلام خلقه بعد ذلك وعلى التقدير
الثاني يكون لفظ المهد استعارة لها ملاحظة لتشبيهها بمهد الصبي في
كونه محل الراحة والنوم الفايدة الثانية قوله وانفذ امره اي في ايجاد مخلوق قانه
واتماما لحكم على العالم بالتمام باختيار نوع الانسان الذي هو تمام دايرة الو
جود فقال له كن فكان الفايدة الثالثة قوله خيرة من خلقه نصب
على الحال ويحتمل النصب على المصدر وشاهد كونه خيرة الله من خلقه
اصطفى قوله تعالى ان الله ادم وقوله ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا

وبيان هذا التكريم من وجهين احدهما قال ابو يزيد البسطامي رحمه الله
ان انواع كرامات الله في حق البشر غير متناهيه كما قال تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها هذا على سبيل الاجمال اما التفصيل فمن وجوه الاول انه
سبحانه يمطر كل ساعة على المتوكلين مطر الكفاية كما قال تعالى ومن يتوكل على
الله فهو حسبه الثاني انه يمطر كل ساعة على المطيعين مطر المودة قال تعالى
سيجعل لهم الرحمن ودا الثالث انه يمطر على المجتهدين مطر الهداية
كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الرابع انه يمطر على
الشاكرين مطر الزيادة كما قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم الخامس انه يمطر
على المتذكرين مطر البصيرة كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون الثاني ان التكريم لادم وذريته اما
باحوال داخله في الانسان او خارجة عنه والداخلة فيه اما بدنية او غيرها
اما البدنية التي اكرمهم بها فامور الاول الصورة الحسنة كما قال تعالى وصوركم
فاحسن صوركم الثاني حسن القامه والتعديل كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وذلك ان الشي كلما كان اكثر علوا وارتفاعا كان اشرف فانه
عن فان احسن الاشجار اعلاها اصعدا الثالث انه اكرمه بتمكينه
من القيام والقعود والاستلقاء والانبطاح والاضطجاع وذلك انه تعالى
ركب الخلق على اصناف اربعه احدها ما يشبه القايمين كالاشجار وثانيها
ما يشبه الراكعين كالبهايم وثالثها ما يشبه الساجدين كالحشرات التي
تدب على وجوهها وبطونها ومنها ما يشبه القاعدين كالجبال ثم انه سبحانه
خلق الانسان قادرا على جميع هذه الهيات ومكنه من ذكره على جميع هذه
الاحوال كما قال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم و
اما الاحوال التي اكرم بها غير بدنية فامور احدها الروح التي هي محل العلوم (لعلم)
باشرف الموجودات ومبدا هاو هو امر الله تعالى كما قال ونفخ فيه من روحه
وشرفه باضافة روحه اليه وبهذا التشريف تميز عن ساير الموجودات
في هذا العالم الثاني العقل وشرفه من وجوه الاول روي ان الله تعالى
اوحى الى داود عليه السلام اذا رايت عاقلا فكن خادما الثاني قول الرسول
صلى الله عليه اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له

ادبر

ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي
وبك اثيب وبك اعاقب واعلم ان للعقل بدايه ونهايه وكلاهما يسميان عقلا اما
الاول فهو القوة المهيية للعلوم الكلية الضرورية كما للطفل وهو المشار
اليه بقول النبي صلى الله عليه والثاني العقل المستفاد وهو المشار اليه بقوله
صلى الله عليه لعلي عليه السلام اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب البر فتقرب
انت بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في الاخرة
الثالث العلم والحكمة التي هي ثمرة العقل كما قال تعالى يرفع الله الذين
امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تؤتي الحكمة من تشاء ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وسماه حيوة ونورا فقال
او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واما التكرمة
الخارجة عنه فامور احدها انه خلق ما سواه منفعة له فقال هو الذي خلق لكم
ما في الارض جميعا وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ففرش لهم (رض)
وجعل السماء سقفا محفوظا وجعل ما اخرج من الارض رزقا له وما ارسله من
السحاب من امطار مادة لذلك كما قال تعالى وانزل من السماء ماء فاخرج به من
الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار واكرمه
بخلق الشمس والقمر والنجوم كما قال وسخر لكم الشمس والقمر دايبين وسخر لكم الليل و
النهار وقوله وجعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقال
ولتعلموا عدد السنين والحساب واكرمه بخلق الانعام خلقها لكم فيها دفء ومنا (فع)
ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
ويخلق ما لا تعلمون الثاني روي عن امير المومنين عليه السلام في تفسير قوله
تعالى ولقد كرمنا بني ادم انه قال بالدعوة الى الجنة كما قال تعالى والله يدعوا
الى دار السلم الثالث انه اكرمهم بتخيير قلوبهم لمعرفته والسنتهم لشهادته
وابدانهم لخدمته فشرفهم بخليفة وبعث الانبيا اليهم من انفسهم كما قال تعالى
لقد جاءكم رسول من انفسكم ثم جعل ادم والانبيا من ذريته اكرم عباده لربه
وحباهم بالنبوة والرسالة كما قال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرا (هيم)
وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض ثم فضل اولى العزم منهم فقال
كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم فضل بعضهم على بعض وهو الخليل والكليم

والروح والحبيب وقال فضلنا بعض النبيين على بعض منهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ثم فضل
محمدا صلى الله عليه على الكل فقال وكان فضل الله عليك عظيما وجعله غاية
لجنسهم وخاتمة كمالهم فقال ولكن رسول الله وخاتم النبيين الفايدة الرابعة
قوله وجعله اول جبلته اشارة الى ان ادم اول شخص يكون في الوجود من
نوع الانسان وقوله والمخاطرة بمنزلته اي عند الله وكونه مستحقا للقرب
منه وقوله موافاة لسابق علمه اشارة الى ان وقوعه في الوجود بقدر
عن ضابط القلم والقضاء الاولي السابق الفايدة الرابعة قوله وجعله
اول جبلته اشارة الى ان ادم اول شخص يكون في الوجود من نوع الانسان
وقوله والمخاطرة بمنزلته اي عند الله وكونه مستحقا للقرب منه
وقوله موافاة لسابق علمه اشارة الى ان وقوعه في الوجود بقدر عن
ضابط القلم والقضاء الاولي السابق الفايدة الخامسة قوله فاهبطه
بعد التوبة من قال ان المراد بادم هو نوع النفوس البشرية وقد ثبت انه
حادث او الشخص الاول منه قال ان التوبة قبل الاهباط هي التوبة بالقوة
المعلومة لله من عصاة اولاد ادم التائبين اليه قبل اهباط نفوسهم من
درجات عرفانه والتفات وجوههم الى عمارة الارض والاشتغال بالحرث والنسل
والانبياء عليهم السلم يرجعون عن المباحات الى ما هو الاولى والاهم من عبادة
الله ومطالعة انوار كبريائه ويعدون ما رجعوا عنه ذنوبا ورجوعهم
عنه توبة كما قال النبي عليه السلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين
مرة وليس ذلك المستغفر منه الا اشتغال ذهنه بتدبير امور الارض وعمارتها
واشتغاله بذلك عن الخلوة بالله واستغراق انوار قدسه الفايدة السادسة
قوله وليقيم الحجة به على عباده الذي بعث ادم حجة عليهم اما
اولاده الموجودون في زمانه والمنقول انه مات عن اربعين ولدا
او من بلغته شريعته منهم بعد وفاته والمنقول ان الله تعالى انزل عليه
من الاحكام تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في احد وعشرين
ورقة وهو اول كتاب كان في الدنيا اجرى الله عليه الالسنة كلها الفايدة
السابعة قوله ولم تخلهم بعد ان قبضه مما يوكد عليهم حجة

ربوبيته

ربوبيته اي ان حجج ربوبيته قايمة عليهم في كيفية تخليقه لهم وخلق ما يشاهدون
عليه من صنعه كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين
لهم انه الحق الاية وغيره من الايات وانما يكون بعثه الانبيا موكدة لتلك
الحجج مذكرة للعارفين عنها ومنبهة على وجودها وموصلة بينهم وبين معرفته
بما جاءت به من الكتب المنزلة والسنن الشريفة قوله وبلغ المقطع
عذره ونذره اي اعذاره الى الخلق وانذاره لهم بلغ الغاية ومقطع كل شي غايته
والفايدة الثامنة قوله تقدير الله ارزاقهم تعيينه لها واعطا كل مخلوق ما كتب
له في اللوح المحفوظ منها من قليل وكثير وضيق وواسع ومتيسر ومتعسر ودعا
فيه الاضداد عليهم من تبغيض سعة الغنى بلواحق الفقر والفاقة كما قال فربما
الانسان في ملكه اصبح محتاجا الى الفلس وكذلك الحاقة للسلامة وكذلك الحا قه
السلامة في النعم بطوارق الافات من غرق او حرق او غضب ظالم وعدو غاشم
وكذلك سعة الارزاق وفرح اقترافها وتكديرها بغصص احزانها واتراحها ثم خلق
الاجال متفاوتة بالطول والقصر والتقدم والتاخر الفايدة التاسعة تقديره
للموت متصلا باسبابها ولما كان الاجل عبارة عن وقت ضرورة الموت وكانت اسباب
حلول تلك الاوقات هي بعض الامراض والقتل مثلا لا جرم صدق ان الموت الذي
هو عبارة عن مفارقة الارواح لاجسادها متصلا بتلك الاسباب واستعار لفظ
الخلج وهو الجذب للموت ورشح بذكر الاشطان ووجه المشابهة ما يستلزمه الموت
من قرب الاجل كما يستلزمه الجاذب من قرب المجذوب اليه فقدر الموت جاذبا
للاجل بالحبال كما يجذب بها الانسان ما يريد ولما كونه قاطعا لمرائر اقرانها فا
ستعار ايضا لفظ المراير لاسباب العلاقة بين اقران الاجال وهم المتقاربون في
الزمان الواحد الذين تعلق بهم الاجل وتلك الاسباب كالصداقة والاخوة وساير
اسباب العلاقة بين الناس وظاهر كون الموت قاطعا لتلك المراير الفايدة
العاشرة انه عليه السلم جعل قسمة الله تعالى للارزاق وتقديرها بالكثرة و
القلة والضيق والسعة صورة ابتلاء من الله للشكر من الاغنيا والصبر
من الفقراء وقد اشرنا في قوله الا ان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها الى ان المراد
بالابتلاء من الله معاملته تعالى لعباده معاملة المبتلين المختبرين لانه
سبحانه عالم الخفيات والسراير فلا يتصور في حقه الاختبار حقيقة الا انا

نريده هاهنا بيانا فنقول ان للعبد اذا تمكن في خاطره ان ما يفعله الله من
افاضة نعمه عليه او حرمانه لها ابتلاء لشكره او صبره فشكر او صبر حصل
من شكره او صبره على ملكات فاضلة في نفسه فيستعد بها لمزيد الكمال و
تمام النعمة كما قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم وقال وبشر الصابرين الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من
ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون واما التحقيق في امثال هذه القسمة من
ضيق رزق او سعة او طول اجل او قصره او معاقبة شدة او رخاء وحزن او فرح
فنقول ان لكل واحد من هذه الامور اسباب قد تخفى على من تعرض له والذهن من
انتهائها الى قضاء الله فما عد منها خيرا فهو داخل في الارادة الكلية الخير المطلق
بالذات وما عد منها شرا فداخل في القضاء الالهي بالعرض كما علم ذلك في
مظانه وبالله التوفيق

**الفصل الثالث** في تمجيده سبحانه
باعتبار كونه عالما بالاشياء وعدم من جزئياتها جملة هي من **قوله**
عالم السر من ضمائر المضمرين الى قوله او ناشئة خلق وسلالة والبشر الى
ما عساه يشكل من الفاظه الاول هو المرجم الظنون لما كان الخاطر الظني
للانسان يتعلق بمظنون لا محالة بحدان لم يكن اشبه تعلقه به الرجم وهو
الرمي بالحجر ونحوه فاستعير لفظه له وانما خص الظن بذلك دون العلم لان
لما ان كثيرا ما يظن ما لا يجوز ظنا غير مطابق كما يظن بعض الناس ما
يقبح منه ويصل اليه بسببه اذى وان لم يكن صدقا فكان اشبه الاشياء
برميه بالحجر المستلزم للاذاة الثاني عقد عزمات اليقين ما انعقد
في النفس من العزوم عن يقين الثالث ومشارق ايماض الجفون لما
اشبه شعاع البصر البرق في وميضه واختفائه عند فتح الجفون وطبقها
استعار لفظ الوميض لبروزه ولفظ المشارق لمخارجه الرابع استعار
لفظ الاكنان للقلوب بالنسبة الى ما تخفيه من الاسرار ولفظ الغيابات
للغيوب ووجه المشابهة ان القلوب حافظة كالبيوت وكون الظلمات
مانعة من ادراك المبصرات كما تمنع الغيوب ادراك ما فيها الخامس مصايد
الذر ومشاتي الهوام بيوتها واسرابها الصيفية والشتوية من بطن الارض
الواقية لها حر الصيف وبرد الشتاء ووجه الحنين من المولهة ترديد

صوت

صوت الثكلى في بكائها وحنينها الى من فقدته السادس ولائج غلف
الاكمام انما حسنت الاضافة هنا لان كل كم غلاف ولا ينعكس فجاز تخصيص
العام بالاضافة الى بعض جزئياته السابع محط الامشاج محل نزول النطف
من الاصلاب ومساربها وهي الاوعية التي يتسرب فيها المني والاخلاط التي
يتولد عنها الثامن وما تسفي الاعاصير بذيولها اي ما يثيره وتذروه من
التراب واستعار لفظ الذيول لما احتك بالارض منها التاسع استعار
لفظ العوم لدخول عروق النبات في نواحي الارض ملاحظة شبهها بالماء وورود
بنات الارض بتقدم البناء وهي الهوام التي تنشأ في الرمل وتغوص فيه و
تسير كالحلكة وهي دويبة كالعظاءة دون الشبر صفراء لمساء تستعملها
العرب للسمنة وكنوع من القباب وغيرها العاشر وتغريد ذوات
المنطق استعار لفظ النطق للطير ووجه المشابهة ان مدلول تغريدها معلوم
لله واشبه النطق المفيد من الانسان الحادي عشر ما اوعته الاصداف
كاللؤلؤ والمرجان وما حضنت عليه امواج البحار من لؤلؤ وحيوان وغيرهما
لفظ الحضن مستعار للامواج ملاحظة لشبهها بالحواضن في انطباقها على البيض
والفراخ الثاني عشر سبحات النور ما بهره منه عن كدر الظلمة ولفظ النور مستعار
لمعارف جلال الله والضمير في قوله عليها يرجع الى الارض وقراره النطفة
مستقرها من الارحام ولفظ النقاعة استعارة لمجتمع دم الحيض والمضغة
الولد في بعض اطوار خلقته كما عرفناه قبل وناشئة الخلق ما انشاه من خلق ثانية
الثالث عشر **قوله** لم يلحقه في ذلك كلفة الى قوله ولا فترة
الكلفة كون الفعل مستلزما لفاعله نوع مشقة وتلك المشقة اما لضعف
قوة الفاعل او ضعف آلته او قصور علمه عن تصور ما يفعل والبارئ تعالى
منزه عن هذه الامور لاستلزامها الحاجة ولذلك الفترة عارضة من عوارض مطالع
العلوم ونفوذها يستلزم وجود المقاوم والمثل وقد تنزه قدس الحق عنها
واما الملالة فالمفهوم منها انصراف النفس عن الفعل بسبب كلال الارواح
الدماغية وضعفها عن العمل والعارض اضرارها وقد علمت انها من لواحق
الاجسام وكذلك الحيرة والبارئ تعالى منزه عنها الرابع عشر قوله
بل نفذهم علمه الى قوله وعمرهم فضله ان كل واحد من هذه القرائن

لا ربع مقابله للاربع التي نفاها فنفاد علمه فهم مقابل لما نفاه من لحوق
الكلفة في عليهم واحصاءهم بعده مقابل للاعتراض العارضة في حفظ خلقه ووضع
عدله لهم مقابل لنفي اعتوار الملالة في تنفيذ اموره وتدبير مخلوقاته اذ كان معنى
عدله فيهم وضعه لكل موجود في مرتبته وهيئته له ما يستحقه من زيادة و
نقصان مضبوطا بنظام الحكمة واعتراض الملالة سبب لاختلال نظام العدل
قوله وغمرهم فضله مقابل لنفي للنفيرة فان فتور الفاعل عن الفعل
مانع له عن تتمة فعله وتمام جوده و قوله مع تقصيرهم عن كنه
ما هو اهله لدوام شكرهم وثناءهم ولا يتفكروا شيئا من طاعاتهم وبالله العصمة
الفصل الرابع في تمجيد خطابه ودعاء وطلبا لجزاء ما سبق
من ثنايه وتعديد اوصافه الجميلة وهو رضاه عنه واغناه عن غيره وفيه
اشارات الاول قوله انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير
اشارة الى انه تعالى بحسب استحقاقه الوصف باشرف طرفي النقيض كان
اهل الوصف الجميل وباعتبار تعدد ثنايه وجمله بالنظر الى كل جزئي من جز
ئيات نعمه هو اهل التعداد الكثير الثانيه قوله وقد بسطت لي فيما لا
امدح به غيرك ولا اثني به على احد سواك اشارة الى اذنه له في شكره والثناء
عليه بالاوصاف الجميلة التي لا يستحقها حقيقة الا هو ولا ينبغي ان يطلق الا له
ومعنى هذا الاذن اما العام حسن شكر المنعم ومدحه واذ لا منعم في الحقيقة
الا هو فلا يستحق التمجيد المطلق الا هو واما مخاطبته له بما لحاب الشكر كقوله
تعالى واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون والتسبيح في قوله تعالى ومن الليل
فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله وسبحوه بكرة واصيلا واستعار
لفظ المعادن للخلق ووجه المشابهة ان معدن الشيء كما انه مظنته المطلوب
منها كذلك الخلق ارباب النعم الفانية مظان جيبته طالبا من ايديهم وحرمانها
وكذلك مواضع الريبة اي الشك في منعهم وعطاياهم لها ولذلك فسره بقوله
وعدلت بلساني عن مدائح الادميين والثناء على المربوبين المخلوقين الثالثه
قوله دليلا نصب على الحال او المفعول والمراد برجايه دليلا على
ذخاير الرحمة رجاؤه ان يسوقه بهدايته الى وجوه الاستعدادات الى رحمته
وسيرعليه تنبيهي للالتفات اليه عن كل خاطر سواه فان كل خاطر

سوى

سوى الحق سبحانه ذنب في حق مثله عليه السلام ولفظ الذخيرة والكنوز مستعاران
لجوده الرابعه قوله هذا مقام من افردك بالتوحيد اشارة الى
مقامه بين يديه بهذا الذكر والتوحيد في خطبته وهو توطية لذكر مطلوبه
واستنزال رحمة الله تعالى وله فاقة اليك فذكر وجه استحقاقه لجوده
اولا وفقر سد تلك الفاقة على فضله اذ لم يكن فاقة في امر دنيوي تمكن
المخلوقين الاتيان به ثم اردفه بذكر مطلوبه وهو رضا الله واغناه عمن
سواه وظاهر ان حصولهما مستلزم لما رجاه الله دليلا عليه من ذخاير رحمته
وكنوز مغفرته ومن كلام له عليه السلام

لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان

دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امرا له
وجوه والوان الى قوله وانا لكم وزيرا خير مني لكم اميرا

اقول حاصل هذا الفصل انه لابد لكل مطلوب على امر من تعزز
فيه وتمنع والحكمة في ذلك ان الطالب له يكون بذلك ارغب فيما يطلب فان
الطبع حريص على ما منع سريع النفرة عما سورع الى اجابته فيه فاراد عليه
السلام التمنع عليهم ليقوى رغبتهم اليه فانه لم يقبل اليه هذا الامر الا بعد
اضطراب في الدين في قتل عثمان والجراة على الاسلام فاحتاج في تقويم الخلق ور دهم
الى قواعد الحق الى ان يزدادوا فيه رغبة هذا الكلام ومثله فقال دعوني
والتمسوا غيري الا ترى انه نبههم بعد هذا التمنع على ان هاهنا امورا
صعبة مختلفة يريدان ينكروها عليهم ويقاوم بعضهم فيها بعضا ويحملهم على
الصلاح وجعل استقباله لتلك الامور الصعبة علة لاستقالته من هذا الامر
فقال فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان لا يقوم له القلوب اي لا تصبر
ولا يثبت عليه العقول بل تنكره وتاباه لمخالفته الشريعة ومضادته لنظام
العالم وذلك الامر هو ما كان يعلمه من اختلاف الناس عليه بضروب من التا
ويلات الفاسدة والشبهات الباطلة كتهمة معاوية واهل البصرة له بدم
عثمان وكتاويل الخوارج عليه في الرضا بالتحكيم ونحو ذلك وهو المكنى عنه
بالوجوه والالوان كناية بالمستعار و قوله وان الافاق قد اغامت
والمحجة قد تنكرت استعار لفظ الغيم لما غشى افاق البلاد واقطار القلوب

المتغيرة العازمه على الفساد من ظلمات الظلم والجهل ووجه المشابهة ما يستلزمه هذه الظلمات من توقع نزول الشر ورميها كما يتوقع نزول المطر والصواعق من الغيم واشار بالمحجة الى واضح طريق الشريعة وتنكرها جهل الناس بها وعدم سلوكهم لها و **قوله** واعلموا الى قوله عتب العاتب لما تمنع عليهم وعلى صدق رغبتهم فيه شرع في تقرير ما يريد ان يفعله تقريرا جماليا عليهم مع المنع دون الاول فاعلمهم انه على تقدير اجابتهم الى هذا الامر لاركب بهم الى ما يعلم من امر الشريعة ولا يصغي الى قول قايل خالف امر الله لمقتضى هواه ولا عتب عاتب عليه في انه لم يفضله او لم يرضه لما خالف ما يعلمه من امر الشريعة اذ القايل والعاتب في ذلك مفتر على الله وعاتب عليه ولقد وفى عليه السلم بما وعدهم به من ذلك كما يذكره من قصة اخيه عقيل لما استماحه صاعا من بر او شعير فحمى له حديدة وقربها منه فان عقيل فقال له ثكلتك الثواكل اتان من حديدة احماها انسان للعبه ولا تان من نار احجمها جبارها لغضبه ولفظ الركوب مستعار لاستواره على ما يعلم و **قوله** وان تركتموني الى اخره اى لكنت كاحدكم في الطاعة لامركم بل لعلي اكون اطوعكم له اى لمن توليتموه بوجوب طاعة الامام وانما قال لعلي لانه على تقدير ان يولوا احدا يخالف امر الله لا يكون اطوعهم له بل اعصاهم واحتمال توليتهم لمن هو كذلك قايم فاحتمال طاعته له وعدم طاعته قايم فحسن ايراد لعل والواو في قوله وانا لكم وزيرا وامير احالان والعاملان ما تعلق به من الجار والمجرور والوزير اللغوي وهو المعين والظهير الحامل للوزر من الحاجة وثقله وظاهر انه عليه السلم كان وزيرا للمسلمين وعضدا لهم والخيرية هاهنا تعود الى سهولة الحال عليهم في امر الدنيا وانه اذا كان اميرا لهم حملهم على ما يكره طبعا من المصابرة في الحروب والتسوية في العطايا ومنعهم ما يطلبون مما فيه مخالفة للشريعة اذ في منع ولا كذلك اذا كان وزيرا فان حظ الوزير ليس الا المشورة والراي الصالح والمعاضدة في الحروب وقد يخالف في رايه حيث لا يتمكن من الزام العمل به وانما كان هذا التمنع دون الاول لان قوله ان اجبتكم فيه اطماع لهم بالاجابة والله التوفيق والعصمه

## ومن خطبة له عليه السلام

اما بعد ايها الناس فانا فقات عين الفتنه
الى قوله ما الطلب اليوم بعضه فلا يعطى بيته

اقول فقات

**اقول** فقات عينه عورتها وماج اضطرب والغيهب الظلمة والكلب الشر والجلب دار معروف والفتنة الطابقة وناعقها الداعي لها والمناخ بالضم محل البروك وحوارب الخطوط ما حرب منها اى لصاب والتقلص التقبض وشبهت اشتبهت واقعت للشبهه وحام الطاير دار والخطة الحال والامر والناب الناقة المسنة والضروس التي تعض حالبها والعذم العض وهو الكدم ايضا والزبن الدفع وشوها جمع شوهاء وهي قبيحة المنظر وسامه خسفا اولاه ذلا والعنف شدة السوق وتحلسهم اى تلبسهم الحلس هو الكسا الخشن يرذعة للبعير والجزر القطع ومنه سميت الجزور لما ينحر من الابل ومقصود هذا الفصل التنبيه على فضيلته وشرف وقته به وعلى رذيلة بني امية بذكر فتنتهم وما يكون منهم ليشتد النفار عنهم ويقوى الرغبة اليه من وجهين احدهما باخباره عما سيكون والثاني بذكر الشرور من غيب **فقوله** فانا فقات عين الفتنه اشارة الى فتنة اهل البصرة وغيرها واستعار لها لفظ العين وانما خص العين لانها اشرف عضو في الوجه وبها تعرف الشخص وحركته ورشح الاستعارة بذكر الفقاء وكنى به عن زوال فتنتهم بسيفه و **قوله** لم يكن ليجترى عليها احد غيرى اى ان الناس كانوا لا يتجاسرون على قتال اهل القبلة ويخافون من ذلك الحرج والاثم ولا يعلمون كيفية قتالهم هل يتبعون مدبرهم وهل يجيزون على جريحهم وهل يسبى ذراريهم ويقسم اموالهم اذا بغوا ام لا حتى اقدم عليه السلم على فتنتهم ففقا اعينها فسكنت بعد هياجها ومبدا ذلك حرب عايشه وقد صرح عليه السلم بذلك في الفاظ اخرى فقال اما بعد فانا فقات عين الفتنة شرقيها وغربيها ومنافقها ومارقها لم يكن ليجترى عليها غيرى ولو لم اكن لما قوتل اصحاب الجمل ولا اصحاب صفين ولا اصحاب النهر ويحتمل ان يكون المراد فقات عين اهل الفتنة فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويكون فقاوه لعيونهم كناية عن قتلهم وروى ان من المتوقفين عن الحرب الاحنف بن قيس وجماعة معه وكنى بتموج عينها عن انتشار ظلمات الشبهة عن تلك الفتن في اذهان الناس فجهلوا ان خلاف طلحة وخروج عايشة كان حقا او باطلا فكان ذلك سببا لاضطرابهم وقتالهم وقتلهم وكذلك كم

باشتداد كلبها عن شدة ما وقع منها من الشرور وكلب اهلها وحرصهم على
القتل والقتال كناية بالمستعار في المومئين و **قوله** فاسئلوني الى
قوله ومن يموت منهم موتا تعرض للاخبار عما سيكون ولم يكن ليجترى على ذلك
احد غيره من بين سائر الصحابة والتابعين ولو ادعى غيره ذلك لكذبه العيان
وفضحه الامتحان وروى ان قتادة دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوني
عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو اذن غلام حدث السن فقال سلوه عن
نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فانقطع فقال ابو حنيفة كانت انثى
فقيل له بم عرفت ذلك فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان
ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة يقع على الذكر والانثى كالحمامة والشاة
وانما تميز بينهما بعلامة التأنيث. فانظر الى هذا المعجب بنفسه كيف انقطع
عن سؤال تمكن الفطن ان يجيب عنه بادنى سعي فكيف به اذا سئل عن
الامور المستقبلة التي لا يستنزلها من عالم الغيب الا من ايد بقوة الهية تكشف
لنور بصيرته معها حجب الاسرار وقد بينا فيما سبق وجه تمكنه من الاخبار
عما سيكون وكيفية ذلك واراد بالساعة القيامة واستعار اوصاف الابل و
رعاتها واصحابها من الناعق والقائد والسائق والمناخ والركاب والرحال
للفئة المهدية والضالة ومن يهديهم ويضلهم ملاحظة لشبههم بالابل في
الاجتماع والانقياد لقائد وداع والضمير في اهلها يعود الى الفئة و
**قوله** ولو قد فقدتموني الى قوله المسئولين كرائه الامور ما يكرهون
منها وحوازب الخطوب ما يصيبهم من الامور العظيمة المهمة واطراق السائلين
لحيرتهم في عواقب تلك الخطوب وما يكون منها وكيفية الخلاص وفشل
كثير من المسئولين اي جبنوا عن رد الجواب لجهلهم بعواقبها وما يسألون عنه
منها و **قوله** وذلك اشارة الى اطراق السائلين وفشل المسئولين و
**قوله** اذا قلصت حربكم تقليص لكرائه الامور النازلة بهم واستعار
لفظ التقلص والتشمير عن ساق الحرب ووجه الاستعارة تشبيهها بالمجد
في الامر الساعي فيه وكما انه اذا اراد ان يتوجه فيه قلص ثيابه وشمرها عن
ساقه لئلا تعوقه ونحيا واجمع عليه كذلك في كونها مجمعة على النزول بهم
والتخوف لهم والواو في قوله وكانت للعطف على شمرت وموضع تستطيلون

النصب

النصب على الحال و **قوله** حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم اي
الذين يسلمون من بغلصية في دينهم واعمارهم ويفتح الله لهم بهلاكهم
وزوال دولتهم و **قوله** ان الفتن اذا اقبلت شبهت اي يكون في
مبدأ امرها مشتبهة بالحق في اذهان الخلق واذا ادبرت نبهت الاذهان
على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج بين الناس واضطراب امورهم بسببها
واكثر ما يكون ذلك عند ادبارها كالفساد في الدول مثلا الذي يعرف به
عامة الخلق كونها فتنة وضلالا عن سبيل الله اكثر ما يكون في اخرها فيكون
موذنا بزوالها وعلامة مبشرة به و **قوله** ينكرن مقبلات ويعرفن
مدبرات تفسير له اي لا يعرف في مبدأ الحال كونها فتنة ويظنه بكونها حقا
ودعاة هدى فاذا استعقبت عرف انها عن الحق بمعزل وان دعاتها كانوا
دعاة ضلالة و **قوله** يحمن حوم الرياح استعار لها لفظ الحوم ملاحظة
لشبهها في دورانها الموهوم ووقوعها عن قضاء الله من دعاة الضلال في
بلد دون بلد بالطائر والريح ولذلك شبهها بحومها وكذلك لفظ الخطار
و **قوله** الا ان اخوف الفتن عندي الى اخره شروع في تعيين ما
يريد ان يخبر به وهو بعض ما تعرض للسؤال عنه وانما كانت هذه الفتنة
اخوف الفتن لشدتها على الاسلام واهله وكثرة بلوى اهل الدين فيها بالقتل و
انواع الاذى وبلغ في عظم تلك الفتنة هتكهم حرمة رسول الله صلى الله عليه و
قتل الحسين عليه السلم وذريته وهتك حرمة الاسلام بهدم الكعبة وحرقها وقتل ابن
الزبير وسب علي عليه السلم ثمانين سنة وما انتشر من البلاء وعم بتوليتهم الحجاج
دماء المسلمين الى غير ذلك من منكراتهم المسطورة في التواريخ واشار بكونها
فتنة عمياء الى ذلك واستعار لفظ العمى لها لجريانها على غير قانون حق
كالاعمى المتصرف في حركاته في غير جادة او لكونها لا يسلك فيها سبيل الحق
كما لا يهتدي بالعين العمياء وكذلك لفظ المظلمة و **قوله** عمت
خطتها لكونها ولاية عامة وخصت بليتها اي باهل التقوى وشيعة علي
عليه السلم ومن بقي من الصحابة والتابعين الذين هم اعيان الاسلام و
**قوله** واصاب البلاء من ابصر فيها واخطأ من عمي عنها اي من اهتدى
لكونها فتنة كان فيها في بلاء من نفسه ومنهم اما من نفسه فبالحزن الطويل

من مشاهدة المنكر واما منهم فلان المبق للعالم بكونهم ايمة ضلال متخوف عنهم وغير
داخل في نفق منهم الباطل وكان من شانهم تتبع من هذه حاله بالاذى والقتل فكان الملازم
به اخفق واما من لم يستند لكونها فتنة بل كان في عمى الجهل عنها فهو منقاد لدعوتهم
الباطلة منساق تحت رايات ضلالهم جار على وفق اوامرهم فكان سالما من بلائهم
ثم اردف ذلك بالقسم البر لتجدنهم الناس ارباب سوء لهم وتشبيههم في افعالهم المضرة
لهم بالناب الضروس لحالبها واشار الى وجه الشبه باوصاف فكدمها وعضها
وخبطها بيدها وزبنها برجلها ومنعها درها اشارة الى جميع حركاتها المؤذية الردية
وهي تشبه حركاتهم في الخلق بالاذى والقتل ومنع الرفد والاستحقاق من بيت
المال ثم اردف ذلك بذكر غايتين لحركاتهم البشرية وبلائهم للناس احداهما انهم
لا يتركون من الاذى والقتل الا احد رجلين اما نافع لهم سالك مسلكهم او من لا يضرهم
بانكار منكر عليهم ولا المخافة على دولتهم من ساير العوام والسوقة الثانية انه
لا يكون انتصارهم منهم الا مثل انتصار العبد من سيده والصاحب ممن استصحبه
اي كما لا يمكن العبد ان ينتصر من سيده والتابع المستصحب الذي من شانه الضعف
وعدم الاستقلال بنفسه ممن يستصحبه كذلك لا يمكن بقية هؤلاء ان ينتصروا
من بني امية اصلا ويحتمل ان يريد هنا كل ما يشبه الانتصار من الغيبة ونحوها كما ذكر
عليه السلام في موضع اخر ويكون نصرة احدكم كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه
واذا غاب اغتابه ثم اردف ذلك بذكر فتنهم وانها مشتملة على فتن فوق واحدة
ياتي شائهة وقطعا كقطع الليل المظلم ومن روى فتنتهم بلفظ الجمع فالاداة جزئيات
شرورهم في دولتهم واستعار لفظ الشوهاء لقبحها عقلا وشرعا ووجه
المشابهة كونها منظورا عنها كما ان قبيحة المنظر كذلك وكذلك استعار لفظ
القطع لورودها عليهم دفعات كقطع الخيل المقبلة في الغارة والحرب
واشار بكونها جاهلية الى كونها على غير قانون عدلي كما ان حركات اهل
الجاهلية كانت كذلك ولذلك قال ليس فيها منار هدى ولا علم يرى
اي ليس فيها امام عدل ولا قانون حق يقتدى به و **قوله** نحن
اهل البيت منها نجاة ولسنا فيها بدعاة اي انا ناجون من اثامها والدخول
فيها والدعوة الى مثلها وليس المراد انا سالمون من اذاهم غير داعين فيها
الى الحق بشهادة دعوة الحسين عليه السلام الى نفسه وقتله واولاده وهتك

ذرية

ذريته ويحتمل ان يريد انا نجاة من اثامها ولسنا فيها بدعاة مطلقا والحسين
عليه السلام لم يكن داعيا منبعثا من نفسه للدعوة وانما كان مدعوا الى القيام من اهل
الكوفة ومجيبا لهم و **قوله** ثم يفرجها الله كتفريج الاديم الى قوله
الا الخوف اشارة الى زوال دولتهم بظهور بني العباس عليهم وقلعهم واستيصالهم
وتتبعهم لاثارهم وحصول الفرج منهم لبقية الابرار من عباد الله تعالى المقصودين
باذاهم كما ينفرج الجلد الذي يشق عما فيه ولقد اولاهم بنو العباس من الذل والهوان
واذاقوهم كاس العذاب طعوما مختلفة واوردوهم حياض الموت الوانا شتى كما هو مذكور
في كتب التواريخ ولفظ الكاس والتغيير والعلقمة مستعار وكذلك لفظ التجليس
ووجه المشابهة جعلهم الخوف شعارا لهم كما ان حليس البعير كذلك و **قوله**
حتى تود قريش الى اخره اشارة الى غاية هذه الفرقة المتغلبة من قريش
على هذا الامر اي ان حالهم في التراذل والضعف عن محاربتهم ينتهي الى ان يحبوا ان يروه
مقاما واحدا مع انه لتعطف الخلق اليهم ليقبل منهم ح ما يطلب اليوم بعضه من
نصرتهم له واتباعهم لامره وانقيادهم لهداه فيمنعونه اياه وكنى عن قصر
ذلك المقام المتمنى لهم بمقدار زمان جزر الجزور وصدقه عليه السلام في هذا الخبر
ظاهر فان ارباب السير نقلوا ان مروان بن محمد اخر ملوك بني امية قال يوم
الزاب حين شاهد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس مارا به
في صف خراسان لوددت ان علي بن ابو طالب تحت هذه الرايات بدلا من هذا
الفتى والقصة مشهورة وبالله التوفيق والعصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

فتبارك الذي لا يبلغه بعد الهمم

**اقول** تبارك قيل مشتق من البروك المستلزم للمقام في موضع
واحد والثبات فيه وقيل من البركة وهي الزيادة وبالاعتبار الاول يكون
اشارة الى عظمته باعتبار دوام بقائه واستحقاقه قدم الوجود لذاته وبقاء وجوده
لا عن استفتاح ولا الى انقطاع وبالاعتبار الثاني اشارة الى فضله واحسانه
ولطفه وهدايته ووجوه الثناء عليه و **قوله** الذي لا يبلغه بعد الهمم
ولا يناله حدس الفطن كقوله في صدر الخطبة الاولى الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله
غوص الفطن الا ان الغوص هنا بالحدس والحدس في اللغة للظن وفي اصطلاح

العلا لما كان الفكر عبارة عن حركة الذهن منتقلا من المطالب الى المبادى ثم
منها الى المطالب كان الحدس عبارة عن جودة هذه الحركة الى اقتناص الحد الاوسط
من غير طلب وتجشم كلفه وهو مقول بحسب التشكيك وهو بجميع اعتباراته وباعلى
رتبته قاصر عن منال ذات الحق تعالى كما سبق وقوله الاول الى اخره
قد مر تفسير اوليته واخريته بغير مرة وبالله التوفيق منه قوله
فاستودعهم في افضل مستودع الى قوله والتوبة مسموعه والاعمال مقبوله اقول
الشيخ الثقل واقتفت اثبتت والارومة الاصل والصدع الشق وعترة الرجل نسله
ورهطه الادنون واسرته قومه وبسقت طالت والزند العود الاعلى يقدح به
ونهج واضح و **قوله** فاستودعهم الى قوله خلف اشارة الى الانبياء عليهم السلام
القايمون بدين الله واعلم ان دين الله تعالى واحد بعثت جميع الانبياء لتسليك
الخلق اياه والداخل وفروع فاصله الطريق الى معرفته والاستكمال بها وجامع
مكارم الاخلاق ونظام امر الخلق في معاشهم ومعادهم وهذه الامور هي المراد من الشرع وهو
اصل لا يخالف فيه نبي نبيا فاما الاختلافات الواقعه في الشرايع ففي امور جزئية بحسب
مصالح جزئية يتعلق بوقت الرسول المعين وحال الخلق المرسل اليهم يوقع عليها ذلك
الاصل وتكون كالمشخصات له والعوارض التي تختلف بها الطبيعة الواحدة النوعية
وافضل مستودع استودعهم فيه حظاير قدسه ومنازل ملايكته وهو خير مستقرا
قرهم فيه ومحل كرامته في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتناسخ الاصل لهم
الى مطهرات الارحام نقلهم اليها نطفا وكرايم الاصلاب ما كرم منها وحق الاصلاب بمحتد
لشامم ان يوصف بالكرم ومطهرات الارحام ما طهر منها وحق لما استعد منها لانتاج
مثل هذه الامزجة وقبولها ان يكون طاهرة من كدر الفساد والشيعة يطهرون اصول
الانبياء من طرف الاباء والامهات عن الشرك ونحوه قول الرسول صلى الله عليه
نقلنا من اصلاب الطاهرة الى الارحام الزكيه ويحتمل ان يريد بافضل مستودع و
خير مستقر في مبدا امرهم اصلاب الاباء وارحام الامهات ويكون قوله تناسخهم تفسيرا
له وبيانا و **قوله** كلما مضى منهم سلف قام بدين الله منهم خلف اشارة
الى ضرورة وجود الانبياء عند الحاجة اليهم على التعاقب وقد سبقت الاشارة اليه
و **قوله** حتى افضت كرامة الله الى محمد صلى الله عليه الى قوله
افضاؤه اشارة الى غاية سلسلة الانبياء وكنى بكرامة الله عن النبوة واستعار

لفظ

لفظ المعدن والمنبت والمغرس لطينه النبوة وهي مادته القريبة التي استعدت
لقبول مثله ووجه الاستعارة ان تلك المادة منشاء لمثله كما ان الارض معدن الجواهر
ومغرس الشجر الطيب وظاهر ان اصلابهم مثله افضل المعادن واعز الاصول
وقيل اراد بذلك مكة شرفها الله وقيل بيته وقبيلته ثم ميزه بما هو اخص
واشرف فقال من الشجرة التي صدع منها انبياؤه فاستعار لفظ الشجرة لصنف
الانبياء وكما ان الشجرة اشرف من طينتها كذلك صنف الانبياء اشرف من قوابل
صورهم ووجه الاستعارة هو ما كني بالانصداع عنه من تفرع اشخاص الانبياء
عن صنفهم كما يتفرع اغصان الشجرة فيها وامناؤه اي على رسالته وقوله
عترته خير العتر واسرته خير الاسر بدا بالعترة لما عرفت انها اخص واقرب من
الاسرة ومصداق افضليته عترته **قوله** صلى الله عليه سادة اهل
المحشر سادة اهل الدنيا انا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر ووجه
افضليته اسرته قوله صلى الله عليه ان الله اصطفى من العرب معدا واصطفى
من معد بني النضر بن كنانة واصطفى هاشم من بني النضر واصطفاني من بني هاشم
وقوله صلى الله عليه قال لي جبريل يا محمد قد طفت الارض شرقا وغربا فلم اجد
فيها اكرم منك ولا بيتا اكرم من بني هاشم وقوله صلى الله عليه الناس تبع لقريش
برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم و **قوله** وشجرته خير الشجر قيل اراد
بالشجرة في الموضعين ابرهيم عليه السلم وقيل اراد هاشما وولده بقرينة قوله
نبتت في حرم واراد مكة ورشح تلك الاستعارة بوصف الانبات والبسق و
كنى بالكرم والذكاء فيه عن زكاه اصله وما استلزم من الفضل وكنى بالفروع عن
مثله صلى الله عليه وذريته وساير النجباء من بني هاشم وبوصفهم بالطول عن
بلوغهم في الشرف والفضل الغاية البعيدة وهو ترشيح للاستعارة وكذلك
الثمر وكنى به عن العلوم والاخلاق المتفرعة عنه وعن ايمة لعترته وبكونها
لا ينال عن شرفها او خوض اسرارها اي انها لشرفها وعلوها لا يمكن ان
يطاول فيها او الغوص اسرارها لا يصل الاذهان اليها و **قوله**
فهو امام من اتقى الى قوله برق لمعه استعار لفظ البصيرة والسراج
والشهاب والزند له صلى الله عليه ووجه الاستعارة كونه سبب هداية
الخلق كما ان هذه الامور الثلثة كذلك ورشح استعارة السراج بلمعان

الضوء والشهاب بسطوع النور والزند بروق اللمع ويحتمل ان يكون وجه
استعارة الزند هو كونه مثيرا لانوار العلم والهداية و **قوله** سيرته
القصد اى طريقته العدل وهو الاستواء على الصراط المستقيم وعدم الانحراف
الى احد طرفى الافراط والتفريط وسنته الرشد اى سلوك طريق الله عن
هداية و كلامه الفصل اى الفاصل بين الحق والباطل كقوله تعالى انه
لقول فصل وحكمه العدل الوسط بين رذيلتى الظلم والانظلام و **قوله**
ارسله على حين فترة من الرسل وهفوة عن العمل اى زلة عنه وغباوة
من الامم اى جهل منهم وعدم فطنة لما ينبغى وقد سبق بيان الفترة وقوله
اعلموا رحمكم الله على اعلام بينة استعار لفظ الاعلام لائمة الدين وما بايديهم من مصابيح
الهدى وكنى بكونها بينة عن وجودها وظهورها بين الخلق و **قوله**
والطريق نهج يدعو الى دار السلام فالطريق الشريعة ونهجه وضوحها فى زمانه
عليه السلام وقرب العهد بالرسول صلى الله عليه وظاهر كون الشريعة داعية الى الجنة
واسناد الدعوة الى الطريق مجازا والداعى قيم الطريق وواضعها وقوله
وانتم فى دار مستعتب اى الدار الدنيا التى يمكن ان يستعتبوا فيعتبوا اى يطلبوا
رضا الله بطاعته فيرضى عنكم وعلى مهل اى امهال وانظار وفراغ من عوائق
الموت وما بعده و **قوله** والصحف منشورة الى لخر الواوات السبع الحال
والمراد صحايف الاعمال واقلام الحفظة على الخلق اعمالهم وفائدة التذكير بهذه
الامور التنبيه على وجوب العمل معها ويذكر اضدادها مما لا يمكن معه العمل
ولا ينفع الندم من الموت وطى الصحف وجفاف الاقلام وفساد الابدان وخرس
الالسنة وعدم سماع التوبة كما قال تعالى يومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم
ولا هم يستعتبون وبالله التوفيق والعصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

بعثه والناس ضلال فى حيرة الى قوله
ودعى الى الحكمة والموعظة **اقول** الفصل تقرير
لفضيلة الرسول صلى الله عليه والواو فى والناس للحال اى فى حال ما هم
ضالون عن سبيل الله فى جزء من امرهم ماذا يتبعون وخابطون فى
فتنة اى كانت حركاتهم على غير نظام فى ضلال البدع ومن روى حاطبون



فهو استعارة ووجهها كونهم يجمعون فى ضلالهم وفتنتهم ما اتفق من اقوال
وافعال كما يجمع الحاطب ومنه المثل حاطب ليل لمن جمع بين الغث والسمين
والحق والباطل فى اقواله و **قوله** وقد استهوتهم الاهواء اى جذبتهم
اراؤهم الباطلة الى مهاوى الضلال او الى انفسها واستزلتهم الكبرياء اى
ادتهم الى الزلل والخطاء عن طريق العدل واقتفاء اثار الانبياء فى التواضع
ونحوه واستخفتهم الجاهلية الجهلاء فطارت بهم الى ما لا ينبغى من الغارات
والفساد فى الارض فكانوا ذوى خفة وطيش ولفظ الجهلاء تاكيد للاول
كما يقال ليل اليل ووتد واتد و **قوله** حيارى فى زلزال من الامر
وبلاء من الجهل اى لا يهتدون لجهلهم الى مصالحهم فهو منشأ اضطراب امورهم وبلائهم
بالغارات وسبى بعضهم بعضا وقتلهم و **قوله** فبالغ الى آخره مضيه
على الطريقة سلوكه لسبيل الله من نهج الخلاف ودعوته الى الحكمة والموعظة
هى دعوته الى سبيل الله بهما امتثالا لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة فالدعوة بالحكمة الدعوة بالبرهان وبالموعظة الدعوة
بالخطابة وقد سبقت الاشارة الى ذكر فى المقدمات وبالله التوفيق والعصمة

## ومن خطبة له عليه السلام

الحمد لله الاول فلا شى قبله الى قوله فلا شى دونه
**اقول** اثنى على الله سبحانه باعتبارات اربعة الاولية والاخرية
والظاهرية والباطنية واكد كل واحد منهما بكمال له فكمال الاولية سلب قبلية
شى عنه وكمال الاخرية لسلب بعدية شى له والظاهرية لسلب فوقية شى
له والباطنية لسلب شى دونه والمراد بالظاهر هاهنا العالى فلذلك حسن
تاكيده لسلب فوقية العبر له وبالباطن الذى بطن خفيات الامور علما وهو
بهذا الاعتبار اقرب الاشياء اليها فلذلك حسن تاكيده لسلب ما هو دونه اى
ما هو اقرب اليها منه وحصلت المقابلة بين الثانى والعالى ويحتمل ان
يريد بالظاهر للشىء ويكون معنى قوله فلا شى فوقه اى لا شى عالى وجوده
ويحجبه عن معرفة خلقه به وبالباطن الخفى ومعنى فلا شى دونه اى فى الخفاء
وقد سبق بيان هذه الاعتبارات الاربعة غير مرة وبالله التوفيق
**منها** فى ذكر الرسول صلى الله عليه مستقره خير مستقر الى قو له

كلامه بيان وصمته لسان **اقول** المعاهد جمع معهد والميم زايدة وثنيت لبه اى صرفته والضغاين الاحقاد والتوابر جمع نايرة وهي للعداوة والمخاصمة والاقران الاخوان المقترنون واشار بمستقره الى مكة وكونها خير مستقر لكونها ام القرى ومقصد خلق الله ومحل كعبة ويحتمل ان يريد محله من جود الله وعنايته وظاهر كونه خير مستقر واستعار لفظ البيت والمعدن وقد مر بيان وجه استعارتهما ومماهد السلامة مجال التوطية لها وهي كناية عن مكة والمدينة وما حولها فانها محل لعباده الله والخلوة به التي هي مهاد للسلامة من عذابه وانما كانت كذلك لكونها دار الفتق خالية عن المشتهيات والفتنات الدنيوية ويحتمل ان يريد بهما هذه الشريعة ما نقلب فيه ونشأ عليه من مكارم الاخلاق الممهدة للسلامة من سخط الله وفي قوله قد صرفت نحوه افيدة الابرار تنبيه على ان الصارف هو لطف الله وعنايته بهم بالتفات قلوبهم الى محبته والاستضاءة بانوار هداه ولما استعار لفظ الازمة للابصار ملاحظة لشبهها بمقاود الابل رشح تلك الاستعارة بذكر الثنى وكنى بذلك عن التفات الخلق اليه بابصار بصايرهم وتلقي الرحمة الالهية منه ثم استعار لفظ الدفن لاخفاء الاحقاد به بعد ان كانت ظاهرة مجاهرا بها ولفظ الاطفاء لازالة العداوات بين العرب بالتاليف بين قلوبهم كما قال تعالى في اظهار المنة على عباده واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا والاقران المفرق لهم هم المتالفون على الشرك و **قوله** اعزبه الذلة اى ذلة الاسلام واهله واذل به العزة اى عزة الشرك واهله وبين كل قرينتين من هذه الست مقابله ومطابقه فقابل بالتفريق التاليف بالذلة الاعزاز وبالعزة الاذلال و **قوله** وكلامه بيان اى لما انغلق من احكام كتاب الله لقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم و **قوله** وصمته لسان استعار لفظ اللسان لسكوته ووجه المشابهة ان سكوته صلى الله عليه مستلزم للبيان من وجهين احدهما انه كان يسكت عما لا ينبغي من القول فيعلم الناس السكوت عن الخوض فيما لا يعنيهم الثاني ان الصحابة كانوا اذا فعلوا فعلا على سابق عادتهم فسكت عنهم ولم ينكره عليهم علموا بذلك انه

على حكم الاباحة فكان سكوته عنهم في ذلك بيانا له واشبه سكوته عنه اللسان المعرب عن الاحكام وبالله التوفيق والعصمة والعون

## ومن كلام له عليه السلام

ولين امهل الله الظالم فلن يفوت اخذه الى قوله

وماد وا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا

من العقاب ورجاء للثواب **اقول** المرصاد الطريق يرصد بها والرصد المراقب والشجا الغصص بلقمة والحشا الشوق الشديد واعضل اشكل والحنية القوس ومنى ابتلي وتربت اصابت التراب دون الخير واخال احسب والوغى الحرب واصله من الاصوات وحمس اشتد والتمت الطريقة ولبد الطاير لصق بالارض **فقوله** ولين امهل الله الظالم الى قوله ربقه في معرض التهديد لاهل الشام باخذ الله لهم وعدم فوتهم وانه لهم بالرصد على جميع حركاتهم وعلى مجاز طريقهم التي هم سالكوها ضلالا وعلى موضع الشجى من مساغ ريقهم وهو الحلق وفي ذكر الشجى وكون الله بالرصد تنبيه على ان الله تعالى في مظنة ان يرمي الظالم بعقوبة عند اطلاعه على ظلمه كما قال تعالى او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف ثم اردف ذلك بالقسم البار ليظهرن اصحاب معوية عليهم تنفيرا لهم الى مقاومتهم ثم نبه على ما عساه يتوهم انه علة غلبتهم لهم كيلا يتخاذلوا بسبب ذلك وهو **قوله** ليس لانهم اولى بالحق منكم واردفه بتعيين السبب الحق في ذلك وهو **قوله** لكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم اى امره الباطل وابطائكم عن حقي اذ كانت النصرة باجتماع الكلمة وطاعة الامام لا باعتقاد حقيقة امرائه مع التخاذل عنه ثم اردف ذلك بتوبيخهم وتنفيرهم بما هم عليه من مخالفة امره **بقوله** ولقد اصبحت الامم الى قوله رعيتي لان شان الرعية الخوف من سلطانها فاذا كان حاله مع رعيته بالعكس كانت اللائمة عليهم بعصيانه دون حجة لهم عليه واما التفصيل فبذكر انهم في محل ظلم مثله ولقد اشفق عليه الظلم منهم في مواطن كثيرة كيوم التحكيم اذ قالوا له ان لم ترض فعلنا بك كما فعلنا بعثمان ونحو ذلك ثم اردف بيان وجوه تقصيرهم ببيان ما فعل في حقهم من الايادي الجميلة والهداية الى وجوه المصالح من استنفارهم لجهاد عدوهم وحفظ بلادهم واسماعهم الدعوة

الى مصالحهم سرًّا وجهرا وبصحته لهم بالوجوه الصايبة من الرأى وهو كقوله
تعالى حكاية عن نوح عليه السلام قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا
فلم يزدهم دعايى الا فرارا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم الى قوله اسرارا ثم
شبههم بالغياب مع شهادتهم وبالارباب مع كونهم عبيدا ووجه التشبيه
الاول ان الفايدة في شاهد الموعظه دون الغايب عنها هو سماعها والانتفاع
بها فاذ لم يسمع لذلك منهم كالغياب عنها في عدم الانتفاع بها ولما الثانيه
فلانهم رعية من شانهم التعبد لاوامر امرايهم ثم انهم لتعززهم وشموخهم كبرا
وعدم طاعتهم كالارباب الذين من شانهم ان يامروا ولا ياتمروا ثم وبخهم بنفارهم
عما يتلوا عليهم من الحكم وتفرقهم عن مواعظه البالغة لهم واهل البغى اشارة
الى اهل الشام وايادى سبا مثل يضرب في شدة التفرق ضربه ليفرقهم
عن مجالس الذكر وهما لفظان جعلا اسما واحدا كمعدى كرب وسبا قبيله
من اولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان واصل المثل ان هذه القبيلة
كانت بمارب فلما ان وقت انفتاح سد مارب ورات طريفة الكاهنه
ذلك الامر وعرفته القته الى عمرو بن عامر الملقب بمزيقيا فباع امواله
بمارب وارتحل الى مكة فاصابت هولاء الحمى وكانوا لا يعرفونها ففزعوا الى
الكاهنة فاخبرتهم بما سبقهم وقالت انه مفرق بيننا فاستشاروها في
امرهم فقالت من كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق
بقصر عمان المشيد فكانت ازد عمان ثم قالت ومن كان منكم ذا جلد و
قسر وصبر على ازمات الدهر فعليه بالاراك من بطن المر فكانت خزاعه
ثم قالت ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق
بيثرب ذات النخل فكانت الاوس والخزرج ثم قالت ومن كان منكم
يريد الخمر والخمير والملك والتامير ويلبس الديباج والحرير فليلحق ببصرى
وغوير وهما من ارض الشام فكان الذين يسكنونها ال جفنة من غسان
ثم قالت ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الارزاق
والدم المهراق فليلحق بارض العراق فكانت ال جذيمة الابرش ومن كان
بالحيرة وال محرق فضربت العرب بتفرقهم في البلاد هذا المثل وسار فيمن
يتفرق بعد اجتماع ثم لما كانت المخادعة هى الاستغفال عن المصلحة

قال

قال تخادعون اى انهم اذا جمعوا من مجلس وعظه اخذ كل منهم يستغفل
صاحبه عن تذكر الموعظة ويشغله بغير ذلك من الاحاديث وان لم يكن
عن قصد خداع بل يقع منهم صور المخادعة وتقويمه لهم بالغدو اصلاحه
لخللهم بالحكم والمواعظ ورجوعهم اليه عشية كظهر الحنية اى معوجين
كظهر القوس وهو تشبيه للعقول من اعوجاجهم والحرافهم عن جميل
الاخلاق بالمحسوس وقوله عجز المقوم اشارة الى نفسه و
اعتراف لعجزه عن تقويمهم واعضل المقوم اى اشكل امرهم واعيته
ادواؤهم علاجا ثم عاد الى ندايهم وتنبيههم بذكر معايبهم لينفر عقولهم
عنها فوصفهم لشهادة الابدان مع غيبة العقول ثم باختلاف الاهواء
ثم بكونهم ممن ابتلى بهم امراؤهم ثم نبههم على رذيلتهم من مخالفة امره مع
كونه مطيعا لله وما عليه حضوره من فضيلة طاعة امامهم مع كونه
عاصيا لله وجعل ذلك مقايسه بينهم ليظهر الفرق فيدركهم الغيرة ثم اردفه
بتحقيرهم وتفضيل عدوهم عليه في الباس والنجدة واستقامه الحال فاقسم
انه لوددت لو صارفه معاويه بهم صرف الدينار بالدرهم وذلك قوله ايها
القوم الى قوله رجلا منهم ثم اردف ذلك ببيان ما ابتلى به منهم واشار الى
خمس خصال وانما قال ثلث والنفس لينصب الثلث ولكون النفس
من نوع اخر فالثلث الصمم مع كونهم ذوى اسماع والبكم مع كونهم ذوى كلام
والعمى مع كونهم ذوى ابصار ووجه لهذه الثلث مع اضدادها هو سبب
التعجب منهم والتوبيخ لهم واراد بها عدم انتفاعهم في مصالحهم الدينية
ونظام امور دولتهم بالة السمع واللسان والعين فان من لم ينفع سمعه
وبصره عبرة ومن لم يكن كلامه فيما يعنيه كان كفاقد هذه الالات
في عدم الانتفاع بها بل كان فاقدها احسن حالا منه لان وجودها اذا لم يفد
منفعه الكسب مضرة قد امنها عادمها واما الثنتان فكونهم لا احرار
صدق عند اللقاء اى انهم عند اللقاء لا يصدق حريتهم ولا يعفى نجدتهم
من مخالطة الجبن والتخاذل والفرار اذ الحر الخالص من شوب الرذايل
والمطاعن ثم كونهم غير اخوان ثقة عند البلاء اى ليسوا ممن يوثق با
خوتهم في الابتلاء بالنوازل ثم عاد الى الدعاء عليهم على وجه التضجر منهم

وتشبيههم بالنعم فقوله تربت ايديكم دعاء بعدم اصابة الخير وقوله
يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب
ذكر للمشبه والمشبه به ووجه الشبه ثم اردفه بذكر رذيلة يلحقها
منهم بامارتها وهي تفرقهم عنه على تقدير استباك الحرب وشبه انفراجهم
عنه بانفراج المراة عن قبلها ليرجعوا الى الانفه وتسليم المراة لقبلها وانفراجها
عنه اما وقت الولادة او وقت الطعان ثم عاد الى ذكر فضيلته ليستثبت
قلوبهم وبيانها والبينة التي هو عليها من ربه ايات الله وبراهينه الو
اضحه له على وجوده والنهج [?] ماهو عليه من سلوك سبيله وهو كقوله تعالى
قل انا على بينة من ربي والمنهاج من نبيه طريقه وسنته والطريق الواضح
هو عليه سبيل الله وشريعة دينه والتقاطه له لقطا يتبعه وتبرزه عن
طرق الضلال بالسلوك له ثم اردف فضيلته بالامر باعتبار اهل البيت
والزموا سمتهم واقتفاء اثرهم واشار الى جهة وجوب اتباعهم بكونهم يسلكون
بهم سبيل الهدى لا يخرجونهم عنه ولا يردونهم الى ردى الجاهلية والضلال
القديم وفيه ايماء الى ان اتباع غيرهم يرد الى ذلك وقوله فان لبدوا
فالبدوا اي ان سكتوا ولصقوا بلزوم البيوت عن طلب امر الخلافة والقيام
فيه فتابعوهم في ذلك فان سكوتهم قد يكون لمصلحة يغيب علمها عن
غيرهم وان نهضوا في ذلك فانهضوا معهم ثم نهاهم عن ان يسبقوهم
فيضلوا اي امر لم تعد موكل فيه فان متقدم الدليل شانه الضلال
عن القصد وان لا يتاخروا عنهم فيهلكوا اي لا يتاخروا عن متابعتهم في
اوامرهم وافعالهم بالمخالفة لهم فيكونوا من الهالكين في تيه الجهل و
عذاب الاخرة ولا مرية في تخصيص ذلك بالائمة الاثني عشر من اهل البيت
عليهم السلام وقوله لقد رايت اصحاب رسول الله الى اخره مدح
لخواص الصحابة وذكر مكانهم من خشية الله ودينه ترغيبا في مثل
تلك الفضائل وتحريك فقوله فما ارى احدا يشبههم ما عساه يدرك
لنا معين من الغيرة على تلك الفضائل ان يختصوا بها دونهم
وذكر من محامدهم اوصافا احدها الشعث والاغبرار وهو اشارة
الى تقشفهم وتركهم زينة الدنيا والثاني بياتهم سجدا وقياما

واشار به

واشار به الى احيائهم الليل بالصلوة وهو كقوله تعالى والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما الثالث مراوحتهم بين جباههم وخدودهم
وقد كان احدهم اذا اتعبت جبهته من طول السجود راوح بينها وبين
خده الرابع وقوفهم على مثل الجمر من ذكر معادهم واشار به الى قلقهم
ووجدهم من ذكر المعاد واهوال يوم القيامة كما يقلق الواقف على الجمر
مما يجده من حرارته الخامس كان بين اعينهم ركب المعزى من طول سجودهم
ووجه المشابهة ان محال سجودهم من جباههم كانت قد اسودت وماتت
جلودها وقست كما ان ركب المعزى كذلك السادس انهم كانوا اذا
ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومن روى جباههم فذلك في حال
سجودهم ممكن ومادوا كما يميد الشجر بالريح العاصف خوفا من عقاب
ربهم ورجاء لثوابه فتارة يكون ميدانهم وقلقهم عن خوف لله وتارة
يكون عن ارتياح واشتياق الى ما عنده من عظيم ثوابه وهو كقوله
تعالى والذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبالله التوفيق والعون والعصمة

ومن كلام له عليه السلام

والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرما الى قوله
وان ابتليتم فاصبروا فان العاقبة للمتقين

اقول نبا به المنزل اذا لم يوافقه والعنار النقب [?]
والاشارة بهذا الفصل الى بني امية فانهم لا يزالون ظالمين فحذف
الخبر للعلم به وذكر لظلمهم غايات احدها انهم لا يدعون محرما الا
استحلوه واعظم كبائر المحرمات الظلم وقتل النفس وحالهم فيهما
مشهورة فما ظنك بغيرهما ومعنى قوله استحلوه استعملوه كاستعمال
الحلال في عدم التحرج والتاثم به الثانية ان لا يدعوا عقدا الا حلوه
اي من عقود الاسلام التي تنتظم بها امر العالم من قوانين الشرع وضوابطه
وحله كناية عن خرم تلك القواعد ومخالفتها الثالثة انه لا يبقى
بيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم وهو كناية عن عموم عدوانهم
وبغيهم على جميع الخلق من البدو والحضر وقوله ونبا به
سوء رعيهم اي اوجب سوء رعيهم لاهله نبوهم عنه الرابعة

[illegible] احدكم من احدهم [illegible] ذكر [illegible]
ثم [illegible] الى وجه التقبيح [illegible] اذا شهد [illegible]
[illegible] به [illegible] وحيث [illegible] بينهما [illegible]
[illegible] وانما كان كذلك [illegible] من [illegible] بانه [illegible]
[illegible] عليه فيكون عليه اشد [illegible] اقوى [illegible]
[illegible] تعجبا ثم اردف [illegible] العافية [illegible]
ويشكر [illegible] على النعمه واراد العافية من الابتلاء [illegible]
الناس [illegible] محاص من البلايم [illegible]
[illegible] الى [illegible] ووعده [illegible] ذلك [illegible] للتقوى
كما قال تعالى واصبر ان العاقبة للمتقين [illegible] العون [illegible]

هذا آخر الجزء الثاني من شرح نهج البلاغة من
تصانيف الشيخ الفاضل العلامة [illegible]
المتأخرين محرر الأوان صاحب علمي المعاني [illegible]
كمال الملة والدين جمال الإسلام والمسلمين ميثم بن علي
بن ميثم البحراني طاب ثراه [illegible]
[illegible] الانواع [illegible] التنقيح [illegible]
[illegible] [illegible] اللهم [illegible]
[illegible] [illegible] الى [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] محمد [illegible]